

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية: الآداب والحضارة الإسلامية

قسم: التاريخ



جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية - قسنطينة -

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

## مكانة التاريخ في الحقول المعرفية في بلاد المغرب

### الإسلامي

### في نهاية العصر الوسيط - 8-10 هـ - 14-16 م

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

تخصص: حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي

إشراف الأستاذ الدكتور

علاوة عمارة

إعداد الطالبة:

آسيا ساحلي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الرئيسية	الصفة
أ.د. إسماعيل سامعي	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
د. علاوة عمارة	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا
أ.د. يوسف عابد	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا
أ.د. الطاهر بونابي	أستاذ	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	عضوا
أ.د. عبيد داوود	أستاذ	جامعة معسكر	عضوا
د. مسعود خلدي	أستاذ	جامعة 08 ماي 1945 - قالة	عضوا

السنة الجامعية : 2018-2019 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأمير عبد العزيز  
العلوم الإسلامية

## شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد. فإنني أشكر الله تعالى على فضله حيث أتاح لي إنجاز هذا العمل بفضل، فله الحمد أولاً وآخراً.

ثم أشكر أولئك الأفاضل الذين قدموا لي يد المساعدة، طوال فترة بحثي، وفي مقدمتهم أستاذي المشرف فضيلة الدكتور: علاوة عمارة، الذي لم يذخر جهداً في تقديمه لي النصح والتوجيه، فقد كان يحثني على البحث، ويرغبني فيه، ويقوي عزيمتي عليه، كما لم يبخل علي بتصويباته وتصحيحاته الدقيقة والمتكررة، فله من الله الأجر، ومني كل عبارات التقدير والعرفان، حفظه الله وتمتع بالصحة والعافية ونفعنا بعلمه.

كما أشكر الأساتذة الكرام، أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه، على تبشيمهم عناء قراءة هذا العمل المتواضع، وتقديم ملاحظاتهم البناءة، فلم مني فائق الاحترام والتقدير، كما أشكر سعادة الأساتذة المبجلين الذين ساعدوني في الحصول على بعض المخطوطات النفيسة والمهمة في بحثي، أذكر منهم على وجه الخصوص مفرسو الخزانة الحسنية بمدينة الرباط المغربية، وفي مقدمتهم الدكتور أحمد شوقي بنين، وخالد زهري، ومحمد سعيد حنشي، وعبد المجيد خيالي، فلم مني جزيل الشكر والامتنان.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لعمال مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، والقائمين بها على مصلحة الدراسات العليا لما يبذلونه من جهود في خدمة الطالب، وتقديم التسهيلات المتاحة، كذلك أشكر كل من قدم لي يد المساعدة من الأساتذة الزملاء الأفاضل كل باسمه.

# الإهداء

إلى من أظهر لي ما هو أجمل من الحياة، إلى من كان لي ملاذي وملجئي،  
إلى من تذوقت معه أجمل لحظات البحث ومره، زوجي الغالي حفيظ.

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة الجميلة، رياحين حياتي، ومقلة  
عيني، وحشاشة فؤادي، ابنائي مهدي وباديس.

إلى من حصد الأشواق عن دربي ليمهد لي طريق العلم، إلى القلب الكبير،  
والدي العزيز بلقاسم.

إلى ينبوع الصبر والتفاؤل والأمل، إلى كل من في الوجود بعد الله ورسوله،  
سندي وقوتي وملذي بعد الله، أمي الغالية.

كما أبعث بأرق تحية وأعذب سمفونية سمعتها وارتدتها لكم إخوتي الأعماء،  
زهير، عبد الله، عبد الحفيظ، زكرياء، وأصغرنا صهيب وحيدر وبشرى حفظكم  
الله ورعاكم.

إلى كل من ساهم في إنجاح هذا العمل من قريب أو من بعيد.

# المقدمة

جامعة الأمير  
عبدالمبارك  
للعلوم الإسلامية

حقيقة إننا اليوم بحاجة ماسة لإدراك ذلك التطور الهائل الذي مسّ مختلف ضروب المعرفة التي أنتجتها الحضارة الإنسانية خلال مراحل متعاقبة، بما فيها المعرفة التاريخية موضوع الدراسة، خصوصاً وأن هذه الأخيرة قد خضعت لتحولات جذرية وعميقة في بنيتها التكوينية، ومناهجها الأساسية، حتى وصلتنا اليوم في شكلها المغاير عما كانت عليه في مراحلها الكلاسيكية، فقد تجاوزت عملية البحث عن الأصل التاريخي للكلمة الإغريقية (Istoria)، وانتقلها إلى حروف اللغة الرومانية (Historia)، لتتخذ أشكالاً مختلفة ومعاني متعددة في اللغة الإنجليزية (History) والفرنسية (Histoire)، وتتشابه في مضمونها مع كلمة (تاريخ) في العربية<sup>(1)</sup>، والتي تعني "أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى"<sup>(2)</sup>، في حين أصبح التركيز اليوم منصبا على ضرورة الكشف عن الروابط التي تجمع بين الوقائع التاريخية والعوامل الأساسية المتحركة في صيرورتها، الأمر الذي أعطى لـ "علم التاريخ"، ذلك الانفتاح الواسع على مختلف التخصصات العلمية، وأصبح الحديث عن استخدام مقاربات منهجية مبتكرة<sup>(3)</sup>، تركز على مناهج العلوم الاجتماعية، والأنثروبولوجيا التاريخية، والجغرافية، والبنيات الاقتصادية، هذه النظرة العميقة لمفهوم التاريخ، كانت كامنة خلف اتساع حقل الدراسات التاريخية ليشمل مختلف فروع المعرفة الحديثة.

بالتأكيد، المكانة المتقدمة التي حصل عليها "علم التاريخ" في المرحلة الراهنة، واتساع ميادين البحث فيه، ناهيك عن تراكم الأعمال المصنفة حوله، جعل منه موضوعاً مهماً للبحث التاريخي، وبات ضرورياً إمطة اللثام عن تاريخ المعرفة التاريخية في حد ذاتها<sup>(4)</sup>، وعلاقتها بباقي

(1) - فصل المستشرق الألماني فرانز روزنتال "Franz Rosenthal" الحديث في تطور كلمة (Istoria) الإغريقية، والتوسع الهائل الذي عرفته معنى كلمة "تاريخ" عبر مراحلها المختلفة. حولها أنظر: فرانز روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983، ص 16-28.

(2) - أنظر: ابن خلدون: المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط6، دار نهضة مصر للنشر، 2012، 1/282.

(3) - النظرة التجديدية التي طرأت على مفهوم التاريخ ومنهجيته، وانفتاحه على باقي العلوم في النصف الثاني من القرن العشرين، تعود إلى جهود جيل "مدرسة الحوليات الفرنسية"، التي ترعّمها مارك بلوك (Marc Léopold Benjamin Bloch)، ولوسيان فيفر (Lucien Febvre)، وتلميذه فرناند برودال (Fernand Braudel)، وحاك لوغوف (Jacques Le Goff). حول رواد مدرسة الحوليات الفرنسية والكتابة التاريخية. أنظر:

Fernand Braudel, *Écrits sur l'histoire*, Flammarion, Paris, 1969.

خالد طحطاح: الكتابة التاريخية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2012، ص 101-169.

(4) - يعتبر الفيلسوف والمؤرخ الإيطالي كروتشه بنديتو (Croce Benedetto)، مؤسس "المعهد الإيطالي للدراسات التاريخية"

أصناف العلوم المتداولة، وتقصي المكانة التي حازت عليها عبر مختلف مراحل تطورها، وبتسليط الضوء أكثر على المعرفة التاريخية التي نشأت وتطورت في أحضان العالم الإسلامي الوسيط، أين أعطيت مكانة مهمة للرواية والسرد القصصي في نسق اسطوغرافي متسلسل، ومع ذلك فقد استطاع إخباريو القرون الهجرية الأولى أن يبلوروا خطابا تاريخيا متميزا، يعكس الخصوصية الثقافية للعالم الإسلامي الوسيط، حيث كان الخبر التاريخي يرتبط ارتباطا وثيقا بعملية تدوين الحديث النبوي، لتكون إنطلاقة الأولى تدور حول سيرة الرسول ومغازيه، ونشأ ما اصطلح عليه بـ "أدب الفتوح والمغازي"، ليعرف بعدها انفجارا كبيرا في صيغ تدوينه منها: التواريخ الجامعة والمحلية، كتب التراجم والطبقات، وتواريخ المدن... الخ.

وواقع أنه رغم وجود مجموعة مهمة من الدراسات العربية والأجنبية، التي اهتمت بحركة التدوين التاريخي الإسلامي وتطوره خلال العصر الوسيط، إلا أنها في الغالب ركزت عنايتها على الطرف الشرقي للعالم الإسلامي وأهم مدارسه التاريخية (الكوفة- البصرة- بلاد الحجاز واليمن- دمشق- مصر الإسلامية)، على غرار: دراسة عبد العزيز الدوري<sup>(1)</sup>، وشاكر مصطفى<sup>(2)</sup> وعبد العزيز سالم<sup>(3)</sup>، وحسين نصار<sup>(4)</sup>، وفاروق عمر فوزي<sup>(5)</sup>، وطريف الخالدي<sup>(6)</sup>، والمستشرق فرانز روزنتال، وجيسي روبنسون<sup>(7)</sup>، والقائمة طويلة ولا يسع المجال لحصرها جميعا، في مقابل ذلك قلة عنايتها بالشق الغربي للعالم الإسلامي الوسيط، خصوصا تلك المقاطع

من أهم الأسماء الغربية في النصف الأول من القرن العشرين، التي وضعت "تاريخ التاريخ" على خارطة الدراسات الأكاديمية المعاصرة، من خلال أرائه المهمة حول مفهوم التاريخ ومناهجه وعلاقته بالفلسفة، في الكثير من كتبه ومقالاته، أشير فقط إلى:

- *L'Histoire comme pensée et comme action*, trad. Jules Chaix-Ruy, librairie Droz, Genève, 1968.
- *Matérialisme Historique et Economie Marxiste, Essais critiques*, trad. Al Fred Bonnet, V.Giard et E.Briere, Paris, 1901.

(1) - نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005 م.  
(2) - التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت، 1983 م.

(3) - التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة، بيروت، 1981 م.

(4) - نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ط 2، منشورات اقرأ، بيروت، 1980 م.

(5) - التدوين التاريخي عند المسلمين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2004 م.

(6) - فكرة التاريخ عند العرب من الكتاب إلى المقدمة، ترجمة حسني زينية، دار النهار للنشر، بيروت، 1997 م.

(7) - البلاط والمجتمع الإسلامي، دراسة في سوسيولوجيا الكتابة التاريخية عند المسلمين، ترجمة عبد الجبار ناجي، المركز

الأكاديمي للأبحاث، العراق- تورنتو، 2014 م.

المتعلقة ببلاد المغرب، حيث انصبت جهود الباحثين على الطرح الخلدوني المبتكر في كتابه الأول حول العمران البشري، والذي اشتهر بـ "المقدمة"، أشير هنا إلى دراسة علي أومليل الموسومة بـ "الخطاب التاريخي، دراسة لمنهجية ابن خلدون" <sup>(1)</sup>، كذلك سلسلة الأعمال المهمة التي أنجزها عبد السلام الشدادى حول فكر ابن خلدون (ت 808 هـ / 1406 م)، وقد أعاد تحقيق نص "المقدمة" <sup>(2)</sup>.

ويحسن بي هنا أن أشير إلى بعض الدراسات التي اعتنت بالتدوين التاريخي في بلاد المغرب الإسلامي الوسيط بشكل عام، منها تلك التي أنجزها محمود إسماعيل الموسومة بـ "الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي" <sup>(3)</sup>، وعلى أهمية هذه الأخيرة في رسم الخطوط العريضة لحركة التدوين التاريخي في بلاد المغرب والأندلس <sup>(4)</sup> خلال القرنين 2-5 هـ / 8-11 م، إلا أنها جاءت موجزة ومختصرة جدا، كما أنها لا تستوعب المراحل اللاحقة من الفترة الوسيطة، وهي المراحل الأكثر خصوبة في عملية التدوين التاريخي، ودراسة محمد المنوني المعنونة بـ "المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث" <sup>(5)</sup>، وتعدّ الدراسة المهمة التي

(1) - ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005 م.

(2) - نشرته خزانة ابن خلدون، بيت العلوم والفنون والآداب، الدار البيضاء، 2005 م، 5 مج. ومن أهم دراسات عبد السلام الشدادى، أشير إلى:

- « Historiographie musulmane », A. Burguières, Dictionnaire des sciences historiques, Paris, 1986, pp 482- 484.  
 - *Peuples et nations du monde*, Sindbad, Paris, 1986.  
 - *Les Arabes et l'appropriation de l'histoire*, Sindbad, Paris, 2004.  
 - *Ibn Khaldun l'homme et le théoricien de la civilisation*, Gallimard, Paris, 2006.

(3) - دراسة محمود إسماعيل هذه، في أصلها عبارة عن سلسلة محاضرات ألقاها على طلبة كلية الآداب بمكناس المغربية، وقد تم نشرها في سلسلة منشورات الزمان، الرباط، 2000 م.

(4) - من الدراسات التي اعتنت بالتدوين التاريخي في الأندلس أشير إلى دراسة: ك-بويكا: المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ترجمة نايف أو كرم، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999 م. عبد الواحد ذنون طه: تدوين التاريخ العربي في الأندلس، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988 م. زيان علي: المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، (غير منشورة)، جامعة منتوري قسنطينة، 2010-2011. عبد الواحد عبد السلام شعيب: الكتابة التاريخية ومناهجها في الأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف، دار الأمان، الرباط، 2014 م. كذلك أشير إلى القاموس الذي أنجزه الإسباني "بويجس بونس" للمؤرخين والجغرافيين الأندلسيين تحت عنوان:

-Francisco Pons Boigues, *Ensayo Bio-bibliográfico Sobre Los Historiadores Y Geógrafos Árabe-españoles*, Biblioteca nacional : Ollero & Ramos, Madrid, 1993.

(5) - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1983 م.



أنجزتها مايا شاتزميلر (Maya Shatzmiller)، تحت عنوان: "الاسطوغرافيا المرينية: ابن خلدون ومعاصريه"<sup>(1)</sup> من أهم الدراسات المرجعية، التي رصدت فيها مراحل تطور التدوين التاريخي في المغرب المريني، من خلال تعقبها لأبرز المصنفات الإخبارية المغربية المنجزة خلال القرن 8 هـ/ 14م، وتحليلها العميق لمدى تأثير الفاعلين الاجتماعيين في مضامين الاسطوغرافية المرينية، كذلك سلسلة المقالات التي أنجزها علاوة عمارة باللغتين الفرنسية والعربية، أشير فقط إلى عمليتين منها، الأولى جاء تحت عنوان "الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط"<sup>(2)</sup>، أما الثانية: "انتقال المعرفة التاريخية في الأندلس والمغرب في نهاية العصر الوسيط"<sup>(3)</sup>. يضاف إليها العديد من الدراسات التي ركزت عنايتها على بعض المؤرخين وأعمالهم الإخبارية، منها دراسة عبد الواحد ذنون طه<sup>(4)</sup>، كذلك دراستي التي قدمتها لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط تحت عنوان "إنتاج وانتقال المعارف التاريخية بالمغرب الأوسط"<sup>(5)</sup>.

ويندرج موضوع هذه الرسالة، الموسومة بـ "مكانة التاريخ في الحقول المعرفية في بلاد المغرب الإسلامي في نهاية العصر الوسيط (8-10 هـ / 14-16 م)"، ضمن سلسلة المواضيع التاريخية المهمة التي تعنى بطبيعة الخطاب التاريخي في بلاد المغرب وتطور مضامينه، وتقصي أهم المصنفات الإخبارية المنجزة في مرحلة ما بعد الموحدين، هذه المرحلة الشديدة الحساسية، والتي تعتبر أحد المراحل الأكثر اضطراباً في تاريخ المغرب الوسيط، اكتسبت سمعتها المزعجة، ليس فقط لكونها شاهدة على فشل المشروع الوحدوي الذي قادته الدولة الموحدية، بل أن خلف ذلك الإخفاق كان صعود زعامات محلية بربرية رعوية اقتسمت الإرث الموحدية، معلنة بذلك عن ميلاد السلطانات الثلاث (المرينية، والعبد الوادية، والحفصية).

(1) - *L'historiographie mérinide, Ibn Khaldun et ses contemporains*

وهي في أصلها عبارة عن رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة، تحت إشراف روجيه لوتورنو بعنوان "الاسطوغرافيون المرينيون في القرن 14 م: ابن خلدون"، وبعد صدوره العمل سنة 1982 م، ترجم إلى العربية تحت عنوان المؤرخون والسلطة في المغرب، ترجمة محمد شقير ومحمد ضريف، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، 1993 م.

(2) - *مجلة التاريخ العربي*، 32، (2004)، ص 329-370.

(3) - «La transmission du savoir historique en al-Andalus et au Maghreb à la fin du moyen âge» - *The Maghreb Review*, 28/2-3, (2003), pp. 215 - 244.

(4) - ابن عذارى المراكشي شيخ مؤرخي المغرب العربي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2005 م.

(5) - رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، (غير منشورة)، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2007-

كما شهدت هذه المرحلة، حالة الانكسار الكبير والتراجع الذي عصف بشبه الجزيرة الأيبيرية، وكان من تداعياته الخطيرة سقوط أغلب المدن الأندلسية في يد النصارى، وانتهت تلك الحملة الشرسة التي جاءت في سياق ما يعرف بـ "حركة الاسترداد الصليبي"، بالسقوط المدوي للملكة غرناطة النصرية سنة 897 هـ / 1488 م، لتدخل المنطقة برمتها في حالة من الإرباك الشديد، وتشهد مدن العدو المغربية حركة نزوح جماعية لمسلمي الأندلس بأعداد كبيرة وغير مسبوق، هذا المشهد المأساوي الذي رسم ملامح عصيبة في تاريخ الغرب الإسلامي، ما هو إلا أحد الهزات العنيفة التي ضربت العالم الإسلامي بعد سقوط حضرة الخلافة العباسية ببغداد سنة 656 هـ / 1258 م، وسيطرت الجماعات المغولية "الترت" على طرفه الشرقي، وقد رافقه ذلك الصعود اللافت للجماعات التركية "الأتراك العثمانيين"، الذين نجحوا في تقويض الإمبراطورية البيزنطية، وقد توجت جهودهم في ضم "القسطنطينية" إلى نفوذهم سنة 857 هـ / 1453 م، بالتأكيد غير ذلك وبشكل جذري الخارطة السياسية لحوض المتوسط.

تلك التحولات العميقة التي شهدتها حوض المتوسط في نهاية العصر الوسيط، ألقت بضلالها الثقيلة والمقلقة على البنية الاجتماعية والاقتصادية لضفته الجنوبية، فبالإضافة إلى تراجع طريق الذهب الذي يمر على سحلماسة، نتيجة الاختلال الذي مسّ بشكل مباشر التجارة الصحراوية السودانية مع مدن المغرب، كابد سكانه وبمشقة كبيرة ضربات الطاعون الجارف المتفشي منتصف القرن 8 هـ / 14 م، بالتأكيد هذه التعقيدات التاريخية التي أدخلت بلاد المغرب في مرحلة "الانحطاط والتراجع"، كانت لها تداعياتها الواضحة على مسار التدوين التاريخي في بلاد المغرب، وهو ما سوف أحاول مناقشته في هذا العمل انطلاقاً من عدة إشكاليات.

## إشكالية الموضوع:

إن الخطوة المهمة التي أسعى جاهدة لإدراكها واستيعاب بعض تفاصيلها الدقيقة، تكمن في فهم طبيعة التحولات العميقة التي مست مسار التدوين التاريخي "Historiographie" في مغرب ما بعد الموحدين، وعليه فإن الإشكالية الجوهرية التي يدور حولها موضوع النقاش، تتمثل أساسا في البحث عن المكانة التي حاز عليها التاريخ في الحقول المعرفية في بلاد المغرب في نهاية العصر الوسيط، وعنهما تنفرع إشكاليات أخرى عميقة يمكن صياغتها على النحو التالي:

فعلى ضوء معرفتنا المسبقة بطبيعة التحولات الجذرية التي شهدتها البنية السياسية والاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب في نهاية القرون الوسطى، ومروره بمرحلة صعبة بعد تهاوي الصرح الموحد في النصف الثاني من القرن 7 هـ / 13 م، فإلى أي مدى ساهمت هذه الوضعية الجديدة في تطور مضامين النصوص الاسطوغرافية المغربية؟ وهل استطاع إخباريو نهاية القرون الوسطى تجاوز حالة القلق والإرباك الذي خيم على عموم العالم الإسلامي الوسيط؟ أم أن الخطاب التاريخي عكس تلك الصورة القائمة التي طبعت المرحلة؟ وهل في وسعنا الآن مراقبة ذلك الخطاب التاريخي من خلال مجموعة من النصوص الإخبارية المحلية التي وصلتنا اليوم؟

تاريخيا استطاعت الجماعات الرعوية الزناتية (بنو مرين، وبنو عبد الواد) استغلال الأوضاع الغير مريحة التي كابدها البلاط الموحد على مستويات مختلفة، وقد كللت جهودهم في الوصول إلى هرم السلطة حتى مع غياب "شرعية الحكم"، فهل كان لتلك الخطوة الحاسمة دورا في تنشيط بعض أشكال التدوين التاريخي، خصوصا تلك المتعلقة بالبلاط؟ إلى أي مدى استطاع حكام البلاط في مغرب ما بعد الموحدين توجيه الخطاب التاريخي لصالح تاريخ السلالة الحاكمة؟ وهل كانت المحافظة على التزعة الموحدية بشكل لافت في الأعمال الإخبارية الموجهة لخدمة البلاط الحفصي أحد أشكال الولاء الروحي للموروث الموحد المنتهي؟ في مقابل ذلك نرغب انخفاض مستوى العناية بالتواريخ الجامعة، الذي لا يمكن تفسير تراجعها دون ربطه بتفكك وحدة العالم الإسلامي بعد سقوط نظام الخلافة العباسية.

بلا ريب، انحصار المد الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية "الأندلس" مع مطلع القرن 7

هـ/ 13 م، ونزوح مجموعة مهمة من إخباريي الأندلس إلى حواضر المغرب، كان نقطة فارقة في انتقال مركز ثقل الكتابة التاريخية إلى كبريات حواضره العلمية، وانتعاش عملية التدوين التاريخي في فاس المرينية، وتونس وبجاية الحفصية، وتلمسان الزيانية، فهل شكلت منطقة مراكش في مرحلتها المرينية حاضنة جيدة للاهتمام بالتواريخ المغايرة لخط التواريخ السلالاتية الفاسية، حيث نجد أعمال المؤرخ ابن عذاري المراكشي ومعاصروه، أذكر منهم على وجه الخصوص ابن عبد الملك المراكشي (ت 703 هـ/ 1303 م)، والنسابة ابن عبد الحليم الايلاني (ت 726 هـ/ 1325 م)<sup>(1)</sup>، وصاحب مفاخر البربر (حيا سنة: 712 هـ/ 1312 م)<sup>(2)</sup> ؟

بعيدا عن مجتمع البلاط، حيث انتعشت التواريخ الأسرية الموجهة لخدمة السلالات الحاكمة، سعت عديد النخب المالكية والصوفية إلى إعادة إحياء رموزها الدينية وحفظ ذاكرتها الجماعية من خلال تبني خطاب تاريخي يتناغم ومنطلقاها المذهبية، فهل كان الترويج لسيرة شيوخها البارزين في شكل تراجم فردية "بيوغرافيا" أو تراجم جماعية "طبقات"، خيارا تاريخيا ناجحا لهذه النخب الدينية التي تعاضم نفوذها في مغرب ما بعد الموحدين؟ وهل استطاعت النخب المالكية من خلال تبنيها لهذا الخط التراجمي، إعادة إحياء تقاليد كتب طبقات فقهاء الحضرة القيروانية الذي ازدهر في المرحلة الأغلبية؟ وإلى أي مدى نجح الخطاب المنقبي الصوفي في التموقع داخل الأوساط الدينية في مغرب ما بعد الموحدين؟ وهل تركيزها على تعداد الكرامات والخوارق والنبوءات قد أدخل بالقيمة التاريخية لهذه الأعمال المنقبية؟

بالموازاة مع هذه المناقشات العميقة، التي تبحث في الاتجاهات الأساسية للتدوين التاريخي في مغرب ما بعد الموحدين، يبقى أمامي إثارة النقاش حول الرصيد الضخم والمتنوع للمصنفات التاريخية المنجزة في طرفي العالم الإسلامي الوسيط، فرغم ذلك التصور الايجابي حول الغاية من تعاطي مواد تاريخية، التي أخذت شكل "العظة وأخذ العبرة من أخبار الماضي"، إلا أن موقع "التاريخ" بالنسبة لباقي أصناف المعرفة الوسيطة، ظلّ غامضا وباهتا في تصانيف العلوم

(1) - الأنساب، منشور ضمن ثلاث نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي، تحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1996 م.

(2) - تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقرق، الرباط، 2005 م، وهي الطبعة المعتمدة في هذه الدراسة، وقد نسب المحقق الكتاب في الطبعة الثانية لابن عبد الحليم الايلاني، دار أبي رقرق، الرباط، 2008 م.

الإسلامية، فهل هذا الارتباك يعود إلى طبيعة التركيبة المعرفية الإسلامية التي ظلت محكومة ولمدة ليست بالقصيرة بالعلوم الشرعية وتفرعاتها، في مقابل تهميشها بشكل جزئي أو كلي لباقي أصناف المعرفة بما فيها التاريخية؟ أم أن غياب مفهوم دقيق لماهية التاريخ في حد ذاته، واعتباره مجرد (أخبار، وقصص، وأسمار) في الفكر الإسلامي الوسيط، حال دون استيعاب نصوصه في التصنيفات الإسلامية؟ أم أن تبني هذه الأخيرة للتصنيف الأرسطي للعلوم، الذي يقصي المعرفة التاريخية، كان خلف ذلك الغياب؟ ما هي طبيعة الإضافات التي قدمتها النظرية المبتكرة التي طرحها ابن خلدون في كتابه "العمران" حول مفهوم التاريخ، ومكانته بين باقي أصناف المعرفة الإسلامية الوسيطة؟

من الغير الممكن تجاهل ارتباط بعض أنماط التدوين التاريخي بمدارسه شيوخ الحديث والفقهاء، الذين أبدوا حماسة كبيرة لموضوع "السيرة النبوية"، و"تراجم رجال السند"، وقد اعتبرت هذه المواد التاريخية، مواد ملحقة ومساعدة لفهم علم الحديث وفروعه، الأمر الذي ترك آثاره واضحة في حصول تلك المواد التاريخية على مكانة جيدة في حلقة شيوخ الحديث في بلاد المغرب نهاية العصر الوسيط، وبناء على ذلك يمكن طرح مجموعة من الأسئلة، أجملها على النحو التالي: إلى أي مدى استطاعت بعض المصنفات التاريخية، حجز مكانة مهمة بين باقي مواد التلقين في حلقة شيوخ المغرب في نهاية العصر الوسيط؟ وهل خضوع موضوع السيرة النبوية، وتراجم رجال السند للمؤثرات الدينية، قد فتح الطريق أمامها للتداول بشكل واسع في حلقة الشيوخ ضمن مواد الحديث؟ وهل تلك المؤثرات الدينية كانت خلف إقصاء بعض الأنماط التاريخية في الحلقة، بما فيها تواريخ الأمم الغير إسلامية؟ ما هي الطرق المعتمدة في تلقين المواد التاريخية ناهيك عن أماكن التلقين؟ ما هو الدور الذي لعبه شيوخ الأندلس من طبقة الإخباريين في تلقين مواد تاريخية في بلاد المغرب؟ وهل بالإمكان التعويل على كتب البرامج والفهارس المغربية المتأخرة في الكشف على عناوين المؤلفات التاريخية الأكثر رواجاً في الحلقة خلال القرنين 8-10 هـ / 14-16 م؟

بالانتقال إلى إشكالية ثانية دقيقة ومهمة، تتعلق بعملية إنتاج الكتاب التاريخي وإخراجه في شكله المخطوط الذي وصلنا الكثير منه اليوم، ففي البداية يجب أن نضع في الحسبان أن هذا التراث المادي المخطوط كان موجهاً لجمهور المهتمين بالخبر التاريخي في بلاد المغرب في نهاية

العصر الوسيط، وبالتأكيد لم تكن عملية نسخه موجهة فقط إلى نخبة المجتمع ممن كانوا يحسنون الكتابة والقراءة (السلطين والأمراء، الشيوخ والطلبة)، بل شمل فئات واسعة من المستمعين الذين كانوا يحضرون مجالس الإقراء، خصوصا تلك التي كانت تعقد في المساجد على الأقل، حيث يتم فيها تلقين مواد السيرة النبوية تحديدا، وبلا شك فقد ضمت هذه الأماكن المفتوحة، حضور عددا مهما ممن لا يعرفون القراءة والكتابة كذلك، فهل كان لانفتاح تلك الأماكن على مختلف الشرائح الاجتماعية دورا ايجابيا في الترويج للكتاب التاريخي؟ وهل ينسحب ذلك على الدور الذي من الممكن أن تلعبه تنوع طرق التلقين، التي كانت تقوم على (الإملاء، والسماع، والقراءة، والإجازة)؟ وهل ذلك يفسر لنا الارتفاع المحسوس في عدد نسخ مؤلفات السيرة النبوية التي وصلتنا اليوم؟

وفي هذا الاتجاه، هل لا يزال بوسعنا اليوم تتبع مدى استحابة جمهور المهتمين بالخبر التاريخي في بلاد المغرب الوسيط لبعض العناوين التاريخية بعد صدور أولى نسخها زمن المؤلف؟ هذا ناهيك عن مدى تلك المؤلفات التاريخية التي أعيد نسخها في نهاية العصر الوسيط؟ وهل من الممكن معرفة من تولى نسخ الكتاب التاريخي في بلاد المغرب؟ من قرأه؟ من تملكه؟ ما هي أماكن نسخه وحفظه؟ كيف يمكن استغلال بعض المعلومات الكوديكولوجية البالغة الأهمية (الإجازات، السماعات، الوقفيات، تواريخ النسخ)، التي وصلتنا مقيدة على بعض النسخ في معرفة تاريخ بعض النصوص الإخبارية؟ وهل من الممكن الاستعانة ببعض المصادر الإخبارية خصوصا كتب البرامج وفهارس الشيوخ للتوصل إلى نتائج مهمة حول طرق انتقال نسخه في بلاد المغرب نهاية العصر الوسيط؟ هذه الإشكالات المهمة، وغيرها سوف أحاول مناقشتها في فصول الرسالة.

### منهجية العمل:

تضم هذه الدراسة أربعة فصول رئيسية مقسمة إلى عدة مباحث، وكل فصل منها يعالج محورا قائما بذاته من حيث طبيعة الموضوع المعالج والمنهجية المستخدمة، إلا أنه يرتبط بالفصل الذي يليه في بنائه الفكري العام الذي يعالج مكانة التاريخ في بلاد المغرب في نهاية العصر الوسيط، الأمر الذي تطلب مني توظيف مقاربات منهجية دقيقة، يمكن التعويل عليها لمناقشة الكثير من هذه القضايا الحساسة.

وقد بدأت في تنفيذ هذا العمل على أربعة محاور رئيسية: الأول حاولت فيه تتبع مضمون الخطاب التاريخي المحلي في نهاية العصر الوسيط، وربطه بالظروف التاريخية التي ميزت القرنين 7-8 هـ/13-14 م، انطلاقاً من استخراج مجموعة من النصوص الانطباعية المبعثرة في العديد من المصادر الإخبارية المغربية المنجزة في نهاية المرحلة الوسيطة، مع تركيزي على تلك الأحداث التي شكلت منعطفاً حاسماً في تاريخ المغرب، ومراقبة مدى قدرتها على توجيه الخطاب التاريخي في تلك المرحلة الحساسة، ومن أجل إعطاء صورة واضحة حول طبيعة الوسط التاريخي وعلاقته بالبلاط، وإجراء مسح شامل لأهم المؤلفات الإخبارية المنجزة خلال القرنين 8-10 هـ/14-16 م، كان ضرورياً جمع الكثير من المعلومات المتعلقة بالأعمال الإخبارية، والبحث في هوية المصنفين الإخباريين المحليين، وإعادة ترتيبها في نوعين من الجداول، الأول يعنى بهوية المصنف ومراقبة العوامل الشخصية والخارجية المؤثرة في تكوينه التاريخي، من خلال التركيز على ثلاث عناصر (أصوله، المنصب الذي تولاه في البلاط، طبيعة الوسط العلمي الذي ينتمي إليه)، وقد استبعدت في كثير من الأحيان تلك المعلومات التي لا تخدم موضوع الدراسة بشكل مباشر، خصوصاً إذا توفرت دراسات قيمة تغطيها، على غرار تلك التفاصيل الكثيرة المتعلقة بالنشاط السياسي لابن مرزوق الخطيب (ت 781 هـ/ 1379 م)، والأخوين ابنا خلدون.

أما الجدول الثاني فخصصته لمحتوى مصنفاتهم الإخبارية المعنية بالدراسة، وذلك بالتركيز على ثلاث عناصر مهمة كذلك (القالب التاريخي الذي كتب فيه العمل، هوية المصادر المعول عليها بين المفقودة والمتوفرة، المنهج المتبع في ترتيب الأحداث)، هذا العمل الشاق الذي تطلب مني قراءة فاحصة لكافة النصوص الإخبارية المعنية بالدراسة، قد أتاح لي إمكانية تصنيفها بين الأعمال المفقودة منها والمتوفرة، إضافة إلى تحديد المراحل التاريخية التي دوت فيها، والظروف التاريخية المتحركة فيها، وقد اعتمدت في ترتيب مباحث هذا الفصل، على مراعاة الظرفية العامة التي حفزت على انتعاش تدوين التواريخ الأسرية وعلاقتها بالسلطة السياسية القائمة في مغرب ما بعد الموحدين، فعالجت بالتتابع تطور التدوين التاريخي المرتبط بالسلالة المرينية، والزيانية والحفصية، ومع ذلك فإن القارئ لهذا الفصل سوف يدرك ذلك التسلسل الزمني الذي التزمت به في ترتيب الأعمال السلالاتية، ويبدو أن هذه الطريقة في العمل قد ضمنت لي على الأقل الجمع بين تقديم عرض مفصل لأبرز التواريخ الأسرية ومصنفوها، مع إمكانية مراقبة العوامل

الأساسية المؤثرة في الخطاب التاريخي الموجه لخدمة السلالة الحاكمة في نهاية العصر الوسيط. وبالمنهجية نفسها اعتمدها في جمع معلومات الفصل الثاني، من خلال توزيعها على جدولين، واحد يهتم بالتكوين التاريخي للإخباري، والثاني يعنى بالظرفية التاريخية التي دون فيها العمل، لكن مع محافظتي في ترتيب مباحث هذا الفصل على التقسيم التقليدي لأنماط التدوين التاريخي المعروفة خلال المرحلة الوسيطة (التاريخ الجامع، التراجم والطبقات، كتب المناقب، تواريخ المدن)، وهي المسارات العامة التي استوعبت الخطوط العريضة للاسطوغرافية المغربية خلال القرنين 8-10هـ/14-16م، لتسهيل مراقبة تطورها والكشف عن الفاعلين الاجتماعيين خارج حاشية البلاط، سواء من طبقة الفقهاء والمحدثين، والزهاد والمتصوفة، ونخبة الأدباء والكتاب ممن أظهروا عنايتهم بالخير التاريخي، كما أوليت فيه أهمية كبيرة لتسلسل الزمني حتى يزداد الموضوع وضوحا.

أنبه هنا أنني في هذه المرحلة من البحث، قد استبعدت الخطاب التاريخي الذي تبنته الجماعات الاباضية، نظرا للخصوصية المذهبية والثقافية لهذه الجماعة الدينية، التي أعادت هيكلة نفسها وفق "نظام العزابة"، وانتقالها إلى مرحلة "إمامة الكتمان" بعد سقوط الإمامة بتيهرت الرستمية سنة 296 هـ/ 909 م، وقد لجأت هذه الأخيرة إلى التحصن بجل نفوسة، وجزيرة جربة، ووحدات الجريد التونسي وبلاد ريغ، ومنطقة ورجلان بالمغرب الأوسط، مستغلة بذلك الطريق التجاري الذي يربطها بالمدن السودانية، أين سعت هذه الجماعة إلى تدوين سيرة شيوخها البارزين فيما يعرف بـ "سير الاباضية"<sup>(1)</sup>، ويعتبر فيها كتاب "الجواهر المنتقاة في إتمام ما أحل به كتاب الطبقات" لأبي القاسم البرادي (ق 8 هـ/ 14 م)<sup>(2)</sup>، و"سير" الشماخي (ت 928 هـ/ 1521 م)<sup>(3)</sup>، إحدى الحلقات الأخيرة التي اعتنت بترجمة أعلام الاباضية في نهاية المرحلة الوسيطة، هذه الخصوصية التاريخية التي تمتعت بها مؤلفات "سير الاباضية" في المغرب

(1) - يحسن بي هنا أن أشير إلى أقدم المحاولات التي وصلتنا اليوم المتعلقة بتدوين تاريخ الإسلام في بلاد المغرب، المنجزة خلال القرن 3 هـ/ 9 م، والمنسوبة لأحد الشخصيات المحلية الاباضية المنحدرين من "مزاتة" البربرية القاطنين بمنطقة "توزر"، وهو كتاب "السيرة" للوآب بن سلام بن عمرو التوزري المزاتي (ت بعد: 273 هـ/ 886 م)، ونشر الكتاب تحت عنوان: كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين، تحقيق فيرنر شفارتس والشيخ سالم بن يعقوب، نشره فرانز شتاينر، 1986 م.

(2) - نشر الكتاب على نفقة محمد بن يوسف البارون وشريكه سليمان بن مسعود المجدي، طرابلس، قسنطينة، 1884 م.

(3) - تحقيق محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009 م، 2 مج.



الوسيط، لا يمكن دراستها بمنأى عن تلك التطورات التي مست الهرم الهيكلي للاباضية منذ تأسيس الإمارة الرستمية بتيهت سنة 160 هـ / 707 م<sup>(1)</sup>، وهي بذلك تحتاج إلى دراسة مستقلة تحيط بطبيعة التدوين التاريخي الاباضي.

وبخصوص الفصل الثالث، فقد فرضت عليّ طبيعة موضوع النقاش الذي يبحث في مكانة التاريخ في تصانيف العلوم الإسلامية ومجالس الإقراء، منهجية مغايرة للفصلين الأول والثاني، ففي البداية كان لزاماً عليّ استيعاب التركيبة المعرفية للحضارة الإسلامية منذ مراحلها الأولى، ومراقبة ثنائية "العلوم النقلية والعقلية" المعتمدة في تصانيف العلوم الإسلامية وصولاً إلى تصنيف ابن خلدون، الذي صنع الفارق في هذا الشأن، ولم يكن ذلك ممكناً لولا استخدامي لتلك المخططات التوضيحية التي وضعتها بعد القراءة المكثفة للرسائل المصنفة في هذا الباب، ومن ثمة ملاحظة مكانة المعرفة التاريخية في كل صنف، مع ربط ذلك كله بالخلفيات الفكرية لكل تصنيف إسلامي مدروس.

وبخصوص إشكالية مكانة المواد التاريخية في الحلقة، فيبدو الأمر أكثر صعوبة، وأخذ مني كذلك وقتاً طويلاً، فمنهجيتي لا تتوقف عند حدود القراءة الفاحصة لعدد كبير من الأعمال الفهرسية المغربية المتأخرة، واستخراج عناوين المؤلفات التاريخية المدروسة في الحلقة، بل إعادة توزيعها على نوعين من الجداول على الأقل، أحدها أراقب من خلاله طبيعة الكتاب المدروس في الحلقة بالتركيز على أربعة عناصر مهمة (عنوان الكتاب المدروس وهوية مصنفه، النمط

(1) - أشير هنا إلى بعض الدراسات المرجعية التي اعتنت بتاريخ الجماعات الاباضية في شمال افريقية منها الدراسة الجامعة التي أنجزها: إبراهيم بكير بحاز: الدولة الرستمية (160- 296 هـ / 777- 909 م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، منشورات ألفا، الجزائر، 2010 م. وسلسلة الأعمال المهمة التي أنجزها المستشرق البولندي المهتم بالتاريخ الاباضي تاديبوس لفتسكي (Tadeusz Lewicki)، أشير فقط إلى:

- « Les historiens, biographes et traditionnistes ibadites- wahbites de l'Afrique du Nord du VIII<sup>e</sup> au XVI<sup>e</sup> siècle », *Folia orientalia* 3 (1961), pp. 1-135.

- المؤرخون الاباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة ماهر جرار وربما جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000 م. وهو ترجمة لمقاله الموسوم بـ

- « La réparation géographique des groupements ibadites dans l'Afrique du Nord au Moyen Âge », *Rocznik Orientalistyczny*, 21 (1957), pp. 301-343.

- « Les sources ibādites de l'histoire médiévale de l'Afrique du Nord », *Africana Bulletin*, 35, 1988, pp. 31-41.

كذلك مقال علاوة عمارة بعنوان:

- « La structuration des ibadites -wahbites au Maghreb (XIe-XVe siècle), *Annales islamologiques*, 42, (2008), pp. 259-273.

التاريخي للكتاب، الفترة الزمنية التي ينتمي إليها)، والجدول الثاني يعنى بالأشخاص من ناحية (هوية الشيخ المدرس، هوية التلميذ، مكان وزمن القراءة، طريقة التحمل)، ويبدو أنها الطريقة الجيدة على الأقل بالنسبة لي في هذه المرحلة، وقد سمحت لي بتحليل وتفكيك محتوى الكثير من كتب البرامج وفهارس الشيوخ المغربية، وإجراء عملية إحصاء واسعة لمجموعة كبيرة من المؤلفات التاريخية المتداولة في الحلقة في بلاد المغرب في نهاية المرحلة الوسيطة.

ناهيك عن الكشف عن أبرز أماكن الإقراء، وتدعيم هذه المعلومات الفهرسية المتحصل عليها بجداول إحصائية مختلفة ودوائر نسبية، بالإضافة إلى إنجاز مجموعة من أشجار أسانيد رواية المؤلفات التاريخية المتداولة في حلقة شيوخ المغرب في نهاية المرحلة الوسيطة، وهي عملية تطلبت مني العودة إلى التلامذة المباشرين للمصنف في مراحل سابقة عن زمن الدراسة، وفي هذه الحالة بات الاختيار أمرا ضروريا، لتحديد بعض العناوين فقط، وقد حاولت ما استطعت أن أجعل اختياري صائبا بين مؤلفات مشرقية وأندلسية ومغربية.

وبخصوص منهجيتي في الفصل الرابع، الذي يتناول البحث عن هوية الأشخاص الذين تناولوا المخطوط التاريخي وقرؤوه، وتملكوه، ووضعوا له حواشي، أو علقوا عليه، وعن الطرق التي انتقل بها وملابسات انتقاله من مكان لآخر إلى أن استقر به المطاف في خزانة معينة (خزانة سلطانية-خزانة الجامع-خزانة إحدى المدارس-خزانة خاصة)، فإن المنهجية التي اعتمدها تجمع بين الرواية التاريخية من جهة، والمعلومات الكوديكولوجية من جهة ثانية، وللوصول إلى نتائج مهمة في هذا الخصوص، بات ضروريا تقسيم عملي إلى مستويين، الأول على مستوى الرواية التاريخية، فقد حاولت جهدي الحصول على أكبر عدد ممكن من المعلومات حول هوية النسخ التاريخية التي كانت متداولة في حلقة شيوخ المغرب في نهاية العصر الوسيط، سواء تلك التي كانت بأيدي طلبة الحلقة أو تحت نظر الشيوخ، وهي المعلومات المهمة التي تتبعها في كتب فهارس وبرامج شيوخ المغرب المتأخرة، إضافة إلى بعض كتب التراجم والطبقات، ومصادر أخرى متنوعة.

أما المستوى الثاني، فيعنى بجمع المعلومات الكوديكولوجية، التي سعت للحصول عليها مقيدة على بعض نسخ الكتب التاريخية التي وصلتنا اليوم، منها تلك التي تعود إلى منتسخات المرحلة الوسيطة المتأخرة أو حتى تلك النسخ الحديثة المنبثقة عن نسخ ثانية تعود إلى المراحل

الوسيط، وأنجزتها على عدة مراحل، في المرحلة الأولى أجريت عملية مسح واسعة ودقيقة لفهارس المخطوطات العربية الموضوعية لخزائن المكتبات الوطنية العربية منها والأجنبية وهي كثيرة جداً، ولا يسع المجال لحصرها في هذه المرحلة، على أنه بالإمكان تقصي أثرها في هوامش الرسالة، وهي الطريقة المنهجية التي يمكن من خلالها تحديد هوية أهم النسخ التاريخية التي يمكن توظيفها في الدراسة، لتبدأ بعدها عملية البحث الميداني عن المخطوط التاريخية المحفوظ في خزائن المكتبات العربية والأجنبية، وبعد الحصول عليه ومعاينته، وقراءته قراءة جيدة حيث يكون تركيزي منصبا بشكل أساسي على ورقة العنوان لما تتضمنه من نصوص إجازة، وقفيات، تملكات، سماعات، المطالعة... الخ، والورقة الأخيرة التي تحوي على توقيع الناسخ الذي قد يصرح لنا عن هويته، وفي بعض الأحيان عن تاريخ ومكان النسخ، وربما النسخة المعول عليها في النسخ، كذلك التدقيق في الحواشي والتعليق المقيدة على حواشي النسخة المعنية بالدراسة، والاستفادة منها أيضاً، وكل "مخرجات النص المخطوط"، وبعد الحصول على معلومات كوديكولوجية جيدة، أنتقل إلى مرحلة الثالثة، وهي إجراء عملية المقارنة بينها وبين نظيرتها المتحصل عليها من النصوص الإخبارية السابقة، والتدقيق فيها للخروج ببعض النتائج المهمة حيال الطريقة التي انتقل بها المخطوط التاريخي، ومراحل تطوره وهو ما يطلق عليه بـ "تاريخ النصوص".

وبالتأكيد هذه "المقاربة التاريخية الكوديكولوجية"، التي تبحث في طرق انتشار وانتقال بعض النسخ التاريخية في نهاية المرحلة الوسيطة، استدعت مني في كثير من الأحيان العودة إلى بدايات صدور أولى نسخ الكتاب التاريخي، أي إلى زمن صدور "مبيضة المؤلف"، وهي في معظمها تعود إلى القرنين 6-7 هـ / 12-13 م، باعتبارها أكثر المنتسخات التي استطاعت الوصول إلى القرن 8-10 هـ / 14-16 م، ولتوضيح هذه المسائل المهمة المتعلقة بعملية نسخ وانتشار الكتاب التاريخي، زودت هذا الفصل بنماذج مهمة، مصورة عن بعض ورقات النسخ المعنية بالدراسة، منها ورقات من مخطوطات "الشفاء" للقاضي عياض (ت 544 هـ / 1149 م)، وبعض الطرر المقيدة على مخطوطتي "التكملة" لابن الأبار البلنسي (ت 658 هـ / 1259 م)، و"الذيل والتكملة" لابن عبد الملك المراكشي (ت 703 هـ / 1303 م)، كذلك أنجزت مخططات وجداول توضيحية، وخرائط مهمة، وملاحق مكتملة.

وحتى أكون صريحة أكثر في هذا الجانب، فإن القارئ سوف يلمس الحضور البارز للمخطوطات التاريخية المحفوظة بالمكتبة الوطنية بمدينة الرباط المغربية، والخزانة الحسنية بذات المدينة، والمكتبة الوطنية بباريس الفرنسية، ومخطوطات دار الكتب المصرية، في مقابل الحضور المحتشم لنظيرتها الجزائرية والتونسية ومكتبة دير الاسكوريال القريبة من مدريد باسبانيا، يأتي هذا النقص الخارج عن نطاقني، رغم محاولتي الاستفادة من نفائس مخطوطاتهم في أثناء الزيارة التي قادتني إلى هذه المكتبات في مرحلة الجمع، أما المخطوطات التاريخية النفيسة المحفوظة بخزانة القرويين بفاس، وخزانة علي بن يوسف بن تاشفين بمدينة مراكش المغربية، فبسبب أشغال الترميم التي كانت تجرى في أثناء زيارتي المتكررة لها، قد حال دون معاينتي لبعض نسخها، لذلك عوّلت على تلك المعلومات القيمة التي قيدها مفهرسو الخزانين في فهارس المكتبتين المطبوعة، وقد أشرت إلى ذلك في هوامش الفصل، ومع ذلك تبقى عملية البحث مفتوحة في هذا الفصل للكشف عن المزيد من النسخ التاريخية النفيسة التي تنتمي إلى منتسحات القرنين 8-10 هـ/ 14-16 م، خصوصا إذا تهيأت الظروف للقيام بذلك.

### قراءة في المادة الخبرية:

الحقيقة أن هذا العمل، أردت به أن يكون أكثر من مجرد عرض لأبرز الأعمال الإخبارية التي أنتجها إخباريو المغرب في نهاية العصر الوسيط خلال القرنين 8-10 هـ/ 14-16 م، بل البحث عميقا في المكانة التي حاز عليها التاريخ في الحقول المعرفية على ثلاث مستويات، بداية من حجم التدوين التاريخي، إلى مكانته في تصانيف العلوم الإسلامية، وداخل الحلقة بين مواد التلقين، وصولا إلى مستوى تداول نسخه بين جمهور المهتمين به، الأمر الذي تطلب مني توظيف مصادر متنوعة، تباينت أهميتها على حسب طبيعة الإشكالية المطروحة للنقاش، يأتي في مقدمتها كتاب "العبر" <sup>(1)</sup> لابن خلدون، الذي عولت عليه كثيرا في الفصول الأربعة للبحث، فبالإضافة إلى كونه أحد أبرز الأعمال الإخبارية المعنية بالدراسة، فقد استنجدت به كذلك في الكشف عن أعمال النسابة البربر الضائعة، والتي استفاد منها في تحرير المقاطع الخاصة بأصولهم، ناهيك عن تغطيته الاسطوغرافية الجيدة للأوضاع السائدة في مغرب ما بعد الموحدون خلال

(1) - العبر وديوان المتبدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000 م.

القرن 8 هـ / 14 م، التي نعثر عليها في الجزء السادس والسابع، أما سيرته ذاتية الموسومة بـ جزء "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا"<sup>(1)</sup>، فقد اعتمدها في تتبع مساره التعليمي في مرحلة النشأة، وأسماء شيوخه ومعاصريه من المهتمين بالخبر التاريخي خصوصا، وتقلبه في بلاطات السلاطين، كذلك الاستناد إلى شهادته المهمة حيال تطور مشروعه التاريخي "العبر"، الذي بدأه في "قلعة بني سلامة" بالمغرب الأوسط، وبعدها إلى الحاضرة الحفصية تونس، وصولا إلى حاضرة المماليك القاهرة.

كذلك كتاب "البيان المغرب" لابن عذاري المراكشي، الذي يمثل أعلى مستويات نضج الوعي التاريخي المحلي في نهاية القرن 7 هـ / 13 م، ومطلع القرن 8 هـ / 14 م، كما يبقى أحد أهم المصادر التي عولت عليها في مراقبة حالة الاضطراب الذي هز الدولة الموحدية في مرحلتها الأخيرة، والكشف على عدد مهم من الأعمال الإخبارية الضائعة، التي كانت بعض نسخها متداولة مطلع القرن 8 هـ / 14 م.

**1- المصادر الإخبارية السلالاتية ذات الطابع التاريخي المحض:** وتشكل هذه المصنفات الأساس الذي بنيت عليه الفصل الأول، فمن خلالها حاولت مراقبة طبيعة الخطاب التاريخي الموجه والظروف المتحكمة فيه، ناهيك عن أهم الأعمال الإخبارية الضائعة منها والمتوفرة، والمنجزة خلال القرن 8-10 هـ / 14-16 م، وسأكتفي بالإشارة إلى بعضها فقط، سواء تلك المخصصة للأسرة المرينية، على غرار أعمال ابن أبي زرع الفاسي (حيا سنة: 726 هـ / 1325م)<sup>(2)</sup>، والجزنائي (حيا سنة: 766 هـ / 1364 م)<sup>(3)</sup>، وإسماعيل ابن الأحمر (ت 807 هـ / 1404م)<sup>(4)</sup>، أما كتاب "المسند الصحيح" لابن مرزوق الخطيب التلمساني (ت 781 هـ / 1379 م)<sup>(5)</sup>، فيعتبر أحد أهم الأعمال الموجهة لخدمة البلاط المريني خلال القرن 8 هـ / 14 م، وقد كتبه مصنفه في سيرة مخدومه السلطان أبي الحسن، في قالب منقبي بامتياز، كما كان لهذا

(1) - تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004 م.

(2) - الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1999 م. والذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972 م.

(3) - جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991 م.

(4) - روضة السريرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط3، المطبعة الملكية، الرباط، 2003 م.

(5) - تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1981 م.

الكتاب الأثر الكبير في معرفة الظروف التاريخية العامة المحيطة بالبلاط المريني منتصف القرن 8 هـ/ 14 م، ناهيك عن استخراج عناوين النسخ التاريخية التي كانت في حيازة المصنف ابن مرزوق، على غرار نسخة "الفنون الستة في أخبار سبتة" للقاضي عياض المفقودة اليوم، ونسخة "الذيل والتكملة" لابن عبد الملك المراكشي، التي وصلتنا بعض أجزاءها المهمة، وقد استعنت بها في المبحث الأخير من هذه الرسالة، كذلك كتابه "المناقب المرزوقية"<sup>(1)</sup> الذي قدم لي معلومات مهمة حول سيرته وسيرة سلفه خصوصا ما تعلق منها بعلاقتهم بالبلاط ونخبة علماء ومنتصوفة مدينة تلمسان.

وبالمثل استعنت بالأعمال الموجهة لخدمة البلاط الزياني، في معرفة طبيعة الخطاب التاريخي في تلمسان، وأبرز المهتمين بالخبر التاريخي، وأعمالهم الإخبارية المفقودة منها والمتوفرة، وفي مقدمتها كتاب "بغية الرواد" ليحيى بن خلدون (ت 780 هـ/ 1387 م)<sup>(2)</sup>، و"زهر البستان" لمؤلف مجهول (حيا سنة 761 هـ/ 1361 م)<sup>(3)</sup>، و"نظم الدرّ والعقيان" للحافظ التنسي (ت 899 هـ/ 1493 م)<sup>(4)</sup>، كذلك مصادر التاريخ الحفصي، على غرار أعمال ابن قنفذ القسنطيني (ت 810 هـ/ 1407 م)<sup>(5)</sup>، وابن الشّماع (ت 873 هـ/ 1429 م)<sup>(6)</sup>، والزرّكشي (حيا سنة: 894 هـ/ 1488 م)<sup>(7)</sup>.

## 2- كتب التراجم والطبقات: اكتسى هذا النوع من المصادر أهمية خاصة في التعريف بالكثير

- (1) - تحقيق سلوى الزاهي، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2008 م.
- (2) - بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزء الأول تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1980 م. والجزء الثاني تحقيق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة، الجزائر، 2011 م.
- (3) - زهر البستان في دولة بني زيان، تحقيق عبد الحميد حاجيات، دار المعرفة، الجزائر، 2011 م.
- (4) - تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، (مقتطف من نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيان)، تحقيق محمود بوعباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1985 م. تاريخ دولة الأدارسة، (مقتطف من كتاب نظم الدرّ والعقيان)، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م.
- (5) - الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968 م.
- (6) - الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1984 م.
- (7) - تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966 م.

من أعلام المغرب خصوصا من المهتمين بالخبر التاريخي خلال القرنين 8-10 هـ / 14-16 م، ومعرفة مدى نضج الوعي التاريخي لديهم، من خلال الكشف عن هوية شيوخهم، وتلامذتهم، وأعمالهم الإخبارية المفقودة والمتوفرة، وفي مقدمتها كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" لابن الخطيب السلماي (ت 776 هـ / 1374 م)<sup>(1)</sup>، الذي استفدت منه في معرفة بعض التفاصيل المهمة، حيال عدد من الأعلام المعاصرين له ممن كانت لهم عناية بالخبر التاريخي، أشير فقط إلى أهمية الترجمة التي خصصها لصديقيه ابن مرزوق الخطيب، وابن خلدون، إضافة إلى تلك المعلومات التي قدمها حول بعض التواريخ البلدانية المغربية، حيث صرح بعملين مفقودين في تاريخ مدينة تلمسان، واحد لابن الأصغر والثاني لابن هدية القرشي.

كذلك كتاب "نيل الابتهاج" لأحمد بابا التنبكي (ت 1036 هـ / 1626 م)<sup>(2)</sup>، والذي يعدّ موسوعة في تراجم أعلام المالكية، وقد كان له الأثر الكبير في الكشف عن هوية بعض فقهاء المغرب ممن أظهروا عنايتهم بالخبر التاريخي في نهاية المرحلة الوسيطة، كذلك موسوعة "نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب" للمقري التلمساني (ت 1041 هـ / 1631 م)<sup>(3)</sup>، الذي أمدني بمعلومات مستفيضة حول الكثير من الشيوخ الأندلسيين الوافدين إلى بلاد المغرب ونشاطهم التعليمي.

هذا وتكتسي كتب التراجم والطبقات المشرقية إضافة مهمة للبحث، خصوصا مصنفات ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ / 1448 م) منها "الدرر الكامنة"<sup>(4)</sup>، وتلميذاه شمس الدين السخاوي (ت 902 هـ / 1496 م) في كتابه "الضوء اللامع"<sup>(5)</sup>، و"الإعلان بالتوبيخ"<sup>(6)</sup>، وتقي الدين المقرئ (ت 845 هـ / 1441 م) تلميذ ابن خلدون في كتابه "درر العقود"<sup>(7)</sup>،

(1) - تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975 م.

(2) - نيل الابتهاج بتطريز الديباج، مراجعة عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989،

(3) - تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988 م.

(4) - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، 1993 م.

(5) - الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، 1992 م.

(6) - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق فرانز روزنتال، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986 م.

(7) - درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002 م.

و"السلوك إلى معرفة دول الملوك" <sup>(1)</sup>، وعولت عليها فيما تعلق بطبيعة النشاط العلمي لعدد من أعلام المغرب بعد انتقالهم إلى الحواضر الشرقية، على غرار ترجمة أبي الروح عيسى المنجلاتي الزواوي (ت 743 هـ / 1342 م)، وابن خلدون، وابن مزني (ت 823 هـ / 1420 م).

**3- كتب مناقب الصوفية:** اعتمدها في الكشف على أبرز الأعمال التي أصدرتها هذه الجماعات الدينية في نهاية المرحلة الوسيطة، وطبيعة الخطاب المنقي، وأكتفي بالإشارة فقط إلى كتاب عبد الحق الباديسي (حيا سنة 722 هـ / 1322 م) الموسوم بـ "المقصد الشريف" <sup>(2)</sup>، ورحلة ابن قنفذ القسطيني المعنونة بـ "أنس الفقير وعز الحقير" <sup>(3)</sup>، الذي استندت إلى شهادته المهمة حيال أهم تجمعات صوفية المغرب الأقصى وطوائفهم المختلفة، وكتاب "المواهب القدوسية في المناقب السنوسية" لأبي عبد الله محمد الملاي (ت 897 هـ / 1491 م) <sup>(4)</sup>.

**4- كتب الفهارس وبرامج شيوخ المغرب:** هذا الصنف من المصادر التراجمية، هي الأعمال المعول عليها بشكل واسع في الفصلين الثالث والرابع، في مراقبة عملية تلقين المواد التاريخية وطرق تداولها في الحلقة، وانتشار نسخها في حواضر المغرب في نهاية العصر الوسيط، كذلك في إنجاز بعض أشجار أسانيد الكتب التاريخية، على غرار شجرة أسانيد رواية "سيرة" ابن إسحاق (ت 151 هـ / 768 م)، تهذيب ابن هشام (ت 218 هـ / 833 م)، التي ضمت نحو 54 من رواة "السيرة" من أصول مشرقية، أندلسية، ومغربية، وهنا أشير فقط إلى البعض منها، في مقدمتها "برنامج" أبي القاسم التجيبي (ت 730 هـ / 1329 م) <sup>(5)</sup>، الذي كتبه مطلع القرن 8 هـ / 14 م، ويعتبر من أكثر كتب البرامج المغربية، التي تضمنت عددا كبيرا من عناوين المصنفات التاريخية التي المتداولة في الحواضر المغربية (سبته، بجاية، تونس)، ومن خلاله أمكنني الكشف عن هوية مجموعة من شيوخه ممن قاموا بتلقين مواد تاريخية في الحلقة، منهم شيخه مستوطن مدينة بجاية، أبو عبد الله بن صالح الكناني (حيا سنة 699 هـ / 1299 م)، ناهيك عن طرق وأماكن تلقين هذه المواد، كما استندت إليه في وضع قوائم اسمية للمصنفات التاريخية

(1) - السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997 م.

(2) - المقصد الشريف والمترع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، 1982 م.

(3) - تحقيق أبي سهل بنجاح عوض، دار المقطم، القاهرة، 2001 م.

(4) - تحقيق علال بوريق، دار كردادة، الجزائر، 2011 م.

(5) - تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1981 م.



المدروسة في الحلقة، أما كتاب التونسي ابن الطواح (حيا سنة 718 هـ / 1318 م) المسوم بـ "سبك المقال لفك العقال" <sup>(1)</sup> فتكتسي بعض تراجم شيوخه أهمية خاصة، من خلال تقديمه لمعلومات مهمة حيال أعمالهم الإخبارية، على غرار إشارته للكتاب الضائع "الحلي التيجانية والحلل التيجانية" للفقير الكاتب أبي الفضل التيجاني (ت 718 هـ / 1314 م)، كذلك برنامج الوادي آشي (ت 749 هـ / 1348 م) <sup>(2)</sup>، وفهرستي السراج الفاسي (ت 803 هـ / 1400 م) <sup>(3)</sup>، وتلميذه المنتوري (ت 834 هـ / 1430 م) <sup>(4)</sup>، وابن غازي المكناسي (ت 919 هـ / 1513 م) <sup>(5)</sup>، وغيرها من الأعمال الفهرسية التي يصعب حصرها.

**5- رسائل في تصانيف العلوم الإسلامية:** هذا الصنف من الرسائل، أتاح لي إمكانية مراقبة المكانة التي احتلها التاريخ في تصانيف العلوم الإسلامية خلال المرحلة الوسيطة، ومحاولة تفكيك إشكالية التعارض القائم بين حجم الأعمال المدونة ضمن خانة التاريخ، وتعدد أنماط تدوينه، في مقابل غيابه الكلي أو حضوره المحتشم كملحق لعلوم الحديث في التصانيف الإسلامية، وقد استندت في مناقشتي هذه إلى عدة رسائل، أشير فقط إلى رسالة الفرابي (ت 339 هـ / 950 م) <sup>(6)</sup>، وجماعة إخوان الصفا (ق 4 هـ / 10 م) <sup>(7)</sup>، وتصنيف الوراق البغدادي ابن النديم (ت 380 هـ / 990 م)، الذي يعتبر أحد أهم الشخصيات العلمية البغدادية، التي كانت على احتكاك مباشر بسوق الكتب "الوراقين"، وقد ضمن له ذلك إحاطته الواسعة بمختلف المصنفات العلمية المتداولة خلال عصره، وترجم ذلك في كتابه "الفهرست" <sup>(8)</sup>، وهو العمل الذي احتلت فيه كتب الأخبار المقالة الثالثة من مجموع مقالات الكتاب، كذلك "رسالة في مراتب العلوم" <sup>(9)</sup>

(1) - تحقيق محمد مسعود جبران، ط2، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 2008 م.

(2) - تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1980 م.

(3) - تحقيق نعيمة بنين، دار الحديث الكتانية، طنجة، 2013 م.

(4) - تحقيق محمد بنشريفية، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، 2011 م.

(5) - تحقيق محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، 1984 م.

(6) - إحصاء العلوم، مركز الإهداء القومي، بيروت، 1991 م.

(7) - رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، تحقيق بطرس البستاني، مكتب الإعلام الإسلامي، إيران، 1985 م.

(8) - تحقيق أيمن فؤاد سيّد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2009 م.

(9) - منشورة ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983 م.

لابن حزم القرطبي (ت 456 هـ / 1063 م)، على أن ما كتبه ابن خلدون في كتابه الأول في العمران البشري "المقدمة"، يعدّ نظرية ثورية مبتكرة حول مفهوم التاريخ، وتصنيفه كعلم مستقل بذاته، وقد استعنت به في هذا الخصوص.

6- النصوص المخطوطة: وكان الرجوع إليها في الفصل الأخير المخصص لإشكالية انتقال بعض نسخ المؤلفات التاريخية في نهاية العصر الوسيط، حيث تعتبر نسخ كتاب "الشفاء" للقاضي عياض البالغ عددها خمسة نسخ، أحد أهم المصادر المخطوطة التي اعتمدها في مراقبة كيفية انتقال هذا الكتاب المغربي، خصوصا تلك النسخ التي وصلتنا برواية أبي زكريا السراج صاحب الفهرسة المذكورة آنفا، وقد سمحت لي هذه الوضعية، مراقبة سلاسل أسانيد السراج المقيدة على بعض نسخ "الشفاء"، ومقارنتها بتلك التي أثبتتها له تلميذه المنتوري قي فهرسته، وملاحظة ذلك التطابق بين المعلومات الفهرسية من جهة، والكوديكولوجية من جهة ثانية، كذلك مخطوطتان من كتاب "التكملة" لابن الأبار البنسي (ت 658 هـ / 1259 م)، وبتوظيفي للمعلومات الواردة في "برنامج" التجيبي، ومصادر إخبارية مختلفة، حاولت تتبع طريق انتشار هذا العمل التراجمي المهم، منذ صدور أولى نسخته منتصف القرن 7 هـ / 13 م، كذلك نسخة "الذيل والتكملة" لابن عبد الملك المراكشي المنوه بها سابقا، والتي شكلت مع نصها المطبوع إضافة إلى "برنامج" التجيبي، و"المسند الصحيح" لابن مرزوق، أحد أبرز النصوص المخطوطة التي عولت عليها في مراقبة انتقال نسخة "الذيل والتكملة" خلال القرن 8 هـ / 14 م، هذا وتعدّ مخطوطة "بغية الرواد" ليحي بن خلدون المحفوظة بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس تحت رقم (Arabe 5752)، أحد المخطوطات التي قيدت عليها طرة في غاية الأهمية، تضمنت تفاصيل دقيقة حيال الزلزلة التي ضربت مدينة الجزائر سنة 766 هـ / 1365 م، وقد استند فيها الناسخ على نص رحلة، قيدها أحد طلبة برشك، الذي دخل مدينة الجزائر، وصادف وجوده بها وقوع هذه الزلزلة، كذلك نسخة من كتاب "المقصد الشريف والمترع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف" لعبد الحق الباديسي (حيا سنة 722 هـ / 1322 م)، وقد قيد عليها نص سماع تلميذه ابن عبد المهيمن الحضرمي وأبو عمرو يحي العزفي.

وبالمحمل فإن هذا العمل، احتاج إلى أدوات بحث مختلفة ومقاربات منهجية صلبة، يمكن التعويل عليها لمناقشة الكثير من القضايا الحساسة المطروحة للنقاش، وبلا شك أن الصعوبات

الكثيرة التي اعترضني في مرحلتي الجمع والتحرير، منها تشتت المادة الخيرية على مساحة واسعة من المصادر الإخبارية وكتب المناقب وغيرها، الأمر الذي تطلب مجهود مضاعف لتنسيقها وتنظيمها، إلا أن الأكثر صعوبة، يكمن في إمكانية العثور على نسخ نفيسة لبعض الكتب التاريخية، التي وصلتنا اليوم وعليها نصوص الإجازة، والمقابلة، والتملكات، وتواقع النسخ، وتوظيفها كعينات مهمة في الدراسة، وتزداد الأمور صعوبة في هذه المرحلة، إذا تعلق الأمر بنسخة رديئة أو خطها غير واضح، خصوصا ونحن نتحدث عن الاستفادة من الحواشي والطرر، وكذا الورقات الأولى والأخيرة للمخطوط، وهي الأوراق الأكثر عرضة للتلف والتمزق، هذا ومن المتوقع أن توفر لي الإحاطة الواسعة بحيثيات نسخ الكتاب التاريخي في مغرب ما بعد الموحدين، معلومات ضافية حول طرق انتشاره بين جمهور المهتمين بالخبر التاريخي.

جامعة الأمير  
علاء الدين  
العلوم الإسلامية

الفصل الأول:  
الوسط التاريخي والبلاط  
"الظروف المحيطة والنتائج المترتبة"

## المبحث الأول:

أحداث القرنين السابع والثامن هجري وتداعياتهما على مضامين الاسطوغرافية المحلية:

ليس هناك خلاف بين المتبعين للمسار التاريخي الذي طبع بوجه عام الصيرورة التاريخية للممالك الإسلامية، وحتى المسيحية القائمة على ضفتي المتوسط خلال القرنين 7-8 هـ/13-14 م، الحجم المهول من الأحداث العصبية والمتلاحقة التي كان لها الأثر الكبير في تغيير الخارطة السياسية، والاقتصادية، وحتى التركيبية الاجتماعية في نهاية العصر الوسيط، دفع هذا إلى استفحال الصراع الكلاسيكي بين العالم الإسلامي ونظيره المسيحي، كما تعدى ذلك إلى بروز أمم أخرى قادمة من الشرق، أعني بهم أساساً "المغول" <sup>(1)</sup> و"الأتراك العثمانيين" <sup>(2)</sup>، هذا ناهيك عن الصراعات الداخلية التي خاضتها الممالك والسلطنات الإسلامية فيما بينها، وهي بلا شك تعكس بشكل واضح وإلى حد كبير، حالة التفكك وغياب قوة سياسية مهيمنة في منطقة البحر المتوسط <sup>(3)</sup> يمكنها فرض سيطرتها، سوف تفسح هذه الأحداث المرتبكة المجال واسعا لظهور قوى جديدة وسقوط أخرى.

(1) - حول بدايات المغول ونشأتهم. أنظر:

- Morgan David, *The Mongols*, Blackwell Publishing, Boston, 1990.

- J.J. Saunders, *The History of the Mongol Conquests*, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 2001.

إقبال عباس: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2000 م.

(2) - حول بدايات العثمانيين ونشأتهم. أنظر: اينالجيك خليل: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرنؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص 13-56. أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي: تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص 27-164. سيد محمد السيد محمود: تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار وفق المصادر العثمانية المعاصرة والمصادر التركية الحديثة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007، ص 57-179.

(3) - تعتبر أطروحة رائد مدرسة الحوليات الفرنسية خلال القرن العشرين، فرناند برودال حول "البحر الأبيض المتوسط في عهد فيليب الثاني"، التي أنجزها تحت إشراف مؤسس الحوليات الفرنسية لوسيان فيفر، ونوقشت سنة 1947 م، من أهم الدراسات التاريخية التي عنيت بتاريخ المتوسط، والبنيات الأساسية للحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والتقنية، والديموغرافية والبيولوجية، وتطورها وثباتها في الزمن الطويل من القرن الخامس عشر إلى القرن الثامن عشر، وأعطى بذلك برودال أهمية كبرى لمفاهيم جديدة مثل البنية والمجال وعلاقتها بالآزمنة التاريخية.

Fernand Braudel, *La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II (1558-1598)*, Armand. Colin, Paris, 1986, 2 volumes.

كان من الطبيعي جدا أن تكون الضفة الجنوبية للمتوسط "بلاد المغرب الإسلامي" ضمن هذه الخريطة الجيو سياسية المعقدة والمتقلبة، أين نلمس بوضوح التغيرات المفصلية التي عرفتھا المنطقة في القرون المتأخرة من الفترة الوسيطة.

### 1. خطاب تاريخي يعكس حالة من الخوف والقلق والترقب:

لقد طرحت إشكالية البحث في تطور مضامين اسطوغرافية القرن 8 هـ/ 14 م في بلاد المغرب، مسألة دقيقة تقتضي مني ضرورة تتبع بعض الأحداث التاريخية المفصلية بشكل معمق وبكثير من الحيلة والحذر، الذي تمليه علي خصوصية المرحلة، وعلى ما يظهر أن النصوص الإخبارية للقرن الثامن هجري/ الرابع عشر الميلادي، قد تفاعلت معها وعبرت بوضوح عن ذلك النسق التاريخي المرتبك والغير مستقر.

يبدو جليا أن اكتساح الجماعات الرعوية الزناتية التلول الغربية لبلاد المغرب، تاركة خلفها موطنها الأصلي، أين كانت تنتجع على مشارف الصحراء<sup>(1)</sup>، مستغلة بذلك حالة الفراغ الديموغرافي الذي حدث كنتيجة حتمية للوباء العظيم، الذي عصفت بالعدوتين المغربية والأندلسية مطلع القرن 7 هـ/ 13 م، كان ذلك سنة 610 هـ/ 1213 م<sup>(2)</sup>، هذا الأخير ترافق ظهوره مع أبناء الهزيمة المروعة التي مني بها الجيش الموحد في معركة العقاب سنة 609 هـ/ 1212 م، فكانت بذلك نقطة انكسار حاسمة، ألقت بضلالها الثقيلة على مجمل الأوضاع ببلاد المغرب والأندلس.

كما لم تنجو المنطقة من سلسلة الكوارث الطبيعية، التي عصفت بها عديد المرات في النصف الأول من القرن 7 هـ/ 13 م، جاءت ممثلة أساسا في قحوط، ومجاعات، وحتى الجراد

<sup>(1)</sup> - قدم ابن خلدون عرضا مفصلا حول مجالات الجماعات الزناتية الرعوية، ومواطن اتجاعها، كما رصد تحركاتها خلال المرحلة الموحدية. لمزيد من التفصيل أنظر: العبر، مصدر سابق، 6/ 224-226.

<sup>(2)</sup> - حوله أنظر: ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 358. الذخيرة السنية، ص 49. كذلك أشير إلى ذلك الحريق الكبير الذي وقع بقيسارية مراكش بتاريخ 607 هـ/ 1210 م، وكان من نتائجه الوخيمة على حسب شهادة سليل المنطقة ابن عذاري المراكشي "خسارة التجار الواردين والقاطنين والقاصين والدانين من الأموال الجسيمة ما لا يحصى وافتقر فيها أمة من ذوي اليسار وأصبحوا يتكفون الناس"، كما انتشر في الجزء الشمالي للمغرب الأقصى المجاعة وتنوع المسبغة، وما رافقها من ارتفاع للسعر. لمزيد من التفصيل أنظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ص ص 258، 259.

## الفصل الأول ————— الوسط التاريخي والبلط «الظروف المحيطة والنتائج المترتبة»

والسيول الجارفة، وما يتبع ذلك من ارتفاع السعر واضطراب، وقد رصدت بعض المصادر الإخبارية المتأخرة مجموعة كبيرة منها، على غرار تلك التي كانت سنوات 614 هـ / 1217 م، و616 هـ / 1219 م<sup>(1)</sup>، و617 هـ / 1220 م<sup>(2)</sup>، و619 هـ / 1222 م<sup>(3)</sup>، و620 هـ / 1223 م<sup>(4)</sup>، و623 هـ / 1226 م<sup>(5)</sup>، و625 هـ / 1227 م<sup>(6)</sup>، و627 هـ / 1229 م<sup>(7)</sup>، و630 هـ / 1232 م<sup>(8)</sup>، و632 هـ / 1234 م<sup>(9)</sup>، و635 هـ / 1237 م<sup>(10)</sup>، و637 هـ / 1239 م<sup>(11)</sup>.

(1) - يتحدث ابن عذاري المراكشي أن هذه المجاعة التي بدأت سنة 614 هـ / 1217 م، ارتفعت شدتها بحلول سنة 616 هـ / 1219 م، وقد وصفها بقوله "كان المحل العظيم والمجاعة التي شكاهها الطاعن والمقيم وتناهى الحال في مزيد السعر إلى ما لا نهاية له". حولها أنظر: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 266-267.

(2) - يتعلق الأمر في هذه السنة بغلاء شديد، ضرب العدوتين المغربية والأندلسية. حوله أنظر: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 267. ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 358.

(3) - يتعلق الأمر في هذه السنة بمجاعة عظيمة مست بلاد المغرب لفترة طويلة دامت حوالي 18 سنة، وقد بدأ ظهورها بين سنتي 618 - 619 هـ / 1221 - 1222 م، واستمرت إلى غاية سنة 637 هـ / 1229 م. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص 49، 59.

(4) - يتعلق الأمر في هذه السنة بحدوث سيل عظيم عمّ مدينة فاس. أنظر: المصدر نفسه، ص 360.

(5) - حدث في هذا التاريخ غلاء شديد وانتشار الجراد. أنظر: المصدر نفسه، ص 359.

(6) - ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنوية، ص 37. الجزنائي، مصدر سابق، ص 45.

(7) - ذكر ابن أبي زرع الفاسي تاريخ هذه المجاعة في أثناء وصفه لمدينة فاس، وبناء أسوارها أين أشار إلى غلق "باب الجرف" زمن المجاعة التي حدثت سنة 627 هـ / 1229 م، وقد بقي هذا الباب مغلقا إلى النصف الأول من القرن 8 هـ / 14 م، زمن تأليف "روض القرطاس". لمزيد من التفصيل أنظر: ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 51. الذخيرة السنوية، ص 54.

(8) - يتحدث ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 361. عن استفحال حالة الجوع والوباء ببلاد المغرب في تلك السنة.

(9) - يتعلق الأمر في هذه السنة بمجاعة كبيرة ضربت البلاد المراكشية، وقد خصص لها صاحب البيان عنوانا مستقلا في "ذكر المجاعة التي كانت بمراكش عصم الله المسلمين من مثلها". أنظر: ابن عذاري المراكشي، مصدر سابق (قسم الموحدين)، ص 325-327.

(10) - يتعلق الأمر في هذه السنة بغلاء ووباء بالعدوة المغربية. حولها أنظر: ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 362. كذلك تحدث عبد الحق الباديسي، مصدر سابق، ص 61. عن مجاعة شديدة وقعت في بلاد الريف شمال المغرب الأقصى.

(11) - استنادا إلى رواية ابن عذاري المراكشي، مصدر سابق (قسم الموحدين)، ص 351-352. فإن الأمر يتعلق هنا بـ "عام سبعة"، وهو العام الذي أصيب فيه سكان مدينة سبتة بغلاء مفرط ومجاعة عظيمة، حتى عدم فيها الطعام بالكلية.

أ- الوضع السياسي المضطرب ينبؤ بحالة التفكك.

بالتأكيد، الظروف التاريخية العصبية التي عصفت بالخلافة الموحدية (524- 667 هـ/ 1129-1268 م)<sup>(1)</sup> مع بدايات القرن 7 هـ/ 13 م، قد أقحمتها في سلسلة من الأزمات المتتالية والطويلة الأمد، أفضت في النهاية إلى سقوطها، لتدخل بعدها المنطقة برمتها في حالة من التفكك السياسي والصراع القبلي المحتدم بين الجماعات الزناتية من جهة وجماعات مصمودة من جهة ثانية، وقد وجد البلاط الموحد في فرع أبي حفص عمر الهنتاتي ممثلها الشرعي في افريقية.

متابعة مضامين بعض النصوص الاسطوغرافية المحلية للقرن 8 هـ/ 14 م، تشير إلى تلك الجهود التي قام بها عدد من المهتمين بالخبر التاريخي المحلي، في محاولتهم استعادة أهم الأحداث التاريخية المفصلية، وإعادة رسم الملامح الأساسية للمشهد العام الذي ميّز تلك المرحلة الحرجة، التي كابدها الخلافة الموحدية المتهاوية، هذا ولم تكن الأعمال الإخبارية التي أنجزها ابن عذاري المراكشي (حيا سنة: 712 هـ/ 1312 م)، وابن أبي زرع الفاسي (حيا سنة: 726 هـ/ 1325 م)، وفي وقت لاحق ابن خلدون (ت 808 هـ/ 1406 م) لتخلو من توصيف مأساوي للوضع الكارثي الذي آلت إليه الأمور في بلاد المغرب مع بداية القرن 7 هـ/ 13 م.

إن مراقبتي لعملية تكديس مجموعة معتبرة من عبارات الخوف، والإرجاف في النصوص الإخبارية للقرن 8 هـ/ 14 م، تظهر لي بلا شك حجم الإرباك الكبير، وحالة عدم الاستقرار الذي عصف بالمنطقة مع بدايات القرن 7 هـ/ 13 م، وهي المرحلة التي مثلت تراخي سلطة الموحدين، قابله ذلك الصعود اللافت للجماعات الزناتية (المربنية- العبد الوادية) إلى مسرح الأحداث المغربية، وسعيًا مني لتعميق النقاش حول الإشكالية المطروحة، حاولت تقصي بعض العبارات الدالة على حالات الجزع، والخوف، والإرجاف، التي تمّ تداولها بشكل واسع في ثلاث مصادر إخبارية مهمة من أعمال القرن 8 هـ/ 14 م، على ما أوضحه في الجدول التالي:

(1) - من أهم الدراسات المنجزة حول الدولة الموحدية، أشير إلى دراسة: أومبريو هويشي ميرندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكميز، منشورات الزمن، الرباط، 2004 م.



المصدر	صاحب النص	عبارات القلق والخوف
البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص ص 290، 357.	ابن عذاري المراكشي	"وكانت الدولة نكدة كلها"، "تلك الأحوال والفتن والأهوال"، "فإنها كانت قد خربت ودثرت بالأزمئة آثارها وامتحنت من بعض الجهات رسومها وقرارها، لا سيما بمراكش فقد خربت بكثرة الدخلات ديارها".
روض القرطاس، ص ص 328، 370، 371، 372.	ابن أبي زرع الفاصي	"والبلاد تضطرم نارا قد توالى عليها الخراب والفتن والقحط والغلاء الشديد والخوف في الطرقات وقد تكالب العدو على أكثر بلاد المسلمين".
الذخيرة السنية، ص 27	ابن أبي زرع الفاصي	"خلت المشاجر وقلت العمارات ووقع الخوف في البلاد والطرقات وغلت الأسعار في جميع الأمصار".
العبر، 6/ 339، 344، 348، 353.	ابن خلدون	"خربوا بلاد"، "تفاقم الأمر بالحضرة وهدمت الأقوات"، "استولى الجزع على قلوبهم"، "قفروا خلاء إلا قلائل من الدور".

#### ب- النصوص الاسطوغرافية المحلية، والوضع الاقتصادي والاجتماعي المتدني:

لا تتعارض الأدلة التاريخية التي انطلق منها معظم المشتغلين بدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمنطقة، من توصيف القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي بـ "قرن الأوبئة والمجاعات"<sup>(1)</sup>، كان ذلك نتيجة للتاريخ الكارثي لتقلبات الطبيعة، التي شهدتها المنطقة عبر فترات تاريخية متتالية، الأمر الذي تردد ذكره في الكثير من مصنفات النوازل الفقهية<sup>(2)</sup>،

(1) - من بين الدراسات الغربية المهمة، التي اهتمت بالقحوط والمجاعات والطوائع التي هزت ضفتي المتوسط خلال المرحلة الوسيطة المتأخرة، أشير إلى دراسة:

- Elisabeth Carpentier, « Autour de la peste noire , famines et épidémies dans l'histoire du XIV<sup>e</sup> siècle», *Annales . Économie, Société, Civilisation*, 17-6, (1962), pp. 1062-1092.

- Jacques Heers, *L'Occident aux XIV<sup>e</sup> et XV<sup>e</sup> siècle, Aspects économiques et sociaux*, Paris, P.U.F, 1963.

- Arajona Castro Antonio, « Las epidemias de peste bubonica en andalucia en el siglo XIV », *Boletin de la Real Academia de Cordoba*, LVI -108, (1985), pp. 49-58.

-Gigandet Suzanne, «Trois Maqālāt au sujet des épidémies de peste en Andalousie et au Maghreb », *Arabica*, XLVIII- 3, (2001), pp. 401-407. « Trois Maqālāt sur la prévention des épidémies », *Arabica*, LII-2, (2005), pp. 254- 293.

-Melhaoui Mohammed, *Peste, contagion et martyre, Histoire du fléau en Occident médiéval*, Publisud, Paris, 2005.

(2) - أورد أبو العباس أحمد الونشريسي (ت 914 هـ / 1508 م) بعض النوازل الفقهية التي جاءت في حكم المصايين بالوباء، وكيفية التعامل مع المناطق الموبوءة. حولها أنظر: الميعار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس

وكتب الحسبة والطب، التي أولت عناية خاصة لمناقشة مثل هذه القضايا الشائكة والدقيقة من زاوية فقهية وطبية<sup>(1)</sup>، كما أن العودة إلى كثير من النصوص الإخبارية المنجزة خلال المرحلة الوسيطة المتأخرة، جاءت لتؤكد هي الأخرى على حالة التقهقر الذي زعزع البنية الاجتماعية والاقتصادية للمنطقة، لكن وعلى أهمية هذه النصوص التراثية في التأريخ لعدد كبير من المجاعات والقحوط والأوبئة، إلا أنها في الغالب جاءت في سياق الحديث عن الدور الإيجابي الذي لعبه السلاطين، وبعض الشخصيات البارزة في مواجهة الأزمات، ومساعدة السكان المتضررين أثناء وبعد المحنة.

وسعيًا مني لإثارة النقاش حول مضامين النصوص الاسطوغرافية المحلية المنجزة خلال القرن 8 هـ/14 م، وطريقة عرضها للصورة القائمة التي طبعت بوجه عام بلاد المغرب الإسلامي في نهاية العصر الوسيط، حاولت رصد مجموعة مهمة من كوارث الطبيعة (قحوط-أمطار وسيول-زلازل)، والأمراض الفتاكة (الطواعين-الأوبئة)، وما يترتب عنها من غلاء السعر، ووقوع الموتان والمجاعة، على ما أوضحه في هذا العرض الكرونولوجي السريع التالي:

---

والمغرب، تحقيق محمد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، 11/352، 358.

(1) - من أهم أعمال المرحلة الوسيطة التي ناقشت مسألة الطواعين، أشير إلى كتاب أبي عبد الله محمد بن يوسف المزدي (ت 655 هـ/1257 م)، خطيب جامع القرويين بعنوان "إذا نزل الوباء بأرض فلا تخرجوا إليه فرار"، أشار إليه ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة، ص 82. كذلك رسالة "المسنون في أحكام الطاعون" من إنجاز حسن بن علي بن قنفذ القسنطيني (ت 750 هـ/1349 م)، وقد أشار إليها ابنه أبو العباس أحمد القسنطيني، أنس الفقير، ص 87. شرف الطالب في أسنى المطالب، منشور ضمن موسوعة أعلام المغرب، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، 2/653. كذلك ثلاث رسائل أندلسية في موضوع الطاعون أحدها تحت عنوان "تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد" لأحمد بن خاتمة الأنصاري (ت 770 هـ/1368 م)، أما الثانية فهي "مقنعة السائل عن المرض العاتل" لابن الخطيب السلماني (ت 776 هـ/1374 م)، والثالثة "النصيحة" لأبي عبد الله محمد بن علي الشقوري (ت بعد: 776 هـ/1374 م)، وقد قام محمد حسن بتحقيق هذه الرسائل في كتاب واحد تحت عنوان: ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، دار الحكمة، تونس، 2013 م. كذلك أشير هنا إلى رسالة ابن هيدور الفاسي (ت 816 هـ/1413 م) الموسومة بـ "المقالة الحكيمية في الأمراض الوبائية"، و"وصية الناصح الأود في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد" لمؤلفها ابن منظور.

## الفصل الأول - الوسط التاريخي والبلاط - الظروف المحيطة والنتائج المترتبة

المصدر	مجالها الجغرافي	طبيعة الأزمة	زمن الأزمة
ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 445.	رباط الفتح	قحط شديد	683 هـ / 1284 م
ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 507.	بلاد المغرب	الجماعة - الوباء العظيم - الموتان - غلاء السعر	693 هـ / 1293 م
يحيى بن خلدون، بغية الرواد، 1/ 210-211. ابن خلدون، العبر، 7/ 128-129، 289-293. ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير، ص 112. التنسي، نظم الدر (تحقيق محمود بوعبيد)، ص 132.	تلمسان	غلاء شديد - موتان	698 - 706 هـ / 1298 - 1306 م
التيحاني، الرحلة <sup>(1)</sup> ، ص 191 - 192.	برقة	جدب - فتنة السكان - موتان	706 هـ / 1306 م
ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 526.	المغرب الأقصى	قحط	711 هـ / 1311 م
ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 529، 543.	مكناسة، فاس، رباط تازة وأحوازها	ريح شديدة	722 هـ / 1322 م
ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 543.	فاس وأحوازها	أمطار عظيمة - ثلوج	723 هـ / 1323 م
ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 544.	فاس	حريق - قحط - ارتفاع السعر - بداية مجاعة	723 هـ / 1323 م
ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 530، 544.	فاس وباقي مدن المغرب	مجاعة شديدة - غلاء عظيم	724 هـ / 1323 م
ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 544 - 545.	فاس	رياح وإعصار عظيم - برد عظيم - مطر وابل وسيول	724 هـ / 1323 م
ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 545.	فاس	سيول	725 هـ / 1324 م

(1) - يبدو أن تداعيات هذا الجذب الذي أصاب سكان برقة مع مطلع القرن 8 هـ / 14 م، قد أدى إلى عملية نزوح جماعية من أهل برقة باتجاه منطقة طرابلس، منها ركب فاق مجموع النازحين فيه نحو 700 شخص، ولم ينجو منهم سوى 100 شخص فقط. لمزيد من التفصيل أنظر: التيحاني: الرحلة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1981، ص 191.

726 هـ / 1325 م	غلاء الأسعار	بجاية	يحي بن خلدون، بغية الرواد، 1/ 217.
740 هـ / 1339 م	وباء	الجزائر	ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 261.
749 - 750 هـ / 1348 - 1349 م	الطاعون الجارف - قلق في الطعام - الموتان - ارتفاع السعر	جميع بلاد المغرب	ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 265. ابن خلدون، العبر، 6/ 458، 7/ 329، 375- 376. ابن خلدون الرحلة، ص 65.
754 هـ / 1353 م	غلاء شديد في السعر	قسنطينة	ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 180.
755 هـ / 1354 م	ارتفاع السعر	تونس	الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 95.
758 هـ / 1356 م	رياح عاصف - أمطار	وجدة	ابن الحاج النميري، فيض العباب <sup>(1)</sup> ، ص 450.
758 هـ / 1356 م	سيول - ريح - برق	تيجمانين (قسنطينة)	ابن الحاج النميري، فيض العباب، ص 412.
766 هـ / 1365 م	زلزلة عظيمة <sup>(2)</sup>	الجزائر	يحي بن خلدون، بغية الرواد، 2/ 149.
776 هـ / 1374 م	مجاعة عظيمة <sup>(3)</sup>	بلاد المغرب وتلمسان	ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير، ص 149.

(1) - تحقيق محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990 م.

(2) - يحسن بي هنا، أن أشير إلى أهمية الطرة التي كتبها محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد المهدي، ناسخ مخطوطة "بغية الرواد" ليحي بن خلدون الموجودة بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس تحت رقم (Arabe 5752)، وقد كتبت هذه الطرة في شهر ربيع الثاني 1128 هـ / مارس - أبريل 1716 م، وتحديدًا بعد وقوع هزتين أرضيتين بمدينة الجزائر في تلك السنة، كليهما قدم الناسخ حولهما تفاصيل جيدة. بما فيها تلك الآثار الجانبية الوخيمة التي نتجت عنهما (الطوفان - المطر - الموت - هروب السكان)، أولاهما عبارة عن هزات ارتدادية وقعت في شهر يناير ودامت نحو 24 يومًا، أما الثانية فكانت في شهر ربيع الأول، واستمرت عدة أيام كذلك، وعلى أهمية هذه المعلومات حول الزلازل التي هزت الجزائر مطلع القرن 12 هـ / 18 م، فإن الأمر الذي يشدني أكثر في هذه الطرة، التي كتبها الناسخ كتعليق أمام زلزلة 766 هـ / 1365 م في نسخة "بغية"، أن الناسخ عرض تفاصيل مهمة حول هذه الزلزلة، ومقدار الهلع الذي أصاب سكان الجزائر، والأضرار التي لحقت الدور، المساجد، الدكاكين... الخ، والملفت للانتباه أن الناسخ يصرح باعتماده على "نص رحلة" لأحد طلبة برشك، الذي دخل مدينة الجزائر، وصادف وجوده بها وقوع الزلزلة سنة 766 هـ / 1365 م، كما حدد توقيتها بدقة بقوله "وقد تزلزلت في ليلة السبت عاشر شهر ربيع الثاني أو حادي عشرة لاختلاف الناس في ذلك الشهر بعد صلاة المغرب من سنة ست وستين وسبعماية"، وأشار إلى استمرار الهزات الأرضية بالمدينة إلى السنوات اللاحقة لكنها كانت أقل حدة. وقد نبه إلى هذه الطرة القس بارجاس في كتابه حول تلمسان.

- Bargès, Complément de l'histoire des Beni Zeiyan rois de Tlemcen, Ernest Leroux, Paris, 1887, pp. 221-223.

لمعرفة مكان، ومحتوى الطرة كاملة على حاشية مخطوطة "بغية الرواد". أنظر: ملحق رقم (01).

(3) - كذلك أشار إليها الونشريسي، المعيار المغرب، 5/ 98. ونعتها بـ "عام المجاعة الكبرى الواقعة في عام ستة وسبعين".

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ الوسط التاريخي والبلط «الظروف المحيطة والنتائج المترتبة»

يسمح لي الجدول أعلاه بمراقبة حوالي 20 أزمة، عصفت بالمنطقة نحو قرن من الزمن، امتدت من نهاية القرن 7 هـ / 13 م، إلى النصف الثاني من القرن 8 هـ / 14 م، وبناء على هذه المعطيات الجيدة التي وفرتها النصوص الاسطوغرافية المغربية المتأخرة، يمكنني ملاحظة ارتفاع عدد التقلبات الجوية (الرياح الشديدة، الأمطار الغزيرة والسيول الجارفة، البرد والثلوج، الزلازل)، يضاف إليها موجات القحوط، والمجاعات التي ضربت مدن المغرب في تلك المرحلة الحرجة، وما يتبعها من غلاء السعر وانعدام الأوقات، ناهيك عن كثرة الموتان، وتفشي الأمراض الفتاكة، وعليه فمن الممكن إعادة توزيعها وترتيبها تنازليا على النحو التالي:

طبيعة الأزمة	عدد المرات
تقلبات الطبيعة وزلازل	14
قحوط ومجاعات	08
ارتفاع السعر	08
الطواعين والموتان	5

ليس بالوسع تجاهل التأثير السلبي الذي تحدثه تقلبات الطبيعة، والأمراض والأوبئة الفتاكة على سكان المغرب الوسيط، وقد تدفعهم هذه الأخيرة في كثير من الأحيان إلى القيام بحركة نزوح جماعية، بحثا عن أماكن أخرى أكثر أمنا، وفرص عيش أوفر<sup>(1)</sup>، وعلى الرغم من إثبات النصوص الاسطوغرافية للقرن 8 هـ / 14 م، قدرتها على توصيف المشهد المأساوي للمناطق المتضررة، إلا أنها لم تتعد حدود الوصف السطحي الآني للأزمة، فحاجت معالجتها باهتة، وغير مفيدة في الكشف عن مختلف الأسباب المتحكمة فيها، هذا ناهيك عن سكوتها حيال سلوكيات إنسان المغرب الوسيط في مواجهة تلك الظروف الصعبة.

بالتركيز أكثر على إحدى الحالات المعروضة في الجدول السابق، على غرار حالة مدينة تلمسان، التي استقبلت القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي على وقع الحصار المريني عليها، حصار الثماني سنوات 698-706 هـ / 1298-1306 م، وما خلفه ذلك من انتشار

(1) - لمزيد من المعلومات حول الكوارث الطبيعية وتأثيرها على سلوكيات البشر، ودفعهم إلى البحث عن أماكن جديدة. أنظر: عبد الهادي البياض: الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق 6-8 هـ / 12-14 م)، دار الطليعة، بيروت، 2008، ص 86-156.

## الفصل الأول ————— الوسط التاريخي والبلط والظروف المحيطة والنتائج المترتبة

الموت، وغلاء شديد في السعر داخل المدينة المحاصرة<sup>(1)</sup>، فإن رواية يحيى بن خلدون (ت 780 هـ / 1378 م)<sup>(2)</sup> تتحدث عن حالة شديدة من التوتر والقلق، كما يقدم لنا نصوصا رقمية بالغة الأهمية، حيث بلغ عدد الموتى قتلا وجوعا زهاء مائة ألف وعشرين ألفا، وبخصوص الأسعار الملتهية، فقد مسّ الغلاء معظم قوت سكان المدينة المحاصرة بما فيها أسعار الحبوب والشعير، هذا وتعتبر التفاصيل التي قدمها صاحب "العبر"<sup>(3)</sup>، من أهم النصوص الإخبارية التي يمكن التعويل عليها في مراقبة الآثار الوخيمة التي خلفها حصار الثماني سنوات على سكان المدينة في تلك المرحلة الحرجة.

دون الدخول في كثير من التفاصيل التاريخية الدقيقة، فمراجعتي لمجموعة من النصوص الاسطوغرافية المغربية التي اهتمت بتاريخ مدينة تلمسان، وسكانها المحصورين مطلع القرن 8 هـ / 14 م، قد وجدت في الكثير من عبارات الخوف والجزع والهلع، العبارات الأنسب التي يمكن من خلالها تقديم وصفا للوضع المأساوي الذي آلت إليه الأمور في المدينة، على ما أوضحه في الجدول التالي:

المصدر	صاحب النص	عبارات الخوف والجزع المستخدمة
التنسي، نظم الدرّ والعقيان (تحقيق محمود بوعباد)، ص 132. نقلا عن درر الغرر	صاحب درر الغرر (ق 8 هـ / 14 م)	"وما قاتلوهم يوما إلا وكان الربح للمحصورين"
بغية الرواد، 210 / 1.	يحيى بن خلدون	"تضاعف بتلمسان الجهد ونفذت الأقوات إلا ما له خطر له حتى إذا تجاوز الأمر جهده وبلغ ماؤه الزبي وانتهت قلوب المحصورين إلى الحناجر".
روض القرطاس، ص 512.	ابن أبي زرع الفاسي	"أضعف أهل تلمسان بشدة الحصار حتى أشرفوا على الهلاك".

(1) - حول حصار المرينيين لمدينة تلمسان مطلع القرن 8 هـ / 14 م. أنظر:

Bouali Sid- Ahmed, *Les deux grands sièges de Tlemcen dans l'histoire et la légende*, Entreprise nationale du livre, Alger, 1984, pp. 57-61.

- فيلاي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، 1 / 26-29.

(2) - مصدر سابق، 1 / 211.

(3) - عقد ابن خلدون فصلا مستقلا حول الحصار المريني لمدينة تلمسان تحت عنوان "الخبر عن معاودة الفتنة مع بني مرين وشأن تلمسان في الحصار الطويل". لمزيد من التفصيل. أنظر: العبر، 7 / 125-130.

العبر، 7/ 128، 191، 193.	ابن خلدون	"ناهم فيها من الجهد ما لم ينله أمة من الأمم ... تجاوز حدود العوائد وعجز وجدهم ... استهلك الناس أموالهم وموجودهم وضائق أحوالهم"، "أشرفوا على الهلاك وأذنوا بالانقراض ... فتداركم من لطف الله ما شأنه أن يتدارك المتورطين في المهالك والله غالب على أمره".
نظم الدرّ والعقيان (تحقيق محمود بوعبيد)، ص 132	التنسي	"وكان على أهل تلمسان بلاء عظيم من غلاء الأسعار وموت الرجال وتثقيف من يخاف منه الفرار... وفر أكثر أهلها فلم يبق فيها من الرعية إلا نحو المائتين".

بلا شك بالإمكان اللجوء إلى تقلبات الطبيعة وقساوتها، وكثرة القحوط والمجاعات، وانتشار الأوبئة كتفسير مقنع في تكريس حالة الخوف والإرباك الذي حملته إلينا النصوص الاسطوغرافية المغربية المنجزة خلال القرن 8 هـ / 14 م، لكن بالتأكيد ليس هو التفسير الوحيد الذي يمكن التعويل عليه في فهم ذلك، فلتقلبات السياسية والحروب المحتمدة بين القوى المسيطرة في مغرب ما بعد الموحدين، وما نتج عنه من حصار المدن، ووقوع الموتان، وانتشار الأوبئة الفتاكة، واستفحال المجاعة، وانعدام الأقوات، وغلاء السعر، دور حاسم في إرباك الأوضاع بشكل كبير وعلى كافة المستويات.

لقد شكّل النص الخلدوني في مباحثاته الدقيقة حول العمران البشري، حالة استثنائية وغير مسبوقة بين معاصريه من أعلام القرن 8 هـ / 14 م في هذا الخصوص، أين حاول طرح تفسيرات عميقة ومهمة، تبحث في الأسباب الحقيقية التي كانت كامنة خلف ظهور الكثير من الحالات الوبائية، والقحوط، والمجاعات بشكل متكرر في نهاية العصر الوسيط، وتأثيرها السلبي على استقرار المنطقة، أين خصص لذلك فصلا مستقلا في كتابه "العمران"، جاء تحت عنوان "في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات" (1).

إن طرح التساؤلات حول النصوص الإخبارية، التي وصلتنا من أعمال نهاية العصر الوسيط، وتقييم مدى قدرتها على مجارات تلك التغيرات الجذرية التي شهدتها المغرب خلال مراحلها التاريخية الحرجة، يحمل في طياته الكثير من المجازفة، كما تبقى العديد من زواياها غامضة، ومن الصعوبة بما كان تقصي الأثر الذي تحدثه تلك التغيرات المناخية، والتحويلات الاقتصادية

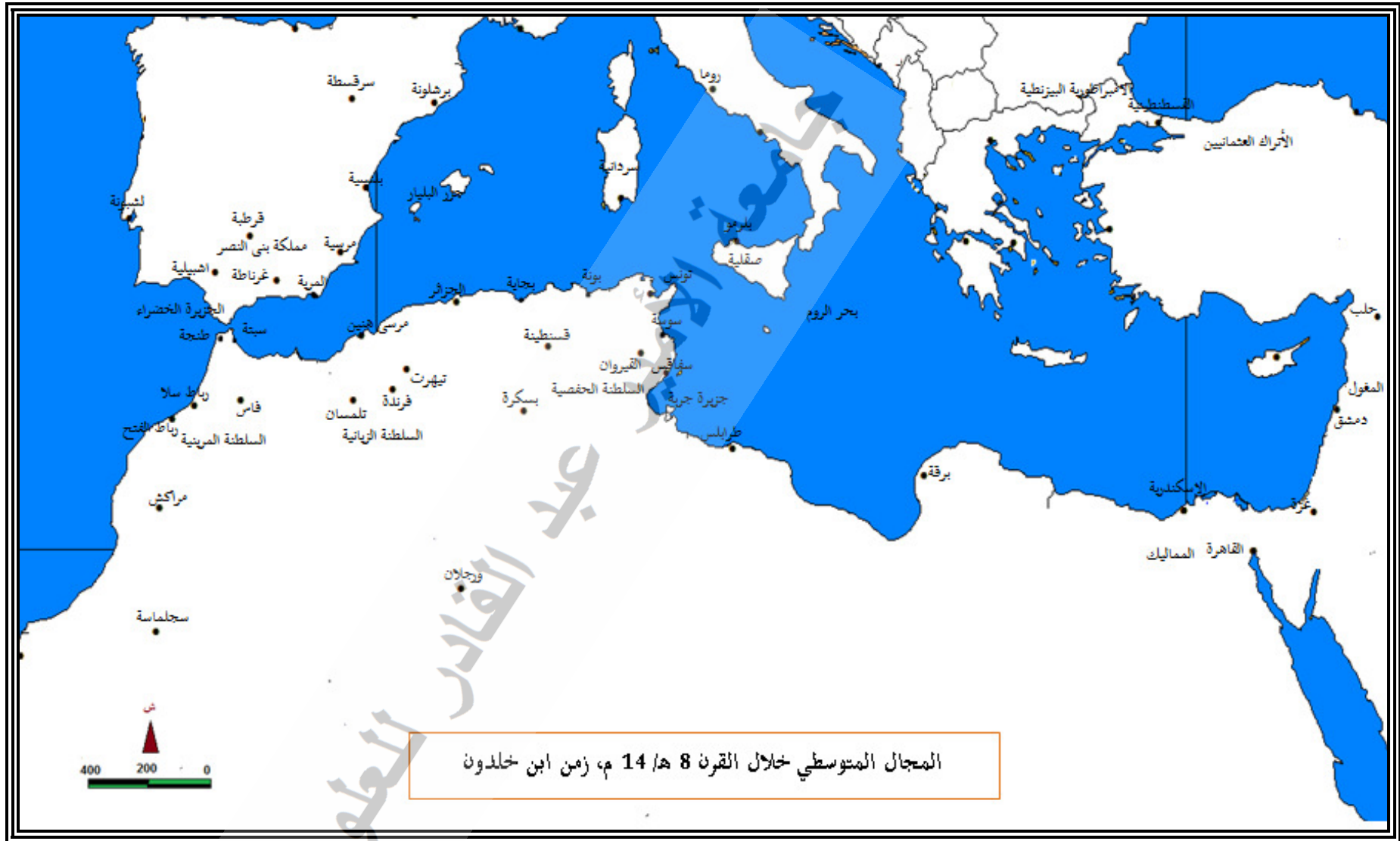
(1) - المقدمة، 2/ 722 - 723.

على البنية الاجتماعية لمغرب ما بعد الموحدين، لكن نضج الوعي التاريخي الذي تمتع به ابن خلدون، حيال التغيرات العميقة التي مست أطراف العالم الإسلامي منتصف القرن 8 هـ / 14 م، قاده بالتأكيد إلى تقديم صورة أكثر دقة، حيث كتب قائلاً "وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر، فخربت الأمصار والمصانع، ودرست السبل والمعالم، وخلت الديار والمنازل، وضعفت الدول والقبائل... وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبة ومقدار عمرانه، وكأنما نادى لسان الكون بالخمول والانقباض فبادر بالإجابة" (1).

وفي ختام هذا البحث، إليك خريطة توضيحية للمجال المتوسطي زمن ابن خلدون.

(1) - المصدر نفسه، 1/ 326.





## 2. ارتفاع وتيرة الاهتمام بنسب السلالات البربرية الحاكمة:

شكل موضوع أنساب الجماعات البربرية، نقطة حساسة في تاريخ بلاد المغرب الوسيط، ومحل نقاش في النصوص التاريخية المشرقية الأولى، يأتي في مقدمتها نصوص الواقدي (ت 207 هـ / 822 م)، وابن عبد الحكم (ت 257 هـ / 870 م)، والطبري (ت 310 هـ / 922 م)، هذه النصوص الإخبارية، حاولت تقديم تصور مقبول لأصول الجماعات البربرية المنتمة حديثاً إلى فلك الحضارة الإسلامية، ورغم أهمية الرواية المشرقية في مناقشتها لنسب البربر، إلا أنها لا تخلو من الخلط والتناقض، وعدم وضوح الرؤية في كثير من الأحيان، وبعيدا عن كثير من التفاصيل المتشعبة، المتعلقة بطبيعة المرتكزات التاريخية المعتمدة في تقسيم الجماعات البربرية، ومختلف الآراء المشرقية والمغربية التي تشكلت حولها، فما يهمني في هذه المرحلة تحديداً، لفت الانتباه إلى إشكالية إلحاق أصول بعض الجماعات البربرية بالنسب العربي، وإن اختلفت الأسباب التي كانت كامنة خلف هذا التوجه، لكن على ما يبدو أن السعي وراء تحصيل مكاسب سياسية واسعة، ومكانة اجتماعية مرموقة، كانت أحد أسبابه الوجيهة.

ومع انكسار جماعات مصمودة أمام جماعات زناتة في النصف الأول من القرن 7 هـ / 13 م، وجدت السلالات البربرية المتوجة حديثاً بالسلطة في مغرب ما بعد الموحدين، نفسها في مواجهة مع مسألة دقيقة وحساسة، تتعلق بقضية "شرعية السلطة"، وانطلاقاً من المنظور الخلدوني الذي يقر بأهمية الدعوة الدينية في مكونات الملك في مغرب العصر الوسيط<sup>(1)</sup>، ومع افتقار السلالات الزناتية الحاكمة (المرينية- العبد الوادية) لسند ديني، يدعم شرعيتها في تولي زمام الحكم بعد تهاوي سلطة الموحدين، فقد توجب عليها البحث عن بدائل أخرى أكثر إقناعاً، ويمكن التعويل عليها في إضفاء صفة الشرعية على سلطتهم، على الأقل خلال مرحلة التأسيس، وهنا أتوقف عند حدود السؤال التالي: هل كان البحث في موضوع نسب الجماعات

(1) - أجريت الكثير من الدراسات حول أهمية العصبية والدعوة الدينية في قيام الدول في النظرية الخلدونية، منها دراسة: ايف لاكوست: العلامة ابن خلدون، ترجمة ميشال سليمان، دار ابن خلدون، بيروت، 1974 م. سفيتلانا باتسيفا: العمران البشري عند ابن خلدون، ترجمة رضوان ابن إبراهيم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1978 م. محمد عابد الجابري: فكر ابن خلدون العصبية والدولة، ط5، مركز الدراسات والوحدة العربية، بيروت، 1992 م. المختار الهراس: "القبيلة والدورة العصبية قراءة في التحليل الخلدوني للمجتمع القروي المغاربي"، الفكر الاجتماعي الخلدوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص 143-171.

البربرية الحاكمة من قبل المهتمين بالخبر التاريخي الموجه لخدمة السلالات الحاكمة في مغرب ما بعد الموحدين، محاولة جادة تخفي وراءها الأهمية القصوى التي يحظى بها موضوع أنساب البربر عامة، والسلالات الحاكمة خاصة في تلك المرحلة؟ وهل كانت المراهنة على الأصول العربية للسلالات البربرية الحاكمة كفيلا بضمان سند شرعي يحظى بالقبول في مغرب ما بعد الموحدين؟ كيف تعاملت النصوص الإخبارية المحلية مع هذه الوضعية الجديدة، والمعقدة في نفس الوقت؟ هذا ما سوف أحاول مناقشته في العرض المفصل التالي.

#### أ- المصادر الإخبارية المحلية والترويج لعروبة الجماعات الزناتية.

لقد أحرز موضوع نسب الأسر البربرية الحاكمة، انتشارا واسعا في المصادر الإخبارية المحلية، ولم يعد في وسع المهتمين بالخبر التاريخي المحلي خلال القرن 8 هـ / 14 م تجاوزه، وغالبا ما كان يتصدر المواضيع الأولى المطروحة للنقاش في أعمال المرحلة الوسيطة المتأخرة، ويكفي دلالة على المكانة المتقدمة التي أحرزتها هذه الأخيرة، إلقاء نظرة سريعة على محتوى الأعمال السلالاتية الموجهة لخدمة البلاط، على غرار كتابات ابن أبي زرع الفاسي، وابن مرزوق الخطيب، ويحيى بن خلدون، هذه الأعمال المهمة ظلت تدفع باتجاه القول بالأصول العربية للجماعات الزناتية، التي تنحدر منها السلالة المرينية والعبد الوادية، في مساعيها المفضوحة والرامية إلى تعزيز سلطة السلالات البربرية الحاكمة، يأتي هذا في ظل افتقارها لدعوة دينية تستند عليها.

عمليا أنتج الاهتمام بموضوع نسب الجماعات البربرية في نهاية المرحلة الوسيطة، إعادة توظيف مجموعة من آراء النسب المتداولة في مراحل سابقة، خصوصا تلك القائلة بالأصول العربية القيسية للجماعات الزناتية، وهنا أجد بالضبط تفسيرا مقنعا في ترديد عدد من المصادر الإخبارية المحلية لأبيات شعرية مقتطفة من قصيدة منسوبة لتماضر بنت قيس في رثاء أخيها "برّ بن قيس"<sup>(1)</sup>، كان ذلك بعد مغادرته لموطنه الأصلي في بلاد الشام، ليستقر به المقام بجوار أخواله في بلاد المغرب، حيث كثر نسله من ولده "مادغيس الأبتري"، وهو أبو البتر من البربر، الذي منه تنحدر جميع بطون زناتة.

(1) - أشير هنا إلى نقول: ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 367. الذخيرة السنية، ص 19. ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 108. ابن خلدون، العبر، 6/ 124. إسماعيل بن الأحمر، روضة النسرين، ص 18-19.

لقد وجدت هذه الرواية طريقها في الانتشار واسعا بين المهتمين بنسب السلالات البربرية الحاكمة خلال القرن 8 هـ / 14م، يأتي في مقدمتها رواية شاعر البلاط المريني<sup>(1)</sup> مالك بن المرحل المالقي (ت 699 هـ / 1299 م)<sup>(2)</sup>، مستوطن سبتة وفاس، وأحد المنتظمين في سلك الكتاب<sup>(3)</sup>، عرف باهتمامه بالأغربة والأخبار<sup>(4)</sup>، كما يظهر أن له معرفة بنسب البربر، وبشكل خاص جماعات زناتة، وقد أعيد تدوين آراؤه في النسب البربر، على نطاق واسع في المصادر الإخبارية للقرن 8 هـ / 14 م<sup>(5)</sup>.

كما يبدو أن العناية بنسب السلالة المرينية الحاكمة، ومغازلتها بقصائد المدح والإشادة بأصولها العربية، كان أحد المواضيع التي استقطبت اهتمام بعض شعراء البلاط المريني في المراحل الأولى، على الأقل هذا ما أظهره شاعر البلاط أبو فارس عبد العزيز المزوزي (ت 697 هـ / 1297 م)، المشتهر بـ "عزّوز المكناسي"<sup>(6)</sup>، الذي يرجع بأصوله البربرية إلى "مكناسة"، وقد استطاع أن يكون أحد أبرز وجوه البلاط المريني في نهاية القرن 7 هـ / 13 م، حيث أسندت

<sup>(1)</sup> - أورد له ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة، ص ص 98-100، 119-120. بعض الأبيات الشعرية في مدح السلاطين المرينيين الأوائل.

<sup>(2)</sup> - أنظر ترجمته: ابن الخطيب السلماي، الإحاطة، 3/ 303-324. كما أورد له تلميذه ابن عبد الملك المراكشي (ت 703 هـ / 1303 م) قصيدته في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، كان قد كتبها له بخطه في أثناء اللقاء الذي جمعهما بمدينة سبتة. حولها أنظر: ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، 1964، 1/ 331-333.

<sup>(3)</sup> - تولى كتابة الرسائل للأمير المريني أبي مالك عبد الواحد (ت 671 هـ / 1272 م) بمدينة فاس سنة 662 هـ / 1225م، وقد

نشأت بينهما علاقة وطيدة. أنظر: ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 402. الذخيرة السنينة، ص ص 98، 123.

<sup>(4)</sup> - يمكنني أن أشير إلى بعض أسماء تلامذته من المهتمين بالخير التاريخي منهم: ابن عبد الملك المراكشي (ت 703 هـ / 1303 م)، وابنه أبي عبد الله، وشيخه أبي جعفر بن الزبير (ت 708 هـ / 1308 م). أنظر: ابن الخطيب السلماي، الإحاطة، 3/ 306. أما تلميذه التجيبي (ت 730 هـ / 1329 م)، فقد ذكره ضمن شيوخه الوافدين إلى سبتة، وقرأ عليه بعض قصائده سنة 690 هـ / 1291 م. حولها أنظر: التجيبي: برنامج التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1981، ص ص 137، 282، 283.

<sup>(5)</sup> - من أهم المصادر الإخبارية التي نوهت برواية مالك بن المرحل، أشير إلى رواية: ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنينة، ص 14، يحي بن خلدون، مصدر سابق، 1/ 179. ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 107. ابن خلدون، العبر، 6/ 123.

<sup>(6)</sup> - حوله أنظر الدراسة المهمة التي أنجزها:

- Lévi-Provençal Évariste, «Un historiographe et poète de cour mérinide: Abu Faris al-Malzuzi», *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales*, Université d'Alger, Alger, 1934-1935. pp. 190-192.

إليه وظيفة الحسبة<sup>(1)</sup>، ورغم المكانة التي حظي بها هذا الشاعر، إلا أنه لم ينجو من الموت خنقا في محبسه بمدينة فاس<sup>(2)</sup>.

أشتهر الملووزي بقصائده الكثيرة، التي مدح فيها السلالة المرينية الحاكمة<sup>(3)</sup>، هذا الأخير كان قد "وقف أشعاره عليهم وأكثر النظم في وقائعهم وحروبهم"<sup>(4)</sup>، ومن أهم قصائده التي لقيت ترحيبا واسعا، وتم تداولها في المصادر الإخبارية اللاحقة، قصيدته التي رفعها للسلطان المريني أبي يوسف يعقوب (656-685 هـ / 1258-1286 م)، كان ذلك أثناء تواجده بالجزيرة الخضراء سنة 684 هـ / 1257 م<sup>(5)</sup>، الموسومة بـ "نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك"<sup>(6)</sup>، إن أهمية هذا النظم التاريخي الذي يؤرخ ل بدايات ظهور بني مرين على مسرح الأحداث التاريخية، يكمن في سرده سيرة السلاطين المرينيين الأوائل وأبرز أعمالهم، وتزداد معلومات الملووزي كثافة في نظمه التاريخي كلما تعلق الأمر بالأحداث التي عاصرها.

بلا شك إتقان الشاعر الملووزي للسانين العربي والزناقي على حد سواء<sup>(7)</sup>، أكسبه أفضلية بين معاصريه من المهتمين بنسب البربر، في إمكانية اعتماده على مصادر شفوية محلية

(1) - يبدو أن الملووزي تولى خطة الحسبة زمن السلطان المريني أبي يعقوب يوسف سنة 693 هـ / 1293 م، وهو التاريخ الذي ضرب فيه الوباء بلاد المغرب. حولها أنظر: ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 507. ابن الخطيب السلماي، الإحاطة، 26 / 4.

(2) - لمزيد من التفصيل حول أسباب مقتل الملووزي. أنظر: ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 508. ابن الخطيب السلماي، الإحاطة، 26 / 4. ابن خلدون، العبر، 306 / 7.

(3) - أوردت مصادر القرن 8 هـ / 14 م، بعض المقتطفات من قصائد الملووزي التي نظمها في مدح السلاطين المرينيين الأوائل. حولها أنظر: ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنوية، ص ص 123-125، 126-128، 133-135. ابن الخطيب السلماي، الإحاطة، 26-21 / 4.

(4) - أنظر: المصدر نفسه، 21 / 4.

(5) - تطرق ابن خلدون، العبر، 278 / 7. إلى هذه الأحداث التاريخية، التي جاءت احتفالا بالصلح الذي أبرمه السلطان المريني أبي يوسف يعقوب مع ملك النصارى شانجة، وكانت في يوم الفطر سنة 684 هـ / 29 نوفمبر 1285 م، ألقى خلالها الملووزي قصيدته الذائعة الصيت، أشاد بها ابن خلدون قائلا "وكان من أسبقهم في ذلك الميدان، شاعر الدولة عزوز المكناسي، ذكر فيها سير أمير المسلمين وغزواته على النسق".

(6) - نشرت بتحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1963 م.

(7) - معرفة الملووزي باللسانيين العربي والزناقي، أشار إليها ابن الخطيب السلماي في الترجمة التي خصصها له وجاءت شهادته على النحو التالي "وخلط العرب باللسان الزناقي في مخاطباتهم فعرف بهم". أنظر: الإحاطة، 21 / 4.

موصوفة بالبربرية<sup>(1)</sup>، الأمر الذي يرفع من قيمة المعلومات التاريخية التي أوردتها، بما فيها تلك المتعلقة بنسب المرينيين، وتتكشف المكانة المتميزة لرواية المزوزي، من خلال التعويل عليه في عدد من أعمال القرن 8 هـ / 14 م، وهو ما حاولت تفصيله في خمسة مصادر إخبارية على الأقل، على ما أظهره في الجدول التالي:

الصفحة	المصدر الذي اعتمده	مضمون الاستشهاد
152	روض القرطاس	نسب صنهاجة
286-285, 280	الحلل الموشية <sup>(2)</sup>	
368-367	روض القرطاس	نسب زناتة
19	الذخيرة السنينة	
286-285	الحلل الموشية	
322	روض القرطاس	أخبار حول دولة الخليفة الموحد المخلوع عبد الواحد (620-621 هـ / 1223-1224 م)
370	روض القرطاس	تاريخ دخول بني مرين بلاد المغرب
26	الذخيرة السنينة	
268-267	الحلل الموشية	
490-476, 392-391	روض القرطاس	أخبار متفرقة في سيرة وحروب السلاطين والأمراء المرينيين الأوائل
135-133, 97, 93-92, 59	الذخيرة السنينة	
264	الحلل الموشية	
.360-359, 26-21 / 4	الإحاطة	
.265, 264 / 7	العبر	

ما يمكنني التنبيه إليه، أن تيار القائلين بالأصول العربية للجماعات الزناتية، هو ليس وليد نهاية المرحلة الوسيطة<sup>(3)</sup>، لكنه بالتأكيد قد ارتفع صداه مع وصول السلالات الزناتية إلى هرم

(1) - معرفة المزوزي باللسانين الزناتي والعربي، دفعت محمد القبلي بالتساؤل حول إمكانية قيام المزوزي بإعادة صياغة شعر دراج، الذي كان متداولاً في أوساط الغزاة المرينيين الأوائل باللسان البربري، ووضعه في قالب عربي نبيل، وهو ما تجسده منظومته الشعرية. أنظر:

Kably Mohamed, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge (XIV<sup>e</sup>-XV<sup>e</sup> siècles)*, Maisonneuve et Larose, Paris, 1986, p. 25.

(2) - ابن السماك العاملي: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق عبد القادر بوباوية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010 م.

(3) - أشير هنا إلى موقف الشريف الإدريسي، الذي اعتبر زناتة من العرب المضربة، فهم من ولد جانا بن لواء بن بر بن

السلطة (المرينية- العبد الوادية)، وعلى ما يبدو أنه التيار الأكثر تناغما مع التوجهات العامة لعملية التدوين التاريخي الموجهة لخدمة البلاط في مغرب ما بعد الموحدين، وقد أحرز هذا الأخير تقدما محسوسا حتى مع وجود تيار قوي ينكر أصحابه بشكل صريح القول بقيسية الجماعات الزناتية، وتعود جذوره إلى القرن 5 هـ / 11 م، مع نسابة الحاضرة القرطبية، التي يمثلها "إمام النسّابين" <sup>(1)</sup> ابن حزم القرطبي (ت 456 هـ / 1063 م) <sup>(2)</sup>، ومعاصره ابن عبد البر النمري (ت 463 هـ / 1020 م) <sup>(3)</sup>، وأبو عبيدة البكري (ت 487 هـ / 1094 م)، الذي أبدى تردده حيال الموضوع <sup>(4)</sup>.

وفي هذا السياق التاريخي المعقد، تأتي رواية ابن خلدون كأحد أهم المواقف الداعمة لتيار الرافضين لقيسية الجماعات الزناتية خلال القرن 8 هـ / 14 م، وكان اعتماده الأساسي على آراء ابن حزم، الذي جعل من روايته "أصح ما ينقل في هذا لأن ابن حزم موثوق ولا يعدل به عن غيره" <sup>(5)</sup>.

## ب - السلالات الزناتية الحاكمة ومسألة ادعاء النسب الشريف، بين القبول والرفض:

بالموازاة مع مسألة إلحاق أصول الجماعات الزناتية بالنسب العربي، تشكلت مواقف أخرى

قيس بن الياس بن مضر، وقد كانت ديارهم بفلسطين، ثم نزحوا إلى بلاد المغرب وتنازلوا بعد مقتل ملكهم جالوت بن ضريس. لمزيد من التفصيل أنظر: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2010، 1/ 222، 257.

<sup>(1)</sup> - أشاد به ابن خلدون في مواضع كثيرة في كتابه التاريخي. حولها أنظر: العبر، 6/ 127، 168، 4/ 7.

<sup>(2)</sup> - جاء تصريح ابن حزم برفضه القاطع لقيسية زناتة بقوله "وادعت طوائف منهم... إلى بر بن قيس بن عيلان وهذا باطل لا شك فيه، وما علم النسابون لقيس عيلان ابنا اسمه برا أصلا ولا كان لحمير طريق إلى بلاد المغرب، إلا من تكاذيب مؤرخي اليمن". أنظر: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص 495.

<sup>(3)</sup> - جاء تصريح ابن عبد البر النمري الرافض لقيسية الجماعات الزناتية بقوله "وأنكر أهل العلم بالنسب وأيام العرب أن يكون لقيس بن عيلان ولد يقال له: أبتري، ولم يعرفوا لقيس ولدا إلا الثلاثة المذكورين". أنظر: القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، تحقيق حسان الدين القدسي، دط، مطبعة السعادة، القاهرة، 1931، ص 23- 26. كذلك في كتابه الأنباة على قبائل الرواة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985، ص 68.

<sup>(4)</sup> - يظهر تردد البكري حيال الأصول القيسية لقبيلة زناتة في قوله "وقد اختلف في نسبهم... ومنهم من رأى أنهم من قيس عيلان، والله أعلم بحقيقة ذلك، قال الكندي إنهم من ولد بربر بن قيس عيلان". أنظر: المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، 1/ 250.

<sup>(5)</sup> - أنظر: العبر، 6/ 127، 3- 5.

تدعي النسب الشريف للسلاطات الحاكمة في مغرب ما بعد الموحدين، وقد تمّ الترويج لهذه الأخيرة في عدد من المصادر الإخبارية المحلية أيضا، على غرار موقف يحيى بن خلدون (ت 780 هـ / 1378 م)<sup>(1)</sup>، الذي ذهب إلى القول بشرف البيت الزياني الحاكم، معتبرا إياهم من ولد القاسم بن الحسن بن قنون من نسل الأدارسة<sup>(2)</sup>، وقد سار على منواله الحافظ التنسي (ت 899 هـ / 1493 م)<sup>(3)</sup>، يأتي هذا التوجه رغم حالة التحفظ الذي بدت عليه السلطة الزيانية تجاه هذا الزعم، على الأقل هذا ما يفهم من كلام الأمير الزياني يغمراسن بن زيان (633-681 هـ / 1235-1282 م)، الذي جاء ردا على سؤال أحدهم، يدور حول مدى صحة شرف السلالة الزيانية<sup>(4)</sup>.

في مقابل ذلك، جاء الرفض القاطع والمعلن في القول بالنسب الشريف للفرع المريني الحاكم، يظهر ذلك على الأقل في موقف السلطان المريني أبي يعقوب يوسف (685-706 هـ / 1286-1306 م)، وابن أخيه السلطان أبي الحسن (731-749 هـ / 1330-1348 م)<sup>(5)</sup>، الأمر الذي يوحي بعدم رغبة البيت المريني الحاكم، الخوض في مثل هذه المسائل الحساسة، في مدينة فاس مركز الشرف الإدريسي<sup>(6)</sup>، وهي المكان الذي يحتضن قبر المولى إدريس، ناهيك

(1) - أنظر: مصدر سابق، 1/ 190. 2/ 15.

(2) - حول أصول هذا الفرع. أنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 49-52.

(3) - خصص التنسي الباب الأول من القسم الأول في كتابه "نظم الدرر"، لتأكيد النسب الشريف للسلطان الزياني أبي ثابت محمد المتوكل (866-873 هـ / 1461-1468 م)، وجاء تحت عنوان "في ذكر نسبه الطاهر وشرفه الباهر". حوله أنظر: التنسي، مصدر سابق (تحقيق محمود بوعباد)، ص 109-110.

(4) - كان جواب الأمير الزياني يغمراسن بالرتانة البربرية الزناتية، ومضمونه المنقول إلى اللسان العربي، جاء على النحو التالي "إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله وأما الدنيا فإنما نلناها بسيوفنا". لمزيد من التفصيل أنظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 1/ 205. ابن خلدون، العبر، 7/ 97.

(5) - هذا ما يفهم من الرواية التي تطرق إليها ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 108-109. في حديث جمعه بمخدومه السلطان أبي الحسن المريني، حول مدى صحة الأصول الشريفة للبيت المريني الحاكم.

(6) - لمزيد من التفصيل حول أبرز الأسر الشريفة، ومكانتها في المغرب المريني. أنظر:

- Kably Mohamed, *op. cit.* pp. 291- 314.

- عمراي محمد: الشرف والمجتمع والسلطة والسياسة، بالشمال الغربي المغربي بين النصف الثاني من القرن 9- 13 هـ ونهاية 15- 19 م، دار أبي رقراق، المغرب، 2015، ص 49-75.



عن وجود مشاهير الأسر الشريفة الصريحة النسب<sup>(1)</sup>، وهي بالتأكيد تمثل إحدى أرقى البيوتات المتصدرة للسلم الاجتماعي في الحاضرة الفاسية على امتداد المرحلة الوسيطة، كما أظهرت شريحة عريضة من مشاهير فقهاء المغرب، اهتماما كبيرا بالنسب الشريف، وكانت لهم مواقف صريحة حيال منتحلي النسب الشريف<sup>(2)</sup>.

لقد تمتع شرفاء الأدارسة، وغيرهم من الأسر المعدودة ضمن قائمة شرفاء المغرب، بمكانة رفيعة عند السلاطين المرينيين، يأتي ذلك في إطار إعادة الاعتبار، والمكانة اللائقة لهذه الشريحة المهمة، وسعيها منهم للمحافظة على أنساب الأسر الشريفة<sup>(3)</sup>، وإسقاط منتحلي النسب من

(1) - من مشاهير الأسر الشريفة المستقر بمختلف مناطق المغرب الأقصى، أشير إلى اثنين منهم: أسرة الجوطيين من السبط الحسيني ومن بيوتاتهم (العمرايون، الطالبون، والشبهيون، الطاهريون)، وأسرة الصقليين فمن السبط الحسيني ومن أشهر بيوتاتهم (السبتيون، الطاهريون الصقليون، الصقليون الأصلاء)، وتصنف أسرة الجوطيين والصقليين الشريفتين في المرتبة الأولى بين باقي الأسر الشريفة، على حسب مراتب الشرف الإدريسي، التي تبناها قاضي مدينة فاس أبي عبد الله بن السكاك المكناسي (ت 818 هـ / 1415 م). لمزيد من التفصيل أنظر: ابن السكاك: نصح ملوك الإسلام، طبعة حجرية، فاس، د ت، ص 16-18.

(2) - أشير هنا إلى موقف الفقيه أبي عبد الله محمد المقرئ التلمساني (ت 759 هـ / 1357 م)، الذي أعلن عن عدم جدوى مناقشة صحة النسب الشريف في عصره، في مجلس السلطان المريني أبي عنان (749 - 759 هـ / 1348 - 1357 م). لمزيد من التفصيل أنظر: المقرئ التلمساني، نصح الطيب، 5/ 281-282. ابن مريم المليتي التلمساني: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق عبد القادر بوباوية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014، ص 309-310. كما دار جدال فقهي بين فقهاء المغرب في قضية إثبات الشرف من قبل الأم، وحول هذا الموضوع أنجز محمد المراكشي الضرير (ت 807 هـ / 1404 م) كتابا تحت عنوان "إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم"، كذلك ألف ابن مرزوق الحفيد (ت 842 هـ / 1438 م)، كتابا ثان تحت نفس العنوان، وقد تم نشر العملين بتحقيق مريم الحلو، ط2، مطبعة الشرق، وجدة، 2006 م. كما قيّد الونشريسي، المعيار المغرب، 12/ 193-233. بعض نوازل الشرف من قبل الأم، واختلاف الفقهاء. لمزيد من التفصيل حول قضايا الشرف في المغرب الأوسط. أنظر: عمر بلبشير: "خطاب الشرف في المغرب الأوسط من خلال فتوى ابن مرزوق الحفيد (ت 842 هـ / 1438 م)"، مجلة عصور الجديدة، 26، (2016-2017)، ص 102-127.

(3) - يعتبر كتاب "أنساب العلويين والطالبيين القادمين إلى المغرب" الضائع لمؤلف مجهول، من أقدم الأعمال المخصصة لنسب الأسر الشريفة التي استوطنت بلاد المغرب، ينتمي إلى أعمال النصف الأول من القرن 4 هـ / 10 م، رفعه مؤلفه للحكم المستنصر الأموي (302-366 هـ / 914-976 م)، انفرد ابن الأبار البلسني (ت 658 هـ / 1259 م) بالنقل عنه في الترجمة التي خصصها لمؤمن بن غالب، أحد الأشراف الداخلين إلى بلاد الأندلس. حوله أنظر: ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام المهراس، دار الفكر، بيروت، 1995، 2/ 201-202.

العطاء والامتيازات<sup>(1)</sup>. بمراسيم عدلية وظهائر سلطانية<sup>(2)</sup>، كانت السلطة المرينية في بعض المرات تجري عمليات جرد رسمية، تهدف من ورائها، وضع قوائم جديدة مضبوطة ودقيقة بأسماء الأشخاص المثبت شرفهم، وتتم عادة تلك العمليات الإحصائية بحضور نقيب الأشراف، والقضاة، والفقهاء، وقد أشارت بعض المصادر التي اطلعت عليها إلى ثلاث عمليات جرد رسمية، جرت في النصف الأول من القرن 8 هـ/ 14 م، وهي كالتالي:

تاريخ الجرد	المنطقة الجرد	السلطان المريني	المصدر
709 هـ / 1309 م	جبال غمارة	أبو الربيع سليمان بن عبد الله (707-709 هـ / 1307-1309 م)	مخطوطة المكتبة الوطنية بالرباط ضمن مجموع، تحت رقم (د 723)، وورقات 6- 39.
قبل سنة 749 هـ / 1348 م	حضرة فاس وجميع البلاد	أبو الحسن (731-749 هـ / 1330-1348 م)	ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 147- 148. الجزنائي، زهرة الآس، ص 29.
754 هـ / 1353 م	مدينة سلا وجميع البلاد	أبو عنان (749-759 هـ / 1348-1357 م)	الزموري، بهجة الناظرين، ص 41.

وفي سياق البحث عن مدى عناية بعض أفراد البيت المريني الحاكم بموضوع النسب<sup>(3)</sup>، ومن خلال تعقب مجموعة من المصادر الإخبارية، فقد تمكنت من ضبط قائمة اسمية مهمة،

(1) - كانت تصل كثير من الأسر الشريفة جرايات كافية، ومرتببات شهرية، وكسوة جارية في سابع المولد بأمر من السلطان المريني أبي الحسن، على غرار العطايا التي كان يبعث بها إلى الشرفاء الجوطيين والداخلين في ترجمتهم وبني عمهم من شرفاء مراكش وأولاد بركات والقضاة الحسينيين بسبته وأولاد أبي شرف والتلمسانيين والفقهاء العلويين. أنظر: ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 151-152.

(2) - صدرت مجموعة من الظهائر السلطانية لفائدة شيوخ بني أمغار الذين ينحدرون من أسرة شريفة، منها ظهير صدر عن السلطان المريني أبي عنان مؤرخ في الثالث عشر من المحرم فاتح عام 755 هـ / 25 جانفي 1354 م، وينص على تعيين مرتبا جاريا لفائدة أولاد الشيخ الفقيه أبي الحسن علي بن أبي عبد الخالق بن أبي البدلاء أبي عبد الله محمد أمغار، مع ما هم عليه من البر والإكرام، وقدره مائة دينار من الذهب رأس كل عام في الحين والوقت من غير تراخ، يؤخذ من مال المخزن وثبت رسمه في الديوان. أنظر: محمد بن عبد العظيم الزموري: بهجة الناظرين وأنس الحاضرين، تحقيق علي الجاوي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدراسات الجامعية العليا، (غير منشورة)، إشراف محمد زنيبر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1985/1986، ص 43-44.

(3) - يمكنني التنبيه إلى عناية بعض أفراد البيت المريني بالتواريخ كذلك، منهم السلطان أبي الحسن المريني، وابنه أبي عنان، وأبي علي منصور بن عمر المريني (ت 725 هـ / 1324 م)، وأبي زكريا يحيى بن عمر المريني (ت بعد: 764 هـ / 1362 م). لمزيد من التفصيل. أنظر: ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 3/ 298، 366. إسماعيل بن الأحمر وآخرون: بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 64.

متكونة من خمسة شخصيات مرينية رفيعة المستوى، من طبقة السلاطين والأمراء، ورد التصريح باهتمامهم بموضوع النسب، على ما أكشف عنه في القائمة الاسمية التالية:

الشخصية	صفته	طبيعة اهتمامه بالنسب	المصدر
أبو مالك عبد الواحد (ت 671 هـ / 1272 م)	أمير	"علما بأنساب بني مرين وغيرهم من قبائل زناتة ذاكرًا لأيامهم وحروبهم".	ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة، ص 122 - 123
أبو يعقوب يوسف (685 - 706 هـ / 1286 - 1307 م)	سلطان	اطلع على شجرة نسب من عمل أبي القاسم الملاح، وأبدى رأيه حولها.	ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 109
أبو سعيد عثمان (710 - 731 هـ / 1310 - 1330 م)	سلطان	اطلع على رأي ابن أبي زرع في النسب وأبدى رأيه حولها	ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 109
أبو الحسن علي (731 - 749 هـ / 1330 - 1348 م)	سلطان	- اطلع على رأي ابن أبي زرع في النسب - على معرفة بموقف السلاطين المرينيين الذين سبقوه حول نسب الجماعات الزناتية - جمعت مباحثات في النسب مع ابن مرزوق الخطيب.	ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 108 - 109
أبو زكريا يحيى بن عمر المريني (ت بعد: 764 هـ / 1362 م) <sup>(1)</sup>	شيخ الغزاة بالأندلس	بجّث عن الأخبار... نسابه بطونهم وشعابهم وعلامة سيرهم وعوايدهم... حافظا للكثير من الحكم والتواريخ	ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 4/ 366.

### ج - مسألة النسب الفاروقي للسلالة الحفصية بافريقية:

وبخصوص السلالة الحفصية المتوجة على هرم السلطة في افريقية، فتعود بأصولها إلى "هنتاتة"<sup>(2)</sup> أحد فروع "مصمودة"، التي ينحدر منها الجد الأعلى للحفصيين الشيخ أبو حفص عمر

(1) - التقى به ابن الخطيب السلماني، ونقل عنه تاريخ مولده بتلمسان، الذي كان سنة 691 هـ / 1291 م. أنظر: الإحاطة، 4/ 370.

(2) - ذكر ابن خلدون، العبر، 6/ 370. حول "هنتاتة"، ودورها في قيام الدولة الموحدية قوله "وهنتاتة هؤلاء من أعظم قبائلهم وأكثرها جمعا وأشدّها قوة، وهم السابقون للقيام بدعوة المهدي والمهدون لأمره وأمر عبد المومن من بعده".

المتاني<sup>(1)</sup>، وقد تمكن هذا الفرع من الانتصاب رسمياً لحكم افريقية بداية من سنة 627 هـ / 1229 م<sup>(2)</sup>، وعلى الرغم من عدم حاجة الأمراء الحفصيين الأوائل لسند ديني يعزز شرعية سلطتهم، المدعومة أصلاً بالموروث الموحد، إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور تيار تاريخي يدفع باتجاه القول بعروبة البيت الحفصي، وربط أصولهم<sup>(3)</sup> بثالث الخلفاء الراشدين أبي حفص عمر بن الخطاب، مستغلين في ذلك توافق اسمه مع اسم الجد الأعلى لهذه الأسرة، الأمر الذي يفسر تلك النعوت الدالة على ذلك الاعتقاد، التي تمّ ترديدها على نطاق واسع في المصادر الإخبارية الموجهة لخدمة البلاط الحفصي، خلال القرنين 8-9 هـ / 14-15 م، على غرار: "فاروقية"<sup>(4)</sup>، و"سلالة الفاروق"<sup>(5)</sup>، و"العمرى"<sup>(6)</sup>، و"الأمراء الراشدين"<sup>(7)</sup>، و"الحفصية العمرية"<sup>(8)</sup>.

(1) - معدود ضمن أهل العشرة المقرّبين من المهدي بن تومرت، وهو عمر بن عبد الله الصنهاجي، سماه ابن تومرت بعمر وكناه أبا حفص، وكان يناديه بـ "المبارك"، كما عرف بين جماعة المصامدة بعدة ألقاب منها: عمر أزناج، وفصكة بن ومزال، أو فاصكات، وعمر اينتي، أو عمر هنتي. حوله أنظر: البيدق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحد، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص ص 31، 37، 50، 59، 65، 67، 68، 82، 83، 84، 85، 88. عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ط3، القاهرة، 1963، ص ص 262، 266، 308، 422، 426. ابن خلدون، العبر، 6 / 303، 304، 370.

(2) - لمعرفة مزيداً من التفصيل حول بدايات الحفصيين، أنظر: روبر بارنشفيك: تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، 1/ 29-53.

- M'Rabet M' hamed Ali, « L'Ifriqiya à l'époque hafside », *Histoire générale de la Tunisie*, ( le moyen-âge ), Sud éditions, Tunis, 2008. 2/ 356-357.

(3) - أرجعت بعض المصادر الإخبارية التي اهتمت بأصول البيت الحفصي، على أنهم من ولد أبي حفص عمر بن يحيى بن محمد بن وأتود بن علي بن أحمد بن وآل بن إدريس بن خالد بن الياسع بن الياس بن عمر بن وافتن بن محمد بن نجيه بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب. لمزيد من التفصيل أنظر: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922، 7 / 377. ابن الشّماع، مصدر سابق، ص 48. الزركشي، مصدر سابق، ص 24.

(4) - القلقشندي، مصدر سابق، 6 / 540. وقد ورد ذكرها في نص المكتبة التي بعث بها ابن الأحمر صاحب غرناطة إلى الأمير الحفصي أبي إسحاق إبراهيم المستنصر (751-770 هـ / 1350-1368 م).

(5) - المصدر نفسه، 6 / 558.

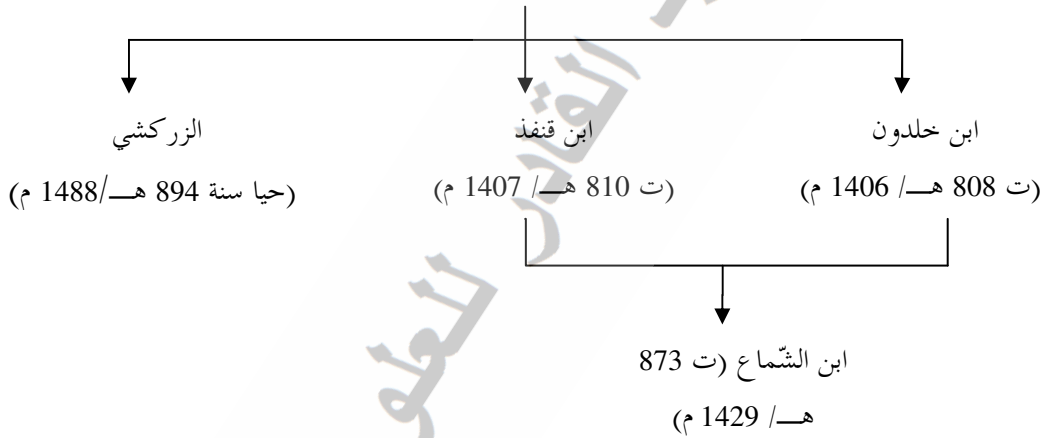
(6) - ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص ص 100، 160.

(7) - المصدر نفسه، ص ص 161، 173، 174، 176، 177، 178، 189.

(8) - المصدر نفسه، ص 199.

يظهر أن الرواية التاريخية المتداولة حول النسب الفاروقي للسلالة الحفصية، تعود في أصلها إلى شجرة النسب التي صنعها الأندلسي ابن نخيل (ت 618 هـ/ 1221 م)، كاتب الأمير الحفصي أبي محمد عبد الواحد (603- 618 هـ/ 1206- 1221 م)<sup>(1)</sup>، الذي تعرض لمحنة شديدة، صودرت على إثرها أمواله، وانتهت بمقتله<sup>(2)</sup>، وتظهر النصوص الإخبارية التي نقلت عنه نسب الحفصيين، إلى رواج شجرة النسب التي وضعها لهذه السلالة، على غرار نقولات ابن قنفذ القسنطيني (ت 810 هـ/ 1407 م)<sup>(3)</sup>، وابن الشّماع (ت 873 هـ/ 1429 م)<sup>(4)</sup>، والزرکشي (حيا سنة: 894 هـ/ 1488 م)<sup>(5)</sup>، وسعيا مني للكشف على طريقة رواج عمود النسب الذي طرحه الكاتب الأندلسي ابن نخيل في المصادر الإخبارية للعهد الحفصي، أنجزت المخطط التوضيحي التالي:

ابن نخيل (ت 618 هـ/ 1221 م)



لا أحتاج هنا إلى كثير من التخمين، حتى أفهم أسباب الانتشار الواسع الذي حققه عمود النسب الذي وضعه ابن نخيل مطلع القرن 7 هـ/ 13 م، واستمرار تداوله إلى نهاية العصر الوسيط، فمن المؤكد أن الانسياق وراء تيار التملق والتقرب من السلاطين الحفصيين، الذي طبع عملية التدوين التاريخي الموجه لخدمة البلاط الحفصي في المرحلة الوسيطة المتأخرة، كان

(1) - تولى ابن نخيل منصب كاتب للأمير أبي محمد عبد الواحد الحفصي سنة 603 هـ/ 1206 م، ويبدو أنه عين بادئ الأمر في ديوان الأعمال، ثم رفع إلى ديوان الرسائل. حوله أنظر: ابن الأبار: أعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشر، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1961، ص 236-237. ابن خلدون، العبر، 6/ 374.

(2) - لمعرفة مزيدا من التفصيل. أنظر: المصدر نفسه، 6/ 377-378.

(3) - الفارسية، ص 105.

(4) - مصدر سابق، ص 52.

(5) - مصدر سابق، ص ص 3، 7، 24.

يقف وراء ذلك بالتأكيد، من خلال محاولة الترويج لأصولهم العمرية القرشية، خصوصا وأنه لا يخفى علينا تلك الأهمية البالغة التي يحظى بها النسب القرشي في شرعية الحكم من المنظور السني على الأقل<sup>(1)</sup>.

وفي سياق البحث عن المهتمين بموضوع النسب، أشير هنا إلى الكاتب عبد الرحمن بن محمد ابن الغازي القسنطيني، وباعتباره أحد متولي وظيفة "كتابة العلامة"، فقد خصص له ابن الأحرر ترجمة مختصرة في "مستودع العلامة"<sup>(2)</sup>، أشاد خلالها بتضلعه في موضوع النسب، وكتب عنه يقول "رب المعرفة بأنسب الأواخر والأوائل"، لكن من دون أن ينسب له عمل في النسب.

### 3. مستوى تداول الأعمال المنجزة في نسب البربر في نهاية المرحلة الوسيطة.

تماشيا وارتفاع العناية بنسب البربر مع صعود الجماعات الزناتية إلى هرم السلطة (المرينية-الزيانية)، كان متوقعا أن يرتفع مستوى تدوين وتداول كتب النسب بين المهتمين بأصول الجماعات البربرية في بلاد المغرب، حيث كشفت المصادر الإخبارية المتأخرة عن تدوين مجموعة منها خلال القرن 8 هـ / 14 م، جرى الاعتماد عليها في تحرير المقاطع المتعلقة بنسب الأسر البربرية الحاكمة، كما تم تداول مجموعة من الأعمال المصنفة ضمن خانة "كتب النسب البربر"، والمنجزة في مراحل مبكرة من الفترة الوسيطة، ومن بين أعمال النسب التي ورد التصريح بها في تلك المرحلة المتأخرة:

- شجرة في النسب، من عمل الغرناطي أبي القاسم الملاحي (ت 619 هـ / 1222 م)<sup>(3)</sup>، له معرفة

<sup>(1)</sup> - لمزيد من التفصيل حول شروط تولي الخلافة، وأهمية النسب القرشي في ذلك. أنظر: الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989، ص 3-29. ابن خلدون، المقدمة، 571-564/2.

<sup>(2)</sup> - مصدر سابق، ص 33-34.

<sup>(3)</sup> - أنظر ترجمته: ابن الأبار، التكملة، 2/ 118-120. الرعيي: برنامج شيوخ الرعيي، تحقيق إبراهيم شوح، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962، ص 64-66. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، تحقيق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1984، 8/ 413-418. ابن الخطيب السلماي، الإحاطة، 3/ 176-177.

"التواريخ والأنساب"، ويعتبر كتابه "أعلام البيرة" <sup>(1)</sup> من أشهر أعماله المتداولة <sup>(2)</sup>، يضاف إليها شجرة النسب التي وضعها تحت عنوان "أنساب الأمم والعرب والعجم" <sup>(3)</sup>، وعلى ما يبدو أن نسخا من هذه الشجرة، كانت معروفة في بلاد المغرب مطلع القرن 8 هـ/ 14 م، فقد صرح ابن عبد الملك المراكشي (ت 703 هـ/ 1303 م) بإطلاقه على نسختين منها بخط الملاحى نفسه، وهي بلا شك أصولا نفيسة تعود إلى منتسحات القرن 7 هـ/ 13 م، لكن يبقى الإشكال مطروحا حول هوية المكان والتاريخ الذي تعرف فيهما ابن عبد الملك المراكشي على النسختين المذكورتين، كذلك أشير إلى إحدى نسخها التي كانت موجودة بمدينة تلمسان في نهاية القرن 7 هـ/ 13 م، ومطلع القرن 8 هـ/ 14 م، وهي النسخة التي عرضت على السلطان المريني أبي يعقوب يوسف زمن حصاره للمدينة (698-706 هـ/ 1298-1307 م)، نعرف ذلك من خلال رواية ابن مرزوق الخطيب <sup>(4)</sup>، التي يفهم منها أنها نسخة أندلسية، من مقتنيات شخص يدعى "المراني" إلى السلطان المريني المذكور آنفا، كما يبدو أن السلطان المريني أبا الحسن كان على معرفة بمحتواها، خصوصا ما تعلق منها بنسب الجماعات الزناتية، ما يعني أننا أمام عملا مهما في أنساب الأمم. بما فيها نسب البربر، كان معروفا في البلاط المريني وحاشيته مطلع القرن 8 هـ/ 14 م.

- **تقييد في النسب**، لأبي علي الملياني (ت 686 هـ/ 1287 م) "الفقيه الكاتب البارع" <sup>(5)</sup>، الذي يرجع بأصوله إلى بلدة مليانة بالمغرب الأوسط، وأحد المقربين للسلطان المريني أبي يوسف يعقوب (656-685 هـ/ 1258-1286 م) <sup>(6)</sup>، أسندت إليه أعمال أغمات وتينمل

<sup>(1)</sup> - نقل عنه ابن الخطيب في الإحاطة، 93/1، 150، 170، 215، 223، 229، 247، 248، 290، 291، 258، 133/2، 282، 285، 389، 3/ 172، 215، 299، 463، 540، 549، 552، 4/ 100، 101، 175، 276، 407، 416. ابن السماك العاملي، مصدر سابق، ص 246.

<sup>(2)</sup> - من أعمال الملاحى، كتاب "لمحات الأنوار وصفحات الأزهار في ثواب القرآن"، وكتاب "استدرك فيه على كتاب الصحابة لابن عبد البر"، وكتاب "الأربعين حديثا"، وبرنامج رواياته. أنظر: ابن الأبار، التكملة، 2/ 118-120.

<sup>(3)</sup> - أشاد ابن عبد الملك المراكشي بشجرة الملاحى قائلا "أبدع في وضعها وأتقن تفريعها واحتفل فيها وأتى منها بغريبة يقر بفضلها وجلالة واضعها أهل ذلك الشأن". أنظر: الذيل والتكملة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1973، 418/6.

<sup>(4)</sup> - المسند الصحيح، ص 109.

<sup>(5)</sup> - ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنينة، ص 14.

<sup>(6)</sup> - نال مكانة رفيعة في البلاط المريني، ولعب دورا مهما في عدد من الأحداث التاريخية، في تلك المرحلة الحساسة. حوله أنظر: ابن خلدون، العبر، 6/ 420-421، 7/ 88-89، 257-258، 305-306، 315.

وجبالها<sup>(1)</sup>، من شيوخه والده أبو العباس أحمد الملياني، أحد أبرز مشيخة مليانة، وقد "انتهت إليه رئاسة الشورى ببلده"<sup>(2)</sup>.

وتظهر بعض النقول التاريخية، أن أبا علي الملياني أنجز تقييدا في نسب بني مرين، يرفعهم إلى العرب القيسية، وهو التيار التاريخي الداعم لسلطة البلاط المريني، أشاد به ابن أبي زرع الفاسي<sup>(3)</sup>، الذي أكد على معانيته لنسخة نفيسة منه مكتوبة بخط المصنف الملياني، وقد اعتبره "من أصح ما ذكر في نسب بني مرين، وبه قال أكثر أهل التاريخ والمعرفة بالأنساب"، كما نجده أحد المصادر التي عوّل عليها صاحب "الحلل الموشية"<sup>(4)</sup>، على أن هذا التقييد معدود ضمن قائمة المؤلفات الضائعة اليوم، والتي لا نملك عنها سوى بعض النصف المتفرقة.

- مجموعة من التعاليق في نسب بني مرين، اطلع عليها ابن مرزوق الخطيب، واستعان بها في التدقيق في نسب المرينيين، حيث صرح بثلاثة منها:

الأول: مؤلف في نسب بني مرين يرفعهم إلى زناتة، لكن إشارة ابن مرزوق الخاطفة إلى هذا التقييد، لا تسمح بتحديد هوية المؤلف، وكل ما أخبر به، أنه وقف عليه في وقت سابق، قبل سنوات تحريره للمسند سنة 771 هـ / 1369 م<sup>(5)</sup>.

الثاني: عبارة عن مجموع في تشعب قبائل بني مرين، كان في حيازة الشيخ أبي مهدي عيسى بن الحسن العسكري<sup>(6)</sup>، أحد مشايخ بني مرين، وصهر السلطان المريني أبي الحسن، وصاحب مجلسه، وصل هذا المجموع إلى يد ابن مرزوق، بواسطة مالكة أبي مهدي العسكري الذي أطلعته عليه، لكن يفهم من تصريح ابن مرزوق<sup>(7)</sup>، أنه لم يكن في حيازته أثناء تأليفه للمسند بمدينة تونس، والمعلومات التي ينقلها عنه هي من حفظه فقط.

(1) - أنظر: ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنينة، ص 86.

(2) - ابن خلدون، العبر، 6/ 420، 7/ 88.

(3) - روض القرطاس، ص 365. الذخيرة السنينة، ص 14.

(4) - مصدر سابق، ص 283.

(5) - ابن مرزوق، المسند، ص 109.

(6) - حوله أنظر: المصدر نفسه، ص ص 109، 370، 371.

(7) - المصدر نفسه، ص 109.



الثالث: مجموعة من التعاليق التي قيدها الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي السلمي، ويفهم من كلام ابن مرزوق، أن هذا الفقيه من المنتظمين في سلك بلاط السلطان أبي الحسن المريني، حيث تولى كتابة العلامة السلطانية عندما كان بتونس، هذه التعاليق ترفع نسب المرينيين إلى الشجرة النبوية<sup>(1)</sup>، وقد اطلع عليها ابن مرزوق أثناء إقامته الأخيرة بمدينة تونس، واستفاد منها في وقت متأخر بعد فراغه من مسنده سنة 772 هـ / 1371 م، ومن المرجح أن يكون هذا الجزء من "المسند"، يقع ضمن التعديلات الأخيرة، التي أدخلها ابن مرزوق على ذلك الفصل.

- إضافة إلى التعاليق والتقايد المدونة في نسب بني مرين، التي اطلع عليها ابن مرزوق الخطيب، يمكنني أن أشير هنا إلى استعانته كذلك برواية "الفقيه القاضي" أبي إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى التسولي التازي (ت 751 هـ / 1350 م)<sup>(2)</sup>، وعلى حسب الإشارات الكثيرة الواردة حوله في "المسند"<sup>(3)</sup>، وصفه: "النسابة"<sup>(4)</sup>، و"حافظ وقته"<sup>(5)</sup>، و"الشيخ الفقيه الإمام القاضي المؤرخ"<sup>(6)</sup>، و"العالم الحافظ التاريخي"<sup>(7)</sup>، و"جمع لذلك حفظ التاريخ المتقدم والقريب العهد والمعرفة بقبائل بني مرين... وأحفظ الناس بتاريخ"<sup>(8)</sup>، وهي أوصاف تؤكد على علو كعب الفقيه التسولي في مجال التاريخ ومعرفته الواسعة بالنسب، وبشكل خاص أصول البربر بما فيها

(1) - هذه التعليق تنسب المرينيين إلى: يعقوب بن عبد الحق بن محبو بن أبي بكر بن حمادة بن محمد بن علي بن تاشفين بن يحيى بن علي بن إبراهيم بن إسماعيل بن عمر بن حسين بن علي بن أبي طالب. أنظر: المصدر نفسه، ص 109-110. وفي وقت لاحق أشار إسماعيل بن الأحمر إلى هذا النسب الذي يرفع نسب السلالة المرينية إلى الشجرة النبوية. أنظر: روضة النسرين، ص 17.

(2) - يرد تاريخ وفاة التسولي في حدود 749 هـ / 1348 م، في الترجمة التي خصصها له أبو الحسن النباهي: حوله أنظر: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص 148. مخالفا بذلك التاريخ الذي ثبته تلميذه ابن مرزوق الخطيب وقد ضبطه بسنة 751 هـ / 1350 م، بينما أشار تلميذه ابن الخطيب السلماي، الإحاطة، 1/ 371. إلى أن وفاة شيخه التسولي كانت بعد سنة 748 هـ / 1347 م.

(3) - من خلال المعلومات الغزيرة التي أوردها ابن مرزوق الخطيب عن شيخه التسولي، يمكن التعرف بشكل أوضح على هذا الشيخ التاريخي النسابة. حوله أنظر: ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 129، 160، 232، 307، 327، 355، 453، 486.

(4) - المصدر نفسه، ص 109.

(5) - المصدر نفسه، ص 117.

(6) - المصدر نفسه، ص 203.

(7) - المصدر نفسه، ص 262.

(8) - المصدر نفسه، ص 262.

الجماعات الزناتية، وقد أهله ذلك في أن يكون أحد أبرز الأسماء التي اعتمد عليها السلطان أبو الحسن المريني، في عملية الجرد الرسمي لأنساب الشرفاء التي كان يجريها، بغية التدقيق في مدعي النسب الشريف بحضرة فاس وكل البلاد<sup>(1)</sup>، وقد أشرت إليها سابقا.

ورغم تأكيدات ابن مرزوق على اهتمامات شيخه التسولي بموضوعي النسب والخبر التاريخي، إلا أن جهود الشيخ التسولي كانت منصبه على المعارف الفقهية دون سواها، كما أن مجلس إقرائه اعتمد فيه على تلقين تلك المواد، استنادا إلى شهادة تلميذه ابن الخطيب السلماني (ت 776 هـ / 1374 م)<sup>(2)</sup>، وحتى تلك المعلومات الجديرة بالاهتمام التي نقلها عنه تلميذه ابن مرزوق في مسنده<sup>(3)</sup>، والمقدرة بنحو أربعة روايات، كانت بطريق المشافهة.

- مؤلفات النسابة البربر: من الجيد هنا، لفت الانتباه إلى أهمية مساهمة الجماعات البربرية في تدوين أنسابهم منذ مراحل مبكرة، حيث جرت أولى محاولات ضبط نسب البربر، قادها بعض فقهاء البربر المتواجدين بالأندلس زمن طارق بن زياد النفزي، وانتهت هذه المحاولة بتدوين كتاب في نسب البربر، معتمدين فيه على آراء شيوخ بربر افريقية في تلك المرحلة المبكرة<sup>(4)</sup>، هذا العمل المهم الضائع، كانت إحدى نسخه معروفة بمراكش في النصف الأول من القرن 8هـ / 14 م، أين اعتمد عليها النسابة ابن عبد الحليم الايلاني<sup>(5)</sup>، وفي وقت لاحق من القرن 4هـ / 10 م، أنجز محمد بن يوسف الوراق (ت 362 هـ / 972 م) كتابا في "أنساب البربر"،

(1) - هذا الجرد الرسمي الذي أشرت إليه في وقت سابق، تمّ بأمر من السلطان المريني أبي الحسن، وكان بسبب شكوى سائس ادعى النسب الشريف، نتيجة المعاملة السيئة التي كان يتلقاها من سيده النصراني، وقد أشرف على هذا الجرد إضافة إلى القاضي المغني التسولي المذكور أعلاه، كذلك حضره قاضي فاس أبي عبد الله بن عبد الرزاق، وكبير الشرفاء النقيب أبي عبد الله بن عمران، ومجموعة من الفقهاء. لمزيد من التفصيل أنظر: المصدر نفسه، ص 147-148. الجزائلي، مصدر سابق، ص 29.

(2) - ذكر ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 1/ 372-373. أن شيخه التسولي اقتصر في مجلسه على تدريس التهذيب ورسالة ابن أبي زيد القيرواني (ت 386 هـ / 996 م)، كما أن أعماله كانت في الفقه، على غرار "تقييد على المدونة"، و"سفر في الأجوبة على المسائل"، وشرحه لرسالة ابن أبي زيد القيرواني.

(3) - مصدر سابق، ص 109، 117، 203، 346.

(4) - استنادا إلى ما صرح به النسابة ابن عبد الحليم الايلاني، مصدر سابق، ص 46. كذلك اعتبر محمد المنوني من أقدم الكتب الموضوعية في نسب البربر. أنظر: محمد المنوني، مصادر العربية لتاريخ المغرب، 1/ 18.

(5) - صرح ابن عبد الحليم بإطلاعه على كتاب لم يذكر فيه اسم مؤلفه، حول نسب "ايلان". المصدر نفسه، ص 46.

كذلك جاءت محاولة عبد الحق بن إبراهيم الصنهاجي، كلاهما من مصادر النسب التي عول عليها أبو بكر البيدق (خلال ق 6 هـ / 12 م)<sup>(1)</sup>، الذي كتب بدوره في أوائل العصر الموحد، كتابا اهتم فيه بأنساب الجماعات المصمودية المتبينة للدعوة الموحدية، وصلتنا إحدى قطعه تحت عنوان "المقتبس من الأنساب في معرفة الأصحاب".

وبتسليط الضوء أكثر على القرون الوسيطة المتأخرة موضوع الدراسة، أجد آراء ابن خلدون التي تضمنها كتابه التاريخي "العبر"، قد حاز فيها على فضل السبق بين المهتمين بنسب البربر، ومن غير المبالغة القول أن إدراكه لأهمية العودة إلى الرواية البربرية "أعمال النسابة البربر"، قد شكّل نقطة فارقة في أهمية آرائه في نسب هذه الجماعات، كما أعطته دفعا قويا في تعميق مباحثاته تلك، متفوقا بذلك على المتقدمين والمتأخرين.

قراءة الفصول الموسعة التي خصصها ابن خلدون، لمناقشة مختلف الآراء التي تشكلت حول أنساب البربر، لعبت فيها الرواية البربرية دورا أساسيا، يأتي هذا في ظلّ تأكيده على عناية الجماعات البربرية بحفظ أنسابهم قائلًا "ومنهم علماء بالنسب والتاريخ"<sup>(2)</sup>، هذه الشهادة التي أدلى بها صاحب "العبر"، لم تنطلق من فراغ، ويكفي هنا دلالة على ذلك، تصريحه بنحو تسعة أسماء تنحدر من أصول بربرية، اشتهرت بمعرفتها الواسعة بالنسب وتاريخ البربر<sup>(3)</sup>، على ما أكشف عنه في القائمة الاسمية التالية:

(1) - أشار إلى هذين الكتابين البيدق (ق 6 هـ / 12 م)، في أثناء حديثه عن أصول جماعات مطماطة وسطفورة. أنظر: المقتبس من الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 14.

(2) - ابن خلدون، العبر، 6/138.

(3) - حول النسابة البربر الذين استفاد منهم ابن خلدون في النسب. أنظر: عثمان الكعاك: البربر، سلسلة كتاب البعث، تونس، 1957، ص 57-63.

الجزء / الصفحة من العبر	وصفه	أصوله	الشخصية
164 / 6	من علماء البربر	مغيلة (مطماطة)	خالد بن خراش <sup>(1)</sup>
117 / 6، 119، 124، 150، 161، 163، 182، 183، 8/7.	- كبير نسابة البربر - سابق وأصحابه	مطماطة	سابق بن سليم بن حرّاث بن مولات بن دويسر المطماطي <sup>(2)</sup>
120 / 6.	نسابة البربر	مطماطة	ابن سابق المطماطي
117 / 6	نسابة البربر	مطماطة	سالم بن سليم المطماطي
117 / 6، 124، 162-163، 8 / 7.	- من مشاهير البربر - من أهل العلم بأنسب البربر	مطماطة	كهلان بن أبي لوا بن يصلاص <sup>(3)</sup>
117 / 6، 124، 166، 8/7، 12.	من مشاهير النسابة	كومية	هانئ بن مصدور بن مريس بن نقوط الكومي الضريسي
8 / 7.	ناسكا عالما بأنسابهم	بني بززال (زناتة)	أبو بكر بن يكنى الأباضي البرزالي <sup>(4)</sup>
124 / 6، 144، 4 / 7.	كبير زناتة	بني بقرن (زناتة)	أيوب بن أبي زيد مخلد بن كيداد اليفرني <sup>(5)</sup>

(1) - يرد عند صاحب مفاخر البربر باسم "خالد بن خراج"، وقد ذكر له كتاب في "تاريخ إفريقية"، ونقل عنه أخبارا عن ثورة أبي قرّة اليفرني بمدينة القيروان سنة 150 هـ / 767 م. أنظر: مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص 141.

(2) - من أعلام البربر الداخلين إلى الأندلس زمن الفتنة البربرية، ونزلوا عند علي عبد الرحمان الناصر بن المنصور بن أبي عامر (374-399 هـ / 984-1008 م). حوله أنظر: ابن خلدون، العبر، 6 / 163. كما أورده النسابة ابن عبد الحلیم الايلاني (ت 726 هـ / 1325 م) ضمن أعلام مطماطة، وورد عمود نسبه على النحو التالي "سابق بن سليمان بن حرّاث بن مولات

بن دوناس بن ونحو بن منسوية بن سيدة بن وريكول المطماطي". أنظر: ابن عبد الحلیم الايلاني، مصدر سابق، ص 50.

(3) - من أعلام البربر الداخلين إلى الأندلس زمن الفتنة البربرية، ونزلوا على عبد الرحمان الناصر بن المنصور بن أبي عامر (374-399 هـ / 984-1008 م). ذكره النسابة ابن عبد الحلیم الايلاني ضمن أعلام قبيلة مطماطة، ونعته بالقول "الشيخ العالم النسابة"، أما عمود نسبه فهو "كهلان بن أبي لوا بن عبد الكافي بن فرناس بن ورين بن نافع بن يصلاسن". حوله أنظر: المصدر نفسه، ص 49.

(4) - ينقل عنه ابن خلدون آراءه في نسب بني بززال بشكل خاص بواسطة ابن حزم، ويبدو أن هذا النسابة كان موجودا بالأندلس أين التقى به ابن حزم، ونقل عنه عمود نسب الجماعات الزناتية، التي ينحدر منها فرع بني بززال، وقال عنه "كان ناسكا عالما بأنسابهم". حوله أنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 498.

(5) - كذلك ينقل عنه ابن خلدون آراءه في نسب الجماعات الزناتية، بواسطة ابن حزم القرطبي، وهو بدوره ينقلها عن محمد بن يوسف الوراق القيرواني (ت 362 هـ / 972 م). المصدر نفسه، ص 495. ويمكن اعتبار رواية أيوب بن أبي يزيد، أحد مصادر الوراق المهمة والمعاصرة لثورة والده أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني (ت 336 هـ / 947 م)، المعروفة تاريخيا بـ "ثورة صاحب الحمار"، التي هزت الوجود الفاطمي في المنطقة، خلال القرن 4 هـ / 10 م. حولها أنظر:

- Le Tourneau. R, "La révolte d'Abu-Yazid au X<sup>e</sup> siècle", *Cahiers de Tunisie*, I, (1953), pp. 103-125.

- إحسان عباس: "مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد"، مجلة الأصالة، 41، (1977)، ص 25-42. فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365 هـ / 909-975 م) التاريخ السياسي والمؤسسات، ترجمة حمادي

إبراهيم بن عبد الله التمرغني	زنادة	نسابة زنادة لعهد	63 / 7.
------------------------------	-------	------------------	---------

بلا شك هذه القائمة الاسمية المثيرة للاهتمام، لتسعة من مشاهير النسابة البربر، تحفي ورائها العناية الكبيرة التي أولتها الجماعات البربرية بحفظ أنسابهم منذ مراحل متقدمة، وقد تعزز وجود هذه الأسماء البربرية التي استند عليها ابن خلدون بمجموعة ثانية أوسع منها، والمتمثلة في مجموعة النسابة البربر الجهولين<sup>(1)</sup>، كما صرح ابن خلدون في بعض المرات باسم القبيل الذي ينحدرون منه، كإشارته لنسابة سدويكش ومؤرخيها<sup>(2)</sup>، ونسابة صنهاجة ومؤرخيها<sup>(3)</sup>، ونسابة هنتاة<sup>(4)</sup>، ونسابة زنادة<sup>(5)</sup>، ونسابة بني يفرن<sup>(6)</sup>، ونسابة بني وامانو وبني يلومي<sup>(7)</sup>، ونسابة بني مرين<sup>(8)</sup>، ونسابة قبيلة بني دمر<sup>(9)</sup>.

وتزداد أهمية رواية ابن خلدون حول أنساب البربر، من خلال استعانه ببعض كتب النسابة البربر، كانت مجموعة منها معروفة خلال القرن 8 هـ / 14 م، فقد أشار صراحة إلى كتب النسب التي وضعها نسابة زنادة<sup>(10)</sup>، وتظهر في قوله "وهو مسطر في كتبهم"<sup>(11)</sup>، و"نقل بعض نسابة البربر في كتبهم"<sup>(12)</sup>، و"نقل بعض نسابة البربر في كتبهم"<sup>(13)</sup>، لكن من دون أن

- الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص ص 246-270، 280-306.
- (1) - وردت الإشارة إليهم تحت صيغة "النسابة البربر" في مواضع كثيرة. حولها أنظر: ابن خلدون، العبر، 6 / 125، 153، 166، 168، 182، 195، 201، 202.
- (2) - أحد الفروع الكتابية. أنظر: المصدر نفسه، 6 / 197.
- (3) - المصدر نفسه، 6 / 197.
- (4) - أحد فروع مضمودة. أنظر: المصدر نفسه، 6 / 303.
- (5) - المصدر نفسه، 6 / 7، 8، 15، 74، 206.
- (6) - أحد فروع زنادة. أنظر: المصدر نفسه، 7 / 15.
- (7) - أحد فروع زنادة. أنظر: المصدر نفسه، 7 / 74.
- (8) - المصدر نفسه، 7 / 221.
- (9) - ذكر ابن خلدون أن ثلاثة بطون متفرعة من "بني دمر" الزناتية، مختصون بنسب قبيلهم وهم: "عرازول"، و"لفورة"، و"زناتين". أنظر: المصدر نفسه، 8 / 7.
- (10) - المصدر نفسه، 7 / 7.
- (11) - المصدر نفسه، 7 / 8.
- (12) - المصدر نفسه، 6 / 202.
- (13) - المصدر نفسه، 6 / 202.

يقدم تفصيلاً دقيقاً حول هوية أصحاب هذه الأعمال التي أشار إليها، باستثناء تسميته لأربعة منها، ثلاثة من إنجاز نسابة مطماطة المنتمين إلى القرن 4 هـ / 10 م، وهم: كتاب سابق بن سليم المطماطي، وسالم بن سليم المطماطي، وكهلان بن أبي لؤي المطماطي، أما العمل الرابع فمن إنجاز النسابة هانئ بن مصدور الكومي.

كما أشار ابن خلدون إلى وجود كتابين من إنجاز النسابة الإخباريين البربر، أحدهما جاء تحت عنوان "كتاب الجوهر" <sup>(1)</sup>، من دون أن يكشف عن هوية مصنفه، وقد وجه إليه نقداً لاذعاً، ورفض مقالته المتعلقة بأصول "برغواطة"، وعلى ما يبدو أن هذا الكتاب يأتي في سياق الأعمال التي دونت في أخبار هذه الجماعة الدينية، وزعيمها المتنبئ صالح بن طريف البرغواطي، التي كانت معروفة خلال القرن 8 هـ / 14 م، على الأقل هذا ما يمكن فهمه من إشارة صاحب "مفاخر البربر" <sup>(2)</sup>، أما العمل الثاني الذي اطلع عليه ابن خلدون، فيعود إلى أحد النسابة البربر المجهولين، وقد انتقد روايته كذلك فيما يخص أصول جماعة "منداس" <sup>(3)</sup>.

في الوقت الحالي، تعتبر هذه الأعمال المهمة ضمن قائمة الكتب المفقودة، التي لا نملك عنها سوى بعض النقول، التي وصلتنا بطريق ابن خلدون، يضاف إليها تلك التي وردت في بعض المصادر الإخبارية للقرن 8 هـ / 14 م، منها ابن أبي زرع الفاسي <sup>(4)</sup>، الذي اعتمد على رواية سابق بن سليم المطماطي، أما معاصره النسابة ابن عبد الحليم الأيلاني (ت 726 هـ / 1325 م)، فينقل عن النسابة هانئ بن مصدور الكومي <sup>(5)</sup>.

يبدو أن بعض أعمال النسابة البربر المذكورين آنفاً، قد بقيت موجود بتلمسان إلى نهاية القرن 12 هـ / 18 م، أين اطلع عليها أبو القاسم الزياني (ت 1249 هـ / 1833 م) <sup>(6)</sup>، حصل

<sup>(1)</sup> - المصدر نفسه، 6 / 280.

<sup>(2)</sup> - جاءت إحالة صاحب مفاخر البربر، ص 139. إلى هذه الأعمال على النحو الآتي "ومن أراد الوقوف على أخبار ملوك برغواطة فليرجع إلى الكتب المصنفة في أخبارهم".

<sup>(3)</sup> - العبر، 6 / 164.

<sup>(4)</sup> - الذخيرة السنينة، ص 18.

<sup>(5)</sup> - مصدر سابق، ص 54.

<sup>(6)</sup> - الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفيلاي، دار النشر للمعرفة، الرباط، 1991، ص

عليها في أثناء إقامته بالمدينة، كما أشار إلى أنها تتضمن نسب البربر وأيامهم في الجاهلية والإسلام، واستنادا إلى شهادته المهمة، فهذه الأخيرة كانت موجودة بمكتبة جامع العباد<sup>(1)</sup>، تحت تصرف خطيب الجامع وفي متناول طلبة تلمسان، وقد صرح في "الترجمانة الكبرى"<sup>(2)</sup> باستعانتها على الأقل بـ "تاريخ سالم بن سليم المظماطي".

ليس من قبيل المبالغة، القول بأهمية آراء ابن خلدون حول نسب البربر، والتي تستند في جزء كبير منها إلى رواية النسابة البربر، الشفوية منها والمكتوبة، وقد أتاح له ذلك مساحة جيدة لانتقاد آراء سابقيه في مواطن كثيرة، على غرار تلك الانتقادات التي وجهها لابن حزم، حول النسب القبلي لسدراتة، ولواتة، ومزاتة، وقد أرجع ذلك الخلط الذي وقع فيه ابن حزم، إلى عدم إطلاعهم على كتب النسابة البربر<sup>(3)</sup>، بل يتحدث بفخر واعتزاز في ختام الفصل الذي خصصه لأنساب الجماعات الزناتية، أن ما قام به في هذا الخصوص، هو عمل مبتكر ولا يوجد في كتاب غيره<sup>(4)</sup>.

عودة إلى بعض المؤلفات الضائعة التي أنجزها النسابة البربر، والمتداولة خلال القرن 8 هـ/ 14 م، على غرار "الفقيه العلامة" محمد بن عبد الله بن أبي المجد المغيلي، الذي وضع كتابا في أنساب البربر وملوكهم، ويرد بمؤلفه هذا إلى عام العشر السبعين وأربعمائة<sup>(5)</sup>، وقد تمّ اعتماد

(1) - أشار الحسن الوزان إلى "العباد"، على أنه مدينة صغيرة، شبه ريبض في جبل مفروش. أنظر: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، 24/2. وقد أجريت حول المكان والمنشآت التي استحدثت به (الرباط- القصر- الجامع- المدرسة- الحمام العمومي- الدور)، مجموعة من الدراسات الأثرية والتاريخية المهمة، أذكر منها:

- Brosselard Cha., «Les inscriptions arabes de Tlemcen», *La Revue africaine*, 14, (1858), pp.81-94  
- Marçais Georges, *Tlemcen ville d'art et d'histoire*, librairie Renourd, H.Laurens, éditeur, Paris, 1950, pp.7- 42.

- وليام وجورج مارسلي: المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، ترجمة مراد بلعيد وعلي محمد بورويبة وفلة عبد مزيام، دار الأصاله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 331- 391. تراث تلمسان المعماري في القرون الوسطى، ترجمة سعيد دحماني، مؤسسة الرجاء للطباعة والنشر، قسنطينة، 2012، ص 200- 251.

(2) - مرجع سابق، ص 58.

(3) - ابن خلدون، العبر، 6/ 152- 153.

(4) - جاء تصريح ابن خلدون على النحو التالي "هذا ملخص الكلام في شعوب زناتة وأنسابهم بما لا يوجد في كتاب والله الهادي إلى مسالك التحقيق ولا رب غيره". أنظر: المصدر نفسه، 9/7.

(5) - حوله أنظر: محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، 1/ 26.

روايته في ثلاث مصادر إخبارية مهمة، تنتمي إلى النصف الأول من القرن 8 هـ / 14 م، حيث أكثر النقل عنه صاحب "مفاخر البربر" <sup>(1)</sup>، والنسابة ابن عبد الحلیم الايلاني <sup>(2)</sup>، وابن عذارى المراكشي (حيا سنة: 712 هـ / 1312 م) <sup>(3)</sup>.

ويعتبر النسابة السالف الذكر، أبا صالح بن عبد الحلیم، نزيل "نفس" <sup>(4)</sup>، الذي يعود بأصوله إلى "ايلانية"، أحد فروع "مصمودة" <sup>(5)</sup>، من أهم الشخصيات المحلية التي اعتنت بتاريخ وأصول البربر، وقد عدّه صاحب "مفاخر البربر" <sup>(6)</sup> في الترجمة المقتضبة التي خصصها له، من علماء البربر البارزين، كما حلاه بالقول "الشيخ الفقيه الصالح العالم التاريخي"، وكتابه في "الأنساب" ضمنه معلومات تاريخية مهمة، تسلط الضوء على عناية الجماعات البربرية المنتمية إلى البلاد المراكشية، بما فيها منطقة "حاحة" بجفظ أنسابهم، وتزداد معلوماته قيمة في اعتماده على الرواية الشفوية، التي تلقاها من بعض معارفه من بربر المنطقة، خصوصا ممن كانت لهم معرفة بالنسب، كتدقيقه في نسب مصمودة، وبطونها المتفرعة عنها على غرار: نسب هسكورة <sup>(7)</sup>، وبني مصطاو <sup>(8)</sup>، ورجراحة <sup>(9)</sup>، وهزميرة <sup>(10)</sup>، وهركاكة <sup>(11)</sup>، وهيلانة <sup>(12)</sup>.

(1) - مصدر سابق، ص ص 140، 145، 150، 172، 180، 187، 195 - 196.

(2) - مصدر سابق، ص ص 45، 48، 52، 61، 68.

(3) - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان، وليفي - بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983، 1/ 65 - 66. وقد نقل عنه أنساب زناتة.

(4) - نفيس الجبل، ونفيس مدينة صغيرة، أحد مجالات بربر مصمودة، الموجود بين بلاد السوس ومدينة أغمات في ست مراحل. حولها أنظر: الإدريسي، مصدر سابق، 1/ 229.

(5) - يطلق عليها "ايلانية"، و"ايلان"، و"هيلانة". أنظر: مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص 172. ابن خلدون، العبر، 6/ 299.

(6) - مصدر سابق، ص ص 171 - 172.

(7) - ابن عبد الحلیم الايلاني، مصدر سابق، ص 55.

(8) - المصدر نفسه، ص ص 55، 56.

(9) - المصدر نفسه، ص 58.

(10) - المصدر نفسه، ص 59.

(11) - المصدر نفسه، ص 59.

(12) - المصدر نفسه، ص ص 60، 61، 62، 67.



ومن الشخصيات التي صرح بهويتها<sup>(1)</sup>، ونقل عنها معلومات في النسب، أكتفي بالإشارة فقط إلى مرويات "الشيخ الفقيه المؤرخ النسابة" أبي عبد الله محمد بن مسعود ويعرف بالشريف مستوطن مراكش<sup>(2)</sup>، ويفهم من إشارات ابن عبد الحليم الايلاني، أن هذا الأخير كانت له معرفة واسعة بأنسب "مصمودة" وبطونها بشكل خاص، وقد كتب إليه بأنسبها، والملفت للانتباه أن هذا "المؤرخ النسابة" الشريف، قد اعتمد في مكاتبه تلك على أحد أقدم كتب النسابة البربر، الذي وضعه فقهاء البربر في مرحلة مبكرة<sup>(3)</sup>، كما اعتمد ابن عبد الحليم على مرويات والده<sup>(4)</sup>، بالإضافة إلى استعانه بمجموعة مهمة من الأعمال الموضوعية في النسب<sup>(5)</sup>.

من خلال هذا العرض المفصل حول مصادر النسابة ابن عبد الحليم الايلاني، التي تكتسي طابعا محليا بامتياز، ومن النادر جدا الحصول عليها مجتمعة في عمل واحد، فليس مبالغا فيه اعتبار آراءه في نسب البربر عامة، ونسب جماعات "مصمودة" التي ينحدر منها بشكل خاص، أحد أهم الآراء التي يمكن التعويل عليها في هذا الشأن، يترجم ذلك اعتماد آرائه من طرف ابن قطره ومعاصره ابن عذارى المراكشي<sup>(6)</sup>، وقد نقل عنه النسب النفزي لطارق بن زياد، كما التقى به صاحب "مفاخر البربر"<sup>(7)</sup> ونقل عنه نسبه الايلاني المصمودي.

(1) - كذلك من مصادره الشفوية في موضوع النسب، فقد صرح بهوية: يحيى بن يلازك بن يليلتن بن تمبلا بن عبد الكريم بن وابوط بن تومرت، وصديقه أبو عثمان سعيد بن يعقوب بن ياسين الرحاجي، كذلك أبو فارس عبد العزيز بن وبين الخير بن يوسف الهزميري. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص ص 55، 58، 59.

(2) - المصدر نفسه، ص ص 60، 61-62.

(3) - يظهر ذلك في التصريح الذي أدلى به النسابة ابن عبد الحليم الايلاني بقوله "كتبت رسالة إلى الفقيه المؤرخ محمد بن مسعود الملقب بالشريف بمراكش فسألته عن أنساب البرابر وما صح فيما أختلف فيه فقال لي: أصح ما رأيت في ذلك ما جمع عن أهل افريقية والذي نقلنا من ذلك الكتاب أهم قالوا:..." المصدر نفسه، 46.

(4) - المصدر نفسه، ص 73.

(5) - إضافة إلى اعتماده على كتاب ابن أبي المجد المغيلي، وكهلان بن أبي لواء، وكتاب فقهاء البربر، الذين ذكروهم سابقا، اعتمد أيضا على كتاب "جمهرة النسب" لابن حزم، وكتاب "الاستيعاب" لابن عبد البر النمري، وكتاب "أعيان القبائل" للرازي. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص ص 46، 53، 70، 85، 97.

(6) - مصدر سابق، 2/5.

(7) - مصدر سابق، ص 172.

من المهم جدا إثارة النقاش، حول طبيعة الإنتاج المعرفي الذي أنجزته الجماعات البربرية في موضوع النسب تحديدا، والكشف على تداول مجموعة منها في المراحل الوسيطة المتأخرة، خصوصا تلك الأعمال المعدودة ضمن قائمة الكتب المفقودة، الأمر الذي يعكس إلى حد كبير ارتفاع مستوى وتيرة الاهتمام بأنساب البربر، يأتي ذلك تماشيا وخصوصية المرحلة، التي عرفت الصعود اللافت للسلاط البربرية، وقد شكّل موضوع البحث في أصولها، أمرا مثيرا للاهتمام، بين فئة المهتمين بالخبر التاريخي الموجه لخدمة البلاط في مغرب ما بعد الموحدين.

## المبحث الثاني: الكتابة التاريخية السلالاتية الموجهة لخدمة البلاط المريني:

لم تكن عملية تدوين الخبر التاريخي في بلاد المغرب، بمعزل عن تلك التطورات المهمة التي شهدتها مغرب ما بعد الموحدين، حيث تعتبر الكتابة التاريخية السلالاتية أحد أبرز إفرزات المرحلة الوسيطة المتأخرة، وذلك لتموضعها في قالب تاريخي يخدم النخب السياسية الحاكمة، لتصبح بذلك الشكل التاريخي الأكثر استقطابا لعدد من المهتمين بالخبر التاريخي، وهو ما أفصحت عنه تلك الأعمال التي أنجزها إخباريو البلاط المريني، أين أولوا عناية كبيرة لتاريخ السلالة المرينية الحاكمة، وعلى هذا يمكن التمييز بين صنفين من التدوين التاريخي، أحدهما اهتم بتدوين تاريخ السلالة المرينية في سياق التاريخ القطري لمدينة فاس، على غرار ما فعله ابن أبي زرع الفاسي في "روض القرطاس"، ومن كتب على منواله، أما الثاني فيعتبر النموذج الأكثر وضوحا، والذي تظهر فيه معالم الكتابة التاريخية السلالاتية بالمعنى الحرفي للكلمة، وقد أنجزت ضمنه مجموعة من الأعمال الإخبارية، منها تلك التي أفردت عملا مستقلا لتاريخ بني مرين، وأخرى اهتمت بتدوين سيرة بعض سلاطينها الأكثر شهرة وتأثيرا، على غرار ما فعله ابن مرزوق في "المسند".

### 1. مدينة المولى إدريس فاس، محور أساسي في الكتابة التاريخية المرينية:

حظيت مدينة فاس بمكانة متميزة على امتداد الفترة الوسيطة، ومنذ تأسيسها من قبل إدريس بن عبد الله في حدود سنة 172 هـ / 789 م، كان للمدينة ذلك الحضور القداسي في ذهنية إنسان المغرب الوسيط، ورغم خسارتها لمركزها السياسي كعاصمة للسلطة القائمة في المغرب الأقصى، بعد سقوط الإمارة الإدريسية، والصعود الالافى لمدينة يوسف بن تاشفين "مراكش" ردحا من الزمن، خلال المرحلتين المرابطية والموحدية، إلا أنها ما لبثت أن استعادت دورها الريادي مرة أخرى، مع وصول الفرع المريني الحاكم إلى هرم السلطة، وفي خطوة مدروسة وواضحة، تكشف على أهمية نقل الحكام الجدد، مركز سلطتهم إلى مدينة فاس العريقة، والتخلي عن مدينة مراكش<sup>(1)</sup>.

(1) - حول تاريخ المدينة في العهد المريني، أنظر: روجي لوتورنو: فاس في العصر المريني، ترجمة نقولا زياد، دط، مؤسسة فراكلين للطباعة والنشر، نيويورك، 1967 م.

- Beck Herman L., *L'image d'Idrīs II, ses descendants de Fās et la politique shāri'fiene des sultans marīnides (656-869/1258-1465)*, Leiden, Brill, 1989.

هذه الدلالة التاريخية البالغة الأهمية، التي اكتسبتها المدينة عبر فترات زمنية متتالية، نسجت حولها مجموعة من الأعمال الإخبارية المهمة، التي جمعت بين تاريخ المدينة وسلالة الأدارسة الأشراف، أشير سريعا إلى مجموعة مهمة منها، كتاب أبي الحسن علي النوفلي<sup>(1)</sup>، الذي يعتبر من أقدم الأعمال التي عنيت بتاريخ الأدارسة، إضافة إلى "كتاب السفارة" لأبي طالب الناسك ابن أحمد بن عيسى<sup>(2)</sup>، و"تاريخ الأدارسة" للفقيه القاضي الفاسي الأصل محمد بن عبد الملك بن الودّون<sup>(3)</sup>، وخلال القرن 6 هـ / 12 م، استمرت العناية بتاريخ المدينة من خلال الكتاب التاريخي الذي أنجزه أبو القاسم بن جنون الموسوم بـ "تاريخ مدينة فاس"، ومعاصره عبد الملك بن موسى الورّاق (حيا سنة 555 هـ / 1160 م)، الذي اشتهر بكتابه الذائع الصيت "المقباس في أخبار المغرب وفاس"<sup>(4)</sup>، يضاف إليهما كتاب "المقتبس" لابن حمادو البرنسي<sup>(5)</sup>، كما ألف ابن غالب كتابا في تاريخ المدينة<sup>(6)</sup>، كذلك لا يفوتني هنا الإشارة إلى أحد الكتب الضائعة المخصصة لتاريخ المدينة من عمل "القونجي"، أشار إليه ابن الخطيب السلماي ضمن لائحة

- Mezzine Mohamed, *Fès médiévale entre légende et l'histoire, un carrefour de l'Orient à l'apogée d'un rêve*, édition autrement, Paris, 1992.

- Khanboubi Ahmed, *Les institutions gouvernementales sous les Mérinides (1258-1465)*, l'harmattan, Paris, 2008.

(1) - أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي، يفهم من النقولات التي وردت عنه، أنه عاش خلال القرن الثالث هجري/ التاسع ميلادي، وقد اعتمد عليه حول دخول المولى إدريس إلى بلاد المغرب وبيعته، منها نقولات البكري، مصدر سابق، 2 / 302-308. مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة وآفاق عربية، بغداد، دت، ص 194-196. كذلك نقل عنه ابن عذارى المراكشي، وابن خلدون.

(2) - حوله أنظر: محمد المنوني: مصادر تاريخ المغرب، 27/1. عبد السلام الجعماطي: "ما فقد من التواريخ الفاسية نحو تأصيل لنشأة التدوين التاريخي بالمغرب الأقصى"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، 72، (2010)، ص 137-138.

(3) - يفهم من الإشارات الواردة عنه، أن ابن الودّون من أهل القرن 4 هـ / 12 م، وهو من بيت بني الودّون، أحد مشاهير البيوتات الفاسية، استنادا إلى صاحب بيوتات فاس الكبرى، ص 36-37. وقد ورد خلالها بعض المعلومات المهمة حول هذه الأسرة الفاسية، كما أشير فيها إلى كتاب ابن الودّون.

(4) - نجد نقولات عنه في مصادر مختلفة منها: صاحب مفاخر البربر، ص ص 127-132، 135، 136، 146. وقد عول عليه ابن عذارى المراكشي، وابن أبي زرع الفاسي، والجزنائي وابن خلدون، ومعاصره ابن الخطيب السلماي، الإحاطة، 1 / 446، 447، 455.

(5) - نجد نقولات كثيرة عنه في مصادر القرن 8 هـ / 14 م، على غرار: ابن عذارى المراكشي، وصاحب مفاخر البربر، ص ص 133، 138، 150، 200. وابن أبي زرع الفاسي، والجزنائي، ويحيى بن خلدون وأخوه صاحب "العبر".

(6) - نجد نقولات عنه في أعمال ابن أبي زرع الفاسي، والجزنائي.

الكتب البلدانية، المنوه بها في ديباجة كتابه "الإحاطة" (1).

وعلى أهمية هذه الأعمال الإخبارية، التي تؤكد على عمق البعد التاريخي للمدينة إلى مرحلتها الموحدية، إلا أنها معدودة ضمن قائمة الكتب المفقودة، التي نجد مقتطفات عنها في المصادر الإخبارية اللاحقة.

أ- ابن أبي زرع الفاسي، مؤرخ البلاط المريني في النصف الأول من القرن 8 هـ / 14 م:

قائمة الأعمال الإخبارية المفقودة، التي تضم التواريخ المخصصة لمدينة فاس، سوف تشكل اللبنة الأساسية لأعمال المرحلة الوسيطة المتأخرة، حيث يعتبر كتاب ابن أبي زرع الفاسي "روض القرطاس"، من أهم الأعمال الإخبارية المنجزة في النصف الأول من القرن 8 هـ / 14 م، والتي مثلت اتجاهها تاريخيا محليا، يجمع بين التاريخ القطري لمدينة الأدارسة فاس، والعناية بتاريخ السلالة المرينية الحاكمة كذلك (2).

وبخصوص هوية مؤلف "روض القرطاس" (3)، فيبدو أن شحّ المادة الخبرية، إضافة إلى الخلط والاضطراب الذي جاء في بعض الروايات التاريخية، منها تلك التي أشار إليها ابن بلدته الجزنائي (4)، وصاحب "بيوتات فاس الكبرى" (5)، هذا الأخير جعل من كتاب "القرطاس" قرطاسان، واحد كبير نسبه لأحمد بن أبي زرع الفاسي (6)، أما الصغير فنسبه لصالح بن عبد الحلیم الايلاني (ت 726 هـ / 1325 م)، الأمر الذي كان له الأثر السلبي في تعميق الغموض حول هوية ابن أبي زرع الفاسي مؤلف الكتاب، خصوصا وأن هذا الخلط قد وصل إلى بعض

(1) - مصدر سابق، 83 / 1.

(2) - تذهب مايا شاترميلر، مرجع سابق، ص 179-188. إلى أنه إذا كان صعود المرينيين إلى الحكم قد شكل حافزا محمدا في نمو وتطور العناية بتاريخ فاس، إلا أنه قد سرع كذلك في تنامي ظاهرتين اجتماعيتين سياسيتين داخل المجتمع الفاسي، أولاهما إحياء التبرك بالمولى إدريس، أما الثاني فهو تبلور الوعي الطبقي عند فئات الوسطى الفاسية.

(3) - حول هوية مؤلف "روض القرطاس"، والخلاف الذي دار حوله. أنظر: المرجع نفسه، ص 30-34. ومقدمة محقق كتاب "روض القرطاس"، المنجزة من طرف عبد الوهاب بن منصور، الذي قدم تفصيلا دقيقا حول هذه المسألة.

(4) - مصدر سابق، ص 24. يرد فيه نسبة الكتاب لعلي بن عبد الله بن أبي زرع.

(5) - مصدر سابق، ص 63.

(6) - يشير إليه صاحب "بيوتات فاس" كمتولي الإمامة والخطابة بجامع القرويين بفاس، كما وصفه بـ "الشيخ الكبير الإمام الخطيب البليغ الواعظ الورع الزاهد الولي الصالح العلامة المدرس المفتي أحمد بن أبي زرع". المصدر نفسه، ص 63.

النسخ الخطية التي وصلتنا من "القرطاس"، منها تلك التي تعود إلى منتسحات القرن 10 هـ / 16م، حيث نجد في ورقة عنوان إحدى نسخ الكتاب منسوبة إلى النسابة صالح بن عبد الحلیم<sup>(1)</sup>، مؤلف كتاب في النسب، الذي أشرت إليه في وقت سابق.

ومع ذلك فبالوسع الحديث عن الأصول العريقة لأسرة ابن أبي زرع الفاسي<sup>(2)</sup>، وتشير المعلومات التاريخية الدقيقة التي تضمنها قرطاسه، أنه كان على معرفة جيدة بمدنيته فاس وجامعها، كما تولى منصب شاهد بسماط العدول<sup>(3)</sup>، عاصر فترة حكم السلطان المريني أبي سعيد عثمان بن يعقوب (710-731 هـ / 1310-1330 م)، الذي خصّه بكتابه "روض القرطاس"، وأعلن صراحة عن ذلك التوجه بقوله "واني لما رأيت مكارم دولته السعيدة أطلها الله وخلدها وأعلا كلمتها وأيدها ... أردت خدمة جمالها والتقرب إلى كمالها والتفياً بضلالها والورود من عذب زلالها بتأليف كتاب جامع للطيف الأخبار ..."<sup>(4)</sup>.

متابعة المسار التاريخي الذي رسمه ابن أبي زرع الفاسي في قرطاسه، يشير إلى وقوفه طويلاً على مناقشة الفصل المتعلق بتاريخ مدينة فاس زمن الأدارسة، وتتبعه للزيادات التي ألحقت بجامعها، وذلك بالاستناد إلى عدد من المعلومات المهمة، التي توفرها المصادر الإخبارية الأولى حول المدينة المفقودة اليوم، ثم يواصل بعدها سرد الوقائع التاريخية والدول التي توالى على حكم المنطقة، من ملوك زناتة "مغراوة، وبني يفرن" إلى ظهور دولتي المرابطين والموحدين،

(1) - منها نسخة المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم (Arabe 1868)، وقع الفراغ من نسخها بتاريخ 971 هـ / 1563 م، بعد إطلاعي عليها جاء في ورقة العنوان الفقرة التالية "كتاب الأئیس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس تأليف الشيخ الجليل المحدث أبي محمد صالح بن عبد الحلیم رحمه الله ورضي الله عنه ونفعنا ببركته وبركة علومه أمين".

(2) - يمكنني هنا أن أشير إلى اثنين من أعلام أسرة ابن أبي زرع الفاسي، أحدهما "الفقيه المحدث" محمد بن أبي زرع، أول من تولى الخطبة بالجامع الكبير بفاس الجديدة سنة 678 هـ / 1279 م، بعد تمام بنائه. حوله أنظر: ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنوية، ص 162. أما الثاني فهو "الشيخ الفقيه الصالح المبارك قارئ الكتاب" أحمد بن أبي زرع الفاسي، معدود ضمن شيوخ وفقهاء مدينة فاس، المشار إليه في الهامش أعلاه. حوله أنظر: ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 92. الجزنائي، مصدر سابق، ص 60. ابن القاضي الكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من أعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، 1/ 61. المقرئ التلمساني، نفح الطيب، 5/ 264 - 265.

(3) - أشار إلى تولى ابن أبي زرع الفاسي هذا المنصب، المحقق عبد الوهاب بن منصور في مقدمة تحقيقه للكتاب، ص 7.

(4) - ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 16-17.

ليتفرغ بعدها للحديث عن تاريخ السلاطين المرينيين، وتمجيد أعمالهم إلى الزمن الذي عاش فيه، خلال سنة 726 هـ / 1325 م<sup>(1)</sup>، متبعا في ترتيب مادته التاريخية حسب الموضوعات، حيث يأتي على ذكر السلاطين، وذكر صفاتهم (الخُلُقِيَّة، الخُلُقِيَّة)، ناهيك عن أصولهم، كذلك تطرق إلى موظفي البلاط من كتاب، ووزراء، وقضاة، أطباء... الخ، ويختتم كلامه بالتطرق إلى مجموعة من الأحداث التاريخية المتفرقة، التي شهدتها الدولة وفق تسلسلها التاريخي، كوفيات بعض الشخصيات، حدوث بعض كوارث طبيعية، وانتشار الأمراض والأوبئة... الخ.

وتكمن أهمية "روض القرطاس"، في كونه كتابا جامعا لتاريخ مدينة فاس، منذ تأسيسها في نهاية القرن 2 هـ / 8 م، إلى بدايات القرن 8 هـ / 14 م، حاول فيه مؤلفه تدوين أبرز المحطات التاريخية التي عرفتها منطقة المغرب الأقصى على امتداد ستة قرون، وقد شرح في ديباجته منهجية تأليفه بقوله "كتاب جامع للطف الأخبار وملح الآداب يحتوي على غرر من التاريخ وعجائبه ونوادر أثر وغرائبه يخبر بنبذ من أخبار ملوك المغرب المتقدمين وأمرائهم الماضين وأمه السالفين وتاريخ أيامهم ... من أول دولة الإمام إدريس بن عبد الله الحسيني إلى هذا الأوان"<sup>(2)</sup>.

محاولة ابن أبي زرع الفاسي استرجاع تاريخ فاس، والبحث عميقا في الماضي البعيد للمدينة منذ عهدها الإسلامية، ومن ثمة إعادة بناء أهم محطاتها التاريخية، في نسق اسطوغرافي متسلسل<sup>(3)</sup>، تطلب منه ضرورة الاستعانة بمصادر إخبارية مهمة ومنوعة في نفس الوقت، وهو الأمر الذي أكد عليه بقوله "فألفت هذا المجموع المقتضب انتقيت جواهره من كتب التاريخ والحفاظ والكتاب وقيدته من الرواة والثقات الأنجاب وحذفت فيه الإسناد خيفة الإكثار والامتداد"<sup>(4)</sup>، وقد صرح بعدد منها، إلا أنه في بعض المرات اقتصر فقط على ذكر صاحب

(1) - أشار إلى هذا التاريخ ابن أبي زرع الفاسي في ثلاث مواضع من قرطاسه. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص 522، 531، 546.

(2) - المصدر نفسه، ص 21، 166.

(3) - تعرضت مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص 29. في بحثها حول الأسلوب وطبيعة التركيب المعتمدة من طرف ابن أبي زرع الفاسي، إلى تميز كتابه "روض قرطاسه" بطابعه المنظم، بحيث أن السرد التاريخي فيه قد بني بشكل ممنهج (Systématique).

(4) - ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 16.

الكتاب مجردا من عنوانه، كاعتماد على كتاب "ابن مزين" <sup>(1)</sup> دون ذكر عنوانه، وأحيانا يكون العكس، حيث يصرح بعنوان الكتاب فقط، وفي مواضع أخرى يستخدم صيغ عامة غير مفصلة كقوله "بعض المؤرخين الذين اعتنوا بتاريخ فاس" <sup>(2)</sup>، "بعض المؤرخين لأيام ابن أبي العافية" <sup>(3)</sup> "بعض مؤرخي الدولة الموحدية" <sup>(4)</sup>، وللوقوف عن كتب على طبيعة مصادره الإخبارية، إليك الجدول التفصيلي التالي:

موضوع النقل	المصدر الذي ينقل منه	حالة المصدر	عدد النقول	الصفحة من القرطاس
أخبار دولة الأدارسة وفاس	الوراق، المقياس	مفقود	03	29، 33، 60.
	ابن حمادة البرنسي، المقتبس	مفقود	4 من أصل 8	29، 34، 46، 61.
	البكري، المسالك والممالك	منشور	02	29، 34.
	ابن غالب، كتاب تاريخي	مفقود	04	36، 46، 50، 59.
	تقييد لعلي بن عمر الأوسي <sup>(5)</sup>	مفقود	01	59.
	تقييد لابن برون الأزدي <sup>(6)</sup>	مفقود	01	75.
	الاستبصار لمؤلف مجهول	منشور	01	54.
	ابن جنون، تاريخ مدينة فاس	مفقود	2 من أصل 6	43، 69.
أخبار ملوك زناتة	ابن الباز، جلاء الأذهان <sup>(7)</sup>	مفقود	01	105.
	ابن الفياض، القبس	مفقود	03	117، 145.
	ابن مزين، كتاب تاريخي	مفقود	01	145.

<sup>(1)</sup> - ينقل عنه ابن أبي زرع الفاسي، خيرا يتعلق بظهور نجم في السماء سنة 380 هـ/ 990 م. أنظر المصدر نفسه، ص 145. وهو كذلك أحد مصادر ابن عذارى المراكشي في بيانه. كما أشار إليه ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر، بيروت، 1997، ص 89.

<sup>(2)</sup> - ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 46.

<sup>(3)</sup> - المصدر نفسه، ص 104.

<sup>(4)</sup> - المصدر نفسه، ص 231.

<sup>(5)</sup> - اطلع ابن أبي زرع الفاسي على نسخة من هذا التقييد، وهو بخط المشرف على مدينة فاس "الشيخ الفقيه" علي بن عمر الأوسي، وهو كذلك ينقل معلوماته من تقييد ثان بخط المشرف على مدينة فاس في أيام الناصر الموحد، الشيخ القويقي.

<sup>(6)</sup> - اطلع ابن أبي زرع الفاسي على هذا التقييد، وهو بخط "الحاج الفقيه الصالح" علي بن محمد بن برون الأزدي.

<sup>(7)</sup> - على حسب الإشارة السريعة التي أوردها ابن أبي زرع الفاسي، أن كتاب "جلاء الأذهان"، تطرق فيه مؤلفه إلى أخبار دولة موسى بن أبي العافية بفاس، ونقل عنه خبر تولي كنون بن محمد بن القاسم بن إدريس رياسة المغرب الأقصى.



	ابن حمادة البرنسي، المقتبس	مفقود	1 من أصل 8	.104
أخبار دولة المرابطين	الملزوزي، نظم السلوك	منشور	1 من أصل 6	.152
	الهمداني، الإكليل	منشور/مخطوط	01	.151
	ابن جنون، تاريخ مدينة فاس	مفقود	1 من أصل 6	.210
أخبار دولة الموحدين	ابن جنون، تاريخ مدينة فاس	مفقود	3 من أصل 6	.74، 69، 34
	الملزوزي، نظم	منشور	1 من أصل 6	.322
	ابن حمادة البرنسي، المقتبس	مفقود	3 من أصل 8	.259، 242، 232
	ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة	منشور	05	.252، 240، 236، 232، 266
	ابن رشيق، ميزان العمل	مفقود	02	.330، 232
	ابن الخشاب، كتاب تاريخي	مفقود	03	.273، 266، 232
	المطرب في ملوك المغرب <sup>(1)</sup>	مفقود	01	.235
	ابن مطروح القيسي <sup>(2)</sup>	مفقود	05	.256، 241، 218- 217، 283، 273
	ابن عمر، كتاب تاريخي <sup>(3)</sup>	مفقود	01	.273
	تاريخ المرينيين	الملياني، تقييد في النسب	مفقود	01
الملزوزي، نظم		منشور	4 من أصل 6	.391، 46، 367، 370

(1) - لا يذكر ابن أبي زرع الفاسي هوية صاحب هذا الكتاب، الذي يبدو أنه يعالج تاريخ الموحدين، وهنا أنه على أن هناك عدد من المؤلفات التاريخية، التي تحمل عناوين متشابهة مع هذا العنوان، على غرار الكتاب التاريخي الذي ألفه الفقيه أبو التقي طاهر بن عبد الرحمن ووصل به كتاب ابن علقمة (ت 509 هـ / 1115 م) تحت عنوان "المغرب في أخبار المغرب"، وحسب رواية صاحب مفاخر الربير، ص ص 197، 207. فقد اقتصر فيه مؤلفه على تاريخ الموحدين، من بدايتهم إلى نهاية الخليفة الموحد الرشيد عبد الواحد بن إدريس (ت 640 هـ / 1242 م).

(2) - لا يذكر ابن أبي زرع الفاسي عنوان الكتاب التاريخي المنسوب لابن مطروح، ويبدو أنه من المؤلفات التاريخية التي اهتمت بتاريخ دولة الموحدين.

(3) - اشبيلي الأصل من أعلام صدر المائة السابعة، وعلى ما يفهم من التراجم التي نقلها عنه ابن سعيد المغربي (ت 685 هـ / 1286 م). حول تلك النقول. أنظر: ابن سعيد المغربي: الغصون الياض في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر، 1967، ص ص 39، 43، 69، 91، 98. ويفهم من كلام ابن أبي زرع الفاسي، أن المصنف ابن عمر قد تولى منصب القضاء، وله كتاب تاريخي في دولة الموحدية أشار إليه بـ "تاريخ ابن عمر"، كما أشار إليه صاحب مفاخر الربير، ص 207. الذي أشاد به، واعتبره من أبرز المؤلفات التي أرخت لدولة الموحدين، كذلك نقل عنه ابن عذاري المراكشي.

تراجم الزهاد	ابن الزيات التادلي، التشوف	منشور	2	214، 42.
--------------	----------------------------	-------	---	----------

من خلال الجدول أعلاه، يظهر أمامنا قائمة متكونة من نحو 21 كتابا تاريخيا، استعان بها ابن أبي زرع الفاسي في تحرير فصول قرطاسه، منها كتاب "الإكليل في أخبار اليمن وأنساب حمير"<sup>(1)</sup> لمحمد بن الحسن الهمداني اليمني (ت بعد: 336 هـ / 947 م)، وقد استفاد منه في الأصول الحميرية للجماعات الصنهاجية، لكن الملفت للانتباه أكثر في القائمة أعلاه، العدد المرتفع من المؤلفات الإخبارية المدرجة ضمن قائمة الكتب الضائعة، والتي كانت موجودة على الأقل في النصف الأول من القرن 8 هـ / 14 م، وقد بلغ عددها نحو 16 عملا، منها 7 أعمال ضائعة في تاريخ الموحدين<sup>(2)</sup>، وهي النسبة الأعلى بين مجموع المؤلفات المفقودة التي عوّل عليها ابن أبي زرع.

الاعتماد الكبير لابن أبي زرع على أعمال المرحلة الموحدية، وهي المرحلة الأقرب إليه زمنيا، سمح له ذلك في إمكانية إطلاعه بشكل خاص على كتاب "المقتبس" لابن حمادو البرنسي، و"تاريخ مدينة فاس" لابن جنون، والاستفادة منهما بشكل واسع في تغطية تاريخ مدينة فاس، لمدة تناهز خمسة قرون من الزمن، منذ تأسيسها في النصف الثاني من القرن الثاني هجري/ الثامن ميلادي، وصولا إلى مرحلتها الموحدية.

وبخصوص الفصل الأخير المخصص للسلالة المرينية الحاكمة، من بداية ظهورهم على مسرح الأحداث التاريخية سنة 610 هـ / 1213 م، إلى سنة 726 هـ / 1325 م، ولمدة تزيد عن قرن من الزمن، عوّل خلالها ابن أبي زرع على الأخبار التي أوردتها المزوزي في نظمه التاريخي الذائع الصيت، كما احتلت الرواية الشفوية مكانة ممتازة في هذه المرحلة، التي كان فيها شاهد عيان، وتشمل بشكل أساسي فترة حكم السلطان المريني أبي سعيد عثمان (710-731 هـ /

(1) - تحقيق محمد بن علي بن الحسين بن الأكوخ الحوالي، ط2، وزارة الثقافة والسياحة، اليمن، 2004 م، 10 مج.

(2) - من أعمال المرحلة الموحدية المفقودة، التي أحال إليها ابن أبي زرع الفاسي، النظم التاريخي للحسن بن عبد الله بن الحسن بن الأشيري (ت 569 هـ / 1173 م)، تحت عنوان "نظم الآلي في فتوح الأمر العالي" في التاريخ الموحد، وقد أورد له ابن أبي زرع الفاسي مقطعا من قصيدته في بيعة عبد المومن بن علي الكومي. أنظر: ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 238. وهو كذلك أحد المصادر التي اعتمد عليها ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق (قسم الموحدين)، ص 17، 21، 22، 28، 3/1.

1310-1330 م)، الذي كتب برسمه قرطاسه، ويظهر ذلك في استخدامه لعدة صيغ دالة على ذلك منها: "الآن" حوالي 13 مرة<sup>(1)</sup>، وكلمة "إلى اليوم"<sup>(2)</sup> ثلاث مرات على الأقل، إضافة إلى قوله "في وقتنا هذا"<sup>(3)</sup>، أما التعويل على رواية بعض الشخصيات المعاصرة له فهي قليلة جدا، كتصريحه باستعانته برواية اثنين من معاصريه، ينحدران من بيت بني الودون الفاسية، هما القاضي الفقيه عبد الله بن الودون، وأخوه الفقيه يوسف بن الودون<sup>(4)</sup>، كما أشار بصيغة العموم إلى استعانته برواية من يثق به من أهل التاريخ<sup>(5)</sup>.

حقق كتاب "روض القرطاس" انتشارا واسعا في وسط المهتمين بالخبر التاريخي خلال القرن 8 هـ / 14 م، فهو أحد المصادر المهمة لابن بلدته الجزنائي (حيا سنة: 766 هـ / 1364 م)، كما أشار إليه كل من ابن الخطيب السلماي<sup>(6)</sup>، وابن مرزوق الخطيب (ت 781 هـ / 1379 م)، وابن الأحمر (ت 807 هـ / 1404 م)<sup>(7)</sup>، وابن خلدون (ت 808 هـ / 1406 م)<sup>(8)</sup>، ومن غير المستبعد أن يكون وجود نسخته المرفوعة للسلطان المريني أبي سعيد بجزانة البلاط، قد ساهم في الترويج لهذا الأخير، وإمكانية الوصول إليه، والاستفادة منه أيضا، خصوصا وأن معظم النقول التي وصلتنا اليوم، قد صدرت من فئة المحسوبين على حاشية البلاط المريني، على الأقل هذا ما يفهم من تصريح ابن مرزوق الخطيب في مسنده، حول إحدى مباحثاته التاريخية التي كان يجربها مع سلطانه أبي الحسن المريني، حيث كتب يقول "وقرأت بين يدي المولى المرحوم ما كتبه ابن أبي زرع..."<sup>(9)</sup>، كذلك عرفت نسخ الكتاب انتشارا واسعا

(1) - المصدر نفسه، ص ص 70، 74، 76، 79، 80، 81، 89، 95، 141، 175، 247، 527، 530.

(2) - المصدر نفسه، ص ص 169، 262.

(3) - المصدر نفسه، ص 522.

(4) - المصدر نفسه، ص 375.

(5) - المصدر نفسه، ص 370.

(6) - الإحاطة، 1/ 83.

(7) - أشار إليه ابن الأحمر في معرض حديثه عن نسب شيخه، الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد الفشتالي، وعقب على ذلك قائلا "وذكر فيهم ابن أبي زرع في تاريخه أنهم فرع من صنهاجة من حمير عرب الأصل". أنظر: نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987، ص 359.

(8) - العبر، 20/4. 241/6 - 242.

(9) - المسند الصحيح، ص 108 - 109.

في نهاية المرحلة الوسيطة، وقد وصلتنا بعض نسخه اليوم<sup>(1)</sup>، منها تلك التي تعود إلى منتسحات القرن 8 هـ / 14 م<sup>(2)</sup>.

لقد استطاع ابن أبي زرع الفاسي، أن يحقق الاستمرارية والانتشار لقرطاسه<sup>(3)</sup>، واعتبر مشروعه التاريخي الذي قاده إلى استعادة ذاكرة مدينة فاس، منذ عهدها الإسلامية، وصولاً إلى الزمن المريني الأول، من أبرز الأعمال الإخبارية المعول عليها في كتابة تاريخ مغرب العصر الوسيط، كما أنجز كتاباً آخر في تاريخ السلالة المرينية، تحت عنوان "الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية"، رفعه للسلطان المريني أبي سعيد<sup>(4)</sup>، ويمكن اعتباره مختصراً للقرطاس، كذلك أنجز عملاً تاريخياً ثالثاً، جاء تحت عنوان "أزهار البستان في أخبار الزمان وذكر الموجود مما وقع في الوجود"، معدود ضمن قائمة المؤلفات الضائعة، وعلى ما يبدو من خلال مراجعتي للإشارتين المذكورتين حوله في "القرطاس"<sup>(5)</sup>، أنه أكبر حجماً منه<sup>(6)</sup>، كما تم تأليفه في وقت سابق عن كتابته للقرطاس، وقد فصل في القول حول تاريخ المغرب الأقصى، وذكر مدنه، منها طنجة وتاريخ تأسيسها، كذلك أخبار "برغواطة" وملوكهم.

(1) - توجد الكثير من نسخ "روض القرطاس"، موزعة على العديد من المكتبات العالمية منها: النسخ المحفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس تحت الأرقام التالية: (Arabe 1868)، (Arabe 1870)، (Arabe 1869). كذلك نسخ المكتبة الوطنية بالرباط تحتفظ بمجموعة من النسخ تحمل الأرقام التالية: (D 1)، (D 588)، (D 1481)، (D 798)، (D 773 b). كما تحتفظ المكتبة الوطنية بالجزائر بنسختين ناقصتين منه في مجموع: النسخة الأولى تحت رقم: (1615 - 1071)، (1616 - 1225 - 782 f)، كما تحتفظ مكتبة دير الأسكوريال بنسخة منه تحت رقم: (1711 = 1706 كسيرى)، وبمكتبة جامعة ليون نسختين من الكتاب تحت رقم: (17 or)، (6873 or).

(2) - استناداً إلى ما ذكره عبد الوهاب بن منصور في مقدمة تحقيقه للكتاب، الذي أكد على وجود مجموعة من النسخ الخطية لروض القرطاس المنسوخة بداية من القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي، منها النسخة العتيقة المحفوظة بمكتبة أكسفورد بإنجلترا.

(3) - أنه هنا، على أن محمد أبي راس العسكري (ت 1239 هـ / 1823 م)، أنجز ذيلاً على "روض القرطاس"، وقد أشار إليه عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات، مراجعة إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، 1/ 150.

(4) - أنظر: ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية، ص 11 - 12.

(5) - المصدر نفسه، ص 21، 166.

(6) - نعتة ابن أبي زرع الفاسي بقوله "كتابنا الكبير". أنظر: روض القرطاس، ص 21.

وهنا أقف عند حدود مسألة دقيقة، تكمن في معرفة حقيقة غياب إشارات حول كتاب "أزهار البستان" في المصادر الإخبارية اللاحقة، بل يكاد يكون تصريح مؤلفه ابن أبي زرع، الدليل الوحيد الذي يؤكد على وجوده ضمن قائمة أعماله الإخبارية المفقودة، باستثناء ما ورد عند صاحب "بيوتات فاس الكبرى" <sup>(1)</sup>، وفي ظل هذا الشحّ في المادة الخبرية المتوفرة حوله في الوقت الحالي، فهي بالتأكيد لا تسمح لي بالذهاب بعيدا في مناقشة هذه المسألة الحساسة، والبحث عن الأسباب الحقيقية التي تقف وراء محدودية تداوله، وانتشار نسخه بين المهتمين بالخبر التاريخي في نهاية العصر الوسيط، على الأقل مقارنة بـ "القرطاس"، وأقصى ما يمكنني قوله حاليا، أن حجمه الكبير ربما ساهم إلى حد ما في محدودية تداول نسخه على نطاق واسع بعيد صدوره زمن المصنف.

وفي سياق بحثي عن أهم الأعمال الإخبارية الموجهة لخدمة البلاط المريني، التي تعود إلى النصف الأول من القرن 8 هـ / 14 م، أشير إلى الكتاب الذي أنجزه "الزليحي"، وهو أحد المصادر الإخبارية التي انفرد بها صاحب "العبر"، ويفهم من نعتة له بـ "مؤرخ دولتهم" <sup>(2)</sup>، أن "الزليحي" كتب تاريخا لصالح السلالة المرينية الحاكمة، وقد نقل عنه خبرا يتعلق بفرار الأمير المريني أبي عامر بن أبي يعقوب يوسف (ت 698 هـ / 1298 م) إلى جبال غمارة ببلاد الريف سنة 694 هـ / 1294 م، كذلك أشار إليه السخاوي (ت 902 هـ / 1496 م) <sup>(3)</sup>، ضمن قائمة الكتب المخصصة لمدينة فاس، واستنادا إلى هذه الإشارات التاريخية الشحيحة، يمكنني القول أن "الزليحي" كتب تاريخا ضائعا حول مدينة فاس، والسلالة المرينية التي خدمها، على غرار ما فعله معاصره ابن أبي زرع الفاسي، وكانت الأخبار التاريخية المتعلقة ببدايات المرينيين ضمن محتوياته الأساسية.

ب- سيطرة عناصر فاعلة في البلاط المريني، يلقي بضلاله على طبيعة التدوين التاريخي:

بداية من النصف الثاني من القرن 8 هـ / 14 م، عرفت مؤسسات البلاط المريني تغيرات

<sup>(1)</sup> - وقع الخلط في رواية صاحب بيوتات فاس الكبرى، ص ص 29، 63. الذي نسب كتاب "أزهار البستان" للنسابة ابن عبد الحليم الايلاني، كما فعل مع كتاب "روض القرطاس".

<sup>(2)</sup> - ابن خلدون، العبر، 7/ 289.

<sup>(3)</sup> - الإعلان بالتوبيخ ص 256.

مفصلية وحرحة للغاية، فبعدها كانت السلطة المطلقة والفعالية في الدولة بيد السلاطين المرينيين، وقد تظهرت تلك السيطرة بشكل كبير زمن السلطان أبي الحسن المريني، وابنه من بعده السلطان أبو عنان، إلا أن الفترة التي أعقبت وفاة هذا الأخير، عكست بحق وجهها مغايرا لمؤسسات البلاط المريني، حيث تقلصت سلطة السلاطين لتصبح مجرد حكم صوري، قد لا تتعدى في بعض الأحيان حدود المحافظة على مظاهر العرش، وبالموازاة مع ذلك التراخي وحالة الانكماش في جهاز السلطة المرينية، توسعت نفوذ حاشية البلاط، وأصبح الوزير صاحب السلطة الفعلية، لتدخل بذلك السلطة المرينية في مرحلة التفتت والتفكك<sup>(1)</sup>، وما رافقها من صراعات، ومنافسة شرسة على العرش، وبلا شك فقد ساهم ذلك وبشكل كبير في إضعاف السلطنة وأدخلها في مرحلة جد حرجة.

هذا التحول الكبير الذي عرفه جهاز السلطة المرينية، كان له أثره الواضح على مسار التدوين التاريخي المرتبط بالبلاط، فبعد قيام ابن أبي زرع الفاسي بتدوين أعماله التاريخية برسم سلطانه أبي سعيد في النصف الأول من القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي، الذي يأتي تماشيا ومتطلبات المرحلة، التي عرفت تركز جهاز الحكم بيد السلطان بشكل مطلق، كان الأمر على خلافه مع ابن بلدته أبي الحسن علي الجزنائي، فقد ألف كتابه في تاريخ مدينة فاس، الموسوم بـ "جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس"، في حدود سنة 766 هـ/ 1364 م<sup>(2)</sup>، لكنه لم يُخصصه لسلطان وقته، أعني به السلطان المريني المتوكل على الله أبا زيان محمد (763-767 هـ/ 1361-1366 م)<sup>(3)</sup>، بل كتبه برسم الوزير أبي علي عمر الياباني (ت 768 هـ

(1) - تطرق محمد القبلي إلى هذه المرحلة الحساسة في التاريخ المريني، والتي حددها بداية من سنة 758 هـ/ 1356 م، إلى سنة 869 هـ/ 1367 م. لمزيد من التفصيل أنظر:

Kably Mohamed, *op. cit.* pp. 199-218.

(2) - أشار الجزنائي، مصدر سابق، ص 65. إلى هذا التاريخ كآخر الأحداث التي تطرق إليها في كتابه.

(3) - تحدث ابن خلدون، العبر، 7/ 428. عن ضعف شخصية السلطان المريني المتوكل على الله أبا زيان محمد، واستبداد وزيره الياباني بالسلطة في قوله "كان شأن الوزير في الاستبداد على سلطانه هذا عجبا حتى بلغ مبلغ الحجر عليه من الصبيان وكان جعل عليه العيون من الرقباء حتى من حرمه وأهل بيته...". أما ابن الأحمر، روضة النسرين، ص 43. الذي أكد على رؤيته لهذا السلطان، فقد اكتفى فقط بذكر وزيره عمر الياباني ضمن لائحة حاشية البلاط، دون الإشارة إلى طبيعة العلاقة التي جمعتها بسلطانه المتوكل على الله.

1367م<sup>(1)</sup>، وكشف عن نواياه تلك في ديباجة الكتاب<sup>(2)</sup>.

إن مجموعة من المعطيات التي توفرها النصوص الإخبارية المحلية، المتعلقة بسيرة الوزير الميرني أبي علي عمر اليباني، تجمع على أنه من صناع القرار في البلاط الميرني، سليل أسرة معروفة بالجاه والسلطة، فقد تولى والده الوزير أبو محمد عبد الله بن علي بن سعيد اليباني (ت 760 هـ / 1358 م)<sup>(3)</sup>، منصب الوزارة زمن السلطان الميرني أبي عنان، وفي هذا الاتجاه كشف صاحب "العبر" عن الدور الكبير الذي لعبه ابنه الوزير أبو علي في البلاط الميرني، بداية من سنة 762 هـ / 1360 م، إلى غاية مقتله وتثقيف أسرته سنة 768 هـ / 1367 م، فقد كان خلال تلك المدة، يولي ويعزل سلاطين العرش الميرني كيفما شاء، وعلى ذلك استحق لقب "المستبد على الملوك" عند ابن خلدون<sup>(4)</sup>.

انطلاقاً من هذه المؤشرات التاريخية المهمة، التي تؤكد على بروز شخصيات نافذة في عرش الميرنيين بداية من النصف الثاني للقرن 8 هـ / 14 م، ليس صعباً علي الآن فهم الظروف التاريخية التي أُلّف فيها الجزنائي كتابه، والدوافع الفعلية التي أدت به إلى إهدائه للوزير أبي علي عمر اليباني، المستبد على حكام البلاط الميرني، الأمر الذي أجد له تفسيراً مقنعاً في تكريس الجزنائي، وحشده لمجموعة من عبارات المدح والثناء لصالح هذا الوزير<sup>(5)</sup>.

(1) - تولى الوزير أبو علي عمر منصب الحجابة زمن السلطان الميرني أبي عنان، كما تولى الأمانة على دار الملك، وارتفعت مكانته زمن السلطان الميرني أبي سالم إبراهيم (760 - 762 هـ / 1359 - 1361 م)، إلا أنه تعرض لحن عديدة في تلك الأثناء، أين لجأ إلى وساطة ابن مرزوق الخطيب، بعدها استبد بمنصب الوزارة لثلاثة سلاطين ميرنيين، وهم على التوالي: السلطان أبو عمر تاشفين الموسوس بن أبي الحسن (762 - 763 هـ / 1360 - 1361 م)، ثم السلطان أبو زيان محمد بن أبي عبد الرحمن (763 - 767 هـ / 1361 - 1366 م)، ثم السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن (767 - 774 هـ / 1366 - 1372 م)، هذا الأخير وبعد اعتقاله العرش أمر بقتل وزيره عمر بن عبد الله، كما لحق القتل بأفراد أسرته في منتصف ذي القعدة سنة 768 هـ / 12 جويلية 1367 م. لمزيد من أنظر: ابن خلدون، العبر، 7/ 415-429. ابن الأحرر، روضة النسرين، ص ص 39، 42، 43، 44.

(2) - الجزنائي، مصدر سابق، ص 1-3.

(3) - حوله أنظر: ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 366. ابن خلدون، العبر، 7/ 414، ابن الأحرر، روضة النسرين، ص 39.

(4) - العبر، 6/ 365. 7/ 428، 429.

(5) - حلاه في ديباجة الكتاب بقوله "ومدّ الله أيام هذه الوزارة السنوية العمرية ما تكررت السنون والأحقاب... سيدنا الوزير السعيد الميمون الموفق السديد المبارك الحميد الأعظم الأكرم الأثير الأفضم الأسعد الأضخم الفارس البطل الشجاع البطل الأحما الهمام الطاهر الأسمى...". أنظر: الجزنائي، مصدر سابق، ص 1.

وبخصوص هوية الجزنائي، فإن المعلومات في شأنه شحيحة ومقتضبة جدا، وكل ما نعرفه عنه، أنه ينحدر من "جزنائة" البربرية، إحدى قبائل الريف الغربي<sup>(1)</sup>، والتي ينسب إليها عدد من الشخصيات البارزة<sup>(2)</sup>، أخص بالذكر منهم معاصره أبا العباس أحمد بن شعيب الجزنائي (ت 749 هـ / 1348 م)<sup>(3)</sup> أحد شيوخ ابن خلدون، الذي وصفه بكونه "عالما بالحساب حافظا للأنساب"<sup>(4)</sup>، ومن خلال بعض الإشارات الواردة في "جنى زهرة الآس"، تؤكد لدينا علاقة الجزنائي الوطيدة بالوسط العلمي في الحاضرة المرينية الأولى فاس<sup>(5)</sup>، ونظمه لبعض الأبيات الشعرية<sup>(6)</sup>، يضاف إليها معرفته الجيدة بجامعها، الذي خصص له حيزا كبيرا في تأليفه، هذا وقد تناول الجزنائي محورين مهمين في مختصره التاريخي، أولهما خصصه لتاريخ تأسيس مدينة فاس زمن الأدارسة، أما الثاني فتطرق فيه إلى سورها وجامعيها العتيقين، والزيادات التي أضيفت إليهما، كما ذكر بعض الدور والأرحية والحمامات، وقد فضل أن يحشد في صدارة كتابه، مجموعة من الأحاديث النبوية، والأقوال الواردة في فضل المغرب وأهله، جريا على عادة بعض الكتب الإخبارية المحلية، في محاولة لإعطاء المدينة المغربية هويتها الدينية.

وللوهلة الأولى، قراءة كتاب "جنى زهرة الآس"، تجعلنا نعتقد أنه عبارة عن مختصر عن

(1) - حولها أنظر: ابن الخطيب، الإحاطة، 1/ 272.

(2) - كذلك من الشخصيات التي تنسب لهذه القبيلة أذكر، القائد إبراهيم بن المليح الجزنائي، الذي استولى على مدينة فاس سنة 459 هـ / 1066 م، كذلك شخصية يوسف الجزنائي (ت 413 هـ / 1022 م) صاحب مكناسة. حولهما أنظر: ابن عداري المراكشي: مصدر سابق، 1/ 255. كذلك الفقيه عمر بن عبد الرحمن بن يوسف (حيا سنة: 911 هـ / 1505 م). حوله أنظر: أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 307.

(3) - حوله أنظر: ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 1/ 272 - 277. ابن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح، ص 375. ابن خلدون، الرحلة، ص 59 - 60. أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 92.

(4) - انفرد ابن الأحمر، نثر الجمان، ص 255. بالإشارة إلى معرفته بالنسب.

(5) - ذكر الجزنائي، مصدر سابق، ص 49 - 52. نحو ستة أسماء لشخصيات علمية من طبقة الفقهاء والشعراء... جمعته بهم علاقة صداقة، جاء ذلك في أثناء حديثه عن الأشعار التي نظمت في السيف الذي بمنار جامع القرويين، وهم: محمد الماحري، ومنديل بن أجروم محمد، والفقيه عبد الغفار، والفقيه أبو الفضل بن باشر، وصاحبه العددي ابن الحباك محمد بن علي الفخار، والفقيه محمد بن عبد الرحمن، كذلك ورد ذكرهم عند ابن الأحمر، نثر الجمان، ص 452 - 461.

(6) - ذكر الجزنائي، مصدر سابق، ص 50، 98. أربعة أبيات شعرية فقط من نظمه، منها: بيتان حول سيف الإمام إدريس.



## الفصل الأول ————— (الوسط التاريخي والبلاط)

"قرطاس" ابن أبي زرع الفاسي، خصوصا وأن الجزنائي قد أكثر النقل عنه في مواضع كثيرة<sup>(1)</sup>، ومع ذلك يبقى هذا المختصر التاريخي يحتفظ بأهميته، خاصة تلك الأخبار التي جاءت بعد توقف أخبار ابن أبي زرع، بما فيها تلك التي كان فيها الجزنائي شاهد عيان، وتشمل تحديدا قسما من أخبار النصف الثاني للقرن 8 هـ / 14 م، وتوضيحا لذلك، إليك الجدول التوضيحي التالي، الذي حاولت من خلاله الكشف عن بعض الأخبار التي أوردها الجزنائي كتتمة لأخبار ابن أبي زرع.

الصفحة	فترة السلطان المريني	تاريخه	مضمون الخبر
34	أبو سعيد عثمان (710 - 731 هـ / 1310 - 1330 م)	غير محدد	الشروع في بناء دار منتزه للسلطان قرب نهر الجوهري بفاس
41	//	غير محدد	تجديد بناء قنطرة أبي طوبة على نهر فاس
29	أبو الحسن علي (731 - 749 هـ / 1330 - 1348 م)	غير محدد	جرد سلطاني بأسماء شرفاء المغرب
38 - 37	//	غير محدد	وصول بيلة من الرخام الأبيض من المرية إلى فاس <sup>(2)</sup>
75	//	غير محدد	العزم على بناء مقصورة جديدة بجامع القصبية
76 - 75	//	غير محدد	تعليق ناقوس كبير
76	//	737 هـ / 1336 م	استحداث قبة من الجبس علق فيها الناقوس الكبير
52 - 51	أبو عنان (749 - 759 هـ / 1348 - 1357 م)	749 هـ / 1348 م	تجديد عمل المنجانية
37	//	750 هـ / 1349 م	إنشاء جفنين اثنين عبرا في نهر سبو
76	//	750 هـ / 1349 م	استحداث خزانة الكتب والمصاحف في جامع القرويين <sup>(3)</sup>
21	//	754 هـ / 1353 م	تجديد قبر الفقيه أبي ميمونة دراس (ت 357 هـ / 967 م) بفاس

(1) - المصدر نفسه، ص ص 24، 27، 65، 66، 67، 68، 80.

(2) - يذكر الجزنائي أن تاريخ وصول بيلة الرخام، كان سنة 725 هـ / 1324 م، وبعدها بأعوام نقلت إلى مدرسة الرخام، التي بجوفي جامع القرويين، كان ذلك بأمر من السلطان المريني أبي الحسن.

(3) - يذكر الجزنائي مجموعة من التحسينات التي أدخلها السلطان المريني أبو الحسن، ومن بعده ابنه السلطان أبو عنان، فيما تعلق بقراءة القرآن وقراءته، وقراءة كتب الفقه والحديث والسيرة بهذا الجامع. أنظر: المصدر نفسه، ص ص 80 - 81.

53	//	758 هـ / 1356 م	استحداث منجانة ثانية
30-29	أبو سالم إبراهيم (760 - 762 هـ / 1359 - 1361 م)	غير محدد	تعيين الشريف أبي عبد الله محمد الجوطي نقيباً للأشراف
78-76	//	762 هـ / 1360 م	استحداث زاوية القراء بجامع القرويين
65-61	فترة حكم أبي سعيد عثمان إلى فترة حكم أبي زيان محمد (763 - 767 هـ / 1361 - 1366 م)	726-766 هـ / 1325-1364 م	قائمة بأسماء سبعة خطباء بجامع القرويين بداية من سنة 726 هـ / 1325 م، إلى زمنه.

إن عملية البحث عن المصادر الإخبارية، التي استعان بها الجزنائي في كتابة مختصره التاريخي حول مدينة فاس، ومقارنتها بمصادر ابن أبي زرع الفاسي في قرطاسه، تكشف على ذلك الحرص الذي أبداه الجزنائي في تعيين مصادر أخباره، وقد توزعت بين كتب تراجم الفقهاء، والزهاد والمتصوفة، وكتب المسالك والممالك، كذلك بعض الأعمال الفقهية المهمة<sup>(1)</sup>، وعلى أهمية هذه المصادر المختلفة في تقديم الجزنائي لتغطية اسطوغرافية واسعة، تبقى نقولاته التي رجع فيها إلى أخبار "روض القرطاس"، الجزء الأهم في هذا الخصوص، ومن خلال تتبعي لمصدرهما الإخبارية، يمكنني إجراء مقارنة سريعة ومفصلة بينهما<sup>(2)</sup>، أجملها في أربع نقاط أساسية، على النحو الآتي:

أولاً: مصادر إخبارية لم يذكرها ابن أبي زرع في بعض المواضع التي أوردها الجزنائي كذلك، إلا أن هذا الأخير ذكر مصادر الإخبارية، منها: كتاب الطبري (ت 310 هـ / 922 م)<sup>(3)</sup>، تاريخ المظفر<sup>(4)</sup>، والرقيق القيرواني (ت 420 هـ / 1029 م)<sup>(5)</sup>، و"جمهرة" ابن حزم (ت 456 هـ / 1063 م)<sup>(6)</sup>.

(1) - أشير هنا إلى استعانة الجزنائي بـ "شرح الموطن" لأبي الحسن القابسي (ت 403 هـ / 1012 م)، وكتاب "الأموال" لأحمد بن نصر الداودي (ت 402 هـ / 1011 م)، وكتاب "المدحش" لأبي الفرج بن الجوزي (ت 597 هـ / 1200 م). أنظر: المصدر نفسه، ص 6، 7.

(2) - أشير هنا إلى أهمية المقارنة التي عرضتها مايا شاتز ميلر، مرجع سابق، ص 39-43. حول الفروق بين كتاب "روض القرطاس"، و"جنى زهرة الآس" من حيث طريقة عرض الأحداث التاريخية والمصادر المعتمدة.

(3) - الجزنائي، مصدر سابق، ص 10.

(4) - المصدر نفسه، ص 11، 15، 24.

(5) - المصدر نفسه، ص 4، 19.

(6) - المصدر نفسه، ص 28.

ثانيا: مصادر إخبارية صرح ابن أبي زرع بالنقل عنها في مواضع، وأغفل ذكرها في مواضع أخرى، في مقابل ذلك جاء التصريح بها في رواية الجزنائي، منها: مسالك البكري (ت 487 هـ/ 1094 م)<sup>(1)</sup>، والوراق (حيا سنة: 555 هـ/ 1160 م)<sup>(2)</sup>، وتاريخ ابن غالب<sup>(3)</sup>.

ثالثا: مصادر إخبارية استفاد منها ابن أبي زرع، إلا أنه لم يرجع إليها في مواضع ثانية، في حين استفاد منها الجزنائي، منها: مسالك البكري<sup>(4)</sup>، وابن حمادو البرنسي<sup>(5)</sup>، وابن الزيات التادلي (ت 627 هـ/ 1229 م) في كتابه "التشوف"<sup>(6)</sup>، و"ترتيب المدارك" للقاضي عياض (ت 544 هـ/ 1149 م)<sup>(7)</sup>.

رابعا: مصادر إخبارية أخرى، ليست ضمن قائمة مصادر ابن أبي زرع الفاسي، إلا أن الجزنائي استفاد منها في مواضع مختلفة، منها: كتاب "طبقات الأطباء" لابن جلجل الأندلسي (ت 377 هـ/ 987 م)<sup>(8)</sup>، وجغرافية ابن سعيد المغربي (ت 685 هـ/ 1286 م)<sup>(9)</sup>، ومحمد بن عبد الكريم التميمي (ت 603 هـ/ 1206 م) في كتابه "المستفاد في مناقب العباد"<sup>(10)</sup>.

من خلال هذه القراءة الدقيقة، في المصادر الإخبارية التي عوّل عليها الجزنائي، ومقارنتها بمصادر ابن أبي زرع في قرطاسه، فقد أصبح بإمكاننا تصور الطريقة التي كتب بها مختصره التاريخي، فبلا شك أنه كان يحوز على نسخة من "القرطاس"، على الأقل في أثناء تحريره للكتاب سنة 766 هـ/ 1364 م، كما كان تحت نظره مجموعة مهمة من المصادر الإخبارية المنجزة حول تاريخ مدينة فاس، والتي كان على معرفة جيدة بها، كما أحسن استغلالها في إجراء تغطيته الاسطوغرافية السريعة للمدينة.

(1) - المصدر نفسه، ص ص 15، 28، 92.

(2) - المصدر نفسه، ص ص 27، 40، 42، 65، 66.

(3) - المصدر نفسه، ص ص 23، 27.

(4) - المصدر نفسه، ص 9.

(5) - المصدر نفسه، ص ص 5، 23، 46.

(6) - المصدر نفسه، ص 7.

(7) - المصدر نفسه، ص ص 20 - 22.

(8) - المصدر نفسه، ص 5.

(9) - المصدر نفسه، ص 6.

(10) - المصدر نفسه، ص ص 7، 22.

لم يتأخر الجزنائي بالاعتراف في نهاية مختصره التاريخي، بكونه مجرد ناقل للأخبار، وليس معدود من أهل التأليف والتصنيف، لكن يبدو أن حالة الإهمال التي طالت جامعي مدينة فاس (جامع القرويين، وجامع الأندلس) وقلة العناية بهما، كانت الدافع الأساسي الذي حمله على تذكير صنّاع القرار المريني، وفي مقدمتهم الوزير الياباني المخصوص بالتأليف، فمن خلال كتابه فهو يؤكد على ضرورة العناية بجامعي المدينة، والافتداء بسيرة السلاطين المرينيين الأوائل، الذين أولوا عناية خاصة بهما، مؤكداً على أن القيام بالجوامع وخدمتها ركن من أركان الدين، وفي هذا الخصوص كتب قائلاً "وهذا الجامع قد يشكو بلسان حاله في بعض الأزمان عند إهماله... وحملني على سرد هذه الفصول التنبيه لمن ولي أمرها من الغفلات وإيقاضهم من السنوات عسى الله ينفعني وإياهم في الحياة وبعد الممات" (1).

حالة الإهمال التي أشار إليها الجزنائي، التي طالت حسب رأيه جامعي المدينة، يترجمه الواقع التاريخي لتلك الزيادات التي أضيفت لجامع القرويين (2)، وكما يبدو من خلال الجدول السابق الذكر، أن آخر الزيادات التي استحدثت به، كانت إنشاء زاوية القراء سنة 762 هـ / 1360 م، لكن خلال السنوات الأربعة القادمة إلى سنة 766 هـ / 1364 م، لا يتحدث الجزنائي عن أي زيادات أخرى استحدثت بالمكان، ومع ذلك لم يلق باللوم على أي طرف من أصحاب البلاط المريني أو حتى القائمين على خدمة الجامع، بل أجده يتحاشى ذكر سلاطين هذه المرحلة الحرجة كلية، أعني بهما السلطان المريني تاشفين الموسوس (762-763 هـ / 1360-1361 م)، والسلطان المتوكل على الله أبا زيان محمد (763-767 هـ / 1361-1366 م)، وهي المرحلة التي استبد فيها الوزير الياباني بالسلطة المرينية.

بلا شك، أنجز الجزنائي مختصره التاريخي في ظروف أقل ما يقال عنها أنها قلقة وغير مستقرة، وإن كان هذا المختصر لا يحمل جديداً على مستوى الموضوع المتطرق إليه، والمتعلق بتاريخ مدينة فاس وجامعيها العتيقين، إلا أنه يعكس في بعض مضامينه التاريخية، حالة التدمير

(1) - المصدر نفسه، ص ص 7، 22.

(2) - تعتبر الدراسات التي أنجزها عالم الآثار الفرنسي هنري تراس، من أهم الدراسات الأثرية التي أجريت على جامع القرويين والأندلس بمدينة فاس، وقد تعقب الزيادات التي أجريت على الجامعين خلال المرحلة الوسيطة.

- Terrasse Henri, *La Mosquée al-Qaraouiyn à Fès*, Coll. Archéologie méditerranéenne, C. Klincksieck, Paris, 1968. *La Mosquée des Andalous à Fès*, Publications de l'Institut des hautes études marocaines, tome 38, Les Éditions d'art et d'histoire, Paris, 1983.

والاستياء العام، الذي وصلت إليه الأمور في مدينة المولى إدريس فاس، وهو بذلك يبعث رسالة غير معلنة لصناع القرار المريني، بضرورة إعادة النظر في كثير من القضايا الحساسة، التي باتت تقلق المجتمع الفاسي على الأقل في تلك المرحلة.

## 2. العناية بسيرة السلاطين المرينيين، أبرز تجليات الكتابة التاريخية السلالاتية.

غير بعيدين عن موضوع النقاش الأساسي، الذي يكمن في دراسة الوسط التاريخي وعلاقته بالبلاط المريني في نهاية العصر الوسيط، وقد كان من نتائج العلاقة الحميمة التي جمعتهم، إنجاز مجموعة من الأعمال التاريخية السلالاتية، التي كان محور اهتمامها تدوين سيرة السلاطين المرينيين، وسواء كانت بدعم غير معلن من صناع القرار المريني، أو أن الأمر يتعلق بصاحب العمل، المدفوع برغبته الشخصية في إظهار التبجيل، وخالص الشكر لولي نعمته، فمن الواضح أن مثل هذه الأعمال الموجهة، تؤكد على وجود تيار تاريخي داعم للسلطة المرينية خلال مراحلها المتعاقبة، يسعى أقطابه إلى خلق شخصية "ملكية نموذجية"، الأمر الذي يفسر لنا إلى حد كبير تلك الانتقائية التي طبعت أعمالهم الإخبارية السلالاتية، وتتجلى ملامحها في التشهير بالأعمال البطولية للسلطان ورموز سلطته، في مقابل تجاهل كل ما يمكن اعتباره قادحا في سيرته، وهي صورة نمطية تدفع باتجاه التأكيد على توفر الشروط الأساسية في مشروعية تولي الحكم، بغض النظر عن انتمائه القبلي.

### أ- بواكير الأعمال الإخبارية المخصصة لسيرة السلاطين المرينيين:

من بواكير الأعمال الإخبارية التي أنجزتها الشخصيات القريبة من دوايب السلطة المرينية، أشير إلى أعمال شاعر البلاط عبد العزيز المزوزي، وقد أشرت في وقت سابق لأهمية نظمه الذائع الصيت "نظم السلوك"، الذي خصصه لسيرة السلاطين المرينيين الأوائل، لكن ما يهمنا في هذه المرحلة، العمل الثاني الذي كتبه في سيرة الأمير المريني أبي مالك عبد الواحد (ت 671 هـ / 1272 م)، وقد جمعت به علاقة وطيدة، وجاء عمله هذا تحت عنوان "بديع المسالك في تاريخ الأمير أبي مالك"، وكل ما نعرفه عن هذا العمل التاريخي الثري المسجوع، أن مخطوطة منه عثر عليها ايفاريسست ليفي-بروفنصال سنة 1911م، بمنطقة "أسين بالسيوس Asin

Palacios"، لكن في حالة رديئة تعذر معها قراءتها والاستفادة منها<sup>(1)</sup>، وعلى أهمية هذا العمل الذي يعتبر من بواكير الأعمال المخصصة لأحد أمراء البيت المريني، من أبناء السلطان أبي يوسف يعقوب المريني (656-685 هـ / 1258-1286 م)، إلا أنه يبقى معدود ضمن قائمة المؤلفات المفقودة.

يبدو أن العناية بسيرة أبناء السلطان المريني أبي يوسف، كانت من المواضيع الأكثر استقطابا للمهتمين بتاريخ السلالة المرينية الحاكمة، فبعد السيرة التي خصصت لابنه الأمير أبي مالك الآنف الذكر، حظيت سيرة ابنه السلطان أبي سعيد عثمان (710-731 هـ / 1310-1330 م)، بعناية أحد المهتمين بتاريخ السلالة المرينية الحاكمة، الذي نجعل هويته، وجاء عمله تحت عنوان "الطالع السعيد في تاريخ السلطان أبي سعيد"<sup>(2)</sup>، كشف عنه ابن قنفذ القسنطيني (ت 810 هـ / 1407 م)<sup>(3)</sup>، الذي اطلع عليه في أثناء تواجده بمدينة فاس 759 هـ / 1357 م، حيث كانت إحدى نسخته في حيازة أحد طلبة المدينة، ويظهر من خلال هذه الإشارة الوحيدة، التي وصلتنا عن هذه السيرة السلطانية الضائعة، أن مؤلفه عاش في النصف الأول من القرن 8 هـ / 14 م، كما اعتمد في ترتيب موضوعاته على المنهج الحولي<sup>(4)</sup>، هذا ومن غير المستبعد أن تكون نسخا منه، قد كانت منتشرة في النصف الأول من القرن 8 هـ / 14 م، زمن السلطان المريني أبي سعيد المخصوص بالعمل، واستمر تداولها إلى النصف الثاني منه.

كما يبدو أن السلطان المريني أبا سعيد عثمان، كان يحظى بكثير من الاحترام والتقدير في دوائر المقرين من السلطة، الأمر الذي حفز على تنشيط عملية التدوين التاريخي الموجه لخدمة البلاط زمن حكمه، وقد تجلّى ذلك من خلال تدوين سيرته في عمل تاريخي مستقل، ويضاف إليها تلك الأعمال الإخبارية المهمة التي رفعها إلى خزانته ابن أبي زرع الفاسي.

(1) - لمزيد من التفصيل أنظر: مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص 20.

(2) - أنه هنا فقط، أن هذا الكتاب "الطالع السعيد"، المشار إليه أعلاه، هو غير كتاب ابن سعيد المغربي (ت 685 هـ / 1286 م) الموسوم بـ "الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد"، الذي يسميه ابن الخطيب السلماني بـ "تاريخ قلعة محصب"، واستفاد منه في مجموعة من التراجم التي أوردها في كتابه الإحاطة، 1 / 83، 215، 216، 218، 424، 483، 490، 492، 2 / 504، 3 / 412، 215، 456، 4 / 154.

(3) - أنس الفقير، ص 117.

(4) - استنادا إلى شهادة ابن قنفذ القسنطيني، التي جاء فيها مايلي "... فأخذته (أي الكتاب) فأول وقوعي على سنة فقال فيها: وفي هذه السنة تاب فلان ...".

ب- السلطان المريني أبو الحسن، محور للتدوين التاريخي خلال القرن 8 هـ / 14 م:

السجل الحافل بالانتصارات العسكرية، الذي حاز عليه السلطان المريني أبو الحسن أمام خصومه في العدوتين المغربية والأندلسية، قد ساهم بشكل كبير في تقديمه كأبرز شخصية ملكية تولت العرش المريني خلال القرن 8 هـ / 14 م، أشيد بضخامة ملكه، واتساع سلطانه في المصادر الإخبارية المحلية<sup>(1)</sup>، كما استطاع أن يفتك لقب "ملك زناتة وسلطان العدوتين" عند صاحب العبر<sup>(2)</sup>، فكان من الطبيعي أن تتشكل حوله صورة مثالية، أقل ما يمكن قوله عنها أنها صورة بطولية ملحمية، وقد أنجزت حول سيرته عمليين مهمين.

- العمل الأول: عبارة عن مجموع إخباري، يخصص مساحة جيدة في ذكر الخصال الحميدة التي يتمتع بها السلطان أبو الحسن، وحسن عطائه وسجاياه، واستنادا إلى الإشارة الوحيدة التي وصلتنا حوله في "مسند" ابن مرزوق<sup>(3)</sup>، أنه هذا المجموع تضمن خبر تجهيز السلطان المريني أبي الحسن لموكب الربعة الشريفة، التي كان يبعث بها إلى مكة، وبخصوص هوية المؤلف، فيبدو أنه عمل مشترك بين ثلاثة شخصيات، من المتمين لسلك كتاب البلاط المريني، الأمر الذي يفسر تحريره عبر ثلاث مراحل متتالية، وكانت البداية مع الكاتب أبي زيد عبد الرحمن بن الترجمان، إلا أن هذا العمل الأصلي قد ضاع في وقت مبكر من القرن 8 هـ / 14 م، ولم يتمكن حتى ابن مرزوق من الإطلاع عليه، حيث اكتفى بالإشادة به فقط بقوله "وكان الكاتب أبو زيد عبد الرحمن بن الترجمان رحمه الله قد جمع منها العجائب فأتى على تاريخه الضياع"<sup>(4)</sup>، ولحسن الحظ أن ابنه الكاتب أبا عبد الله، كان على علم بمسودات والده، كما أعاد جمع الكثير منها، ومن غير المستبعد أن يكون الابن قد أضاف إلى عمل الوالد بعض النصوص لجبر الناقص منها.

أما المرحلة الثالثة والأخيرة فقد تولاهما "الشيخ الفقيه" أبو عبد الله التادري المكناسي، أحد شيوخ ابن الأحمر (ت 807 هـ / 1404 م)، الذي نعته بـ "شيخنا الفقيه الكاتب التاريخي"<sup>(5)</sup>،

(1) - أنظر: ابن الأحمر، روضة السرين، ص 37.

(2) - مصدر سابق، 7 / 342.

(3) - مصدر سابق، ص 195.

(4) - المصدر نفسه، ص 195.

(5) - نثير الجمان، ص 454.

وهي مواصفات علمية تدل على معرفة التادري الجيدة بالخبر التاريخي، ومع أن تلميذه ابن الأحرر لا ينسب إليه عمل تاريخي، إلا أن شهادة معاصره ابن مرزوق الخطيب، تأتي لتؤكد على قيام الكاتب التادري بإعادة ترتيب هذا المجموع الإخباري، الذي تعاقب عليه اثنين من أفراد أسرة ابن الترجمان (الأب والابن)، وقد قام بإخراجه في نسخة أحيرة معدلة، تختلف عن العمل الأصلي، بالزيادة والتنقيح، وهي النسخة التي اطلع عليها ابن مرزوق من يد منقحها التادري، لكن وعلى أهمية هذا المجموع الإخباري، إلا أنه يضاف إلى قائمة المؤلفات الضائعة، وتبقى شهادة ابن مرزوق، المصدر الوحيد الذي يدل على القيمة التاريخية لهذا العمل الإخباري المشترك.

– **العمل الثاني:** يعود إلى أحد وجوه البلاط المريني لمدة ليست بالقصيرة، أعني به شخصية أبي عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب، سليل أحد مشاهير الأسر التلمسانية "أسرة المرازقة"، صاحب مؤلفات عديدة<sup>(1)</sup>، ما يهمني منها في هذه المرحلة، كتابه "المسند الصحيح الحسن في مآثر مولاي أبي الحسن المريني"<sup>(2)</sup>، الذي كتبه في سيرة السلطان أبي الحسن المريني، وقد جمعته به علاقة وطيدة، أفصح عنها في مناسبات عديدة، وبفخر واعتزاز كتب يقول "وأهلني للمسامرة والمحاضرة وأحتصني بالمفاكهة والمباشطة وأظهرني على النظراء وفضلني على

(1) – لمعرفة عناوين المؤلفات التي أنجزها ابن مرزوق. أنظر: مقدمة تحقيق كتاب المسند المنجزة من قبل مرايا خيسوس بيغيرا، ص 48 – 53.

(2) – قام ايفاريست ليفي – بروفنصال بتقديم المسند في دراسته الموسومة بـ: « Un nouveau texte d'histoire mérinide : le Musnad d'Ibn Marzuq », *Hespéris*, V, (1925), pp. 1-82.

كما قام بلاشار " Régis- Blachere " بنشر ترجمة فرنسية لصفحتين من الفصل الرابع من الكتاب على أن يتم تحقيق الكتاب كاملا بعد ذلك، إلا أنه بقي مجرد مشروع وجاء تحت عنوان:

« Quelques détails sur la vie privée du Sultan mérinide Abu L'Hasan », *Mémorial, Henri Basset*, Paris, I, (1928), pp. 83-89.

بعدهما قامت مرايا خيسوس بيغيرا بتحقيق النص الكامل للكتاب، وتقديم دراسة قيمة حوله وشرحت ظروف تأليفه. كما أنجزت ميا شتزميلر " Shatzmiller Maya " مقالا حول ظروف كتابة المسند تحت عنوان:

« Les circonstances de la composition du Musnad d'Ibn Marzuq », *Arabica*, 22, (1975), pp. 293-299.

وفي هذا الاتجاه أشير إلى أهمية الدراسة الصادرة حول أهمية كتاب " المسند " في التعريف بسيرة السلطان المريني أبي الحسن من انجاز:

– Boloix-Gallardo Babara, «Presencia e importancia de la mujer en el Musnad d' Ibn Marzuq al-Tilmsānī», *Anaquel de Estudios Arabes*, 27, (2016), pp. 7- 28.



الظهراء"<sup>(1)</sup>، هذه الشخصية البلاطية بامتياز، بدأ صعودها اللافت إلى مصاف أعيان القصر الملكي المريني، منذ تاريخ تعيينه خطيباً بجامع العباد بتلمسان، كان ذلك بعد عودته من رحلته الحجازية سنة 736 هـ / 1335 م<sup>(2)</sup>، ليتولى بعدها مهام رسمية رفيعة المستوى في البلاط المريني، إضافة إلى منصب الخطابة<sup>(3)</sup>، كتوليه النظر في الشكايات<sup>(4)</sup>، والعطاء<sup>(5)</sup> وشهادة العقود<sup>(6)</sup>، يضاف إلى ذلك مرافقة السلطان أبي الحسن المريني، وملازمة خدمته<sup>(7)</sup>، ويعتبر توليه أمر تقرير الصلح مع ملك قشتالة "ألفنسو الحادي عشر"، من أبرز المهام التي أوكلت إليه، حيث تكلفت جهوده بنجاحه في افتداء الأمير الأسير أبي عمر تاشفين بن السلطان أبي الحسن، الذي أصيب بمس من الجنون بعد أسره في معركة "طريف" سنة 741 هـ / 1340 م، ليعود معه إلى العدو المغربية، وقد وصل مدينة قسنطينة مصحوباً بوفد رفيع المستوى من النصارى سنة 748 هـ / 1347 م<sup>(8)</sup>، وحتى بعد النكبة التي تعرض لها في بلاط السلطان أبي عنان، ورحيله

(1) - ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 487.

(2) - أشير هنا إلى أن ابن مرزوق في أثناء تواجده بمدينة تلمسان في تلك المرحلة، إضافة إلى توليه الخطبة بجامع العباد، كذلك كان خطيباً بجوامع أخرى بالمدينة منها: جامع مرسى الطلبة، وجامع سوقة إسماعيل وغيرها. حولها أنظر: ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 304.

(3) - يفتخر ابن مرزوق بتوليه هذه الخطبة، وقيامه خطيباً في كثير من منابر العالم الإسلامي مشرقاً ومغرباً بقوله "وحصلت على ما لم يحصل عليه احد فيما علمت في عصر من الأعصار، ولا اتفق لأحد قبلي فيما أظن في قطر من الأقطار، فارتقيت أحد وخمسين منبرا من بلاد شتى، من أقصى المغرب ووسطه وعدوة الأندلس والزاب وافريقية، فما من قاعدة وحضرة ملك من هذه البلاد، إلا علوت على منبرها وأخلصت الدعاء لمقلدها". أنظر: ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 487. المناقب المرزوقية، ص 139 - 140.

(4) - يصرح ابن مرزوق بتعيينه من قبل السلطان المريني أبي الحسن في قبة العدل، التي بناها السلطان في منصوره بتلمسان وسبته، للنظر في الشكايات. حولها أنظر: ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص ص 173، 174، 392، 393، 486. المناقب المرزوقية، ص 305.

(5) - ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص ص 193، 392.

(6) - المصدر نفسه، ص 486.

(7) - يبدو أن ابن مرزوق كان يرافق السلطان المريني أبا الحسن في الكثير من خرجاته التي قادته إلى مراكش، بلاد السواحل، سبته، آسفي، فاس، تلمسان، تونس... كذلك بعض البلاد الأندلسية أين حضر معه موقعة طريف. أنظر: المصدر نفسه، ص ص 156، 158، 159، 190، 203، 204، 206، 208، 222، 225، 311. المناقب المرزوقية، ص 305.

(8) - لمعرفة مزيد من التفصيل. أنظر: ابن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح، ص 225. المناقب المرزوقية، ص 305. ابن خلدون، العبر، 7 / 346-348، 367. الرحلة، ص 61.

إلى العدو الأندلسية سنة 752 هـ / 1351 م<sup>(1)</sup>، فقد استطاع أن يكون أحد المقربين من صاحب غرناطة، السلطان أبو الحجاج يوسف بن الأحمر (733 - 755 هـ / 1332 - 1354 م)، أين تولى الخطابة بجامعها والتدريس في مدرسة السلطان سنة 753 هـ / 1352 م<sup>(2)</sup>، لكنه ما لبث أن عاود الخدمة في البلاط المريني سنة 754 هـ / 1353 م، وباستدعاء من السلطان أبي عنان، ومع أن ابن مرزوق لم يجد تلك الحظوة التي خصّ بها في بلاط والده السلطان أبي الحسن، إلا أنه على الأقل معدود ضمن قائمة أكابر أهل المجلس العلمي السلطاني<sup>(3)</sup>، إضافة إلى بعض المهام التي كلفه بها السلطان أبو عنان<sup>(4)</sup>.

المتاعب الكثيرة التي تعرض لها ابن مرزوق في البلاط المريني، ومعرفته بتقلبات حياة القصور، التي لم يكن بمعزل عنها، لم تحد من طموحه السياسي، بل إننا نجده شخصية نافذة في بلاط السلطان أبي سالم إبراهيم (760 - 762 هـ / 1359 - 1361 م)، مستغلا تلك العلاقة الوطيدة التي جمعت به في وقت سابق في بلاط غرناطة النصرية، وقد "رفعه على الناس وألقى عليه محبته وجعل زمام الأمور بيده فوطئ الناس عقبه وغشي أشرف الدولة بابه وصرفوا الوجوه إليه"<sup>(5)</sup>.

(1) - المصدر نفسه، ص 62.

(2) - من بين تلامذة ابن مرزوق الذين التحقوا بملقته التي كان يعقدها بالجامع الأعظم بغرناطة، والمدرسة النصرية، أذكر: تلميذه الشيخ أبا إسحاق الشاطبي (ت 790 هـ / 1388 م)، وقد قرأ عليه "صحيح البخاري"، و"الموطأ". أنظر: أبو عبد الله المحاري: البرنامج، تحقيق محمد أبو الأحفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص 119.

(3) - تحدث ابن خلدون الرحلة، ص 62. باختصار عن مكانة ابن مرزوق في بلاط السلطان المريني أبي عنان بقوله "ونظمه في أكابر أهل مجلسه وكان يقرأ الكتاب بين يديه في مجلسه العلمي ويدرس في نوبته مع من يدرس في مجلسه منهم".

(4) - من بين المهام التي أوكلها السلطان أبو عنان لابن مرزوق، إرساله إلى تونس لخطبة ابنة السلطان الحفصي أبي يحيى أبي بكر (718-747 هـ / 1318-1346 م)، كان ذلك سنة 758 هـ / 1356 م إلا أنه فشل في تحقيق ذلك واتهم بالتواطؤ، وحبس مدة بسبب ذلك. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص 62-63. ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 174-175. الزركشي، مصدر سابق، ص 97.

(5) - ابن خلدون، العبر، 7 / 414. الرحلة، ص 63. ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 3 / 117. ومن الأمثلة التي تدل على مكانة ابن مرزوق في بلاط السلطان أبي سالم، أن أمر هذا السلطان بأن يكون صدق أحد أبناء ابن مرزوق المنعقد على بنت الشريف أبي عبد الله بن عمران الجوطي من إملاء ابن الخطيب السلماني. حوله أنظر: ابن الخطيب السلماني: ربحانة الكتاب، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981، 1 / 101-115.

هذه الشخصية المرموقة، المحسوبة على حاشية البلاط المريني، كشف عن طبيعة علاقته بالسلطين، صديقه ابن الخطيب السلماني بقوله "هذا الرجل... عارف بالأبواب درب على صحبة الملوك والأشراف، متفاض لإيثار السلطين والأمراء، يسحرهم بخلافة لفظه... ويهتدي إلى أغراضهم الكمينية بحذقه، ويصنع غاشيتهم بتلطفه"<sup>(1)</sup>، ورغم الحيلة والحذر الشديد، الذي اكتسبه ابن مرزوق نتيجة معرفته الدقيقة بخبايا البلاط، وإظهاره براعة كبيرة في النجاة بنفسه من عديد المزالق والعثرات<sup>(2)</sup>، شهد له بذلك مشاركته في الخدمة السلطانية، ابن خلدون بقوله "...وعطف على باب القواد والأمراء وصار زمام الدولة بيده، وكان يتجافى عن ذلك أكثر أوقاته، حذرا من سوء المغبة، ويزجر من يتعرض له في الشكاية، ويردهم إلى أصحاب الخطط بباب السلطان..."<sup>(3)</sup>، إلا أن خصومه قد نجحوا في إرساله إلى السجن ثلاث مرات، وهي سنوات 750 هـ / 1349 م<sup>(4)</sup>، و758 هـ / 1356 م<sup>(5)</sup>، أما الثالثة فكانت سنة 762 هـ / 1361 م، وعلى إثرها "انتهبت أمواله واعتقلت رباعه وجنبت مراكبه واصطفيت أمهات أولاده"<sup>(6)</sup>.

أتوقف هنا قليلا لمناقشة بعض القضايا المهمة، المتعلقة بحياة ابن مرزوق بعد النكبة الأخيرة التي حصلت له، لما لها من أثر بالغ في طبيعة الخطاب التاريخي الذي تبناه في السنوات

(1) - ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 3/ 104.

(2) - ساق لنا ابن مرزوق بعض العوارض التي وقعت له مع السلطان المريني أبي الحسن، إلا أنه استطاع تجاوزها. حولها أنظر: المسند الصحيح، ص 301، 327 - 328، 355 - 356، 494 - 495. كما أنه كان يذكر في مناسبات عديدة نصيحة والده له، من مغبة مخالطة السلطين، وما ينجر عن ذلك من المخاطر. أنظر: المصدر نفسه، ص 482. المناقب المرزوقية، ص 240.

(3) - ابن خلدون، العبر، 7/ 414 - 415.

(4) - فصل ابن مرزوق ملابسات سجنه بتلمسان سنة 750 هـ / 1349 م، كما تحدث عن المدة التي قضاها في السجن، وحددها بتسعة أشهر. لمزيد من التفصيل أنظر: ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 497 - 498. المناقب المرزوقية، ص 307. ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 3/ 106.

(5) - رغم بعض التفاصيل المهمة التي قدمها ابن خلدون، الرحلة، ص 62 - 63. حول ملابسات سجن ابن مرزوق سنة 758 هـ / 1356 م، إلا أنه لا يذكر مدة سجنه، في حين أشار إليها ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 175. وحددها بستة أشهر، ونقلها عنه الزركشي، مصدر سابق، ص 98.

(6) - حول ملابسات سجنه سنة 762 هـ / 1361 م. أنظر: ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 3/ 118. ابن خلدون، الرحلة، ص 63. ابن فرحون المالكي: الدياج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدى أبي النور، ط2، مكتبة دار التراث، القاهرة، 2005، 1/ 232 - 233. المقرئ التلمساني، نفح الطيب، 5/ 407.

القليلة اللاحقة، فمراجعتي لمجموعة من الشهادات التي أوردها عدد من معاصريه والمقربين إليه، وبشكل خاص من فئة المهتمين بالخبر التاريخي، دفعني إلى البحث عميقا في المدة الزمنية التي قضاها ابن مرزوق في مطبق مدينة فاس سنة 762 هـ / 1361 م، وقد قدرتها محققة كتاب "المسند" مريا خيسوس فيغيرا بنحو الستين<sup>(1)</sup>، يبدو أنها عولت كثيرا على تاريخ مغادرته فاس باتجاه تونس سنة 764 هـ / 1363 م<sup>(2)</sup>.

لكن العودة إلى رواية صديقه ابن الخطيب السلماني، الذي خصص له ترجمة معتبرة في إحاطته، أشار فيها صراحة إلى أن ابن مرزوق، قد شارك في احتفالات المولد النبوي بمدينة فاس سنة 763 هـ / 1362 م، أين أنشدت قصيدة مولودية من نظمه، كما ألفت بحضوره<sup>(3)</sup>، ما يعني أن ابن مرزوق كان خارج السجن في 12 ربيع الأول 763 هـ / 8 جانفي 1362 م، واستنادا إلى شهادة ابن خلدون<sup>(4)</sup>، فسجن ابن مرزوق قد وقع مباشرة بعد مقتل السلطان أبي سالم إبراهيم، الذي كان يوم 21 ذي القعدة 762 هـ / 18 أكتوبر 1361 م<sup>(5)</sup>، ما يعني أن المدة التي قضاها ابن مرزوق في سجن فاس لا تزيد عن أربعة أشهر، وهي (ذو القعدة - ذو

(1) - مقدمة تحقيق المسند، ص 28.

(2) - أنه هنا إلى أن المحققة سلوى الزاهي في مقدمة تحقيقها للمناقب المرزوقية، ص 71. تذهب إلى تأكيد وجود ابن مرزوق بغرناطة، خلال احتفالات المولد 763 هـ / 1362 م، وانتقدت الدراسات التي تؤكد على وجوده بفاس في ذلك التاريخ، يبدو أنها استندت في ذلك إلى رواية المقرئ التلمساني، نفع الطيب، 397 / 5. وجاءت روايته على النحو التالي "ومن الشعر المنسوب إلى محاسنه ما أنشد عنه وبين يديه ليلة الميلاد المعظم من عام ثلاثة وستين وسبعمئة"، لكن بعد عودتي إلى نص الرواية تبين لي أن المقرئ ينقلها عن صاحب "الإحاطة"، وبعد مراجعتي لرواية ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 111 / 3. فقد ورد فيها صراحة الإشارة إلى المكان الذي ألقى فيه ابن مرزوق قصيدته المولودية، وهو مدينة فاس، وجاءت على النحو الآتي "ومن الشعر المنسوب إلى محاسنه ما أنشد عنه وبين يديه ليلة الميلاد المعظم من عام ثلاثة وستين وسبعمئة بمدينة فاس المحروسة"، وعليه يظهر من خلال مقارنتي بين الروايتين، أن المقرئ التلمساني قد أسقط ذكر عبارة "بمدينة فاس المحروسة"، المذكورة في رواية صاحب "الإحاطة"، وهو الأمر الذي التبس فيه على المحققة سلوى الزاهي، وربطت قصيدة ابن مرزوق المولودية بسياق رواية المقرئ السابقة، والتي ذكر فيها أبيات من نظم ابن مرزوق، كان قد ألقاها في وقت سابق مدة إقامته بغرناطة.

(3) - المصدر نفسه، 111 / 3.

(4) - الرحلة، ص 63.

(5) - استنادا إلى شهادة ابن الأحمر، روضة النسرين، ص 41. الذي كان أحد الذين حضروا عملية القتل، التي ارتكبت في حق هذا السلطان، وجاءت شهادته على النحو التالي "وقتل رحمه الله تعالى وأنا أنظر إليه وأتوجع وأبكي يوم الخميس...".

الحجة - محرم - صفر).

على اثر هذه النكبة، سوف يعيد ابن مرزوق ترتيب حياته بشكل جذري، لكن هذه المرة وفق معطيات المرحلة الحرجة التي وجد نفسه فيها، وبالاستناد إلى بعض المعلومات التي وفرها ابن الخطيب السلماي، يبدو أنه قد بقي بمدينة فاس إلى حين مغادرته لها بجرا من مرسى "بادس"<sup>(1)</sup>، متوجها إلى حاضرة الحفصيين تونس، في أواسط رجب من سنة 764 هـ/ أواخر شهر أبريل 1363 م<sup>(2)</sup>، لتكون مدة مكوثه بفاس قد بلغت نحو 16 شهرا، والسؤال الذي يطرح هنا، ما هي وضعيته بالمدينة بعد إطلاق سراحه؟ شح المادة الخبرية المتعلقة بهذه المرحلة الحساسة من حياة ابن مرزوق، لا تسمح لي بالتعرف عن كثب لتلك المرحلة الحرجة، ومع ذلك فبوسعي القول أنه إضافة إلى مشاركته في احتفالات المولد، يبدو كذلك أنه أنهى الاشتغال على تأليف له، يسرد فيه سيرته وسيرة سلفه في قالب مناقبي، والذي صيغ تحت عنوان "المناقب المرزوقية"<sup>(3)</sup>، كذلك تشير إحدى نسخ كتاب "جامع الأصول في أحاديث الرسول" لابن الأثير (ت 606 هـ/ 1209 م)<sup>(4)</sup>، التي وصلتنا اليوم<sup>(5)</sup>، إلى كونها من أحباس ابن مرزوق على خزانة جامع القرويين<sup>(6)</sup>، ويعود تاريخ وقفها إلى أوائل شهر جمادى الأولى 764 هـ/ فيفري

(1) - بادس فاس على البحر قرب فاس. حولها أنظر: الإدريسي، مصدر سابق، ص ص 527، 532، 533، 581. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، 1/ 317.

(2) - المقرئ التلمساني، نفع الطيب، 5/ 407.

(3) - استنادا إلى الفقرة الأخيرة الواردة في كتاب "المناقب المرزوقية"، صرح خلالها ابن مرزوق بتاريخ فراغه الذي كان في أوائل سنة 763 هـ/ 1361 م. أنظر: ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 311.

(4) - تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، القاهرة، 1969 م، 12 مج.

(5) - من ذخائر خزانة القرويين بفاس، يوجد منها الجزء الثاني تحت رقم (216). أشير إلى أنني لم أتمكن من معاينة هذه النسخة النفيسة في أثناء زيارتي لخزانة القرويين بفاس، بسبب أشغال الترميم التي كانت تجرى بالمكان، لذلك فقد اكتفيت في الوقت الحالي بالملاحظات التي كتبها حولها م فهرس الخزانة محمد العابد الفاسي: فهرس مخطوطات خزانة القرويين، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1979، 1/ 231-233.

(6) - قيّد بظهر الورقة الأولى من الجزء الثاني من هذه النسخة النفيسة، ما يلي "الحمد لله وحده حسب الشيخ الخطيب البليغ الراوية المحدث الحاج الرحالة العالم العلم أبو عبد الله محمد بن الشيخ الفقيه العالم الفاضل الزاهد الخاشع الحاج المبرور ولي الله تعالى ابن المنعم المرحوم أبي العباس أحمد بن مرزوق نفعه الله تعالى بقصده في ذلك وجرى من التقرب لله تعالى على أوضح المسالك جميع هذا الديوان المسمى بجامع الأصول المشتمل على خمسة أسفار المكتتب على ظهر السفر الثاني منه على الخزانة التي بشرقي الجامع الأعظم جامع القرويين شرفه الله تعالى بدوام الذكر فيه لينتفع به بالقراءة والمطالعة والمقابلة

1363 م، أي قبل مغادرته للمدينة بنحو الشهرين ونصف.

ومهما تكن طبيعة الدوافع الكامنة خلف بقاء ابن مرزوق في مدينة فاس، طول تلك المدة المتوسطة نسيباً، إلا أن الشيء المؤكد، أن الوضعية الغير مريحة التي كان عليها<sup>(1)</sup>، لم تكن لتسمح له بالتفكير في البقاء مدة أطول بها، خصوصاً في تلك المرحلة الحرجة، التي عرف فيها البلاط المريني اضطرابات عميقة هزت المنطقة بقوة، وما يصعب من مشروع عودته إلى الخدمة في البلاط المريني مرة أخرى، في هذا التوقيت تحديداً، أن خصمه وممتحنه الوزير عمر الياباني، قد أصبح المستبد على السلطان، كما أجرى هذا الوزير تغييرات شاملة وجذرية مست أغلب هياكل البلاط المريني.

غادر ابن مرزوق مدينة فاس متوجهاً إلى تونس، وقد فضل التزول بمدينته تلمسان بعد أيام قليلة في 22 من شهر رجب، أين خطب بجامع العباد خطبة بليغة، أطنب فيها الثناء على السلطان الزياني أبي حمو موسى (760-791 هـ / 1358-1388 م)، ونال على إثرها مكافئته من السلطان<sup>(2)</sup>، ويبدو أن نزوله بمدينة تلمسان كان حدثاً مهماً، على الأقل بالنسبة لصاحب "زهر البستان"، الذي أدرجه ضمن أخبار سنة 764 هـ / 1363 م، واستناداً إلى شهادة هذا الأخير فقد مكث ابن مرزوق أربعة أشهر وعدة أيام، ليغادرها مع ركب الحجاج التلمسانيين في 3 ذي الحجة 764 هـ / 12 سبتمبر 1363 م<sup>(3)</sup>، ليصل إلى تونس سنة 765 هـ / 1364 م،

والتصحيح والنسخ وغير ذلك من وجوه الانتفاعات... إخراج... لينتفع به فيما ذكر بمثله أو حيث أراد فله ذلك بعد أن يضع في ذلك رهنا موفياً لقيمة السفر الذي يحمله دائماً لا يبدل عن حاله ولا يغير عن سبيله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين قاصداً بذلك كله وجه الله العظيم والدار الآخرة والله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن إليه عملاً ولا يخيب لمن رجاه أملاً... وشهد عليه في حال صحة وطوع وجواز عرفه وبتاريخ أوائل جمادى الأولى أربعة وستين وسبعمائة". حولها أنظر: المرجع نفسه، ص 233.

(1) - عبر ابن مرزوق عن الوضعية الصعبة التي كان يمر بها في تلك المرحلة قائلاً " فحلت النكبة والشكر لذي الجلالة ولولا تأخير الأجل بسابق المقدور لخلت مني الخلال فتقبضت النفوس بعد كمال المشاشة وتبهشرت الوجوه بعد طلاق البشاشة حضر هلاكي لولا من الله مولاي بلطفه الجميل... ". أنظر: المناقب المرزوقية، ص 140.

(2) - طبيعة المكافئة التي منحها السلطان الزياني لابن مرزوق، كانت عبارة عن كسوة سنّية وأعطاه عطية مولوية. حولها أنظر: مؤلف مجهول، زهر البستان، ص 260.

(3) - توجه ابن مرزوق إلى الحج برفقة خطيب الجامع الأعظم أبي البركات القرموني، وقد أعطاهما السلطان الزياني من الموادة والحاملة ما يوصلهما إلى تلك الأوطان، كما كتب لصاحب بجاية وتونس في شأنهما. أنظر: المصدر نفسه، ص 261.

كتب ذلك بخط يده في حاشية نسخة "الإحاطة"، الموقوفة بخانقاه سعيد السعداء بالقاهرة، اطلع عليها في وقت لاحق الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ / 1448 م)، ونقل نصها في الترجمة التي خصصها لمقيدها ابن مرزوق في درره<sup>(1)</sup>.

– "المسند الصحيح"، مشروع ابن مرزوق للعودة إلى الخدمة البلاطية:

بالاستناد إلى التقرير الايجابي الذي قدمه ابن الخطيب السلماني<sup>(2)</sup>، بشأن وضعية ابن مرزوق المريجة بعد وفادته على صاحب البلاط الحفصي أبي إسحاق إبراهيم (751 – 770 هـ / 1350 – 1369 م)، ووزيره أبي محمد بن تافرجين (ت 776 هـ / 1364 م)، وقد تم تعيينه خطيبا بجامع الموحدين، ومدرسا بمدرسة الشّماعين، كما نجده يعقد زواج السلطان الحفصي على ابنة وزيره سنة 766 هـ / 1364 م<sup>(3)</sup>، ورغم هذه التصريحات المطمئنة حيال وضعه المقبول في تونس، إلا أنه كتب في مسنده<sup>(4)</sup> يشكو الحالة التي أصبح عليها بقوله "وعرضت بين وفاته (رضوان الله عليهم)، وزمني الآن عوارض امتحان وتقلبات أزمان ... فحصلت في بلاد الاغتراب وذقت ألم البعد بعد الاقتراب وأتقلني العيال وآداني الاقلال"، والسؤال الذي يفرض نفسه هنا، ما هي الأسباب التي تقف خلف شكوى ابن مرزوق في هذه المرحلة؟

ما يمكنني قوله حول هذه الإشكالية الحساسة، المتعلقة بحياة ابن مرزوق في تونس، والتي من شأنها تعميق فهمنا للظروف التي سبقت كتابته للمسند، يتوجب علي لفت الانتباه إلى التقلبات السياسية الخطيرة التي مست البلاط الحفصي في تلك المرحلة، فبعد خمس سنوات مضت على إقامة ابن مرزوق بتونس في كنف سلطانه أبي إسحاق إبراهيم، جاء الموت المفاجئ الذي أودى بحياة السلطان المذكور في 20 رجب 770 هـ / 27 فيفري 1369 م<sup>(5)</sup>، وأربك الأوضاع بالمنطقة، وكان من تداعياته الخطيرة على السلطنة، نشوب العداوة التي تقتضيها مقاسمة النسب والملك بين أفراد البيت الحفصي، وانتهت بنجاح الأمير أبي العباس أحمد (772-

(1) – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، 1993، 362/3.

(2) – كتب ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 3/118. قائلا "استقر بتونس خطيب الخلافة مقيما على رسمه من التجلة ذابغ الفضل هناك والمشاركة وهو بحاله الموصوفة إلى الآن".

(3) – ابن الشّماع، مصدر سابق، ص 105.

(4) – مصدر سابق، ص 92.

(5) – حول ظروف وفاته المفاجئة. أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 176.

796 هـ / 1370 - 1394 م) في اعتلاء عرش السلطنة<sup>(1)</sup>، لم تكن هذه التغيرات الجذرية التي مست أعلى هرم السلطة الحفصية، تبشر بخير لابن مرزوق، الذي أصبح في وضعية أقل ما يقال عنها أنها حرجة ومريية، خصوصا بعد أن أظهر له السلطان الجديد النفور، ترجم ذلك في عزله من منصبه كخطيب بجامع الموحدين.

الإقصاء والتهميش الذي طال ابن مرزوق في تونس، له مبرراته المنطقية على حسب شهادة ابن خلدون<sup>(2)</sup>، الذي يذهب في تفسيره ذلك، إلى تقديم وإيثار ابن مرزوق في وقت سابق لابن عمه صاحب بجاية الأمير أبي عبد الله محمد عليه، كان ذلك سنوات تغريهما بفاس مع مجموعة من أفراد البيت الحفصي سنة 748 هـ / 1347 م<sup>(3)</sup>، ومع ذلك يبقى الإشكال المطروح، هل إسقاط اسم ابن مرزوق من سلك المنتظمين في سلك البلاط الحفصي في ذلك التاريخ، وعدم توليه لأي منصب ثان، كان سببا كافيا في تردي وضعه المادي بتونس، الأمر الذي دفعه إلى الإعلان عن ذلك صراحة في مسنده؟ بالتأكيد أن بقاء ابن مرزوق دون أن يشغل منصب يعوله، وأسرته في تأمين حاجاته المادية بالمدينة، قد ضاعف من حدة الأزمة التي كان يمر بها في تلك المرحلة الحرجة، خصوصا بعد عملية النهب والغصب التي طالت ممتلكاته الخاصة<sup>(4)</sup>،

(1) - معرفة مزيد من التفصيل حول الاضطرابات التي عرفتها افريقية الحفصية بعد وفاة السلطان أبي العباس الحفصي. أنظر: روبر بارنشفيك، مرجع سابق، 1/ 216 - 217. محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 473-477.

(2) - الرحلة، ص 64.

(3) - لمزيد من التفصيل أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 179-180. ابن الشّماع، مصدر سابق، ص 107-108.

(4) - أشير هنا إلى أن الكثير من ممتلكات ابن مرزوق العقارية، التي كانت له بفاس وتلمسان، هي ليست من عطايا السلطان، وإنما آلت إليه عن طريق الميراث، خصوصا وأن المعلومات المتعلقة بأسرته تذهب إلى أنه الابن الوحيد لأبيه أبي العباس أحمد (ت 741 هـ / 1340 م)، وأمّه حديجة ابنة أبي إسحاق التنسي، وهي كذلك تنحدر من أحد مشاهير الأسر التلمسانية المعروفة، واليك قائمة لبعض العقارات التي كان يمتلكها ابن مرزوق استنادا إلى بعض تصريحاته في "المسند"، و"المناقب المرزوقية":

- ريعته التي بمدينة فاس، وهي من الممتلكات التي ورثها عن جده لأم.
- دار بزقة حجامة، وهي أيضا من ممتلكاته التي ورثها عن جده لأم، نزل بها والده أحمد في وقت سابق، ثم آلت إلى ابنه صاحب المسند بعد ذلك، وهي ضمن قائمة العقارات التي صودرت منه بعد حادث النكبة سنة 762 هـ / 1361 م.
- دار أسرة ابن مرزوق، توجد بالحلي الذي كان يسكنه بمرسى الطلبة بتلمسان، كما ولد بها، وسكنها مع والديه.
- دار بحارة الرماة في آخر السكة الرابعة، التي تعرف بدار ابن جحاف بتلمسان، وهي من ميراث جده لأم.



وانقطاع جبايتها عنه بعد حادث النكبة سنة 762 هـ / 1361 م.

في مقابل ذلك، وإذا أُلقيت إطلالة سريعة، حول الأوضاع المضطربة التي هزت البلاط المريني في تلك الأثناء، يبدو كذلك أن رياح التغيير قد مست أعلى هرم السلطة المرينية في تلك المرحلة، لكن هذه المرة قد جاءت من طرف أحد أبناء السلطان المريني أبي الحسن، أعني به هنا ابنه السلطان أبا فارس عبد العزيز (767 - 774 هـ / 1366 - 1372 م)، فهل وصول أحد أبناء ولي نعمته السلطان أبي الحسن المريني، كان حافزا كافيا لابن مرزوق في التفكير بشكل جدي في مغادرة تونس التي لم تكن في مستوى توقعاته، والعودة إلى فاس مرة أخرى؟ ومن ثمة محاولته استعادة مكانته التي خسرها في البلاط المريني، من خلال مغازلة للسلطان الجديد أبي فارس بتأليفه للمسند؟ أم أن الأمر بالنسبة لابن مرزوق كان أعمق من هذا بكثير؟

قراءة ديباجة "المسند" <sup>(1)</sup>، تفصح في بعض فقراتها عن نية ابن مرزوق في طلب ودّ السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز، حيث نجده يثني على أعماله <sup>(2)</sup>، كما يذكره بالمكانة التي حظي بها عند والده السلطان أبي الحسن، حيث كتب يقول "وبلغني الآن ما امتن الله به على الخلائق وما شرفت به المغارب على المشارق... وقيام مولاي ابن مولاي نجله... أمير المسلمين... أبو فارس عبد العزيز، فلما تعرفت أنه جرى سنته وأحيا ما نسي من سننه هاجت لواعج الأشواق وتحدد ألم البعد والفراق..."، المؤكد أن لمقتل ممتحنه الوزير المستبد عمر الياباني أوائل ذو القعدة 768 هـ / جويلية 1367 م، بأمر من السلطان المذكور، واستئصال حاشيته <sup>(3)</sup>، قد شكل عنصرا مهما في تحريك مشاعر الارتياح لدى ابن مرزوق تجاه عمل السلطان.

تجلى موقف ابن مرزوق الداعم للسلطان المريني أبي فارس عبد العزيز، بعد سماعه لخبر

- دار بني النجار بتلمسان، من الممتلكات التي اشتراها ابن مرزوق، وربما تكون هي الدار التي وقع نهبها، التي أشار إليها في مسنده، وقد نهب ما فيها من كتب، حدث ذلك خلال سنة 749 هـ / 1348 م، عندما كان ابن مرزوق بتونس، رفقة السلطان أبي الحسن المريني. حول هذه العقارات. أنظر: ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 226، 480. المناقب المرزوقية، ص ص 197، 199، 240، 277، 298.

<sup>(1)</sup> - مصدر سابق، ص 92 - 93.

<sup>(2)</sup> - حول المواضيع التي أثني فيها ابن مرزوق على السلطان أبي فارس المريني في مسنده. أنظر: المصدر نفسه، ص ص 154، 175، 367.

<sup>(3)</sup> - خصص ابن خلدون، العبر، 7 / 429. عنوانا مستقلا يتحدث فيه عن مقتل الوزير عمر الياباني، جاء كالتالي "الخبر عن مقتل الوزير عمر بن عبد الله واستبداد السلطان عبد العزيز بأمره".

مقتل الوزير المستبد أو كما وصفه بـ "عمر الباغي"<sup>(1)</sup>، في الترجمة التي خصصها لوالده الوزير المقتول، وقد كتب قائلاً "وخلف من عمل العظام وارتكب الجرائم واستحل المحارم ولده عمر، عمّر الله به زوايا الجحيم وجدد عليه العذاب الأليم وكتب لمولانا ميده الثواب الجسيم والأجر العظيم بجرمة نبيه الكريم"<sup>(2)</sup>، وفي سياق التقارير المهمة التي قدمها ابن خلدون، الذي لا يزال عنصراً فاعلاً في البلاط المريني في تلك المرحلة، تشير إلى استتباب الأمر لصالح السلطان المريني أبي فارس بقوله "وصفا الجو للسلطان من المنازعين"<sup>(3)</sup>، فهل يمكن القول أن الأخبار الجيدة التي كانت ترد على ابن مرزوق أثناء إقامته بتونس، حول مستجدات البلاط المريني في تلك المرحلة الحاسمة، كانت توحى له بإمكانية العودة؟

تتكشف نويًا ابن مرزوق عن رغبته في استعادة مكانته السابقة، برسالة صريحة موجهة إلى السلطان المريني أبي فارس، أعلن عن فحواها في "المسند"، يطلب فيها أمرين اثنين:

- أن يفي السلطان أبو فارس لابن مرزوق بالوعد الذي قطعه له والده السلطان أبو الحسن في إسعافه بالتوجه إلى المشرق، بصحبة الركب الذي يحمل نسخة من القرآن الكريم<sup>(4)</sup>.

- استرجاع ممتلكاته التي صودرت منه، بعد النكبة الأخيرة التي تعرض لها بفاس.

وقد ختم ابن مرزوق مسنده بعبارات الدعاء التي خصصها للسلطان أبي فارس ولوالده السلطان أبي الحسن<sup>(5)</sup>، تأكيداً منه على كامل إخلاصه وولائه.

(1) - ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 480.

(2) - المصدر نفسه، ص 366 - 367.

(3) - ابن خلدون، العبر، 7/ 429، 433.

(4) - حاول ابن مرزوق، المسند، ص 487. إبراز الدور الكبير الذي لعبه في إخراج النسخة الشريفة برعاية السلطان أبي الحسن، ورغبته الشديدة في التوجه إلى الحج، كما تطرق إلى أسباب منعه من ذلك في وقت سابق، واختار بعناية أن يكون آخر أبواب "المسند"، وهو الباب 55 مخصص للحديث عن نسخ القرآن الكريم، التي كان يعتني بكتبتها السلطان.

(5) - جاءت عباراته كالتالي "...وأن تعطف قلبه على أصاغر نشؤوا في إحسانهم وأبعدهم القدر عن أوطانهم فهم يجأرون إلى الله صباحاً ومساءً ويخلصون له ضراعة ودعاء ويحتمون التلاوة بالدعاء ويصلون قراءتهم بالرغبة إلى الله في أن يديم لمولاهم اتصال لاعتلاء طول البقاء وأن يمن عليهم بالثول بين يديهم على أفضل الأحوال وأيسرها بين يديهم ومقامهم الأعلى...". أنظر: المصدر نفسه، ص 500.

- تحرير فصول "المسند" ونسخه الأولى الصادرة زمن المؤلف:

استنادا إلى شهادة ابن مرزوق في مسنده<sup>(1)</sup>، فقد شرع في تأليفه سنة 771 هـ / 1369 م، وأنهى الاشتغال عليه في أوائل شهر رمضان 772 هـ / مارس 1371 م<sup>(2)</sup>، كما نعلم أيضا أن أقدم نسخة وصلتنا من مسنده، هي النسخة المحفوظة بدير الأسكوريال<sup>(3)</sup>، التي يعود تاريخ نسخها إلى 27 جمادى الأولى عام 773 هـ / 5 ديسمبر 1371 م، أي أن هذه النسخة النفيسة، وقع نسخها بعد نحو تسعة أشهر من زمن صدور مبيضة المؤلف، وان كنا نجعل تماما هوية ناسخها، إلا أن مكان النسخ كما هو مصرح به في نهايتها هو مدينة تلمسان، التي ينحدر منها المصنف.

هذه المعطيات الكوديكولوجية، التي تكشف عن هوية المكان الذي صدرت فيه هذه النسخة وزمن صدورها، تلفت انتباهي إلى نقطة مهمة، حول وضعية مدينة تلمسان في ذلك التاريخ، فقد كان السلطان المريني أبو فارس عبد العزيز المخصوص بالعمل، متواجدا بالمدينة بعد أن ضمها إلى نفوذه، ومن الجيد أن أبنه كذلك أن السلطان المذكور، قد استقبل بتلمسان سنة 773 هـ / 1371 م، صديق ابن مرزوق، الوزير ابن الخطيب السلماني، لاجئا إليه من بلاط صاحب غرناطة، فهل كانت الظروف العامة بمدينة تلمسان، مهية بشكل كاف لتحفيز ابن مرزوق على إصدار نسخة من مسنده في ذلك التوقيت، وإرسالها إلى السلطان أثناء إقامته

(1) - أشار ابن مرزوق إلى تاريخ بداية تحريره للمسند، أين ذكر أنه شرع فيه بعد وفاة الفقيه أبي العباس أحمد بن الحسن المديوني بثلاث سنوات. أنظر: المصدر نفسه، ص 267 - 268. واستنادا إلى الترجمة التي خصصها أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، 105. للفقيه أبي العباس المديوني، فإن وفاته كانت سنة 768 هـ / 1366 م.

(2) - استنادا إلى الفقرة الأخيرة من المسند، ص 500. وفي هذا السياق توضح محققة الكتاب "مريا خيسوس فيغيرا"، أن الطمس قد لحق السطر الأخير من مخطوطة "المسند" المحتفظ بها في دير الأسكوريال باسبانيا، التي يظهر فيها تاريخ الفراغ من كتبه، وعليه فقد اعتمدت على مخطوطة الرباط تحت رقم (111 ق)، في تحديد تاريخ الفراغ من المسند. أنظر: مقدمة تحقيق المسند، ص 61.

(3) - توجد تحت رقم (1666)، وهي النسخ الأصل التي اعتمدها المحققة "مريا خيسوس فيغيرا"، في تحقيقها للمسند، إضافة إلى المكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (111 ق)، وهي نسخة مصورة عن مخطوط زاوية تامكروت، ويظهر توقيع ناسخها أنها نسخة حديثة وقع الفراغ منها يوم الخميس 15 رجب 1124 هـ / 17 أوت 1712 م، من طرف إبراهيم بن محمد الهشتوكي، لصالح شيخه أحمد بن ناصر الدرعي، وتذهب المحققة المسند مريا خيسوس فيغيرا، إلى احتمال أن تكون نسخة الرباط، قد كملت بنسخة الأسكوريال. أنظر: مقدمة تحقيق المسند، ص 65.

بالمدينة؟

عودة مرة أخرى إلى نسخة الأسكوريال، فكما يبدو أن قلة المعلومات الكوديكولوجية المقيدة بها، لا تسمح بمعرفة هوية ناسخها، ناهيك عن هوية النسخة التي انبثقت عنها، الأمر الذي يفتح المجال لطرح عدة تساؤلات، وتبقى فرص إيجاد أجوبة مقنعة حولها ضئيلة<sup>(1)</sup>، فهل الأصل الذي اعتمده ناسخ مخطوطة الأسكوريال، هو أصل المؤلف النفيس الذي بعث به إلى تلمسان؟ أم أنه اعتمد على نسخة ثانية كانت موجودة بتلمسان في تلك المرحلة المبكرة؟ الأمر الذي يشير إلى وجود نسختين على الأقل من "المسند" كانتا بمدينة تلمسان في شهر جمادى الأولى 773 هـ/ ديسمبر 1371 م، إحداهما نسخة أصل مفقودة اليوم، والثانية فرع عن الأصل المفقود، وقد وجد هذا الفرع طريقه إلى دير الاسكوريال في ملابسات تاريخية مجهولة بالنسبة إلينا على الأقل في الوقت الحالي.

سوف أحاول من جديد، إعادة تجميع وربط المعطيات التاريخية والكوديكولوجية، المتوفرة حالياً، من أجل تفكيك بعض الخيوط الرفيعة، المتعلقة بهوية النسخ الأولى للمسند، وانطلاقاً من الترجمة التي خصصها ابن حجر العسقلاني لابن مرزوق، والتي استند فيها على ما كتبه ابن مرزوق نفسه على حاشية مخطوطة "الإحاطة" الموقوفة بالقاهرة، ذكر فيها تاريخ مغادرته لتونس باتجاه القاهرة، الذي كان في شهر ربيع الأول 773 هـ/ سبتمبر- أكتوبر 1371 م<sup>(2)</sup>، ما يعني أن ابن مرزوق قد بقي في تونس نحو سبعة أشهر فقط بعد تأليفه للمسند، في مقابل هذا نجد تاريخ صدور نسخة الأسكوريال، قد جاء بعد رحيل ابن مرزوق بنحو أربعة أشهر، ما يعني أن نسخة الأسكوريال، ليست هي النسخة التي بعث بها ابن مرزوق من مكان إقامته بتونس إلى تلمسان، فقد وقع نسخها وابن مرزوق في القاهرة، الأمر الذي يؤكد مرة أخرى وجود نسختين على الأقل من المسند، وقع الفراغ من نسخهما خلال تسعة أشهر الأولى، عقب صدور مبيضة المؤلف.

(1) - تذهب مايا شاتزميلر إلى أن ابن مرزوق قد يكون بعث بنسخته من المسند إلى تلمسان، وربما يكون هو من أخذها بنفسه. أنظر:

Shatzmiller M., « les circonstances de la composition du Musnad », pp. 298 - 299.

(2) - ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، 3/ 362.

وإجمالاً لما تمّ مناقشته يمكنني القول، أن هناك مجموعة من الظروف التاريخية المعقدة والمتداخلة، التي شهدها البلاط المريني بفاس، ومدينة تلمسان، والبلاط الحفصي بتونس، قد أثرت بشكل مباشر في طبيعة الخطاب التاريخي الذي تبناه ابن مرزوق في تلك المرحلة المضطربة، ودفعته إلى مغازلة صاحب البلاط المريني أبي فارس عبد العزيز بتخصيص كتاب في مآثر والده السلطان أبي الحسن، الذي مرّ على وفاته أكثر من عشرين سنة، ألخصها في أربعة نقاط أساسية.

- الوضعية الصعبة التي كان يعيشها ابن مرزوق في تونس بعد سيطرة السلطان أبي العباس أحمد على البلاط الحفصي.

- صعود السلطان أبي فارس عبد العزيز إلى العرش المريني، أحد أبناء ولي نعمته السلطان أبي الحسن.

- مقتل ممتحنه الوزير المستبد عمر الياباني، واستئصال حاشيته من البلاط المريني.

- وجود السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز بمقامته من تلمسان.

ومع فشل المساعي الحثيثة التي قام بها ابن مرزوق، لتحقيق أهدافه المعلنة وغير المعلنة في العودة إلى حياة البلاط المريني، فإن مسألة وجوده في تونس لم تعد أمراً مجدياً بالنسبة إليه، ليقرر بعدها التوجه إلى القاهرة بحراً، أين نزل على سلطانها الأشرف شعبان بن حسين (764-778 هـ/ 1363-1376 م)، وتقلد الوظائف العلمية، مرشحاً لقضاء المالكية، ملازماً للتدريس بالشيخونية والضرغمتشية والنجمية إلى أن توفي سنة 781 هـ/ 1379 م<sup>(1)</sup>.

- "المسند الصحيح"، سيرة سلطان مريني في قالب مناقبي.

لا أحتاج هنا إلى كثير من التدقيق في محتوى نص "المسند"، حتى أكتشف أن مؤلفه الذي كان مرافقاً للسلطان أبي الحسن في العديد من أسفاره، مشاركاً له في الكثير من أعماله، يدوّن سيرة ولي نعمته في قالب مناقبي، ما يوحي إلى تلك العلاقة الحميمة، التي كانت تجمع بعض المهتمين بالخبر التاريخي بالبلاط المريني خلال القرن 8 هـ/ 14 م، وهو في هذه الحالة يعتبر

<sup>(1)</sup> - لمزيد من التفصيل حول وضعيته في بلاد المشرق. أنظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 1/ 115. ابن خلدون، الرحلة، ص 64. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، 3/ 362.

محاولة مهمة، يرمي من ورائها ابن مرزوق إلى إعادة رسم صورة البيت المريني الحاكم في شخص السلطان أبي الحسن، وهي صورة مثالية للسلوك السياسي وأساليب الحكم، التي ينبغي أن يكون عليها الحاكم في تلك المرحلة<sup>(1)</sup>، ويكفي في هذا مراقبة عناوين الأبواب التي ناقشها في مسنده، والمقدرة بخمسة وخمسين بابا، تدور كلها حول خلقه ومزاياه الحسنة وكيفية تعامله مع الرعية، إضافة إلى الإشادة بأعمال البناء والعمارة، التي حرص على تشييدها، على غرار المساجد، المدارس والزوايا والمخارس... الخ.

وإن كتب ابن مرزوق مسنده بعد وفاة السلطان المخصوص بالتأليف بنحو عشرين سنة، فقد قاده في وقت سابق، تجربتين مختلفتين خصص فيهما عمليين برسم السلطان المذكور، العمل الأول الذي يشير إليه بفخر واعتزاز، عبارة عن "تخريج لأربعين حديثا من مرويات السلطان أبي الحسن عن مشايخه الذين كتبوا له بالإجازة من المشرق"<sup>(2)</sup>، والكتاب معدود ضمن قائمة المؤلفات التي كان يقرأها مخرجها ابن مرزوق في مجلس سلطانه أبي الحسن، وهو كذلك من جملة الكتب المحبسة بجامع القرويين بفاس، وما يزيد من نفاسة نسخته المحبسة بالجامع أنها منسوخة بخط ابنه السلطان أبي عنان. أما العمل الثاني، فورد تحت عنوان "إيضاح المرشد في أجوبة أبي راشد"، ويفهم من كلام ابن مرزوق<sup>(3)</sup> أنه حرره في سياق جدال فقهي، تمت فيه مناقشة مسألة مشروعية حكم السلطان المريني أبي الحسن بعد نكبته بالقيروان سنة 749 هـ/ 1348 م، وقد صرح ابن مرزوق أنه عارض فيه أحد فقهاء بجاية القائلين بعدم مشروعية حكم السلطان أبي الحسن<sup>(4)</sup>.

(1) - أنظر: مريا خيسوس بيغيرا، مقدمة تحقيق المسند، ص 68 - 69.

(2) - يهتم ابن مرزوق كلامه حول هذا الكتاب بقوله "وقد اعترف لي فقهاء وقتنا فيها بالإجادة والحمد لله، وهذه من أجل الموات وأعظم الوسائل المرجوة للقبول عند خليفتهم رضي الله عنه". والمقصود هنا من كلام ابن مرزوق "خليفتهم"، هو السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز. حوله أنظر: المسند، ص 278.

(3) - المصدر نفسه، ص 97 - 98.

(4) - يفهم من كلام ابن مرزوق، أن كتاب الفقيه البجائي المشار إليه، جاء تحت عنوان "العفو والاعتذار"، الذي أعلن فيه مؤلفه عدم مشروعية حكم السلطان أبي الحسن المريني بعد نكبته بالقيروان. أنظر: المصدر نفسه، ص 98.

أمام هذه الأعمال التي أنجزها ابن مرزوق<sup>(1)</sup>، والسلطان أبو الحسن المريني بقيد الحياة، فهي تؤكد على أن شخصية هذا السلطان، كانت تتمتع بتأثير ونفوذ كبيرين على مستوى تفكير ابن مرزوق، كما كانت سيرته من المواضيع الأكثر جاذبية بالنسبة إليه منذ وقت مبكر، ولم تكن تجربته في مجال توظيف الخبر التاريخي لخدمة مؤسسة البلاط المريني، إلا استمرارا لتجربتين سابقتين له في موضوع الفقه والحديث، وبلا شك هذه الأعمال الثلاثة تعكس إلى حد كبير حسن انتقاء ابن مرزوق لأبرز رموز السلطة المرينية، المتجسدة في شخص السلطان أبي الحسن حتى بعد وفاته، في توجه مفضوح من شخصية محسوبة على حاشية البلاط المريني ردحا من الزمن.

وبخصوص مصادره التي عول عليها في تحرير فصول مسنده، فقد غلبت عليها الرواية الشفوية، فمعظم الأخبار التي تطرق إليها كان فيها شاهد عيان، نتيجة ملازمته للسلطان أبي الحسن لمدة ليست بالقصيرة، الأمر الذي يفسر استخدامه لضمير المتكلم، بشكل متكرر في مختلف أبواب "المسند"<sup>(2)</sup>، مما لا ينحصر بعدد منها قوله: "نحن"، "رأيت"، "شاهدت"، "دخلت"، "قمت"... الخ، هذا إضافة إلى استناده على مجموعة من الأخبار التي شافهه بها السلطان أبو الحسن<sup>(3)</sup>، وقد لا يكون من قبيل المبالغة القول، أن "المسند" في أحد زواياه يمكن اعتباره مذكرات شخصية لمؤلفه ابن مرزوق أيضا، والتي لا يغفل فيها عن إظهار نفسه كشخصية فاعلة في كثير من الأحداث، سواء في مدينته تلمسان أو في فاس، وحتى في باقي المناطق التي دخلها من بلاد المغرب والأندلس، هذا ناهيك عن إشاراته المتكررة حول أخبار

(1) - في هذه النقطة أشير إلى أن ابن مرزوق قد صرح في مسنده بمجموعة من مؤلفاته، عبارة عن تقايد وشروح، وقد بلغت نحو 11 عملا، وإليك عناوينها: "إيضاح المرشد في أجوبة أبي راشد"، و"تخريج أربعين حديثا في فضل الخلافة"، و"ما يزيد عن الأربعين حديثا في تحريم الخروج على الحاكم"، و"تقايد على أبي زيد عبد الرحمن الجزولي"، و"برج الخفا في شرح الشفا"، و"شرح عمدة الأحكام"، و"كتاب في أسانيد البخاري"، و"كتاب الأربعين من مرويات السلطان المريني عن شيوخه الذين كتبوا له الإجازة من المشرق"، و"تقييد من شعر وفوائد أبي القاسم بن رضوان"، و"تأليف في التوكل" في عدة كراريس، و"جزء في كرامات الشيخ أبي عبد الله المرشدي". حولها أنظر: المصدر نفسه، ص ص 97، 98، 101، 155، 197، 199، 228، 277، 216، 275، 277 - 278، 377، 431، 482، 483.

(2) - على سبيل المثال. أنظر: المصدر نفسه، ص ص 134، 135، 136، 138، 142، 143، 148، 152، 156، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 175، 184، 185، 190، 192، 193، 202، 203، 222، 224، 225، 246، 398، 448، 465.

(3) - على سبيل المثال. أنظر: المصدر نفسه، ص ص 109، 116، 123، 127، 128، 134، 223، 225، 240، 280، 309، 438.

بعض أفراد أسرته، الأمر الذي يتيح للمهتمين بشخصية ابن مرزوق، استرجاع الكثير من الوقائع وإعادة تجميعها مرة أخرى لتشكيل في النهاية جزءاً مهماً من سيرته الذاتية.

كذلك صرح ابن مرزوق بهوية مجموعة من الشخصيات الرفيعة المستوى في البلاط المريني، التي نقل عنها بعض الأخبار بطريق المشافهة، منهم: أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي (ت 749 هـ / 1348 م)<sup>(1)</sup>، وأبو إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى التسولي (ت 751 هـ / 1350 م)<sup>(2)</sup>، وأبو زيان عريف (ت 755 هـ / 1354 م)<sup>(3)</sup>، وأبو عبد الله عريف<sup>(4)</sup>، وأبو الحسن بن سعود<sup>(5)</sup>، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي الشرف الحسيني<sup>(6)</sup>، كما ينقل بعض الروايات عن والده أبي العباس أحمد (ت 741 هـ / 1340 م)، وعمه أبي عبد الله محمد<sup>(7)</sup>.

وبخصوص مصادر الإخبارية المكتوبة، فيبدو أن ابن مرزوق قد عول على مؤلفات القاضي عياض السبتي (ت 544 هـ / 1149 م)، بما فيها كتابه "ترتيب المدارك"<sup>(8)</sup> و"الشفاء"<sup>(9)</sup>، و"الفنون الستة في أخبار سبته"، هذا العمل الأخير الذي يعتبر أحد المصادر المفقودة اليوم، التي لا نملك عنها سوى نقولات ابن مرزوق القليلة<sup>(10)</sup>، ما يعني بالتأكيد أن نسخة منه كانت على الأقل موجودة خلال القرن 8 هـ / 14 م، يأتي هذا في ظل الشهادة المهمة التي أدلى بها في وقت سابق ابن القاضي عياض، الفقيه أبو عبد الله محمد (ت 575 هـ / 1179 م)<sup>(11)</sup>، وقد أدرج كتاب والده "الفنون الستة"، ضمن قائمة كتب والده الغير مكتملة، والأمر ذاته أكد عليه ابن

(1) - المصدر نفسه، ص 117.

(2) - المصدر نفسه، ص ص 109، 117، 203، 346.

(3) - المصدر نفسه، ص ص 125، 192.

(4) - المصدر نفسه، ص 192.

(5) - المصدر نفسه، ص 363.

(6) - المصدر نفسه، ص 149 - 150.

(7) - المصدر نفسه، ص ص 117، 118، 121، 155، 253، 322، 482.

(8) - المصدر نفسه، ص 306.

(9) - المصدر نفسه، ص 96.

(10) - نقل عنه ابن مرزوق الملابس التاريخية التي رافقت عبور طارق بن زياد إلى الأندلس. أنظر: المصدر نفسه، ص 389 - 390.

(11) - أبو عبد الله محمد بن القاضي عياض: التعريف بالقاضي عياض، تحقيق محمد بن شريفة، المطبعة والوراقة الوطنية

الدوديات، مراكش، 2009، ص 104.



الخطيب السلماني<sup>(1)</sup>، ليبقى الإشكال قائما حول حقيقة النسخة التي اطلع عليها ابن مرزوق، فمن المحتمل أن يكون قد اطلع على نسخة المؤلف الناقصة، واستفاد منها في أثناء ترده على مدينة سبتة، كما يمكن أن تكون نسخة ثانية منبثقة عن نسخة المؤلف، وأدخلت عليها تعديلات لجبر النقص الذي كان في أصل المؤلف<sup>(2)</sup>، ونظرا لشح المادة الخبرية المتعلقة بهذه النسخة المفقودة فإنه من الصعوبة بما كان تبني أي من الاحتمالات المطروحة حيالها.

عودة إلى مصادر ابن مرزوق، فقد استفاد أيضا من أعمال ابن الأبار (ت 658 هـ / 1259 م) في "أعتاب الكتاب"<sup>(3)</sup> و"التكملة"<sup>(4)</sup>، إضافة إلى "ذيل" ابن عبد الملك المراكشي<sup>(5)</sup>، كما رجع إلى بعض التقييد في النسب، وكتاب ابن أبي زرع الفاسي، وقد أشرت إليها في وقت سابق، على أن الجزء الكبير من مسنده، الذي حشد فيه مجموعة معتبرة من الأحاديث النبوية وآرائه الفقهية، المتعلقة أساسا بمسألة الخلافة وشروطها، قد أحال فيها إلى كتاب "القضاء من شرح التلقين" لأبي عبد الله المازري (ت 536 هـ / 1141 م)<sup>(6)</sup>، وكتاب "القواعد" للعزّ بن عبد السلام (ت 660 هـ / 1261 م)<sup>(7)</sup>.

#### – الأخبار المنقولة عن "المسند"، تكشف عن انتشاره في دائرة المقربين من البلاط:

تظهر الإحالات الواردة في بعض المصادر الإخبارية المنجزة في نهاية المرحلة الوسيطة، إلى اعتماد "المسند" كأحد أهم المصادر الإخبارية، التي تغطي مرحلة حكم السلطان المريني أبي الحس،

<sup>(1)</sup> - أنظر: الإحاطة، 4/ 228. أما السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص 252. فقد اكتفى فقط بالإشارة إليه ضمن مجموعة الكتب المصنفة حول مدينة سبتة.

<sup>(2)</sup> - ناقش عبد السلام الجعماطي في بحثه حول تواريخ السبّتين، إشكالية هوية النسخة التي اطلع عليها ابن مرزوق، وقد ذهب إلى احتمالية أن يكون محمد بن القاضي عياض، قد أكمل عمل والده، كما فعل بكتاب "مذاهب الحكام في نوازل الأحكام" أو أحد حفدته. لمزيد من التفصيل. أنظر: عبد السلام الجعماطي: "تواريخ السبّتين المفقودة دراسة في مضامينها وإشكالاتها"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، 70، (2010)، ص 79-80.

<sup>(3)</sup> - ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 373.

<sup>(4)</sup> - المصدر نفسه، ص 347.

<sup>(5)</sup> - المصدر نفسه، ص 343-347، 456-461.

<sup>(6)</sup> - المصدر نفسه، ص 98. وكتاب المازري، القضاء من شرح التلقين، نشر بتحقيق محمد المختار السلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، 8 مج.

<sup>(7)</sup> - المصدر نفسه، ص 101.

منها تلك التي أوردتها شاعر البلاط المريني إسماعيل بن الأحمر في كتابه "روضة النسرين"<sup>(1)</sup>، ومن غير المستبعد أن يكون هذا الأخير قد اطلع على نسخة من "المسند"، ضمن قائمة كتب الخزانة السلطانية بفاس، إضافة إلى نقولات صاحب "الروض الهتون" لابن غازي المكناسي (ت 919 هـ / 1513 م)<sup>(2)</sup>، ومع نهاية القرن 10 هـ / 16 م، وبدايات القرن 11 هـ / 17 م، اعتمد عليه ابن القاضي المكناسي (ت 1025 هـ / 1616 م)، وينقل عنه في كتابه "درة الحجال"<sup>(3)</sup>، بل يوحى عنوان كتابه الذي خصصه لولي نعمته السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي (986-1012 هـ / 1578-1603 م)، الموسوم بـ "المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور"<sup>(4)</sup>، أنه مستوحى من كتاب "المسند"، ويعدّ تلميذه المقرئ التلمساني (ت 1041 هـ / 1631 م)، من أبرز الناقلين من مسند ابن مرزوق، وقد أحال إليه في مواضع متكررة في نفعه<sup>(5)</sup>.

هذه النقولات التي تمّ رصدها في عدد من المصادر الإخبارية المحلية، تشير إلى أن نسخ "المسند"، عرفت انتشارا في حاشية البلاط، وإن كنت لا أستطيع تحديد مكان وجودها على وجه الدقة، يبقى الاحتمال قائما على أنها كانت ضمن نفائس الخزانة السلطانية بفاس وحتى مراكش<sup>(6)</sup>، وقد منح ذلك لبعض المهتمين بتدوين أخبار السلالة المرينية الحاكمة، فرصة

(1) - أحال إليه ابن الأحمر، روضة النسرين، ص 22. فيما يتعلق بإمارة حمامة بن محمد المريني.

(2) - ذكر ابن غازي المكناسي، مسند ابن مرزوق تحت عنوان "مناقب أبي الحسن المريني"، وقد أحال إليه في ترجمة محمد بن أبي الفضل بن الصباغ. أنظر: الروض الهتون في تاريخ مكناسة الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1988، ص 42.

(3) - خصص له ابن القاضي المكناسي، ترجمة قصيرة في كتابه "درة الحجال"، كما نقل عنه ترجمة أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني. حولها أنظر: درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدى أبي النور، المكتبة العتيقة، تونس، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1971، 63/1، 275/2 - 276. كذلك أورد له ترجمة في جذوة الاقتباس، 1/ 225-227.

(4) - حول هذا الكتاب، وطريقة تأليفه وقيّمته التاريخية. أنظر: إيفاريسست ليفي - بروفنصال: مؤرخو الشرفاء، ترجمة عبد القادر الخلّادي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص 85 - 87.

(5) - مصدر سابق، 1/ 605 - 606. 400/4، 404. 217 - 216 /6. كما أنه بالنسخة التي كانت موجودة بجامع العباد بتلمسان، أين اطلع عليها أبو القاسم الزياني (ت 1249 هـ / 1833 م) في أثناء تواجده بالمكان. حولها أنظر: أبو القاسم الزياني، مرجع سابق، ص 144.

(6) - شككت محققة المسند مريا خيسوس بيغيرا في رأي إيفاريسست ليفي - بروفنصال، من كون النسخة التي رجع إليها كل من ابن القاضي والمقرئ هي النسخة الموجودة بالمكتبة السلطانية بمراكش، بسبب ظهور نسخة الرباط. لمزيد من التفصيل أنظر: مقدمة تحقيق المسند، ص 73.

الوصول إليها وإمكانية الاستفادة منها.

### 3. تراجع مستوى الأعمال الإخبارية السلالاتية مع تراجع سلطة البلاط المريني:

لقد بات متوقعا، تراجع حجم وقيمة الأعمال الإخبارية الموجهة لخدمة السلالة المرينية، بتراجع سلطة البلاط المريني، خصوصا وأن الأمور قد ازدادت تأزما وتعقيدا مرحلة ما بعد القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي، وفي هذا الصدد أشير إلى بعض الأعمال السلالاتية المتأخرة، منها العمل الذي قام به أحد المقربين من البلاط المريني، ومتولي وظيفة الكتابة بديوان الإنشاء، الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد التاورتي (حيا بعد الثمانمائة)، وكل ما نعرفه عنه، تلك الترجمة القصيرة التي أفردها له ابن القاضي المكناسي في جذوته<sup>(1)</sup>، حاز فيها على لقب "مؤرخ أيام أبي سعيد الأصغر"، ويفهم منها أن التاورتي كان من المنتظمين في سلك بلاط السلطان المريني أبي سعيد عثمان بن أبي العباس (800 - 823 هـ / 1397 - 1420 م)، وأشار إلى عمله التاريخي الذي خصصه لسلطانه الذي عاش في كنفه، كما احتفظ ابن القاضي بترجمتين نقلهما عنه، وهما ترجمة الفقيه الخطيب عبد الرحمن الزرهوني<sup>(2)</sup>، والفقيه الكاتب يحيى بن أبي دولامة<sup>(3)</sup>، وعلى أهمية هذا العمل، إلا أنه معدود ضمن قائمة المؤلفات الضائعة، ومن المحتمل أن يكون التاورتي اتبع في ترتيب أخباره، طريقة صاحب "المسند" في الجمع بين سيرة السلطان أبي سعيد، وتقصي أخباره ومنجزاته، إضافة إلى الاهتمام بالترجمة لحاشية بلاطه من الوزراء، والحجاب، والكتاب، وعدد من الشخصيات المهمة.

إن الاهتمام بسيرة السلاطين المرينيين وتدوينها، لم يكن مقتضرا على بعض الشخصيات التي تعود بأصولها إلى بلاد المغرب، بل سجل كذلك العنصر الأندلسي مساهمته في ذلك الخصوص، وبشكل خاص من الوافدين على البلاط المريني، على غرار كتابات "الأمير

(1) - ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، ص 87.

(2) - المصدر نفسه، ص 403.

(3) - المصدر نفسه، ص 539. كما نقل عنه أحمد الناصري السلاوي (ت 1315 هـ / 1879 م)، في ثلاث مواضع من كتابه "الاستقصا"، مصرحا بالقول "وقد أرخ دولته وسيرته الكاتب أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد التاورتي". حولها أنظر: الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955، 4 / 89، 93، 94.

التاريخي<sup>(1)</sup> إسماعيل ابن الأحمر، واسطة عقد أبناء ملوك بني الأحمر بغرناطة<sup>(2)</sup>، وعلى حسب المعلومات المتوفرة حول هذه الشخصية المرموقة، فقد لجأ إلى بر العدو المغربية مع والده عقب النكبة التي لحقت بهذا الفرع الأميري<sup>(3)</sup>، وكانت بجاية الوجهة الأولى التي فضلوا التزول بها، ثم انتقلوا بعدها إلى فاس أين استقر بهم المقام، وعلى حسب شهادة ابن الأحمر<sup>(4)</sup> نفسه، التي أدلى بها في كثير من المناسبات، فقد حظي في كنف السلاطين المرينيين بالحفاوة والتقدير، كما توطدت صلته أكثر بالسلطان أبي عنان، الذي أغدق عليه بالعطايا<sup>(5)</sup>، واستمرت صلته بالبلاط المريني حتى بعد وفاة السلطان المذكور، حيث جمعته علاقة مع سلاطين البلاط المريني وأبناء الأمراء، إضافة إلى مجموعة من الوزراء، والكتاب، والقضاة.

لم يكن إنتاج إسماعيل بن الأحمر "الأدبي التاريخي"، إلا تعبيراً عن ذلك الوسط النخبوي الراقي الذي ينتمي إليه، فقد اعتنى بالترجمة لطبقة السلاطين، والأمراء، والوزراء، وأصحاب العلامة، وطبقة الشعراء، إضافة إلى بعض البيوتات الفاسية العريقة، ما يهمني في هذه المرحلة، عنايته بتدوين سيرة السلاطين المرينيين، ومن أعماله التي سوف أسلط الضوء عليها، كتابه "روضة النسرین في دولة بني مرین"<sup>(6)</sup>، كتبه برسم السلطان أبي سعيد عثمان، الذي عاصر السنوات الأولى من حكمه، وكتابه "الروضة" عبارة عن سجل تاريخي مقتضب، حاول فيه ابن

(1) - أشار إليه بهذا الوصف ابن القاضي المكناسي، درة الحجال، 1/ 213.

(2) - لجأ أمير مالقة، وحفيد الأمير القائم بأمر الله محمد بن أبي سعيد فرج، إلى بلاد المغرب، عقب النكبة التي لحقت به، وفي كثير من المرات ينتهز إسماعيل ابن الأحمر المناسبة ليتحدث باعتزاز، وفخر عن أصوله الأميرية. حولها أنظر: ابن الأحمر، مستودع العلامة، ص ص 20، 21، 23، 54. نثير الجمان، ص 26.

(3) - لمعرفة تفاصيل النكبة التي لحقت بالفرع الملكي، الذي ينحدر منه إسماعيل بن الأحمر وأسبابها. أنظر: ابن الأحمر: نثير الجمان، ص ص 21 - 22، 25 - 26. مستودع العلامة، ص 66 - 68.

(4) - منها قوله "ولما كان الحلول بملوك المغرب، أمطروا علينا سحائب كرمهم المغرب، وحسنت الأحوال، وذهبت الأهوال، وطاب المقام، ونجم الأمن واستقام". أنظر: المصدر نفسه، ص 22.

(5) - من جملة هذه العطايا، أن دفع عنه صداق زواجه من ابنة عمه، كما كان من جملة الشخصيات التي اصطحبها معه إلى افريقية سنة 758 هـ/ 1356 م. المصدر نفسه، ص 69.

(6) - ورد هذا الكتاب في نيل الابتهاج تحت عنوان "روضة النسرین في أخبار بني عبد الوادي وبني مرین". أنظر: أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 146. كما يبدو أنه الكتاب نفسه المنسوب لابن الأحمر الموسوم بـ "حديقة النسرین في أخبار بني مرین". وورد ذكره عند: ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، 1/ 166. أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 146. عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، 1/ 145.

الأحمر تقديم مقتطفات سريعة في سيرة السلاطين المرينيين، من مبدأ حكمهم إلى آخر سلطان عاصر فترة حكمه، وقد رتبته على تعاقب سنين حكمهم، فيذكر السلطان ومدة حكمه، نسبه وعدد أولاده من الذكور والإناث، إضافة إلى أوصافه الجسمية والخلقية، ويختم الكلام بسرد قائمة بأسماء حاشيته من الوزراء، والكتّاب والحجّاب... الخ، وقد اختار كمقدمة لكتابه التطرق لأهمية التاريخ وفوائده، وذكر أصول وأنساب بني مرين.

وعلى الرغم من أهمية بعض المعلومات التاريخية الواردة في "روضة النسرين"، خصوصاً تلك التفاصيل الدقيقة حول بعض السلاطين المرينيين، التي قد لا توجد في كتاب إخباري آخر، إلا أنها تبقى محدودة الأهمية، كما يعاب على مرويات ابن الأحمر، أنه لم يتطرق إلى كثير من المنعطفات التاريخية الخطيرة، التي شهدتها البلاط المريني، والمنطقة برمتها مع نهاية القرن 8 هـ/ 14 م، خصوصاً وأن هذا الأخير كان على صلة وطيدة بحياة البلاط، لمدة زمنية ليست بالقصيرة، والملفت للانتباه أكثر، أنه لم يستفد بشكل كاف من الأعمال الإخبارية المنجزة خلال القرن 8 هـ/ 14 م، والتي كان على معرفة أكيدة بها، على غرار تاريخ ابن أبي زرع الفاسي، ومسند ابن مرزوق، وبكثير من التحامل على الفرع العبد الوادي بالمغرب الأوسط، ذيل ابن الأحمر كتابه "روضة النسرين"، وقد وصفهم بنعوت دونية، منها قوله "المحقّرين الأذلة المصغرين"<sup>(1)</sup>، كما نال الشتم أغلب سلاطين الدولة الزيانية<sup>(2)</sup>، وبالتأكيد أن وجود مثل هذا التيار "الأدبي التاريخي"، الممزوج بكثير من الميول الشخصي للمصنف، يعبر بشكل واضح عن حالة الاحتقان والتوتر الكبير، الذي شاب العلاقات المرينية العبد الوادية في كثير من مراحلها التاريخية، وقد وجدت طريقها سريعاً إلى عملية التدوين التاريخي الموجهة لخدمة البلاط في المرحلة الوسيطة المتأخرة.

خصص ابن الأحمر مساحة كبيرة من أعماله الإخبارية، لتدوين تاريخ السلالة المرينية الحاكمة، في عمله الثاني الموسوم بـ "النفحة النسرينية واللمحة المرينية"<sup>(3)</sup>، وهي عبارة عن

(1) - ابن الأحمر، روضة النسرين، ص 54.

(2) - من الأمثلة الدالة على ذلك، وصفه للسلطان الزياني أبي حمو موسى بالجن والبخل والحقارة والفقر وسفكه للدماء. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص 66 - 70.

(3) - تحقيق محمد عدنان الطعمة، مطبعة الشام، دمشق، 1972 م.

نظم تاريخي حول السلاطين، على شاكلة نظم المزوزي الذائع الصيت، مع تقديمه لبعض الشروح والتعليق التاريخية، أما عمله الثالث فقد جاء تحت عنوان "حديقة النسرين في أخبار بني مرين" <sup>(1)</sup>، وعلى العموم فهذه الأعمال الإخبارية تتشابه في عناوينها ناهيك عن محتواها، كما أنه لم يتمكن من تقديم نموذج مبتكر في مجال تدوين الخبر التاريخي نهاية القرن 8 هـ / 14 م، خصوصا إذا قورنت بأعمال معاصريه <sup>(2)</sup>، وقد وجه ابن خلدون نقدا لاذعا لمثل هذه الكتابات، متهما إياها بالضعف والتقليد قائلا "ومن هذا الباب ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسق ملوكها، فيذكرون اسمه ونسبه وأباه وأمه ونساءه ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره، كل ذلك تقليد لمؤرخي الدولتين من غير تفتن لمقاصدهم...والذهول عن تحري الأغراض من التاريخ" <sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> - ورد ذكر عنوان كتاب "حديقة النسرين" في الترجمة التي خصصها له ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، 1/

166. أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 146. عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، 1/ 145.

<sup>(2)</sup> - وصفت مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص 123. أعمال ابن الأحمر أنها "شبه تاريخية"، معتبرة إياها أقل بكثير من إنتاج معاصريه، سواء من ناحية ضيق أفقه التاريخي أو وزنه السياسي المتواضع.

<sup>(3)</sup> - ابن خلدون، المقدمة، 1/ 324 - 325.

### المبحث الثالث: البلاط الزياني وعملية التدوين التاريخي السلالاتي:

من المناسب هنا، التذكير بتلك التطورات الهامة التي عرفتها بلاد المغرب، خلال القرن 7 هـ / 13 م، حيث ضعفت سلطة الموحدين وتقلص نفوذهم، في معظم أقاليم السلطنة المتهالفة، بما فيها مناطق المغرب الأوسط، التي أصبحت مسرحاً للصراع الدائر بين مختلف القوى السياسية من جهة، والجماعات الزناتية الرعوية "بنو عبد الواد، وبنو توجين، وبنو راشد" من جهة ثانية، يضاف إليها تلك الغارات المتكررة التي شنها بنو غانية على ضواحي تلمسان<sup>(1)</sup>، وقد أدى ذلك إلى إلحاق ضرر كبير بعدد من الأمصار والقواعد المهمة في المنطقة<sup>(2)</sup>.

لقد شكل نجاح الفرع العبد الوادي، في تكوين كيان سياسي مستقل بعد انهيار الصرح الموحدي، واتخاذهم لتلمسان قاعدة لملكهم<sup>(3)</sup>، نقطة تحول مهمة في المسار التاريخي لمنطقة المغرب الأوسط، "فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه فأصبحت أعظم أمصار المغرب، ورحل إليها الناس من القاصية ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، ونشأ بها العلماء، واشتهر فيها الأعلام، وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية"<sup>(4)</sup>، بلا شك كان لتلك التطورات التاريخية المفصلية، الأثر الكبير في انتعاش الحركة الفكرية بالمنطقة، واشتغال مجموعة من أعلام الحضرة الزيانية ببعض فروع

(1) - لمعرفة مزيد من التفصيل حول الغارات التي شنها بنو غانية على بلاد المغرب. أنظر: عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص ص 195-200، 233. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، 10/ 128-129، 136-138، 238، 259-260. ابن عذاري المراكشي، مصدر سابق (قسم الموحدين)، ص ص 175-198، 239-242، 252-256. ابن خلدون، العبر، 6/ 326، 327، 335.

(2) - ذكر ابن خلدون، العبر، 7/ 105. ما مجموعه عشرة مدن تعرضت إلى عملية التخريب، والنهب والسلب في تلك المرحلة، وهي: تاهرت، وأرشكول، وقصر عجيسة، وزرقة، والخضراء، وشلف، ومتيجة، وحمزة، ومرسى الدجاج، والجبعات.

(3) - حول بدايات الدولة الزيانية. أنظر:

- Bargés, *op. cit*, pp. 1- 20.

- Georges Marçais, *Tlemcen , ville d'art et d'histoire*, librairie Renourd, H.Laurens, éditeur, Paris, 1950, pp. 7- 42.

- فيلاي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، 1/ 13-37.

(4) - ابن خلدون، العبر، 7/ 105.

المعرفة<sup>(1)</sup>، ما يهمني في الوقت الحالي مراقبة طبيعة الوسط التاريخي في تلمسان الزيانية، وأبرز الأعمال الإخبارية المرتبطة بالبلاط على وجه الخصوص.

### 1. مساهمة حاشية البلاط الزياني في تدوين سيرة السلاطين خلال القرن 8 هـ / 14 م:

تماشياً وطبيعة المرحلة، التي شهدت ارتفاعاً محسوساً في نسبة الأعمال الإخبارية الموجهة لخدمة البلاط في مغرب ما بعد الموحدين، كان كذلك تاريخ السلالة الزيانية الحاكمة في تلمسان، أحد المواضيع التاريخية الأكثر جذبا للمهتمين بسيرة السلاطين الزيانيين، حيث توجت مرحلة القرنين 8-9 هـ / 14-15 م، ببعض الأعمال الإخبارية السلالاتية المهمة، وإن جاءت متأخرة نسبياً عن تاريخ وصولهم للسلطة في تلمسان، الأمر الذي كان له أثره السلبي في غياب تغطية اسطوغرافية للمراحل الأولى التي شهدت ميلاد الكيان الزياني، ومع ذلك فقد احتل تاريخ المدينة في عهدها الإسلامية المتقدمة<sup>(2)</sup>، الفصول الأولى في تلك الأعمال، تمهيدا للفصول المتعلقة بتاريخ السلالة الحاكمة.

ومن المفيد هنا، لفت الانتباه إلى أحد بواكير الأعمال القطرية الضائعة المنجزة حول تاريخ تلمسان، من عمل ابن الأصفر (ت 460 هـ / 1067 م)، أشار إليه صاحب "الإحاطة"<sup>(3)</sup>، هذا الأخير صرح كذلك بعمل تاريخي ضائع آخر في تاريخ تلمسان، من إنجاز قاضي المدينة الشيخ أبي عبد الله بن هدية القرشي (ت 735 هـ / 1334 م)، جاء تحت عنوان "تاريخ تلمسان"<sup>(4)</sup>، وعلى الرغم من إشادة أبو الحسن النباهي (ت بعد: 792 هـ / 1389 م)، بالمعرفة التاريخية التي كان يتمتع بها ابن هدية القرشي، في الترجمة التي خصصها له في "المراقبة العليا"<sup>(5)</sup>، باعتباره أحد قضاة السلطان الزياني أبي تاشفين (718-737 هـ / 1318-1337 م)، وكاتب سره، إلا أنه لا يشير إلى عمله التاريخي، وينسحب الكلام على الترجمة المقتضبة التي

(1) - حول المظاهر الفكرية والتعليمية في تلمسان الزيانية، أنظر: فيلاي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، 2 / 317-498.

(2) - حول تاريخ تطور مدينة تلمسان قبل القرن 7 هـ / 13 م. أنظر: علاوة عمارة: موقع تلمسان من كرونولوجية انتشار الإسلام في بلاد المغرب (ق 2-6 هـ / 8-12 م)، مغرب أوسطيات، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، 2013، ص 9-37.

(3) - مصدر سابق، 1 / 83. ونقلها عنه في وقت لاحق السخاوي، الإعلان بالتويخ، ص 245.

(4) - المصدر نفسه، 1 / 83. ونقلها عنه في وقت لاحق السخاوي، الإعلان بالتويخ، ص 258.

(5) - مصدر سابق، ص 146 - 147.



خصصها له معاصراه صاحب "بغية الرواد" <sup>(1)</sup>، و"المسند الصحيح" <sup>(2)</sup>، ويقتى تصريح ابن الخطيب السلماني، الإشارة الوحيدة حول كتاب ابن هدية، ومن المرجح أن تكون محدودية انتشار نسخ هذا الكتاب وضعف تداوله في الوسط المهتمين بالخبر التاريخي خلال القرن 8 هـ/ 14 م، خلف ذلك الغياب.

أ- أبو زكريا يحيى بن خلدون، أبرز كتاب البلاط المهتمين بتاريخ السلالة الزيانية:

في هذا السياق التاريخي، الذي انتشرت فيه أعمال موجهة لخدمة السلالات الحاكمة في نهاية المرحلة الوسيطة، نجد أحد المتدربين على كتابة الإنشاء في البلاط الزياني، يجري محاولة مهمة لجمع أخبار الأسرة الملكية "آل زيان" في عمل إخباري مستقل، أعني به عمل الكاتب يحيى بن خلدون (ت 780 هـ / 1387 م)، الأخ الأصغر لصاحب "العبر"، وجاء كتابه تحت عنوان "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد وما حازه أمير المسلمين مولانا أبو حمو من الشرف الشاهق الأطواد" <sup>(3)</sup>، ويعود بأصوله العربية إلى أحد الأسر الاشيلية النازحة إلى الحاضرة الحفصية تونس، وإن كانت المصادر الإخبارية التي أشارت إليه، لا يمكن التعويل عليها كثيرا في معرفة تفاصيل أخباره، إلا أنه في الإمكان تقصي بعضها، خصوصا تلك التي تضمنها كتابه "البغية"، إضافة إلى ما أورده الأخ الأكبر في عبره.

دون الدخول في كثير من التفاصيل التاريخية الدقيقة المتعلقة بحياة صاحب "البغية" <sup>(4)</sup>،

<sup>(1)</sup> - اكتفى يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 1/ 116. في ترجمته لابن هدية القرشي، بالتلويح فقط بكثرة مؤلفاته وتنوعها، ومن أعماله التي نشرت وحقت، كتابه العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس، تحقيق محمد علال سينا، دار طوبقال، المغرب، 2015 م.

<sup>(2)</sup> - المناقب المرزوقية، ص 175-176.

<sup>(3)</sup> - ورد عنوان كتاب "بغية الرواد" تحت هذه الصيغة، في ثلاث مواضع من الكتاب المطبوع. حولها أنظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 1/ 81. 247. 308 / 2. على أن هذه الصيغة ليست الوحيدة المعروفة في نسخ الكتاب التي وصلتنا اليوم، فبعض النسخ جاءت تحمل عنوان "نجمة الرواد"، وقد تطرق إلى هذا الاختلاف في صيغة العنوان محقق الكتاب عبد الحميد حاجيات في مقدمة تحقيقه، ص 52.

<sup>(4)</sup> - من بين الدراسات التي خصصت مساحة مهمة حول حياة يحيى بن خلدون، أشير إلى دراسة:

- Bargés, *op. cit.*, pp. 205-218.

كذلك الدراسة المفصلة التي أنجزها المحقق عبد الحميد حاجيات في مقدمة تحقيقه لكتاب "بغية الرواد"، كذلك مقال آخر للمحقق جاء تحت عنوان "يحيى بن خلدون وكتابه بغية الرواد"، مجلة عصور الجديدة، 3، 4، (2011-2012)، ص 21-39.

سوف أسلط الضوء أكثر على علاقته بالبلاط الزياني، وتأثير ذلك في هوية الخطاب التاريخي الذي كتب فيه عمله الموجه لصالح السلالة الزيانية التي خدم سلاطينها، هذا ويرجع سبب اتصاله بالسلطان أبي حمو موسى (760-791 هـ / 1388-158 م) إلى سنة 764 هـ / 1362م، موفدا عن صاحب بجاية الأمير الحفصي أبي عبد الله، يطلب منه مساعدته في استرجاع إمارته<sup>(1)</sup>، وإن فشلت مساعي الحاجب يحيى بن خلدون، في مهمته الرسمية في بلاط تلمسان، إلا أنه نجح على الأقل في تحقيق مكاسب شخصية، أين استطاع إقناع السلطان الزياني بقصيدته المولدية التي ألقها بحضرته<sup>(2)</sup>، وقد أمر له السلطان بجائزة حسنة<sup>(3)</sup>، ومن جديد نجده بعد عدة أشهر، مرة أخرى في بلاط السلطان الزياني أبي حمو موسى يطلب فيها مساعدته، لكن هذه المرة كان مصحوبا بوفد رفيع المستوى يرأسه الأمير أبو عبد الله نفسه<sup>(4)</sup>.

بعد هذا التاريخ، لا تتوفر معلومات كافية حول مصير الحاجب يحيى بن خلدون في بلاط بجاية، خصوصا بعد حدوث تطورات كثيرة شهدها البلاط الحفصي<sup>(5)</sup>، وعن حقيقة استمرار جهوده في استعادة إمارة بجاية بصفته حاجبا للأمير أبي عبد الله سنة 765 هـ / 1363 م، وما يعمق من هوة هذا النقص، تلك الأخبار التي تتحدث عن وصول الأخ الأكبر عبد الرحمن إلى بجاية سنة 766 هـ / 1364 م، قادما إليها من بلاط غرناطة، وباستدعاء من صديقه الأمير المذكور<sup>(6)</sup>، ليشهد البلاط البجائي مشاركة الأخوين ابنا خلدون في الخدمة البلاطية، وهنا تطرح مجموعة من الأسئلة الدقيقة، فما نعرفه أنه بعيد وصول الأخ عبد الرحمن إلى بجاية

(1) - يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 2 / 119.

(2) - أورد يحيى بن خلدون مقاطع من قصيدته المولدية هذه. حولها أنظر: المصدر نفسه، 2 / 119. كما أورد صاحب زهر البستان، ص 239 - 241. مقاطع أخرى منها، غير المقاطع التي أوردتها ناظمها يحيى بن خلدون.  
(3) - المصدر نفسه، ص 238.

(4) - أنظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 2 / 126. كما خصص صاحب زهر البستان، ص 256 - 259. فصلا مستقلا رصد فيه أخبار وفادة الأمير أبي عبد الله مع حاجبه يحيى بن خلدون إلى تلمسان، جاء تحت عنوان "ذكر وصول الأمير أبي عبد الله صاحب بجاية يطلب النصرة من المولى والحماية".

(5) - حول هذه المرحلة المضطربة من تاريخ الدولة الحفصية، التي شهدت حالة من الانقسامات الداخلية. أنظر: روبرار برنشفيك، مرجع سابق، 210/1 - 211. محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 445 - 446.

(6) - ابن خلدون، الرحلة، ص 95.

أسندت إليه وظيفة الحجابة<sup>(1)</sup>، فهل يعني ذلك استبعاد الأخ الأصغر من منصبه كحاجب في البلاط الأميري في تلك المرحلة؟ وهل أسند إليه منصب ثان بعد عزله من منصبه الأول؟ ما هو المنصب الذي شغله يحيى في البلاط بعد قدوم الأخ الأكبر؟ ما هي الأسباب الحقيقية التي تقف وراء استبعاد يحيى بن خلدون من منصبه كحاجب للأمير؟ وهل للأمر علاقة بالاتفاق الذي عقده الأخ الأكبر عبد الرحمن مع صديقه الأمير أبي عبد الله، بتوليته وظيفة الحجابة<sup>(2)</sup> في حال تمكن الأمير من استعادة السيطرة على الإمارة؟

قضايا كثيرة محل تساؤل ونقاش، في ظل السكوت المطبق الذي تبناه الأخوان ابنا خلدون، وعدم إثارتها الخوض في هذه المسألة تحديداً، ومع ذلك فقد حاول عبد الحميد حاجيات<sup>(3)</sup> البحث عن بعض الإجابات، التي تبدو مقنعة في بعض زواياها، لكنها تبقى في ذات الوقت مجرد استنتاجات، تحتاج إلى مزيد من الأدلة التاريخية المقنعة، فخلال الأربع سنوات الموالية من حياة يحيى بن خلدون في بجاية، ظلت أخباره مجهولة، ليأتي تسريب مهم من الأخ الأكبر، الذي يفهم منه أن سقوط مدينة بجاية بعد مقتل أميرها سنة 767 هـ/ 1365 م، كان له الأثر الكبير في اضطراب حياة ابني خلدون في المدينة، والمؤكد أنهما لم يتمكنوا من استعادة مكانتهما عند الحكام الجدد في البلاط البجائي، ونتيجة للضغط الذي مارسه بعض الوشاة من حاشية البلاط الأميري، قرر الأخ الأكبر مغادرة المدينة، والتوجه إلى ديار عرب الذواودة في أحياء يعقوب بن علي<sup>(4)</sup>، كما أن وضعية الأخ الأصغر الذي بقي في المدينة، ليست بالوضعية المريحة، وهنا تتدفق مجموعة من الأسئلة: هل بقاء يحيى بن خلدون بالمدينة، يفسر على أنه كان ينتظر أن يتحسن وضعه في بلاط بجاية؟ أم أنه كان يتحين الفرصة المواتية، ويبدل جهوداً حثيثة للخروج الآمن

(1) - أنظر: ابن خلدون، العبر، 6/ 548.

(2) - تأتي رواية الأخ الأكبر عبد الرحمن، لتؤكد على أن الأمير الحفصي أبا عبد الله، قد كتب عهداً بخطه لعبد الرحمن بن خلدون بتوليته منصب الحجابة، في حال استعادة الأمير السيطرة على بجاية، وبالفعل فعندما تمكن الأمير من السيطرة على بجاية، عين عبد الرحمن حاجبا له، لكن هذا الأخير تنازل عن المنصب لصالح أخيه يحيى "حفاظاً للرسم". أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص 94-95. لكن رواية الأخ الأصغر يحيى بن خلدون، تشير صراحة إلى قيام السلطان المريني أبي سالم بإرساله رفقة الأمير أبي عبد الله الحفصي من تلمسان إلى بجاية، وقد ولاه منصب الحجابة، لمكانة سلفه في خدمة الحفصيين.

أنظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 2/ 119.

(3) - لمزيد من التفصيل. أنظر: مقدمة تحقيق كتاب بغية الرواد، 1/ 30-31.

(4) - ابن خلدون، العبر، 6/ 550. الرحلة، ص 96.

من المدينة على غرار الأخ عبد الرحمن؟ وهل يفسر وجوده في منطقة بونة بعد ذلك بوقت قصير، على أنها طريق النجاة، والعودة من جديد إلى مسقط رأسه تونس؟

ومهما يكن، فيبدو واضحاً الإخفاق الكبير الذي مني به يحيى بن خلدون في بجاية بعد مقتل أميرها أبي عبد الله، وقد انتهى ذلك بالقبض عليه في منطقة بونة، ويفهم من رواية الأخ الأكبر الذي لجأ إلى ديار عرب الذواودة، حيث كان يرقب من بعيد الأوضاع الصعبة، وتعرض أفراد العائلة إلى مضايقات متعددة في بجاية، فقد تعرضت دور وأملاك الأسرة لعملية تفتيش دقيقة، بأمر من السلطان الحفصي أبي إسحاق (750-770 هـ / 1350-1369 م)، حالياً لا تتوفر معلومات كافية قد ترشدني إلى معرفة مدة اعتقال يحيى بن خلدون في السجن، لكن يبدو أنه استطاع الهروب والالتحاق بأخيه الأكبر عبد الرحمن، الذي انتقل إلى قاعدة بلاد الزاب الأوسط "بسكرة" في ضيافة بني مزني، ليجتمع بأولاده خلال سنة 769 هـ / 1367 م<sup>(1)</sup>، وقد أشار هذا الأخير إلى زيارة التبرك التي قادته في تلك المرحلة إلى قبر عقبة بن نافع في زاب تهودة<sup>(2)</sup>.

#### – يحيى بن خلدون في خدمة بلاط السلاطين.

لم تكن مسألة لجوء أفراد أسرة ابن خلدون إلى بسكرة في ضيافة بني مزني، بالأمر الذي يخفى عن مسامع السلطان الزياني أبي حمو موسى، الذي أرسل إلى الأخوين يطلب منهما الانضمام إليه، ومساعدته في حشد عرب رياح وضمهم إلى معسكره، للاستيلاء على إمارة الحفصيين بجاية، ونظير هذه الخدمة قدّم السلطان الزياني وعوداً بمنحهما مناصب رفيعة المستوى في بلاطه، أتوقف هنا قليلاً لأتبين حقيقة هذه الاستدعاءات، وطبيعة المناصب المقترحة، وبعض التصريحات الصادرة من الأخوين، التي قد تبدو متضاربة فيما بينها في بعض الأحيان.

بداية يصرح يحيى بن خلدون<sup>(3)</sup> أن السلطان الزياني أبا حمو موسى بعث إليه مكتوباً بواسطة رسوله عمر بن محمد بن مجن، يطلب منه إعانتته في حشد عرب رياح، وضمهم إلى معسكره، كان ذلك بعد عودته إلى حضرته تلمسان في 15 ربيع الأول سنة 769 هـ / 8 نوفمبر

(1) – يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 2/ 193.

(2) – المصدر نفسه، 1/ 165.

(3) – المصدر نفسه، 2/ 193 – 194.

1367م<sup>(1)</sup>، وقد أبدى يحيى بن خلدون رغبته في المساعدة، وبذل مساعي حثيثة كللت في نهاية المطاف بالنجاح<sup>(2)</sup>، وعلى إثرها توجه إلى بلاط تلمسان، وكان تاريخ وفادته على السلطان في غرة رجب 769 هـ / 20 فيفري 1368 م.

أما رواية الأخ الأكبر، فتذهب إلى أن السلطان الزياني بعث إليه باستدعائين، الأول كان في أثناء إقامته بين أحياء يعقوب بن علي<sup>(3)</sup>، كان ذلك قبل هزيمة السلطان الزياني في بجاية في 5 ذي الحجة 767 هـ / 12 أوت 1366 م<sup>(4)</sup>، واعتذر عبد الرحمن بن خلدون عن تلبية ذلك، أما الاستدعاء الثاني<sup>(5)</sup>، الذي كان في 17 رجب 769 هـ / 7 مارس 1368 م، فعلى الرغم من قيمة الجائزة الممنوحة من قبل السلطان الزياني بتوليته لمنصب الحجابة، وما تعنيه من "الاستقلال بالدولة والوساطة بين السلطان وبين أهل دولته لا يشاركه في ذلك أحد"<sup>(6)</sup>، إلا أن ابن خلدون اعتذر عن ذلك المنصب للمرة الثانية، وبدلاً من ذلك يصرح أنه قام بإرسال أخيه يحيى كنائب عنه إلى بلاط تلمسان، ليعيد إلى أذهاننا تصريحه السابق، حول حيثيات تولي يحيى لمنصب الحجابة في بلاط بجاية، كنائب عنه أيضاً.

الإشكال الواقع هنا، ليس في الاستدعاء الأول، الذي يؤكد على كفاءة ابن خلدون وخبرته مع عرب المنطقة في مثل هذه الظروف المربكة، لكن تاريخ الاستدعاء الثاني يطرح أكثر من علامة استفهام، ذلك أن رواية يحيى بن خلدون الأنفة الذكر، تؤكد على أنه في غرة رجب كان قد استقر بالبلاط الزياني، أي قبل تاريخ الاستدعاء الثاني الذي أشار إليه الأخ الأكبر عبد الرحمان بسبعة عشرة يوماً، الأمر الذي يضعنا في تضارب واضح حول حيثيات تولي يحيى لمنصب الحجابة في البلاط الزياني، أكان باستدعاء مباشر وجه إليه من قبل السلطان الزياني قبل شهر رجب؟ أم بواسطة من أخيه الأكبر عبد الرحمن في 17 من شهر رجب؟

(1) - المصدر نفسه، 2/ 193.

(2) - لم يتعرض يحيى بن خلدون بالتفصيل إلى تلك الجهود الحثيثة التي أجراها وسط عرب رباح، وإنما اكتفى فقط بذكر نتائجها الطيبة. أنظر: المصدر نفسه، 2/ 194.

(3) - ابن خلدون، الرحلة، ص 98.

(4) - استناداً إلى التحديد الذي ذكره ابن خلدون، العبر، 6/ 552. 7/ 173.

(5) - حول محتوى نص الاستدعاء الثاني. أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص 98.

(6) - حول أهمية منصب الحجابة. أنظر: ابن خلدون، المقدمة، 2/ 142. الرحلة، ص 95.

من الصعوبة بما كان تقديم الرواية الأكثر إقناعاً<sup>(1)</sup>، في ظل غياب أدلة تاريخية يمكن التعويل عليها في عملية الترجيح، كما لا يمكنني تبني موقف توفيقى يجمع بينهما في هذه الحالة، خصوصاً وأن الأخ الأكبر يورد نص الاستدعاء الثاني كاملاً وتاريخ كتبه، ويؤكد على أن فاتحته كتبت بخط السلطان الزياني نفسه، كما يشير إلى أن أخاه يحيى كان لا يزال في بسكرة خلال ذلك التاريخ، حتى وإن اعتمدت على فرضية أن السلطان الزياني كان يرأس الأخوان معا في وقت واحد، ومن دون أن يكون لهما علم بذلك، لكن النتيجة التي لا يمكن إنكارها أن يحيى استطاع أن ينال الحظوة في بلاط السلطان الزياني أبي حمو موسى، وعلى اثر ذلك استقدمت أفراد أسرته من بسكرة، واستقروا بالحاضرة الزيانية تلمسان<sup>(2)</sup>.

تقلد يحيى بن خلدون منصب كتابة الإنشاء في بلاط السلطان أبي حمو موسى بتلمسان<sup>(3)</sup>، مستعينا بخبرته التي اكتسبها في وقت سابق كأحد كتّاب ديوان الإنشاء في بلاط السلطان المريني أبي سالم (760-762 هـ / 1359-1361 م)، كان ذلك سنة 761 هـ / 1360 م<sup>(4)</sup>، وقد توطدت صلته أكثر بسلطانه أبي حمو موسى بعد مرافقته له في حملاته التأييدية التي شنتها على ثغور بجاية سنة 769 هـ / 1368 م<sup>(5)</sup>، كما سمحت له إقامته الطويلة بحاضرة الزيانيين تلمسان، الاتصال بمجموعة من الأعلام المتصدرين للإقراء<sup>(6)</sup>، حيث أشار إلى شيخين من شيوخه من دون أن يذكر طبيعة المواد التي قرأها عليهم، هما: الشيخ أبو عبد الله الشريف (ت 771 هـ / 1369 م)<sup>(7)</sup> وأبو علي منصور الزواوي (حيا سنة: 770 هـ / 1360 م)<sup>(8)</sup>.

(1) - يميل عبد الحميد حاجيات إلى رواية يحيى بن خلدون، معتبرا إياها الرواية الأكثر إقناعاً مقارنة برواية أخيه عبد الرحمن. لمزيد من التفصيل: أنظر: مقدمة تحقيق كتاب بغية الرواد، 1/ 33.

(2) - يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 2/ 194.

(3) - المصدر نفسه، 2/ 194. وقد بعث له صديقه ابن الخطيب السلماني كتابا، يهنئه فيه بتولي منصب الكتابة في بلاط تلمسان. حوله أنظر: المقرئ التلمساني، نفع الطيب، 6/ 396-399.

(4) - يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 2/ 72.

(5) - المصدر نفسه، 2/ 195، 196، 197.

(6) - من شيوخه الذين اتصل بهم في مسقط رأسه مدينة تونس، أشار إلى شيخه الأبلي (ت 757 هـ / 1356 م). المصدر نفسه، 1/ 120.

(7) - المصدر نفسه، 2/ 120.

(8) - المصدر نفسه، 2/ 132.

لم تدم طويلا أيام خدمة يحيى بن خلدون، كأحد كتّاب الإنشاء في بلاط أبي حمو موسى الزياني، فبعد تعرض السلطنة الزيانية إلى حملات متتالية من قبل المرينيين سنة 772 هـ / 1380 م، أدت إلى خروج السلطان الزياني من حضرته تلمسان باتجاه الجنوب مع جملة من أتباعه، بما فيهم كاتب سره يحيى بن خلدون، لكن ولأسباب مجهولة<sup>(1)</sup> يذكر صاحب "البغية" بأسف شديد مفارقتة لسلطانه عند "سبخة زاغر"<sup>(2)</sup>، من بلاد عرب رباح يواجه مصيره المجهول، بينما عاود هو الرجعة إلى تلمسان التي أصبحت تحت السيطرة المرينية، ليتحول إلى الخدمة في البلاط المريني سنة 774 هـ / 1372 م<sup>(3)</sup>، وإن كنا نجهل طبيعة المنصب الذي تولاه في فاس خلال تلك المرحلة الدقيقة من حياته، وحتى علاقته بأخيه الأكبر عبد الرحمن الواصل إلى فاس شهر جمادى 774 هـ / أكتوبر 1372 م<sup>(4)</sup>، فإننا نعلم على الأقل بقصيدته التي بعث بها إلى السلطان الزياني أبي حمو موسى<sup>(5)</sup> في آخر سنة 775 هـ / 1373 م، بعد استعادته لعرش السلطنة من جديد، يستصرخه فيها لمساعدة صديقه ابن الخطيب السلماني، عقب المحنة التي تعرض لها في فاس<sup>(6)</sup>، وقد انتهت بمقتله في شهر محرم 776 هـ / جوان 1374 م<sup>(7)</sup>.

نتيجة لهذه الظروف المشحونة التي وجد صاحب "البغية" نفسه فيها، التي طبعت الحياة السياسية في البلاط المريني بفاس، وكانت إحدى أشنع صورها، النهاية المساوية للوزير ابن

(1) - حاول عبد الحميد حاجيات مناقشة بعض الأسباب التي أدت يحيى إلى اتخاذ هذا الموقف، معتبرا الدور الذي لعبه الأخ الأكبر عبد الرحمن، في حمل عرب يحيى بن علي بن السباع بالقرب من المسيلة على طاعة بني مرين، العامل الأساسي في تقوية شوكة الوشاة في السعاية ضد يحيى لدى السلطان أبي حمو موسى. لمزيد من التفصيل أنظر: مقدمة تحقيق بغية الرواد، 1/ 36 - 37.

(2) - يفهم من رواية يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 2/ 230. أنها من بلاد عرب رباح، بالقرب من المسيلة. بينما يتحدث الأخ الأكبر أن المكان الذي فارق فيه يحيى السلطان الزياني، هو بلاد زغبة على مقربة من المسيلة. أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص 186.

(3) - المصدر نفسه، ص 186.

(4) - المصدر نفسه، ص 181، 185.

(5) - في هذه الأثناء كان السلطان الزياني أبو حمو موسى في معسكره بظاهر منطقة تيمزوغت بالقرب من منطقة مازونة، لضرب الحصار على مغراوة. أنظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 2/ 268.

(6) - أرسل يحيى بن خلدون قصيدته التي يستعطف فيها السلطان الزياني، مرفوقة بكتاب ابن الخطيب السلماني. حوله أنظر: المصدر نفسه، 2/ 268 - 278.

(7) - حول المحنة التي تعرض لها ابن الخطيب السلماني. أنظر: المقرئ التلمساني، نفع الطيب، 5/ 104 - 112.

الخطيب السلماني، وعلى إثرها اضطر صاحب "العبر" إلى اتخاذ قرار المغادرة<sup>(1)</sup>، وبالمثل فعل يحيى بن خلدون، الذي فضل العودة إلى الخدمة في البلاط الزياني، خصوصا بعد حصوله على إذن من السلطان المريني أبي العباس أحمد (776-786 هـ / 1374-1384 م)، وفي شهر ربيع الأول 776 هـ / أوت 1374 م، كان وصوله إلى بلاط تلمسان الزيانية.

من خلال شهادة يحيى بن خلدون في بغيته<sup>(2)</sup>، فيبدو أنه لم يجد صعوبة في إقناع السلطان الزياني أبي حمو موسى في قبول اعتذاره على ما بدر منه في وقت سابق، وقد أعيد تعيينه للمرة الثانية إلى منصبه الأول ككاتب في ديوان الإنشاء، كما يبدو أنه استمر في الخدمة البلاطية، أين نجده في البلاط يشارك في احتفالات مولد 778 هـ / 29 جويلية 1376 م بقصيدة من نظمه<sup>(3)</sup>، ولعل أهم الكتب التي حررها بالنظر إلى منصبه ككاتب للسر، تلك التي كان يبعث بها السلطان الزياني إلى أبنائه في مختلف الأقاليم<sup>(4)</sup>، وبسببها كانت نهايته المفجعة، بأمر من ابنه الأمير أبي تاشفين، وبسعاية من أحد الشرط<sup>(5)</sup>، حدث ذلك في رمضان 780 هـ / ديسمبر - جانفي 1378 م.

#### – طبيعة الإنتاج التاريخي للكاتب يحيى، تؤكد على صلته الوثيقة بالبلاط الزياني.

رغم سنوات الخدمة التي قضاها يحيى بن خلدون في بلاط السلطان أبي حمو موسى، إلا أن ذلك لم يشفع له عند ابنه الأمير أبي تاشفين، وانتهى به الأمر قتيلا في أحد سكك المدينة، وقد ترك هذا الكاتب مجموعة من القصائد<sup>(6)</sup>، ومن دون شك أن البراعة التي أظهرها يحيى في كتابة

(1) - أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص 186.

(2) - مصدر سابق، 2/ 286.

(3) - المقرئ التلمساني، نفع الطيب، 6/ 510 - 513.

(4) - ذكر عبد الرحمن بن خلدون بالتفصيل ظروف وأسباب مقتل أخيه يحيى، وقد خصص لذلك عنوانا مستقلا في عبره على النحو التالي "وثبة أبي تاشفين بيحيى بن خلدون كاتب أبيه". أنظر: ابن خلدون، العبر، 7/ 187 - 188.

(5) - من خلال رواية ابن خلدون يمكننا تجميع بعض المعلومات حول شخصية قاتل أخيه يحيى، وهو شخص يدعى موسى بن يخلف، من المنتظمين في سلك الشرط، توطدت علاقته بالسلطان وابنه أبي تاشفين في أيام خروجهم من تلمسان بعد السيطرة المرينية، ثم انحاز إلى بطانة الابن أبي تاشفين، وقام بنقل أخبار والده السلطان، وصفه في عبره بقوله "القيم من سفلة الشرط". حوله أنظر: المصدر نفسه، 7/ 187.

(6) - احتفظ لنا يحيى بن خلدون بقطع من منظوماته الشعرية في بغيته. حولها أنظر: مصدر سابق، 2/ 7، 8، 95، 106، 120-122، 209-212، 221-224، 256، 260-261، 294-298.



الرسائل السلطانية<sup>(1)</sup>، متفوقا بذلك على مشاركيه من كتاب البلاط الزياني<sup>(2)</sup>، رشح ذلك لأن يكلف بجمع وتدوين أخبار السلطنة الزيانية وتخليد أمجادها، استنادا إلى ما صرح به في دياحة الكتاب، الذي أنجزه بتلمسان خلال سنتي 776-777 هـ/ 1374-1375 م<sup>(3)</sup>، امتثالا لطلب السلطان أبي حمو موسى<sup>(4)</sup>، هذا السلطان كان قد أظهر في كثير من المناسبات اهتمامه ببعض فروع المعرفة الأدبية كنظمه لمجموعة من القصائد المولدية وغيرها<sup>(5)</sup>، إضافة إلى تدوين كتاب في سياسة الحكم، جاء تحت عنوان "واسطة السلوك في سياسة الملوك"<sup>(6)</sup>.

(1) - يحسن بي هنا أن أذكر المواصفات التي يجب أن تتوفر في كاتب السر، والتي أوصى بها السلطان أبو حمو موسى لابنه أبي تاشفين قائلا "يا بني وأما كتابك فلتخير منهم لسرك كاتباً من وجوه بلدك موفياً لغرضك ومقصدك فصيح اللسان جري الجنان بليغ البيان عارفاً بالآداب سالكا طرق الصواب بارع الخط حسن الضبط عالما بالحل والربط كاتماً للأسرار متحلياً بحلى الوقار ذا عقل وافر وفهم حاضر وذهن ثاقب وفكر صائب حلو الشمايل موسوماً بالفضائل جميل الهيئة واللباس والمولاة للناس لان الكاتب عنوان المملكة وبه تتبين الأمور المشتبكة ومن كتابك يستدل على عقلك ويعترف بمعرفتك وفضلك فهذا أقل ما يشترط في الكاتب بهذه المثابة صلح أن يكون أهلاً للكتابة وان أحل بهذه الشروط كان جديراً بالتأخير والسقوط لإخلاله بكتابه وعدم إصابته وكان ذلك وصفاً في حق مخدمه ودليلاً على جهله في تقديمه".  
أنظر: أبو حمو موسى الزياني: واسطة السلوك، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1862، ص 60-61.

(2) - من الكتاب الذين شاركوا يحيى بن خلدون في ديوان الإنشاء في البلاط الزياني، الذين أشار إليهم في بغيته: الكاتب محمد بن صالح شقرون، والكاتب الفقيه أبو الفضل بن أبي عبد الله العصامي، والكاتب الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن قاسم المرسي. أنظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 137/2، 291.

(3) - عرض عبد الحميد حاجيات محقق الكتاب، ص 50-52. مجموعة من الاستنتاجات حول بداية تأليف كتاب البغية والنهية منه، محاولاً ربط ذلك بالظروف المتقلبة التي كان يمر بها يحيى بن خلدون في فاس، وانتقاله بعدها إلى تلمسان.

(4) - أشار يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 80/1. إلى طلب السلطان في دياحة الكتاب بقوله "ثم رأيت أن امتثال أمره العزيز علي فرض وأن طاعته من طاعة الله ورسوله بعض فانتدبت لإملاء هذا الكتاب راكباً فيه لرضاه...".

(5) - أورد مجموعة من هذه القصائد كاتبه يحيى بن خلدون. حولها أنظر: المصدر نفسه، 26-30، 64-71، 82-85، 88-90، 146-149، 150-152، 201-209، 217-221، 249-251. كذلك مؤلف مجهول، زهر البستان، ص ص 27-29، 33-39، 53-56، 155-163، 225-228. وفي وقت لاحق أنجز الحافظ التنسي، كتاباً جمع فيه ما قاله السلطان أبو حمو موسى، وما قيل فيه من الأشعار، وجاء تحت عنوان "راح الأرواح فيما قاله أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح"، أشار إليه مصنفه في نظم الدرر (تحقيق محمود بوعبيد)، ص 178.

(6) - ورد عنوان هذا الكتاب بـ "نظم السلوك في سياسة الملوك". عند يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 9/2. والتنسي، مصدر سابق (تحقيق محمود بوعبيد)، ص 161.

أفصح يحيى بن خلدون عن خطة كتابه في الديباجة<sup>(1)</sup>، حيث قسمه إلى ثلاثة أقسام اختار أن تكون البداية بالأحاديث النبوية، ومأثورات الجيل الأول من الصحابة، التي تروج لفضائل الإقليم الرابع من بلاد المغرب<sup>(2)</sup>، مع تدعيمها بمجموعة من المعلومات الجيو تاريخية حول تلمسان، ووضع قائمة لأبرز الأعلام المنتمين إليها، لينتقل إلى الحديث عن أصول البربر والجماعات الزناتية على وجه التحديد، التي يتفرع عنها بنو عبد الواد.

وتفرض عليه طبيعة الموضوع المناقش في هذا القسم، الاستعانة بمصادر إخبارية مكتوبة، حيث صرح باعتماده على رواية البكري في مسالكه، وجغرافية الزهري، والتشوف لابن الزيات التادلي<sup>(3)</sup>، كما رجع إلى تاريخ الطبري، وابن قتيبة الدينوري، والمسعودي، والسهيلي، ومالك بن المرحل، وابن حمادو البرنسي في نسب البربر<sup>(4)</sup>، لكن الملاحظ أنه لا يشير مطلقاً إلى "تاريخ تلمسان" لابن الأصغر، ونظيره لابن هدية القرشي، الأمر الذي يشي بعدم إطلاعه على نسخهما.

أما القسم الثاني من الكتاب، فقد خصصه لسيرة سبعة من سلاطين الدولة الزيانية، بداية من الأمير يغمراسن بن زيان (633- 681 هـ / 1235- 1282 م)<sup>(5)</sup>، تمهيدا للقسم الثالث، وهو أكبر أقسام الكتاب، وقد أسهب فيه الحديث عن سيرة مخدومه السلطان أبي حمو موسى، وجاء تحت عنوان "فيما حازه أمير المسلمين مولانا أبو حمو من الشرف الشاهق الاطواد"، حشد فيه مجموعة من أخبار سلطانه، وحروبه التي شنتها على خصومه، والثائرين عليه في المنطقة، وقد عوّل كثيراً على الرواية الشفوية، ومشاهداته الشخصية، باعتباره عنصراً فاعلاً في مجموعة من الأحداث التي شهدها البلاط الزياني في تلك المرحلة، ورغم محدودية الأخبار التي تطرق إليها خصوصاً ما تعلق منها بتاريخ تلمسان خلال مراحلها المتقدمة، إلا أنه في مقابل ذلك فصل القول في سيرة السلطان أبي حمو موسى في حروبه وسلمه، وعرضه المفصل حول

(1) - يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 80/1-81.

(2) - المصدر نفسه، 84/1-85.

(3) - المصدر نفسه، 91/1، 126، 179، 180.

(4) - المصدر نفسه، 116/1، 178، 179، 180.

(5) - لمعرفة فترة حكم الأمير الزياني الأول يغمراسن بن زيان. أنظر:

- De la Véronne Chantal, *Yaghmurasan, premier souverain de la dynastie berbère des Abdalwadides de Tlemcen 633- 681/ 1236- 1283*, Bouchène, Paris, 2002. pp. 17- 48.

طريقة إحيائه لليلة المولد النبوي، التي كان يجري الاحتفال بها في مشور السلطان، وكما يبدو أن الكاتب يحيى بن خلدون قد وظّف تاريخ المدينة والحكام المتعاقبين عليها منذ عهدها الإسلامية، كمدخل تاريخي مهم تمهيدا لعرض موضوعه الأساسي، وهو تدوين سيرة ولي نعمته السلطان أبي حمو موسى.

بمهارات أدبية عالية، تكشف عن شخصية ديوانية مرتبطة بسلك البلاط الزياني، انتفع الكاتب يحيى بن خلدون، بما قدمته له مواهبه اللغوية من نثر مرسل، وكلام مسجوع، وحشد لقصائد شعرية مختلفة الأغراض، وهو يبدو في هذه الطريقة والأسلوب، متأثرا بكتابات صديقه ابن الخطيب السلماني الذائعة الصيت، لكن حالة التملق والتبجيل<sup>(1)</sup> وتكريس الأعمال البطولية للسلطان، في مقابل التغاضي على نقاط ضعفه، وعيوبه، والمزلق التي وقع فيها زمن حكمه، قد أثرت بشكل لافت على الجانب التاريخي للبيعة، فالمؤكد أننا أمام خطاب تاريخي موجه لخدمة البلاط الزياني بامتياز، ولم يكن الكاتب يحيى يخفي هذا التوجه التاريخي في عمله، بل أعلن عنه صراحة في الديباجة قائلا "...تخليد ما لدولته الكريمة من معال وبأس ونوال وأحاديث للفخر صحاح عوال، وما جمعته من سيره الكريمة من حرب وسلم وتفريق ولمّ وحكمة وحكم، وتدوين ما اشتملت عليه أيامه من أخلاق وحدة وإيمان ورذة وفرج من بعد شدة، ليكون ذلك أسوة حسنة في الفخر اللباب وعظة وذكرى لأولي الألباب"<sup>(2)</sup>.

ومع ذلك يبقى عمله، أحد أبرز الأعمال السلالاتية الموجهة لخدمة البلاط الزياني، المنجزة في النصف الثاني من القرن 8 هـ/ 14 م، وتكتسي أخباره المتعلقة بفترة حكم السلطان الزياني أبي حمو موسى أهمية بالغة في تدوين تاريخ تلمسان الزيانية، وهو أحد المصادر المعول عليها من قبل الحافظ التنسي (ت 899 هـ/ 1493 م) في النصف الثاني من القرن 9 هـ/ 15 م.

### ب- مساهمة صاحب "زهر البستان" في تدوين تاريخ السلالة الزيانية:

بالتزامن مع كتاب "البيعة"، حظيت السلالة الزيانية الحاكمة بعمل تاريخي ثان، صادر عن الدوائر القريبة من البلاط الزياني، الموسوم بـ "زهر البستان في دولة بني زيان" لشخص

(1) - على سبيل المثال أنظر الفقرات التي خصصها يحيى بن خلدون في مدح السلطان أبي حمو موسى. مصدر سابق، 79/1.

9-7/2

(2) - المصدر نفسه، 79/1.

مجهول الهوية على الأقل في الوقت الحالي، واستنادا إلى بعض الإشارات القليلة جدا الواردة في السفر المتبقي من كتابه الضائع، والتي يفهم منها أن مؤلفه من المغرب الأوسط<sup>(1)</sup>، كان متواجدا بتلمسان خلال سنة 761 هـ / 1361 م، كأحد شهود العيان الذين حضروا واقعة استيلاء السلطان المريني أبي سالم إبراهيم (760-762 هـ / 1359-1361 م) على حاضرة الزيانيين تلمسان<sup>(2)</sup>، باعتباره أحد الأشخاص الذين استحوهم السلطان المريني حول مصير بني عبد الواد<sup>(3)</sup>، هذه الحادثة تشير إلى علاقة صاحب "زهر البستان" بدواليب السلطة في البلاط الزياني، وإن كانت المعلومات التاريخية الشحيحة جدا، كما أنها لا تسعني في معرفة طبيعة هذه العلاقة التي جمعتها بالسلالة الزيانية الحاكمة، لكن من المحتمل أن يكون المصنف أحد المنتظمين في سلك ديوان الإنشاء<sup>(4)</sup>، وما يرفع من هذا الاحتمال الطريقة التي كتب بها الجزء الذي وصلنا من كتابه، الذي يظهر فيه التزامه بالتعبير الرسمية، التي كانت تكتب بها المراسلات والعقود السلطانية في تلك المرحلة، ويمكن مقارنتها بطريقة معاصره الكاتب يحيى بن خلدون.

هذا الكتاب التاريخي المهم، يظهر أنه مجزأ إلى ثلاثة أسفار<sup>(5)</sup>، حاليا مصير السفرين الأول والثالث غير معروف، لكن السفر الثاني وهو المتبقي، قد تم نشره من طرف عبد الحميد حاجيات عن نسخة وحيدة<sup>(6)</sup>، يغطي السنوات الخمس الممتدة من سنة 760 - 764 هـ / 1358-1362 م، وهي السنوات الأولى التي وصل فيها السلطان الزياني أبو حمو موسى (760-791 هـ / 1358-1388 م) إلى عرش السلطنة.

(1) - في أثناء عرضه للأحداث التي وقعت سنة 760 هـ / 1358 م، أشار إلى المغرب الأوسط بعبارة "وفي مغربنا الأوسط". أنظر: مؤلف مجهول، زهر البستان، ص 41.

(2) - تتفق رواية صاحب زهر البستان، ص 106. مع رواية يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 2 / 74. في مدة مكوث السلطان المريني أبي سالم إبراهيم في تلمسان، والمقدرة بخمسة أيام فقط، فقد كان دخوله إليها يوم الأحد 6 شعبان 761 هـ / 21 جويلية 1361 م، وخرج منها يوم السبت 12 شعبان 761 هـ / 27 جويلية 1361 م.

(3) - مؤلف مجهول، زهر البستان، ص 104.

(4) - أنظر: مقدمة دراسة كتاب "زهر البستان"، المنجزة من طرف عبد الحميد حاجيات، ص 4-5.

(5) - وردت الإشارة إلى هذا التقسيم في بداية ونهاية الكتاب، أنظر: مؤلف مجهول، زهر البستان، ص 15، 22، 261.

(6) - نسخة مكتبة جون ريلاندس بمانشستر بالجلترا تحت رقم (283 القسم العربي)، نسخت سنة 1253 هـ / 1819 م، على يد الناسخ حبيب بن يخلف بن جلول بن العيد الفرّادي نسبا القرشي مولدا، كتبه للسيد مسلم بن عبد القادر خوجة.

باستخدام الأساليب الديوانية المتداولة في كتابة الرسائل السلطانية، أظن صاحب "زهر البستان" في ذكر عبارات المدح، والتبجيل للسلطان الزياني أبي حمو موسى<sup>(1)</sup>، كما أدرج مجموعة كبيرة من القصائد التي كانت تلقى في مناسبات عديدة، خصوصاً ما تعلق منها بشعر المولديات، وفي مدح ورتاء السلطان الزياني<sup>(2)</sup>، وتكتسي الأخبار المتعلقة بحروب السلطان أبي حمو موسى، وعقود السلم والهدنة التي أبرمها مع خصومه المرينيين أهمية خاصة، يظهر ذلك في عرضه لكثير من التفاصيل الدقيقة، وضبط التواريخ في بعض الأحيان باليوم والشهر، على غرار ذكره لتفاصيل عقد الصلح الذي أبرم بين الطرفين بتاريخ 763 هـ / 1361 م<sup>(3)</sup>.

من دون شك يكتسي كتاب "زهر البستان"، أهمية قصوى في تاريخ السلالة الزيانية الحاكمة خلال القرن 8 هـ / 14 م، خصوصاً تلك الأحداث المتعلقة بفترة حكم السلطان أبي حمو موسى الثاني، لكن ضياع سفرين منه فوت على المهتمين بتاريخ السلطنة الزيانية، فرصة الاستفادة من تلك الأخبار المهمة التي تطرق إليها، وعلى ما يبدو أن إحدى نسخه، كانت موجودة في النصف الثاني من القرن 9 هـ / 15 م، اطلع عليها التنسي (ت 899 هـ / 1493 م)، واستفاد منها في أثناء عرضه لمآثر السلطان أبي حمو بقوله "وأما حروبه ووقائعه... وقد تولى ذلك صاحب بغية الرواد وصاحب زهر البستان فلا نطول به"<sup>(4)</sup>، هذه الإحالة المهمة التي انفرد بها الحافظ التنسي، اكتفى فيها بذكر عنوان الكتاب دون الإشارة إلى هوية صاحبه، الأمر الذي يدفعني إلى طرح التساؤل التالي: هل هذا يعني أن التنسي كان يجهل هوية مؤلف "زهر البستان"، وأن النسخة التي اطلع عليها في تلك المرحلة لم تكن تحمل هوية مصنفه؟ أم أن للأمر علاقة بطريقة عرضه لمصادر كتابه؟

وفي سياق البحث عن الأعمال التاريخية الموجهة لخدمة البلاط الزياني، يمكنني أن أضيف إلى قائمة المؤلفات الضائعة اليوم، كتاب لسليل أسرة العقباني التلمسانية، يبدو أنه كتاب

(1) - المصدر نفسه، ص ص 15، 23، 39، 102، 138، 152.

(2) - المصدر نفسه، ص ص 27-29، 33-39، 47-50، 53-55، 61-63، 63-64، 64-66، 66-70، 73-75، 89-91، 96-99، 115-122، 122-123، 123-125، 141-145، 148-150، 153-155، 155-159، 163-166، 170-174، 174-178، 178-181، 187-207، 214-216، 217-221، 225-228، 228-231، 231-233، 235-238، 239-241، 241-244، 244-247، 251-256.

(3) - المصدر نفسه، ص ص 181-187.

(4) - التنسي، مصدر سابق (تحقيق محمود بوعبيد)، ص 178.

إخباري في تاريخ بني زيان، كانت إحدى نسخه موجودة بتلمسان، ضمن مجموعة النسخ التاريخية التي يحتفظ بها في جامع العباد في وقت متأخر من القرن 12 هـ/ 18 م، وقد اطلع عليها صاحب "الترجمة الكبرى" (1).

## 2. استمرار التدوين التاريخي لصالح السلالة الزيانية الحاكمة خلال القرن 9 هـ/ 15 م:

في النصف الثاني من القرن 9 هـ/ 15 م، حظيت السلالة الزيانية الحاكمة بعمل مهم، لا يقل أهمية عن باقي الأعمال الإخبارية الموجهة لخدمة البلاط الزياني، من إنجاز الحافظ التنسي (2)، الموصوف بـ "الفقيه التاريخي الحافظ الأديب الشاعر" (3)، الأمر الذي يؤكد على المكانة العلمية الرفيعة التي اكتسبها بين معاصريه من شيوخه (4)، وتلامذته، وبلا شك نيله لقب "التاريخي"، جاء نتيجة لاشتغاله بأحد فروع المعرفة التاريخية، وقد ترجمها في كتابه الموسوم بـ "نظم الدرّ والعقيان في شرف بني زيان"، يضاف إلى ذلك المكانة والوجاهة الاجتماعية التي تحققت له في بلاط السلطان الزياني أبي ثابت محمد المتوكل (866-873 هـ/ 1461-1468 م) (5).

مدفوعاً برغبته الشخصية، خصص التنسي قسماً كبيراً من كتابه، في أخبار السلطان الزياني أبي ثابت، حسب تصريح له في ديباجة الكتاب (6)، وقد قام بتقسيمه إلى خمسة أقسام، الجزء التاريخي منه يشغل القسم الأول من الكتاب، وجاء تحت عنوان "التعريف بنسبه الطاهر وبيان شرفه الباهر"، يشمل سبعة أبواب، خصص الباب السادس منه في أخبار الأدارسة، والحموديين بالأندلس، والسليمانيين بالمغرب الأوسط، وجاء تحت عنوان "في بيان شرف عبد الله الكامل

(1) - مرجع سابق، ص 144.

(2) - أنظر ترجمته: السخاوي: الضوء اللامع، 120/8. أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 572-573. ابن مريم المليتي التلمساني، مصدر سابق، ص 429-431. عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، 1/267-268.

(3) - الونشريسي: الوفيات، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، شركة نوايع الفكر، القاهرة، 2009، ص 111-112.

(4) - المؤكد أن التنسي قد ذكر شيوخه ومقروءاته عليهم بالتفصيل في فهرسته الضائعة، وهي من مرويات عبد الحي الكتاني، التي أشار إليها في فهرسته. أنظر: عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، 1/268.

(5) - أشار التنسي إلى مكانته في بلاط السلطان الزياني أبي ثابت، في ديباجة الكتاب بقوله "ولما كنت من جملة من عمرته آلاؤه وتواترت عليه نعمائمه وألبست منها حللاً ضافية وأوردت منها مشارع صافية نهضت في خدمته بقدر طاقتي...".

أنظر: التنسي، مصدر سابق (تحقيق محمود بوعباد)، ص 107.

(6) - المصدر نفسه، ص 107-108.

وبنيه وخصوصا الأدارسة منهم" <sup>(1)</sup>، تمهيدا لعرض الباب السابع <sup>(2)</sup> المعنون بـ "في بيان شرف بني زيان وتتبع ملوكهم إلى دولة المتوكل"، وهو الباب الذي خصصه لتاريخ السلالة الزيانية، التي ينحدر منها سلطانه المخصوص بالتأليف، في حركة تكشف عن رغبة المصنف في ربط تاريخ هذه السلالة الحاكمة، وأصولهم العبد الوادية بالنسب الشريف.

وعلى غرار باقي الأعمال السلالاتية، التي حملت في طياتها عبارات المدح، والمبالغة في الثناء، لم يكن في مقدور التنسي تجنب الخطاب التمجيدي، الذي يظهر بطولات السلاطين، ويسعى إلى تخليد مآثرهم، والتكتم على المساوي والعيوب، هذا التيار "التاريخي الأدبي" الذي طبع عملية التدوين السلالاتي في نهاية العصر الوسيط، قد عرف طريقه للانتشار حتى مع وجود الكثير من الإخفاقات، والأزمات التي فشل في معالجتها سلاطين المرحلة، ولم يكتف التنسي بنظم قصيدة في مدح السلطان أبي ثابت <sup>(3)</sup>، بل تحدث عن نيته في تدوين سيرة سلطانه في عمل مستقل، يتطرق فيها إلى التعريف بنسبه وسلفه وذكر مناقبه وصفاته، إضافة إلى سيرة الملوك ومآثرهم من قبله <sup>(4)</sup>، لكن يبدو أن هذا الأخير قد بقي مجرد مشروع، ولم يتمكن من إنجاز.

وبخصوص زمن اشتغال التنسي بكتابه، فيعود سنوات 868 - 871 هـ / 1463 - 1466 م <sup>(5)</sup>، خلال فترة حكم السلطان الزياني أبي ثابت المخصوص بالتأليف، كما اتبع فيه الترتيب حسب الموضوعات، حيث يذكر فترة حكم السلطان، مرفقا بتاريخ بيعته، ومدة حكمه، وذكر

<sup>(1)</sup> - حقق عبد الحميد حاجيات الفصل الثاني من الباب السادس، تحت عنوان تاريخ دولة الأدارسة، (مقتطف من كتاب نظم الدر والعقيان)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م. أما الباب السابع فحقق من قبل محمود بوعباد، كما قام محيي الجانب الدين بوطالب بتحقيق الأدبي من الكتاب، وطبع بمطبعة دحلب، الجزائر، د.ت. بالإضافة إلى الدراسات المهمة التي أنجزها أوغست شاربونو:

- Auguste Cherbonneau, « Lettre à M. Defrémery sur Mohamed Et-Tanaci et son histoire des Beni Ziyane », *Journal Asiatique*, T XVIII, (nov - déc, 1851), pp. 585 -591 ; id., « Notice sur Mohammed Et-Tanaci », *Revue Africaine*, 3, (1856), pp. 215-293.

<sup>(2)</sup> - حول عناوين باقي الأقسام والأبواب. أنظر: مقدمة تحقيق كتاب نظم الدر والعقيان، القسم الخاص بالأدارسة، المنجزة من قبل عبد الحميد حاجيات، ص 21-22.

<sup>(3)</sup> - أدرج التنسي قصيدته في معرض حديثه عن زمن حكم السلطان أبي ثابت. أنظر: التنسي، مصدر سابق (تحقيق محمود بوعباد)، ص 258-271.

<sup>(4)</sup> - المصدر نفسه، ص 108، 272.

<sup>(5)</sup> - لمزيد من التفصيل أنظر: مقدمة تحقيق نظم الدر والعقيان قسم الأدارسة، المنجزة من قبل عبد الحميد حاجيات، ص 19.

مجموعة من الأحداث التاريخية التي وقعت زمن حكمه، وبعض أعماله وصفاته، كما تحلل الكتاب مجموعة كبيرة من القصائد، والأبيات الشعرية في أغراض مختلفة<sup>(1)</sup>، مع استخدامه للأساليب الأدبية المنمقة، وهو ما يتماشى وروح العصر، الذي مزج فيه الخبر التاريخي بالقالب الأدبي، خصوصا إذا ربطنا ذلك بعلو كعب التنسي في علوم اللغة والأدب والشعر، حيث يمكن اعتبار كتاب التنسي، تحفة أدبية نال فيها الخبر التاريخي جزءا مهما، وقد استعان في تحرير قسمه التاريخي بمجموعة من المصادر الإخبارية المختلفة، وللكشف عن هوية عدد منها، خصوصا تلك التي استعان بها في البابين السادس والسابع، إليك الجدول التالي:

عنوان الكتاب	صاحب الكتاب	موضع النقل	الصفحة من نظم الدر
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة	ابن بسام الشتريني (ت 542 هـ / 1147 م)	نسب الحموديين	(تحقيق عبد الحميد حاجيات)، ص 55
الروض الأنف الباسم	السهيلي (ت 581 هـ / 1185 م)	سبب وفاة الإمام إدريس الأول	(تحقيق عبد الحميد حاجيات)، ص 37
درر الغرر	مؤلف مجهول	سبب وفاة الإمام إدريس الأول	(تحقيق عبد الحميد حاجيات)، ص 36
//	//	نسب الحموديين	(تحقيق عبد الحميد حاجيات)، ص 55
//	//	حصار تلمسان بين 698-706 هـ / 1298-1306 م	(تحقيق محمود بوعبيد)، ص 132
//	//	مقتل السلطان المرييني يوسف بن يعقوب	(تحقيق محمود بوعبيد)، ص 135
زهر البستان	مؤلف مجهول	حروب السلطان أبو حمو موسى	(تحقيق محمود بوعبيد)، ص 178
بغية الرواد	يحيى بن خلدون	سبب وفاة الإمام إدريس الأول	(تحقيق عبد الحميد حاجيات)، ص 37
//	//	انتساب بنو زيان إلى القاسم بن محمد بن	(تحقيق عبد الحميد حاجيات)، ص 42، 67. (تحقيق محمود بوعبيد)، ص 110.

<sup>(1)</sup> - أنظر: التنسي، مصدر سابق (تحقيق محمود بوعبيد)، ص ص 119-122، 146-148، 156-157، 160، 161، 164-168، 178-181، 183-187، 196-196، 203-203، 206-206، 207-209، 210، 212-220، 221-227، 228، 229، 230، 231، 232-233، 233-234، 235، 236-240، 242-243، 245، 246-247، 252-253، 254، 258-271.



	إدريس		
128	(تحقيق محمود بوعبيد)، ص 128	حروب السلطان الزياني يغمراسن	//
135	(تحقيق محمود بوعبيد)، ص 135	مقتل السلطان المريني يوسف بن يعقوب	//
178	(تحقيق محمود بوعبيد)، ص 178	حروب السلطان أبو حمو موسى الثاني	//
127	(تحقيق محمود بوعبيد)، ص 127	التعريف بأبي إسحاق التنسي	ابن مرزوق الخطيب
36	(تحقيق عبد الحميد حاجيات)، ص 36	سبب وفاة الإمام إدريس الأول	ابن خلدون
55	(تحقيق عبد الحميد حاجيات)، ص 55	نسب الحموديين	//
67	(تحقيق عبد الحميد حاجيات)، ص 67	نسب بني زيان إلى الأدارسة	//
110	(تحقيق محمود بوعبيد)، ص 110		//

من الجدول أعلاه يمكنني التوصل إلى مجموعة من النتائج المهمة:

- الغياب الكبير لمصادر إخبارية مشرقية في البابين السادس والسابع المخصوصان بالدراسة، مع أنه كان بإمكان التنسي على الأقل الإحالة إليها في بعض المواضيع، التي لا طالما تردد ذكرها في المصادر الإخبارية المغربية، لكن يبدو أن هذا الاستبعاد له مبرراته التاريخية، خصوصا مع حدوث القطيعة السياسية مع بلاد المشرق ونهاية نظام الخلافة الوندالية، وهو بالتأكيد يشير إلى قلة العناية بأحداث المشرق في النصوص الاسطوغرافية المغربية في نهاية المرحلة الوسيطة، خصوصا مع وجود أعمال إخبارية محلية جامعة على غرار "عبر" ابن خلدون.

- تظهر معطيات الجدول أعلاه، تعويل التنسي على كتاب "بغية الرواد"، الذي أشار إليه سبع مرات على الأقل، وقد نقل عنه عددا كبيرا من الأخبار، والقصائد الشعرية، والمؤكد أن التنسي كانت تحت نظره إحدى نسخ "البغية"، خصوصا وأنا نعلم بتلك النسخة التي رفعها مصنفها يحيى بن خلدون لخزانة السلطان أبو حمو موسى، بالإضافة إلى نسخة من كتاب "العبر" لابن خلدون، الذي يرد عنده تحت عنوان "ترجمان العبر"، ما يعني أن النسخة المعتمدة ورد عنوانها تحت هذه الصيغة المغايرة، وسوف أعود إلى مناقشة هذه النقطة الحساسة في وقت لاحق، كما

انفرد بالنقل على صاحب "درر الغرر" لمؤلف مجهول الهوية، كان بتلمسان زمن الحصار المريني 698-706 هـ / 1298-1306 م، وتظهر النقول الثلاث الواردة عنه، أننا أمام عمل إخباري مهم ضائع، أُلّف في النصف الأول من القرن 8 هـ / 14 م، وكانت إحدى نسخه موجودة بتلمسان في النصف الثاني من القرن 9 هـ / 15 م، تحت نظر التنسي واستفاد منها في تحرير فصول مهمة من نظمه.

- إن استفادة التنسي مما وفرته المصادر الإخبارية المحلية المختلفة، أتاح له مساحة معتبرة في انتقاء الأخبار والتدقيق في محتوى عدد منها، هذا مع إمكانية الترجيح بين بعض الروايات التي يملك عنها مجموعة من المصادر، وقد رصدت على الأقل أربعة روايات كان التنسي يملك عنها أكثر من مصدر واحد، على ما أوضحه في الجدول التالي:

موضوع النقاش	مصادر الروايات المعتمدة	الرواية المرجوحة
سبب وفاة الإمام إدريس الأول	درر الغرر - بغية الرواد - الروض الأنف	غير وارد
نسب الحموديين بالأندلس	درر الغرر - ترجمان العبر - الذخيرة	غير وارد
نسب السلالة الزيانية	بغية الرواد - ترجمان العبر	ترجمان العبر
سبب مقتل السلطان المريني يوسف بن يعقوب	درر الغرر - بغية الرواد	درر الغرر

على الرغم من إقراره أن كتاب "نظم الدرر"، عبارة عن "تحفة أدبية"، كما جاءت أخباره بشكل مقتضب ومختصرة جدا، حتى فترة حكم السلطان الزياني أبي ثابت محمد المتوكل المخصوص بالعمل، يضاف إلى ذلك طابع التملق والتمجيد المبالغ فيه، ومع ذلك يبقى كتابه هذا، يحتفظ بأهمية التاريخية، فهو يغطي ما يقرب 28 سنة من الأحداث التي عرفت بها السلطنة الزيانية في مرحلة جد حرجة، وهي الفترة الممتدة من سنة 796 هـ / 1393 م، وهي الأخبار التي توقف عندها صاحب "العبر" <sup>(1)</sup>، إلى تاريخ 868 هـ / 1463 م، باعتبارها آخر الأخبار التي تطرق إليها التنسي هذا النظم <sup>(2)</sup>، وما يرفع من قيمته التاريخية أكثر، قلة الأعمال الإخبارية،

<sup>(1)</sup> - وهي الأحداث المتعلقة بتولي السلطان الزياني أبي زيان محمد بن أبي حمو (797-801 هـ / 1394-1399 م). أنظر: ابن خلدون، العبر، 7/ 483.

<sup>(2)</sup> - وهي الأحداث المتعلقة بثورة الأمير محمد بن غالبية، ومقتله زمن السلطان الزياني أبي ثابت المتوكل. أنظر: التنسي، مصدر سابق (تحقيق محمود بوعبيد)، ص 258.

التي يمكن التعويل عليها حول تاريخ السلالة الزيانية في مراحلها الأخيرة، بل قد يجد الباحث نفسه أمام روايات متضاربة ومتقطعة، كما نسب له كتاب في إسلام علي بن أبي طالب، أشار إليه السخاوي الذي خصص له ترجمة في "الضوء اللامع" <sup>(1)</sup>، كأحد أعيان القرن التاسع.

إن حالة الانقطاع الملحوظ، الذي مسّ عملية التدوين التاريخي الموجه لخدمة السلالة الزيانية الحاكمة في الفترة التي أعقبت كتاب التنسي، له مبرراته التاريخية خصوصاً إذا وضعت في الحسبان تلك الظروف المضطربة والعصبية التي شهدتها الإمارة في أيامها الأخيرة، كما يبدو أنه لم يتشكل دافع قوي من شأنه تحفيز بعض المهتمين بالخبر التاريخي في إعادة إحياء تاريخ هذه السلالة، وأصبح التعويل أكثر على العناية بتراجم النخب العلمية المنتمة لمدينة تلمسان، وهو ما قام به ابن مريم الملبتي (ت 1025 هـ / 1616 م)، تحت عنوان "البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان"، إضافة إلى العمل الذي شرع فيه سليل أسرة المقرئ الذائعة الصيت، أعني به أحمد المقرئ التلمساني (ت 1041 هـ / 1631 م)، الذي أعرب عن رغبته في تدوين مؤلف حول تاريخ مدينته تلمسان، تحت عنوان "أنواء نيسان في أبناء تلمسان" <sup>(2)</sup>، إلا أنه بقي مجرد مشروع أنجز منه بعض الأوراق فقط.

<sup>(1)</sup> - مصدر سابق، 8/ 120.

<sup>(2)</sup> - أنظر: المقرئ التلمساني، نفع الطيب، 7/ 135.

المبحث الرابع:

الأسرة الحفصية الحاكمة، محور أساسي في عملية التدوين التاريخي السلالاتي:

أظهرت سلالة أبي حفص عمر الهنتاتي بعد اعتلائها عرش افريقية، عنايتها بمختلف مظاهر النشاط الثقافي والعلمي بالسلطنة، انطلاقاً من إنشاء المؤسسات الدينية والتعليمية، كالجوامع، والزوايا، والمدارس... الخ، وفي هذا الاتجاه التمجيدي رددت الكثير من المصادر الإخبارية المتأخرة، التي روجت لسيرة السلاطين الحفصيين الحافلة، إلى تعاطي عدد منهم لبعض ضروب المعرفة الأدبية، كنظم الشعر على غرار قصيدة في مدح الرسول، التي نظمها الأمير الحفصي أبو زكريا الأول (626-647 هـ / 1229-1249 م)، وهو معدود ضمن علماء وشعراء البيت الحفصي<sup>(1)</sup>، وبالمثل أشادت بسيرة ابنه الأمير المستنصر (647-675 هـ / 1249-1277 م)، واصفة مداركه العلمية بالتمكن<sup>(2)</sup>، كما تداولت أخبار المجالس العلمية التي كانت تعقد بحضور أفراد من هذه السلالة الحاكمة، منها مجلس أبي فارس (796-837 هـ / 1394-1434 م)، التي كان يقرأ فيها علوم التفسير، والفقه، والحديث<sup>(3)</sup>.

مستغلة حالة الاستقرار النسبي الذي عرفته السلطنة في بعض مراحلها التاريخية الحساسة، سعت السلالة الحفصية الحاكمة إلى تدعيم مكانتها بين عديد القوى السياسية المنافسة، القائمة في بلاد المغرب على وجه الخصوص، إلى الدفع بعجلة الحركة الفكرية في كبريات حواضرها (تونس - بجاية - قسنطينة)، من خلال استقطاب نخبة من شيوخ العلم من طبقة الفقهاء والأدباء والكتاب، وتقديم المنح والهبات والعطايا، لكن يبدو أن مسألة توليتهم لمناصب رفيعة في البلاط، كان إحدى أبرز الامتيازات التي يمكن التعويل عليها من قبل صنّاع القرار الحفصي، خصوصاً وأن هذه المناصب الممنوحة، كانت توفر بالتأكيد رواتب منتظمة وقارة لمتوليها، كما يمكن من

(1) - أشاد ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 113. ابن الشّماع، مصدر سابق، ص 54. باهتمامات الأمير الحفصي أبي زكريا الحفصي الأدبية خصوصاً منها نظم الشعر، كما "كان يجالس طلبة العلم ويشاركهم أحسن مشاركة من غيره ممارة ولا إظهار إيالة على أحد منهم".

(2) - ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 133.

(3) - كان المجلس العلمي لهذا السلطان يعقد بقصبة تونس، وقد حضر إحداها ابن قنفذ القسنطيني سنة 782 هـ / 1380 م، وقدم شهادته المهمة حول طبيعة العلوم المتداولة فيه، وقد غلبت عليها العلوم الدينية. لمزيد من التفصيل أنظر: المصدر نفسه، ص 197. كذلك ابن الشّماع، مصدر سابق، ص 114.

خلالها تحقيق الواجهة والمكانة الاجتماعية الرفيعة، أين نجد فئة الشيوخ الأندلسيين<sup>(1)</sup> النازحين إلى مناطق اللجوء بحواضر السلطنة، إحدى أبرز الفئات المستقطبة، حيث ارتفعت أعدادهم في أعقاب السقوط المتوالي للمدن الأندلسية خلال القرن 7 هـ/ 13 م، وفي هذا الخصوص قدم ابن خلدون شهادته المهمة حيال ذلك في عبره<sup>(2)</sup>، قائلاً "لما تكالب الطاغية على العدو والتهم ثغورها واكتسح بسائطها وأسف على قواعدها وأمصارها أجاز الأعلام وأهل البيوت إلى أرض المغربين وإفريقية وكان قصدهم إلى تونس أكثر لاستفحال الدولة الحفصية بها".

### 1. البلاط الحفصي، يستقطب فئة الشيوخ الإخباريين الأندلسيين.

لقد كانت أعداد الجالية الأندلسية من الكثرة بحيث استطاعت أن تفرض نفوذها في البلاط الحفصي، والإدارة وحتى في الحياة العامة، وأن تتمكن من إحداث تغييرات حاسمة في مجالات مختلفة، ما يهمني في هذه المرحلة تسليط الضوء أكثر على فئة المهتمين بالخبر التاريخي -الفئة المعنية بالدراسة- خصوصاً أن هذه الفئة قد نرحت من قطر برز فيه عدد لا يستهان به من الشيوخ الذين أثبتوا علو كعبهم في مختلف أنماط المعرفة التاريخية، وتدوينهم لمجموعة من الأعمال الإخبارية المهمة، وهي تؤكد على نضج الوعي التاريخي الأندلسي في وقت مبكر، في مقابل ذلك أظهر البلاط الحفصي قدرة عالية على استيعاب هذه الفئات النشطة، وقد أعطى ذلك دفعا قويا للمعرفة التاريخية بإفريقية الحفصية، وتشير مجموعة من كتب التراجم والطبقات وبرامج الشيوخ إلى الدور الذي لعبه بعض السلاطين الحفصيين في استقطاب مجموعة منهم، وإدراجهم ضمن سلك المنتظمين في حاشية البلاط، على ما أظهره في الجدول التالي، الذي اكتفيت فيه فقط بذكر بعض الشيوخ الأندلسيين ممن كانت لهم مؤلفات تاريخية، دون غيرهم

(1) - يبين عدد من الدارسين دور الجماعة الأندلسية في بجاية وسيطرتها على الحياة العلمية بصفة عامة. يراجع حول هذا الموضوع: محمد الطالبي: "الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين"، مجلة الأصالة، 26، (1975)، ص 64-83. صالح بعيزق، بجاية في العهد الحفصي: دراسة اقتصادية واجتماعية، تونس، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2006، ص 358-374. خليفي رفيق: "تطور استقرار الجالية الأندلسية في المغرب الأوسط"، مغرب أواسطيات، ص 75-112.

- Urvoy Dominique, « La structuration du monde des ulémas à Bougie au VII/XIII<sup>e</sup> siècle », *Studia Islamica*, XLIII (1976), p. 87-107.

(2) - مصدر سابق، 6/438.

من الإخباريين الوافدين<sup>(1)</sup>:

مؤلفاته التاريخية	منصبه	الاستقرار	أصله	الشخصية المستقطبة	الأمير/ السلطان
شجرة في نسب الحفصيين - كتاب تاريخي ضائع	كاتب	تونس	الأندلس	ابن نخيل (ت 618 هـ/ 1318 م)	أبو محمد عبد الواحد 618-603 هـ/1206- 1221 م)
ذيل على المتين لابن حيان - كتاب الإعلام	مؤدب الأمير	تونس	حيان	أبو الحجاج البياسي (ت 653 هـ/ 1255 م)	أبو زكريا الأول (626- 647 هـ/ 1229-1249 م)
كائنة ميورقة <sup>(2)</sup> - اقتضاب على تاريخ ثورة المريدين <sup>(3)</sup>	قاضي - كاتب	قسنطينة - بجاية- تونس - قابس	جزيرة شقر	أبو المطرف بن عميرة (ت 658 هـ/1259 م)	المستنصر (647-675 هـ/ 1249-1277 م)
التكملة - الحلة السبراء - اللجين - اعتاب الكتاب - معجم الصدي	كاتب	بجاية - تونس	بلنسية	ابن الأبار القضاعي (ت 658 هـ/1259 م)	

<sup>(1)</sup> - أذكر منهم: ابن محرز البلنسي (ت 655 هـ/1257 م)، ابن السراج الاشبيلي (ت 657 هـ/1258 م)، ابن سيد الناس الاشبيلي (ت 659 هـ/1260 م)، ابن عصفور الاشبيلي (ت 670 هـ/1271 م)، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت 689 هـ/ 1290 م)، أبو عبد الله بن صالح الكنايني ( كان حيا سنة 699 هـ/ 1300 م)، أبو جعفر أحمد الفهري (ت 691 هـ/1291 م)، أبو الحكم عبد الله بن مجاهد (ت 691 هـ/1291 م)، أبو العباس بن الغماز (ت 693 هـ/1293 م)، أبو العباس أحمد الغرناطي (خلال ق 7 هـ/ 13 م)، ابن هارون الطائي (ت 702 هـ/ 1302 م).

<sup>(2)</sup> - نشر الكتاب تحت عنوان تاريخ ميورقة، تحقيق محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007 م.

<sup>(3)</sup> - حوله أنظر: الغريبي: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رايح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 250-253. ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 1/176-177.

سيرة المستنصر	كاتب	تونس	أندلسي	أبو العباس الغساني (ت 668 هـ/1270م)	
الطالع السعيد- المشرق في حلى المشرق- المغرب في حلى المغرب- الجغرافيا	الخدمة المالية	تونس	قلعة يحبص	ابن سعيد المغربي (ت 685 هـ/1286) <sup>(1)</sup>	
إكمال تذييل ابن فتحون على الاستيعاب <sup>(3)</sup> إكمال ميزان السابقين <sup>(4)</sup> - برنامج ابن حبيش <sup>(5)</sup>	التدريس	تونس	مالقة	أحمد بن السكان (حيا) سنة 689 هـ/1290 (م) <sup>(2)</sup>	- المستنصر (647-675 هـ/1249-1277 م) إلى فترة حكم أبي حفص عمر (683-694 هـ/1284-1295 م)
الأخبار التونسية في الأخبار الفرنسية - الدرّ الشمينة في خبر القلّ وفتح قسنطينة <sup>(6)</sup>	التدريس	بجاية- تونس	مرسية	ابن رزين التجيبي (ت 692 هـ/1292م)	

الجدول أعلاه، يضع أمامي ثمانية أسماء أندلسية بارزة، من المحسوبين على طبقة المهتمين بالخبر التاريخي، النازحين إلى منطقة افريقية الحفصية خلال القرن 7 هـ/13 م، وقد استطاعت أن تجد لها مكانة متميزة في البلاط الحفصي منذ مراحل الأولى، ويظهر أن تولي وظيفة الكتابة بديوان الإنشاء والرسائل، كانت إحدى أهم الخطط التي تتماشى والقدرات العالية التي تمتعت بها هذه الجالية الوافدة<sup>(7)</sup>، خصوصا منها، التمكن في الآداب، والترسل وحسن البلاغة، مع ما

(1) - نزل افريقية سنة 652 هـ/1254 م، ونال مكانة رفيعة والحظوة في بلاط الأمير الحفصي المستنصر، استنادا الى محتوى الترجمة التي خصصها له ابن الخطيب السلمي، الإحاطة، 4/158.

(2) - الشيخ أحمد بن السكان كانت تجمعها علاقة صداقة متينة بـابن رشيد السبتي (ت 721 هـ/1321 م)، الذي خصص له ترجمة في رحلته، وهو أحد مصادره وينقل مباشرة من خطه. أنظر: ابن رشيد السبتي: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، 5/409-413.

(3) - هذا الكتاب أنجزه أحمد بن السكان، أحد شيوخ العبدري الذين التقى بهم في تونس سنة 689 هـ/1290 م، هذا الأخير كان قد وجد مصنفه ابن السكان لا يزال يشتغل عليه. أنظر: العبدري، الرحلة المغربية، مطبعة البعث، قسنطينة، دت، ص 121.

(4) - أشار إليه ابن عبد الملك المراكشي. مصدر سابق، 1/521.

(5) - أشار إليه العبدري، مصدر سابق، ص 122.

(6) - حولهما أنظر: الوادي آشي، مصدر سابق، ص 65.

(7) - حول شروط الواجب توفرها في متولي وظيفة الكتابة. أنظر: ابن خلدون، المقدمة، 2/648-653.

يضاف إليها من جودة الخط<sup>(1)</sup>، وقد جاءت شهادة ابن خلدون مؤكدة على علو كعبهم في الخطوط بقوله "...وصارت خطوط أهل افريقية كلها على الرسم الأندلسي بتونس وما إليها لتوفر أهل الأندلس بها عند الجالية من شرق الأندلس...فصار خط أهل افريقية من أحسن خطوط أهل الأندلس"<sup>(2)</sup>.

كما يكشف الجدول أعلاه، عن مرجعيات التدوين التاريخي الموجه للسلالة الحفصية الحاكمة خلال القرن 7 هـ / 13 م، فهي تدین بالاعتراف وبقدر كبير إلى نشاط المشيخة الأندلسية، التي وجدت طريقها إلى الخدمة في البلاط الحفصي منذ مراحل مبكرة، وبلا شك كانت العناية بتاريخ السلالة الحفصية، ضمن دائرة اهتمامات أفراد البيت الحفصي الحاكم، الذي كان يدفع باتجاه تدوين سيرة السلاطين الحفصيين وتمجيد أعمالهم، ترجم ذلك في إنتاج مجموعة من الأعمال الإخبارية الموجهة لخدمة البلاط، على غرار الكتاب الإخباري الضائع للكاتب ابن النخيل<sup>(3)</sup>، وقد اعتمده عدد من المهتمين بالتاريخ الحفصي خلال القرنين 8-9 هـ / 14-15 م<sup>(4)</sup>، كما قام التاريخي أبو الحجاج يوسف البياسي<sup>(5)</sup> بجمع كتاب تاريخي

(1) - صرح ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 124. بمعانيته لخط أحد أبرز كتاب البلاط الحفصي من الأندلسيين، وهو الكاتب الغساني، وقد أشاد بجودته خطه وبلاغته بقوله "وكان الفقيه أبو العباس الغساني يكتب بالخط المشرقي أحسن خط ووقفت على كتاب المستنصر للفقيه القاضي ببلدنا...بعلمة الغساني...فرأيت فيه خطا رائقا بالخط المشرقي ووجازة بليغة في الكتب، وكان الغساني من الرؤساء مقدما في النظم والإنشاء".

(2) - المقدمة، 2/ 885.

(3) - يفهم من النصوص التي نقلت عنه، أنه كتاب أرّخ فيه ابن نخيل لنهاية الإمارة الزيرية، ودخولها مرحلة الاضطرابات، مع سيطرة العرب الهلالية على المنطقة خلال القرن 5 هـ / 11 م، كما اهتم بتاريخ الدولة الموحدية، وظهورها على يد المهدي بن تومرت، ووصل بكتابه إلى بدايات القرن 7 هـ / 13 م، وهي الفترة التي عاصرها وخدم في بلاط أميرها أبي محمد عبد الواحد الحفصي، وقد جعله ابن سوادة، مرجع سابق، ص 89. تاريخا للدولتين الموحدية والحفصية.

(4) - إضافة إلى نقولات ابن قنفذ القسنطيني، وابن الشّماع، والزرکشي، حول نسب السلالة الحفصية، التي أشرت إليها في وقت سابق، نقل عنه كذلك ابن سعيد المغربي، الغصون اليانعة، ص 98. التيجاني، مصدر سابق، ص 108، 147. ابن خلدون، العبر، 6/ 222.

(5) - لمعرفة مزيد من التفصيل حول مؤلفاته التاريخية. أنظر: ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1955، 73/2. ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972، 238 / 7، 340. ابن الطواح: سبک المقال لفك العقال، تحقيق محمد مسعود حبران، ط2، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 2008، ص 172. السيوطي: بغية الوعاة، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، حلب، 1965، 359/2. المقرئ التلمساني، نفح الطيب، 181/3، 316، 390، 34/7.



لصالح تلميذه الأمير الحفصي أبي زكريا الأول<sup>(1)</sup>، تحت عنوان "الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام"<sup>(2)</sup>، وهو بذلك يعتبر من بواكير الأعمال الإخبارية، التي أهديت للسلالة الحفصية في مرحلة النشأة.

على أهمية التجربة التي قام بها الشيخ البياسي، التي تؤكد على عناية الأمير أبي زكريا الأول بالمعرفة التاريخية، إلا أن التجربة الأكثر تميزاً ونضجاً في هذا السياق، جاءت من قبل معاصره وابن قطره "الرئيس الكاتب" أبي العباس أحمد الغساني<sup>(3)</sup>، أحد أبرز وجوه البلاط الحفصي المستنصري، والمختصين بالأمير المستنصر، من المنتظمين في سلك كتاب العلامة والإنشاء، انفرد ابن قنفذ القسنطيني<sup>(4)</sup> بالإشارة إلى قيام الكاتب الغساني، بجمع سيرة مخدومه الأمير المستنصر الحفصي، جاءت هذه التجربة التاريخية المتميزة، في سياق أولى محاولات تدوين تاريخ رسمي للسلطنة الحفصية في مرحلة مبكرة، ويفهم من رواية ابن قنفذ، أن عملية تدوين هذه السيرة الأميرية الضائعة اليوم، كانت تجرى تحت إشراف الأمير المخصوص بالعمل، بقوله "وكان يكتب له ما يجب من تواريخه، وما يحتاج إليه من أخبار دولته، لا يشاركه في ذلك أحد ولا يجسر أن يتحدث في ذلك غيره"، هذه الشهادة المهمة تؤكد ليس فقط على عناية الأمير المستنصر بالمعرفة التاريخية فحسب، بل كذلك إلى محاولته إخضاع الخبر التاريخي إلى عملية انتقائية، وهو بذلك يجسد حرفياً أحد أهم نقاط الضعف، التي يمكن تسجيلها على هذا النمط من التدوين التاريخي السلالاتي الموجه، كما يبدو أن سيرة هذا الأمير كانت محورا للقصيدة التي نظمها في مناقبه "التاريخي معدن الآداب ومكمن الأنساب"<sup>(5)</sup> حازم بن محمد القرطاجني (ت

(1) - يشير ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 119. على قيام البياسي بتخصيص كتاب ثان لتلميذه الأمير الحفصي أبي زكريا الأول، فقد جمع له أحاديث كتاب المستصفي، واستخرجها من الأمهات، ونبه على الصحيح منها والسقيم.

(2) - نشر بتحقيق محمود شفيق جاسر أحمد، الجامعة الأردنية، عمان، 1987 م.

(3) - حوله انظر: ابن سعيد المغربي: رايات البرزين، تحقيق محمد رضوان الداية، طلاسدار، دمشق، 1987، ص 264. ابن الأحمر، مستودع العلامة، ص 29. ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 124. ابن الشّماع، مصدر سابق، ص 5، 55. الزركشي، مصدر سابق، ص 28، 33، 36، 39.

(4) - الفارسية، ص 124.

(5) - أحد الأوصاف العلمية التي حلاه بها تلميذه عبد الواحد بن الطواح، مصدر سابق، ص 215-224. في الترجمة الموسعة التي خصها له. كذلك خصص له المقرئ التلمساني ترجمة مهمة. حولها أنظر: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1942، 172/3.

684 هـ/1285 م<sup>(1)</sup>.

وما كان ينبغي توقعه، أن تكون السيرة المستنصرية الضائعة، مدرجة ضمن قائمة كتب خزانة قسبة تونس، التي أنشأها والده الأمير الحفصي أبو زكريا يحيى الأول، وقد كانت تحت نظر الفقيه أبي علي الحسن بن معمر الطرابلسي (ت 682 هـ/ 1283 م)<sup>(2)</sup>، لكن ما نأسف عليه، أنه على نفاضة هذا الرصيد المكتبي الحفصي وتنوعه، إلا أنه كان يشهد تقلصا كبيرا في المراحل الوسيطة اللاحقة، وسوف أعود إلى مناقشة هذه النقطة في الفصل الرابع.

بعد أن تقرر آنفا، أن البلاط المستنصري كان كامنا خلف تاريخ الكاتب الغساني، كذلك حظيت السلالة الحفصية بعمل تاريخي ثان مهم، وردت الإشارة إليه من طرف ابن قنفذ القسنطيني<sup>(3)</sup>، وقد نعته بـ "الكتاب الكبير المتوكلي"، وإن كنا نجعل تماما هوية مصنف هذا العمل، إلا أن صيغة العنوان تشير إلى كونه ألف برسم أحد السلاطين الحفصيين، الذين تلقبوا بلقب "المتوكل على الله"<sup>(4)</sup>، هذا اللقب الذي عرف انتشارا كبيرا خلال القرنين 8-9 هـ/ 14-15 م، استنادا إلى الدراسة المهمة التي أنجزها روبرت برنشفيك في تاريخ الحفصيين<sup>(5)</sup>، الذي يذهب إلى احتمال أن يكون "الكتاب المتوكلي"، من عمل الكاتب الغساني المشار إليه آنفا<sup>(6)</sup>، غير أن مراجعتي لنص "الفارسية"، قد تضعف هذا الاحتمال، ذلك أن إحالة ابن قنفذ

(1) - وردت تحت عنوان "إيراد المناهل الصوافي في تعدد ضروب العلل القوافي". حولها أنظر: ابن الطواح، مصدر سابق، ص 216.

(2) - حوله أنظر: التيجاني، مصدر سابق، ص 274-275. ويبدو من خلال المعلومات التي أوردها الرحالة التيجاني، أن الفقيه الحسن بن معمر الطرابلسي، قد تولى النظر في خزانة الأمير الحفصي أبي زكريا يحيى الأول، ثم عزل من قبل ابنه الأمير المستنصر الحفصي سنة 667 هـ/ 1268 م، ثم أعيد تعيينه مرة ثانية سنة 675 هـ/ 1276 م، من قبل ابنه الأمير الوائق.

(3) - جاءت رواية ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 132. حول الكتاب على النحو التالي "والشرح بطول في خير هذه الوقعة وبيانه في الكتاب الكبير المتوكلي".

(4) - من السلاطين الحفصيين الذين تلقبوا بلقب "المتوكل على الله": السلطان أبو يحيى أبي بكر (718-747 هـ/ 1318-1346 م)، والملفت للانتباه أن ابن قنفذ القسنطيني، ينسب إلى والد جده لأم يعقوب بن عمران البيوسفي، اختيار هذا اللقب الأميري. أنظر: الفارسية، ص 164. أنس الفقير، ص 78. كما تلقب به السلطان الحفصي أبي فارس بن أبي العباس (796-837 هـ/ 1394-1434 م).

(5) - مرجع سابق، 2/ 14.

(6) - لمعرفة مزيد من التفصيل. أنظر: المرجع نفسه، 2/ 413.

القسنطيني للكتاب المفقود، تتعلق بأخبار الحملة الصليبية على تونس، التي بدأت في 26 ذي الحجة 668 هـ / 15 أوت 1270 م، وقد استمر حصار المدينة إلى غاية إبرام الصلح في 24 ربيع الأول سنة 669 هـ / 9 نوفمبر 1270 م<sup>(1)</sup>، ما يعني أن تاريخ بداية الحملة متأخر عن تاريخ وفاة الكاتب الغساني بنحو الشهر، وقد كانت وفاته في شهر شوال أو قبله من سنة 668 هـ / ماي - جوان 1270 م<sup>(2)</sup>، الأمر الذي يجعلني أستبعد في الوقت الحالي أن يكون الغساني هو مصنف "الكتاب المتوكلي"، الذي تضمن أحداث الحملة الصليبية المشار إليها.

## 2. طبيعة التدوين التاريخي الموجه لخدمة البلاط الحفصي:

وإن بدا بشكل واضح اشتغال عدد من الشيوخ الأندلسيين المتمرسين، في حقل الدراسات التاريخية من فئة الكتاب، وعلى مستوى عال من التنافسية في بلاطات السلاطين والأمراء الطموحين بالمغرب الحفصي، الذين كانوا يبحثون وبشغف عن النفوذ والسلطة، إلا أنه ليس بالوسع العثور على أعمال إخبارية محلية أنتجت لصالح البلاط الحفصي خلال القرن 8 هـ / 14 م، فيما عدا قيام ابن خلدون بإهداء النسخة الأولى من كتابه "العبر" إلى السلطان الحفصي أبي العباس أحمد (772-796 هـ / 1370-1394 م)، إلى غاية القرن 9 هـ / 15 م، حيث يمكنني العثور على ثلاث أعمال إخبارية ناقشت تاريخ الأسرة الحفصية الحاكمة، ضمن سياق التاريخ السلاطيني الموجه.

### - "الفارسية" لابن قنفذ القسنطيني، تجسد الطابع المحلي للتدوين التاريخي الحفصي:

في مقدمة الأعمال الإخبارية الموجهة لخدمة البلاط الحفصي، أشير إلى كتاب "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية"<sup>(3)</sup> لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي المعروف بابن الخطيب<sup>(4)</sup>، وابن

<sup>(1)</sup> - أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 131-132.

<sup>(2)</sup> - على حسب رواية الزركشي، مصدر سابق، ص 39. الذي أورد خبر وفاة الكاتب الغساني في سنة 668 هـ / 1270 م، وان لم يذكر لنا بالتحديد الشهر الذي توفي فيه الكاتب، إلا أنه أشار إلى شهر شوال الذي أحر فيه قاضي الأنكحة ابن اليريس الربيعي عن منصب القضاء، ويتم تعيينه في منصبه الجديد كاتباً لإنشاء خلفاً للكاتب الغساني المتوفى.

<sup>(3)</sup> - نشر شاربونو (Cherbonneau) أول مرة قسماً من الفارسية، مع ترجمة ومجموعة من التعليقات، وذلك في السلسلة الرابعة من المجلة الآسوية الصادرة بباريس، ثم أعيد تحقيقه مرة أخرى محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، ونشر بالدار التونسية للنشر، مع دراسة وافية وتعليق مفيدة.

<sup>(4)</sup> - تسمية "ابن الخطيب"، تشير إلى طبيعة المنصب الذي كان يشغله والده حسن بن علي (ت 750 هـ / 1349 م)،

قنفذ<sup>(1)</sup> القسنطيني (ت 810 هـ/1407 م)، سليل إحدى الأسر العلمية القسنطينية، التي كانت تتمتع بالثراء والنفوذ في العهد الحفصي<sup>(2)</sup>، كما ارتبطت بالزاوية الملاحية<sup>(3)</sup>، التي كان يشرف عليها جده لأمه الصوفي يوسف بن يعقوب البويوسف الملاحري (ت 764 هـ/1362 م)<sup>(4)</sup>، ويعتبر والده الفقيه حسن بن علي (ت 750 هـ/1349 م) من أبرز شيوخه بالمدينة<sup>(5)</sup>.

مدفوعاً برغبته في لقاء مشايخ الصوفية والمريدين، والتبرك بأضرحة الأولياء الصالحين، شدّ الرحال إلى منطقة تلمسان والمغرب الأقصى في حدود سنة 759 هـ/1357 م<sup>(6)</sup>، أين زار

كخطيب بجامع القصبية بقسنطينة، كما تصدر لمنصب الإفتاء، وبالمثل كان جدّه علي بن حسن بن قنفذ (ت 733 هـ/1332 م)، الذي كان متولياً لهذه الخطة ما يقرب الخمسين أو الستين سنة، إضافة إلى توليه منصب القضاء. حول ذلك أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص ص 149، 148، 167، 179. أنس الفقير، ص 88. شرف الطالب، 617/2.

(1) - حول أصل تسمية "آل قنفذ". أنظر: مقدمة تحقيق الفارسية، المنجزة من قبل المحقق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، ص 39-40. فيلالي عبد العزيز: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، دار البعث، قسنطينة، 2002، ص 109 - 110. كما يمكنني أن أشير إلى شخصيتين تنحدران من قسنطينة من عائلة "ابن قنفذ"، ومعاصرتين لصاحب الفارسية، لكن نجعل صلة القرابة التي تربط بينهما، الأول هو الفقيه أبو علي حسن بن خلف الله بن القنفذ، ورد ذكره في كتاب الفارسية، ص 166. أما الثاني فهو الخطيب الطبيب أبو زيد عبد الرحمن بن قنفذ القسنطيني (ت 802 هـ/1399 م). أدرجه أبو العباس أحمد الونشريسي (ت 914 هـ/1508 م) ضمن وفياته، ص 73. كذلك ابن القاضي، درة الحجال، 3/83-84.

(2) - هناك إشارات كثيرة تدل على الحالة المادية الجيدة، التي كانت تتمتع بها هذه الأسرة، خصوصاً إذا علمنا أن والد صاحب الفارسية قد تآتى له جميع ميراث والده علي بن قنفذ، وهي في مجملها "عدد من الدور والجنات والأرضين وغير ذلك". أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير، ص 88.

(3) - حدد ابن قنفذ القسنطيني، شرف الطالب، 671/2. موقع الزاوية الملاحية، على بعد مرحلتين إلى الغرب من قسنطينة. ومن أهم الدراسات المنجزة حولها دراسة فيلالي عبد العزيز الموسومة بـ "الزاوية الملاحية، تأثيرها الروحي والديني على الدولة والمجتمع (دراسات وبحوث مغربية)"، أعمال مهداة إلى الدكتور موسى لقبال، جمع وتنسيق سامعي إسماعيل وعمارة علاوة، قسنطينة، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، 2008، ص 145-160.

(4) - أشار ابن خلدون، العبر، 6/474. إلى الدور الذي لعبه يعقوب بن يوسف الملاحري في بسط سيطرة السلطان الحفصي أبي يحيى بكر (718-747 هـ/1318-1346 م) على الجهات الغربية لافريقية الحفصية، "بجاية وقسنطينة". ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 83-85. كذلك تحدث ابن قنفذ القسنطيني بفخر عن تلك الصلة التي جمعه جده لأم بالسلطان الحفصي المذكور. أنظر: الفارسية، ص ص 163، 164. أنس الفقير، ص 78. كما خصص له ترجمة مقتضبة في كتابه، شرف الطالب، 671/2.

(5) - نسب ابن قنفذ القسنطيني لوالده كتابين في الفقه، هما: "المسنون في أحكام الطاعون"، وكتاب في "المسائل المسطرة في النوازل الفقهية". حولهما أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير، ص 87. شرف الطالب، 653/2.

(6) - أحمد بابا التنكيتي، مصدر سابق، ص 109.

مختلف رباطات الساحل، وعديد المناطق الداخلية بالمغرب المريني، على غرار: فاس<sup>(1)</sup>، وسلا<sup>(2)</sup>، وآسفي<sup>(3)</sup>، وأزمور<sup>(4)</sup>، وبلاد حاحة<sup>(5)</sup>، ومراكش<sup>(6)</sup>، وأغمات<sup>(7)</sup>، وإقليم دكالة<sup>(8)</sup>.

إن غياب ابن قنفذ القسنطيني عن مدينته قسنطينة، الذي دام حوالي ثماني عشرة سنة<sup>(9)</sup>، لم يكن عائقاً أمامه في حصوله على مكانة رفيعة في البلاط الحفصي، فبعد عودته من رحلته المغربية، نجده بقصبة تونس بتاريخ 776 هـ / 1374 م<sup>(10)</sup>، وقد ارتقى إلى مصاف خواص مجلس السلطان الحفصي أبي العباس أحمد (772-796 هـ / 1370-1394 م)، يذكرني هذا بأهمية اللقاء الذي جمع الرجلين في وقت سابق، كان ذلك بتلمسان سنة 761 هـ / 1359 م<sup>(11)</sup>، كما تولى ابن قنفذ خطة الخطابة بجامع قسبة مدينته قسنطينة<sup>(13)</sup>، وأسندت إليه وظيفة<sup>(12)</sup>.

(1) - كان بما سنة 759 هـ / 1357 م. أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير، ص ص 48، 62، 109، 110، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 123، 124. شرف الطالب، 2/ 684، 689، 692.

(2) - كان بما سنة 763 هـ / 1361 م. أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير، ص ص 127، 128، 129. شرف الطالب، 2/ 673.

(3) - كان بما سنة 763 هـ / 1361 م. أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير، ص ص 102، 104.

(4) - المصدر نفسه، ص 130.

(5) - المصدر نفسه، ص ص 106، 107، 131.

(6) - كان بما سنة 768 هـ / 1366 م. أنظر: المصدر نفسه، ص 107. شرف الطالب، 2/ 675، 677.

(7) - ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير، ص 111.

(8) - كان بما سنة 769 هـ / 1367 م، حيث تولى منصب القضاء. أنظر: المصدر نفسه، ص 114.

(9) - صرح ابن قنفذ القسنطيني بالمدة التي قضاها في رحلته في كتابه أنس الفقير، ص 119. كذلك أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 109-110.

(10) - أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 177. ومن المحتمل أن يكون في هذا المجلس العلمي السلطاني المعقود بالقصبة التونسية، هو المجلس الذي سمع فيه ابن قنفذ ثناء السلطان أبي العباس على جده لأم أبي يوسف يعقوب الملاري. أنظر: أنس الفقير، ص 84.

(11) - تحدث ابن قنفذ القسنطيني، بفخر عن تلك الزيارة التي جمعته بالسلطان الحفصي، حيث كان يقيم بتلمسان قائلاً "وفي هذه الإقامة زار السلطان -رحمه الله- شيخ المشايخ أبا مدين رضي الله عنه، ولم يبق الآن أحد ممن زاره معه غيري". أنظر: الفارسية، ص 184. أنس الفقير، ص 149.

(12) - قام ابن قنفذ بزيارات متكررة إلى قبر الولي الصالح أبي مدين شعيب بعباد تلمسان، وكان آخرها سنة 776 هـ / 1374 م، في طريق عودته إلى مدينته قسنطينة. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص 149.

(13) - أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 188.

القضاء لمرتين<sup>(1)</sup>، زمن السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز (796-837 هـ/1394-1434 م)، الأولى لا نعرف تاريخها بالضبط، أما الثانية فكانت سنة 804 هـ/1401 م، بمرسوم سلطاني<sup>(2)</sup>.

وبخصوص طبيعة علاقته بمحاضرة الحفصيين الأولى تونس، فإننا نعلم بتواجده فيها ثلاث مرات على الأقل، حيث كانت الزيارتين الأولى والثانية بعيد عودته من رحلته المغربية، خلال سنة 776 هـ/1374 م، وهي المرة التي حضر فيها مجلس السلطان أبي العباس أحمد، أما الثانية فكانت سنة 777 هـ/1375 م، وخلالها التقى بشيخه الراوية أبي الحسن البطرني (ت 793 هـ/1390 م)، والفقير ابن عرفة الورغمي (ت 803 هـ/1400 م)<sup>(3)</sup>، أما الزيارة الثالثة فتعود إلى السنوات الأخيرة من حياته<sup>(4)</sup>، وتحديدًا سنة 802 هـ/1399 م<sup>(5)</sup>، وفيها التقى للمرة الثانية بشيخه ابن عرفة الورغمي، كما حضر المجلس العلمي الذي كان يعقده السلطان أبو فارس عبد العزيز<sup>(6)</sup>، وهنا تحدث ابن قنفذ<sup>(7)</sup> وبفخر عن معاينته لنسخة من شرحه لرسالة ابن أبي زيد القيرواني، بخط شيخه قاضي الجماعة أبي مهدي عيسى الغبريني (ت 845 هـ/1441 م) مرفوعة للسلطان بمرفع الكتب.

أعود مجددًا إلى أهمية الرحلة المغربية لابن قنفذ، التي وفرت له فرصة الالتقاء بعدد كبير من شيوخ الصوفية، يمكن تفصيلهم في كتابه "أنس الفقير وعز الحقيير"، إضافة إلى تراجم كتابه

(1) - يفهم من كلام ابن قنفذ، أنه من بين الصعوبات التي اعترضت مهمته في القضاء، كان المتسبب الرئيسي فيها تدخل أحد أبرز صنّاع القرار في قسبة قسنطينة، المزوار القائد نبيل. أنظر: المصدر نفسه، ص 198.

(2) - المصدر نفسه، ص 198.

(3) - أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، شرف الطالب، 706/2، 715.

(4) - من غير المستبعد أن تكون هناك زيارات أخرى، قام بها ابن قنفذ إلى مدينة تونس، وقد تكون إحداها تلك التي أشار فيها إلى حادثة مداعبة السلطان أبو فارس للأسد بالرحبة. حولها أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 196.

(5) - أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، شرف الطالب، 715/2.

(6) - إضافة إلى تأكيد ابن قنفذ حضوره إحدى مجالس السلطان الحفصي أبي فارس، كذلك حضر إحداها ابن الشّماع التونسي برفقة والده. حولها أنظر: ابن الشّماع، مصدر سابق، ص 114. وتؤكد شهادة كلاهما أن العلوم المتداولة في مجالس هذا السلطان، هي علوم الشرعية، كال تفسير والحديث والفقهاء، كما كان يحضرها جماعة من الطلبة وعدد من الشيوخ البارزين إضافة إلى السلطان وحاشيته.

(7) - الفارسية، ص 197.

"شرف الطالب"، لكن ما يهمني هنا تقصي شيوخه ممن كانت له عناية بالخبر التاريخي، فقد أشار إلى حضوره مجلس شيخه ابن مرزوق الخطيب في الحديث<sup>(1)</sup>، ومجلس شيخه ابن الخطيب السلماني، الذي كان يقرأ فيه تواليغه بقراءة المصنف نفسه<sup>(2)</sup>، وعلى أهمية هذه الإشارة التي تحمل في طياتها إمكانية تلقي ابن قنفذ لبعض مؤلفات شيخه ابن الخطيب الإخبارية، قد يكون أحدها كتابه الذائع الصيت "الإحاطة"، خصوصاً وأن أولى نسخه قد صدرت سنة 767 هـ/ 1366 م، وهو التاريخ الذي يتوافق وزمن إقامة المصنف الثانية والأخيرة بالمغرب، سنوات 772-776 هـ/ 1370-1373 م، كذلك من شيوخه ابن بلدته قسنطينة، وسليل الأسرة الباديسية، القاضي أبو علي حسن بن باديس القسنطيني (ت 787 هـ/ 1385 م)، والمؤكد أن ابن قنفذ كان على معرفة بمختصر السيرة لشيخه الباديسي<sup>(3)</sup>، وهو عبارة عن تعليق شرح فيه مختصر السير لابن فارس القزويني الرازي (ت 370 هـ/ 980 م).

ليس من شك، القول بالعلاقة الوطيدة التي جمعت ابن قنفذ بأفراد من السلالة الحفصية الحاكمة، خصوصاً وقد نشأ فرعها الحاكم بمدنته قسنطينة، والتي تعود جذورها إلى سيرة أسلافه<sup>(4)</sup> من جهة الأب "آل قنفذ"، والأم "الأسرة الملارية"، ولا طالما ردد ابن قنفذ ذلك في كتبه بفخر واعتزاز، فلمدة ست سنين كان صاحب قسنطينة الأمير الحفصي أبو إسحاق إبراهيم (779 - 793 هـ/ 1377-1390 م)، منتظماً في مجلس الفقه الذي كان يعقده "صاحب الفارسية"، بالجامع الأعظم بقصبة المدينة<sup>(5)</sup>، وطيلة مدة إقامة والده السلطان أبي العباس أحمد (772-796 هـ/ 1370-1394 م) بقصبة مدينة قسنطينة، كان يصلي مأموماً خلف خطيب جامع القصبة ابن قنفذ<sup>(6)</sup>.

مرت السلطنة الحفصية بشقيها الشرقي والغربي بمرحلة حرجة للغاية بعد اعتلاء السلطان

(1) - أشار إليه في الترجمة المقتضبة التي خصصها له في كتابه شرف الطالب، 691/2.

(2) - المصدر نفسه، 684/2.

(3) - أشار ابن قنفذ إلى هذا المختصر في الترجمة المقتضبة التي خصصها له. حولها أنظر: المصدر نفسه، 699/2.

(4) - لمعرفة مزيد من التفصيل حول علاقة الحفصيين بقسنطينة، وأسلاف ابن قنفذ القسنطيني. أنظر: عبد العزيز فيالي،

مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، ص 114-119.

(5) - أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 187.

(6) - المصدر نفسه، ص 188.

أبي فارس عبد العزيز (796-837 هـ/ 1394-1434 م) عرش الحفصيين، وقد شكلت سنوات حكمه الأولى، اختباراً صعباً في تقييم ولاء أهل قسنطينة للسلطان الجديد، خصوصاً بعد إعلان حكام قصبته الثورة على السلطان المذكور، إلا أنه تمكن من ردها إلى بيت الطاعة بعد حصارها سنة 798 هـ/ 1395 م<sup>(1)</sup>، كما نجح في جلب المؤيدين لحكمه<sup>(2)</sup>، وهنا أستشعر موقف ابن قنفذ الذي نأى بنفسه عن كل شبهة واعتزل بالزاوية الملاوية، بل أكد على ولائه للسلطان بإصداره فتوى جواز القيام على المستبدين بالبلد<sup>(3)</sup>، محاولاً بذلك تبرئة نفسه وأهل قسنطينة من هذه "الفعلة"، وختم شهادته المهمة حول هذه الثورة قائلاً "ولا مدخل لأهل البلد في تدبيره، لأن بلدنا قسنطينة بلد سلطنة من زمانها لا بلد مشيخة في أركانها، ومن ارتفع من أهلها فهو بترفيح ملكها"<sup>(4)</sup>.

يبدو أن ابن قنفذ قد نجح في تجاوز تلك المزالق والمحن التي تعرض لها في تلك المرحلة، كما توطدت علاقته بالسلطان الحفصي أبي فارس، الذي أعاد تعيينه في منصب القضاء في شهر جمادى الثانية سنة 804 هـ/ جانفي - فيفري 1402 م، وتعبيراً منه على خالص الولاء وتمام الطاعة خصص له كتابه "الفارسية"، لتدوين سيرته وسيرة سلفه من أفراد السلالة الحفصية الحاكمة، وجاءت صياغة عنوانه مستمدة من كنية ولي نعمته السلطان المذكور، هذا وقد ركز فيه مصنفه ابن قنفذ على الجانب الشخصي لحياة رجال السلطنة ونشأتهم بقسنطينة، وهي خطوة تكشف عن مدى رغبته في ربط تاريخ هذه السلالة بمدينته من جهة، والتأكيد على علاقة أسلافه بهذا الفرع الحاكم من جهة ثانية، كما تعرض إلى بعض التفاصيل الدقيقة المتعلقة بالحروب والثورات، التي واجهها حكام البلاط الحفصي في مختلف المناطق والأقاليم وبصفة خاصة قسنطينة، ما جعل كتابه "الفارسية" يعدّ من كتب "التاريخ الصغير"<sup>(5)</sup>.

<sup>(1)</sup> - لمعرفة تفاصيل الملابس التاريخية، التي رافقت اعتلاء السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز لعرش الحفصيين. أنظر: روبر بارنشفيك، مرجع سابق، 1/ 241-244. محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 556-558.

<sup>(2)</sup> - أشير هنا تلك القصيدة التي مدح فيها الفقيه القاضي أبي العباس أحمد الشّماع (ت 833 هـ/ 1429 م)، المتكونة من 76 بيتاً، في مدح السلطان أبي فارس عبد العزيز، وقد أورد المقطع الأول منها، ابنه أبي عبد الله بن الشّماع، مصدر سابق، ص 115-116.

<sup>(3)</sup> - ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، مصدر سابق، ص 193.

<sup>(4)</sup> - المصدر نفسه، ص 194.

<sup>(5)</sup> - أنظر: مقدمة تحقيق الفارسية، المنجزة من قبل محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، ص 85.



وتكتسي روايته حول فترة حكم السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز أهمية بالغة، باعتباره المصدر الأساسي والمعول عليه فيها، يأتي ذلك في ظل توقف رواية صاحب "العبر"، حول التاريخ الحفصي في تاريخ 796 هـ/1394 م، وهو التاريخ الذي اعتلى فيه السلطان أبو فارس العرش<sup>(1)</sup>، وبذلك يغطي كتاب "الفارسية"، جزءاً مهماً من الأحداث التاريخية التي عاشتها السلطنة الحفصية، خلال السنوات السبع الموالية، الممتدة من سنة 796 هـ—805 هـ/1394-1403 م<sup>(2)</sup>، وحتى مع إقراري بالاختصار الكبير الذي مسّ بعض المراحل الحساسة من التاريخ الحفصي، إلا أنها تبقى تحتفظ بخصوصيتها وأهميتها في ذلك الخصوص.

اختار ابن قنفذ، المنهج الحولي أساساً في ترتيبه للأحداث التاريخية، فيأتي على ذكر وقائع السنة الواحدة بداية من بيعة السلطان، وذكر الحروب والوقائع التي خاضها، كما يتطرق إلى أهم التعيينات الجديدة التي استحدثها في جهاز الحكم، والتي تمس حكام الأقاليم التابعة للسلطنة، وبشكل خاص أمراء قسطنطينية، مع إشارته إلى أسماء بعض موظفي البلاط من كتاب وقضاة وأطباء وخطباء، وفي قالب مدحي مبالغ فيه، أشاد ابن قنفذ بالصفات والخلال الحميدة التي كان يتمتع بها سلاطين وأمراء البيت الحفصي، ونظراً لعلاقته الجيدة التي جمعته وسلفه بالفرع الحاكم بقسطنطينية، فقد أضاف في عديد المرات الكثير من تفاصيل الدقيقة حول حياة بعض السلاطين والأمراء، كتاريخ ولادتهم وتنشئتهم، وطبيعة علاقتهم بحاشيتهم، كما أنه لم يقتصر فقط على ذكر الأحداث التاريخية التي شهدتها افريقية الحفصية، بل نجده كذلك قد حشر بعض الأخبار التي كان يراها مهمة، سواء تلك المتعلقة بباقي مناطق المغرب والبلاد الأندلسية وحتى المشرقية<sup>(3)</sup>، وبعد نهايته من سرد أحداث السنة الواحدة، يؤرخ لسنة وفاة بعض الملوك والعلماء البارزين.

وبخصوص مصادره، فالمؤكد أن الوسط النخبوي الذي ينتمي إليه ابن قنفذ، ودرجة قربه من دائرة صناع القرار الحفصي في القصبين تونس وقسنطينة مسقط رأسه، أتاح له إمكانية

(1) - ابن خلدون، العبر، 6/583.

(2) - آخر سنة توقف عندها كتاب "الفارسية"، ذكر فيها وفاة قائد بحر بجاية، القائد أبي عبد الله محمد بن أبي مهدي. أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 199.

(3) - أنظر: المصدر نفسه، ص ص 110، 111، 115، 117، 119، 121، 133.

الإطلاع على مجموعة من المراسلات، والوثائق الرسمية الصادرة عن صناع القرار في البلاط الحفصي والاستفادة منها<sup>(1)</sup>، كما يبدو أنه عول كثيرا على الرواية الشفوية، باعتباره شاهد عيان على كثير من الأحداث التي عرفتها مدينته قسنطينة على وجه التحديد، وقد استخدم خلالها عبارات توحى بذلك منها: "قلت"<sup>(2)</sup>، و"رأيت أيام حضوري"<sup>(3)</sup>، و"حضرت مجلسه"<sup>(4)</sup>، كما استند في بعض المرات على شهادة بعض عدول البلد، والشيوخ الموثوقين<sup>(5)</sup>، متحريا للدقة والأمانة العلمية، لم يتوان ابن قنفذ في الإفصاح عن عدم معرفته ببعض الوقائع التاريخية، مستخدما في ذلك عبارة "والله أعلم بكيفيتها"<sup>(6)</sup>، و"لا أدري"<sup>(7)</sup>.

أما مصادره المكتوبة، فقد اكتفى فقط بالإشارة إلى الكتاب "المتوكلي الكبير"، المشار إليه سابقا، وقد نقل عنه أخبار الحملة الصليبية على تونس سنة 668 هـ/1269 م، كما اعتمد رواية الكاتب ابن نخيل (ت 618 هـ/1221 م)<sup>(8)</sup>، وعلى الرغم من معرفته الأكيدة ببعض المصادر الإخبارية، التي كان بإمكانه الاستعانة بها في بعض المواضع من فارسيتها، خصوصا تلك التي صرح بالنقل عنها في رحلته الموسومة بـ "أنس الفقير" منها: كتاب "التشوف" لابن الزيات التادلي (ت 627 هـ/1229 م)<sup>(9)</sup>، و"عنوان الدراية" للغبريني (ت 704 هـ/1304 م)<sup>(10)</sup>، و"ملء العيبة" لابن رشيد السبتي (ت 721 هـ/1321 م)<sup>(1)</sup>، بالإضافة إلى رحلة

(1) - وهي وثائق رسمية صدرت من بعض السلاطين والأمراء الحفصيين، منها تلك الصادرة عن الأمير المستنصر (647-675 هـ/1249-1277 م)، وأبي يحيى أبي بكر (718 - 747 هـ/1318-1346 م)، وصاحب قسنطينة الأمير أبي إسحاق إبراهيم (779 - 793 هـ/1377-1390 م). أنظر: المصدر نفسه، ص 124، 164، 187.

(2) - المصدر نفسه، ص 155.

(3) - المصدر نفسه، ص 197.

(4) - المصدر نفسه، ص 197.

(5) - المصدر نفسه، ص 148، 157، 161، 163.

(6) - المصدر نفسه، ص 174.

(7) - المصدر نفسه، ص 176.

(8) - المصدر نفسه، ص 105.

(9) - أشار ابن قنفذ إلى المعلومات التي أوردها ابن الزيات التادلي، المتعلقة بالشيخ الصوفي أبي محمد صالح بن ينصارن الماحري. أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير، ص 146.

(10) - نقل عنه ابن قنفذ سند الطريقة الصوفية للشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم المتصل بشيخه أبي مدين شعيب.

أنظر: المصدر نفسه، ص 104.

العبدري<sup>(2)</sup>، ورغم أن ابن قنفذ ينقل كثيرا من كتاب "العبر" لابن خلدون إلا أنه يشير إليه، خصوصا وأن إحدى نسخ الكتاب كانت ضمن قائمة الكتب المهداة لخزانة السلطان الحفصي أبي العباس أحمد بداية من سنة 784 هـ/1382 م.

ورغم غزارة المؤلفات التي أنجزها ابن قنفذ، وتنوعها في فروع المعرفة النقلية منها والعقلية، والبالغ مجموعها نحو ثلاثة وثلاثين كتابا، خصص منها حوالي ستة مؤلفات في المعرفة التاريخية، بما فيها كتابه "الفارسية" المخصوص بالدراسة، وقد فرغ منه بقسنطينة سنة 806 هـ/1403 م<sup>(3)</sup>، أي قبل وفاته بنحو أربع سنوات فقط<sup>(4)</sup>، إلا أنه لم يستطع الارتقاء بأعماله الإخبارية على كثرتها، إلى مستوى كتابات معاصريه من أمثال ابن خلدون، وشيخه ابن مرزوق الخطيب، وابن الخطيب السلماي، وعلى ذلك عدّ من "كتاب الدرجة الثانية"، إلا أن هذا لا يمنع من الإشادة بفارسيته، واعتباره مؤرخا محليا بامتياز، دون سيرة السلاطين الحفصيين، ليكون أحد أبرز المصادر الإخبارية للتاريخ الحفصي، في النصف الثاني من القرن 8 هـ /14 م، ومطلع القرن 9 هـ /15 م.

وفي الختام، يمكنني الإشارة إلى أن أحد أقدم نسخ "الفارسية" التي وصلت اليوم، توجد بمكتبة دير الأسكوريال<sup>(5)</sup>، ويرجع تاريخ نسخها إلى منتصف القرن 10 هـ /16 م، وأواخر رجب 959 هـ /أوت 1549 م، من قبل ناسخ مجهول الهوية، وتعود إلى مخطوطات "عائلة قسنطينة"، منبثقة عن نسخة المؤلف "الأم النفيسة" ومقابلة بها، استنادا إلى محتوى توقيع الناسخ

(1) - نقل عنه ابن قنفذ سنة وفاة الشيخ أبي الزهر ربيع الأنصاري (ت 675 هـ /1276 م). أنظر: المصدر نفسه، ص 146.

(2) - أنجز ابن قنفذ اختصارا على رحلة العبدري، وجاءت تحت عنوان "المسافة السنوية في اختصار الرحلة العبدرية". حولها أنظر: ابن سودة، مرجع سابق، ص 232.

(3) - تم التصريح بهذا التاريخ من قبل ابن قنفذ في نهاية الكتاب. حوله أنظر: الفارسية، ص 200.

(4) - يضبط الزركشي، مصدر سابق، ص 123. تاريخ وفاة ابن قنفذ بالليله واليوم والشهر والسنة، وجاءت وفاته ليلة الجمعة الثانية عشر ربيع الأول سنة 809 هـ /26 أوت 1406 م. أنظر: تاريخ الدولتين أما الونشريسي، الوفيات، ص 80. فأشار إليها ضمن وفيات سنة 810 هـ /1407 م.

(5) - في مجموع تحت رقم (الغزيري 1722)، وهي إحدى النسخ المعتمدة من قبل المحقق محمد الشاذلي النيفر، وعبد المجيد التركي.

المقيد في نهاية نسخته<sup>(1)</sup>.

### 3. تراجع التدوين التاريخي الموجه لخدمة البلاط الحفصي خلال القرن 9 هـ / 15م:

التغيرات الجذرية التي شهدتها العالم المتوسطي في مراحل الوسيطة المتأخرة، والتي كان يرقب فيها عن كثب نجاح العنصر التركي في افتكاك معقل الإمبراطورية البيزنطية مدينة "القسطنطينية"، وضمها إلى حظيرة العالم الإسلامي سنة 857 هـ/1453 م، لتتوج بذلك السلطنة العثمانية كإحدى أهم القوى السياسية المتوسطية، وقد بدأت وبسرعة في إثبات قدرتها ورغبتها في السيطرة على بعض الأطراف في مرحلة شديدة الحساسية، كان ذلك حدثا غير مسبق، ومنعظفا حاسما في تاريخ العلاقات المتوسطية، في حين كانت ضفته الجنوبية "العدوة المغربية"، تشهد حالة من التراجع والتقهر الكبير، أفقدها الكثير من نفوذها وسلطتها، وما زاد من تفاقم الأوضاع بها، السقوط المدوي للملكة غرناطة سنة 897 هـ/1492 م، وإحكام الممالك الإسبانية السيطرة على شبه الجزيرة الأيبيرية.

بلا شك هذه الظروف المضطربة والمتداخلة، ألفت بضالها الثقيلة على السلطنة الحفصية، التي كانت في وضع أقل ما يقال عنه أنه غير مريح ومرتبك، وعلى جميع المستويات كان حكامها يواجهون وبصعوبة، الضغط الشديد الذي مارسه حركات زعماء المتمردين العرب، وعدد من القواد الطموحين، أدى ذلك إلى استنزاف قوى السلطنة، وتراجع نفوذها في مختلف أقاليمها الشرقية والغربية<sup>(2)</sup>، كما كابدت هذه الأخيرة وبمشقة، الظروف الطبيعية الصعبة التي ضربتها وبقوة، وعبر فترات تاريخية متتالية، أشارت إلى بعضها المصادر الإخبارية المتأخرة، منها موجات البرد، والرياح العاصف، والمطر الوابل<sup>(3)</sup>، لكن يبدو أن الأكثر فتكا من بينها، كان

(1) - أورد محققا الفارسية توقيع الناسخ المجهول الهوية، في مقدمة تحقيق الكتاب، ص 16-17. وجاء على النحو التالي "فرغ منه تأليفنا في أوائل عام 806 هـ، بقسنطينة المحروسة والله ينفع به وبجوده وكرمه، كتبه من نسخة المؤلف المذكور- رحمه الله تعالى - وكان الفراغ من كتبه في أواخر شهر رجب من عام 956 هـ".

(2) - لمعرفة مزيد من التفصيل حول هذه المرحلة الحرجة من التاريخ الحفصي. أنظر: روبرت برنشفيك، مرجع سابق، 1/ 286-288.

(3) - أشار الزركشي، مصدر سابق، ص ص 150، 163-164. إلى وقوع برد شديد ورياح عاصف ومطر بمدينة تونس وضواحيها سنة 860 هـ/1455 م، كما مرت صائفة شديدة الحر ببلاد الجريد التونسي (نفطة- قفصة- توزر)، كان ذلك سنة 869 هـ/1464 م.

عودة الطواعين والأوبئة، وما يتبعها من كثرة الموتان، وغلاء شديد في السعر، وانعدام الأقوات، فقد ضرب المنطقة ثلاثة طواعين فتاكة، في النصف الثاني من القرن 9 هـ/ 13 م<sup>(1)</sup>، لتشكّل في مجملها حالة من الخوف الشديد، والفوضى العارمة التي يصعب التحكم فيها، دفع ذلك في كثير من الأحيان بصناع القرار قي القصبنة التونسية إلى وضع حلول ترقيعية، التي من شأنها التخفيف فقط، وبشكل مرحلي من وقع الكارثة على السكان المتضررين.

وفي هذا السياق، لا يمكنني بأي حال من الأحوال، فصل هذه المنعرجات الخطيرة التي شهدتها البلاط الحفصي، عن مسألة تراجع عملية التدوين التاريخي الموجه لخدمة السلالة الحاكمة، وقد أصبح مجموع الأعمال المنجزة في هذا الخصوص يعد على أصابع اليد الواحدة، ناهيك عن قلة عنايتها بالخبر التاريخي، وورده بشكل مختصر الأمر الذي أفقدها الكثير من قيمتها التاريخية، ومع ذلك حيث يمكنني الحديث عن إحدى الأعمال الإخبارية المتأخرة، من إنجاز أحد المنتمين لسلك موظفي البلاط الحفصي، من المنتظمين في سلك القضاة، أعني به "قاضي المحلة"<sup>(2)</sup> أبا عبد الله محمد بن أحمد بن الشّماع، وكتابه جاء تحت عنوان "الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية"، كتبه برسم مخدمه السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان (839 - 894 هـ/ 1435 - 1488 م)، على حسب تصريحه في ديباجة الكتاب، وقد كتب يقول "وألفت ذلك بخزانة الحضرة العلية الامامية المجاهدية المتوكلية".

وكما كان متوقعا، فمثل هذه الأعمال الموجهة لخدمة السلالات الحاكمة، كانت تصدر على الأغلب من الدوائر القريبة من البلاط الحفصي، الأمر الذي ينسحب على أسرة "ابن الشّماع"، التي تأكدت علاقتها الوطيدة بالسلالة الحفصية، وتعود جذورها إلى سيرة والده أبي العباس أحمد الشهير بالشّماع (ت 833 هـ/ 1429 م)، قاضي المحلة والخطيب بجامع قصبنة

(1) - على حسب رواية الزركشي الذي أشار إلى وقوع ثلاث الطواعين مست مدينة تونس وضواحيها بداية من سنة 847 هـ/ 1443 م، ثم سنة 857 هـ/ 1453 م، وعلى اثر ذلك اضطر السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان (839 - 894 هـ/ 1435 - 1488 م)، إلى الانتقال من مكان إلى آخر فرارا من العدوى، والثالث وقع سنة 872 هـ/ 1476 م، واستمر إلى غاية سنة 874 هـ/ 1469 م، وقد سبقه غلاء فاحش في السعر سنة 862 هـ/ 1457 م. أنظر: المصدر نفسه، ص ص 141، 147، 150، 158. ليعود الطاعون من جديد ليضرب المنطقة سنة 899 هـ/ 1493 م. حوله أنظر: ابن أبي دينار الرعيبي القيرواني، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1869، ص 150.

(2) - الزركشي، مصدر سابق، ص 138.

تونس<sup>(1)</sup>، هذا الأخير نال الحظوة والمكانة الرفيعة في بلاط السلطان أبي فارس عبد العزيز<sup>(2)</sup>، وقد تحدث الابن صاحب "الأدلة البينة" عن حضوره مع والده عديد المرات، تلك المجالس العلمية التي كان يعقدها السلطان المذكور بالقصبة التونسية<sup>(3)</sup>، ويفهم من هذه الإشارة أن علاقته الجيدة بالبيت الحاكم، قد استمرت حتى بعد وصول ولي العهد أبي عبد الله محمد المنتصر (837 - 839 هـ/1434 - 1435 م)<sup>(4)</sup> إلى العرش، لكن يبدو أن مشاركة الوالد "الشّماع"، في المعركة التي شنها السلطان الحفصي الجديد أبو عمرو عثمان (839 - 894 هـ/1435 - 1488 م)، على أحد أفراد الأسرة الحاكمة، الثائرين عليه بعد توليه عرش السلطنة سنة 840 هـ/1436 م<sup>(5)</sup>، قد رفعت مكانته في البلاط، خصوصا بعد أن أثبت ولاءه الكامل للسلطان الجديد.

وبخصوص الابن صاحب "الأدلة البينة"، فالمعلومات التاريخية بخصوصه شحيحة جدا، ولا تسمح لي بتقييم ومراقبة دوره في البلاط الحفصي في مرحلة جد حساسة، وكل ما يمكنني الإشارة إليه، أنه قد يكون تولى منصب القضاء<sup>(6)</sup>، كما قام بزيارة تبرك لقبر الأمير الحفصي أبي محمد عبد الواحد (603 - 618 هـ/1206 - 1221 م) المدفون بقصبة تونس، وصلى بالمغارة الموجودة على مقربة من قبره<sup>(7)</sup>، لكنه لا يشير إلى تاريخ هذه الزيارة، أشتهر بكتابه الإخباري،

(1) - حلاه الزركشي بقوله "الشيخ العالم الفقيه". أنظر: المصدر نفسه، ص 128.

(2) - تجلت العلاقة الوطيدة، بين الفقيه القاضي أبي العباس الشّماع، والسلطان الحفصي أبي فارس في مواقف كثيرة، تحدث عنها بفخر ابنه أبي عبد الله في كتابه التاريخي. حولها أنظر: ابن الشّماع، مصدر سابق، ص 114، 115، 117، 118، 119. كما أشار ابن أبي دينار القيرواني، مصدر سابق، ص 145. إلى مشاركة الوالد أبي العباس للسلطان الحفصي المذكور في غزوته التي قادته إلى تلمسان، وقراءة بيعته.

(3) - ابن الشّماع، مصدر سابق، ص 114.

(4) - تظهر العلاقة الحسنة التي جمعت الوالد أبي العباس بن الشّماع بالسلطان أبي عبد الله محمد المنتصر، في حرص ابن الشّماع على مبايعته بالقصبة، وقد ردّ عليه السلطان بالقول "ونعم! يا ابن حبيبتنا". أنظر: المصدر نفسه، ص 120.

(5) - الزركشي، مصدر سابق، ص 138.

(6) - استنادا إلى رأي الطاهر بن محمد المعموري، الذي أعرب عنه في مقدمة تحقيقه للأدلة البينة، ص 18 - 19. فقد تولى أبو عبد الله بن الشّماع خطة القضاء خلفا لوالده أبي العباس. أما روبرار برنشفيك، مرجع سابق، ص 415 / 2. يرى أنه قد يكون تولى خطة كاتب في مكتبة القصر.

(7) - ابن الشّماع، مصدر سابق، ص 53.

وقد أنهى الاشتغال عليه أواخر 861 هـ/ 1456 م<sup>(1)</sup>.

اتبع ابن الشّماع في ترتيب أخبار أدلته، على حسب الموضوعات، فقد فضل في بدايته تأكيد القيمة الوعظية للخبر التاريخي أو ما يعرف بـ "الفوائد الدينية للتاريخ"، لينتقل بعدها إلى مقدمة اشتملت على خمسة أبواب<sup>(2)</sup>، تدور حول الحدود الجغرافية لبلاد المغرب وافريقية، مع استعانهه بمجموعة من الأحاديث النبوية، التي تروج لفضائل إقليم المغرب، والتأكيد على مكانته الروحية، ثم خصص بعدها الحديث عن تاريخ منطقة افريقية وتونس، وتاريخية فتحها، ومن دخلها من الصحابة، وبعدها ينتقل ليفصل الحديث في تاريخ وسيرة السلاطين الحفصيين منذ تولي الأمير أبي محمد عبد الواحد الحفصي، إلى عصره منتصف القرن 9 هـ/ 15 م، حيث يأتي على ذكر اسم السلطان ونسبه، بيعته، وأهم الأعمال والوقائع التي جرت في عهده، خصوصا منها، تغلبه على خصومه والثائرين عليه، ويختتم كلامه بذكر وفاته وما يتبع ذلك من أحداث يراها مهمة في تاريخه.

الملفت للانتباه، أن ابن الشّماع وقبل عرضه التاريخي لسيرة السلاطين الحفصيين موضوع الكتاب، قد أثار النقاش حول مسألة فقهية بالغة الحساسية، تتعلق بمسألة "وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية وما في معنى ذلك"، وقد حشر فيه مجموعة معتبرة من الأحاديث النبوية التي تصب في ذلك الشأن، ويبدو أن هذا النقاش الذي أثاره ابن الشّماع في مقدمة أدلته، قد جاء استجابة لمناهضة بعض أفراد العائلة الحفصية للسلطان الجديد أبي عمرو عثمان<sup>(3)</sup>، الذي كتب برسمه كتابه الإخباري.

لم يكن جديدا، حشد ابن الشّماع لكثير من عبارات المدح، والإطراء لصالح السلاطين والأمراء الحفصيين، ويكفي في هذا مراقبة الفصل الذي خصصه لسيرة سلطانه أبي عمرو عثمان<sup>(4)</sup>، وقد دعمه بمجموعة من كبيرة من الأحاديث النبوية والمقاطع الشعرية، ما جعل عمله

(1) - استنادا إلى تصريح ابن الشّماع نفسه، في ديباجة الكتاب. أنظر: المصدر نفسه، ص 29.

(2) - المصدر نفسه، ص 29.

(3) - لمزيد من التفصيل حول الانشقاقات التي مست أفراد البيت الحفصي الحاكم عقب تولي ولي العهد أبي عمرو عثمان.

أنظر: روبرن برنشفيك، مرجع سابق، 273/1-277. محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 613-624.

(4) - أنظر: ابن الشّماع، مصدر سابق، ص 121.

يقترّب أكثر إلى فن السيرة المنقّبية منه إلى التدوين التاريخي البحث، كما جاءت روايته للمراحل التاريخية التي عاصرها، خصوصا تلك المتعلقة بأحداث النصف الثاني من القرن 9 هـ/ 15 م، هزيلة ومختصرة جدا، طغى عليها الطابع السردي والاسترسال، في شكل عرض تاريخي سريع.

وبخصوص مصادره المكتوبة التي عول عليها في تحرير فصول كتابه، فقد متوقعا على الأقل بالنسبة للمخزون المكتبي المتنوع والثري، الموجودة على مستوى خزائن مدينته تونس المتعددة، سواء خزانة القصبية أو تلك الموجودة على مستوى جامع الزيتونة، والمدارس المختلفة، أن توفر له مصادر نفيسة ومتنوعة بما فيها التاريخية، لكن على ما يظهر من محتوى نص "الأدلة البيّنة"، وضعف مستوى أخباره التاريخية الذي بدت عليه، ناهيك عن اختصارها المفرط، أنه لم يرق إلى مستوى تلك التوقعات، وعلى الرغم من اختصاره لرواية ابن خلدون، وابن قنفذ القسنطيني<sup>(1)</sup>، إلا أنه لا يصرح بالنقل عنهما، في مقابل ذلك صرح باعتماده على كتاب التيجاني الضائع الموسوم بـ "علامة الكرامة في كرامة العلامة"<sup>(2)</sup>، كما نقل باختصار عن "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام الشنتريي (ت 542 هـ/ 1147 م)، حول تاريخية دخول العرب الهلالية إلى إفريقيا<sup>(3)</sup>.

وأختم النقاش هنا، حول القيمة التاريخية لكتاب ابن الشّماع التونسي، أنه رغم إقراره بضعف روايته حتى من ناحية الأسلوب، إلا أنه يبقى أحد المصادر الإخبارية التي يتجلى فيها المسار العام الذي سلكه التاريخ الموجه لخدمة البلاط الحفصي في نهاية العصر الوسيط، وليس بالوسع تجاهل روايته التي تكنسي طابعا محليا تونسيا، وأصبح مصدرا معولا عليه للمهتمين بتاريخ الحفصيين في المرحلة المتأخرة على غرار رواية الزركشي<sup>(4)</sup>.

أما العمل الثاني، وهو خاتمة المؤلفات الإخبارية الموجهة لخدمة السلالة الحفصية الحاكمة، أنجزه الزركشي الذي أشرت إليه في عدة مواضع سابقة، وهو محمد بن إبراهيم بن اللؤلؤ (كان

---

(1) - على سبيل المثال، تكشف المقارنة بين روايتي ابن قنفذ القسنطيني، وابن الشّماع حول سيرة الأمير الحفصي أبي محمد عبد الواحد، عن قيام ابن الشّماع بنقلها حرفيا عن الفارسية.

(2) - المصدر نفسه، ص ص 51، 55.

(3) - المصدر نفسه، ص 135.

(4) - نقل عنه الزركشي، كذلك ابن أبي دينار القيرواني، مصدر سابق، ص ص 123، 142، 145، 148.



حيا سنة 894 هـ/1488 م)، هذا الأخير لا تتوفر معلومات كافية حوله، سوى أنه من موالى الحفصيين، تولى خطة عدل خاص بالدولة يشهد على رجالها، كما تولى خطة الكتابة بديوان الإنشاء<sup>(1)</sup>، من أبرز شيوخه الشيخ أحمد بن محمد القلجاني<sup>(2)</sup>، أنجز الزركشي شرحا على القصيدة الدمامينية في مدح السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز<sup>(3)</sup>.

على أن شهرة الزركشي، تعود إلى كتابه الموسوم بـ "تاريخ الدولتين الموحدية الحفصية"، الذي تناول فيه تاريخ بلاد افريقية خلال مرحلتها الموحدية والحفصية، مع تركيز اهتمامه أكثر على التاريخ الحفصي إلى سنة 882 هـ/1477 م<sup>(4)</sup>، وهي فترة حكم السلطان أبي عمرو عثمان، وقد اتبع في ترتيبه للأحداث على حسب السنين، الأمر الذي رفع من القيمة التاريخية للأحداث المتطرق إليها، كما اهتم ببعض المسائل الدقيقة المتعلقة بحياة السلاطين الحفصيين، كذكر أصولهم من جهة الأم ومبلغ أعمارهم، إضافة إلى أعمالهم العمرانية كبناء الزوايا، والمدارس، وخزائن الكتب، والزيادات التي أضيفت إلى جامع الزيتونة وغيره، على أن عرضه الدقيق للكثير من الترتيبات الإدارية، التي كان يحدثها السلاطين الحفصيين بين الفينة والأخرى، من عزل وتولية لبعض القضاة والكتّاب، تكتسي أهمية بالغة في رصد أبرز التطورات التي مست الجهاز الإداري الحفصي عبر مراحل المختلفة، إضافة إلى ترجمته لعدد معتبر من الفقهاء،

(1) - لمعرفة مزيد من التفصيل حوله. أنظر: مقدمة تحقيق كتاب "تاريخ الدولتين" للزركشي، المنجزة من قبل محمد ماضور، كذلك محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، 2/ 413.

(2) - أشار إليه الزركشي، مصدر سابق، ص 9. بـ "شيخنا القاضي المفتي".

(3) - سميت بالقصيدة الدميمانية، نسبة لناظمها بدر الدين بن أبي بكر الدماميني (ت 828 هـ/1424 م)، التي مدح فيها السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز، وبعثها له من مصر سنة 793 هـ/1390 م، وقد قام الزركشي في وقت لاحق بشرحها. حولها أنظر: ابن أبي دينار القيرواني: مصدر سابق، ص 143.

(4) - آخر الأخبار التي تحدث عنها الزركشي، مصدر سابق، 159. تعود إلى شهر محرم من سنة 882 هـ/أفريل - ماي 1477 م، حيث ورد على السلطان الحفصي شيخ الذواودة نصر بن صولة يطلب العفو، لكنه أورد في موضع آخر أشار إلى تاريخ تعيين الفقيه أبي عبد الله محمد الزواغي ككاتب لقلم الجباية سنة 887 هـ/1482 م. أنظر: المصدر نفسه، ص 135. لكن يبدو أن نسخة كتاب الزركشي التي رجع إليها ابن أبي دينار القيرواني، تقدم امتداد أطول للأحداث التاريخية التي كتبها الزركشي المشار إليها آنفا، أين نجده ينقل عنه أخبارا وقعت سنة 932 هـ/1525 م. أنظر: ابن أبي دينار القيرواني، مصدر سابق، ص 152. وقد أرجع المحقق محمد ماضور في مقدمة تحقيقه، أن هذه الزيادة الموجودة كذلك في النسخة الموجودة بالمكتبة الوطنية بباريس، هي من عمل النساخ، ولا يمكن قبول أن الزركشي قد امتد به العمر إلى سنة 932 هـ/1525 م.

والشيوخ الذين تصدروا للإقراء، كما تطرق إلى بعض الأحداث المغربية، وحتى المشرقية المهمة<sup>(1)</sup>.

وعلى خلاف كتاب ابن بلدته التونسي ابن الشّماع، تبدو المصادر التي اعتمد عليها الزركشي أكثر تنوعاً وأهمية، الأمر الذي رفع من القيمة التاريخية للكتاب، كما يمكن التكهّن بطريقة تعامله معها، من خلال إشارته للكثير منها، حيث تزداد حاجته للمصادر الإخبارية كلما كانت الفترة التي يبحث فيها بعيدة عنه، يظهر ذلك بشكل جلي في عودته السريعة للروايات المتعلقة بتاريخ الموحدين، أين نجدّه يستعين بمجموعة مهمة من المصادر في التاريخ العام، وكتب التراجم والطبقات والمسالك والممالك، منها تاريخ ابن نخيل وقد أشرت إليه في وقت سابق، و"عبر" ابن خلدون<sup>(2)</sup>، وابن سعيد المغربي في كتابه "المغرب"<sup>(3)</sup>، وابن الخطيب السلماي<sup>(4)</sup>، إضافة إلى "عنوان الدراية" للغبريني<sup>(5)</sup>، والتهيجاني<sup>(6)</sup> وابن بشكوال<sup>(7)</sup>، و"وفيات" لابن خلكان<sup>(8)</sup>، وبخصوص المرحلة الحفصية، فقد عول كثيراً على كتاب ابن خلدون، الذي يتكرر النقل عنه في كثير من المواضع<sup>(9)</sup>، وابن الخطيب السلماي<sup>(10)</sup>، وابن قنفذ القسنطيني<sup>(11)</sup>، وابن الشّماع التونسي<sup>(12)</sup>.

على الرغم من الاختصار الذي اتبعه الزركشي في تدوينه للأحداث التاريخية، بما فيها تلك التي كان معاصراً لها، ما جعل روايته تبدو في كثير من الأحيان كملخصات لرواية ابن خلدون،

(1) - حولها أنظر: الزركشي، مصدر سابق، ص ص 31، 32، 34، 39، 40.

(2) - المصدر نفسه، المصدر نفسه، ص ص 7، 20.

(3) - المصدر نفسه، ص ص 4، 10.

(4) - المصدر نفسه، ص ص 4، 20.

(5) - المصدر نفسه، ص 9.

(6) - المصدر نفسه، ص 10.

(7) - المصدر نفسه، ص 10.

(8) - المصدر نفسه، ص 4.

(9) - المصدر نفسه، ص 24.

(10) - المصدر نفسه، ص 47.

(11) - المصدر نفسه، ص ص 61، 65، 70، 79.

(12) - المصدر نفسه، ص 138.

إلا أنه يبقى مصدرا ثميناً بالنسبة للقرون الحفصية الوسيطة المتأخرة<sup>(1)</sup>، ويكفي في هذا شهادة صاحب كتاب "المؤنس في أخبار افريقية وتونس"<sup>(2)</sup>، الذي اعتبره خاتمة الكتب التاريخية التي اعتنت بضبط الأحداث والوقائع، ولم يجد بعده ممن له اهتمام بهذا الأمر<sup>(3)</sup>.

في ختام هذا المبحث، يبدو جلياً الاتصال الوثيق بين السلالة الحفصية الحاكمة وعدد من المهتمين بالخبر التاريخي من المحسوبين على حاشية البلاط، وقد كان للاهتمام الكبير الذي أبداه بعض أفراد البيت الحفصي الحاكم بالمعرفة التاريخية، دوراً هاماً في تحفيز الوعي التاريخي في الأوساط القريبة من البلاط، وإنجاز مجموعة من الأعمال الإخبارية السلالاتية، كما كان للشيوخ الإخباريين الأندلسيين المستقرين بمواضع افريقية الحفصية، عاملاً حاسماً في إعطاء انطلاقة قوية لهذا النمط من التأليف التاريخي.

القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) - حول القيمة التاريخية لكتاب الزركشي. أنظر: روبر بارنشفيلك، مرجع سابق، 2/ 416.

(2) - يبدأ نقل ابن أبي دينار عن كتاب الزركشي، بعد توقف النقل عن ابن الشّماع، وهو الجزء المتبقي من ولاية السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان بداية من سنوات 852 هـ/1448 م، وينتهي النقل عنه في أخبار سنة 932 هـ/1525 م. أنظر: ابن أبي دينار القيرواني، مصدر سابق، ص 148-152.

(3) - المصدر نفسه، ص 152.

الفصل الثاني:

تعرف مسارات التروين التاريخي خارج

مجتمع البلاط

## المبحث الأول:

العناية بالتاريخ الجامع، محاولة لإعطاء هوية مشتركة للعالم الإسلامي الوسيط.

ليس في الإمكان تجاهل ذلك الكم الكبير من الأعمال التاريخية، التي عاجلت التاريخ السياسي لبلاد المغرب في قلبه المحلي، فعلى الأقل ذلك ما كان متوقعا في فترة جدّ حساسة، عرفت وصول زعامات بربرية إلى العرش في ظل انهيار الصرح الموحد، ومع إقراري بالدور الحاسم الذي لعبته الأسر البربرية الحاكمة في توسيع دائرة الاهتمام بتدوين التاريخي السلالاتي، إلا أن ذلك لا يعني التخلي عن باقي أشكال التدوين التاريخي التقليدية، من أهمها التواريخ الشاملة، التي يكون التركيز فيها على تواريخ الشعوب الإسلامية، وباقي الشعوب "الغير إسلامية" التي كان لها احتكاك مباشر مع العالم الإسلامي (الفرس، والأقباط، والتركماني، والقوط، والبربر، والأحباش)، مع إقصاء كبير لتاريخ بعض الشعوب السامية واللاتينية والجرمانية، التي سوف تكون غائبة عن تلك التغطية الاسطوغرافية، الأمر الذي يجعل هذا النمط من التواريخ الجامعة، عبارة عن تواريخ عالمية جزئية من منظور إسلامي محض.

وفي هذا السياق، قدمت المدرسة التاريخية المشرقية أعمال متميزة منذ مراحل مبكرة، يعتبر فيها كتاب "الرسل والملوك" للطبري، و"مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي، أحد أبرز النماذج التي جسدت مفهوم التواريخ العالمية وفق المنظور العباسي الوجدوي<sup>(1)</sup>، هذه الأخيرة استطاعت أن تحظى بكثير من التبجيل إلى المراحل الوسيطة المتأخرة، يأتي ذلك رغم حالة التمزق والتفسخ، ناهيك عن الاضطرابات العميقة التي هزت وبقوة وحدة العالم الإسلامي، حيث يعتبر فيها سقوط عاصمة الخلافة "بغداد" سنة 656 هـ / 1258 م، النهاية المأساوية للخلافة العباسية، وإخفاق كاسح لمشروعها الوجدوي، ومع ذلك شهدت هذه المرحلة انجاز أعمال إخبارية متميزة، أشير سريعا إلى كتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأثير الموصلية (ت 630 هـ / 1232 م)، والموسوعة التاريخية الضخمة للذهبي (ت 748 هـ / 1347 م) الموسومة

(1) - حول طبيعة ودوافع التدوين التاريخي الجامع، في بلاد المشرق الإسلامي خلال القرون الهجرية الأولى. أنظر: عبد العزيز الدوري، مرجع سابق، ص 131-154. فرانز روزنتال، مرجع سابق، ص 183-188. جيسي روبنسون، مرجع سابق، ص 387-396.

بـ "تاريخ الإسلام" <sup>(1)</sup>، و"تتمة المختصر في أخبار البشر" لابن الوردي (ت 749 هـ/1348 م) <sup>(2)</sup>، و"البداية والنهاية" لابن كثير الدمشقي (ت 774 هـ/1372 م) <sup>(3)</sup>.

بتسليط الضوء أكثر على مسار التدوين التاريخي في بلاد المغرب في القرون الوسيطة المتأخرة، تظهر كذلك عناية مجموعة من الإخباريين المحليين بالقالب التاريخي الجامع، الذي يربط تاريخ المغرب والأندلس بالتاريخ المشرقي، وقد شملت تغطيتهم الاسطوغرافية الجامعة، نمطين رئيسيين، وهو ما سوف أحاول تتبعه في هذا المبحث من خلال دراسة أبرز الأعمال الإخبارية المغربية المنجزة في تلك المرحلة.

### 1. ابن عذارى المراكشي، وعملية تدوين تاريخ عالمي جزئي ضمن مؤلفين منفصلين:

من الواضح أن كتابة مؤلفين منفصلين، واحد منها يغطي أحداث المشرق والثاني خاص بالمغرب، كان إحدى الطرق المهمة والفعالة المعتمدة في التدوين التاريخي من قبل المهتمين بالخبر التاريخي في بلاد المغرب في نهاية العصر الوسيط، فمن خلالها يمكن تقديم تغطية اسطوغرافية موسعة لطرفي العالم الإسلامي الوسيط، حيث تعتبر التجربة التي قام بها الغرناطي الأصل ابن سعيد المغربي (ت 685 هـ/1286 م)، من أهم الأعمال الإخبارية التي جسدت هذا المفهوم التاريخي الجامع، وجاء كتابه الأول تحت عنوان "المغرب في حلي المغرب"، أما الثاني فهو "المشرق في حلي المشرق"، لكن التجربة المغربية الأكثر تميزا في هذا الخصوص، هي تلك التي قادها معاصره ابن عذارى المراكشي (حيا سنة 712 هـ/1312 م)، أحد أبرز المهتمين بالخبر التاريخي المنحدرين من منطقة مراكش، في نهاية القرن 7 هـ/13 م، وبدايات القرن 8 هـ/14 م، وإن كانت المعطيات التاريخية المتوفرة حوله، لا تسعني كثيرا في الإحاطة ببعض الجوانب المهمة من حياته، خصوصا ما تعلق منها بطبيعة تكوينه التاريخي، يبقى التعويل على كتابه "البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب" <sup>(4)</sup>، والمصدر الأساسي الذي يمكن

(1) - تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003 م، 15 مج.

(2) - تحقيق أحمد رفعت البدرابي، دار المعرفة، بيروت، 1970 م، 2 مج.

(3) - تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، حجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، 1997 م، 21 مج.

(4) - منذ سنة 1848 م، ظهرت محاولات عديدة لطبع وتحقيق كتاب "البيان المغرب"، على يد المهتمين بتاريخ المغرب الوسيط، منها نشرات المستشرق الهولندي رينهارت دوزي (R.Dozy)، تلتها محاولات إيفاريسست ليفي-بروفنسال، والمستشرق الفرنسي جورج كولان (Georges Séraphin Colin) مع ترجمة فرنسية بقلم فانيان (Edmond Fagnan)

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

اللجوء إليه لمعرفة بعض التفاصيل المهمة.

بلا شك تجربته التاريخية المتميزة، مكنت صاحبها ابن عذاري المراكشي، من حجز مكانة مرموقة في وسط المهتمين بالخبر التاريخي في مغرب ما بعد الموحدين، وقد تجاوز بأعماله التاريخية المهمة الحدود الإقليمية التي تبناها عدد من معاصريه، أين انصبت جهودهم في تدوين تاريخ السلالات الحاكمة، حيث استطاع ابن عذاري تجسيد منظوره التاريخي الجامع، واعتبار تاريخ المغرب امتدادا للطرف الشرقي للعالم الإسلامي، من خلال تدوينه لكتابين منفصلين:

**الأول:** بعنوان "البيان المشرق في أخبار المشرق"، يظهر أن مصنفه قد أنهى كتابته قبل شروعه في تحرير كتابه الثاني الذي يغطي تاريخ المغرب، وعلى أهمية هذا الجزء إلا أنه معدود ضمن قائمة المؤلفات الضائعة، كما لا تتوفر عنه سوى بعض الإشارات التي أحال إليها المصنف في "البيان المغرب" <sup>(1)</sup>، وقد بلغت نحو ستة إحالات فقط، وللكشف عنها إليك الجدول التوضيحي التالي:

موضوع النقل	تاريخ الواقعة	الفترة	الجزء / الصفحة
خبر سقوط الخاتم من يد عثمان بن عفان	30 هـ / 650 م	أحداث الفتنة الكبرى	14 / 1
مقتل محمد بن أبي بكر بمصر	38 هـ / 658 م	//	15 / 1
تولي يزيد بن معاوية الخلافة الأموية	60 هـ / 679 م	تاريخ الخلافة الأموية	23 / 1
كيفية مقتل أبا مسلم الخراساني	137 هـ / 754 م	تاريخ الخلافة العباسية	66 / 1
تولي المهدي الخلافة العباسية	158 هـ / 774 م	//	80 / 1
تولي العزيز بالله نزار الخلافة الفاطمية بمصر	365 هـ / 975 م	خلفاء مصر الفاطمية	229 / 1

يفهم من معطيات الجدول أعلاه، أن ابن عذاري المراكشي تطرق في مصنفه المفقود "البيان المشرق" إلى تاريخ الخلافة الراشدة، وما أعقبها من أحداث الفتنة الكبرى، زمن خلافة عثمان

بالجزائر سنة 1901-1904 م، وبعدها جاءت محاولة المدرسة الاستشراقية الاسبانية التي قادها هويشي ميرندا (A. Huici Miranda)، مع مشاركة عدد من المحققين من المملكة المغربية، ممثلة في محمد بن تاويت الطنجي، ومحمد بن إبراهيم الكتاني، وعبد القادر زمامة ومحمد زنيير، وجهود المحقق إحسان عباس. لمعرفة مزيد من التفصيل حول تاريخ هذه النشريات وأهميتها. أنظر:

- Maratos Quesada Juan, «La Labor historiografica de Ibn Idari », *Anaqueel de estudios arabes*, 20, (2009), pp. 117- 130.

<sup>(1)</sup> - أنه هنا إلى أن ابن عذاري المراكشي، تطرق في بيانه إلى مجموعة أخرى من الأحداث المشرقية المهمة، من دون أن يجيل فيها إلى كتابه الضائع "المشرق". حولها أنظر: ابن عذاري المراكشي، مصدر سابق، 1/ 13-14، 85-86، 288.

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التروين) (التاريخي خارج مجتمع البلاط)

بن عفان، وانتقال الحكم إلى السلالة الأموية بدمشق، وبعدها تطرق إلى المرحلة العباسية، إضافة إلى أخبار مصر الفاطمية، وهي الطريقة المعول عليها في تنظيم الروايات التاريخية الجامعة التي ازدهرت مع كتابات الطبري، والمسعودي.

الكتاب الثاني: هو كتابه الذائع الصيت "البيان المغرب"، الذي كان يشتغل عليه إلى حدود سنة 712 هـ / 1312 م<sup>(1)</sup>، قام بتقسيمه إلى ثلاث أقسام<sup>(2)</sup>، تعرض في قسمه الأول لتاريخ المغرب وإفريقية من الفتح حتى ظهور الموحدين خلال القرن 6 هـ / 12 م، أما الثاني فتطرق فيه إلى تاريخ الأندلس من بدايات الفتح إلى دخول المرابطين سنة 478 هـ / 1085 م، أما الثالث والأخير فقد خصصه لتاريخ الدولتين المرابطية والموحدية، ووصل به إلى سنة 667 هـ / 1278 م، أي مع بدايات صعود المرينيين إلى مسرح الأحداث، واستيلائهم على مراكش عاصمة الموحدين، وباعتباره سليل المنطقة المراكشية، ومعاصرا لتلك المرحلة الانتقالية الحساسة من تاريخ المغرب، فقد اكتسبت تلك المقاطع التاريخية أهمية بالغة في التاريخ المريني، وأسهمت بشكل لافت في سد بعض الثغرات التي يتعذر الحصول عليها في المصادر الإخبارية المتأخرة.

وبخصوص الوسط التاريخي، الذي كان ابن عذارى المراكشي أحد عناصره الفاعلة، فيمكنني التأكيد على علاقته بعدد من المهتمين بالخبر التاريخي في المنطقة المراكشية، أين التقى بالنسابة ابن عبد الحلیم الايلاي (ت 726 هـ / 1325 م)، واستعان به في موضعين اثنين من بيانه<sup>(3)</sup>، كما اجتمع عدید المرات بالتاريخي ابن عبد الملك المراكشي (ت 703 هـ / 1303 م)<sup>(4)</sup>، وتشير هذه اللقاءات التي جمعت بين ثلاثة من أبرز أعمدة المهتمين بالخبر التاريخي،

(1) - ورد هذا التاريخ، في معرض حديث ابن عذارى المراكشي عن مصير أحد أولاد الخليفة الموحد، أبو حفص عمر المرتضى، وجاء قوله على النحو التالي "في وقتنا هذا، وهو عام اثني عشرة وسبعمائة". أنظر: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 447.

(2) - قدم ابن عذارى المراكشي شرحا وافيا، حول خطة كتابه في الديباجة. حولها أنظر: المصدر نفسه، 1/3-4.

(3) - استفاد ابن عذارى المراكشي، من اللقاء الذي جمعه بالنسابة ابن عبد الحلیم، ونقل عنه خبر دخول المنصور الموحدى إلى مراكش عقب موقعة الأرك سنة 591 هـ / 1195 م، ولقائه بزعماء بعض جماعات مضمودة من "هيلانة"، و"هزميرة". أنظر: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 229-230. أما الخبر الثاني فيتعلق بنسب طارق بن زياد، وقد أشرت إلى ذلك في وقت سابق.

(4) - استفاد ابن عذارى من مناقشته التاريخية التي كان يجريها مع ابن عبد الملك المراكشي حول تاريخ الموحدين، ونقل عنه نحو خمسة روايات. حولها أنظر: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص 36، 57، 59، 79، 81.



## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

إلى حجم وفاعلية تلك المباحثات والمناقشات التاريخية التي كانت تجري في المنطقة الأطلسية بعيدا عن أجواء البلاط الفاسي في نهاية القرن 7 هـ / 13 م، وبدايات القرن 8 هـ / 14 م، خصوصا إذا أخذت بعين الاعتبار أهمية التصريح الذي أدلى به في ديباجة بيانه بقوله "ولما كلفت بأخبار الخلفاء والأئمة والأمراء بالبلاد المشرقية والمغربية، وما والاهما من الأقطار وولعت بالمناظرة في ذلك مع الفضلاء والأحلاء من ذوي الأقدار والأخطار..."<sup>(1)</sup>.

مدفوعا برغبة أحد معارفه المجهول الهوية، امثل ابن عذارى المراكشي لطلبه في تدوين تاريخ المغرب، الأمر الذي يشي بتلك العلاقة الوطيدة التي جمعت الرجلين في تلك المرحلة، وقد نتج عنها كتابته للبيان، هذا الكتاب الذي أثبت فيه مصنفه علو كعبه ومهاراته التاريخية العالية، متفوقا بذلك على معاصريه، كما استطاع فيه الجمع بين النسق الاسطوغرافي الجامع مع المحافظة على الدقة وتحري الضبط، وهنا لا أحتاج إلى مزيد من الأدلة لإثبات أهمية روايته في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط، ويكفي في هذا الإطلاع على القائمة الاسمية لمصادره الاخبارية، التي اعتمدها في تحرير مختلف الفصول، ذكر مجموعة منها ديباجة الكتاب، وقد ضمت نحو 26 عنوانا<sup>(2)</sup>، على أن هناك مجموعة أوسع من هذه القائمة، وتشمل كذلك مجموعة المصادر الاخبارية التي صرح بالنقل عنها في متن الكتاب، وقد توزعت بين مصادر أندلسية ومغربية، ومشرقية<sup>(3)</sup>.

من دون شك، الوفرة والتنوع الذي تميزت بهما مصادره الاخبارية المصرح بها في "البيان"، قد أعطت لمصنفه النفس الطويل، والقدرة الكافية في البحث عميقا في تاريخ الغرب الإسلامي منذ عهوده الإسلامية الأولى إلى مطلع القرن 8 هـ / 14 م، وما يرفع من قيمة مصادره أن جزءا كبيرا منها، معدود ضمن قائمة الكتب المفقودة أو وصلتنا بعض أجزاءها فقط، ولتوضيح ذلك أعرض عليك القائمة الاسمية الآتية:

(1) - المصدر نفسه، 2/1.

(2) - حولها أنظر: المصدر نفسه، 2/1-3.

(3) - من أهم الأعمال التاريخية التي استند عليها ابن عذارى المراكشي، أذكر: كتاب الواقدي، والطبري، والمسعودي، وابن قتيبة الدينوري، والبلاذري. حول مواضع النقل عنها. أنظر: المصدر نفسه، 1/13، 14، 16، 18، 41، 45، 47، 67، 77، 78، 2/4، 7، 17، 27.

## الفصل الثاني ————— تعدد مسارات الترويض (التاريخي خارج مجتمع البلاط.

صاحب المصدر	عنوانه	الانتماء	الجزء / الصفحة
عيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المهاجر دينار (نهاية ق 2 هـ / 8 م)	مغازي افريقية <sup>(1)</sup>	كتب الفتوح	7-6 / 2
أبو الحسن النوفلي (ق 3 هـ / 9 م)	المجموع المفقود	تاريخ الأدارسة	1 / 2، 83، 4 / 10.
محمد بن يوسف الورّاق (ت 363 هـ / 974 م)	المسالك والممالك	المغرب الفاطمي	1 / 26، 83، 2 / 242
عيسى بن محمد الرازي (ت 379 هـ / 989 م)	كتاب تاريخي	أندلسي / الخلافة الأموية	2 / 4، 6، 7، 8، 13، 16، 24، 40، 41، 57، 62، 64، 104، 105، 115، 129.
الريقق القيرواني (ت 420 هـ / 1029 م)	تاريخ افريقية والمغرب	المغرب الفاطمي	1 / 2، 7، 17، 43، 56، 67، 75، 77، 81، 83، 89، 133، 217، 239، 245، 257، 265، 266، 270، 272، 3 / 39، 47-49، 67، 68، 70، 72-73، 77، 78، 84، 92، 97، 102، 103-105، 116، 117.
ابن أبي الفيّاض (ت 458 هـ / 1065 م)	القبس	أندلسي / ملوك الطوائف	1 / 19
المظفر بن الأفتس (ت 460 هـ / 1067 م)	الكتاب المظفري	أندلسي / ملوك الطوائف	1 / 167، 3 / 116.
ابن شرف الجذامي (ت 460 هـ / 1071 م)	ذيل على تاريخ الريقق	افريقية الباديسية	1 / 2، 277، 278، 279، 288-292، 295-296، 298.
ابن حيّان القرطبي (ت 469 هـ / 1076 م)	أخبار الدولة العامة <sup>(2)</sup>	أندلسي / الخلافة الأموية	2 / 126، 225، 237، 280، 290، 300، 280، 290، 300، 3 / 4، 8، 9، 12، 18، 27، 32، 42، 84، 113، 114، 118، 125، 127، 128، 129.

<sup>(1)</sup> - استفاد منه أبو العرب التميمي في مواضع متفرقة من طبقاته. حولها أنظر: أبو العرب التميمي: طبقات علماء افريقية وتونس، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص ص 57، 68، 69، 71، 76، 78، 81، 176، 179.

<sup>(2)</sup> - صرح ابن عذاري المراكشي في ديباجة "البيان"، اعتماده على كتاب "أخبار الدولة العامرية" لابن حيّان القرطبي، صاحب المؤلفات التاريخية الكثيرة، إلا أنه في أثناء النقل عنه، يكتفي فقط بذكر المصنف دون ذكر عنوان الكتاب، الأمر الذي يصعب معه إمكانية التكهن بعنوان المؤلفات التي استفاد منها في مواضع مختلفة، فهل اكتفى فقط بالنقل عن كتابه "أخبار الدولة العامرية"، المصرح به في عدد من المواضع؟ أم أنه اعتمد كذلك على باقي مؤلفاته، منها "المقتبس"، و"المتين".

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التروين) (التاريخي خارج مجتمع البلاط)

130، 131، 137، 138، 143، 144، 147، 156، 158، 162، 164، 169، 173، 178، 181، 6، 187، 188، 93، 199، 204، 207، 219، 220، 229، 240، 249، 269.			
1 / 217، 281-287.	افريقية الباديسية	تعزية أهل القيروان	ابن سعدون القروي (ت 485 هـ / 1092 م)
1 / 203، 210.	أندلسي / ملوك الطوائف	كتاب تاريخي (1)	أبو العباس أحمد العذري (ت 487 هـ / 1094 م)
1 / 65 - 66.	نسب البربر	كتاب في النسب	ابن أبي المجد المغيلي (ق 5 هـ / 11 م)
3 / 202.	أندلسي / ملوك الطوائف	كتاب تاريخي	أبو بكر محمد بن مزين (ق 5 هـ / 11 م)
1 / 2، 292، 298، 309.	افريقية الباديسية	تاريخ المهديّة	أمية بن أبي الصلت (ت 529 هـ / 1134 م)
2 / 33، 52، 112، 128.	المغرب المرابطي	درر القلائد و غرر الفوائد (2)	أبو عمر السالمي (ت 559 هـ / 1163 م)
1 / 3، 48/4، 74، 78، 96.	المغرب المرابطي	الأنوار الجليلة (3)	ابن الصيرفي (ت 577 هـ / 1181 م)
1 / 3، 51/3، 260، 49/4.	المغرب المرابطي	تقصي الأنباء	
1 / 5، 124، 253 - 255، 311، 3 / 228، 249، 258، 272، 78/4، 80، 97، 99.	المغرب الموحيدي	المقباس	عبد الملك الورّاق (حيا سنة 555 هـ / 1160 م)
1 / 5، 203، 211، 216، 220، 227، 2 / 243، 113/3، 115، 58 / 4، 88،	المغرب الموحيدي	المقتبس	ابن حماده البرنسي

(1) - استفاد منه صاحب مفاخر البربر، ص 199. حول أول الداخلين إلى المغرب من العلويين.

(2) - "درر القلائد و غرر الفوائد في أخبار الأندلس وأمراؤها وطبقات علمائها وأشعارها"، يبدو أن إحدى النسخ الكتاب النفيسة، قد اطلع عليها ابن عبد الملك المراكشي، وهي نسخة تقع في سفرين، ثلثين منها مكتوب بخط مؤلفها، وقد استفاد منها ابن عبد الملك المراكشي في نسب السالمي ومؤلفاته، مما وجده مقيدا بخطه على ظهر السفر الأول منها. حول تلك النقول أنظر: ابن عبد الملك المراكشي: مصدر سابق، 5/ 20، 574، 6/ 7-9، 208، 327، 8/ 489.

(3) - "الأنوار الجليلة في محاسن الدولة المرابطية"، توجد تنف عنه منتشرة في عدد من المصادر الإخبارية للقرن 8 هـ / 14 م، أذكر منهم: مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص 152. ابن السماك العاملي، مصدر سابق، ص 93. ابن الخطيب السلمي، الإحاطة، 1/ 108-114، 147-148، 150، 142، 429، 441، 448، 2/ 118، 120، 517، 3/ 158-159، 275، 331، 333، 463، 524، 4/ 407، 349. كما أشار إليه السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص 169. ويرد عنده تحت عنوان "تاريخ الدولة الممتونية".

.96، .99، 104.			(ق 6 هـ / 12 م)
1/ 25، 28، 30، 39، 42، 44، 55، 56، 67، 77، 107، 115، 159، 287، 304، 307، 307، 5، 2، 33، 3، 134، 136، 141، 199، 217، 249، 251، 284، 4 / 22، 59، 68، 75، 94.	المغرب الموحد	نظم الجمان	ابن القطان المراكشي (ت 628 هـ / 1230 م)
(قسم الموحدنين)، ص 173.	المغرب الموحد	كتاب تاريخي	ابن عمر الاشبيلي (ق 7 هـ / 13 م)
(قسم الموحدنين)، ص 265، 3/1.	المغرب الموحد	ميزان العمل	ابن رشيق المرسي السبتي (حيا سنة 677 هـ / 1278 م)

هذه القائمة الاسمية المهمة المتكونة من 22 كتابا تاريخيا، معدودة ضمن قائمة المؤلفات المفقودة اليوم، كانت متداولة صدر المائة الثامنة، والمعول عليها عند المهتمين بالخبر التاريخي في تلك المرحلة المتأخرة، كما أن هناك مجموعة ثانية من مصادره التي وصلتنا نصوصها كاملة أو قطعاً مهمة منها، أشير سريعاً إلى بعضها: مختصر عريب بن سعيد القرطبي (ت 370 هـ / 980 م) على تاريخ الطبري<sup>(1)</sup>، وابن حزم القرطبي (ت 456 هـ / 1063 م)<sup>(2)</sup>، والبكري (ت 487 هـ / 1094 م)<sup>(3)</sup>، والحميدي (ت 488 هـ / 1095 م)<sup>(4)</sup>، والفتح بن خاقان (ت 529 هـ / 1134 م)<sup>(5)</sup>، وابن بسام الشنتريبي (ت 542 هـ / 1147 م)<sup>(6)</sup>، والإدريسي (ت 560 هـ / 1164 م)<sup>(7)</sup>، وابن بشكوال (ت 578 هـ / 1183 م)<sup>(8)</sup>، وابن صاحب الصلاة (ت 594 هـ /

(1) - ابن عذاري، مصدر سابق، 1 / 15، 17، 67، 77، 108، 167، 201، 4/2.

(2) - المصدر نفسه، 1 / 63، 64، 65، 2 / 39، 40، 156، 299، 3 / 65، 132، 244.

(3) - المصدر نفسه، 26/1، 65، 83، 200، 211، 3 / 227، 253، 4 / 10.

(4) - المصدر نفسه، 1 / 7، 3 / 285.

(5) - يذكر ابن عذاري المراكشي، ثلاثة أعمال تاريخية للفتح بن خاقان التي اعتمد عليها وهي: "درر القلائد و غرر الفوائد"، و"القلائد"، و"مطمح الأنفس". أنظر: المصدر نفسه، 1 / 2، 2 / 273، 297.

(6) - المصدر نفسه، 2 / 255، 3 / 118، 193 - 140، 162، 175، 184، 206، 209 - 215، 217، 245، 253، 256، 56 - 258.

(7) - المصدر نفسه، 1 / 66، 200.

(8) - المصدر نفسه، 1 / 39، 2 / 22.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

1197 م<sup>(1)</sup>، والبيذق (ق 6 هـ / 12 م)<sup>(2)</sup>، وما يرفع من نفاسة مجموعته التاريخية هذه، استعانته كذلك ببعض كتب العجم، وإن كان لا يصرح بعناوينها حيث اكتفى فقط بقوله "ووجدت في بعض كتب العجم"<sup>(3)</sup>، و"وفي كتب العجم"<sup>(4)</sup>، لكن من المرجح أن يكون قد اطلع على نصوصها المنقولة إلى العربية، واستفاد منها في تلك المقاطع التاريخية المتعلقة بصفة شبه الجزيرة الأيبيرية "الأندلس"، قبيل انتقالها إلى مرحلتها الإسلامية، ونتفا مختصرة في أخبار ملوكها الأوائل إلى زمن الحاكم "لدريق".

المصادر الإخبارية المتنوعة التي تمت الإشارة إليها آنفا، هي من دون شك تكشف عن هوية المنظور الاسطوغرافي الذي تبناه ابن عذاري المراكشي في بيانه، كما تعطي انطبعا جيدا حول مدى نضج وعيه التاريخي، وكتابه "البيان" المعني بالدراسة، يأتي في سياق سلسلة الأعمال الإخبارية المحلية، التي حاولت تقديم تغطية اسطوغرافية موسعة لأخبار المنطقة منذ مراحل مبكرة، على غرار كتاب ابن الوكيل (حيا سنة 346 هـ / 957 م)<sup>(5)</sup> الضائع، وأعمال محمد بن يوسف الوراق، والرقيق القيرواني<sup>(6)</sup>، و"جامع التاريخ" للقاضي عياض (ت 544 هـ / 1149 م)<sup>(7)</sup>، هذا الأخير الذي حاول فيه مصنفه العناية بأخبار العدوتين المغربية والأندلسية، تماشيا ونجاح الأمراء المرابطين في ضم الأندلس إلى الحضرة المراكشية في النصف الثاني من القرن 5 هـ / 11 م، ومع وصول الموحدين إلى السلطة، وقيامهم لمشروعهم الوحدوي الموسع، أعطى

(1) - المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص ص 20، 23، 24، 35، 44، 81، 88، 92، 105، 136، 141، 164.

(2) - المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص ص 71 - 18، 28، 99/4.

(3) - المصدر نفسه، 2/2.

(4) - المصدر نفسه، 3/2.

(5) - له كتاب تاريخي، تحت عنوان "المغرب في أخبار افريقية والمغرب"، معدود ضمن قائمة المؤلفات الضائعة، أشاد به صاحب مفاخر البربر، ص 197. قائلا "أشبع فيه القول وذكر من نزل المغرب من الأدارسة والأغالبة والمهالبة والشيعية بني عبيد، وذكر تعاقب الدول من لدن افتتحت إلى زمانه".

(6) - حول الرقيق القيرواني، وأهمية أعماله التاريخية. أنظر: علاوة عمارة: "الرقيق القيرواني وبلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب"، مجلة التاريخ العربي، 25، (2003)، ص 111 - 144.

(7) - استنادا إلى رواية المقرئ التلمساني، أزهار الرياض، 6/5. التي ينقلها عن التلميذ ابن حمادو البرنسي، فإن كتاب "التاريخ الجامع" لشيخه القاضي عياض، "قد أربى على جميع المؤلفات، فيه أخبار الملوك بالأندلس والمغرب من دخول الإسلام إليها، واستوعب فيه أخبار سبتة وقضاها وفقهاؤها وجميع ما جرى من الأمور فيها، واستوعب أخبار الدولة الحسنية".

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التدوين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

ذلك حافظا قويا للمهتمين بتدوين تاريخ المغرب، الاستمرار في تبني هذه التوجهات التاريخية الجامعة، ترجم ذلك في انجاز مجموعة من الأعمال الإخبارية<sup>(1)</sup>، منها أعمال ابن حمادو البرنسي، وعبد الملك بن موسى الوراق، وابن القطان، وهي إحدى أهم مصادر ابن عذاري المراكشي، الأمر الذي جعل "مايا شاتزميلر"<sup>(2)</sup>، تذهب إلى القول أن الطريقة والأسلوب الذي كتب بهما ابن عذاري المراكشي بيانه، تعكس حقيقة أن مؤلفه قد بقي موحدي التزعة، مخالفا بذلك معاصريه الذين تملكهم التصور الإقليمي لبلاد المغرب، بعدما بات مقسما بين زعامات محلية بربرية.

### 2. محاولة تدوين تاريخ عالمي جزئي ضمن مؤلف واحد:

رغم الظروف العصيبة، وحالة التفكك التي كان يمر بها العالم الإسلامي الوسيط في نهاية العصر الوسيط، إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور محاولات تاريخية عديدة لإعادة إحياء تدوين أخبار المغرب ضمن التاريخ الإسلامي الشامل في مصنف واحد، وقد كان لبعض أعلام المغرب الحفصي المشتهرين بتوجههم الفقهي، دورا كبيرا في تكريس هذا التيار التاريخي الجامع<sup>(3)</sup>، على غرار تجربة إمام جامع الزيتونة، وخطيب جامع القصبة، ابن عبد البر التنوخي (ت 737 هـ / 1336 م)<sup>(4)</sup>، فبالإضافة إلى شهرته كفقيه معول عليه في وسط النخب المالكية التونسية<sup>(5)</sup>،

(1) - حول توجهات الكتابة التاريخية خلال المرحلة الموحدية. أنظر: علاوة عمارة، الكتابة التاريخية في المغرب الإسلامي الوسيط، ص 348-350.

(2) - مرجع سابق، ص 165.

(3) - أشير هنا إلى بعض الأعمال الإخبارية المنجزة خلال القرنين 4-6 هـ / 10-12 م، منها: كتاب محمد بن عبد الله الفرياني الإفريقي (ت 385 هـ / 995 م) بعنوان "التاريخ الجامع الكبير"، وعمل معاصره الفقيه ابن أبي زيد القيرواني (ت 386 هـ / 996 م) في كتابه "الجامع في السنن والآداب والغازي والتاريخ"، يضاف إليها أعمال الرقيق القيرواني (ت 420 هـ / 1029 م)، منها كتابه "الاختصار البارع للتاريخ الجامع" في عشرة مجلدات، وكتاب "تاريخ الدول" للفرزدقي محمد بن علي (ت 479 هـ / 1076 م) في ثلاثين مجلدا، وكتاب "الدول" لعلي بن فضال الجاشعي القيرواني (ق 5 هـ / 11 م)، وكتاب ابن الكردبوسي التوزري (حيا سنة 575 هـ / 1179 م) الموسوم بـ "الاكتفا في أخبار الخلفاء".

(4) - أنظر ترجمته: الزركشي، مصدر سابق، ص 74. أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 220-221. محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، بيروت، دت، 1/ 208.

(5) - اعتمد عليه الفقيه ابن عرفة (ت 803 هـ / 1400 م) في التدليل على إبقاء العمل بـ "النقارة"، التي تمز بدويرة جامع الزيتونة، كذلك في مسألة جواز إقراء مقامات الحريري مع ما فيها من المثالب بالجامع المذكور. حولها أنظر: الزركشي، مصدر سابق، ص 74-75.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

عرف عنه كذلك عنايته بالخبر التاريخي، وقد نال لقب "الفقيه المؤرخ" عند الزركشي<sup>(1)</sup>، يأتي ذلك نظير أعماله الإخبارية الثلاثة، وقد أظهر فيها عنايته بأخبار المشرق، حيث أنجز مختصراً على "ذيل السمعي" (ت 562 هـ / 1166 م) على "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (ت 463 هـ / 1070 م)<sup>(2)</sup>، ومختصراً آخر على كتاب "المشرق في أخبار المشرق" لابن سعيد المغربي، وعلى أهمية هذين المختصرين في الكشف على المكانة المهمة التي حازت عليها بعض الأعمال الإخبارية المشرقية، خصوصاً كتاب الطبري وذيوله في نهاية العصر الوسيط<sup>(3)</sup>، إلا أنهما معدودان ضمن قائمة الأعمال المفقودة، ولا نعرف عنها سوى إشارة الزركشي الآنف الذكر.

وبخصوص العمل الثالث، فقد بدا فيه الفقيه التنوخي متأثراً كذلك، وبشكل كبير بمدرسة الحوليات المشرقية التي تزعمها الطبري<sup>(4)</sup>، يظهر ذلك في محاولته تدوين تاريخ عالمي جزئي، بدأه من البعثة الحمديّة ووصل به إلى الزمن الذي عاش فيه، أي النصف الأول من القرن 8 هـ / 14 م، معتمداً في ترتيب أخباره على حسب السنين، استناداً إلى رواية الزركشي المهمة، هذا الأخير كان على معرفة بإحدى نسخ الكتاب المتداولة في تلك المرحلة، وتقع في ستة أجزاء، كما صرح ببرنامجه شيوخه الذي قرأه عليه تلميذه خالد بن عيسى البلوي (ت 780 هـ / 1378 م)<sup>(5)</sup>، معدود كذلك ضمن قائمة أعمال التنوخي المفقودة.

(1) - المصدر نفسه، ص 74.

(2) - حول ذيل السمعي على تاريخ بغداد. أنظر: ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر ومحمد الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1989، 6/ 340-341.

(3) - أشير هنا إلى الشهادة المهمة التي أدلى بها الغريبي، مصدر سابق، ص 301. التي تؤكد على استمرار العناية بتاريخ الطبري في بلاد المغرب، من خلال إشارات بقوة حفظ الغرناطي الأصل مستوطن بجاية، "الحافظ التاريخي" أبو العباس أحمد (ق 7 هـ / 13 م)، وذكر من جملة محفوظاته، حفظه لتاريخ الطبري.

(4) - يعتبر "مختصر تاريخ الطبري" لعريب بن سعيد القرطبي (ت 370 هـ / 980 م)، من بواكير الأعمال التاريخية الأندلسية التي اعتنت بتاريخ الطبري. حوله أنظر: ك- بويكا: المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ترجمة أبي كرم، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999، ص 122-128.

(5) - يروي البلوي جزءاً من برنامج شيخه التنوخي بطريق القراءة، ومناولة من يده، كما قرأ عليه تصانيف أخرى. حولها أنظر: أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 221.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

وفي هذا التيار التاريخي الجامع، أبدى بعض أعلام المغرب المستقرين بالبلاد الشرقية انخراطهم في تدوين تاريخ المغرب ضمن انتمائه إلى فلك الحضارة الإسلامية، على غرار تجربة الفقيه أبي الروح عيسى بن مسعود المنجلاقي (ت 743 هـ / 1342 م)، الذي يعود بأصوله البربرية إلى "زواوة"<sup>(1)</sup> الساكنين بنواحي بجاية، أشتهر بعلو كعبه "في الفقه والأصول والعربية والفرائض"، وأحد تلامذة ابن بلدته الفقيه أبي يعقوب يوسف المنجلاقي (ت 690 هـ / 1291 م)<sup>(2)</sup>، ويبدو أن رحلته الشرقية واستقراره بالبلاد المصرية، كانت حافزا قويا في عنايته بالخبر التاريخي الجامع، كما يبدو أن روايته الشفوية حول تاريخ المغرب، كانت أحد أهم الروايات التاريخية التي عوّل عليها معاصره رئيس ديوان الإنشاء في بلاط الناصر محمد بن قلاوون (684-741 هـ / 1284-1341 م)، الكاتب ابن فضل الله العمري (ت 749 هـ / 1348 م)<sup>(3)</sup>، أين استند عليه في تحرير الفصل الخاص بأخبار افريقية الحفصية، وعلى أهمية معلوماته التاريخية التي وصلتنا بطريق العمري، تبقى محاولته في تدوين تاريخ عالمي جزئي، المحاولة الأهم في هذا الخصوص، وقد بدأه من تاريخ الخليفة، وقصص الأنبياء، وأخبار الأمم من آدم، ووصل به إلى زمن الذي عاش فيه، أي النصف الأول من القرن 8 هـ / 14 م.

واستنادا إلى شهادة ابن فرحون المالكي (ت 799 هـ / 1396 م)<sup>(4)</sup>، فإن هذا العمل التاريخي الذي بدأه المنجلاقي لم يتمكن من إكمال، وأنجز منه نصفه فقط، ويقع في نحو عشرة مجلدات، وهي الشهادة التي أجدها مكررة في باقي التراجم الشرقية التي اعتنت به، منها ترجمة ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ / 1448 م)<sup>(5)</sup>، والسخاوي (ت 902 هـ / 1496 م)<sup>(6)</sup>،

(1) - أحد فروع بني سميكان المنحدرين من كتامة، توجد مضاربا بين مواطن كتامة وصنهاجة بنواحي بجاية، في جبال شاهقة يكثر بها الشعراء وشجر الزان. حولها أنظر: ابن خلدون، العبر، 120/6، 134، 168-170، 515. أما ياقوت الحموي، مصدر سابق، 3/ 155. فيذكر أنها اسم بليدة توجد بالقرب من بجاية. كذلك وقف ابن فرحون، مصدر سابق، 58/2. عند رسم أحرف اسم "المنجلاقي"، في آخر الترجمة التي خصصها لهذا الفقيه.

(2) - خصص له صديقه أبو العباس الغبريني ترجمة مهمة في عنوانه. حولها أنظر: الغبريني، مصدر سابق، ص 226.

(3) - حول الأخبار التي نقلها العمري عن الفقيه أبي الروح عيسى الزواوي. أنظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق حمزة أحمد عباس، الجمع الثقافي للإمارات، أبو ظبي، 2002، 4/ 134، 147، 148، 164، 165، 173.

(4) - مصدر سابق، 2/ 57.

(5) - الدرر الكامنة، 3/ 210-211.

(6) - الإعلان بالتوبيخ، ص ص 296، 307، 313، 325.



## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

والسيوطي (ت 911 هـ / 1505 م)<sup>(1)</sup>، والسؤال المطروح هنا، ما هو مصير الجزء المتبقي من الكتاب؟ هل بقي مسودة ضاعت بعد وفاة مصنفها على غرار باقي أجزائه المبيضة؟

الإجابة على هذا التساؤل المشروع، يكمن في خبر ينقله إلينا سليل أسرة الثعالبة، الفقيه الجزائري عبد الرحمن الثعالبي (ت 875 هـ / 1470 م)، وقد ذكر في فهرسته<sup>(2)</sup> تاريخ المنجلاقي تحت عنوان "الشامل في التاريخ"، معدود ضمن قائمة الكتب التي يرويها عن شيخه ابن مرزوق الحفيد التلمساني (ت 842 هـ / 1438 م)، إجازة من جدّه ابن مرزوق الخطيب (ت 781 هـ / 1379 م)، هذه الشهادة المهمة للفقيه الثعالبي، تؤكد على أن الفقيه المنجلاقي قد أنهى الاشتغال على باقي أجزاء كتابه التاريخي، كما أخرج في نحو ثلاثين مجلدا، وسمع من لفظه بعض أجزائه تلميذه ابن مرزوق الخطيب<sup>(3)</sup>، ومن المؤكد أن يكون مكان وتاريخ سماع هذا الكتاب، في أثناء تواجد التلميذ ابن مرزوق بالديار المصرية، قبل عودته إلى تلمسان سنة 736 هـ / 1335 م، الأمر الذي يفند بشكل قاطع رواية ابن فرحون السابقة الذكر، وينسحب الكلام على باقي الروايات المشرقية، ويؤكد على أن المنجلاقي قد أنهى كتابه التاريخي قبل نحو سبعة سنوات من وفاته أو أكثر، كما أشاد التلميذ ابن مرزوق الخطيب بمحتواه قائلاً "جمع فيه ما لم يجمع غيره"، لكن وعلى أهمية هذه النتائج المتحصل عليها، والتي تكشف على جهود بعض أفراد أسرة المرازقة التلمسانية في إدخال هذا الكتاب التاريخي إلى بلاد المغرب، وتداوله خلال القرنين 8-9 هـ / 14-15 م، إلا أنه معدود ضمن قائمة الكتب المفقودة، وآخر خبر وصلنا عنه جاءنا بطريق الثعالبي.

بلا شك الاهتمام اللافت، الذي أبدته بعض الأوساط الدينية في المغرب الحفصي، والمحسوبة على طبقة فقهاء المالكية تحديداً، بالخبر التاريخي في قلبه العالمي الجزئي، يحمل في طياته تلك النظرة الدينية حول الجدوى من تعاطي مواد تاريخية، والتأكيد على فوائده الدنيوية والأخروية، هذا المنظور الديني لمفهوم التاريخ، قد تجسد منذ مراحل مبكرة في إعادة تدوين

(1) - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1967، 1/ 459-460.

(2) - غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، تحقيق محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، 2005، ص 65.

(3) - من الكتب التي يحملها ابن مرزوق الخطيب على شيخه المنجلاقي بطريق السماع، شرحه لكتاب مسلم، وبعض شرحه لكتاب ابن الحاجب. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص 65.

## الفصل الثاني ———— تعدو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

تاريخ النبوة، بما تضمنته من أخبار مبعث الرسول ومغازيه، ناهيك عن تتبع سيرة زوجته وأولاده، والرعييل الأول من صحابته ودوائر المقربين إليه، هذه المرحلة الحساسة والدقيقة في تاريخ الإسلام، قد بقيت تحظى بكثير من التبجيل والتقدير في أعمال الفترات الوسيطة المتأخرة، باعتبارها المحور الأساسي الذي تدور حوله تواريخ الشعوب الإسلامية.

— "عبر" ابن خلدون، نص استثنائي في اسطوغرافية مغرب القرون الوسطى:

تعتبر التجربة التاريخية التي أصدرها ابن خلدون في كتابه الموسوعي "العبر"، من أهم المحاولات التي دونت في المرحلة الوسيطة المتأخرة، وقد أراد به مصنفه أن يكون تاريخاً شاملاً، يتناول تاريخ الشعوب الإسلامية، وباقي الشعوب التي لها احتكاك مباشر بالحضارة الإسلامية، هذا الإرث التاريخي الخلدوني، أجريت حوله الكثير من الدراسات العربية والغربية يصعب حصرها، كما تعرضت لأدق التفاصيل المتعلقة بحياته وأعماله، لذلك سوف أحاول التركيز على دراسة الوسط التاريخي الذي ينتمي إليه، والعوامل المؤثرة فيه بشكل واضح، دون الدخول في كثير من التفاصيل، فابن خلدون سليل أسرة عربية عريقة، استوطنت مدينة اشبيلية<sup>(1)</sup>، ونتيجة للاضطرابات العنيفة التي هزت العدو الأندلسية خلال القرن 7 هـ / 13 م، اضطرت هذه الأسرة إلى التزوح إلى منطقة افريقية الحفصية، حيث استقرت بالحاضرة الأولى تونس، المكان الذي ولد فيه صاحب "العبر" سنة 732 هـ / 1332 م<sup>(2)</sup>، لأسرة متكونة من ثلاثة إخوة (أحمد<sup>(3)</sup> - عبد الرحمن - يحيى صاحب "البغية")، قرأ على والده "محمد" علوم اللغة<sup>(4)</sup>، وقد

(1) - تحدث ابن خلدون بإسهاب عن سيرة سلفه، وتوليهم المناصب الرفيعة سواء في اشبيلية أو حتى بعد وفادتهم إلى البلاط الحفصي. لمعرفة مزيد من التفصيل أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص 29-36. العبر، 6 / 436، 438، 440، 445، 455، 493. كذلك أشار إلى هذه المسألة الزركشي، مصدر سابق، ص ص 44، 47، 49.

(2) - ابن خلدون، الرحلة، ص 36.

(3) - وهو الأخ الأكبر بين الإخوة الثلاثة، وقد تحدث ابن خلدون عن حضورهما معا حلقة قاضي الجماعة، الشيخ ابن عبد السلام (ت 749 هـ / 1348 م)، كذلك حلقة الشيخ أبي عبد الله السطحي (ت 750 هـ / 1349 م) في الفقه، لكن يبدو أن هذا الأخ قد توفي في وقت مبكر، وهو ما يفهم من عبارة "رحمه الله"، التي أعقب بها ابن خلدون ذكر اسمه. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص ص 39، 48، 65.

(4) - أشاد ابن خلدون بتضلع والده في علوم اللغة بقوله "وكان مقدما في صناعة العربية، وله بصر بالشعر وفنونه عهدي بأهل الأدب يتحاكمون إليه فيه ويعرضون حوكهم عليه". أنظر: المصدر نفسه، ص ص 36، 38.

## الفصل الثاني ———— تعرفو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

استند إلى روايته الشفوية في موضع ثلاثة من كتابه "العبر" <sup>(1)</sup>، وبعمر 17 فقد ابن خلدون أبواه جراء الطاعون الجارف، الذي ضرب المنطقة سنة 749 هـ / 1348 م <sup>(2)</sup>، ليدخل في مرحلة جديدة، ميزها الاضطراب وعدم الاستقرار.

### – التكوين التاريخي المنخفض لابن خلدون في مرحلة النشأة بمدينة تونس.

اتصل ابن خلدون في مرحلة النشأة، بأساتذته المتصدرين للإقراء بمدينة تونس، كما التحق بمجالس شيوخه الوافدين برفقة السلطان المريني أبي الحسن سنة 748 هـ / 1347 م، وقد خصص لذلك حيزاً مهماً في سيرته الذاتية، التي ذيل بها كتابه التاريخي "العبر"، جاءت تحت عنوان "التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً" <sup>(3)</sup>، أين تلقى عليهم مواد مختلفة، في فروع المعرفة النقلية والعقلية، وللكشف عن طبيعة هذه المواد، وأبرز شيوخه بالمدينة، إليك الجدول التالي:

مواد التلقين	عناوين المؤلفات المدروسة	اسم الشيخ
الفقه وأصوله	التقصي لابن عبد البر - مختصر ابن الحاجب - موطأ الإمام مالك <sup>(4)</sup> - الأمهات الخمس - التهذيب للبرادعي - مختصر المدونة - تبصرة اللخمي	ابن برّال الأنصاري - الوادي آشي - ابن عبد السلام - ابن عبد المهيمن - ابن عبد الله الجياي - أبو القاسم محمد بن القصير - الأبي - أبو عبد الله السطي
علوم اللغة واللسان	التسهيل لابن مالك - كتاب الأشعار الستة - كتاب الحماسة للأعلم - الأغاني للأصفهاني - شعر المعلقات وأبي تمام والمنتبي وحبیب بن أوس وسقط الزند للمعري.	ابن برّال الأنصاري - الوادي آشي - والده محمد بن خلدون - ابن العربي الحصائري - أبو عبد الله الشواش - أبو العباس أحمد القصار - أبو عبد الله بن بحر
علوم القرآن	القرآن الكريم - قصيدتي اللامية والرائية للشاطبي	ابن برّال الأنصاري - أبو العباس الزواوي
الحديث	كتاب مسلم - مقدمة ابن الصلاح في الحديث	الوادي آشي - عبد المهيمن الحضرمي
العلوم العقلية والمنطق	غير محدد	أبو عبد الله الأبي
السيرة	سيرة ابن إسحاق	عبد المهيمن الحضرمي

<sup>(1)</sup> - حولها أنظر: ابن خلدون، العبر، 6/ 263، 427، 493.

<sup>(2)</sup> - ابن خلدون، الرحلة، ص ص 36، 65.

<sup>(3)</sup> - أنظر: المصدر نفسه، ص 36-64.

<sup>(4)</sup> - يذكر ابن خلدون طرقه الكثيرة في روايته للموطأ عن شيوخه. أنظر: المصدر نفسه، ص 240-245.

يظهر الجدول أعلاه، طبيعة المواد التي تلقاها ابن خلدون في مرحلة النشأة، والتي يبدو فيها التركيز على تلقين مواد شرعية أساسا، وفي مقدمتها كتب الفقه المالكي، وقد بلغت على الأقل نحو 11 عنوانا، تلتها علوم اللغة والشعر، ثم الحديث وعلوم القرآن، يضاف إليها بعض فروع العلوم العقلية (المنطق-الحساب)، هذه المواد غاب فيها ذكر عناوين بعينها، إلا أنها لا تتعدى حدود الأعمال المبسطة في اعلم لمنطق والحساب، التي يحتاجها المتعلم في فهم بعض المسائل الفقهية والقواعد الأصولية، الأمر الذي يعكس المكانة المهمة التي حازت عليها علوم الشريعة، في نظام الحلقة في مغرب القرون الوسطى المتأخرة، على الأقل بالنسبة لتكوين ابن خلدون.

في مقابل ذلك، انحصرت مكانة المواد التاريخية بين باقي المواد التي تلقاها ابن خلدون، فقد صرح بتلقيه كتابا واحدا في موضوع السيرة النبوية، وهو "سيرة ابن إسحاق" <sup>(1)</sup>، كما ورد ذكره في أثناء عرضه لمواد الحديث، التي قرأها على شيخه عبد المهيمن الحضرمي (ت 749 هـ/ 1348 م)، الموصوف عند تلميذه ابن الخطيب السلماني <sup>(2)</sup>، بالتبريز في "الأدب والتاريخ"، و"شيخ المسندين والمؤرخين" عند معاصره ابن مرزوق الخطيب <sup>(3)</sup>، هذه الإشارة العابرة التي ذكرها ابن خلدون، تدفع باتجاه التأكيد على مستوى التكوين التاريخي المنخفض، الذي تلقاه في تلك المرحلة المتقدمة <sup>(4)</sup>.

#### – الطاعون الجارف، يعرقل المسار التعليمي لابن خلدون في مرحلة مبكرة.

بلا شك، كان للطاعون الجارف الذي ضرب أجزاء واسعة من المعمورة، منتصف القرن 8 هـ/ 14 م <sup>(5)</sup>، تداعياته الخطيرة على الضفة الجنوبية للمتوسط، حيث كان ابن خلدون

(1) – المصدر نفسه، ص 40.

(2) – الإحاطة، 4/ 11. كذلك تم نقلها في الترجمة التي خصصها له ابن القاضي الكناسي، جذوة الاقتباس، 2/ 444.

(3) – مصدر سابق، ص 117.

(4) – ناقش عبد السلام الشدادى، مسألة التكوين التاريخي المنخفض الذي تلقاه ابن خلدون في المرحلة النشأة، في الدراسة المعمقة التي أنجزها في مقدمة تحقيقه لمقدمة ابن خلدون.

(5) – حول طاعون منتصف القرن 8 هـ/ 14 م، وتداعياته الخطيرة على منطقة المتوسط. أنظر:

– Melhaoui Mohammed, *op. cit*, pp. 57-199.

كما أشير هنا، إلى أهمية الشهادة التي أدلى بها الرحالة الطنجي ابن بطوطة (ت 779 هـ/ 1377 م)، وقد نكب هو أيضا

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

متواجدا بمدينته تونس، وقد وصف في وقت لاحق تلميذه مؤرخ مصر الفاطمية، تقي الدين المقرئزي (ت 845 هـ / 1441 م) <sup>(1)</sup>، الوضع الكارثي الذي أصبحت عليه مدن وحواضر المغرب بأسرها، حيث كتب يقول "عمّ الموتان أرض افريقية بأسرها جبالها وصحاريها، ومدنها وجافت من الموتى، وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها"، هذه الموجة الوبائية التي عصفت بافريقية الحفصية <sup>(2)</sup>، قد وصل أعداد الموتى بها نحو ألف قتيل في اليوم الواحد، استنادا إلى شهادة سليل المدينة، التونسي ابن الشّماع <sup>(3)</sup>، وبالتأكيد كان أبوا صاحب "العبر" على لائحة المطعونين، كما شملت القائمة أيضا عددا كبيرا من شيوخه، حيث أدلى بشهادته المهمة حيال ذلك الوضع المأساوي بقوله "إلى أن كان الطاعون الجارف، وذهب بالأعيان والصدور، وجميع المشيخة، وهلك أبواي رحمهما الله" <sup>(4)</sup>.

لم تتوقف النكبة التي ألت بابن خلدون، وشيوخه عند حدود "الطاعون الجارف"، بل نجد الأعداد المتبقية منهم، قد نالها الغرق قبالة سواحل بلاد "زواوة" سنة 750 هـ / 1349 م، بعد مغادرتهم للمدينة بجرا برفقة أسطول السلطان المريني أبي الحسن، في رحلة العودة التي قادته إلى المغرب الأقصى، من أجل استعادة دار مملكته المتهاوية، وإن كانت المعلومات شحيحة جدا

---

بموت أمه جراء هذا الوباء، حيث عاين تفشيته في بلاد المشرق سنة 749 هـ / 1348 م، وقدم أرقاما مهولة حول عدد ضحاياه في مناطق مختلفة (غزة، وحمص، ودمشق، والإسكندرية، والقاهرة). حولها أنظر: تحفة النظار في غرائب الأمصار، تحقيق عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1997، 1/ 325-326. 4/ 179، 180، 181، 192. كذلك شهادة تقي الدين المقرئزي المهمة والمفصلة حول هذا الوباء. حولها أنظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، 78/4، 80-91. كما أشار ابن مرزوق الخطيب إلى بعض تداعياته على سكان الحاضرة الزيبانية تلمسان. حولها أنظر: المناقب المرزوقية، ص 187.

(1) - السلوك، 84/4.

(2) - حول الوضعية السيئة، والظروف المضطربة التي شهدتها منطقة افريقية، خلال هذه المرحلة. أنظر: روبر بارونشفيك، مرجع سابق، 1/ 196-201. محمد حسن: المدينة والبادية بافريقية في العهد الحفصي، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1999، 2/ 610-619.

(3) - مصدر سابق، ص 98. كما أشار إلى سعر قفيز القمح، الذي بلغ ثمانية دنانير كبيرة، والشعير على الشطر في ذلك. كما أود أن أشير هنا، أنه بالرغم من تواجد الرحالة المغربي ابن بطوطة، بمدينة تونس سنة 750 هـ / 1349 م، ومكوته بها نحو 36 يوما، اتصل خلالها بالسلطان المريني أبي الحسن، كما التقى بعدد من شيوخ المدينة، منهم الشيخ الآبلي، إلا أنه لم يتطرق إلى وضعية المدينة وسكانها في تلك المرحلة المضطربة. أنظر: ابن بطوطة، مصدر سابق، 4/ 186-189.

(4) - ابن خلدون، الرحلة، ص 65.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

بخصوص أعداد الهالكين منهم غرقا<sup>(1)</sup>، إلا أن العودة إلى رواية المقرئ التلمساني المتأخرة<sup>(2)</sup>، تتحدث عن هلاك نحو أربعمئة من الشيوخ، يأتي هذا الرقم المرتفع في ظل الرواية المقتضبة التي قدمها ابن خلدون في سيرته الذاتية، وقد أشار فيها فقط إلى هلاك نحو 16 شيخا من أصل 18 من الشيوخ المذكورين، في حين بلغ عدد الناجين اثنين منهم فقط: شيخه أبو العباس القصار<sup>(3)</sup>، وأبو عبد الله الآبلي، الذي توفي بعد الحادثة بنحو سبع سنوات.

مع إقراري بقصور هذه المعطيات الإحصائية المستخرجة من شهادة ابن خلدون، إلا أنها بالتأكيد تشير إلى انقطاع السند العلمي الذي كان يعتمد عليه في مرحلة مبكرة من حياته، وقد أعلن عن ذلك في كتابه الأول "العمران"<sup>(4)</sup> بقوله "اعلم أن سند تعليم العلم لهذا العهد، قد كاد ينقطع عن أهل المغرب باختلال عمرانه وتناقص الدول فيه وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع وفقدانها"، وللتدقيق أكثر في هوية شيوخه الهالكين في تلك المرحلة الحساسة، أنجزت العرض التفصيلي التالي:

(1) - حولها أنظر: ابن خلدون، العبر، 7/ 376-377. أما رواية ابن مرزوق الخطيب فلا تقدم تفصيلا دقيقا حيال ذلك، حيث اكتفى بالإشارة فقط إلى الصبر الذي بدا عليه السلطان أبي الحسن المريني على الشدائد، التي تلقاه في تلك المرحلة والإشارة إلى بعض الشيوخ الذين رافقوه. أنظر: المسند الصحيح، ص ص 226، 261، 265، 268، 269.

(2) - استنادا إلى رواية المقرئ التلمساني، نفع الطيب، 6/ 214-215. التي ينقلها عن الشيخ أبي عبد الله بن غاز، والشيخ أبي عبد الله الآبلي في شرحه لكتاب مسلم، أن عدد قطع الأسطول المريني التي غرقت قبالة سواحل الجزائر، قد بلغت نحو ستمائة سفينة. وقد نقلها عنه فيما بعد أبو العباس الناصري السلاوي: مرجع سابق، 3/ 171. كما أظهرت عدد من المرسلات الدبلوماسية التي تمت بين السلطان المريني أبي الحسن وسلطان غرناطة وملك أرغونة، ضياع خمسة من مراكب الريحانة في عرض البحر، وعن نجاة قورتين تعرضتا للقراصنة البحرية من قبل النصارى، واحدة وقعت في يد القشتاليين، أما الثانية فقد انتهى بها الأمر محتجزة في أرغونة، وهي الرسائل التي تحمل رقم: (308)، (309)، (316)، (317)، (318). استنادا إلى دراسة أحمد العزاوي: الغرب الإسلامي خلال القرنين 7 و 8 هـ، مطبعة نيت، الرباط، 2007، 3/ 225-233، 256-265.

(3) - استنادا إلى شهادة تلميذه ابن خلدون، الرحلة، ص 38. يبدو أن هذا الشيخ الذي بقي في مدينته تونس، قد امتدت به الحياة إلى سنوات تحرير ابن خلدون لسيرته الذاتية، في أثناء إقامته بالقاهرة.

(4) - مصدر سابق، 3/ 926.

سبب الوفاة	انتماء شيوخه	عدد الموتى	أسماء الشيوخ
طاعون سنة 749 هـ/1348 م	شيوخ مدينة تونس	08	ابن برّال الأنصاري - والده محمد بن خلدون - ابن العربي الحصائري - الشواش الزرزالي - ابن بحر - أبو عبد الله الجياني - أبو القاسم القصير - ابن عبد السلام
هـ/1348 م	شيوخ وافدين مع السلطان المريني	05	عبد المهيم الحضرمي - أبو موسى بن الإمام التلمساني - ابن عبد النور الندرومي - ابن التجار التلمساني - ابن شعيب الفاسي
الغرق سنة 750 هـ/1349 م	شيوخ وافدين مع السلطان المريني	03	أبو الحسن السطي - أبو عبد الله الصباغ - أبو العباس الزواوي <sup>(1)</sup>
المجموع		16	

– فاس المرينية تقدم فرصة نادرة لابن خلدون في الاجتماع بشيوخه من ذوي العناية بالخبر التاريخي:

رغم انتفاع ابن خلدون من التعديلات الإدارية الجذرية، التي أدخلها الحاجب ابن تافرجين "المستبد على السلطان الحفصي أبي إسحاق إبراهيم"، عقب الاضطرابات المتتالية التي هزت عرش الحفصيين منتصف القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي، والتي سمحت لابن خلدون بالولوج إلى حاشية البلاط الحفصي كمتولي لمنصب كاتب العلامة سنة 753 هـ/ 1352 م<sup>(2)</sup>، إلا أن تلك الخطوة التي حصل عليها في سن مبكرة، لم تكن لتمنعه من التفكير بشكل جدّي في مغادرة المدينة، مدفوعاً برغبته في الرحلة والتحصيل المعرفي، على الأقل استناداً إلى التصريح الذي أدلى به في رحلته<sup>(3)</sup>، كانت وجهته إلى المغرب المريني، وفي رحلة شاقة

<sup>(1)</sup> – تشير كتب التراجم التي اعتنت بالترجمة لـ "شيخ القراءات بالمغرب" أبي العباس الزواوي، أنه جلس للإقراء بمديني قسنطينة، وتونس سنة 748 هـ/ 1347 م، وأنجز فهرسة مروياته في مجلدة، وقام بإقراءها سنة 750 هـ/ 1349 م، قبل هلاكه غرقاً في الأسطول. حوله أنظر: ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 269. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، 289/1. شمس الدين محمد بن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، 1/ 115. المقرئ التلمساني: نفع الطيب، 6/ 215.

<sup>(2)</sup> – ابن خلدون، الرحلة، ص 65.

<sup>(3)</sup> – صرح ابن خلدون عن رغبته في مغادرة مسقط رأسه تونس بقوله "وقد كنت منطويًا على مفارقتهم لما أصابني من الاستيحاش لذهاب أشياخي وعطلتي عن طلب العلم". المصدر نفسه، ص 65.

## الفصل الثاني ———— تعدو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

محفوفة بالمخاطر والصعوبات، غادر معسكر الحفصيين المنهزم في فحص "مرجانة" <sup>(1)</sup>، سالكا الطريق الداخلي، الذي يخترق مجالات البدو عبر أراضي المغرب الأوسط (أبة- تبسة- قفصة- بلاد الزاب- بسكرة- البطحاء) <sup>(2)</sup>، وفي بجاية تمكن من الحصول على أولى فرص اللقاء بالسلطان المريني أبي عنان، حدث ذلك سنة 754 هـ/ 1353 م، لنجده بعدها بوقت قصير في حاضرة المرينيين فاس سنة 755 هـ/ 1354 م، يشارك مع نخبة من الشيوخ المرززين في مجلس السلطان المريني المذكور.

بحماسة شديدة، استغل ابن خلدون فرصة وجوده بالحاضرة المرينية فاس، والقراءة على مجموعة من شيوخها المرززين، ومن دون شك سوف يكون لهذه التجربة المهمة، الأثر الكبير في تدعيم مداركه العلمية وعلى مستويات عدة، ما يهمني في هذه المرحلة، اتساع معارفه التاريخية، وعلى أهمية هذه الإشكالية المتعلقة بالتكوين التاريخي الذي تلقاه ابن خلدون بمدينة فاس، إلا أنني مجددا أصدم بقلة المادة الخبرية المتعلقة بطبيعة المواد التي تلقاها في هذه المرحلة <sup>(3)</sup>، ومع ذلك فإنه لا يزال بوسعي الحديث عن أربعة من شيوخه ممن كانت لهم عناية بالخبر التاريخي <sup>(4)</sup>، على ما أكشف عنه في القائمة الاسمية الآتية:

<sup>(1)</sup> - قرية هواة. حولها أنظر: الإدريسي، مصدر سابق، 1/ 294.

<sup>(2)</sup> - الطريق الذي سلكه ابن خلدون في هذه الرحلة، كان احد المسالك المعروفة، التي أشارت إليه كتب المسالك الممالك، وتنطلق من بعض المناطق بافريقية عدة مسالك لتخترق أراضي المغرب الأوسط، كما أن إحداها ينطلق من مدينة قفصة، من بلاد الجريد التونسي، ليصل إلى بلاد الزاب، وقاعدته مدينة بسكرة، ويبدو أنه الطريق الذي سلكه ابن خلدون. حوله أنظر: البكري، مصدر سابق، 2/ 226-232. الإدريسي، مصدر سابق، 1/ 294-296.

<sup>(3)</sup> - لمعرفة شيوخ ابن خلدون الذين التقى بهم في البلاط المريني. أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص 67-72.

<sup>(4)</sup> - صرّح ابن خلدون بطريقة أخذه عن شيوخه بمدينة فاس بقوله "كلّهم لقيت وذاكرت وأفدت منه وأجازني بالإجازة العامة". أنظر: المصدر نفسه، ص 72.



## الفصل الثاني ————— تعدد مسارات (الترويض) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

المصدر	عنايته بالخبر التاريخي	أصله	الشيخ
الإحاطة، 2 / 195. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 298	"تهجّر بحفظ الأخبار والتاريخ"، "يقوم أتم القيام على... التاريخ"	تلمسان	المقري التلمساني (ت 758 هـ / 1356 م)
الإحاطة، 2 / 181، 112، 185.	"التبريز... الخبر والتاريخ"، له تقييد على درر السمط في خبر السبط لابن الآبار	سبتة	أبو القاسم الشريف (ت 760 هـ / 1358 م) <sup>(1)</sup>
الإحاطة، 1 / 83، 2 / 148. المرقبة العليا، ص 174. الدرر الكامنة، 4 / 156.	"الإكثار من ملح الحكايات وطرف الأخبار وغرائب الآثار"، له مؤلفات تاريخية كثيرة	المرية	ابن الحاج البليقي (ت 771 هـ / 1369 م)
نيل الابتهاج، ص 437.	"حافظا... أخبار الناس ومذاهبهم وأيام العرب وسيرها وحروبها ذاكرة للأخبار الصالحين وسيرهم" <sup>(2)</sup>	تلمسان	أبو عبد الله الشريف (ت 771 هـ / 1369 م)

محدودية مناقشتي لطبيعة المواد التاريخية، التي تلقاها ابن خلدون في فاس في هذه المرحلة، ليس وراءها فقط المعلومات العامة التي قدمها في سيرته الذاتية، لكن حتى عودتي إلى الترجمة التي خصصها له صديقه ابن الخطيب السلماني في إحاطته <sup>(3)</sup>، غير مجدية في هذا الخصوص، وينسحب الكلام على الترجمات المشرقية التي حررها تلميذه ابن حجر العسقلاني <sup>(4)</sup>، وفي وقت لاحق السخاوي <sup>(5)</sup>، والسيوطي <sup>(6)</sup>، وحتى ترجمة تلميذه المقرئ في "درر العقود" <sup>(7)</sup>، لم تأت بجديد حيال التكوين التاريخي لابن خلدون.

- <sup>(1)</sup> - أشار ابن خلدون باعتزاز إلى المكانة الرفيعة التي خصّه بها شيخه أبو القاسم الشريف في مجلسه، بقوله "وكان من بعدها يؤثر محلي في مجالس التعليم إلى قولي ويشهد لي بالنباهة في العلوم". أنظر: ابن خلدون، المقدمة، 3 / 1172.
- <sup>(2)</sup> - يشير أحمد بابا التنبكي، إلى استفادته من جزء لأحد الطلبة التلمسانيين، عرف فيه صاحبه بالشريف وولديه سماه "القول المنيف في الترجمة بالإمام الشريف".
- <sup>(3)</sup> - أنظر: ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 3 / 497-516.
- <sup>(4)</sup> - إنباء الغمر في أبناء العمر: تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1989، 2 / 339-340.
- <sup>(5)</sup> - رفع الإصر عن قضاة مصر: تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ص 233-237.
- <sup>(6)</sup> - الضوء اللامع، دار الجيل، بيروت، 1992، 4 / 145-149.
- <sup>(7)</sup> - مصدر سابق، 1 / 189. 2 / 462.
- <sup>(7)</sup> - درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002، 2 / 383-410. وقد اطلع السخاوي على هذه الترجمة، وأعاب فيها مبالغة المقرئ في تقرير شيخه ابن خلدون. أنظر: السخاوي، الضوء اللامع، 4 / 149.

على ما يبدو أن التراجم المشرقية الآنفة الذكر، قد عولت كثيرا إضافة إلى ما كتبه ابن خلدون نفسه حول شيوخه في تلك المرحلة المبكرة من حياته في جزء "التعريف"، كذلك اعتمدت على الترجمة التي خصها له صديقه ابن الخطيب السلماني في "الإحاطة"، هذا العمل التراجمي المهم كانت إحدى نسخه المكتوبة بخط مصنفه ابن الخطيب، قد استقرت بالقاهرة المملوكية، بعد أن أوقفها مصنفها على مدرسة خانقاه سعيد السعداء سنة 767 هـ/ 1366م<sup>(1)</sup>، لتكون هذه الترجمة المقتضبة لابن خلدون، متاحة للجمهور المشرقي قبل وصول صاحب الترجمة إلى القاهرة سنة 784 هـ/ 1382 م بنحو 17 سنة، إلا أنها تغطي الشق الأول فقط من حياة ابن خلدون، وهي بالتأكيد لا تحمل في طياتها الحديث عن الاهتمامات التاريخية للمترجم له في مرحلة مبكرة، والتي أبدى فيها ابن خلدون اهتماما بالأصول والمنطق.

وفي هذا السياق، فما أعرفه عن ابن خلدون أنه كان على معرفة أكيدة بوقفية "الإحاطة" في وقت مبكر، وقبل مغادرته لبلاد المغرب سنة 784 هـ/ 1382 م، أطلعته على ذلك موقفها صديقه ابن الخطيب نفسه في رسالة بعثها إليه سنة 769 هـ/ 1367 م<sup>(2)</sup>، وقد أظهر خلالها عزمه على إرسال نسخة منها إليه، حاليا وإن كنت أجهل حقيقة تلك الرغبة التي أبداه ابن الخطيب، لكن المؤكد أن صديقه ابن خلدون قد اطلع على إحدى نسخها في وقت لاحق، كان ذلك أثناء وجوده بالقاهرة<sup>(3)</sup>، يظهر ذلك من خلال إحالته لـ "الإحاطة" في جزء "التعريف"،

(1) - يعود تاريخ هذه الوقفية إلى 3 ذي الحجة 767 هـ/ 10 أوت 1366 م، استنادا إلى رواية المقرئ التلمساني، نفع الطيب، 107-105/7. الذي عاين نص الوقفية المقيدة على المجلد الرابع من هذه النسخة، التي تقع في ثمانية مجلدات، أثناء تواجده بالقاهرة، وقدم حيالها تفاصيل دقيقة ومهمة جدا، منها معاينته لتلك الطرز والتعليق التي كتبت بخطوط بعض المطلعين عليها، حيث تظهر أسماء لأعلام مشاركة منهم: المقرئ، السيوطي، ابن دقماق، ابن حجر العسقلاني، ومن أعلام المغرب: أبو الحسن علي بن الخطيب ابن المصنف، ابن مرزوق الخطيب، أبو الفضل بن الإمام التلمساني، النحوي الراعي، يحيى العجيسي. هذا وقد أكد السخاوي في وقت سابق معاينته كذلك لهذه النسخة، بقوله "وهو كتاب نفيس بخطه في أوقاف سعيد السعداء". أنظر: الإعلان بالتوبيخ، ص 256.

(2) - هذه الرسالة مؤرخة في الثاني من جمادى الأولى 769 هـ/ 24 ديسمبر 1367 م، وتظهر نيته في إرسال نسخة منها إلى ابن خلدون، في قوله "والله يرزق الإعانة في انتساخه وتوجيهه". أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص 112.

(3) - أحال ابن خلدون إلى كتاب "الإحاطة"، في ترجمة شيخه عبد المهيمن الحضرمي، وجاءت إحالته على النحو التالي "وقد استوعب ابن الخطيب التعريف به في تاريخ غرناطة فليطالعه هناك من أحبّ الوقوف عليه". أنظر: المصدر نفسه، ص 54. وبالفعل مراجعتي للترجمة التي كتبها ابن الخطيب في إحاطته لشيخه الحضرمي، توجد في قسم الغرباء الداخلين إلى حضرة غرناطة. حولها أنظر: الإحاطة، 4/ 11-18.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

وهو الجزء الذي حرره سنوات استقراره بالبلاد المصرية، ومن غير المستبعد أن يكون ابن خلدون قد اطلع على نسخة "الإحاطة" الخزائية الموقوفة بالخانقاه، حيث كان يلقي دروسه على طلبته.

– الآبلي أبرز شيوخ ابن خلدون المعول عليهم في رواية بعض الأخبار.

يعتبر "شيخ العلوم العقلية" الآبلي (ت 757 هـ / 1356 م) <sup>(1)</sup>، أحد أبرز شيوخ ابن خلدون الوافدين إلى مدينة تونس برفقة السلطان المريني أبي الحسن، مستغلا العلاقة التي جمعت شيخه الآبلي بوالده <sup>(2)</sup>، ولنحو خمس سنوات لزم ابن خلدون مجلس صديق والده، الذي كان يقرأ فيه كتب التعاليم، والمنطق، والأصلين، وعلوم الحكمة حين مغادرته المدينة سنة 753 هـ / 1352 م <sup>(3)</sup>، وخلال تلك المدة أجز ملخصا على كتاب "محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء" لفخر الدين الرازي (ت 606 هـ / 1209 م) <sup>(4)</sup>، الذي قرأه على شيخه الآبلي <sup>(5)</sup>،

(1) – حوله أنظر:

– Nassif Nassar, « Le maître d'Ibn Khaldun al-Ābilī », *Studia Islamica*, 20 (1964), pp. 103 - 114.  
– Allaoua Amara, « Al-Ābilī (maître des sciences rationnelles à Tlemcen au VIII<sup>e</sup>/XIV<sup>e</sup> siècle », *Les échanges intellectuels Béjaia - Tlemcen*, Djamel Aïssani et Mohammed Djehiche (éd.), Ministère de la Culture, Alger, 2001, pp. 44- 52.

(2) – يشير ابن خلدون، الرحلة، ص 52. بفخر واعتزاز إلى الصداقة التي جمعت والده بشيخه الآبلي، وتؤكد علاقة الآبلي بأسرة ابن خلدون بعد نزول هذا الشيخ في كفالة الأسرة مدة إقامته بتونس، كما أشار إلى الدور الذي لعبه في عدم رحيل شيخه الآبلي برفقة السلطان المريني أبي الحسن.

(3) – من أهم كتب العلوم العقلية التي ذكرها ابن خلدون في مقدمته والتي كان على معرفة بمحتواها، أعمال ابن سينا الذائعة الصيت، (الشفاء- النجاة- الإشارة) حولها أنظر: المقدمة، 1011/3، 1013، 1017، 1020، 1025. وتلاخيص أرسطو لابن رشد (ت 595 هـ / 1198 م). المصدر نفسه، 1011/3، 1020. وأعمال المؤقت ابن البناء المراكشي (ت 721 هـ / 1321 م)، منها كتابه المبسط في الحساب تحت عنوان "رفع الحجب". المصدر نفسه، 1013/3، 1014، 1015. و"فرائض" الحوفي (ت 580 هـ / 1184 م). المصدر نفسه، 1012/3. وزيج منسوب لابن إسحاق التونسي (ق 7 هـ / 13 م). المصدر نفسه، 1021/3. ولمعرفة مزيد من التفصيل حول مكانة العلوم العقلية خلال القرن 8 هـ / 14 م. أنظر:

– Lamrabet Driss, « Ecrits mathématiques en circulation au Maghreb à l'époque d'Ibn Khaldun (732-808 H 1332-1406) », *les constructions intellectuelles en Occident Musulman au temps d'Ibn Khaldun*, coordination Bennacer el Bouazzai, Imprimerie Najah ElJadida, Casablanca, 2007, pp. 27-55.

(4) – أشاد ابن خلدون بمحصل فخر الدين الرازي. أنظر: المقدمة، 1025/3، 1026، 1036.

(5) – ذكر ابن خلدون في مقدمة كتابه "الباب المحصل"، أنه قرأ "محصل" فخر الدين الرازي على شيخه الآبلي. أنظر: لباب المحصل في أصول الدين، تحقيق عباس محمد حسن سليمان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص 60- 61. وقد وصلتنا نسخة اللباب النفيسة بخط مصنفها ابن خلدون، فرغ منها عشية يوم الأربعاء التاسع والعشرين صفر 752 هـ / 26

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التروين) (التاريخي خارج مجتمع البلاط.

تحت عنوان "الباب المحصل في أصول الدين" <sup>(1)</sup>، كان ذلك سنة 752 هـ / 1351 م، وهو بذلك يعتبر من بواكير الأعمال التي أنجزها ابن خلدون في سن العشرين تقريبا.

على أهمية الشهادة التي أدلى بها الآبلي لفائدة تلميذه ابن خلدون، والاعتراف له بالتميز في العلوم العقلية <sup>(2)</sup>، إلا أن ما يلفت انتباهي حول طبيعة العلاقة التي جمعتهما، أن التلميذ ابن خلدون يروي مجموعة من الأخبار بطريق شيخه الآبلي، صرح بذلك في نحو ستة مواضع من عبره، وللكشف عنها إليك العرض التفصيلي التالي:

مضمون الرواية	مجالها	سياقها الزمني	الجزء/الصفحة
خبر عن أحد منتحلي التصوف ببلاد المغرب يدعى "التويزري"	رباط ماسة (بلاد السوس الأقصى)	مطلع ق 8 هـ / 14 م	المقدمة، 2 / 760
خبر عن رجل من منتحلي دعوة الفاطمي ببلاد المغرب	رباط العباد (تلمسان)	مطلع ق 8 هـ / 14 م	المقدمة، 2 / 760 الرحلة، ص ص 50، 291
مضمون وصية السلطان الزياني يغمراسن بن زيان لابنه السلطان أبي سعيد عثمان	قصر السلطان الزياني (تلمسان)	نهاية ق 7 هـ / 13 م	العبر، 7 / 123
موت السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن	قصر السلطان الزياني (تلمسان)	سنة 703 هـ / 1303 م	العبر، 7 / 127 - 128
تفاصيل أسعار أقوات تلمسان أثناء الحصار	مدينة تلمسان	سنة 703 هـ / 1303 م	العبر، 7 / 127 - 128
تفاصيل تاريخية عن اللحظات الأخيرة للحصار المريني لمدينة تلمسان	قصر السلطان الزياني (تلمسان)	سنة 706 هـ / 1306 م	العبر، 7 / 129 - 130
الكتاب الذي بعثه السلطان الزياني أبو حمو موسى إلى السلطان الناصر بن قلاوون	قصر السلطان الزياني (تلمسان)	سنة 708 هـ / 1308 م	العبر، 7 / 300 - 301
بعض الأخبار المتعلقة بسيرته الشخصية.	بلاد المغرب	مطلع ق 8 هـ / 14 م	الرحلة، ص 50، 51

أفريل 1351 م، استنادا إلى الفقرة التي قيدها ابن خلدون بأخر نسخته المحتفظ بها في دير الأسكوريال تحت رقم (1614) = 1609 كسيري). حوله أنظر:

- Derembourg H. et E.Lévi-Provençal, *Les manuscrits arabes de L'Escorial*, Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1928, 3/ 163.

<sup>(1)</sup> - أشاد صديقه ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 3 / 507. بـ "لباب المحصل" لابن خلدون، كما أشار إلى بعض أعماله في العلوم العقلية، منها كتاب في الحساب، وتلخيصه لكتب ابن رشد، وشرحه لرجز ابن الخطيب في أصول الفقه.

<sup>(2)</sup> - أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص 41. المقريري، درر العقود، 2 / 389.

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

معطيات الجدول أعلاه، تكشف لنا على أهمية الروايات الشفوية التي ينقلها ابن خلدون مباشرة من شيخه الآبلي، فقد اعتمد عليه في نقل أخبار بعض منتحلي التصوف والتشيع في بعض الأربطة، إضافة إلى التعويل عليه في صياغة ترجمته الموسعة، وتدوين الكثير من التفاصيل الدقيقة في مسيرة شيخه الحافلة<sup>(1)</sup>، لكن يبدو واضحاً أن رواية الآبلي، تتجلى أهميتها أكثر في أخباره المهمة حول مدينته تلمسان، وخاصة محيط القصر الزياني سنوات الحصار المريني 698-706 هـ / 1298-1306 م، وتستمد هذه الأخبار قيمتها التاريخية عند صاحب "العبر" لعدة اعتبارات أجمالها على النحو التالي:

- تواجد الآبلي بمسقط رأسه تلمسان مع المحصورين من أهلها سنة 698 هـ / 1298 م<sup>(2)</sup>.
- إحاطة الآبلي الواسعة بعلم الحساب، وتوليه وظيفة "قهرمة الدار والنظر في الدخل والخرج" في القصر الزياني<sup>(3)</sup>، الأمر الذي منح الشيخ إمكانية الإطلاع على دفاتر الديوان، والتدقيق في صحة الحساب في مقدار الخراج والعطاء<sup>(4)</sup>، يضاف إليها حضوره بشكل متكرر مجالس السلطان الزياني مع بطانته وخاصته، واحتكاكه المباشر بحاشية البلاط الزياني في تلك السنوات الحرجة في تاريخ المدينة، كل هذه المعطيات المهمة، بالتأكيد تفسر لي أهمية الجرد الدقيق لمقدار السعر الذي وصلت إليه حوالي 30 مادة من أقوات أهل تلمسان سنوات الحصار المريني عليها، استفاد منها ابن خلدون بطريق متولي قهرمة دار السلطان الزياني، شيخه الآبلي.
- لا يمكنني هنا، إغفال أهمية المعرفة الدقيقة باللسان الزياتي<sup>(5)</sup>، التي كان يتمتع بها الشيخ

(1) - تعتبر ترجمة الآبلي من أوسع الترجمات التي حررها تلميذه ابن خلدون، حول شيوخه الذي تطرق إليهم في سيرته الذاتية. حولها أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص ص 40-41، 49-53.

(2) - المصدر نفسه، ص ص 41، 50.

(3) - استناداً إلى رواية ابن خلدون، يبدو أن الآبلي تولى وظيفة قهرمان الدار في البلاط الزياني لمرتين، الأولى كانت زمن السلطان عثمان بن يعمراسن (681-703 هـ / 1282-1303 م)، كان الآبلي وقتها في مرحلة الصبا، يدرس التعاليم بين الناس في تلمسان، وقد غادرها مع بدايات الحصار المريني سنة 698 هـ / 1298 م، أما الثانية فكانت بعد عودته إلى تلمسان، وزوال الحصار المريني عليها، زمن السلطان أبي حمو موسى. أنظر: العبر، 7/ 123، 127. الرحلة، ص 51.

(4) - جعل ابن خلدون مدلول وظيفة "قهرمة الدار والنظر في الدخل والخرج" عند السلاطين الزيانيين، مرادف لمدلول وظيفة الحجابة، وقد استأثر بها زمن السلطان الزياني أبي حمو موسى (707-718 هـ / 1307-1318 م)، بيت بني الملاح، أحد بيوتات الجالية القرطبية، التي نزحت إلى تلمسان. أنظر: ابن خلدون، المقدمة، 2/ 644-647. العبر، 7/ 140-141.

(5) - من الدراسة المهمة المنجزة حول اللسان البربري، وتداوله في بلاد المغرب خلال المرحلة الوسيطة، دراسة.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

الآبلي، على حسب تصريح تلميذه الأخ الأصغر لابن خلدون، أعني به صاحب "البغية" <sup>(1)</sup>، ومن دون شك منح ذلك للآبلي أفضلية فهم اللسان الزناتي المتداول خلال القرن 8 هـ / 14 م <sup>(2)</sup>، خصوصا وقد تأكد تداوله داخل محيط القصر الزياني <sup>(3)</sup>.

وعلى أهمية معرفة الآبلي باللسانين العربي والزناتي، إلا أنني لا أجد أثره واضحا في مجموعة الكلمات المنقولة من الموروث اللغوي الزناتي، التي أدرجها تلميذه ابن خلدون في عبره <sup>(4)</sup>، وإن كنت لا أستطيع الذهاب بعيدا في مناقشتي لهذه الإشكالية الحساسة، لكنها تشير إلى محدودية معرفة ابن خلدون باللسان البربري بشكل عام <sup>(5)</sup>، في مقابل القدرة الكبيرة التي أظهرها في الاستفادة من مؤلفات النسابة البربر.

---

- Meouak Mohmed, «Retour sur la langue berbère au Moyen âge à la lumière des géographes al-Bakri et al-Idrisi, études », *documents berbères*, 29- 30, (2010- 2011), Paris, pp. 275-309 ; *La langue berbère au Maghreb médiéval*, Brill, Leiden, 2015.

<sup>(1)</sup> - جاءت شهادة يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 1 / 85. بقوله "كان حافظا بلسان القوم"، وقد استند إلى شرحه حول معنى كلمة "تلمسان"، والملفت للانتباه أن صاحب "العبر"، وعلى الرغم من تعرضه لهذا الشرح، ومعناه في اللسان العربي، إلا أنه لا يشير إلى شيخه الآبلي كمصدر له. أنظر: ابن خلدون، العبر، 7 / 102.

<sup>(2)</sup> - أشير هنا، إلى إجابة أحد شيوخ ابن خلدون التلمسانيين للسان الزناتي، أعني به الفقيه القاضي ابن عبد النور الندرومي (ت 749 هـ / 1348 م)، استنادا إلى تصريح معاصره، وابن بلدته ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 267. فقد كان الفقيه ابن عبد النور "أفصح الناس لسانا بالعربية والزناتية يتصرف في لسان زناتة وأشعارهم". وفي وقت لاحق، تحدث أبو عبد الله الرصاع التلمساني (ت 894 هـ / 1488 م)، عن أحد مؤدبيه بكتّاب سوق "القبايين". بمدينة تلمسان، ينحدر من جبل بني ورنيد، وكان غالبا ما يتكلم بكلام البربر. أنظر: الرصاع: فهرسة شيوخه، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1967، ص 19.

<sup>(3)</sup> - توجد بعض الأدلة التي تشير إلى تداول اللسان الزناتي بين السلاطين الزيانيين الأوائل بشكل خاص، استنادا إلى ما أورده الأخوان ابنا خلدون، حول كلام السلطان أبي يحيى يغمراسن بن زيان (633- 681 هـ / 1235- 1282 م)، الذي كان باللسان الزناتي. أنظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 1 / 91. ابن خلدون، العبر، 7 / 97، 123. كما أن الموروث اللغوي المحلي البربري لا يزال متداولاً بين الجماعات الزناتية خلال القرن 8 هـ / 14 م، وهنا يتحدث ابن خلدون عن انتشار رجز في الحدثان باللسان الزناتي، منسوب لكاهن زناتة المشهور بموسى بن صالح. حوله أنظر: المصدر نفسه، 7 / 69.

<sup>(4)</sup> - من الكلمات البربرية التي أكد ابن خلدون على أنها كانت ضمن الموروث اللغوي الزناتي، وتقديم معناها باللسان العربي أذكر: "تلمسان"، و"دادا"، و"يفرن"، و"تامصا"، و"أيت"، و"منغفاد"، و"تيريفين"، و"ايحجوب". أنظر: المصدر نفسه، 7 / 15، 68، 97، 98، 221، 238.

<sup>(5)</sup> - حول المعرفة المحدودة لابن خلدون باللسان البربري. أنظر:

- Allaoua Amara, « Ibn Khaldoun et les Berbères », *Revue des Lettres et sciences humaines*, Université Emir Abdelkader, Constantine, 7, (2006), pp. 12- 13.

- Mohmed Meouak, *La langue berbère au Maghreb médiéval*, pp 121-136.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

إن إثارة النقاش حول العلاقة التي جمعت التلميذ ابن خلدون بشيخه الأبلي، ومحاولة مراقبة أثرها على التكوين التاريخي لابن خلدون، من شأنها تعميق فهمنا لأهمية الروايات الشفوية التي استند عليها في كتابه التاريخي "العبر"، ومن دون شك كانت روايات "شيخ العلوم العقلية"، تحظى بكثير من التبجيل في مجلس التلميذ ابن خلدون، حتى بعد رحيله إلى البلاد المصرية، فعلى حسب إفادة تلميذه المقرئ في "درر العقود"<sup>(1)</sup>، تفيد أن شيخه ابن خلدون كان كثيرا ما يحدث عن شيخه الأبلي في مجلسه.

— تجربة الخدمة في بلاطات القرن 8 هـ / 14 م، تدفع بابن خلدون إلى العناية بأخبار المغرب.

أظهر ابن خلدون نفسه اعتزازه كسليل أسرة عربية عريقة، جمعت بين الجاه والسلطة، وفي أماكن التزوح في منطقة أفريقية الحفصية، تمكن سلفه من ربط علاقة وطيدة بالسلطين الحفصيين، فبالإضافة إلى عديد الاقطاعات والجرایات التي خصّ بها بعض أفراد الأسرة الخلدونية، تقلّد بعضهم مناصب مرموقة في البلاط الحفصي، ويعتبر جده المباشر محمد بن أبي بكر (ت 737 هـ / 1336 م)، من أبرز الشخصيات النافذة في البلاط الحفصي في النصف الأول من القرن 8 هـ / 14 م<sup>(2)</sup>، وقد تولى خلالها وظيفة الحجابة، هذه الوظيفة سوف يتولاه في وقت لاحق الأخوان عبد الرحمن ويحيى، وتوضيحا لذلك إليك المخطط التالي، الذي حاولت فيه رصد أبرز الوظائف التي أوكلت لبعض أفراد هذا البيت في البلاط.

(1) - مصدر سابق، 2/ 389، 404.

(2) - حول المكانة التي احتلها محمد بن أبي بكر. أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص 34-35.



صرح ابن الخطيب السلماني<sup>(1)</sup> بتعلق صديقه ابن خلدون، بالخدمة السلطانية منذ حداثة سنه، وعن طموحه السياسي المعلن، الذي بدأه ككاتب للعلامة في البلاط الحفصي، وإن كانت هذه الوظيفة لا تعدو أن تكون "وضع عبارة (الحمد لله والشكر لله) بالقلم الغليظ، مما بين البسمة وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم"<sup>(2)</sup>، إلا أنها تعتبر أولى خطواته في الولوج إلى الخدمة البلاطية، لترتسم بعدها ملامح شخصية سياسية نافذة، جمعت بين الحنكة وحسن التدبير مع كثير من الحذر والترقب، الذي تمليه عليه حساسية قربه من أصحاب البلاط في مغرب القرن 8 هـ/ 14 م.

رغم المكانة المتميزة التي حظي بها ابن خلدون منذ التحاقه بالبلاط المريني، إلا أن طبيعة المناصب التي أوكلت إليه، لم ترتق إلى مستوى طموحه السياسي، كما جاءت محيبة للآمال، أين تقلد خطة الكتابة والتوقيع سنة 756 هـ/ 1355 م، في بلاط السلطان أبي عنان<sup>(3)</sup>، وحتى

(1) - الإحاطة، 3/ 498.

(2) - ابن خلدون، الرحلة، ص 65.

(3) - المصدر نفسه، ص ص 67، 72، 74.



## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

المساعي الحثيثة التي قام بها في وقت لاحق لصالح السلطان أبي سالم إبراهيم، إلا أنها لم تسعفه في تولي مناصب أرفع من توليه ديوان الانشاء، وكتب للسمر، وقد أضيف إليه فيما بعد ديوان المظالم<sup>(1)</sup>، وخلال الفترات اللاحقة، لم يكن ابن خلدون يحرز فيها تقدما ملحوظا في البلاط المريني، وقد ضاعف من قصوره، وجود عدد من المنافسين له والمتنفذين في البلاط، منهم الخطيب ابن مرزوق صاحب "المسند"<sup>(2)</sup>، ورغم إقراره في منصبه الأول ككاتب في ديوان الإنشاء، والزيادات في العطاء والجرایات التي خصّه بها الوزير المستبد عمر بن عبد الله اليباني، إلا أن ابن خلدون لم يجد في ذلك المحفز الكافي للبقاء في الخدمة البلاطية<sup>(3)</sup>.

مدفوعا بطموحه السياسي المتزايد، غادر العدو المغربية سنة 764 هـ / 1362م، باتجاه بلاط غرناطة عند ملوك بني الأحمر<sup>(4)</sup>، ويعدّ النجاح الكبير الذي أحرزه في إتمام إبرام عقد الصلح بين السلطان الغني بالله محمد بن يوسف (763-793 هـ / 1362-1391 م) مع ملك قشتالة سنة 765 هـ / 1363 م، من أبرز نجاحاته الدبلوماسية، وعلى إثرها أقطعه السلطان الغني بالله، قرية "البيرة" من أراضي السقي بمرج غرناطة<sup>(5)</sup>.

بعد مدة قصيرة قضاها ابن خلدون في بلاط صاحب غرناطة النصرية، عاد من جديد إلى برّ

(1) - حول طبيعة العلاقة التي جمعت بين ابن خلدون، والسلطان المريني أبي سالم، والمناصب التي تولّاها. أنظر: ابن خلدون، العبر، 6 / 548. 7 / 404-405. الرحلة، ص 75 - 80.

(2) - تحدث ابن خلدون عن الدور الكبير الذي لعبه ابن مرزوق في الانفراد بمخالطة السلطان المريني أبي سالم، والسعاية بخصوصه ومنافسيه بما فيهم ابن خلدون، وهو ما يفهم من قوله "تم غلب ابن مرزوق على هواه وانفرد بمخالطته وكبح الشكايم من قربه فانقبضت وقصرت الخطو... ولم يزل ابن مرزوق آخذا في السعاية بي وبأمثالي من أهل الدولة غيرة ومنافسة إلى أن انتقض الأمر على السلطان بسببه". أنظر: المصدر نفسه، ص 80.

(3) - أظهر ابن خلدون امتعاضا شديدا، حيال وضعه الغير مقبول في البلاط المريني، زمن المستبد عمر بن عبد الله اليباني بالقول "وكنت أسمو بطغيان الشباب إلى أرفع مما كنت فيه وأدلّ في ذلك بسابقة مودة معه منذ أيام السلطان أبي عنان... ثم حملني الإدلال عليه أيام سلطانه، وما ارتكبه في حقي من القصور بي عمّا أسمو إليه، إلى أن هجرته، وقعدت عن دار السلطان مغاضبا، فتكر لي وأقطعني جانبا من الإعراض فطلبت الرحلة". أنظر: المصدر نفسه، ص 80.

(4) - أنظر: المصدر نفسه، ص ص 82، 83، 86.

(5) - لمعرفة مزيد من التفصيل حول الفترة التي قضاها ابن خلدون في البلاط النصرية، وعلاقة بصديقه الوزير ابن الخطيب السلطاني، التي شأها التوتر عقب وصوله إلى غرناطة. أنظر:

- Fromherz Allen, «Ibn Khaldun, Ibn al-Khatib and their milieu A Community of Letters in the Fourteenth-Century Mediterranean», *Medieval Encounters*, 20, (2014), pp. 296- 300.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

العودة المغربية سنة 766 هـ/1364م، لكن هذه المرة سوف يكون للمرة الثالثة في مدينة بجاية<sup>(1)</sup> باستدعاء من صديقه الأمير الحفصي أبي عبد الله، الذي أحكم سيطرته على قسبة المدينة، ليولي ابن خلدون وظيفة الحجابة، وفي هذا السياق تحدث بفخر واعتزاز عن مهامه الجديدة في البلاط الأميري بالقول "وأصبحت من الغد وقد أمر السلطان أهل الدولة بمباكرة بابي واستقللت بحمل ملكه واستفرغت جهدي في سياسة أموره وتديبر سلطانه"<sup>(2)</sup>، وإلى جانب توليه منصب الحجابة، وتديبره أمور السياسة في القسبة، تولى كذلك الخطابة بجامع القسبة، الذي كان يلقي فيه الدروس على طلبته بالمدينة<sup>(3)</sup>.

الظروف المضطربة التي كابدتها مدينة بجاية بعد مقتل أميرها أبي عبد الله، لم تسمح لابن خلدون بالمكوث فيها أزيد من أربعة عشر شهرا، ليقرر مغادرتها من جديد في شهر شعبان 767 هـ/أفريل - ماي 1366 م، ويترنل بين أحياء عرب "يعقوب بن علي"، ومن ثم توجه إلى "بسكرة" قاعدة بلاد الزاب<sup>(4)</sup>، في ضيافة صديقه أحمد بن يوسف بن مزني<sup>(5)</sup>، وخلال السنوات القليلة اللاحقة من حياته، التي قضى جزءا منها متنقلا في بوادي المغرب الأوسط، لم يشغل أية وظائف سلطانية، لكنه بالتأكد كان عنصرا فاعلا في كثير من الدسائس والمغامرات السياسية، وقد كان لازدواجيته في التعامل مع حكام البلاط، أثره الكبير في حالة الإرباك التي مرّ بها في الأماكن التي دخلها، ومن خلال شهادته المفصلة التي أدلى به في سيرته الذاتية، يمكن مراقبة تنقلاته في مجالات البدو بالمغرب الأوسط بعد مغادرته لمدينة بجاية سنة 767 هـ/1366م، إلى حين عودته من جديد إلى بلاط فاس سنة 774 هـ/1372م، على ما أكشف عنه في

(1) - تحدث ابن خلدون عن زيارته لمدينة بجاية مرتين خلال سنة 754 هـ/1353 م. لمزيد من التفصيل حول طبيعة الزيارة التي قام بها إلى المدينة. أنظر: صالح بعيزيق: "ابن خلدون ومدينة بجاية"، ابن خلدون ناظرا ومنظورا إليه، جمع النصوص محمد حسن، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2009، ص 13-27.

(2) - ابن خلدون، الرحلة، ص 95.

(3) - المصدر نفسه، ص 95.

(4) - حول وجود ابن خلدون في بسكرة، وعلاقته بأسرة بني مزني وعرب رياح المتواجدين في المنطقة. أنظر:

- Brett Michael, « Ibn Khaldun and the Dynastic approach to local history: the case of Biskara », *Ibn Khaldun and the Medieval Maghreb*, British library, Us library of Congress, 1999, pp. 95-179.

(5) - أكد ابن خلدون، الرحلة، ص 179. على السلطة التي يتمتع بها صديقه ابن مزني على المناطق التي كانت تحت نظره، بالقول "وهو صاحب زمام رياح وأكثر عطائهم من السلطان مفترض عليه في جباية الزاب وهم يرجعون إليه في الكثير من أمورهم".

العرض التاريخي التالي:

المناطق التي دخلها	السنوات
قاعدة بلاد الزاب بسكرة	767 هـ - 769 هـ / 1366-1367 م
القطفا - المسيلة - بسكرة	769 هـ - 770 هـ / 1367-1368 م
بسكرة - الجزائر	771 هـ / 1369 م
البطحاء- تلمسان (مرسى هنين-المدينة- رباط العباد)-المسيلة	772 هـ / 1370 م
بسكرة	772 هـ - 774 هـ / 1370-1372 م
تلمسان-القطفا- جبل تيطري-واركلا- مليانة - رأس العين- جبل دبدو	774 هـ / 1372 م

مستغلا علاقته الجيدة، التي جمعته في وقت سابق بالوزير أبي بكر بن غازي "القائم بدولة بني مرين"، عاد ابن خلدون من جديد إلى فاس، وقد أفصح عن المكانة التي خص بها في تلك المرحلة، وكتب يقول "وأقمت بمكاني من دولتهم أثير المحلة نابه الرتبة عريض الجاه منوه المجلس... عاكفا على قراءة العلم وتدريسه"<sup>(1)</sup>، لكن من جديد الظروف المضطربة التي كان يمر بها البلاط المريني، بعد وفاة السلطان أبي فارس عبد العزيز سنة 774 هـ / 1372 م، كانت لها آثارها المربكة على وجوده بالحاضرة الفاسية، وارتفعت حالة التوتر خاصة بعد مقتل صديقه ابن الخطيب السلماي سنة 776 هـ / 1374 م<sup>(2)</sup>، ليتحول بعدها بقليل إلى بلاط غرناطة النصرى في ربيع سنة 776 هـ / 1374 م، إلا أنه ما لبث أن تعرض للوشاية من جديد، واضطر إلى العودة مرة أخرى إلى العدو المغربية، حيث نزل "هنين"، كشخصية غير مرحب بها في مناطق نفوذ السلطان الزياني أبي حمو موسى.

بلا شك جهوده المضنية في الحصول على مكانة رفيعة في البلاط المريني، كان من نتائجها الوخيمة، تعرضه في كثير من الأحيان لمضايقات عديدة، هذه الأخيرة لم تتوقف عند حدود حياة اللجوء التي باتت خياره المفضل في كثير من المرات، بل تعرضه إلى السجن على الأقل ثلاث مرات، وعلى حسب تصريحاته، كانت الأولى في أحد سجون مدينة فاس في 18 صفر سنة 758 هـ / 9 فيفري 1357 م<sup>(3)</sup>، كما اعتقل سنة 772 هـ / 1370 م بمدينة تلمسان لليلة

(1) - المصدر نفسه، ص ص 181، 185.

(2) - تحدث ابن خلدون بشكل مفصل عن حادث القتل المروع الذي تعرض له صديقه ابن الخطيب وأسباب ذلك، وخصص لذلك عنوانا مستقلا في عبره، جاء على النحو التالي "الخبر عن مقتل ابن الخطيب". أنظر: العبر، 7/ 452-454.

(3) - لم يتم الإفراج عن ابن خلدون في ذلك التاريخ، إلا بعد مرور نحو الستين، وبالضبط في 24 ذي الحجة 759 هـ /

## الفصل الثاني ———— تعدو سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

واحدة<sup>(1)</sup>، وثالثة بمدينة فاس سنة 776 هـ / 1374 م<sup>(2)</sup>، لكن مع ذلك سوف تكون لتجربته السياسية الطويلة، ومعرفته الدقيقة بجبايا القصور، مع ما يضاف إليها من معاينته للتنظيمات القبلية البدوية، خاصة بعد نزوله ضيفا على صديقه صاحب "بسكرة" قاعدة بلاد الزاب، الأثر الكبير في تعميق فهمه وإدراكه لدور العصبية القبلية، كمحرك أساسي في قيام الدول في مغرب ما بعد الموحدين.

### — "قلعة بني سلامة"، تحتضن بواكير المشروع التاريخي لابن خلدون.

من جديد وجد ابن خلدون في أحد معارفه المقربين من البلاط الزياني، المنحدرين من بني هلال من عرب سويد، جبل النجاة من غضب السلطان أبي حمو موسى، أعني به هنا شيخ القبيلة محمد بن عريف بن يحيى<sup>(3)</sup>، ليتمكن بوساطته أن ينال الإذن في التوجه إلى تلمسان، لكن نزوله هذه المرة سوف يكون على بعد ميل جنوب المدينة، وتحديدًا في العباد، مبتعدًا بذلك عن محيط البلاط الزياني وحاشيته، هذه الزيارة التي اجتمع فيها ابن خلدون بأفراد أسرته قادمين إليه من فاس، سبقتها زيارة أولى للمكان كان ذلك سنة 772 هـ / 1370 م<sup>(4)</sup>.

ويفهم من كلامه المقتضب حول تواجده بجوار رباط الولي الصوفي أبي مدين شعيب (ت 594 هـ / 1197 م)، أنها مثلت المكان الأنسب الذي أتاح له الابتعاد عن مشاغل السياسة والتفرغ للعلم، وكل ما نعرفه حول طبيعة نشاطه في تلك المدة القصيرة بالعباد، أنه شرع في التدريس<sup>(5)</sup>، وعلى أهمية هذه الإشارة العابرة التي أدلى بها ابن خلدون، إلا أنه ليس في الوسع تقييم نشاطه التعليمي بالمنطقة، ومعرفة طبيعة المواد التي كان يدرسها في الحلقة، هذا ناهيك عن

26 نوفمبر 1358 م، وهي المدة الأطول التي قضاها ابن خلدون في السجن. أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص 73، 94.

(1) - قبض على ابن خلدون سنة 772 هـ / 1370 م بـ "وادي الزيتون" على مقربة من مدينة تلمسان، حيث كان ينوي التوجه إلى الأندلس عبر مرسى "هنين"، وقد أوكلت مهمة اعتقاله لسرية من "تازا"، بأمر من السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز. لمزيد من التفصيل: أنظر: ابن خلدون، العبر، 7/ 436-473. الرحلة، ص 121.

(2) - أنظر: المصدر نفسه، ص 185.

(3) - عرض ابن خلدون تفاصيل دقيقة، حول هذا القبيل المنحدر من زغبة احد بطون العرب الهلالية، وحيثيات سيطرتهم على بلاد بني توجين من أراضي المغرب الأوسط، كما فصل الحديث عن علاقتهم بالسلطة الزيانية والمرينية. لمزيد من التفصيل. أنظر: العبر، 6/ 59-76. 7/ 173-179.

(4) - حول هذه الزيارة. أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص 121.

(5) - المصدر نفسه، ص 187.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

معرفة هوية طلبته، لكن المؤكد أن ابن خلدون قد فضل مغادرة العباد، بعد رفضه الإذعان لطلب السلطان أبي حمو موسى الزياني، والعودة إلى لعب دور الوسيط بين السلطان الزياني وعرب المنطقة، وبين أحياء أولاد عريف بالقرب من جبل "كزول"<sup>(1)</sup>، استقر به المقام في "قلعة بني سلامة"<sup>(2)</sup> من بلاد بني توجين<sup>(3)</sup>، لمدة أربع سنوات 776 - 780 هـ / 1374 - 1378 م، قضاها بقصر "أبي بكر بن عريف"<sup>(4)</sup>، وخلالها شرع في تدوين كتابه التاريخي الموسوعي "العبر".

بلا شك، تعتبر السنوات الأربع التي قضاها في "قلعة بني سلامة"، من أبرز محطاته التاريخية التي شكلت منعرجا حاسما في بلورة فكره التاريخي، وما أخبرنا به عن تلك العزلة في "القلعة" قليل جدا، فقد صرح بعدم ممارسته لأي نشاط سياسي، كما لم يكن التدريس ضمن دائرة انشغالاته في مقابل ذلك تفرغه للتأليف، حيث أنهى "الجزء الأول بالوضع والتأليف قبل التنقيح والتهذيب في مدة خمسة أشهر آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبعمائة"<sup>(5)</sup>، ومن خلال بعض الإشارات الخافتة التي أفادنا بها في سيرته الذاتية، يفهم منها أنه عوّل كثيرا على محفوظه، ما يعني أنه كان يفتقر حقيقة إلى خزانة كتب يستعين بها في تحرير فصول كتابه، يبدو أن لهذا النقص علاقة بطبيعة المكان الذي يوجد فيه، باعتباره محالا للبدو. بمعزل عن العمران.

(1) - جبل في نواحي تيهرت. حوله أنظر: البكري، مصدر سابق، 2/ 248. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 163. الحميري، مصدر سابق، ص 126. يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 2/ 242. ابن خلدون، العبر، 6/ 79، 159، 162.

(2) - تسمى كذلك بقلعة "تاوغزوت"، وقد كانت قبلها رباطا للمنقطعين من عرب سويد، تبعد هذه القلعة نحو ستة كلم<sup>2</sup> عن مدينة "فرنندة"، أما "سلامة" الذي تنسب إليه أو إلى بنيه، فهو سلامة بن علي بن نصر بن سلطان رئيس "يدلتن" من بطون "توجين"، وهو الذي اختط القلعة فنسبت إليه. أنظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 2/ 241. ابن خلدون، العبر، 7/ 216 - 218. لمزيد من التفصيل. أنظر:

- Simon Robert, *Ibn Khaldun History as Science and the Patrimonial Empire*, Akadémia kiado, Budapest, 2002, p. 99-102.

(3) - بنو توجين يتفرعون عن بني يادين، أحد بطون زناتة، من أهم فروعها، بنو يدلتن، وبنو قمري، وبنو مادون، وبنو زنداك، وبنو منكوش، وبنو سرغين، وكانت لهم "قلعة بني سلامة"، ومنداس، وانشريس. أنظر: ابن خلدون، العبر، 7/ 206 - 207.

(4) - يفهم من كلام ابن خلدون أن قلعة "بني سلامة" التي لجأ إليها، كانت تضم مجموعة من المساكن. بما فيها "قصر أبي بكر بن عريف" الذي اختطه، ويعتبر من أحفل المساكن وأوثقها. حوله: أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص 187، 188.

(5) - أورد ابن خلدون هذه العبارة في آخر كتابه الأول. أنظر: ابن خلدون، المقدمة، 3/ 1213.

## الفصل الثاني ———— تعدو سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

لكن ما استدعى انتباهي أكثر في هذه المرحلة الدقيقة، هو إشارته الخاطفة حول الكيفية التي كتب بها مسوداته الأولى في "القلعة"، قائلاً "بعد أن أمليت الكثير من حفطي" (1)، مشيراً بشكل صريح إلى لفظ "الإملاء"، وما تقتضيه هذه العملية من وجود شخص ثان يتولى عملية النسخ، فهل هذا يدفع باتجاه القول، أن ابن خلدون قد يكون استعان بأحدهم في كتابة مسوداته الأولى بـ "القلعة" أو بعض أجزائه؟ بكثير من الإحباط لا يمكنني في الوقت الحالي مناقشه مسألة وجود طرف ثان محتمل، قد يكون شارك ابن خلدون في عملية نسخه لمسوداته الأولى، هذا ناهيك عن معرفة هوية الناسخ.

على أية حال، قرر ابن خلدون مغادرة "القلعة" باتجاه مسقط رأسه تونس، حاضرة الحفصيين الأولى، كان ذلك شهر رجب 780 هـ/ أكتوبر- نوفمبر 1378 م، وجاء تبريره لتلك الحركة، ملخصاً في ثلاث أسباب وجيهة (2):

- الاستيحاء من أصحاب البلاط المريني والزياني.

- الحاجة الشديدة للدواوين والكتب، التي لا توجد إلا بالأمصار، من أجل إتمام عملية التنقيح والتصحيح.

- مرض شديد كاد يؤدي بحياته.

- حاضرة الحفصيين تونس، تحتضن النسخة الأولى من "عبر" ابن خلدون.

بعد غياب عن مسقط رأسه تونس، دام حوالي سبعة وعشرين سنة، قرر ابن خلدون العودة إليها من جديد، وكعادته في تأمين طريق العودة، أجرى اتصالات حثيثة مع سلطانها أبي العباس أحمد المستنصر (772 - 796 هـ/ 1370 - 1394 م)، مستعيناً بأحد معارفه القدامى من عرب الدواودة، أحياء يعقوب بن علي، ليتمكن من لقاء السلطان الحفصي بضواحي سوسة، وتحقيق دخوله مدينته تونس في شعبان 780 هـ/ نوفمبر-ديسمبر 1378 م، وخلالها استطاع توطيد علاقته بالسلطان الحفصي (3)، وأصبح أحد المقربين من مجلسه، ومحل استشارته في مهمات

(1) - ابن خلدون، الرحلة، ص 188.

(2) - حولها أنظر: المصدر نفسه، ص 188.

(3) - أوضح ابن خلدون طبيعة العلاقة التي جمعت بالسلطان الحفصي أبي العباس، عقب وفادته عليه قائلاً "أويت إلى ظل ظليل من عناية السلطان، وحرمته وبعثت عن الأهل والولد، وجمعت شملهم في مرعى تلك النعمة، وألقيت عصا التسيار

## الفصل الثاني ———— تعدو سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

الأمر، وقد صحبه في إحدى خرجاته التأديبية، التي شنتها على العرب المنشقين عليه بتلول تبسة<sup>(1)</sup>.

كان ابن خلدون في مدينته تونس، يلقي دروسا على الطلبة<sup>(2)</sup>، وهي ليست تجربته الأولى في التدريس، فقد سبقتها في ذلك تجارب سابقة في حاضرة بجاية، وتلمسان، وفاس، كذلك لا أملك هنا معلومات كافية، قد تشير إلى طبيعة المواد المتداولة في حلقاته، ومن المرجح أن تكون علوم الفقه، وأصوله، والمنطق، وبعض مسائل الحساب، أحد تلك المواد المتداولة، لكن السؤال الذي يفرض نفسه في هذا السياق التاريخي، هل بات من الممكن الآن الافتراض أن ابن خلدون بدأ يلقي مواد تاريخية في حلقاته بتونس بداية من سنة 780 هـ/1378 م؟ مشروعية هذا السؤال الدقيق، تستند على ثلاث اعتبارات مهمة، تدفع كلها باتجاه التأكيد على نضج الوعي التاريخي عند ابن خلدون في هذه المرحلة.

أولاً: أن ابن خلدون قدم إلى تونس، وهو يحمل معه مسوداته الأولى من كتابه التاريخي "العبر" غير مكتملة، أنجز منه الكتاب الأول في "ال عمران البشري" في قلعة "بني سلامة"، معولا على خزانة الكتب التي تحوز عليها حاضرة الحفصيين، حيث أكمل باقي أقسام الكتاب، هذا وقد أخبرنا على الأقل باشتغاله على تأليفه التاريخي مدة إقامته بتونس في موضعين من عبره، خلال سنة 781 هـ/1379 م<sup>(3)</sup>، وسنة 784 هـ/1382 م<sup>(4)</sup>، وتعتبر تغطيته التاريخية الدقيقة للسنوات الأربع، التي قضاها في كنف السلطان الحفصي أبي العباس الممتدة من 780-784 هـ/1378-1382 م، من أهم المقاطع التاريخية التي كتبها في المرحلة التونسية، وقد بدا فيها ابن خلدون منحازا بشكل لافت إلى سياسة البلاط الحفصي، كما اكتسبت أخبار السلطان المذكور

---

... فأقبل عليّ وأستدناني لمجالسته، والنجى في خلوته"، كما ذكر أنه كان يملك زروعا ضمت إلى ضيعته بالرياحين بنواحي تونس. أنظر: المصدر نفسه، ص ص 189-190، 198.

(1) - حولها أنظر: ابن خلدون، العبر، 571/6. الرحلة، ص 198.

(2) - يذكر ابن خلدون جلوسه للتدريس عقب وصوله مدينة تونس بقوله "ولما قدمت تونس انثال عليّ طلبة العلم من أصحابه وسواهم يطلبون الإفادة والاشتغال وأسعفتهم بذلك". أنظر: المصدر نفسه، ص 190.

(3) - جاء مصرحا بذلك "والحال متصلة على ذلك لهذا العهد آخر سنة إحدى وثمانين وسبعمائة أيام إشرافنا على هذا التأليف". أنظر: العبر 7/456.

(4) - جاء مصرحا بذلك "كنت أنهيت بتأليف الكتاب إلى ارتجاع توزر من أيدي بني يملول وأنا يومئذ مقيم بتونس ثم ركب البحر منتصف أربع وثمانين وسبعمائة". المصدر نفسه، 6/574.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

أهمية خاصة في عبره، أين خصص له مساحة معتبرة<sup>(1)</sup>، ووصف فترة حكمه بكثير من المدح والإطراء<sup>(2)</sup>.

ثانياً: تصريح ابن خلدون، الذي أكد فيه على أن السلطان الحفصي كان وراء تحفيزه في الاكباب على تكملة تاريخه<sup>(3)</sup>، يشير ليس فقط إلى معرفة البلاط الحفصي بالاهتمامات التاريخية لابن خلدون، بل إن ذلك التحفيز الذي أبانه السلطان تجاه عمل ابن خلدون، يأتي في سياق اهتمام السلاطين الحفصيين بالمعرفة التاريخية، هذا ومن غير المستبعد أن يكون الوسط العلمي، خصوصاً طلبة وشيوخ مدينة تونس، على معرفة بالاهتمامات التاريخية لابن خلدون في تلك السنوات.

ثالثاً: تكمن في نجاح ابن خلدون في إتمام كتابه التاريخي، وقد قام بإهداء نسخة منه إلى خزانة السلطان الحفصي أبي العباس المستنصر سنة 784 هـ/1382 م، مرفقة بقصيدة مدح لصالح السلطان المذكور<sup>(4)</sup>.

وبذلك يكون ابن خلدون قد اشتغل على إصداره الأول مدة ثماني سنوات 776-784 هـ/1374-1382 م، وعلى حسب وصفه لمحتويات النسخة التونسية، فهي تضم أخبار البربر وزناتة، وما وصل إليه من أخبار الدولتين (الأموية والعباسية) وما قبل الإسلام، يضاف إليها نص الإهداء للسلطان الحفصي<sup>(5)</sup>، والمؤكد أن هذه النسخة الأم نفيسة (archétype)<sup>(6)</sup>، التي

(1) - المصدر نفسه، 6/549-582.

(2) - يكفي في هذا قراءة العبارات التي يصف فيها ابن خلدون اعتلاء هذا السلطان عرش السلطنة بالقول "ولاذ الناس بالملك الرحيم والسلطان العادل وثمانوا عليه تهافت الفراش على الذبال يلثمون أطرافه ويجدون بالدعاء له ويتنافسون في انتقاس مجيده". أنظر: المصدر نفسه، 6/556.

(3) - أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص 190. المقريري، درر العقود، 2/394.

(4) - حول محتوى نص الإهداء. أنظر: ملحق رقم (02).

(5) - ابن خلدون، الرحلة، ص 190. كذلك تحدث عنها بالتفصيل عبد الرحمن بدوي: مؤلفات ابن خلدون، ط2، الدار العربية للكتاب، تونس، طرابلس، 1979، ص 71-73.

(6) - حول مفهوم "النسخة الأم" في علم مصطلح المخطوط العربي، وأهمية الوصول إليها في تحقيق النصوص. أنظر: أحمد شوقي بنين: دراسات في علم المخطوط والبحث الببليوغرافي، ط2، المطبعة والوراقة الوطنية الحمي الحمدي، مراكش، 2004، ص 31-32. وتعتبر مخطوطة المقدمة الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم (BN 1577)، إحدى النسخ التي انبثقت عن النسخة الظاهرية، كما أنها من النسخ التي رجع إليها المحقق الفرنسي (M. Quatremère)، في تحقيقه لنص



## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

انبثقت عنها باقي نسخ "العبر"، هي النسخة الأقدم والأكثر إيجازاً، والأقل حجماً كذلك، مقارنة بباقي النسخ الصادرة عن مؤلفها في وقت لاحق، فهي لا تنطرق إلى الأحداث التي جاءت بعد سنوات 784 هـ / 1382 م، وهي المرحلة التي قضاها في مصر بما فيها سيرته الذاتية.

استقرت أولى نسخ كتاب "العبر" في خزانة السلطان الحفصي أبي العباس، قبل شهر شعبان 784 هـ / أكتوبر - نوفمبر 1382 م، ويبقى السؤال المشروع هنا، والذي لا أجد له إجابة مقنعة على الأقل في الوقت الحالي، ما هو الصدى الذي أحدثته هذه النسخة الخزانة النفيسة (Manuscript bibliophile)<sup>(1)</sup>، بعيد صدورها بمدينة تونس؟ وهل تم تداولها في الوسط العلمي بالمدينة في تلك المرحلة المتقدمة؟ ومن ثمة هل هناك إمكانية الحديث عن انتشارها في باقي حواضر المغرب الوسيط؟ من المحازفة بما كان مناقشة هذه النقطة الحساسة في تاريخ نص "العبر" الذي بدأ مغرباً وتطور في البلاد المصرية، نظراً لشح المادة الخبرية والكوديكولوجية المتعلقة به، غير أن الشيء المؤكد في هذا الخصوص، أن جملة المضايقات التي تعرض لها ابن خلدون مدة إقامته بتونس، والتي وجه فيها أصابع الاتهام إلى بطانة السلطان، بما فيهم "شيخ الفتوى وإمام الجامع"، الفقيه ابن عرفة الورغمي (ت 803 هـ / 1400 م)، ليست لها علاقة مباشرة بأبحاثه التاريخية<sup>(2)</sup>، لكن تلك الأجواء المشحونة التي أربكت وجود ابن خلدون بمدينة تونس، قد دفعت به إلى اتخاذ قرار المغادرة بحراً باتجاه البلاد الشرقية، وانتهى به المطاف مستقراً بالقاهرة.

— من القاهرة المملوكية، ابن خلدون يصدر نسخاً معدلة من عبره:

قضى ابن خلدون نحو ثلاث وعشرين سنة في البلاد المصرية، تصدر خلالها للإقراء بأهم

المقدمة.

(1) - وهي "النسخ المكتوبة بخط جميل وورق ثمين وغلّاف مزدان بالذهب برسم خزانة خاصة كخزانة وزير أو سلطان". حولها أنظر: أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي: معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، ط3، المطبعة والوراقة الوطنية الحمي المحمدي، مراكش، 2005، ص 321.

(2) - يرجع ابن خلدون سبب توتر العلاقة بينه وبين الشيخ ابن عرفة الورغمي، إلى غيرة هذا الأخير من التفوق الذي أحرزه عليه ابن خلدون في مجالس شيوخه منذ مراحل النشأة، وقد زاد هذا الشيخ في التضييق على ابن خلدون بعد توطؤه مع بطانة السلطان الحفصي. أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص 190، 198. كما أعرب الشيخ ابن عرفة في أثناء تواجده بالقاهرة، انتقاصه لمكانة ابن خلدون بعد توليه منصب القضاء بالقاهرة. حول ذلك أنظر: السخاوي، الضوء اللامع، 4/ 146.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

المراكز العلمية الموجودة في القاهرة، منها المدرسة القمحية، والصرغتمشية، وجامع الأزهر، وحناقه سعيد السعداء<sup>(1)</sup>، إضافة إلى توليه منصب قاضي قضاة المالكية نحو ست مرات<sup>(2)</sup>، وعلى مدار تلك المدة الطويلة، قام ابن خلدون بمراجعة كتابه التاريخي، وأضاف إليه فصولا كثيرة، ليزداد حجم الكتاب بشكل كبير مقارنة بالنسخة التونسية الأولى، وعلى ما يبدو أن ابن خلدون قد انتفع كثيرا من مرحلة عزله عن منصب القضاء<sup>(3)</sup>، والممتدة بين سنوات 787-801 هـ/ 1385-1398 م، حيث تفرغ فيها للتأليف والتدريس<sup>(4)</sup>.

توجت مرحلة التفرغ تلك، بإصداره على الأقل نسختين من كتابه، الأولى كان الفراغ من احداها سنة 797 هـ/ 1394 م، وتعرف بالنسخة "الظاهرية"، نسبة للسلطان المملوكي المهداة إليه، الظاهر برقوق (784-801 هـ/ 1382-1398 م)، وبعدها بزمن قليل أصدر نسخة ثانية برسم السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز، وتعرف بالنسخة "الفارسية"<sup>(5)</sup>، أوقفها في تحبيسته الشهيرة على خزانة جامع القرويين في 21 صفر 799 هـ/ 23 نوفمبر 1396 م، وسوف أعود إليها بالتفصيل في الفصل الرابع.

لم يتوقف ابن خلدون عن إجراء الإضافات والتصحيحات، التي كان يراها مهمة بعد إصداره للنسخة الفارسية، حيث واصل تدوين أخباره إلى أواخر ذي القعدة سنة 807 هـ/ أبريل-ماي 1405 م<sup>(6)</sup> أي قبيل وفاته بعدة أشهر، وهي النسخة الأحدث الصادرة عنه.

وفيما يخص مجموع الإضافات والتعديلات التي أدخلها على كتابه مدة إقامته بمصر، ليلعب حجمه الكبير المتداول بين أيدينا اليوم، يبدو أنها مسّت بشكل مباشر مقاطع بعينها على ما

(1) - حولها أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص ص 201، 204، 221، 222، 226، 232، 234، 245، 272، 275. كذلك أشار المقرئزي إلى تصدده للتدريس بالجامع الأزهر. أنظر: السلوك، 5/ 143.

(2) - أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص ص 205، 226، 272، 300. المقرئزي، السلوك، 6/ 37، 60، 79، 101، 122، 156. المقرئزي، درر العقود، 2/ 395-396، 398.

(3) - تحدث ابن حجر العسقلاني، المناوي لابن خلدون، عن أسباب عزل ابن خلدون عن منصب القضاء في تلك المرحلة. حولها أنظر: ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر، ص 233.

(4) - أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص ص 271، 272.

(5) - حول محتوى نص الإهداء الموجود بالنسخة الفارسية. أنظر: ابن خلدون، المقدمة، 1/ 288-290.

(6) - وهي آخر الأخبار التي تحدث فيها ابن خلدون عن تولي القاضي جمال الدين البساطي قضاء المالكية بدلا عنه. أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص 300.

أوضحه في النقاط التالية:

- إضافته فصول وتعديلات جوهرية على مضمون الكتاب الأول "العمران" <sup>(1)</sup>.
- إدخال تعديلات كثيرة على فصول الكتاب الثاني، المتعلق أخبار العرب ومن عاصرهم من مشاهير الأمم.
- إضافة الفصل المتعلق بإخبار الترك ومبدأ أمرهم ودولهم <sup>(2)</sup>، وتغطي أخباره الجزء الخامس من "العبر" في طبعاته الحديثة <sup>(3)</sup>.
- تدوين أخبار بلاد المغرب، تلك التي جاءت بعد سنة 784 هـ / 1382 م.
- إضافة آخر فصول الكتاب المتعلق بسيرته الشخصية، الذي وصلنا تحت عنوان "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا".
- تمكن ابن خلدون من إجراء الكثير من التعديلات على كتابه التاريخي، من مكان إقامته بالقاهرة، كما أصدر مجموعة مهمة من نسخ الكتاب بداية من سنة 784 هـ / 1382 م، منها ثلاثة نسخ خزائنية، كما كان الكتاب إحدى المواد المتداولة في حلقاته في أثناء إقامته بالقاهرة، وقد أدلى تلميذه المقرئ بشهادة مهمة حول كثرة تلامذته بالقول "فانثال عليه طلاب العلم وكان عددهم حينئذ موفور... فالتمسوا منه الإفادة فأجابهم إلى ذلك وانتصب للتدريس بالجامع الأزهر" <sup>(4)</sup>، كما غلب على مجلسه تلقين مواد الأصول والمنطق، على غرار كتاب

<sup>(1)</sup> - تتبع عبد السلام الشدادي في مقدمة تحقيقه لمقدمة ابن خلدون، معظم الإضافات التي أجراها ابن خلدون على نص المقدمة عبر مراحلها المختلفة، وقد توصل إلى عدة نتائج تفيد بأن حجم نص المقدمة قد زاد بنسبة أكثر من النصف في المرحلة الأخيرة، كما قام ابن خلدون بحذف عدد من الفصول وأضاف أخرى، كما أعيدت صياغة البعض منها، ما يعني أنه نقح النص بأكمله بمئات من التعديلات والإضافات الجزئية.

<sup>(2)</sup> - جاء الفصل المخصص للترك والتتر تحت عنوان "الخبر عن الدولة السلجوقية من الترك المستولين على ممالك الإسلام ودوله بالمشرق كلها إلى حدود مصر ومستبدين على الخليفة ببغداد من خلافة القائم إلى هذا الزمان وما كان لهم من الملك والسلطان في أقطار العالم وكيف فعلوا بالعلماء وحجروهم وما تفرع عن دولتهم من الدول".

<sup>(3)</sup> - حول تفاصيل تلك التعديلات. أنظر: عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص 81-82.

<sup>(4)</sup> - درر العقود، 2/ 395. السلوك، 5/ 143.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

ابن الحاجب (ت 646 هـ / 1248 م) في الأصول<sup>(1)</sup>، و"العقيدة البرهانية" في الأصول لأبي عمرو عثمان السلاجلي (ت 574 هـ / 1178 م)<sup>(2)</sup>، وكتاب "الجمل" للخونجي في المنطق<sup>(3)</sup>، إضافة إلى كتاب "الجامع الصحيح" للبخاري (ت 256 هـ / 870 م)<sup>(4)</sup>.

لا نعرف الكثير عن تلامذته بالقاهرة<sup>(5)</sup>، خصوصاً ممن تلقوا عنه كتابه التاريخي "العبر"، سوى ما كشفت عنه بعض المعطيات المهمة، وفي مقدمتهم تلميذه المقرئ، الذي يشير إليه بـ "شيخنا أستاذ الزمان صاحب القلم الأعلى ببلاد المغرب وقاضي القضاة بديار مصر"<sup>(6)</sup>، كما أظن في مدح كتاب شيخه بقوله "وهو نادرة عجيبة ودرة بديعة غريبة، سيما مقدمته التي لم يعمل عليها مثيلها"<sup>(7)</sup>، كما استفاد منه في بعض التراجم والأخبار المغربية<sup>(8)</sup>، ومن

(1) - وهو كتاب مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، تحقيق نذير حمادو، دار ابن حزم، بيروت، 2006، 2 مج. وقد أشار المقرئ، درر العقود، 2/ 395. إلى قيام ابن خلدون بتدريس الكتاب في مجلسه بالقاهرة، كذلك هو أحد الكتب التي قرأها عليه تلميذه الأندلسي أبو عبد الله الحارثي: برنامج شيوخه، تحقيق محمد أبو الأحفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص 25.

(2) - أحد المؤلفات التي صرح تلميذه الحارثي بقراءته عليه في مجلسه بالقاهرة. أنظر: المصدر نفسه، ص 25.

(3) - أنظر: المقرئ، درر العقود، 3/ 89.

(4) - أحد المؤلفات التي صرح تلميذه الحارثي بقراءته عليه في مجلسه بالقاهرة. أنظر: الحارثي، مصدر سابق، ص 25.

(5) - صرح المقرئ بمهوية عدد من التلامذة، الذين التقى بهم في مجلس شيخه ابن خلدون منهم: القاضي شهاب الدين بن نور الدين الصعدي العدني (ت 807 هـ / 1404 م)، والأمير المغربي محمد بن السلطان المريني عبد الحليم المدعو "حلي بن أبي علي"، الذي وفد إلى القاهرة سنة 799 هـ / 1396 م. والشيخ نجم الدين الباهي الحنبلي (ت 802 هـ / 1399 م)، والشيخ التونسي المالكي المعروف الوائوغي، أبا عبد الله محمد (ت 819 هـ / 1416 م). أنظر: درر العقود، 1/ 193، 307، 89/ 3، 207.

(6) - يشيد المقرئ بشيخه ابن خلدون في أغلب المواضع التي ورد ذكره فيها، منها قوله: "شيخنا أستاذ الزمان صاحب القلم الأعلى ببلاد المغرب وقاضي القضاة بديار مصر"، و"شيخنا الأستاذ أبا زيد"، و"الأستاذ قاضي القضاة"، و"شيخنا". أنظر: المصدر نفسه، 1/ 117، 193، 307، 2/ 221، 3/ 207. السلوك، 5/ 143، 6/ 37، 44، 54، 58، 60، 79، 101، 122، 156، 164.

(7) - حول تقرئ الذي خص به المقرئ كتاب "العبر"، بما فيها مقدمته. أنظر: درر العقود، 2/ 403.

(8) - صرح المقرئ أنه نقل الترجمة التي خصصها للسلطان المريني أبي سالم إبراهيم، وغيرها من أخبار بني مرين عن شيخه ابن خلدون، كذلك نقل عنه قصيدة ابن الخطيب السلماي، التي يستصرخ فيها السلطان المريني أبي سالم إبراهيم، وقد حدد تاريخ الإملاء بيوم الخميس منتصف صفر سنة 794 هـ / 11 جانفي 1392 م. المصدر نفسه، 1/ 117، 121.

## الفصل الثاني ———— تعدو سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

تلامذته كذلك تلميذه ابن عمار الذي أعاب عليه السخاوي<sup>(1)</sup> إشادته بشيخه ابن خلدون وكتابه التاريخي، أما تلميذه ابن حجر العسقلاني الذي اجتمع بشيخه ابن خلدون مرارا، وأخذ عنه كتابه التاريخي، فقد تحدث عن نسخة "العبر" التي تقع في سبعة مجلدات ضخمة، وأعاب عليه فصوله المتعلقة بالأخبار المشرقية<sup>(2)</sup>.

وعلى أهمية معرفة هوية تلامذة ابن خلدون من المشاركة، الآخذين عنه كتابه التاريخي في أثناء إقامته بالقاهرة، تبقى معلوماتي حول هوية تلامذته المنحدرين من بلاد المغرب شحيحة جدا، وكل ما يمكنني قوله في هذا الخصوص، أن الأندلسي أبا عبد الله محمد المجاري (ت 863 هـ/1458 م)، قد أدرج ابن خلدون ضمن قائمة شيوخه، الذين قرأ عليهم في أثناء رحلته المشرقية، وفي القاهرة التحق بمجلس شيخه، حيث كان هذا الأخير يلقي دروسا في علم الأصول<sup>(3)</sup>، كما أكد المجاري على تحمله لكتاب "العبر"، إجازة على شيخه المصنف ابن خلدون، ونسخة "العبر" التي يتحدث عنها في برنامجه، تقع في نحو احد عشر سفرا، يفسر هذا الاختلاف في عدد تجزئة الكتاب، إلى كثرة نسخه واختلاف حجمها، ومصنفها بقيد الحياة.

### – المشروع التاريخي الخلدوني، انطلاقة مغربية تنتهي بتدوين تاريخ عالمي جزئي:

يبدو واضحا أن الإشكالية التي أحاول طرحها للنقاش في هذه المرحلة، تكمن في فهم طبيعة المسار للمشروع التاريخي الخلدوني<sup>(4)</sup>، فقراءة بعض الفقرات في ديباجة الكتاب، تؤكد على أن ابن خلدون كان هدفه الأساسي هو الاختصاص بتدوين أخبار المغرب والأمم التي عمرته من العرب والبربر دون سواهما، ما يعني أنه شرع كمرحلة أولى، الاختصاص في تدوين

(1) نقل السخاوي التقرير الذي كتبه ابن عمار الذي يشيد بشيخه ابن خلدون، وكتابه التاريخي بقول "الأستاذ المنوه بلسان سيف المحاضرة وسحبان أدب المحاضرة...وله من المؤلفات التي هي كالسحر التاريخ العظيم المترجم بالعبر في تاريخ الملوك والأمم والبربر وحوت مقدمته جميع العلوم وجلت عن محبتها ألسنة الفصحاء فلا تروح ولا تحوم". أنظر: السخاوي، الضوء اللامع، 4/ 149.

(2) حول النقد الشديد الذي وجهه ابن حجر العسقلاني لابن خلدون وكتابه التاريخي. أنظر: ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر، ص 236-237. إنباء العمر، 2/ 340. السخاوي، الضوء اللامع، 4/ 148.

(3) - المجاري: مصدر سابق، ص 25.

(4) - حول إشكالية الحقل التاريخي لابن خلدون، وعلاقته بنظريته في التاريخ. أنظر: علي أومليل، الخطاب التاريخي دراسة منهجية ابن خلدون، ص 165-214.

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

تاريخ المغرب، وهنا أقف عند تصريحين له، الأول يظهر في قوله "فأنشئت في التاريخ كتابا رفعت به عن أحوال الناشئة من الأجيال حجابا...وبنيته على أخبار الأمم الذين عمروا المغرب في هذه الأعصار...ومن سلف الملوك والأنصار، وهم العرب والبربر، إذ هما الجيلان اللذان عرفا بالمغرب مأواهما..."<sup>(1)</sup>، أما التصريح الثاني فقولته "وأنا ذاكر في كتابي هذا ما أمكنني منه في هذا القطر المغربي إما صريحا أو مندرجا في أخباره وتلويجا لاختصاص قصدي في التأليف بالمغرب وأحواله وأجياله وأمه وذكر ممالكه ودوله دون ما سواها من الأقطار..."<sup>(2)</sup>.

الكتاب الثالث المخصص لتاريخ البربر المعنون بـ "في أخبار البربر ومن إليهم من زناة وذكر أوليتهم وأجيالهم وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول"، قد أنهى مصنفه الاشتغال عليه بشكل شبه كلي في المرحلة المغربية، وتمثله هنا النسخة التونسية، استعان فيه بمرويات بعض شيوخه، ومعارفه وأصحابه، لكنه أولى أهمية كبيرة لمشاهداته الشخصية باعتباره شاهد عيان، وعنصرا فاعلا في كثير من الأحداث المغربية في النصف الثاني من القرن 8 هـ/ 14 م، أين أجده يوظف صيغة المتكلم في مواضع كثيرة في هذا الجزء من "العبر"، منها قوله: كنت، وحضرت، وشهدت، وجلست، ورأيت... الخ، وهي أخبار تكتسي أهمية بالغة حول تاريخ المغرب في تلك المرحلة الحساسة.

أما مصادره المكتوبة في هذا القسم، فقد صرح باستعانه بعدد من الأعمال الإخبارية المهمة، والمؤكد أن قسما كبيرا منها قد اطلع عليه في أثناء تواجده ببلاد المغرب، أي قبل مغادرته إلى الديار المصرية، مدة إقامته الأخيرة بمسقط رأسه تونس، سنوات 780-784 هـ/ 1378-1382 م، خصوصا وأن حاضرة الحفصيين الأولى، كانت تزخر بعدد كبير من خزائن الكتب المختلفة، وبالتأكيد فقد ضمت بين رفوفها الدواوين النفيسة، وفي ظل ضياع نسخة "العبر" التونسية، من الصعوبة بما كان الكشف على عناوين المصادر الإخبارية، التي شكلت المنطلق الاسطوغرافي الأول الذي بنى عليه كتابه التاريخي، ناهيك عن معرفة هوية النسخ التي كانت متوفرة في بلاد المغرب، على الأقل في النصف الثاني من القرن 8 هـ/ 14 م، لذلك فقد ترتب علي كخطوة أساسية، استخراج قائمة مصادره التي صرح بالنقل عنها في القسم الثالث

(1) - ابن خلدون، المقدمة، 1/ 285.

(2) - المصدر نفسه، 1/ 326.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) (التاريخي خارج مجتمع البلاط).

من "العبر"، الذي وصلنا في النسخ الصادرة عنه في المرحلة المصرية، على اعتباره أنه القسم المغربي الذي لم يدخل عليه تعديلات جوهرية في تلك المرحلة، وبالتأكيد فإن مجموعة من هذه المصادر نجدها كذلك ضمن قائمة مصادره التي استعان بها في تحرير القسم الثاني من الكتاب، وتوضيحا لذلك، إليك قائمة بأسماء المصادر التي استعان بها في تحرير فصوله المتعلقة بتاريخ المغرب:

الانتماء الجغرافي للمصدر			القرن
مشرقي	أندلسي	مغربي	
ابن الكلبي (ت 204 م/218 م) <sup>(2)</sup> - ابن عبد الحكم (ت 257 هـ / 870 م) <sup>(3)</sup> - ابن قتيبة (ت 276 هـ / 889 م) <sup>(4)</sup> - الطبري (ت 310 هـ / 922 م) <sup>(5)</sup>		أبو الحسن النوفلي (ق 3 هـ / 9 م) <sup>(1)</sup>	3 هـ / 9 م
الصولي (ت 335 هـ / 946 م) <sup>(8)</sup> - المسعودي (ت 345 م)	ابن سعيد القرطبي (ت 370 هـ / 980 م) <sup>(7)</sup>	الرقيق القيرواني (ت 420 هـ / 1029 م) <sup>(6)</sup>	4 هـ / 10 م

(1) - ابن خلدون، العبر، 3/ 258-259.

(2) - أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي صاحب كتاب "جمهرة النسب"، نقل عنه ابن خلدون في نسب البربر. أنظر: المصدر نفسه، 34/6، 43، 54، 78، 95، 113، 117، 123، 139، 195، 201، 202.

(3) - المصدر نفسه، 6/ 145. 9/7.

(4) - اعتمد عليه ابن خلدون في الكتاب الثاني والثالث من العبر. أنظر: المصدر نفسه، 2/ 64، 73، 346. 4/ 10. 6/ 122. 7/ 4، 6.

(5) - نقل عنه ابن خلدون في الكتاب الثاني والثالث. أنظر: المصدر نفسه، 2/ 8، 9، 14، 23، 24، 26، 27، 28، 30، 31، 36، 38، 41، 42، 48، 55، 59، 60، 62، 64، 67، 72، 75، 76، 81، 88، 93، 99، 102، 103، 104، 109، 110، 118، 121، 123، 124، 125، 129، 135، 170، 171، 182، 183، 184، 187، 188، 190، 191، 192، 198، 199، 202، 210، 216، 284، 312، 313، 314، 315، 316، 322، 323، 325، 357، 399، 401، 425، 478، 479، 488. 3/ 19. 24، 282، 386. 4/ 287. 6/ 122، 123، 124، 195، 201، 202. 7/ 102.

(6) - يسميه ابن خلدون "ابن الرقيق"، وقد اعتمد عليه في الكتاب الثاني والثالث. أنظر: المصدر نفسه، 4/ 57، 260-261. 6/ 139، 154، 196، 210. 7/ 18، 78، 57، 58، 78، 102، 206.

(7) - ينقل من كتابه الذي ذيل به على تاريخ الطبري. أنظر: المصدر نفسه، 4/ 114، 118، 119، 137، 140، 142، 173، 174، 279، 281، 282، 287، 385. 6/ 138، 264، 265، 266، 172.

(8) - المصدر نفسه، 4/ 142، 146. 6/ 123.

الفصل الثاني ———— تعدو سارات (التروين) (التاريخي خارج مجتمع البلاط.

هـ/956 م <sup>(1)</sup> - الجرجاني النسابة (ت 366 هـ/976 م) <sup>(2)</sup>		مؤلفات النسابة البربر	
	ابن حزم (ت 456 هـ/1063 م) <sup>(3)</sup> - ابن عبد البر (ت 463 هـ/1070 م) <sup>(4)</sup> - البكري (ت 487 هـ/1094 م) <sup>(5)</sup>		5 هـ / 11 م
	السهيلي (ت 581 هـ/1185 م) <sup>(10)</sup> - ابن بشكوال (ت 578 هـ/ 1183 م) <sup>(11)</sup>	ابن أبي الصلت (ت 529 هـ/1134 م) <sup>(6)</sup> - الوراق (حيا سنة: 555 هـ/1160 م) <sup>(7)</sup> - الإدريسي (ت 560 هـ/1164 م) <sup>(8)</sup> - البيذق (ق: 6 هـ/12 م) <sup>(9)</sup>	6 هـ / 12 م

<sup>(1)</sup> - المصدر نفسه، 6/ 120، 123، 132، 153، 185، 7/ 149.

<sup>(2)</sup> - له كتاب في الأنساب، ينقل عنه ابن خلدون في الكتاب الثاني والثالث. أنظر: المصدر نفسه، 2/ 24، 26، 31، 39، 64، 65، 66، 323، 325، 329، 335، 356، 373، 6/ 16، 122.

<sup>(3)</sup> - استند إليه ابن خلدون في موضوع النسب، في الكتاب الثاني والثالث. أنظر: المصدر نفسه، 2/ 9، 36، 48، 53، 54، 58، 59، 73، 251، 292، 293، 296، 298، 299، 302، 304، 305، 371، 372، 416، 3/ 386، 4/ 24، 127، 145، 142، 147، 148، 286، 289، 290، 5/ 500، 6/ 11، 16، 26، 117، 119، 120، 122، 127، 152، 153، 158، 168، 174، 183، 196، 200، 270، 7/ 4، 5، 8، 18.

<sup>(4)</sup> - اعتمد ابن خلدون على كتابه المعنون بـ"التمهيد في الأنساب". أنظر: المصدر نفسه، 6/ 122، 126، 264.

<sup>(5)</sup> - المصدر نفسه، 2/ 396، 4/ 287، 6/ 123، 125، 126، 185، 276، 278.

<sup>(6)</sup> - المصدر نفسه، 6/ 222.

<sup>(7)</sup> - المصدر نفسه، 6/ 283، 286.

<sup>(8)</sup> - المصدر نفسه، 4/ 127، 5/ 495، 583، 6/ 265.

<sup>(9)</sup> - المصدر نفسه، 6/ 370.

<sup>(10)</sup> - المصدر نفسه، 2/ 5، 24، 31، 43، 49، 52، 53، 58، 59، 60، 62، 67، 73، 74، 76، 84، 87، 182، 188، 194، 202، 205، 286، 290، 304، 311، 315، 323، 342، 346، 356، 358، 370، 396، 397، 399، 400، 403، 404، 405، 6/ 123.

<sup>(11)</sup> - المصدر نفسه، 4/ 204.



	ابن النخيل (ت 618 هـ/1221 م) (4) - ابن سعيد (ت 685 هـ/1276 م) (5) - ابن المرحل (ت 699 هـ/1299 م) (6)	ابن حمادو البرنسي (ت 628 هـ/1230 م) <sup>(1)</sup> - ابن القطان (ت 628 هـ/1230 م) <sup>(2)</sup> - ابن رشيق المرسي السبتي (حيا سنة 677 هـ/1278 م) <sup>(3)</sup>	7 هـ/13 م
		التيجاني (ت 717 هـ/1317 م) - الزليحي - ابن أبي زرع الفاسي (حيا سنة 726 هـ/1325 م)	8 هـ/14 م

من خلال معطيات الجدول أعلاه، أمكنني التوصل إلى بعض النتائج، أجمالها في النقاط التالية:  
أولاً: قائمة المصادر الإخبارية المعروضة أمامي، وعلى اختلاف انتماءاتها بين مصنفات مغربية، وأندلسية، ومشرقية، التي استفاد منها في تحرير الفصول المتعلقة بتاريخ المغرب، من زمن الفتح الإسلامي إلى النصف الثاني من القرن 8 هـ/14 م، لا تختلف كثيراً عن قائمة المصادر الإخبارية التي عوّل عليها عدد من المهتمين بالخبر التاريخي في النصف الأول من القرن 8 هـ/14 م، الأمر الذي يوحي بالمكانة المتميزة التي حظيت بها هذه الأعمال الإخبارية، وانتشار نسخها في تلك المرحلة.

ثانياً: بالتأكيد أن مجموعة كبيرة من عناوين الكتب المذكورة أعلاه، كان ابن خلدون يملك نسخاً منها أو على الأقل كانت بعض نسخها تحت نظره في أثناء تحرير لفصول الكتاب، فقد

(1) - المصدر نفسه، 6/235. 57/7.

(2) - المصدر نفسه، 6/301.

(3) - المصدر نفسه، 6/301.

(4) - المصدر نفسه، 6/222، 261، 371.

(5) - أنه على أن ابن خلدون عوّل كثيراً على الأخبار التي أوردها ابن سعيد المغربي، إلا أنه في بعض الأحيان يذكر مباشرة المصادر التي ينقل عنها ابن سعيد، على غرار كتاب البيهقي، "البدء والتاريخ"، و"تواريخ الأمم"، دون الإشارة إليه، فيقع اللبس في معرفة هوية المصدر الذي ينقل عنه. أنظر: المصدر نفسه، 2/9، 14، 22، 30، 34، 37، 38، 53، 59، 66، 67، 78، 80، 293، 296، 299، 303، 305، 307، 324، 325، 331، 333، 336، 337، 338، 343، 346، 366، 371، 373، 7/6، 9، 16، 26، 79، 95.

(6) - المصدر نفسه، 6/123.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) (التاريخي خارج مجتمع البلاط)

صرح بإطلاعه على نسختين نفيستين، الأولى نسخة عتيقة من كتاب "النسب" لابن الكلبي<sup>(1)</sup>، وهي نسخة أندلسية يعود تاريخ نسخها إلى القرن 6 هـ/ 12 م، وتستمد هذه النسخة نفاستها في كونها مكتوبة بخط أبي القاسم بن حبيش (ت 584 هـ/ 1188 م)، المشتهر بـ "صحة الضبط والإتقان لما قيده ورواه" في الترجمة التي خصصها له ابن الأبار (ت 658 هـ/ 1259 م) في تكملته<sup>(2)</sup>، أما النسخة الثانية التي صرح ابن خلدون بمعاينتها، فهي نسخة نفيسة من كتاب "الجمهرة" لابن حزم، وإن كان ابن خلدون لا يذكر تاريخ ومكان نسخها أو هوية ناسخها، لكن المؤكد أنها نسخة نفيسة منبثقة عن الأصل المكتوب بخط المصنف ابن حزم، استنادا إلى مضمون إحدى الطرز التي كتبت على حاشيتها بخط الناسخ، واطلع عليها ابن خلدون، واستفاد منها كذلك فيما يخص بطون "بني ثعلبة بن وائل"<sup>(3)</sup>.

**ثالثا:** رغم الانتقاد الشديد الذي وجهه ابن خلدون للأعمال التي سبقته، وخاصة كتابات الطبري<sup>(4)</sup> والمسعودي، إلا أننا نجده يستفيد من روايتهم بشكل واسع، بل تكاد معلوماته حول القرون الهجرية الثلاث الأولى للشعوب الإسلامية وغيرها، عبارة عن ملخصات لما جاء به الطبري بشكل أساسي، الأمر الذي يعكس إلى حد كبير الأهمية القصوى التي تحظى بها الأعمال الإخبارية، التي أنجزتها المدرسة التاريخية المشرقية خلال القرون الهجرية الأربعة الأولى.

**رابعا:** رغم تحاشي ابن خلدون في كثير من المرات ذكر مصادره الإخبارية، لكنه في مقابل ذلك نجده يصرح بالنقل على ثلاث مصادر إخبارية قريبة منه، من أعمال النصف الأول من القرن 8 هـ/ 14 م، نعرف منها اثنين هما: رحلة التيجاني، التي استعان بها في أخبار بني غانية<sup>(5)</sup>، وابن أبي زرع الفاسي حول بدايات المرابطين وأولية بناء مدينة فاس، والعمل الثالث فهو كتاب

(1) - المصدر نفسه، 55/2.

(2) - مصدر سابق، 34-36.

(3) - حدد ابن خلدون مكان هذه الحاشية في نسخة التي رجع إليها من كتاب "الجمهرة"، وقال أنها توجد بجانب كلام ابن حزم عن بطون بني ثعلب بن وائل، أحد القبائل المتفرعة عن ربيعة. أنظر: ابن خلدون، العبر، 4/290.

(4) - يعترف ابن خلدون أنه ينقل الأحداث المتعلقة بصدر الإسلام (الخلافة - أحداث الردة - حركة الفتوحات - أحداث الفتنة الكبرى) من تاريخ الطبري، لأنه أوثق كتاب تاريخي يمكن التعويل عليه في كتابة أحداث تلك الفترة الحرجة. حولها أنظر: المصدر نفسه، 2/650.

(5) - المصدر نفسه، 255/6، 258، 430.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

"الزليحي" الضائع، لمؤرخ دولة بني مرين، وقد أشرت إليهما في وقت سابق.

وبخصوص مصادره الإخبارية المتعلقة بأخبار المغرب، التي جاءت بعد استقراره بالقاهرة سنة 784 هـ / 1382 م، فقد عول فيها على ما أخبره به بعض المغاربة الواردين إلى الديار المصرية، صرح بذلك في قوله "ثم ركب البحر في منتصف أربعة وثمانين وسبعمائة... ثم صارت أخبار المغرب تبلغنا على السنة الواردين"<sup>(1)</sup>، هذا ومن غير المستبعد أن يكون الحجاج المغاربة أحد أهم مخبريه في تلك المرحلة<sup>(2)</sup>، وقد أمكنني الكشف عن هوية اثنين من الحجاج الذين التقى بهم قبل صدور نسخة "العبر" الفارسية سنة 799 هـ / 1396 م، وهما: الفقيه أبو القاسم الساحلي المعروف جدّه بالطويجن، التقى به ابن خلدون على مقربة من المدينة المنورة وبالتحديد في منطقة "البنيع" في موسم حج عام 790 هـ / ديسمبر 1388 م<sup>(3)</sup>، وقد استلم منه رسالة بعثها له بها صديقه الوزير أبي عبد الله بن زمرك، وتحتوي هذه الأخيرة على فصل في أخبار الوزير المستبد مسعود بن رحو<sup>(4)</sup>، كذلك لقاؤه بشيخ الأعراب يوسف بن علي بن غانم، أمير أولاد حسين من المعقل، التقى به ابن خلدون في القاهرة سنة 793 هـ / 1390 م<sup>(5)</sup>.

قراءة متأنية لنص "العبر" المتعلق بتاريخ المغرب، أفسحت المجال أمامي لتقصي الأخبار المغربية التي أضافها في المرحلة المصرية، وتتعلق بأخبار سنوات 785 هـ / 1383 م<sup>(6)</sup>، 786 هـ /

---

(1) - المصدر نفسه، 6 / 574. وهنا صرح ابن خلدون إلى أن آخر أخبار السلطنة الحفصية التي أهدى بها نسخته التونسية، هو خبر ارتجاع السلطان الحفصي أبي العباس منطقة توزر من أيدي بني بملول سنة 784 هـ / 1382 م، ويلية مباشرة خبر وفاة الأمير أبي عبد الله محمد صاحب بجاية، كان ذلك أوائل 785 هـ / 1383 م، هي أولى الأخبار المغربية التي تلقاها ابن خلدون بعد نزوله بالقاهرة.

(2) - أشير هنا إلى استفادة ابن خلدون أيضا من مرويات الحجاج القادمين من بلاد السودان أذكر منهم: الشيخ عثمان فقيه أهل غانة، حيث التقى به في القاهرة في موسم حج سنة 799 هـ / 1396 م، واستفاد منه في أخبار بلاد التكرور.

أنظر: المصدر نفسه، 6 / 266، 267.

(3) - ابن خلدون، الرحلة، ص 210.

(4) - لمعرفة محتوى هذا الفصل التاريخي. أنظر: المصدر نفسه، ص 216-217.

(5) - لمعرفة حيشيات وفادة شيخ الأعراب، يوسف بن علي إلى القاهرة، ولقائه بابن خلدون. أنظر: ابن خلدون، العبر، 7 /

467، 472، 475، 482، 483. الرحلة، ص 266-267.

(6) - ابن خلدون، العبر، 6 / 574.

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

1384 م<sup>(1)</sup>، 788 هـ/1386 م<sup>(2)</sup>، 789 هـ/1387 م<sup>(3)</sup>، 790 هـ/1388 م<sup>(4)</sup>، 791 هـ/1391 م<sup>(5)</sup>، 792 هـ/1389 م<sup>(6)</sup>، 794 هـ/1391 م<sup>(7)</sup>، 795 هـ/1392 م<sup>(8)</sup>، 796 هـ/1393 م<sup>(9)</sup>، 799 هـ/1396 م<sup>(10)</sup>، لكن ما يلاحظ على هذه الأخبار، إضافة إلى كونها جاءت بمجملة غير مفصلة، فإنها كذلك لا تغطي أخبار المغرب التي جاءت بعد تاريخ 799 هـ/1396 م، الأمر الذي يشير إلى أن ابن خلدون لم يدخل إضافات أخرى على الكتاب الثالث بعد إهدائه للنسخة الفارسية، وعليه فقد توصلت إلى النتيجة الآتية:

- تتوقف أخبار الكتاب الثالث في مرحلته المغربية في تاريخ 784 هـ/1382 م، وقد اعتمد ابن خلدون في تحريره على معاینته الشخصية، ومصادر إخبارية مكتوبة، وتمثله هنا النسخة التونسية الضائعة.

- أضيف إلى الكتاب الثالث في مرحلته المصرية، الأخبار التي وقعت بين سنتي 785 - 799 هـ/1383-1396 م، اعتمادا على الرواية الشفوية فقط، وجرى إلحاقها بالنسخة الفارسية.

- توقف ابن خلدون عن إلحاق زيادات تذكر على الكتاب الثالث بعد سنة 799 هـ/1396 م.

- الوفرة والتنوع في المصادر الإخبارية، تسهم في توسيع دائرة اهتمامات ابن خلدون التاريخية في مصر:

نضج الوعي التاريخي عند ابن خلدون، جعله يدرك جيدا أن المصادر الإخبارية المتوفرة لديه، والتي يمكنه الوصول إليها في المرحلة المغربية، تسمح له فقط بتدوين تاريخ المغرب وشعوبه

(1) - المصدر نفسه، 6/ 574 - 575.

(2) - المصدر نفسه، 7/ 470، 479.

(3) - المصدر نفسه، 6/ 576. 7/ 471، 474، 477.

(4) - المصدر نفسه، 6/ 576، 577.

(5) - المصدر نفسه، 6/ 577.

(6) - المصدر نفسه، 6/ 577، 579، 581، 661. 7/ 481.

(7) - المصدر نفسه، 6/ 579.

(8) - المصدر نفسه، 6/ 580، 581، 617. 7/ 482.

(9) - المصدر نفسه، 6/ 580، 582، 612. 7/ 483.

(10) - المصدر نفسه، 7/ 477.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) (التاريخي خارج مجتمع البلاط)

ودوله دون سواها من التواريخ، وبالفعل استطاع تحقيق ذلك سنة 784 هـ / 1382 م، حيث أصدر نسخته التونسية، الأمر الذي يجعلني أعتقد أن الاهتمامات التاريخية لابن خلدون في تلك المرحلة الأولى، كانت تتحكم فيها بشكل أساسي إمكانية وصوله إلى مصدر الخبر التاريخي، فالمسألة بالنسبة إليه تتعلق أساسا بقصور مصادر معلوماته حول تاريخ بلاد المشرق وباقي الأمم، وقد كشف عن ذلك في تصريح له في دياحة الكتاب، حيث كتب يقول "وأنا ذاكر في كتابي هذا ما أمكنني منه في أخبار هذا القطر المغربي.... دون ما سواه من الأقطار لعدم إطلاعي على أحوال المشرق وأمه وأن الأخبار المتناقلة لا توفي كنه ما أريده منه" (1).

وتظهر قائمة مصادره السابقة الذكر، أن عناوين الكتب المشرقية التي استفاد منها في المرحلة المغربية، يتركز معظمها في أعمال القرنين الثالث والرابع هجري/ التاسع والعاشر ميلادي، ويبقى النقص يمسّ بشكل أساسي تلك التي أنتجت في الفترات اللاحقة، الأمر الذي جعل من إمكانية حوضه لتجربة تدوين تاريخ عالمي جزئي بتلك المصنفات فقط، تجربة غير مجدية على الأقل في تلك المرحلة المتقدمة، ويحباط شديد أشير هنا إلى أهمية النسخة التونسية المفقودة من كتابه "العبر"، التي كان من الممكن التعويل عليها، بمعية كتاب "البيان المشرق في أخبار المشرق" المفقود لابن عذارى المراكشي، للكشف عن هوية نسخ المؤلفات التاريخية المشرقية التي كانت متداولة خلال القرن 8 هـ / 14 م في بلاد المغرب، وإلى أي مدى كان وجود بعض نسخها كافيا لإصدار كتاب تاريخي جامع، من طرف إخباريي المغرب في نهاية المرحلة الوسيطة؟

مهما كانت الأسباب التي دفعت بابن خلدون إلى مغادرة بر العدة المغربية باتجاه المشرق، والإقامة بشكل نهائي بالديار المصرية، إلا أن هذه الرحلة المشرقية بلا شك قد صنعت الفارق في تدعيم نظريته التاريخية على وجه الخصوص، كما أتاحت له فرصة الإطلاع على عدد كبير من المصادر الإخبارية، المنتشرة بمختلف خزائن كتب البلاد المصرية (2)، وبات الآن ليس فقط توسيع مشروعه التاريخي، بل إعادة صياغة عددا من القضايا التاريخية الحساسة التي طرحها في

(1) - المقدمة، 326 / 1.

(2) - لمعرفة مزيد من التفصيل حول خزائن الكتب المصرية. أنظر: يوسف العشي: دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط، ترجمة نزار أباضة ومحمد صباغ، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، 1991، ص 277-292. شعبان عبد العزيز خليفة: الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2001، ص 335-339.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

المرحلة المغربية، وقد نبّه ابن خلدون إلى أهمية رحلته المشرقية بقوله "ثم كانت الرحلة إلى المشرق لاجتلاء أنواره... والوقوف على آثاره ودواوينه وأسفاره، فأفدت ما نقص من أخبار ملوك العجم بتلك الديار ودول الترك فيما ملكوه من الأقطار، واتبعت ما كتبه في تلك الأساطار وأدرجتها في ذكر المعاصرين لتلك الأجيال من أمم النواحي وملوك الأمصار والضواحي... فاستوعبت أخبار الخليقة استيعابا، وذلل من الحكم النافرة صعابا وأعطى لحوادث الدول عللا وأسبابا وأصبح للحكمة صنوانا وللتاريخ جرابا" (1).

أما مصادره الإخبارية التي استعان بها في تحرير الكتاب الثاني، الذي جاء تحت عنوان "في أخبار العرب وأجياهم ودولهم منذ مبدأ الخليقة إلى هذا العهد وفيه الاماع ببعض من عاصرهم من مشاهير الأمم ودولهم مثل النبط والسريان وبني إسرائيل والقبط واليونان والروم والترك والإفرنج"، فقد عوّل على مجموعة متنوعة، وكثيرة من كتب السيرة والمغازي، كسيرة ابن إسحاق (ت 151 هـ / 768 م) (2)، و"مغازي" الواقدي (ت 207 هـ / 822 م) (3)، وبعض كتب النسب، منها أعمال ابن الكلبي (4)، والزبير بن بكار (ت 256 هـ / 869 م) (5)، ومن المسالك والممالك نجده يعوّل على مسالك ابن خردذابة (ت 300 هـ / 912 م) (6)، و"صورة الأرض" لابن حوقل (ت 367 هـ / 977 م) (7)، يضاف إلى ذلك كتب تاريخ الدول والملوك على غرار: كتاب "التيحان في معرفة ملوك الزمان" لابن هشام (ت 218 هـ / 833 م) (8)، وتاريخ الطبري (9)،

(1) - ابن خلدون، المقدمة، 286 / 1.

(2) - أنظر: ابن خلدون، العبر، 44 / 2، 45، 52، 58، 61، 62، 69، 70، 71، 75، 88، 102، 173، 202، 290، 314، 315، 336، 346، 347، 350، 398، 396، 397، 405، 450، 470، 478، 504، 547 / 3.

(3) - المصدر نفسه، 2 / 453، 3 / 13.

(4) - المصدر نفسه، 2 / 8، 9، 11، 14، 24، 27، 31، 55، 58، 59، 60، 66، 67، 69، 70، 73، 183، 184، 189، 191، 192، 200، 202، 203، 206، 211، 284، 290، 296، 304، 314، 315، 317، 318، 334، 478.

(5) - المصدر نفسه، 2 / 398.

(6) - المصدر نفسه، 2 / 89.

(7) - استعان به ابن خلدون في تحديد منطقة الثمامة المضافة إلى بلاد اليمن. المصدر نفسه، 4 / 287.

(8) - المصدر نفسه، 2 / 53، 66، 67.

(9) - اعتمد ابن خلدون على روايته في مواضع كثيرة. أنظر: المصدر نفسه، 2 / 8، 9، 14، 23، 24، 26، 27، 28، 30، 31، 38، 41، 42، 48، 55، 59، 60، 62، 64، 67، 72، 75، 76، 81، 88، 93، 99، 102، 103، 104، 109، 110، 118، 121، 123، 124، 125، 129، 135، 170، 171، 182، 183، 184، 187، 188، 190، 191، 192، 198، 199، 202، 210، 216، 284، 312، 313، 314، 315، 316، 322، 323، 325، 327، 328، 329، 330، 331، 332، 333، 334، 335، 336، 337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 378، 379، 380، 381، 382، 383، 384، 385، 386، 387، 388، 389، 390، 391، 392، 393، 394، 395، 396، 397، 398، 399، 400، 401، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 408، 409، 410، 411، 412، 413، 414، 415، 416، 417، 418، 419، 420، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 427، 428، 429، 430، 431، 432، 433، 434، 435، 436، 437، 438، 439، 440، 441، 442، 443، 444، 445، 446، 447، 448، 449، 450، 451، 452، 453، 454، 455، 456، 457، 458، 459، 460، 461، 462، 463، 464، 465، 466، 467، 468، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 481، 482، 483، 484، 485، 486، 487، 488، 489، 490، 491، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 508، 509، 510، 511، 512، 513، 514، 515، 516، 517، 518، 519، 520، 521، 522، 523، 524، 525، 526، 527، 528، 529، 530، 531، 532، 533، 534، 535، 536، 537، 538، 539، 540، 541، 542، 543، 544، 545، 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857، 858، 859، 860، 861، 862، 863، 864، 865، 866، 867، 868، 869، 870، 871، 872، 873، 874، 875، 876، 877، 878، 879، 880، 881، 882، 883، 884، 885، 886، 887، 888، 889، 890، 891، 892، 893، 894، 895، 896، 897، 898، 899، 900، 901، 902، 903، 904، 905، 906، 907، 908، 909، 910، 911، 912، 913، 914، 915، 916، 917، 918، 919، 920، 921، 922، 923، 924، 925، 926، 927، 928، 929، 930، 931، 932، 933، 934، 935، 936، 937، 938، 939، 940، 941، 942، 943، 944، 945، 946، 947، 948، 949، 950، 951، 952، 953، 954، 955، 956، 957، 958، 959، 960، 961، 962، 963، 964، 965، 966، 967، 968، 969، 970، 971، 972، 973، 974، 975، 976، 977، 978، 979، 980، 981، 982، 983، 984، 985، 986، 987، 988، 989، 990، 991، 992، 993، 994، 995، 996، 997، 998، 999، 1000.

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

والمسعودي<sup>(1)</sup>، وأبي بكر الصولي (ت 335 هـ / 946 م)<sup>(2)</sup>، وابن مسكويه (ت 421 هـ / 1030 م)<sup>(3)</sup>، والبيهقي (ت 458 هـ / 1065 م)<sup>(4)</sup>.

وتعتبر مصادره حول البلاد المصرية في عهدها الإسلامية، من أوفر المصادر التي رجع إليها في تحرير الفصل الخاص بها، منها الأعمال الإخبارية لابن الطوير (ت 617 هـ / 1220 م)<sup>(5)</sup>، وأعمال صدر الدين عبد الظاهر (ت 692 هـ / 1292 م)<sup>(6)</sup>، يضاف إليها مصادر أدبية بالغة الأهمية، كانت نسخها معروفة في بلاد المغرب على غرار كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني (ت 356 هـ / 966 م)<sup>(7)</sup>، و"يتيمة الدهر" للثعالبي (ت 429 هـ / 1037 م)<sup>(8)</sup>.

كما تنوعت مصادره المكتوبة، التي استعان بها في تدوين تاريخ الشعوب التي عرفت احتكاكا مباشرا مع العالم الإسلامي الوسيط<sup>(9)</sup>، حيث أولاها عناية خاصة في كتابه الثاني، منها أمم

24، 282، 386، 287 / 4.

<sup>(1)</sup> - أكثر ابن خلدون النقل عنه. أنظر: المصدر نفسه، 22 / 2، 23، 24، 46، 49، 57، 58، 59، 60، 62، 67، 73، 74، 80، 81، 84، 86، 100، 101، 124، 181، 188، 190، 198، 202، 203، 209، 226، 229، 265، 273، 274، 298، 323، 334، 337، 342، 386 / 3.

<sup>(2)</sup> - لا يذكر ابن خلدون عنوان كتاب الصولي، الذي نقل عنه أخبارا عن الفرقة الزيدية باليمن. أنظر: المصدر نفسه، 4 / 142، 146.

<sup>(3)</sup> - له كتاب تاريخي تحت عنوان "تجارب الأمم"، وهو كتاب مطبوع، نقل عنه ابن خلدون. أنظر: المصدر نفسه، 3 / 458، 563 / 4.

<sup>(4)</sup> - المصدر نفسه، 22 / 2، 32، 53، 79، 181، 185، 188، 303، 325، 3356، 364، 119 / 4، 120، 286، 287، 289.

<sup>(5)</sup> - أبو محمد عبد السلام بن الحسن القيسراني، له كتاب تاريخي تحت عنوان "نزهة المقلتين في أخبار الدولتين"، وهو كتاب مطبوع، اعتمد عليه ابن خلدون ووصفه بـ "مؤرخ العبيدين". أنظر: المصدر نفسه، 4 / 107.

<sup>(6)</sup> - أنظر ترجمته: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أعيان مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، 8 / 29-30. له مجموعة من المؤلفات التاريخية، التي تعتبر المصدر الأساسي في تاريخ المماليك بمصر والشام، منها "الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر"، و"تشریف الأيام والعصور بسيرة السلطان المنصور"، و"الروض البهية في الزاهرة في خطط القاهرة". ينقل عنه ابن خلدون خبرا عن الدولة الطولونية. المصدر نفسه، 4 / 386.

<sup>(7)</sup> - المصدر نفسه، 2 / 185، 287، 289، 328، 343، 649، 10 / 6، 48، 49.

<sup>(8)</sup> - ينقل عنه خبرا حول القرامطة. المصدر نفسه، 4 / 119.

<sup>(9)</sup> - من الدراسات المهمة حول مصادر ابن خلدون في كتابه "العبر" أثناء إقامته بمصر، أشير إلى دراسة "ولتر فيشال".

- Walter J. Fischel, *Ibn Khaldun in Egypt*, California, 1967.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

الفرس<sup>(1)</sup> والعبرانيين واللاتين (اليونان - الروم - البيزنطيين - القوط)<sup>(2)</sup> والأحباش وغيرهم، لكن يبدو أن عنايته بأمم الترك<sup>(3)</sup> كأحد أبرز الأمم المعاصرة لأمة العرب والبربر، قد أخذ حيزا كبيرا من اهتماماته التاريخية، يأتي ذلك تماشيا والصعود اللافت الذي أظهرته الجماعات التركية، ويكفي هنا التذكير أن ابن خلدون أكمل تاريخه في مصر زمن حكم المماليك الأتراك، حيث كان يعيش في كنف السلطان الظاهر برقوق (784 - 801 هـ / 1382 - 1398 م)، ثم ابنه ناصر الدين فرج (801 - 808 هـ / 1398 - 1405 م)، كما عاين بنفسه وعن كتب مخيم "تيمورلنك" في دمشق سنة 804 هـ / 1401 م<sup>(4)</sup>، وقد أنجز له في أثناء إقامته تلك، مختصرا وحيزا يصف فيه العدو المغربية وأمصارها<sup>(5)</sup>.

وسعيا مني للكشف على أهم مصادره الإخبارية حول الشعوب التي كان لها احتكاك مباشر بالعالم الإسلامي الوسيط، أنجزت الجدول التالي:

(1) - حول عناية ابن خلدون بالتاريخ الفارسي ومصادر أخباره. أنظر:

- Fischel, *ibid.* pp. 121- 129.

- Abdesselam Cheddadi, *Peuples et nation du monde.* pp. 188-222.

(2) - حول عناية ابن خلدون بالتاريخ اللاتيني. أنظر:

- Fischel, *op. cit.* pp. 130- 137.

- Cheddadi Abdesselam, *Peuples et nation du monde.* pp. 222-234.

(3) - حول عناية ابن خلدون بأخبار الترك ودوافع ذلك. أنظر: علي أواميل، الخطاب التاريخي، ص 149 - 162. كذلك

مقاله الموسوم بـ "مصادر التنظير عند ابن خلدون"، مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، 16، (1980)، ص 69 - 70.

(4) - من الدراسات التي أنجزها "ولتر فيشال" حول ابن خلدون في مصر، دراسته التي خصصها للفترة التي قضها في معسكر تيمورلنك الموسومة بـ:

- *Ibn Khalun and Tamerlan, Berkley, University of California, Press, 1952.*

كذلك تحدث عبد السلام الشدادي على هذه المرحلة من حياة ابن خلدون. حولها أنظر:

- Cheddadi Abdesselam, *Ibn Khaldun l'homme et le théoricien,* pp. 143- 154.

(5) - ذكر ابن خلدون أن هذا العمل التاريخي قد أمناه في أيام قليلة في أثناء إقامته بدمشق سنة 804 هـ / 1401 م، وقد

بلغ حجمه نحو اثني عشرة كراسا المنصّفة القطع، ويبدو أنه لقي استحسان تيمورلنك، وقد أمر كاتبه بنقله إلى اللسان المغولي، وبذلك يعد أحد الأعمال المغربية النادرة التي أريد نقلها إلى اللسان المغولي في تلك المرحلة الحساسة، لكن ليست

لدى المهتمين بالتراث الخلدوني أي فكرة عن مصير هذا العمل، لا في نسخته الأصلية التي كتبها ابن خلدون، ناهيك عن نصه المترجم إن وجد. حوله. أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص 290، 293.



صاحب المصدر	هوية المصادر
العتي (ت 427 هـ/1036 م) <sup>(1)</sup> - ابن عساكر (ت 571 هـ/1175 م) <sup>(2)</sup> - العماد الاصفهاني (ت 597 هـ/1200 م) <sup>(3)</sup> - ابن الأثير (ت 630 هـ/1232 م) <sup>(4)</sup> - محمد بن أحمد النسائي المنشئ (ت 647 هـ/1249 م) <sup>(5)</sup> - ابن خلكان (ت 681 هـ/1282 م) <sup>(6)</sup> - أبو الفدا (ت 732 هـ/1331 م) <sup>(7)</sup> - أبو فضل الله العمري (ت 749 هـ/1348 م) <sup>(8)</sup> .	مصادر عربية عن أمم الترك
الكاتب أبي إسحاق الصايي <sup>(9)</sup> - داهر <sup>(10)</sup> - البابا الصايي الحراني <sup>(11)</sup>	مصادر فارسية
نسخ من التوراة <sup>(12)</sup> - كتب الإسرائيليات منها: أسفار الملوك <sup>(13)</sup> - كتاب في أنساب بني اسرائيل <sup>(14)</sup> - كتاب يعقوب بن يوسف النجّار <sup>(15)</sup> - كتاب يوسف بن كرمون <sup>(1)</sup>	مصادر عبرية

- <sup>(1)</sup> - له كتاب تاريخي مهم في سيرة يمين الدولة محمود الغزنوي يسمى "تاريخ سبكتكين الغزنوي"، وهو كتاب مطبوع، اعتمد عليه ابن خلدون ووصفه بـ "مؤرخ دولة ابن سبكتكين". أنظر: ابن خلدون، العبر، 4/16، 140.
- <sup>(2)</sup> - يذكر ابن خلدون أنه ينقل من كتابه "تاريخ دمشق". أنظر: المصدر نفسه، 2/22، 129، 167، 168، 3/586، 5/195.
- <sup>(3)</sup> - أشار ابن خلدون إلى استفادته من كتابه "البرق الشامي". أنظر: المصدر نفسه، 5/499.
- <sup>(4)</sup> - تتمتع رواية ابن الأثير بأهمية كبيرة عند ابن خلدون، وقد استفاد منه في مواضع كثيرة من عبره. حولها أنظر: المصدر نفسه، 2/274، 3/586، 4/90، 105، 142، 260، 261، 336، 406، 443، 454، 516، 519، 520، 521، 675، 686، 5/75، 109، 132، 137، 152، 166، 255، 266، 270، 279، 285، 358، 326، 499، 500، 589، 6/10، 11.
- <sup>(5)</sup> - كاتب جلال الدين منكبرس بن السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش، له كتاب التاريخي في سيرة السلطان خوارزم شاه وبنيه جاء تحت عنوان "سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي"، استفاد منه ابن خلدون في أخبار الدولة الخوارزمية ومملكة الصين وأولية التتر. حوله أنظر: المصدر نفسه، 5/129، 131، 132، 137، 143، 151، 156، 166، 589، 594.
- <sup>(6)</sup> - المصدر نفسه، 5/285، 326.
- <sup>(7)</sup> - المصدر نفسه، 2/101، 124، 280، 4/140، 5/255، 441، 470، 604.
- <sup>(8)</sup> - عوّل عليه ابن خلدون في خبر التتر. أنظر: المصدر نفسه، 5/593، 594، 597-598، 604.
- <sup>(9)</sup> - صرّح ابن خلدون بإطلاعه على مقالة الصايي، التي كتبها في أنساب ونحلة أمة السريان، واستفاد منها. أنظر: المصدر نفسه، 2/6، 7، 8، 9، 4/331.
- <sup>(10)</sup> - ينعت ابن خلدون بـ "مؤرخ السريان"، وينقل عنه في أنساب أمة الفرس. المصدر نفسه، 2/6، 30، 80.
- <sup>(11)</sup> - المصدر نفسه 2/6.
- <sup>(12)</sup> - يفهم من كلام صاحب "العبر"، أنه استفاد مباشرة من نسخ التوراة المترجمة إلى العربية، كما يعتقد في صحتها فيما يتعلق بنسب الخليقة عامة وبني إسرائيل خاصة، واستفاد منها في مواضع كثيرة. أنظر: المصدر نفسه، 2/7، 8، 9، 11، 12، 14، 21، 27، 52، 53، 289، 291، 396، 110، 127.
- <sup>(13)</sup> - المصدر نفسه، 2/110، 118.
- <sup>(14)</sup> - اعتمد عليه ابن خلدون في خبر الملك سليمان ومملكة سبأ باليمن. أنظر: المصدر نفسه، 2/114.
- <sup>(15)</sup> - يؤكد ابن خلدون على أنه ينقل مباشرة من كتاب الإسرائيليات ليعقوب بن يوسف النجّار. أنظر: المصدر نفسه، 2/168، 169، 170، 172.

(1) - هو المؤرخ اليهودي (Joseph Ben Gorion) "يوسفوس"، وصفه ابن خلدون بـ "مؤرخ العمارة الثانية"، واطلع على كتابه أثناء إقامته بمصر، مشيراً إلى كونه كتاب في أخبار البيت والدولتين اللتين كانتا هما ما بين خراب بختنصر الأول وخراب طيطوش الثاني، الذي كانت عنده الجلوة الكبرى، وأشاد بالأخبار الواردة فيه حول تلك المرحلة بقوله "استوعب فيه أخبار البيت واليهود بتلك المدّة وأخبار الدولتين اللتين كانتا هما لبني حشمناي وبني هيردوس من اليهود وما حدث في ذلك من الأحداث"، لذلك قام ابن خلدون بتلخيص تلك الأحداث كما وجدها فيه. أنظر: المصدر نفسه، 2/ 48، 134، 135، 136، 138، 139، 240، 141، 142، 145، 147، 149، 150، 153، 154، 155، 161، 162، 164، 233. وفي هذا الصدد أشير إلى تشكيك "ولتر فيشال" في حقيقة اعتماد ابن خلدون على كتاب يوسف بن كريون، مؤكداً على وقوع ابن خلدون في الخطأ، وأنه رجع إلى كتاب آخر في التاريخ اليهودي يسمى "يوسفيون" في ترجمته العربية. لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع. أنظر:

- Fischel, *Ibn Khaldun in Egypt*, pp. 139- 146.

وأشير هنا إلى وجود نسخة عتيقة من كتاب يوسفوس، تحت عنوان "أخبار العبرانيين المسمى بكتاب المكايين"، يعود تاريخ نسخها إلى سنة 743 هـ/ 1342 م، تحتفظ بها المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم (arabe1906). حولها أنظر: B.de Slane, *Catalogue des manuscrits arabes*, imprimerie nationale, Paris, 1883-1895, p. 342.

مصادر مسيحية	نسخ من الانجيل <sup>(1)</sup> - بطليموس <sup>(2)</sup> - هورشيوش <sup>(3)</sup> - سعيد بن بطريق (ت 32 هـ / 652 م) (4) - أبو شاكر بطرس المكنى بابن الراهب <sup>(5)</sup> - المسيحي (ت 420 هـ / 1029 م) <sup>(6)</sup> - ابن العميد (ت 672 هـ / 1273 م) <sup>(7)</sup>
--------------	---

- (1) - رجع إليه ابن خلدون، حول بدايات المسيحية وميلاد عيسى. أنظر: ابن خلدون، العبر، 2/ 171.
- (2) - هو بطليموس فيلادلفيوس، خصه الطبيب ابن جلجل (ت 377 هـ / 987 م) بترجمة في طبقاته. حولها أنظر: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص 35-36. ولصاحب الترجمة مجموعة من المؤلفات المهمة منها كتاب "الجغرافية"، و"القانون"، و"المجسطي"، والكتاب الأخير نوه به ابن خلدون، واعتبره من أحسن التأليف في علم الهيئة والنجوم، وحركات الكواكب والأفلاك، كما استفاد منه حول التاريخ اليهودي. أنظر: ابن خلدون، المقدمة، 3/ 120. العبر، 2/ 242، 243.
- (3) - هو باولوس أورويسيوس "Paulus Orosius" مؤرخ اسباني، عاش في القرن الرابع والخامس بعد الميلاد، ألف كتابه باللغة اللاتينية، وصفه ابن خلدون بـ "مؤرخ الروم"، نقل هذا الكتاب من لغته الأصلية إلى اللغة العربية بقرطبة زمن الحكم المستنصر، وقد تولى عملية الترجمة قاضي النصارى وترجماتهم، بمعية الشيخ قاسم بن الاصبغ (ت 340 هـ / 951 م)، نقل عنه ابن خلدون بشكل واسع وفي كثير من المواضع. أنظر: المصدر نفسه، 2/ 12، 14، 48، 81، 101، 103، 105، 112، 120، 123، 124، 193، 194، 218، 220، 221، 224، 232، 233، 234، 235، 236، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 253، 254، 256، 257، 258، 259، 264، 265، 280، 283، 290. 5/ 517. ويعتبر ابن جلجل من أوائل المستفيدين من الترجمة العربية لكتاب هيروشيوش ويسميه بـ "صاحب القصص". أنظر نقولاته ابن جلجل، مصدر سابق، ص 2، 3، 11، 12، 36. كذلك نجد نقولات عنه عند الحميري، الذي يرد عنده تحت اسم "أورشيوش"، و"أورشيوش"، و"هروشيوش الرومي". أنظر: الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 51، 367، 464، 586. أما المقرئ فيسميه "هروشيوش الأندلسي". أنظر: المقرئ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرفاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997، 1/ 396، 403، 433.
- (4) - تارة يشير ابن خلدون إلى النقل عنه مباشرة، وتارة أخرى يشير إلى النقل عنه بطريق ابن العميد. أنظر: العبر، 2/ 244، 245، 246، 248، 249، 251، 254، 259، 260، 261، 262.
- (5) - يشير ابن خلدون إلى نقله عن ابن الراهب مباشرة، ومرات إلى النقل عنه بطريق ابن العميد. أنظر: المصدر نفسه، 2/ 244، 245، 246، 248، 249، 252، 254، 255، 262، 290.
- (6) - حوله أنظر: ابن خلكان، مصدر سابق، 4/ 377-380. استعان به ابن خلدون في مواضع مختلفة. أنظر: العبر، 2/ 120، 123، 124، 131، 132، 135، 171، 173، 177، 179، 180، 196، 197، 223، 226، 236، 237، 238، 239، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 252، 254، 255، 258، 259، 260، 262. 4/ 16، 107، 140. 5/ 499، 500. 6/ 11. نقل عنه كذلك صاحب مفاخر البربر، ص 142-143.
- (7) - "مؤرخ النصارى"، على حد وصف ابن خلدون، الذي استفاد منه كثيرا في معرفة تاريخ الأقباط، والروم، والبيزنطيين. أنظر: العبر، 2/ 104، 106، 117، 118، 119، 120، 122، 123، 124، 129، 130، 131، 132، 135، 171، 173، 177، 179، 180، 196، 197، 223، 226، 236، 237، 238، 239، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 259، 263، 265، 266-272، 273.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

من خلال هذا العرض الدقيق، حول التنوع الذي ميز مصادر ابن خلدون المشرقية المترجمة عن السريانية، والعبرية، واليونانية، والتي تشكل في مجموعها ذلك التراث المعرفي، والإطار التاريخي المرجعي الذي استند إليه ابن خلدون بعد إقامته بالديار المصرية، فهل يمكن القول أن هذا العمل التاريخي المهم، الذي وصلنا في نشرات متتالية، كانت انطلاقته الأولى مغربية، أراد به مؤلفه تاريخاً للعدوة المغربية في نسخته الأم التونسية؟ وفي نسخته المشرقية المعدلة، الصادرة عنه (الظاهرية، والفارسية، والنسخة الأحداث)، قد أراد به تاريخاً شاملاً يجمع أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر؟ وأن مسألة حصوله على مزيد من المصادر الإخبارية، كان مسألة حاسمة في توسعة مشروعه التاريخي، وإعادة صياغته لفصول كثيرة منه؟ ما يمكنني قوله في الأخير، أنه وبلا شك كان لوجود ابن خلدون بالقاهرة، الدور الكبير في تنشيط معارفه التاريخية، وتحفيزه على إجراء تلك التعديلات اللازمة على عبره، وقد وصل إلينا كما نعرفه اليوم في حجمه الكبير.

قراءتي لنص "العبر"، تجليني لا أتردد في وضعه ضمن خانة النصوص الاسطوغرافية الكلاسيكية، كأحد أهم التيارات التاريخية التي عرفت عملية تدوين الخبر التاريخي في العالم الإسلامي الوسيط، وهي تظهر ذلك التبجيل والتقدير لسرد الأخبار على نحو متسلسل وسريع، وقد أفضت هذه العملية في النهاية إلى تكريس العناية بتدوين تاريخ الدول والملوك والسلطين في مقابل إغفالها لتاريخ المجتمعات وبنياتها الجيو اقتصادية.

لم تستطيع نظرية ابن خلدون المبتكرة، حول مفهوم العصبية القبلية، التي أظهرها في كتابه "العمران" اختراق مجال التاريخ المشرقي، خاصة بعد تعرضه السطحي لتلك الصراعات المتكررة على الحكم، والمنافسة الشديدة بين القبائل العربية ذات العصبية الكبرى، كما لم يقدم تحليلاً عميقاً لطبيعة المجتمعات البدوية والحضرية في البلاد المشرقية، وهنا أشير إلى ذلك النقد الشديد الذي وجهه إليه معاصره ابن حجر العسقلاني<sup>(1)</sup> بقوله "وصنّف في التاريخ الكبير في سبع مجلدات ضخمة، ظهرت فيه فضائله وأبان فيه عن براعته، ولم يكن مطلعاً على الأخبار على حليتها لاسيما أخبار الشرق وهو بين لمن نظر في كلامه".

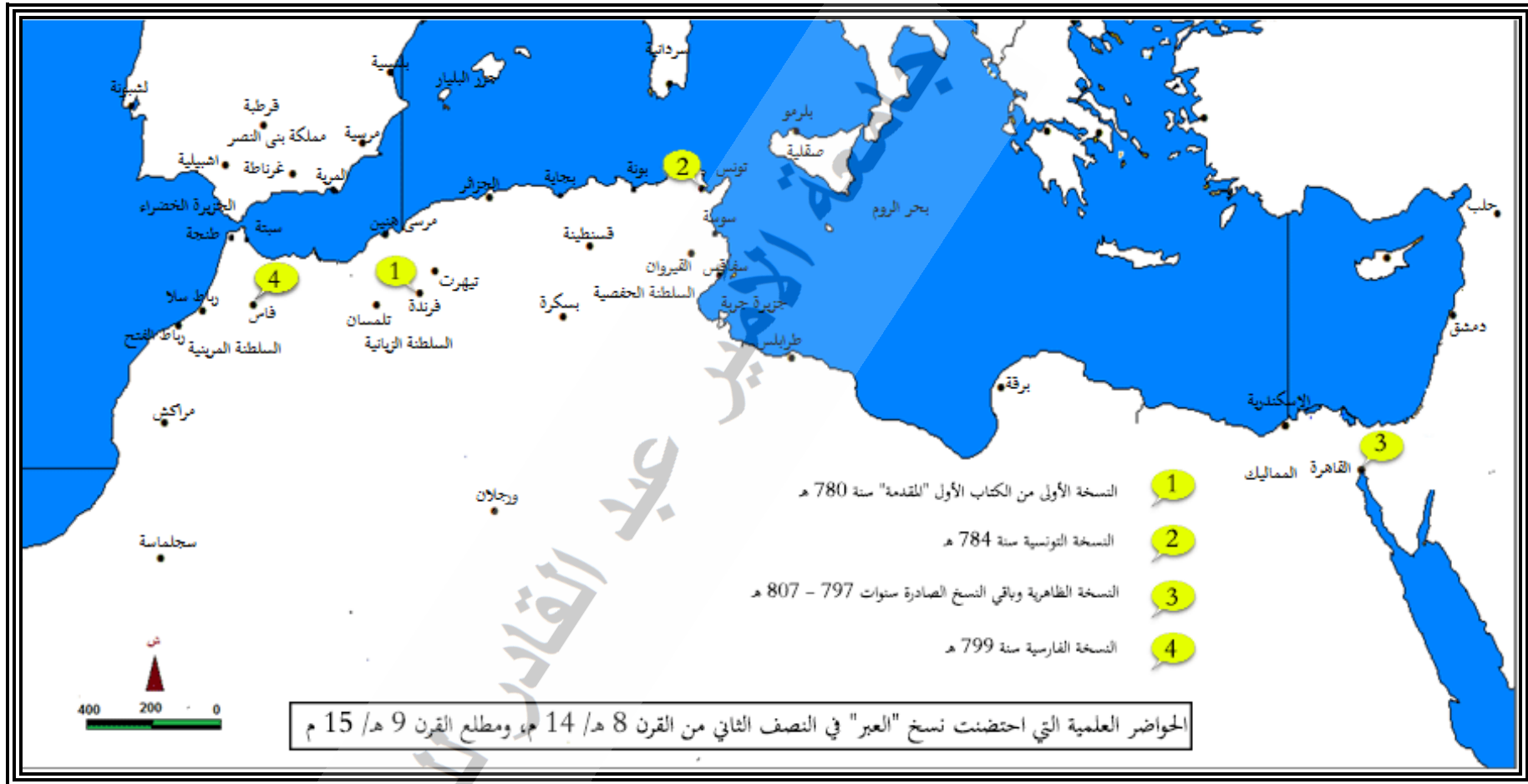
(1) - إنباء الغمر بأبناء العمر، 340/2.

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

في مقابل ذلك، استطاع ابن خلدون إبراز دور العصبية القبلية وتأثيرها على ممارسات السلطة في مغرب ما بعد الموحدين، حيث لا يمكن إغفال أهمية المقطع الذي خصصه لتاريخ البربر، أين تمكن من تقديم تغطية اسطوغرافية شاملة لبلاد المغرب، الأمر الذي جعل من روايته المصدر الأساسي المعول عليه في أحداث القرنين 7 - 8 هـ / 13 - 14 م، خصوصا تلك التي كان فيها شاهد عيان، وعنصرا فاعلا في كثير منها، وقد لخص أهمية هذا الجزء روبرت برونشفيك<sup>(1)</sup> بقوله "أن السفرين الأخيرين من كتاب العبر يعتبران بالنسبة إلى القرنين الأقربين إلى مؤلفنا أي القرنين الثالث عشر والرابع عشر، مرجعا لا مثيل له لما امتاز به من غزارة المادة وتعمق في البحث وما وردت فيهما من معلومات وافرة وصحيحة فالفصل الطويل المخصص للدولة الحفصية... يعتبر الوثيقة الأساسية بالنسبة للتاريخ الداخلي لتلك الدولة... لكنه يكاد لا يعوض باعتباره أداة عمل أساسية وشهادة أصلية".

وفي ختام مناقشتي للمشروع التاريخي لابن خلدون، الذي جسده في كتابه "العبر"، إليك خريطة توضيحية حول نسخ "العبر" الصادرة عن مصنفها، ومجال نسخها في حواضر المغرب الإسلامي والقاهرة المملوكية.

(1) - مرجع سابق، 2/ 412-413.



3. تراجع العناية بالتواريخ الجامعة خلال القرنين 9-10 هـ / 15-16 م:

نظير الأعمال التاريخية البارزة التي شهدتها القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي في بلاد المغرب، وبشكل خاص كتابات ابن عذاري المراكشي، وابن خلدون، وحتى معاصرها ابن الخطيب السلماني في مؤلفه الذائع الصيت "إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام"، كان متوقعا استمرار العناية بالتواريخ الجامعة من قبل المهتمين بالخبر التاريخي في بلاد المغرب، بالموزة مع الأعمال الإخبارية المشرقية، وبصفة خاصة المصرية<sup>(1)</sup>، هذه الأخيرة التي أنتجت الكثير من المصنفات الموسوعية منها: مؤلفات محمد بن الفرات (ت 807 هـ / 1404 م)<sup>(2)</sup>، وابن دقماق إبراهيم (ت 809 هـ / 1406 م)<sup>(3)</sup>، وتقي الدين المقريري، وبدر الدين العيني (ت 855 هـ / 1451 م)<sup>(4)</sup>، وابن حجر العسقلاني، وابن تغري بردي (ت 874 هـ / 1469 م)، والسخاوي، والسيوطي.

لكن وعلى نحو سيء أصيبت عملية التدوين التاريخي الجامع ببلاد المغرب بهبوط كبير، وتراجع بشكل واضح خلال القرنين التاسع والعاشر هجري/ الخامس عشر والسادس عشر ميلادي، ولم يعد في الإمكان الحصول على أعمال مهمة يمكن التعويل عليها، الأمر الذي من شأنه عرقلت إمكانية مراقبة تطور مفهوم الخبر التاريخي، ناهيك عن إدراك طبيعة الحقل المعرفية التي ارتبط بها في تلك المرحلة المتأخرة بشكل جيد، كما لم تحدث التجربة التاريخية المتميزة التي قادها ابن خلدون، تغييرا ملحوظا في الدفع بمستوى التدوين التاريخي في بلاد المغرب، الذي بقي يقترب في كثير من زواياه إلى الفنون الأدبية منها إلى العلمية، خاصة تلك المقتطفات الشعرية والاستطرادات والمبالغة في الإطراء، التي تم الزج بها في صميم الرواية التاريخية المغربية.

رغم إقراري بتراجع العناية بالتواريخ الجامعة بشكل ملحوظ في هذه المرحلة، إلا أن ذلك لا

(1) - معرفة مزيد من التفصيل حول تطور الكتابة التاريخية في البلاد المصرية في نهاية المرحلة الوسيطة. أنظر: محمد مصطفى زيادة: المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1954 م. محمد عبد الله عنان: مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1969 م.

(2) - تاريخ الدول والملوك، تحقيق قسطنطين رزيق، ونجلاء عز الدين، منشورات الجامعة الأمريكية، بيروت، 1936 م، 9 مج.

(3) - نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، تحقيق سمير طباره، المكتبة العصرية، بيروت، 1999 م.

(4) - عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمود رزق محمود، ط2، دار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، 2010 م.

## الفصل الثاني ———— تعدو سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

يعني اختفاء هذا النمط التقليدي بشكل كلي في عملية التدوين التاريخي المحلي، وهنا أشير إلى إحدى الأعمال التي أصدرتها الأوساط الدينية المالكية، أعني به عمل عبد الرحمن الثعالبي (ت 875 هـ/ 1470 م)، الذي قام برحلة طويلة إلى بلاد المشرق، انطلق فيها من بلده الجزائر سنة 802 هـ/ 1399 م، ليعود إليها سنة 819 هـ/ 1416 م، بعد غياب دام 17 سنة، دخل خلالها الكثير من حواضر العالم الإسلامي الوسيط (بجاية- تونس- مصر- تركيا- بلاد الحجاز)، وعلى غرار معاصريه من طبقة الفقهاء، تركز برنامجه التعليمي على دراسة مختلف فروع العلوم النقلية (الفقه وأصوله- علوم القرآن- الحديث- علوم اللغة)، على أبرز شيوخه المتصدرين للإقراء، ضمنهم في فهرسة شيوخه الموسومة بـ "غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد"، منهم شيخه ابن مرزوق الحفيد (ت 842 هـ/ 1438 م)<sup>(1)</sup>، ويعود تاريخ اتصاله به إلى سنة 819 هـ/ 1416 م، بمدينة تونس<sup>(2)</sup>، أين قرأ عليه مواد في الفقه والحديث والتفسير وكتب السيرة.

أشتهر الثعالبي بكثرة مصنفاته في علوم الفقه والقراءات والحديث<sup>(3)</sup>، كما ألف كتابين أحدهما في السيرة النبوية - سأعود إليه في وقت لاحق - والثاني في التاريخ الشامل، جاء تحت عنوان "جامع المهمم في أخبار الأمم"، كتبه على نمط التواريخ الجامعة، ورغم أن الثعالبي أورد قائمة طويلة بأسماء مؤلفاته في مقدمة فهرسته، التي أنجزها سنة 851 هـ/ 1447 م، وقد أدرج فيها نحو 15 عنوانا من مؤلفاته<sup>(4)</sup>، إلا أنه لا يشير فيها إلى كتابه "جامع المهمم"، الأمر الذي يوحي أن الثعالبي قد يكون شرع في تأليفه هذا بعد سنة 851 هـ/ 1447 م، وعلى أهمية هذا الكتاب إلا أنه معدود ضمن قائمة الكتب الضائعة اليوم.

وفي وقت متأخر من المرحلة الوسيطة، مع نهاية القرن العاشر هجري/ السادس عشر

(1) - خصص له تلميذه القلصادي ترجمة في رحلته وصفه فيها بقوله "الشيخ الفقيه العلامة الكبير الشهير شيخنا وبركتنا". أنظر: الرحلة، تحقيق محمد أبو الأحفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص 96-98. حوله كذلك أنظر: أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 499-510. ابن مريم الميبي، مصدر سابق، ص 365-380.

(2) - عبد الرحمن الثعالبي، مصدر سابق، ص 58.

(3) - أشارت كتب التراجم والطبقات التي اعتنت بالترجمة للثعالبي إلى مؤلفاته المتنوعة. حولها أنظر: السخاوي، الضوء اللامع، 4/ 152. أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 257-261. محمد بن مخلوف، مرجع سابق، 1/ 264-265. عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، 2/ 732-734.

(4) - لمعرفة عناوين الكتب المثبتة في ديباجة برنامج مروياته. أنظر: عبد الرحمن الثعالبي، مصدر سابق، ص 27-29.



## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

ميلادي، أشير إلى مساهمة أحد المنتسبين إلى طبقة الصوفية، سليل أسرة أندلسية شهيرة تعرف بـ "البرجيين"، أعني به الشيخ الصوفي أبي عبد الله محمد بن الحاج الشطبي (ت 963 هـ/1555 م)<sup>(1)</sup>، الساكن بناحية "تازغدره"<sup>(2)</sup>، في كتابه الموسوم بـ "الجمان في مختصر أخبار الزمان"<sup>(3)</sup>، أشاد به معاصره ابن عسكر الشفشاوني (ت 986 هـ/1578 م)<sup>(4)</sup> بقوله "وَأَلَّفَ فِي التَّارِيخِ تَأْلِيفًا عَجِيبًا"، لكن يظهر أن الرغبة في الوعظ والإرشاد، وأخذ العبرة من أخبار الماضين، كانت وراء عناية الشطبي بتدوين تاريخ جامع، تكون فيه أخبار النبوة المحور الأساسي للأحداث التاريخية التي يرويها، الأمر الذي تكشف عنه خطاطة الكتاب، المقسم إلى ثلاثة فصول، الأول تطرق فيه إلى تاريخ الخليفة إلى المبعث، أما الثاني فقد خصصه لتاريخ النبوة، والفصل الثالث فيغطي الأحداث التاريخية التي تمتد من زمن الخلافة الراشدة إلى آخر الكتاب، والمؤكد أن إدراجه لأشراط الساعة وعلاماتها الكبرى كخاتمة لجمانه، ما هو إلا تكريسا لنظرة المتصوفة للأوضاع المزرية التي كان يمر بها العالم الإسلامي في تلك المرحلة

(1) - له كتاب "اللباب على أية الكتاب"، و"الإشارات السننية في شرح أرجوزة ابن البناء"، وألّف في الخط، والكيمياء، والفلاحة. حوله أنظر: ابن القاضي، درة المجال، 203/2. الشفشاوني محمد بن عيسى: دوحة الناشر لحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، ط2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص 16-17. عبد الكبير بن المجذوب الفاسي: تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، منشور ضمن "موسوعة أعلام المغرب"، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، 2/895. خير الدين الزركلي: الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، 6/292.

(2) - من أحواز "ورغة" في مجلات "بني زروال" بنواحي فاس ومكناس.

(3) - لا يزال الكتاب مخطوطا، وينسب في بعض النسخ إلى المقرئ التلمساني (ت 1041 هـ/1631 م)، كما توجد عدة نسخ منه موزعة على المكتبات العامة، منها مخطوطات المكتبة الوطنية بالرباط تحت الأرقام التالية: (52 ق) في مجموع، (5 ق)، (40 D)، (579 D)، (1094 D)، (1344 D)، (1603 D). حولها أنظر: ي. س. العلوش وعبد القادر الرجراجي: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001، القسم الثاني، 104/2-106. سعيد المرابطي: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2002، 7/296-298. وبالمكتبة الوطنية بتونس تحت رقم: (18407)، (18468). حولهما أنظر: عبد الحفيظ منصور: الفهرس العام للمخطوطات (رصيد مكتبة حسن حسني عبد الوهاب)، دار بوسلامة، تونس، 1975، 1/342. ودار الكتب المصرية تحت رقم: (1416)، (1447)، (1599)، (15 م). أنظر: فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1930، 151/5-152.

(4) - مصدر سابق، ص 16. أما ابن سودة، مرجع سابق، ص 104. الذي أورد تعريفا مقتضيا للكتاب ومؤلفه ابن الحاج الشطبي، فقد علّق على محتوياته بالقول "وهو كتاب خال من الفائدة على كبر جرمه".

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

المتأخرة، حيث أصبح اللجوء فيها إلى المعتقدات الدينية، كتفسير مقبول لتلك الإخفاقات المتكررة.

إن البطء الذي يمكن ملاحظته على مسار التدوين التاريخي الجامع في بلاد المغرب ما بعد القرن 8 هـ/ 14 م، يتماشى والظروف المضطربة التي شهدتها العالم الإسلامي في تلك المرحلة المتأخرة، وقد ألفت بضلالها الثقيلة على مستوى تجاوب النخب العلمية المحلية للمتغيرات الجذرية التي شهدتها المنطقة، فلم يعد هناك رغبة كافية في محاولة إعطاء هوية مشتركة للعالم الإسلامي، ربما يكشف لنا هذا عن أحد أسباب تراجع العناية بالتواريخ الجامعة، التي لا طالما سعت إلى استعادة الماضي الحافل للشعوب الإسلامية، وتمجيد بطولاتها الحربية وانتصاراتها الحاسمة، فهل يعني هذا أن العناية بالتواريخ الجامعة كأحد أنماط التدوين التاريخي، قد فقد مشروعية بقائه ما بعد القرن 8 هـ/ 14 م، خصوصا بعد تلك الهزات العنيفة التي ضربت العالم الإسلامي بأسره؟

المبحث الثاني: النخب الفقهية المالكية والصوفية، وتبجيل العناية بالسيرة النبوية:

احتل موضوع السيرة النبوية مكانته المرموقة في حركة التدوين التاريخي الإسلامي منذ

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

مراحل الأولى، لارتباطها بشخص الرسول باعتباره أحد مصادر التشريع الإسلامي، فكان ضروريا الإحاطة بأدق تفاصيل حياته<sup>(1)</sup>، كالبحث في نسبه القرشي، وتقصي أدق تفاصيل حياته قبل وبعد البعثة، وإبراز معجزاته وأخلاقه ومغازيه، كما تشمل سيرة المقربين إليه، على غرار زوجاته، وأولاده، وصحابته... الخ<sup>(2)</sup>.

وبالمثل أظهرت النخب الفقهية المالكية المغربية، عناية خاصة بالسيرة النبوية ومتعلقاتها، ومن غير المبالغة القول بأهمية أعمال السيرة التي أنجزها فقهاء الحاضرة القيروانية في المرحلة الأغلبية يأتي في مقدمتها كتاب "السير" لمحمد بن سحنون (ت 256 هـ / 869 م)<sup>(3)</sup>، وفي المراحل اللاحقة، تحكمت مجموعة من الظروف التاريخية المعقدة، في وتيرة وحجم الإنتاج المخصص لهذا الخط التاريخي، أين تركزت جهود فقهاء المالكية في إعادة الاعتبار للسنة النبوية ومباحثها المختلفة، في مواجعتهم للمدّ الشيعي، وهنا أشير إلى كتاب "المعجزات" لأحمد بن محمد القصري (ت 322 هـ / 933 م)<sup>(4)</sup>، و"التعريف بآل بيت النبي ﷺ" لابن أبي زيد القيرواني (ت 386

<sup>(1)</sup> - تطرق المستشرق الألماني (Josef Horovitz) في دراسته المفصلة، حول بواكير الأعمال الإخبارية المشرقية المنجزة في السيرة النبوية، إلى أسباب الاهتمام بموضوع السيرة في تلك المرحلة، وقد اعتبر شخصية "أبان" ابن الخليفة عثمان بن عفان، أول من أظهر عناية خاصة بالسيرة الرسول، حيث كتب أول مجموعة خاصة تتناول موضوع المغازي. لمزيد من التفصيل. أنظر: يوسف هورفيتس: المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة حسين نصار، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001، ص19-22.

<sup>(2)</sup> - لمعرفة أبرز الأعمال المشرقية في السيرة النبوية خلال العصر الأموي والعباسي الأول. أنظر: فؤاد سيزكين: تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الرياض، السعودية، 1991، مج1، 65/2-117.

<sup>(3)</sup> - أشار أبو بكر المالكي (ت 474 هـ / 1081 م)، إلى عناية محمد بن سحنون بالتدوين في المغازي والتاريخ، من دون أن يذكر عناوين مؤلفاته التاريخية. أنظر: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تحقيق بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، 443/1. وتعدّ المعلومات التي كتبها القاضي عياض السبي (ت 544 هـ / 1149 م)، في الترجمة الموسعة التي خصصها له، من أهم الترجمات التي عدت عناوين مؤلفاته، ويفهم منها أن محمد بن سحنون ألّف في السير كتابا في عشرين جزء، ضمن كتابه الكبير الذي يتألف من مئة جزء في فنون مختلفة. حوله أنظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، 184/2. كذلك أشار إليه ابن فرحون، مصدر سابق، 134/2.

<sup>(4)</sup> - على حسب إفادة أبو بكر المالكي، مصدر سابق، 198/2. الذي اطلع عليه في نيف وستين جزء، وجاء تحت عنوان "تجديد الإيمان وشرائع الإسلام". كذلك أشار إليه القاضي عياض، مصدر سابق، 640/2. الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1978، 12/3.

هـ/ 996 م<sup>(1)</sup>.

وفي الشق الغربي لبلاد المغرب، أجد جهود بعض أعلام سبتة في تدوين السيرة النبوية<sup>(2)</sup>، يتصدرها كتاب القاضي عياض (ت 544 هـ/ 1149 م)، الذائع الصيت الموسوم بـ "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى"، وقد ارتفع حجم المصنفات المخصصة لهذا الموضوع خلال القرنين 6-7 هـ/ 12-13 م، خصوصا بعد وصول أسرة العزفيين<sup>(3)</sup> إلى السلطة، أين عمل أفرادها على زيادة مستوى العناية بالسيرة النبوية، وتنشيط عملية التدوين التاريخي حولها<sup>(4)</sup>، يأتي ذلك في إطار تعزيزهم للاحتفال بالمولد النبوي الشريف<sup>(5)</sup>.

### 1. تنامي ظاهرة الشروح والمختصرات على بعض أصول السيرة النبوية:

يبدو أن عملية التدوين التاريخي المخصص للسيرة النبوية في بلاد المغرب، كان يتناغم وطبيعة حركة التأليف المنتشرة في نهاية المرحلة الوسيطة، حيث كثرة الشروح والمختصرات

(1) - توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (1499 د). حولها أنظر: ي. س العلوش وعبد الله الرجراجي، مرجع سابق، 2/150.

(2) - حول مساهمة أعلام سبتة في تدوين السيرة النبوية. أنظر: إسماعيل الخطيب: الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع هجري، ط2، مطبعة الهداية، تطوان، 2001، ص 423-430.

(3) - حول هذه الأسرة الحاكمة بمدينة سبتة، ودورها خلال القرنين 7-8 هـ/ 13-14 م. أنظر: أمين توفيق الطيبي: دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 1989، ص 63-112.

(4) - من أهم الأعمال التي أنجزها أفراد أسرة العزفيين في موضوع السيرة النبوية، أشير إلى كتاب أمير سبتة، الشيخ أبي العباس السبتي العزفي (ت 633 هـ/ 1235 م) الموسوم بـ "الدر المنظم في مولد النبي المعظم"، وقد أكمله من بعده ابنه أبو القاسم محمد (ت 677 هـ/ 1278 م)، كذلك الأعمال المتعددة التي أنجزها معاصره وابن بلدته ابن دحية الكلبي (ت 633 هـ/ 1235 م)، أذكر منها: "المستوفى في أسماء المصطفى"، و"التنوير في مولد السراج المنير"، و"الآيات البيّنات في ذكر ما لأعضاء رسول الله من المعجزات". حولها أنظر: ابن خلكان: مصدر سابق، 3/ 448-450. الغريبي، مصدر سابق، ص 228. ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 8/ 215-220. المقرئ التلمساني، نفع الطيب، 2/ 104. كذلك أشير إلى كتاب أبي عبد الله التميمي الفاسي (ت 603 هـ/ 1206 م)، الذي خصصه لزوجات النبي وأولاده، وجاء تحت عنوان "اللمعة في ذكر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأولاده السبعة". حوله أنظر: ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 8/ 355.

(5) - حول الاحتفال بالمولد النبوي في مدينة سبتة. أنظر: محمد الشريف: سبتة الإسلامية دراسات في تاريخها الاقتصادي والاجتماعي، ط2، منشورات جمعية تطوان، الرباط، 2006، ص 190-195.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

والتقايد على أمهات دواوين السيرة النبوية، أذكر منها كتاب "فوائد الدرر وفوائد الفكر المختصر"، لأبي علي حسن بن باديس (ت 787 هـ/1385 م)، أشار إليه تلميذه ابن قنفذ القسنطيني، الذي أنجز بدوره مختصراً بعنوان "وسيلة الإسلام في الصلاة على النبي عليه السلام"، وقد جاءت معالجة ابن قنفذ القسنطيني لأخبار السيرة ضمن خمسة أبواب<sup>(1)</sup>، تدور حول المحطات الرئيسية في حياة الرسول، واعتمد في تحريره على بعض المصادر الإخبارية<sup>(2)</sup>، منها ثلاثة مؤلفات في السيرة النبوية، وهي: "سيرة" ابن إسحاق<sup>(3)</sup>، و"الاستيعاب" لابن عبد البر النمري<sup>(4)</sup>، و"الاكتفا" للكلاعي (ت 634 هـ/1236 م)<sup>(5)</sup>.

ومن التقايد المنجزة على شمائل الترمذي (ت 279 هـ/892 م)، تقييد أبي زيد العشاب التازي (ت 724 هـ/1323 م)<sup>(6)</sup>، وكتاب ابن مخلص قاسم السبتي (ت 809 هـ/1406 م)، الذي جاء تحت عنوان "أنجح الوسائل إلى فهم الشمائل"<sup>(7)</sup>، كما نسب للفقير الصوفي أبي عبد الله محمد السنوسي (ت 895 هـ/1489 م)، اختصاره لسيرة أبي القاسم السهيلي (ت 581 هـ/1185 م) الموسومة بـ "الروض الأنف الباسم"، ويبدو من خلال قائمة مؤلفاته التي أعدها له تلميذه أبو عبد الله الملاي التلمساني (ت 898 هـ/1492 م)، أن هذا المختصر غير مكتمل، وقد اطلع على إحدى نسخه النفيسة بخط شيخه المصنف<sup>(8)</sup>.

(1) - ذكر ابن قنفذ القسنطيني في دياحة مختصره عناوين الأبواب الخمسة التي اعتمدها. حولها أنظر: ابن قنفذ القسنطيني: وسيلة الإسلام، تحقيق سليمان السيد المحامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984، ص 32.

(2) - من بين المصادر التي أشار إليها ابن قنفذ في مختصره، كتاب "التعريف والإعلام فيما أجم من القرآن من الأسماء الأعلام" للسهيلي، وكتاب "أنوار الفجر" لابن العربي (ت 638 هـ/1240 م). أنظر: المصدر نفسه، ص 45، 127.

(3) - المصدر نفسه، ص 41، 45، 66.

(4) - المصدر نفسه، ص 44، 45، 46، 66.

(5) - المصدر نفسه، ص 101.

(6) - أشار الونشريسي، المعيار، 12/290. إلى كون هذا التقييد غير مكتمل، وقد جاء ذلك أيضاً في الترجمة التي خصصها له أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 243.

(7) - حوله أنظر: الحسان حالي: الشروح المغربية على كتاب الشمائل، دار أبي رقرق، الرباط، 2012، ص 47-51.

(8) - أنظر: أبو عبد الله الملاي، مصدر سابق، ص 364. كما نقل هذه الترجمة أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 572. وابن مريم الملبتي، مصدر سابق، ص 426. أما تلميذ الثاني البلوي (ت 938 هـ/1531 م)، فقد أشار إلى عدم اكتمال هذا المختصر من دون أن يقطع بصحة ذلك. أنظر: أبو جعفر البلوي: التبت، تحقيق عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي،

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) (التاريخي خارج مجتمع البلاط).

على أن كتاب "الشفاء" للقاضي عياض السبتي، يعتبر من أنفس كتب السيرة التي أصدرتها الأوساط المالكية السبتية في النصف الأول من القرن 6 هـ / 12 م، ويعكس كثرة شروحه ومختصراته، والحواشي والتعليق التي كتبت حوله<sup>(1)</sup>، تلك الأهمية التي حظي بها في الوسط الفقهي المغربي بشكل عام، وفي هذا السياق تمدنا كتب التراجم والطبقات، بمعلومات غزيرة حول أهم المختصرات المنجزة على هذا الكتاب في نهاية العصر الوسيط، وللكشف عن البعض منها، إليك القائمة الاسمية الآتية:

بيروت ، 1983 ، ص 443.

(1) - أحصى طارق بن محمد طاطمي في بحثه البيبوغرافي، حول المؤلفات المغربية والمشرقية الموضوعة على كتاب "الشفاء" خلال المرحلة الوسيطة ما مجموعه 55 عنوانا ما بين شرح، ومختصر، وحاشية... الخ، منها 14 عنوانا يعود إلى شخصيات مغربية. حولها أنظر: طارق محمد الطاطمي: "الشروح والمؤلفات الموضوعة على كتاب الشفاء للقاضي عياض"، مرآة التراث، 2، (2012)، ص 134-157. كذلك أنظر: أحمد فكير: "الشروح والمؤلفات على كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض"، مجلة الإحياء المغربية، 21، (2003)، ص 192-241.

الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

القرن	عنوان الشرح	صاحب الشرح	أصله	تخصصه العلمي
8 هـ/ 14 م	الوفا ببيان فوائد الشفا <sup>(1)</sup>	التيحاني (حيا سنة 718 هـ/ 1318 م)	تونس	رحالة - أديب
	قطعة في التعريف بالقاضي عياض <sup>(2)</sup>	الوادي آشي (ت 749 هـ/ 1348 م)	تونس	محدث - رحالة
	برج الخفا في شرح الشفا	ابن مرزوق (ت 781 هـ/ 1379 م)	تلمسان	فقيه
9 هـ/ 15 م	شرح الشفا <sup>(3)</sup>	ابن السكاك (ت 818 هـ/ 1415 م)	فاس	أصولي-بياني- مفسر
	ثلاثة شروح على الشفا	محمد بن الحسن أبركان (ت 868 هـ/ 1463 م)	تلمسان	صوفي
	مزيل الخفا عن أفاظ	الشمني القسنطيني (ت 872 هـ/ )	قسنطينة	محدث

(1) - أنظر: محمد محفوظ: مرجع سابق، 158/1.

(2) - يفهم من إشارة الوادي آشي، مصدر سابق، ص 218. أن هذه القطعة التي كتبها في التعريف بالقاضي عياض وتأليفه وما قيل فيه، قد ألحقها بآخر نسخة كتاب "الشفا" التي نسخها بخطه، كذلك أشار إلى هذا العمل تلميذه ابن فرحون، مصدر سابق، 237/2. الذي أشار إليه تحت عنوان "الترجمة العياضية".

(3) - أنظر: أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 482.

		الشفأ (1)	1467 م)
	تلمسان	تذكرة المحبين (2)	الرصاع (ت 894 هـ / 1488 م)
	تلمسان	حاشية على الشفا	أحمد بن زكري التلمساني (ت 899 هـ / 1493 م)
10 هـ / 16 م	المغرب الأقصى	إيضاح اللبس والخفا (3)	عبد الله الزموري (ت 911 هـ / 1505 م)
	تلمسان	المنهل الأصفى (4)	ابن أبي شرف التلمساني (ت 921 هـ / 1515 م)

تكشف القائمة الاسمية أعلاه، المتكونة من عشرة أعمال مهمة، على مشاركة العديد من أعلام الحواضر المغربية (تونس - قسنطينة - تلمسان - فاس) في العناية بكتاب "الشفأ"، لكن يبدو أن مشاركة النخب التلمسانية (5)، كانت المشاركة الأكثر تميزاً في هذا الخصوص، من خلال

- (1) - أنظر: السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 474-475.
- (2) - وضع الرصاع كتابه "تذكرة المحبين في شرح أسماء سيد المرسلين" كشرح للأسماء النبوية المذكورة في كتاب "الشفأ"، وقد أفصح عن ذلك في دياحة تذكرته بالقول "فأردت أن أشرح أسماءه التي في كتاب الشفا وأذكر اشتقاقها ومعناها وأذيل عليها بما يليق بمدلولها...". أنظر: الرصاع: تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين، تحقيق محمد رضوان الداية، المجمع الثقافي، أبو ضبي، 2002، ص 40.
- (3) - عنوان الكتاب "إيضاح اللبس والخفا في الكشف عن غوامض الشفا"، اطلع عليه أحمد بابا التنبكي في مجلد كبير وأثنى عليه. أنظر: أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 234-235.
- (4) - عنوان الشرح "المنهل الأصفى في شرح ما تمس الحاجة إليه من ألفاظ الشفا" لأبي عبد الله محمد بن علي ابن أبي شرف التلمساني. حوله أنظر: المصدر نفسه، ص 543. وأشار هنا إلى بعض النسخ العتيقة الموجودة لهذا الشرح في بعض المكتبات الوطنية منها: نسخة دير الأسكوريال تحت رقم (1382) نسخت بتاريخ 970 هـ / 1562 م. حولها أنظر: Derembourg H. et E. Lévi-Provençal, *op. cit.* 3/ 54- 55.
- نسخة ثانية بالزاوية العياشية بالمغرب الأقصى تحت رقم (468)، يعود تاريخ نسخها إلى سنة 971 هـ / 1563 م. حولها أنظر: حميد لخير: الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الراشدية، مطبعة الأمنية، الرباط، 2009، 1/ 263-264. نسخة ثالثة تونسية يعود تاريخ نسخها إلى سنة 1041 هـ / 1631 م، تم تصويرها من قبل معهد المخطوطات العربية للكويت وأدرجت في مكتبته تحت رقم (258). حولها أنظر: فهرس المخطوطات المصورة لمعهد المخطوطات العربية بالكويت، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، 1984، 1/ 398-399. نسخة رابعة غير مؤرخة تحتفظ بها المكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (78 ح). حولها أنظر: فهرس المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (مجموعة الحجوي)، منشورات المكتبة الوطنية، الرباط، 2008-2009، 8/ 90.
- (5) - حول المكانة التي حظي بها كتاب "الشفأ"، في وسط النخب العلمية التلمسانية. أنظر: آسيا ساحلي: "انتقال المعرفة التاريخية في المغرب الأوسط في نهاية العصر الوسيط"، مغرب أواسطيات، ص 232-236.



## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) (التاريخي خارج مجتمع البلاط).

انجازها لنحو خمسة شروح مهمة، من أهمها: شرح ابن مرزوق التلمساني<sup>(1)</sup>، وشرح أبي عبد الله محمد بن الحسن أركان<sup>(2)</sup>، وأحمد بن زكري التلمساني<sup>(3)</sup>.

بلا شك كثرة الشروح والمختصرات المؤلفة حول "الشفاء"، تعبّر بشكل واضح عن ذلك التبجيل الذي حظي به الكتاب إلى نهاية المرحلة الوسيطة، إلا أنّها في مقابل ذلك أظهرت قصور المدرسة المالكية، وعدم قدرتها على تجاوز ذلك الإطار المرجعي الذي رسمته أصول السيرة النبوية، وقد بقيت جهودهم منحصرة في إعادة تجميع الأخبار الأولى، في محاولة منهم تكريس تلك الصورة المثالية التي تشكلت حول شخص الرسول منذ مراحل مبكرة.

ومع ذلك فيبدو أن محاولة أحد المتممين لكتاب البلاط في مغرب ما بعد الموحدين، كانت المحاولة الأكثر جدية في هذا الخصوص، جسدها الكاتب أبو الحسن علي بن سعود<sup>(4)</sup> الخزاعي التلمساني (ت 789 هـ / 1387 م)، متولي خطة الكتابة في بلاط السلاطين الزيانيين والمرينيين،

(1) - أشار ابن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح، ص 199، 228، 277. إلى شرحه بقوله "وقد كتبت مقدمة في شرحي له المسمى برج الخفاء في شرح الشفاء ضممتها من نأ الأعلام على هذا الكتاب من المتقدمين والمعاصرين ما جاء على أحسن ما يصنف في مثل ذلك"، وقد قام بإهدائه إلى السلطان المريني أبي الحسن بعد تمامه. وفي هذا السياق ذكر ابن حجر العسقلاني أنه حصل على نسخة من "برج الخفاء"، هدية من تلميذه ابن مرزوق الحفيد (ت 842 هـ / 1438 م)، في اللقاء الذي جمعه بشيخه بالقاهرة، وهي نسخة نفيسة منسوخة بخط ابن مرزوق الحفيد. حولها أنظر: السخاوي: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق إبراهيم باحس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، 1999، 1016/3.

(2) - أكبر الشروح الثلاثة التي أنجزها أبو عبد الله بن الحسن أركان، يقع في مجلدين تحت عنوان "غنية أهل الصفا في شرح الشفاء". حوله أنظر: أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 543. المقرئ التلمساني، أزهار الرياض، 4 / 263. ابن مريم الملبّي، مصدر سابق، ص 388.

(3) - حوله أنظر: المصدر نفسه، ص 111-117. وقد أشار طارق بن محمد طاطمي، مرجع سابق، ص 141. إلى وجود نسخة خطية من هذا العمل في الخزانة العامة بالمملكة المغربية (مجموعة الحجوي)، تحت رقم (78/4).

(4) - أورد معاصره ابن خلدون، الرحلة، ص 56. اسم جده بصيغة "سعود"، وهي الصيغة التي وردت في فهرسة تلميذه أبي زكريا يحيى السراج، مصدر سابق، ص 625. بينما أوردتها ابن الأحمر، مستودع العلامة، ص 63. بصيغة "مسعود"، ويبدو أن هذه الصيغة الأخيرة، قد اعتمدها في وقت لاحق ابن القاضي، درة الحجال، 3 / 248. وكما يظهر أن الصيغة الأولى "سعود"، التي أنبتتها معاصره ابن خلدون وتلميذه السراج، هي الصيغة الأصح، فقد أوردتها الخزاعي في أثناء ذكره لنسبه في مقدمة "تخرّيج الدلالات" بقوله "يقول عبّيد الله الفقير إليه الغني به عن سواه عليّ بن محمد بن أحمد بن موسى بن سعود". حولها أنظر: الخزاعي: تخرّيج الدلالات السمعية، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1958، ص 21.

## الفصل الثاني ———— تعدو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

لمدة ليست بالقصيرة<sup>(1)</sup>، الأمر الذي أكسبه شخصية ديوانية، لها خبرة طويلة ومعرفة واسعة بالتراتب الإداري الموجودة على عهده، يضاف إليها تضلعه في علوم الحساب واللغة<sup>(2)</sup>، ونظير عمله التاريخي الموسوم بـ "تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعملات الشرعية"، نال لقب "الشيخ اللغوي التاريخي" في الترجمة التي خصصها له تلميذه أبو زكريا يحيى السراج (ت 803 هـ / 1400 م)<sup>(3)</sup>.

وبخصوص كتابه التاريخي الذي سلط فيه الضوء على أحد أجزاء مرحلة النبوة "التراتب الإدارية"، فقد أتمه سنة 786 هـ / 1384 م، على ما صرح به في ديباجته<sup>(4)</sup>، أي قبل وفاته بنحو سنتين، كان ذلك بعد إعفائه من الأعمال الديوانية وتفرغه للتأليف، وقد شرح أسباب حوضه في مثل هذه الزوايا الدقيقة في موضوع السيرة النبوية، وتكمن في التأكيد على الأصول الشرعية للخطط والمراتب السلطانية المعمول بها في بلاط السلاطين، يبدو أن ذلك جاء ردا على من اعتبر تلك الخطط أمرا مبتدعا، ليس لها أصل شرعي.

وبصفته أحد المنتظمين في سلك البلاط، كانت تجربته التاريخية هذه، تخفي وراءها محاولته إعطاء مبرر شرعي لمتولي الخطط السلطانية، وذلك من خلال التأكيد على وجودها في عهد النبوة، كما رتب تخريجه على عشرة أجزاء، مقسمة إلى عدة أبواب، عالج في كل جزء منها خطة من الخطط الشرعية على عهد النبي، وتعتبر مناقشته للعملات الجهادية، أحد أكبر أجزاء الكتاب التي تناو لها بالتفصيل، أين خصص لها خمسة وأربعين بابا<sup>(5)</sup>، ويمكن أن نربط هذه

(1) - من خلال ترجمة ابن الأحرر، مستودع العلامة، ص 63-64. يمكنني القول أنه تولى الخدمة في بلاط السلاطين الزيبانيين والمرينيين ما يزيد على الأربعين عاما، حيث تولى خطة الأشغال السلطانية للسلطان الزيباني أبي سعيد عثمان (737-753 هـ / 1336-1352 م)، ثم تحول إلى الخدمة الديوانية في البلاط المريني إلى أن عزل سنة 786 هـ / 1384 م.

(2) - أشاد ابن الأحرر بعلو كعبه في الحساب والعربية بقوله "... معرفته بالحساب تستغرق العقول إذ ربت عن حد الحصر والمنقول وأما اللغة فمسلكه في سبيلها أسكت ابن السكيت... والعربية هو علم رياستها العلمية... ولم يكن في المعرفة بالفقه بالمقصر...". أنظر: المصدر نفسه، ص 64.

(3) - مصدر سابق، ص 265.

(4) - أنظر: الخزاعي، مصدر سابق، ص 22-23.

(5) - يأتي في الترتيب الثاني من حيث الحجم، الجزء المخصص للصناعات والحرف بأربعة وثلاثين بابا، ويليه الجزء المخصص للعملات الفقهية بخمسة وعشرين بابا، بعدها ذكر العملات الاحكامية بسبعة عشرة بابا، ثم العملات الكتابية بثلاثة عشرة بابا، ثم العملات الجبائية في اثني عشر بابا، ويليه في العملات الاختزانية في أحد عشر بابا، ثم الجزء المخصص لسائر العملات في عشرة أبواب، وفي الأخير في الخلافة والوزارة في سبعة أبواب. أنظر: المصدر نفسه، ص 23-32.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

التوسعة في الخطط الجهادية، توليه لديوان العسكر زمن السلطان المريني أبي سالم إبراهيم (760 – 762 هـ/1359-1361 م)<sup>(1)</sup>، كما يظهر أنه كان محتاطاً من خطوة إهدائه الكتاب إلى السلطان المريني أبي فارس موسى (786-788 هـ/1384-1386 م) عقب توليه عرش المرينيين، مبرراً ذلك إلى ما جرت عليه العادة في مهادة السلاطين، كما أوضح سنده الشرعي حيال تلك الخطوة، في كونها من عمل النبي في اقتناء المحبة.

تحري الدقة وذكر مصادره التي عوّل عليها في تحريجه، أحد النقاط المهمة التي أراد الخزاعي إبرازها في عمله بقوله "وعرّفَت بالمواضع التي نقلت منها جميع ما اشتملت عليه من كتب العلماء رحمهم تعالى، ليقف عليها هنالك من تطمح نفسه لذلك فابراً من عهدة النقل"<sup>(2)</sup>، لذلك نجده لا يكتفي فقط بالإشارة إلى مصادره، بل زود قارئ تحريجه بعناوين الكتب التي استند إليها في خاتمة كتابه والمقدرة بنحو 166 عنواناً<sup>(3)</sup>، وقد قام بتوزيعها على ستة عشرة صنفاً من أصناف المعرفة، احتلت فيها كتب النسب المرتبة السابعة، بينما احتلت كتب التاريخ والسيرة المراتب الأخيرة، وهي المرتبة الثانية عشر في تصنيفه، على ما أكشف عنه في القائمة الاسمية التالية:

(1) - أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص 56.

(2) - أنظر: الخزاعي، مصدر سابق، ص 22.

(3) - أنظر: المصدر نفسه، ص 789-797.

الفصل الثاني ————— تعدد مسارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

الترتيب حسب القائمة	الصف	عدد المؤلفات	الترتيب حسب عدد المؤلفات
01	تفسير القرآن	06	08
02	أحكام القرآن	01	16
03	الحديث	14	04
04	الأغربة	05	10
05	شرح الحديث	13	06
06	ضبط الأسماء	03	15
07	الأنساب	04	12
08	الفقه	21	03
09	أصول الفقه	01	16
10	الأوزان والمكاييل	06	08
11	التصوف	04	12
12	السير والتواريخ	22	02
13	اللغة	34	01
14	العربية	05	10
15	الأدب	14	04
16	الأشعار	08	07
17	كتب أخرى	04	12

على أهمية التصنيف المعتمد في قائمة الخزاعي أعلاه، إلا أنه لم يراع في ترتيبه عدد المؤلفات المعتمدة في كل صنف، أين يظهر استخدامه الكبير لكتب اللغة والمقدرة بنحو 34 عنوانا، وهي بذلك الخانة الأوسع، إلا أنها احتلت المرتبة 13 في تصنيفه، يليها مباشرة من حيث عدد المؤلفات، كتب التاريخ والسير التي بلغت نحو 22 عنوانا، أما كتب الأنساب فقد بلغت أربعة مؤلفات فقط، محتلة بذلك المرتبة 12 من حيث حجم المؤلفات المعتمدة، ليلعب مجموع كتب التواريخ والنسب المصرح بها فقط في قائمة الخزاعي نحو 26 عنوانا من أصل 166، وهو ما يمثل نسبة 15 % .

بالتدقيق أكثر في طبيعة مصادره التاريخية، فالملاحظ أن الخزاعي قد عوّل كثيرا على كتب السيرة والتراجم، إضافة إلى أعمال النسب، تماشيا وطبيعة المواضيع المطروحة في الكتاب، وقد توزعت بين أعمال مشرقية، وأندلسية، ومغربية، على ما أكشف عنه في القائمة الاسمية التالية،

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) (التاريخي خارج مجتمع البلاط).

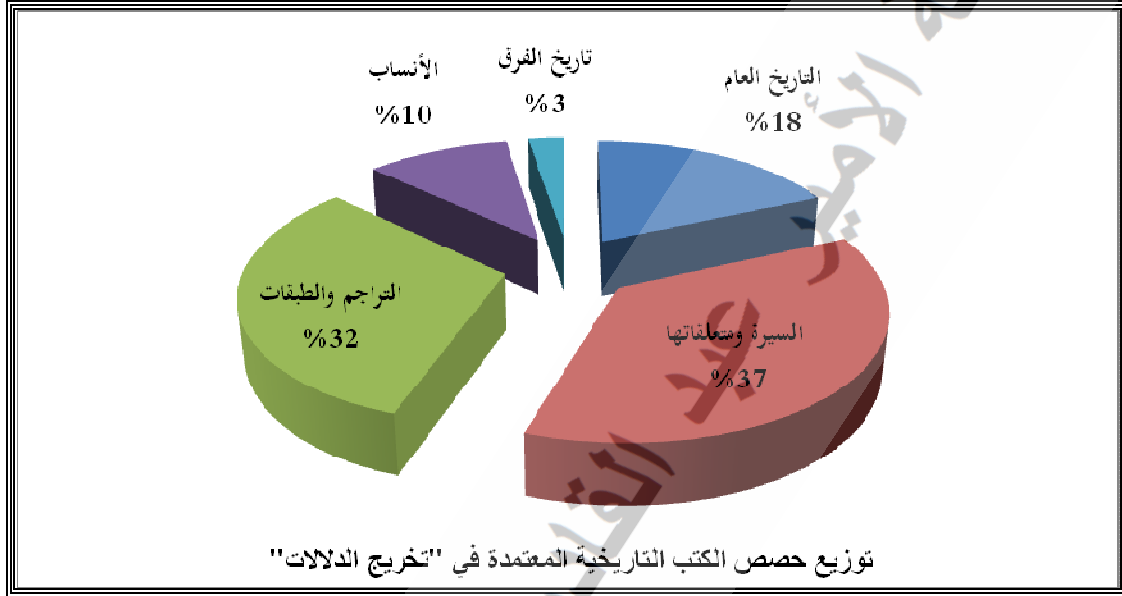
التي أدرجت فيها إضافة إلى تلك العناوين التي ذكرها الخزاعي في قائمة مصادره، كذلك تلك العناوين الغير مدرجة في القائمة، إلا أن الخزاعي صرح بالنقل عنها في متن الكتاب، وقد بلغت نحو 12 كتابا، ليصبح المجموع الكلي لكتب التواريخ والنسب المعتمدة في تخريج الخزاعي، نحو 38 كتابا، وتفاديا للحشو، فقد تجاوزت الإشارة إلى أرقام الصفحات التي ورد النقل فيها، ذلك أن محقق الكتاب قد أنجز فهرسة جامعة في نهاية الكتاب المطبوع، بما فيها فهرس لعناوين الكتب التي ذكرها الخزاعي في المتن.

المصنفات	مشرقية	عددتها	أندلسية/ مغربية	عددتها	المجموع
التاريخ العام	عيون الأخبار لابن قتيبة- بلغة الظرفاء لابن أبي سرور - تاريخ محمد بن أحمد بن عيسى- تاريخ خليفة بن خياط - الكامل لابن الأثير- نفحة الحداق والخمائيل مجهول	06	أنباء الأنبياء للقضاعي	01	07
السيرة ومتعلقاتها	سيرة ابن إسحاق- شمائل الترمذي- السير ليحي بن سعيد الأموي- أخلاق النبي لابن حيان الاصفهاني- خلاصة السير لأحمد الشريف الطبري- مختصر السير لابن جماعة	06	الروض الأنف للسهيلى - غريب السير لأبي ذرّ الحشني- أفضية النبي لابن الطلّاع - جوامع السيرة لابن حزم - الشفاء للقاضي عياض - الدرّ المنظم للعزفي- العمدة لأبي عبد الله التلمساني- الاكتفاء للكلاعي	08	14
التراجم والطبقات	التاريخ الكبير للبخاري- تاريخ ابن أبي خيثمة - بمجة النفس لابن هشام - الصفوة لأبي الفرج الجوزي - تاريخ بغداد للبيهقي- طبقات الشيرازي - معرفة مصر ومن دخلها من الصحابة لأبي سعيد الصدفي	07	الاستيعاب لابن عبد البر- ذيل على الاستيعاب لابن فرحون -طبقات الفلاسفة لابن جلجل- طبقات الفلاسفة لابن صاعد- تكملة ابن عبد الملك المراكشي	05	12
الأنساب	جماهر النسب لأبي عبيد القاسم بن سلام- الموالي والعرب للحافظ	02	الجمهرة لابن حزم- اقتباس الأنوار لأبي سعيد الرشاطي	02	04
تاريخ الفرق	أخبار الخوارج للقاسم بن أبي صفرة	01	غير وارد	00	01
المجموع		22		16	38

من خلال العرض المفصل أعلاه، المنجز حول كتاب الخزاعي ومصادر بحثه، يمكنني التنبيه هنا إلى تفوق حجم الأعمال المشرقية المعتمدة من طرف الخزاعي، وقد بلغت نحو 22 كتابا في مختلف فروع المعرفة التاريخية، على حساب نظيرتها المغربية التي حازت على 16 كتابا فقط،

## الفصل الثاني ————— تعرفو سارات (التروين) (التاريخي خارج مجتمع البلاط.

كما حصلت كتب السيرة النبوية، على المرتبة الأولى بين باقي أصناف المعرفة التاريخية، وقد بلغ حجم الأعمال المدرجة في خانتها نحو 14 عملاً، ومن أجل الوقوف عن كثب على هذه المعطيات الإحصائية، التي تبرز مكانة المؤلفات التاريخية المعتمدة من قبل الخراعي، إليك التمثيل البياني التالي:



من غير المبالغة القول، أن وجود كتاب "تخريج الدلالات السمعية" ضمن قائمة المؤلفات المهداة لسلطين الدولة المرينية في النصف الثاني من القرن 8 هـ / 14 م، يأتي تتويجا لذلك التبجيل الكبير الذي حظي به موضوع السيرة النبوية<sup>(1)</sup> في دوائر صناع القرار في بلاط مغرب ما بعد الموحدين، ناهيك عن كبير العناية الذي خص به في وسط النخب الفقهية المالكية والصوفية على حد سواء، فخلال القرن 9 هـ / 15 م أنجز ابن مرزوق الحفيد (ت 842 هـ / 1438 م) كتابا في معجزات النبي تحت عنوان "الآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات"، وهو أحد مرويات تلميذه الثعالبي (ت 875 هـ / 1470 م)<sup>(2)</sup>، الذي أنجز كذلك كتاب في

(1) - من الأعمال الأندلسية المنجزة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم، خلال القرن 8 هـ / 14 م، أشير إلى ثلاثة أعمال منسوبة لابن جزئي الكلبي (ت 785 هـ / 1383 م)، أحدها في نسب الأشراف القائمين بالأندلس، و"البيان في نسب آل عدنان"، و"مختصر البيان في نسب آل عدنان"، كذلك أشير إلى رسالتين أندلسيتين مختصرتين في السيرة النبوية لأبي جعفر الرعيبي (ت 779 هـ / 1377 م)، وابن جابر محمد بن أحمد (ت 780 هـ / 1378 م)، وقد حقق الرسالتين مصطفى بن مبارك عكلي، الرابطة المحمدية لعلماء المغرب، الرباط، 2011 م.

(2) - مصدر سابق، ص 60. كذلك ذكره أبو جعفر البلوي، مصدر سابق، ص 293. أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 508. ابن مريم المليتي، مصدر سابق، ص 377.

السيرة تحت عنوان "الأنوار في آيات النبي المختار وذكر نبذ من غزواته وحميد سيرته وسيرة أصحابه الأبرار" <sup>(1)</sup>، وقد نحى به منحى "سيرة" ابن إسحاق.

## 2. العناية بالسيرة النبوية في شكل تواريخ منظومة:

المؤكد أن عملية تطويع بعض المواد المعرفية، ومحاولة وضعها في أحد القوالب الفنية المعروفة، في شكل أبيات شعرية "أراجيز"، قد اخترق مجالات معرفية واسعة، ومختلفة في بلاد المغرب في نهاية العصر الوسيط، وظهرت مجموعة كبيرة من الكتب التعليمية في شكل قصائد منظومة، خصوصا منها في علوم القراءات، واللغة والنحو، ناهيك عن تلك المتعلقة بفروع العلوم العقلية، كأراجيز علوم الحساب، والطب، والنجوم، والأفلاك، والغالب على هذا النوع من التأليف أنه كتب لأغراض تعليمية، تسهила لعملية التلقين، ولم تكن المواد التاريخية بعيدة عن هذا التوجه الأدبي بشكل عام، وهنا يعود إلى ذهني إحدى أهم الأعمال الإخبارية المنظومة في المرحلة الوسيطة المتأخرة، أعني به نظم المازوزي السابق الذكر، ونظم ابن الخطيب السلماي الموسوم بـ "رقم الحلل في نظم الدول" <sup>(2)</sup>.

وتعتبر أخبار السيرة النبوية، من أهم الموضوعات التاريخية التي خضعت لهذا القالب الفني، وقد عرفت انتشارا واسعا في مغرب ما بعد الموحدين، تماشيا وتفشي ظاهره الاحتفال بالمولد النبوي في بلاط السلاطين، وقد ساهم ذلك في تنشيط عملية نظم الأمداح الدينية، أو ما يعرف بـ "شعر المولوديات" <sup>(3)</sup>، حيث شهدت المرحلة مشاركة واسعة لمختلف النخب العلمية، ونظمت خلالها مجموعة من القصائد المولدية <sup>(4)</sup> التي تتغنى بسيرة المصطفى، وتعداد فضائله

<sup>(1)</sup> - تحقيق محمد الشريف قاهر، دار التراث ناشرون، الجزائر، دار ابن حزم، بيروت، 2005 م.

<sup>(2)</sup> - المطبعة العمومية، تونس، 1906 م.

<sup>(3)</sup> - أنجزت الكثير من الأبحاث حول شعر المولوديات في بلاد المغرب الوسيط، أشير فقط إلى دراسة: أحمد موساوي: المولوديات في الأدب الجزائري القديم، عهد تلمسان الزيانية، موفم للنشر، الجزائر، 2008 م. محمد الأزهرى باي: المديح النبوي في المغرب الإسلامي، من القرن 5 - 9 هـ/ 11 - 15 م، مركز النشر الجامعي، تونس، 2013 م. أنس وكاك: "المولد النبوي احتفالا وإقراء وتأليفا"، *مرآة التراث*، 3، (2014)، ص 24-41.

<sup>(4)</sup> - من القصائد المولدية المنجزة في نهاية المرحلة الوسيطة، أشير إلى: قصائد في المولد النبوي لآبي عمران موسى الزناقي الزموري (ت 714 هـ/ 1314 م)، وأشعار في النبويات لأبي العباس أحمد التجيبي السبتي (ت 725 هـ/ 1324 م)، وقصائد في مولوديات من نظم أبي عبد الله محمد الصيرفي (حيا سنة 763 هـ/ 1361 م)، وابن عباد النفزي الرندي (ت 792 هـ/ 1389 م)، وأبي زيد عبد الرحمن المكناسي (أواسط ق 9 هـ/ 15 م)، وأبي سالم إبراهيم اللنتي التازي (ت 866

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

الحميدة، سوف أكتفي فقط بالإشارة إلى قصائد أعلام القرن 8 هـ/ 14 م، ممن أظهروا عناية بالخبر التاريخي، على غرار قصيدة عبد الله التيجاني (حيا سنة 718 هـ/ 1318 م) التي ختم بها رحلته<sup>(1)</sup>، والقصيدة المولودية التي نظمها يحيى بن خلدون، وألقاها في مولد 771 هـ/ 13 أكتوبر 1369 م<sup>(2)</sup>، كما أنشأ صاحب "العبر" قصائد مولودية سنوات 762 هـ/ 19 جانفي 1361 م<sup>(3)</sup>، و764 هـ/ 29 ديسمبر 1362 م<sup>(4)</sup>، و765 هـ/ 18 ديسمبر 1363 م<sup>(5)</sup>، وبالمثل قصيدة "الشاعر التاريخي" ابن الأحمر في مولد 799 هـ/ 16 ديسمبر 1396 م<sup>(6)</sup>، أما ابن مرزوق الخطيب فقد خصص الفصل السادس من الباب السادس في مسنده، للحدث عن احتفالات المولد النبوي، التي كان يقيمها مخدومه السلطان المريني أبو الحسن، جاء تحت عنوان "في عاداته الجارية ليلة مولده صلى الله عليه وسلم وسابعه"<sup>(7)</sup>، وقد سلط الضوء فيه على كيفية الاحتفال بليلة المولد، بما فيها إلقاء قصائد المديح الديني بحضور السلطان، وتكتسي روايته أهمية بالغة باعتباره أحد أبرز وجوه البلاط المريني، الذين لزموا حضور الاحتفالات المولودية مدة أحد عشرة سنة، كان ذلك بين سنوات 738 - 749 هـ/ 1337 - 1348 م<sup>(8)</sup>.

بالعودة إلى عملية نظم السيرة النبوية<sup>(9)</sup>، ومسارها خلال القرون الوسيطة المتأخرة، حيث

---

هـ/ 1461 م). لمعرفة مزيد من التفصيل. أنظر: محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، ط2، مطبعة النجاح الجديدة،

الدار البيضاء، 1996، ص 531-533.

(1) - حولها أنظر: التيجاني، مصدر سابق، ص 393-395.

(2) - حولها أنظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 2/ 221-224.

(3) - ابن خلدون، الرحلة، ص 75.

(4) - المصدر نفسه، ص 86-87.

(5) - المصدر نفسه، ص 89-90.

(6) - محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ص 530.

(7) - المسند الصحيح، ص 147-154. وفي وقت لاحق أشار أبو عبد الله الرصاع التلمساني، إلى بعض مظاهر الاحتفال

بالمولد النبوي في بلاد المغرب من "إظهار السرور والفرح من الشمع وتزيين المكاتب والأولاد والإنشاد...". أنظر:

الرصاع، مصدر سابق، ص 23-24.

(8) - ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 152.

(9) - من أهم الأعمال المنظومة في السيرة النبوية المنجزة خلال القرن 7 هـ/ 13 م، أشير إلى العمل الذي أنجزه الخضراوي

الأصل أبو الحكم الحسن بن عبد الرحمن الأنصاري (ت بعد 644 هـ/ 1246 م)، عبارة عن ديوان ضخم في مدح

الرسول تحت عنوان "منتهى السؤل في مدح الرسول"، يصل عدد مجلداته إلى 25 مجلد. حوله أنظر: التيجاني، مصدر



## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) (التاريخي خارج مجتمع البلاط).

تعدّ منظومات مالك بن المرحل السابق الذكر، من أبرز أراجيز السيرة التي تم تداولها على نطاق واسع خلال القرن 8 هـ/ 14 م، يعود ذلك إلى طريقة عرضه المتسلسل لأخبار النبوة، وقد تطرق فيها إلى غزواته، وكثيرا من معجزاته من مولده إلى وفاته على نسق "سيرة" ابن إسحاق، منها قصيدتين إحداهما تحت عنوان "المعشرات اللزومية في مدح محمد رسول الله المصطفى من البرية عيه أفضل سلام وأكرم تحية"، والثانية "المعشرات الورايبية في وصف المكارم النبوية والحض على الأعمال الدينية وعلى زيارة قبر النبي محمد خير البرية"<sup>(1)</sup>، كذلك عمل "الفقيه الأديب" ابن العطار الجزائري (حيا سنة 707 هـ/ 1308 م)<sup>(2)</sup>، جاء تحت عنوان "نظم الدرر في مدح سيد البشر"<sup>(3)</sup>، يظهر أن مؤلفه انتهج فيه الجمع بين نظم ونثر أخبار السيرة<sup>(4)</sup>.

يظهر أن العناية بالسيرة النبوية في قوالب منظومة في هذه المرحلة المتأخرة، قد اتجه كذلك

---

سابق، ص 92-94. المقرئ التلمساني، نفع الطيب، 7/ 459-467. كذلك نظم أبي عبد الله الرّبي التلمساني (ت 681 هـ/ 1282 م) تحت عنوان "فريدة الآلي"، ولأخيه أبي إسحاق إبراهيم (ت 690 هـ/ 1291 م)، منظومات في السير وأمداح النبي صلى الله عليه وسلم، منها قصيدته "المعشرات العروضية في مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم". حولهما أنظر: ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 8/ 280-281. التجيبي، مصدر سابق، ص 266، 289. كذلك منظومة مستوطن مدينة تونس، حازم بن محمد القرطاجني (ت 684 هـ/ 1285 م)، تحت عنوان حديقة الأزهار وحقيقة الافتخار في مدح النبي المختار"، وتعرف كلك بـ "المقلوبة من قصيدة امرؤ القيس في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم". حولها أنظر: العبدري، مصدر سابق، ص 111-115. التجيبي، مصدر سابق، ص 288. ابن جابر الوادي آشي، مصدر سابق، ص 299. ابن الطواح، مصدر سابق، ص 218.

<sup>(1)</sup> - وردت منظومات مالك بن المرحل تحت عنوان "الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى"، على حسب إفادة أبي القاسم التجيبي، وقد قرء جزءا منها على ناظمها ابن المرحل بمدينة سبتة سنة 690 هـ/ 1291 م، بما فيها "المعشرات" المذكورة. حولها أنظر: التجيبي، مصدر سابق، ص 137، 288، 289.

<sup>(2)</sup> - أنظر ترجمته: البغدادي: هدية العارفين وآثار المصنفين، وكالة المعارف الجليلية، إسطنبول، 1955، 2/ 141. عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1971، ص 179.

<sup>(3)</sup> - من خلال رواية المقرئ التلمساني، يظهر أن هذا الكتاب ورد تحت عناوين مختلفة، منها "نظم الدرر في مدح سيد البشر"، و"درر الدرر"، و"نظم الدرر في نسب سيد البشر"، و"المورد العذب المعين في مولد سيد الخلق أجمعين"، وقد نقل عنه المقرئ تسديس في مدح المصطفى. حولها أنظر: نفع الطيب، 7/ 480-484، 485-489، 490-496.

<sup>(4)</sup> - ذكر المقرئ التلمساني (ت 1041 هـ/ 1631 م) أنه اطلع على إحدى نسخ الكتاب، وقيد على ظهر الورقة الأولى منه أنها نسخة برواية الشيخ محمد بن أحمد الأقبهري (ت 731 هـ/ 1330 م)، مقابلة بأصل ناظمها ابن العطار، ومقروءة عليه في عدة مجالس كان آخرها شهر ذي القعدة 707 هـ/ ماي 1308 م. حولها أنظر: المصدر نفسه، 7/ 489-490.

## الفصل الثاني ———— تعدو سارات (التروين) (التاريخي خارج مجتمع البلاط.

إلى العناية بشرح منظومات السيرة الذائعة الصيت، والتي أنتجت في مراحل سابقة، الأمر الذي تفسره تلك الشروح الكثيرة<sup>(1)</sup> المنظومة على بردة البوصري (ت 694 هـ / 1294 م)، الموسومة بـ "الكواكب الدرية في مدح خير البرية"، منها الشروح الثلاثة التي نظّمها التلمساني ابن مرزوق الحفيد<sup>(2)</sup>، الأكبر تحت عنوان "إظهار صدق المودة في شرح البردة"، والأوسط والأصغر تحت عنوان "الاستيعاب لما في البردة من البيان والإعراب"، كذلك أنجز شرحا على القصيدة الشقراطية<sup>(3)</sup> بعنوان "الذخائر القراطية في شرح القصيدة الشقراطية"<sup>(4)</sup>، كما وضع أبو الحسن علي القلصادي (ت 791 هـ / 1388 م) ثلاثة شروح على ثلاثة أراجيز منظومة في السيرة، وهي (البردة- رجز في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم - فريدة الآلي)<sup>(5)</sup>.

<sup>(1)</sup> - عرض محمد المنوي، ورفقات عن حضارة المرينيين، ص 533-536. قائمة متكونة من 12 شرحا على بردة البوصري المنظومة في العهد المريني، وبالمثل كانت عناية علماء تلمسان الزيرية بالبردة وانجاز الشروح عليها، على غرار شرح الفقيه سعيد العقباني (ت 811 هـ / 1408 م)، والشيخ علي بن ثابت (ت 829 هـ / 1425 م)، والصوفي ابن الحاج الورنيدي (ت 930 هـ / 1523 م). حولها أنظر: ابن مريم المليتي، مصدر سابق، ص 88، 222، 277. عبد الحفي الكتاني، مرجع سابق، 1/ 525. 2/ 963.

<sup>(2)</sup> - أشار تلميذه عبد الرحمن الثعالبي، مصدر سابق، ص 60. إلى هذه الشروح الثلاثة، ضمن قائمة المؤلفات التي يرويها على شيخه المصنف. كما أشار إليها أبو جعفر البلوي، مصدر سابق، ص 293. كما أضاف إليها قيام ابن مرزوق الحفيد بوضع تلخيص على قصيدته "إظهار صدق المودة". كذلك ذكرها أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 506. ابن مريم المليتي، مصدر سابق، ص 376.

<sup>(3)</sup> - من نظم "الشيخ الفقيه العالم الصالح" أبي محمد عبد الله الشقراطي التوزري (ت 466 هـ / 1073 م)، وهي قصيدة لامية في مدح خير البرية وذكر معجزاته وغزواته، أوردتها في خاتمة كتابه "الإعلام بمعجزات النبي عليه السلام"، وقد أورد العبدري في نص رحلته أبيات القصيدة كاملة، والمكونة من 135 بيت، قرأها على صديقه الشيخ ابن هريرة النفزي (حيا سنة 688 هـ / 1289 م)، كما أشار إلى عناية الأعلام بما شرحا وتحميسا، من أشهرها تحميس ابن الشباط التوزري (ت 684 هـ / 1285 م) الموسوم بـ "سمة السمط وسمة المرط في شرح السمط المهدي في الفخر المحمدي"، وتحميس ابن عربية النفزي (ت 659 هـ / 1260 م) بعنوان "قصائد المدح ومصائد المنح"، مؤلف كتاب في السيرة كذلك تحت عنوان "جوامع الكلم النبوية"، إضافة إلى تحميس الأندلسي أبي بكر محمد بن حبيش. حول هذه القصيدة وشروحها وتحميساتها. أنظر: العبدري، مصدر سابق، ص 39-46، 205. التيجاني، مصدر سابق، ص 375. الوادي آشي، مصدر سابق، ص 225-226.

<sup>(4)</sup> - ذكر أبو جعفر البلوي، مصدر سابق، ص 294. شرح ابن مرزوق للشقراطية، تحت عنوان "الذخائر القراطية". بينما أشار إليها أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 506. بـ "المفاتيح القراطية"، ونقلها عنه ابن مريم المليتي، مصدر سابق، ص 376.

<sup>(5)</sup> - أنظر: المصدر نفسه، ص 277.

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

بلا شك تظهر قائمة الأعمال المغربية المنجزة في موضوع السيرة النبوية، المكانة المتميزة التي حازت عليها هذا النمط من التأليف في وسط النخب العلمية الفقهية والصوفية، كما لم تقتصر معالجتهم على الجانب التاريخي فقط، بل شمل كذلك أبعادها الدينية المختلفة، أخص بالذكر هنا تلك الأعمال التي دونت حول فضل شعيرة التصلية والتسليم على النبي<sup>(1)</sup>، كأحد أهم الشعائر الدينية المرتبطة بشخصية الرسول، وهي الأعمال التي يضاف إليها في كثير من الأحيان أحداث السيرة (المبعث - الغزوات - المعجزات والكرامات)، لتتماشى والسياق العام للعمل المنجز، ويبدو أن انتشار المدّ الصوفي بأشكاله المختلفة، في بلاد المغرب خلال القرنين 9 - 10 هـ/ 15-16 م، قد كان له الأثر الإيجابي في إرتفاع وتيرة الأعمال المنجزة في فضل هذه الشعيرة، ومن أبرز الأعمال المحسوبة على الأوساط الصوفية، كتاب القطب الصوفي، أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي (ت 870 هـ/ 1465 م)<sup>(2)</sup> الموسوم بـ "دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار".

كما أشير إلى محاولة خطيب جامع الزيتونة، أبي عبد الله الرصاع التلمساني (ت 894 هـ/ 1488 م)، الذي أظهر عنايته الكبيرة بموضوع السيرة النبوية<sup>(3)</sup>، وقد أفرد عملين في فضل هذه الشعيرة، الأول تحت عنوان "الخمسمائة صلاة على النبي"<sup>(4)</sup>، أما الثاني تحت عنوان "تحفة الأخيار في فضل الصلاة على النبي المختار"<sup>(5)</sup>، أما معاصره بركات محمد بن أحمد العروسي القسنطيني (ت 897 هـ/ 1491 م) فله كتاب "وسيلة المتوسلين بفضل الصلاة على سيد المرسلين"<sup>(6)</sup>، كذلك ابن سعد الأنصاري التلمساني (ت 901 هـ/

(1) - معرفة مزيد من التفصيل حول المؤلفات المغربية المنجزة في فضل الصلاة على النبي منذ مراحل مبكرة. أنظر: محمد المنوني: "مؤلفات مغربية في الصلاة والسلام على خير البرية"، مجلة دعوة الحق، 4، (1977)، ص 20-31.

(2) - أنظر ترجمته: أحمد بابا التنبكتي، مصدر سابق، ص 545-546.

(3) - حول مؤلفات الرصاع. أنظر: السخاوي، الضوء اللامع، 8/ 287-288. أحمد بابا التنبكتي، مصدر سابق، ص 560.

ابن مريم الملبتي، مصدر سابق، ص 474-475.

(4) - تحقيق نزار حمادي، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت، 2013 م.

(5) - تحقيق محمد البعيادي، دار المفيد للطباعة والنشر، دار ابن حزم، بيروت، 2011 م.

(6) - نشره أحمد بن حفيظ بن الحاج قسوم خرشي البسكري بالمطبعة التونسية. كذلك نشرية بومدين الحاج بن زين محمد الكتي بمطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده بمصر سنة 1965 م، كما قام شيخ الزاوية القادرية ببسكرة بإعادة طبعه مرة أخرى سنة 2010 م.

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

1495 م<sup>(1)</sup> الذي كانت له مساهمة تحت عنوان "مفاخر الإسلام في فضل الصلاة على النبي عليه السلام"، اطلع عليه تلميذه أبو جعفر البلوي (ت 938 هـ/1531 م)، في سفر في قالب رباعي، أشاد بمضمونه قائلا "موضوع حافل جليل حشد فيه وحشر، وجمع من ذيول هذا المعنى ما انتشر"، ويملك البلوي نسخة منه<sup>(2)</sup>، وهي نسخة نفيسة منقولة عن الأصل الذي بخط المؤلف ومقروءة عليه، وقيد عليها التنقيص بالإجازة بخط شيخه الجيز ابن سعد، وتاريخ الإجازة كان في أواخر شوال سنة 896 هـ/سبتمبر 1491 م<sup>(3)</sup>.

بلا شك، لا يمكن إغفال الغاية التعبدية التي كتبت لأجلها هذه الأعمال، لكن هذا لا يحول دون ربط ذلك بحالة الإحباط الشديد الذي مسّ فئات اجتماعية عريضة في بلاد المغرب في نهاية العصر الوسيط، حيث أصبح التضرع إلى الله والتقرب إليه بالصلاة على رسوله الكريم، والإيمان بالخوارق والمعجزات، إحدى وسائل النجاة، التي يعتقد في قدرتها على تحقيق الخروج الآمن من تلك الحالة، التي هيمنت على ذهنية الإنسان المغربي في مرحلة الإخفاقات، فكان أمرا طبيعيا أن نشهد ذلك الكم الكبير من الأعمال التي تعزز هذا التوجه.

<sup>(1)</sup> - أنظر ترجمته: أبو جعفر البلوي، مصدر سابق، ص 414-417. أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 575. ابن مريم الملبّي، مصدر سابق، ص 434-436.

<sup>(2)</sup> - حولها أنظر: أبو جعفر البلوي، مصدر سابق، ص 417.

<sup>(3)</sup> - تحتفظ خزانة القرويين بفاس بنسخة من كتاب "مفاخر الإسلام" بخط الناسخ محمد بن سنان العجمي، وقع الفراغ من نسخها في شهر رجب سنة 995 هـ/ جوان - جويلية 1587 م. حولها أنظر: محمد العابد الفاسي: فهرس مخطوطات خزانة القرويين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1983، 210/3-211.

المبحث الثالث: كتابات الجماعات الفقهية والمتصوفة، سير وتراجم في قالب مناقبي:

إذا كان من الضروري أن نعترف بالخانة المتميزة التي حازت عليها العلوم الدينية بين مختلف الحقول المعرفية المنتشرة في بلاد المغرب الإسلامي الوسيط، فإن ذلك قد أدى إلى اتساع النفوذ الفكري لطبقة الفقهاء، هذه الطبقة التي كانت كامنة خلف توجيه الخطاب المعرفي في بلاد المغرب، وفق منطلقاتها الدينية، وإن أنتج هذا الخطاب الديني مزيدا من التعمق في بعض المسائل الفقهية، إلا أنه أوجد كذلك نوعا من الحماية لما هو ماثور ومتوارث عن أئمة المذهب المالكي، من خلال إعادة إنتاج الكثير من أعمال فقهاء المالكية، وإصدارها في شكل شروح، ومختصرات، وتقايد، وحواشي، وذيول كذلك.

ومع إقراي بسيادة فقهاء المالكية على المشهد الفكري في بلاد المغرب في نهاية العصر الوسيط، إلا أن هذه المرحلة سوف تشهد كذلك تصاعدا مطردا لتيار الزهد والتصوف، كنتيجة لانتشار الزوايا والأربطة، التي أخذت في نشر الدعوة للجهد، والحث على اعتناق السلوك الصوفي، وإظهار التقديس لأقطابه، حتى أصبح الصوفي جزءا لا يتجزأ من ثقافة المرحلة<sup>(1)</sup>، يأتي ذلك بالتزامن مع حالة الإحباط الشديد، التي يمر بها مغرب ما بعد الموحد.

بعيدا عن كثير من التفصيل المعقدة، حول طبيعة العلاقة التي تجمع الفقيه والولي الصوفي بالسلطة الحاكمة في تلك المرحلة الحساسة، ما يهمني في الوقت الحالي الكشف على طبيعة الخطاب التاريخي الذي تبنته هذه الفئات، وعلى ما يبدو أنها قد عمدت إلى تنشيط بعض أشكال التدوين التاريخي، حيث يعتبر فن السير وتراجم الرجال، الموضوع الأكثر جذبا لهذه الأوساط، ويفسر ذلك بالبعد التعليمي والأخلاقي الذي يمكن تشكيله حول سيرة بعض رموزها الدينية، ذات التأثير القوي بين الأتباع والمريدين، وقد استطاعت هذه الرموز أن تضمن حضورها في الذاكرة الجماعية، من خلال التركيز على جوانبها الشخصية المرتبطة بالعبادة وتهذيب الأخلاق وتعداد الخصال الحميدة، مع إحاطتها بهالة من القداسة والتبجيل، وتقديم

<sup>(1)</sup> - لمزيد من التفصيل حول مكانة الصوفي في مغرب العصر الوسيط. أنظر: الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 هـ/ 12 و13 الميلاديين، دار الهدى، عين مليلة، 2004، ص 172-193. سلامة العامري نيللي: الولاية والمجتمع: مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي، ط2، دار الفرائي، بيروت، 2006، ص 463-491. كذلك دراستها الموسومة بـ: التصوف بإفريقية في العصر الوسيط، دار كونتراست للنشر، سوسة، 2009 م.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

الشخصية المترجم لها على أنها النموذج الأنسب الذي يجب الاقتداء به <sup>(1)</sup>، ليصبح فن السير والتراجم من هذا المنطلق، رواية انتقائية ذات أبعاد إيديولوجية في قالب مناقبي بامتياز، مبتعدة في كثير من زواياها عن القالب التاريخي المعروف.

وتفرض علي مناقشتي لهوية الخطاب التاريخي، الذي تبنته الأوساط الفقهية والصوفية في مغرب ما بعد الموحدين، مراقبة وتتبع أبرز مدونات السير والتراجم المغربية المنجزة في نهاية العصر الوسيط، هذا النمط التقليدي الذي كان حاضرا وبقوة في عملية التدوين التاريخي في تلك المرحلة المتأخرة.

### 1. "معالم الإيمان" وذيوله، محاولة لإحياء تقاليد كتب التراجم القيروانية:

تاريخيا يعتبر فن التراجم والسير من أقدم أشكال التدوين التاريخي الإسلامي، فقد ارتبط ظهوره بدراسة سلاسل أسانيد الحديث أو ما يصطلح عليه بـ "علم الجرح والتعديل"، هذا العلم الذي يبحث في سيرة الرواة، من ناحية العدالة والتوثيق والضبط، وفق قواعد دقيقة وضعها علماء الحديث منذ وقت مبكر، كأحد الوسائل المنهجية لتحديد مراتب الحديث، وقد أدى ذلك إلى تحفيز العناية بنواحي تفصيلية دقيقة في سيرة رجال السند، من خلال تدوين تراجم طبقة المحدثين بشكل خاص، حيث يكون التركيز فيها على ذكر اسم المحدث، ونسبه، وعدالته، وشيوخه، وتلامذته، وبعض من سيرته <sup>(2)</sup>.

بلا شك، استطاع هذا النمط التاريخي أن يظفر بمكانة رفيعة بين باقي أشكال التدوين المعروفة، كما اتسع مجال البحث فيه عبر مراحل تاريخية متعاقبة، فلم يعد مقتصرًا على علوم الحديث فقط، بل شمل كذلك باقي فروع المعرفة الوسيطة، ليكون بذلك أداة فاعلة للتعريف بسيرة رجال المذاهب والفرق الدينية، ورجال الأدب والشعر، والطب، والفلسفة... الخ، هذا التطور في مضامين التراجم ومحتوياتها، أنتج في النهاية أنماط تراجمية متباينة ومتشعبة، فمنها

<sup>(1)</sup> - حول ازدهار فن السير وتراجم الرجال في القرون الوسطى بصفة عامة. أنظر: هاري إلمر بارنز: تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبد الرحمن برج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984، 1/ 83- 1001. خالد طحطاح، مرجع سابق، ص 68- 71. جيسي روبنسون، مرجع سابق، ص 225- 238.

<sup>(2)</sup> - حول عناية المحدثين بتراجم الرواة ومنهجية تصنيفهم. أنظر: محمد علي قاسم العمري: دراسات في النقد عند المحدثين، دار النفائس، الأردن، 2000، ص 145- 176.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

التراجم المخصصة لنخبة من الصفوة الدينية، كتراجم الصحابة، والتابعين، وأعلام المذاهب، أو أولئك الذين يتميزون بنمط معرفي مميز كالمحدثين، والمفسرين، والقراء، والشعراء، وحتى أصحاب المهن والأعمال الديوانية كفتة الكتاب، والقضاة، وتراجم بلدانية، ناهيك عن التراجم الفردية.

وبخصوص مسار التدوين التراجمي في بلاد المغرب، الذي بدأت إرهاصاته الأولى في التشكل خلال القرن 3 هـ / 9 م، مع استقرار عدد معتبر من الشخصيات الدينية المشرقية بالحاضرة القيروانية، وكان لانتمائهم إلى طبقة الفقهاء الآخذين عن تلاميذ الإمام مالك (ت 179 هـ / 795 م)، دور لافت في تنشيط العناية بتراجم أعلام المالكية، حيث يعتبر كتاب "الطبقات" للضائع للفقير محمد بن سحنون التنوخي (ت 256 هـ / 869 م) <sup>(1)</sup>، أحد بواكير أعمال المرحلة الأغلبية <sup>(2)</sup>.

ومع نجاح الجماعة الإسماعيلية في بسط سيطرتها على المناطق الأغلبية مع نهاية القرن 3 هـ / 9 م، عمدت النخب المالكية القيروانية، إلى إعادة تنظيم نفسها وفق مستجدات المرحلة، هذه الجماعات الفقهية المعارضة للتوجه الشيعي في المنطقة، كانت كامنة خلف تحفيز العناية بتراجم الجماعات السنية المالكية، وترجم ذلك التوجه المعارض في إصدار مجموعة من الأعمال التراجمية المهمة، أذكر منها بسرعة، "تاريخ المولد والوفاة" للضائع للمحدث أبي القاسم حسين بن مفرج (ت 308 هـ / 920 م) <sup>(3)</sup>، كذلك الأعمال المهمة التي أنجزها "الفقير المحدث المؤرخ" أبو العرب التميمي (ت 333 هـ / 944 م)، حول عبّاد وفقهاء إفريقية ورجال الحديث <sup>(4)</sup>، من أشهرها

<sup>(1)</sup> - نقل عنه أبو بكر المالكي، مصدر سابق، 1 / 131، 167. كما أشار القاضي عياض، مصدر سابق، 2 / 184. إلى أن كتاب "الطبقات"، يقع في أربعة أجزاء ضمن كتاب محمد بن سحنون الكبير الذي يتألف من مئة جزء في فنون مختلفة، كذلك ذكره ابن فرحون، مصدر سابق، 2 / 135.

<sup>(2)</sup> - لمزيد من التفصيل حول مساهمة طبقة فقهاء القيروان في تدوين تراجم القيادات الفقهية خلال القرن 3 - 4 هـ / 9 - 10 م. أنظر: محمد محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، 1988، ص 370 - 374. علاوة عمارة، الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط، ص 358 - 360. ليث شاكر: التدوين التاريخي عن المغرب الأدنى حتى نهاية الدولة الحفصية، الكتابة التاريخية في العصر الوسيط، مخبر العالم العربي المعاصر، تونس، 2011، ص 506 - 507.

<sup>(3)</sup> - حوله أنظر: القاضي عياض، مصدر سابق، 2 / 632.

<sup>(4)</sup> - ذكر له أصحاب التراجم مجموعة من المؤلفات في تراجم رواة الحديث، منها: "طبقات أهل البصرة"، و"ثقاة المحدثين"، و"ضعاف المحدثين". حولها. أنظر: المالكي، مصدر سابق، 2 / 306 - 312. القاضي عياض، مصدر سابق، 3 /

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

كتابه "طبقات علماء افريقية وتونس"، وقد قام تلميذه "المحدث التاريخي" محمد بن الحارث الحشني (ت 361 هـ/ 971 م)، في وقت لاحق بإكمال عمل شيخه أبي العرب، في كتابه "طبقات فقهاء المالكية"<sup>(1)</sup>، يضاف إليها مساهمة معاصره الطيب ابن الجزار (ت 369 هـ/ 979 م) في تدوين "طبقات القضاة"<sup>(2)</sup>.

كان منطوقاً أن نلاحظ ارتفاع وتيرة الإنتاج التاريخي المخصص لتراجم أعيان المالكية، بعد أن حققت افريقية وحدها المذهبية<sup>(3)</sup>، وأصبح المذهب المالكي المذهب الرسمي للسلطة خلال القرن 5 هـ/ 11 م، وفي محاولة مكشوفة، كان الغاية من ورائها تعزيز تموقع النخب المالكية في المنطقة، وإبراز أهمية الانتماء المالكي للحاضرة القيروانية، دونت تراجم أعلام المالكية في قالب مناقبي قياسي، يركز اهتمامه على تعداد فضائل الشخصيات المترجم لها، وإبراز تأثيرها الروحي، وفي هذا الخصوص، أشير إلى الكتاب الضائع لمستوطن مدينة القيروان، عتيق بن خلف التجيبي (ت 422 هـ/ 1030 م) الموسوم بـ "الافتخار في مناقب فقهاء القيروان"<sup>(4)</sup>، كانت نسخته معروفة خلال القرنين 7- 8 هـ/ 13- 14 م<sup>(5)</sup>، وأحد مصادر معاصره "الفقيه المؤرخ"<sup>(6)</sup> أبي بكر المالكي (ت 474 هـ/ 1081 م)<sup>(7)</sup>، في كتابه "رياض النفوس في طبقات

---

290-289. محمد محفوظ، مرجع سابق، 361-362.

(1) - استفاد منه أبو بكر المالكي في مجموعة من التراجم. حولها أنظر: المالكي، مصدر سابق، 1/ 455، 491، 500. 2/ 58، 65، 105، 111، 118، 200، 274. كما ذكرت له كتب التراجم والطبقات مجموعة من المؤلفات الإخبارية، منها: "تاريخ علماء الأندلس"، و"تاريخ الإفريقيين"، و"كتاب التعريف"، و"كتاب النسب"، وكتاب في المولد والوفاة. حولها أنظر: القاضي عياض، مصدر سابق، 3/ 287-289. الدباغ، مصدر سابق، 3/ 82. ابن فرحون، مصدر سابق، 2/ 167-168.

(2) - نقل عنه القاضي عياض، مصدر سابق، 1/ 454.

(3) - حول انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب. أنظر: علاوة عمارة: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 127-135.

(4) - أنظر ترجمته: الدباغ، مصدر سابق، 3/ 158-159.

(5) - أشير هنا إلى ثلاث مصادر تاريخية ورد النقل فيها عن كتاب "الافتخار"، وهي: ابن الأبار، التكملة، 1/ 205. الحلة السرياء، 2، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985، 1/ 266. مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص 154، 155. كذلك نقولات ابن ناجي التنوخي (ت 839 هـ/ 1435 م)، وقد استعان به في الإضافات المتعددة التي أدخلها على تراجم الدباغ. كما أشار الدباغ، مصدر سابق، 3/ 158. إلى عنوان آخر لعتيق بن خلف في الطبقات.

(6) - وردت هذه الأوصاف العلمية في الترجمة التي خصصها له الدباغ. أنظر: المصدر نفسه، 3/ 190.

(7) - يعتبر أبو بكر المالكي أول الناقلين من كتاب "الافتخار"، وقد أشار إليه في ثلاث تراجم. حولها أنظر: المالكي، مصدر

سابق، 1/ 418، 423، 440.



## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

علماء القيروان و إفريقية"، الذي يعتبر من أنفس كتب التراجم، التي قدمتها الجماعات المالكية خلال القرن 5 هـ/ 11 م، وقد وصلنا مختصره من عمل الناسخ يحيى بن إبراهيم بن علي، في النصف الأول من القرن 7 هـ/ 13 م<sup>(1)</sup>، وفي سياق استعادة الماضي الحيني للحاضرة القيروانية، بعد تعرضها لغارات العرب الهلالية منتصف القرن 5 هـ/ 11 م<sup>(2)</sup>، أنجز المحدث أبو عبد الله محمد ابن سعدون القيرواني (ت 486 هـ/ 1093 م) كتابه "تأسي أهل القيروان بما طرأ على مدينة القيروان"، الذي كانت نسخه معروفة في النصف الأول من القرن 8 هـ/ 14 م<sup>(3)</sup>.

وخلال المراحل اللاحقة من الفترة الوسيطة، لم يعدّ من الممكن الحصول على أعمال مهمة تعني بتراجم فقهاء الحاضرة القيروانية، هذه الحاضرة التي فقدت الكثير من تأثيرها الفكري، لمدة ليست بالقصيرة، ومع صعود السلالة الحفصية إلى هرم السلطة مع بدايات القرن 7 هـ/ 13 م، واتخاذهم لمدينة تونس مركزا للحكم، كان لذلك تداعياته الواضحة على مسار التدوين التاريخي في إفريقية الحفصية، ففي مقابل انتعاش الخط التاريخي الداعم للحكام الجدد، المرتبط ارتباطا وثيقا بالبلاط، والذي أنتج مجموعة من الأعمال السلالاتية المهمة، كان التركيز فيها منصبا على سيرة سلاطين وأمراء البيت الحفصي، وذكر مناقبهم وتعداد خصالهم الحميدة، كان التدوين التاريخي خارج دائرة البلاط الحفصي، الذي يعني بتراجم أعلام المالكية، يخطو خطوات محتشمة، في سعيه لاستعادة مكانته المفقودة، وقد تصدى لذلك بعض القيادات الفقهية القيروانية، التي بقيت متحفظة تجاه الخطاب التاريخي الرسمي، من خلال إعادة تنشيط العناية بتراجم الفقهاء، ومن أهم المحاولات المنجزة في نهاية المرحلة الوسيطة، تلك التي قادها ثلاثة شخصيات محسوبة على طبقة فقهاء المالكية المنحدرين من مدينة القيروان، حيث كانت البداية مع كتاب الفقيه الدباغ (ت 696 هـ/ 1296 م)، الذائع الصيت "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان".

(1) - قام الناسخ يحيى بن إبراهيم بن علي بنسخ مختصره في 17 محرم 647 هـ/ أول ماي 1249 م، استنادا إلى ما ورد في نهاية نسخته، المحتفظ بها في المتحف البريطاني تحت رقم (841 or).

(2) - حول الهجرة الهلالية وتداعياتها على المغرب الزيري. أنظر: هادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، 1/ 245-284. علاوة عمارة: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ص 7-36.

(3) - يرد النقل عنه في "البيان" لابن عذاري المراكشي، في خبر طويل حول بدايات الدعوة الشيعية، وقد أشرت إليه في وقت سابق. كما أشار الدباغ، مصدر سابق، 3/ 198. إلى هذا الكتاب في الترجمة التي خصصها للمصنف.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

المؤكد أن هذا الكتاب التاريخي المهم، الذي دوّنه الفقيه المالكي، القيرواني الأصل أبو زيد عبد الرحمن الأنصاري المشتهر بالدباغ، قد أخذ مكانته المتميزة في سلسلة الأعمال التراجمية القيروانية، المنجزة خلال المراحل الوسيطة المتأخرة، ترجم فيه مصنفه لطبقة الصحابة والتابعين وأعلام المذهب المالكي الداخلين إلى القيروان، وقد أضاف الدباغ إلى رصيده التاريخي ثلاث أعمال مهمة وهي: كتاب "واسطة النظام في تواريخ ملوك الإسلام" <sup>(1)</sup>، و"جلاء الأفكار في مناقب الأنصار"، وبرنامج شيوخه الضائع <sup>(2)</sup>، ونظير ذلك نال لقب "المؤرخ" في الترجمة التي خصصها له معاصره، وابن بلدته القيرواني الأصل إبراهيم بن يوسف العواني (ت 716 هـ / 1316 م) <sup>(3)</sup> في كتابه الضائع "أنس النسك" <sup>(4)</sup>.

ومع صدور أولى نسخ "معالم الإيمان" في نهاية القرن 7 هـ / 13 م، حقق الكتاب انتشارا واسعا في الوسط الفقهي المالكي بمحاضر المغرب الحفصي، ويمكن هنا أن أذكر على الأقل بثلاث نسخ مفقودة لهذا الكتاب، وردت الإشارة إليها في المصادر الإخبارية المعاصرة للمصنف، الأولى هي نسخة الفقيه التونسي أبي العباس أحمد الغماري <sup>(5)</sup>، وهي نسخة نفيسة كتبت بخط الفقيه الغماري، مصححة ومقابلة بالأصل، فرع منها قبيل وفاته سنة 682 هـ / 1283 م <sup>(6)</sup>، وأما النسخة الثانية فهي نسخة تلميذ المصنف، الرحالة العبدري (حيا سنة 688

<sup>(1)</sup> - يبدو أن إحدى نسخ هذا الكتاب، قد اطلع عليها معاصره العواني (ت 716 هـ / 1316 م)، وأعاب على مصنفه الدباغ ثناءه على الشيعة، وتبرأهم من المنكرات التي فعلوها أثناء وجودهم بالقيروان، هذا ما يفهم من قول ابن ناجي التنوخي "قال العواني: فأفرط في ذمهم في هذا الكتاب ثم انه في كتابه المسمى بواسطة النظام في تواريخ ملوك الاسلام ذكر ضد ذلك...". أنظر: الدباغ، معالم الإيمان، تحقيق إبراهيم شيوخ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1968، 1/ 25-26.

<sup>(2)</sup> - أشار إليه تلميذه العبدري، مصدر سابق، ص 60. وصرح أنه يتضمن ما يزيد عن الثمانين شيئا، كما قرأه على شيخه بمدينة القيروان سنة 688 هـ / 1289 م. كذلك استفاد تلميذه الوادي آشي، مصدر سابق، ص 60-61. من هذا البرنامج الضائع، في تسمية شيوخ الدباغ من بلاد المشرق، في الترجمة التي خصصها له.

<sup>(3)</sup> - أنظر ترجمته: ابن ناجي التنوخي، تكملة معالم الإيمان للدباغ، تحقيق محمد المجدوب وعبد العزيز المجدوب، المكتبة العتيقة، تونس، دت، 4/ 101-102. محمد مخلوف، مرجع سابق، ص 1/ 206. محمد محفوظ، مرجع سابق، 3/ 438.

<sup>(4)</sup> - نقل هذه الترجمة ابن ناجي في تكملة على معالم الإيمان، 4/ 88-91.

<sup>(5)</sup> - أحد شيوخ الغريبي الذين قرأ عليهم بمدينة بجاية، وقد تولى بها منصب القضاء، كما أشار الغريبي إلى رحلته المشرقية في الترجمة المعتمدة التي خصصها له. حولها أنظر: الغريبي، مصدر سابق، ص 112-113.

<sup>(6)</sup> - استنادا إلى شهادة العبدري، مصدر سابق، ص 61. فإن هذه النسخة النفيسة، قد كتبت برسم إمام الديار المصرية الشيخ ابن دقيق العيد القشيري (ت 702 هـ / 1302 م)، الذي يبدو أنه سمع بصدور هذا الكتاب التاريخي المغربي من

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

هـ/ 1289 م)، وهي كذلك نسخة نفيسة، حصل عليها العبدري مناولة من يد مصنفها بمدينة القيروان سنة 689 هـ/ 1290 م، وتقع نسخته في مجلدين، وورد عنوانها بـ "معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان" <sup>(1)</sup>، أما النسخة الثالثة فهي إحدى النسخ التي كانت موجودة بمدينة تونس، وكان تلميذ المصنف ابن جابر الوادي آشي (ت 749 هـ/ 1348 م) على معرفة بها، وجاءت تحت عنوان مغاير "مناهج أهل الدين وطرائف المتقين في ذكر من كان بالقيروان من الصحابة والتابعين ومشاهير العلماء الراسخين وأفاضل الأولياء الصالحين" <sup>(2)</sup>.

وخلال القرنين 8 - 9 هـ/ 14 - 15 م، استمرت عملية نسخ "معالم الإيمان"، قد تم تداولها على نطاق واسع بالمغرب الحفصي، وبشكل لافت في القيروان <sup>(3)</sup>، حيث أجد خبرا عن ثلاثة نسخ منها، أشار إليها الفقيه المالكي ابن ناجي التنوخي (ت 839 هـ/ 1435 م)، إحداها نسخته التي اعتمدها كأصل في تلخيصه للكتاب والتذييل عليه، أما الثانية فهي تلك النسخة التي اطلع عليها أحد معارف ابن ناجي الموثوق بهم، كان قد أخبره بمضمون إحدى الطرر المقيدة على حاشية نسخته <sup>(4)</sup>، أما الثالثة، فيبدو أنها كانت في حيازة رجل يقال له "ساسي الزوار"، وهو كذلك أحد معارف ابن ناجي <sup>(5)</sup>، لكن وبكثير من الإحباط، أشير إلى أن مصير هذه النسخ النفيسة مجهول في الوقت الحالي، ويبقى الحديث عنها منحصرًا في تلك الإشارات

---

طرف تلميذه الغماري، وقد طلب منه إرسال نسخة منه إليه بعد عودته إلى تونس، وبالفعل شرع تلميذه الغماري بنسخه، لكن مع الأسف أن هذه النسخة وبعد الفراغ من نسخها وضبطها، لم تأخذ طريقها إلى بلاد المشرق كما هو مخطط لها مسبقًا، بل تم بيعها في تركة الفقيه الغماري بعد وفاته بتونس سنة 682 هـ/ 1283 م، وهي نسخة مفقودة اليوم.

<sup>(1)</sup> - حولها أنظر: المصدر نفسه، ص 60 - 61.

<sup>(2)</sup> - أنظر: الوادي آشي، مصدر سابق، ص 61.

<sup>(3)</sup> - جاءت عبارات ابن ناجي، التي افتتح بها تلخيصه لكتاب الدباغ كآتي "... فإن الشيخ الفقيه الصالح العدل المدرّس أبا زيد عبد الرحمن ابن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسدي، عرف بالدباغ ألف تأليفًا سُمّاه بمعالم الإيمان في معرفة أهل القيروان وانتشر عندنا بالقيروان وسائر إفريقية... ". أنظر: الدباغ، مصدر سابق، 3/1.

<sup>(4)</sup> - هذه الحاشية المقيدة على نسخة "معالم الإيمان"، متعلقة بتسمية "وادي أبا كريب" الموجود بالقيروان، وقد تم التنبيه فيها إلى أنه هو نفسه "وادي السّارويل". أنظر: المصدر نفسه، 269/1.

<sup>(5)</sup> - ذكر ابن ناجي صراحة أن هذا الشخص كان "يزور الناس لقبور الصالحين من الغرباء وغيرهم ويعرفهم بفضائلهم"، وكان مرافقًا لابن ناجي في زيارة التبرك التي كان يقوم بها إلى مقابر الصالحين، ويفهم من كلامه أن هذا الزوار من كثرة تكرار القراءة لكتاب الدباغ، تمكن من حفظه بطريقة جيدة. حولها أنظر: المصدر نفسه، 3/66 - 67.

المصدرية المهمة.

من خلال مراقبتي للإشارات المصدرية الآنفه الذكر، والمتعلقة بنسخ "معالم الإيمان"، التي تم تداولها بعيد صدور الكتاب في نهاية القرن 7 هـ / 13 م، إلى النصف الأول من القرن 9 هـ / 15 م، وقد بلغت نحو ستة نسخ ضائعة على الأقل، من منتسخات المرحلة الوسيطة المتأخرة، يمكنني اعتبار النسخ التي كانت متداولة بين تلاميذ المصنف، الشيخ أبي العباس الغماري، والرحالة العبدري، والوادي آشي، الرواية الأولى والأقصر للكتاب، في مقابل الرواية الثانية التي وصلتنا اليوم بطريق الفقيه ابن ناجي، وقد أدخلت عليها الكثير من التعديلات والإضافات.

مع مطلع القرن 8 هـ / 14 م، جاءت المحاولة الثانية من طرف "الفقيه المؤرخ" <sup>(1)</sup> العواني إبراهيم بن يوسف (ت 716 هـ / 1316 م)، أحد أبرز النخب الفقهية القيروانية، ومتولي قضاء مدينتي الحامة، وسوسة، وقد ألف كتابا في طبقات المالكية، جاء تحت عنوان "أنس النساك المعرب عن فضائل قيروان المغرب"، نحي به منحى كتاب الدباغ، في التركيز على تعداد الفضائل والخصال الحميدة للشخصيات المالكية المنتمية إلى الحاضرة القيروانية، وهو بذلك يعتبر أولى الذبول المنجزة على "معالم الإيمان"، وعلى ما يفهم من كلام ابن ناجي، أن نسخ هذا "الذيل" لم تكن متاحة بشكل كبير في النصف الأول من القرن 9 هـ / 15 م، على الأقل في أثناء مراجعاته على "معالم الإيمان"، أين صرح بمعاينته لنسخة واحدة منه، رغم محاولته الحصول على نسخة ثانية للتصحيح والمقابلة <sup>(2)</sup>، الأمر الذي يوحى بمحدودية انتشار نسخ "أنس النساك" في الوسط الفقهي في تلك المرحلة، مقارنة بالنجاح الواسع الذي حققه كتاب الدباغ.

بعد "ذيل" العواني، توقفت العناية بتراجم فقهاء القيروان قرابة النصف قرن، على الأقل هذا كشف عنه ابن ناجي <sup>(3)</sup> في تصريح له، وهو الأمر الذي حفزه على إعداد قوائم جديدة موسعة ومضبوطة في تراجم النخب الفقهية المالكية القيروانية، وقد بنى عمله على كتاب

<sup>(1)</sup> - هذه الصفة العلمية حلاه بما ابن ناجي في تكملته على معالم الإيمان، 4/ 101-102.

<sup>(2)</sup> - يبدو أن ابن ناجي واجه مشكلة في قراءة نسخة "أنس النساك" التي كانت بجوزته، وهي نسخة قد وقع فيها نحو في قصيدة سعيد الوجيهي، التي رثى فيها الشيخ المترجم له أبا زكريا يحيى بن عمر الكناي (ت 289 هـ / 901 م)، ونتيجة لذلك فقد سعى ابن ناجي للحصول على نسخة ثانية لجبر النقص، إلا أنه لم يتمكن من العثور على نسخة بديلة، مما اضطره إلى تدوين بعض أبيات هذه القصيدة فقط، اعتمادا على نسخته الأولى. أنظر: الدباغ، مصدر سابق، 2/ 244.

<sup>(3)</sup> - تكلمة على معالم الإيمان، 4/ 102.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

الدباغ، وكمحلة أولى أجرى تعديلات كثيرة على مجموعة من تراجم الكتاب، سواء بالتلخيص أو الإضافات، كذلك وضع الكثير من التعليقات التاريخية في غاية الأهمية، حيال بعض الشخصيات المترجم لها في كتاب الدباغ.

كان منطقياً أن تتشكل لدى ابن ناجي، إحاطة واسعة حول سيرة أعلام فقهاء المالكية، وقد أتاح له انتمائه لطبقة الفقهاء المنحدرين من القيروان، إمكانية حصوله على عدد كبير من كتب المصنفة في تراجم فقهاء المالكية المنجزة في مراحل سابقة، سواء تلك التي عول الدباغ صاحب العمل الأصلي على غرار: "رياض النفوس" للمالكي<sup>(1)</sup>، و"طبقات" أبي العرب التميمي<sup>(2)</sup>، وأعمال تلميذه الخشني<sup>(3)</sup> في كتابه "الطبقات"، و"تاريخ الأفرقة" الضائع<sup>(4)</sup>، إضافة إلى كتاب "الافتخار" لعتيق بن خلف التجيبي<sup>(5)</sup>، و"مدارك" القاضي عياض<sup>(6)</sup>، كذلك عول ابن ناجي على كتاب "أنس النساك" للعواني السابق الذكر<sup>(7)</sup>.

وفي المرحلة الثانية قام ابن ناجي بإضافة تراجم العواني البالغ عددها نحو سبعة وعشرين

(1) - الدباغ، مصدر سابق، 13/1، 32، 44، 45-46، 47، 55، 74، 127، 134، 135، 138، 143، 150، 167، 169، 179، 180، 183، 184، 186، 190، 191، 195، 196، 197، 199، 200، 201، 204، 205، 206، 209، 212، 214، 216، 217، 218، 219، 222، 227، 228، 229، 232، 233، 235، 237، 238، 239، 240، 243، 244، 251، 252، 253، 265، 266، 269، 270، 276، 278، 282، 285، 288، 289، 290، 291، 294، 296، 298، 300، 302، 304، 305، 306، 308، 310، 311، 313، 314، 315، 317، 320، 323، 324، 329، 4/2، 5، 12، 14، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 21، 28، 36، 44، 51، 67، 68، 72، 81، 102، 105، 107، 110، 116، 122، 123، 179، 181، 187، 197، 202، 203، 204، 205، 210، 217، 228، 234، 235، 238، 240، 244، 247، 253، 262، 263، 264، 268، 276، 277، 278، 283، 289، 290، 296، 297، 299، 303، 310، 313، 317، 318، 325، 330، 334، 344، 345، 348، 351، 354، 355، 356، 360، 8/3، 13، 16، 19، 20، 28، 29، 31، 37، 39، 40، 44، 45، 47، 50، 54، 55، 56، 58، 63، 66، 67، 71، 73، 99، 104، 137.

(2) - أنظر: المصدر نفسه، 1/44، 55، 83، 98، 99، 118، 161، 165، 167، 171، 222، 225، 235، 254، 279، 287، 290، 313، 316، 321، 328، 3/2، 36، 41، 68، 69، 76، 79، 85، 91، 98، 146، 160، 165، 195، 243، 243، 246، 258، 271، 282، 320، 327، 330، 6/3، 9.

(3) - أنظر: المصدر نفسه، 2/79، 82، 124، 136، 139، 172، 236، 271، 296، 297، 317، 321، 327، 331، 6/3، 11.

(4) - أنظر: المصدر نفسه، 2/159.

(5) - أنظر: المصدر نفسه، 1/320، 323، 328، 2/112، 113، 116، 117، 119، 122، 123، 135، 136، 138، 141، 145، 147، 154، 156، 157، 167، 170، 175، 177، 183، 184، 187، 188، 191، 196، 198، 205، 206، 211، 212، 214، 231، 237، 250، 255، 256، 257، 258، 259، 260، 271، 276، 280، 282، 288، 310، 313، 316، 320، 321، 323، 324، 325، 330، 331، 334، 335، 336، 337، 338، 340، 341، 342، 345، 348، 349، 350، 352، 353، 354، 357، 358، 359، 360، 361، 3/9، 12، 15، 87، 106، 108، 133، 144.

(6) - المصدر نفسه، 2/77، 79، 97، 140، 3/134، 146، 147، 148، 149، 179، 182، 183، 198، 4/258.

(7) - المصدر نفسه، 1/14، 15، 21، 25، 26، 28، 71، 72، 75، 135، 142، 147، 163، 170، 204، 278، 2/68، 107، 117، 144، 185، 244، 246، 247، 316، 340، 3/12، 13، 38، 73، 131، 157، 174، 198، 206.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

ترجمة<sup>(1)</sup>، تنتمي إلى أعلام القرن 7 هـ / 13 م، ومطلع القرن 8 هـ / 14 م<sup>(2)</sup>، كما أدخل عليها بعض الإضافات التاريخية، التي كان يراها مهمة حول الشخصية المترجم لها، وفي المرحلة الثالثة والأخيرة التي تبدأ من حيث توقفت تراجم العواني، أضاف ابن ناجي تراجمه التي تصل إلى مطلع القرن 9 هـ / 15 م<sup>(3)</sup>، عول فيها على الرواية الشفوية، التي تلقاه عن بعض شيوخه بمدينة القيروان وتونس<sup>(4)</sup>، والمعاصرين له<sup>(5)</sup>، يضاف إليها معاينته الشخصية، وقد بلغت نحو ثلاث وثلاثين ترجمة.

بالتأكيد كان لوجود ابن ناجي في مدينة تونس، أثره الكبير في تدعيم اتصاله بفقهاء الحاضرة الحفصية الأولى، منهم معاصره الفقيه الرصاص التلمساني (ت 894 هـ / 1488 م)، هذا الأخير أشار في فهرسته<sup>(6)</sup> إلى تلك اللقاءات التي جمعته بابن ناجي، كان ذلك في أثناء تردهما على مدرسة الشماعين<sup>(7)</sup>، كما لم يخف الفقيه الرصاص إعجابه بقوة الحفظ والتضلع في علوم

(1) - التراجم التي ينقلها ابن ناجي عن كتاب العواني تقع في بداية الجزء الرابع من الكتاب المطبوع، وتشمل التراجم التي تحمل الأرقام التالية: 328، 329، 230، 332، 333، 334، 335، 336، 337، 338، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357.

(2) - أدرج العواني على الأقل ثلاث تراجم، كان تاريخ وفاة أصحابها مطلع القرن 8 هـ / 14 م، وهي: ترجمة الشيخ أبي إسحاق المسراقي (ت 704 هـ / 1305 م)، والشيخ أبي عبد السلام الربيعي (ت 709 هـ / 1309 م)، والشيخ أبي محمد المسكوري المغربي (ت 716 هـ / 1316 م). أنظر: المصدر نفسه، 95-96، 95-91/4، 95-96.

(3) - تبدأ تراجم ابن ناجي التي ذيل بها على كتاب "أنس النساك"، من الترجمة التي خصصها للمصنف العواني (ت 716 هـ / 1316 م)، ويتوقف عند ترجمة ابن قايد الإسماعيلي، أبي عبد الله محمد بن علي (ت 808 هـ / 1405 م). حولها أنظر: المصدر نفسه، 4 / 263.

(4) - من أبرز شيوخه الذين استفاد من روايتهم وأشار إليهم في مواضع كثيرة من الكتاب أذكر منهم: الشيخ أبو محمد عبد الله الشيببي (ت 782 هـ / 1380 م)، والشيخ ابن عرفة الورغمي (ت 803 هـ / 1400 م)، والشيخ أبو القاسم البرزلي (ت 841 هـ / 1437 م)، والشيخ أبو مهدي عيسى الغريبي (ت 845 هـ / 1441 م)، كما جمعته علاقة صداقة بالشيخ أبي العباس أحمد القلشاني (ت 863 هـ / 1458 م)، هذا الأخير قد نوه بالمكانة المتميزة التي كان يحظى بها ابن ناجي في مجلس شيخهما أبو مهدي عيسى الغريبي، وأبو القاسم البرزلي، استنادا إلى رواية الرصاص، مصدر سابق، ص 185.

(5) - يشير في كثير من المرات إلى استعانته برواية العدول الثقات من معاصريه. أنظر: ابن ناجي، مصدر سابق، 4 / 102، 104، 107، 108، 114، 132، 124، 126، 127، 129، 141، 157، 168، 169، 171، 172، 173.

(6) - مصدر سابق، ص 185.

(7) - من أبرز شيوخ مدرسة الشماعين أذكر: الشيخ أبو إسحاق بن عبد الرفيع (ت 734 هـ / 1333 م)، والشيخ أبو القاسم القسنطيني (ت 846 هـ / 1442 م)، والشيخ أبو العباس أحمد القلشاني (ت 863 هـ / 1458 م)، والشيخ أبو عبد

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

الفقه التي بدا عليهما ابن ناجي، وعلى أهمية هذا التصريح الذي يكشف على اجتماع اثنين من فقهاء المالكية ممن كانت لهم عناية بالخبر التاريخي بالحاضرة الحفصية تونس، إلا أن الملفت للانتباه أكثر في هذه التصريحات المقتضبة، أن الرصاع يتحدث كذلك عن تلك المراجعات والتصحيحات التي كان يجريها ابن ناجي على تواليه (1)، وقد كان يحضر نسخا من كتبه، ويشرك معه في مراجعاته وتنقيحاته تلك، بعض طلبة الحلقة النجباء، الذين كان يلتقي بهم في مجالس الإقراء بتونس، لكن السؤال المهم في هذا الخصوص، هل هناك احتمال أن يكون كتاب "معالم الإيمان" أحد تلك التوايف التي كانت معنية بالتصحيح والمراجعة في المجالس التي حضرها الرصاع، خصوصا وأنه أحد الأعمال المهمة التي أجرى عليها ابن ناجي الكثير من الزيادات والتصحيحات؟

ما يمكنني قوله في الأخير، أن ابن ناجي الذي أنجز تكملة مهمة على كتاب الدباغ، قد جاء عمله التاريخي هذا، في إطار إرساء تقاليد كتب تراجم أعلام المالكية، التي بدأت في التبلور منذ مراحل متقدمة، ورغم عديد الانقطاعات التي شهدتها خلال مسيرتها التاريخية، لكنها مع ذلك بقيت وفية لذلك الخط التاريخي التراجمي، الذي يركز اهتمامه على تقديم صورة مثالية للنخب المالكية القيروانية (2)، ويبدو أن القالب المناقي كان القالب الأكثر جذبا للمهتمين بسيرة أعضائها المنتسبين إليها.

---

الله محمد الزنديوي (ت 874 هـ/1469 م). حولها أنظر: ابن الشماخ، مصدر سابق، ص 56. الرصاع، مصدر سابق، ص 141. الزركشي، مصدر سابق، ص 137، 141، 151.

(1) - قدم أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 364. قائمة بأهم الأعمال التي أنجزها ابن ناجي، منها شرحه لمدونة الإمام سحنون، وشرحه لتهديب البرادعي، وشرحه على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، منشورة بتحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، 2 مج.

(2) - أشير هنا إلى التكملة التي أنجزت على "معالم الإيمان"، المنجزة خلال القرن 19 م، من عمل محمد بن صالح بن عيسى الكناني التونسي (ت 1292 هـ/1875 م)، تحت عنوان "تكملة العلماء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان"، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1970 م، وأعيد تحقيقه مرة أخرى من طرف عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2015 م، 3 مج.

2. "مدارك" القاضي عياض، محور أساسي في تراجم رجالات المالكية في المراحل الوسيطة اللاحقة.

في الشق الغربي لبلاد المغرب الإسلامي الوسيط، ساهم بعض أعلام مدينة سبتة في العناية بسيرة النخب الفقهية المالكية، من خلال العمل المتميز الذي قدمه الفقيه المالكي الذائع الصيت، القاضي عياض الموسوم بـ "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك"، وحسب تصريح مصنفه فهو كتاب "حاو لأسماء أعيان المالكية وأعلامهم وتبين طبقاتهم وأزمانهم وجمع عيون فضائلهم وآثارهم وضم نشر فنون سيرهم وأخبارهم" <sup>(1)</sup>، رغم أن ابن المصنف الفقيه أبو عبد الله محمد (ت 575 هـ / 1179 م)، قد وضع "مدارك" والده ضمن قائمة مؤلفاته المكتملة، كما صدرت نسخته الأولى في خمسة أسفار، إلا أنه كشف كذلك بعدم قيام الوالد بتسميع مداركه <sup>(2)</sup>، ومع ذلك فإن نسخ كتاب "المدارك" عرفت طريقها في الانتشار سريعاً في الوسط الفقهي السبتي، فقد قام تلميذه التاريخي ابن حمادو البرنسي، بوضع مختصر على كتاب شيخه، هذا المختصر اعتمد عليه ابن فرحون المالكي (ت 799 هـ / 1396 م) في ديباجه <sup>(3)</sup>، كما أشار إليه السخاوي <sup>(4)</sup>، وهو بذلك يعتبر من أوائل المختصرات المغربية الموضوع على "المدارك".

وفي المراحل الوسيطة اللاحقة، استمرت العناية بمدارك القاضي عياض، ووضع المختصرات عليه، أشير سريعاً إلى مختصر مستوطن مدينة سبتة، الأندلسي ابن خميس الأنصاري (ت 750 هـ / 1349 م) <sup>(5)</sup> تحت عنوان "منهج السالك في اختصار المدارك" <sup>(6)</sup>، ومختصر أبي محمد عبد الله بن

(1) - أنظر: القاضي عياض، مصدر سابق، 14/1.

(2) - أنظر: أبو عبد الله محمد بن القاضي عياض: التعريف بالقاضي عياض، تحقيق محمد بنشريفية، المطبعة والوراقة الوطنية الداوديات، مراكش، 2009، ص 103.

(3) - مصدر سابق، 301/1.

(4) - الإعلان بالتوبيخ، ص 182. توجد نسخة منه بالملكنية الأزهرية بالقاهرة تحت رقم (208 تاريخ). حولها أنظر: قاسم علي سعد: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 2002، 43-52.

(5) - أنظر ترجمته: ابن الخطيب السلماي، الإحاطة، 3/184-185. محمد بن قاسم الأنصاري السبتي: اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، ط2، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1983، ص 25.

(6) - حولها أنظر: قاسم علي سعد، مرجع سابق، 60/1.



## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

سهل القضاعي، وقد ورد عند السخاوي<sup>(1)</sup> تحت عنوان "جزء فيه جماعة من مشهوري مذهب مالك"، كذلك مختصر أبي عبد الله محمد بن رشيق الأندلسي، وهو أحد مصادر ابن فرحون المالكي في ديباجه<sup>(2)</sup>.

كما أظهرت بعض النخب المالكية المغربية، التي استقرت في حواضر مصر المملوكية وبلاد الحجاز والشام، رغبة في إعطاء هوية متصلة للنخب المالكية المغربية بنظيرتها الشرقية، وتعريف الجمهور الشرقي بمشاهير الرواة، وأعيان الناقلين للمذهب المالكي ببلاد المغرب، منها مختصر مستوطن مدينة الإسكندرية، الفقيه التونسي ابن علوان المصري (ت 787 هـ/1385 م)<sup>(3)</sup>، كذلك أبدى بعض أعلام المالكية بالبلاد الشرقية<sup>(4)</sup> اهتمامهم بالكتاب، على غرار ابن فرحون<sup>(5)</sup> الذي اختصر في كتابه ديباجه تراجم كتاب "المدارك"، وأضاف إليها تراجم القرون اللاحقة 7-8 هـ/13-14 م، ليلغ مجموعها أزيد من ستمائة وثلاثين ترجمة لأعلام المالكية<sup>(6)</sup>، كذلك مختصر السخاوي<sup>(7)</sup>، وعلى ما يبدو فقد تفتت ظاهرة المختصرات والذبول على كتب تراجم المالكية، ووجدت طريقها واسعا داخل الأوساط الفقهية المالكية في بلاد المغرب في القرون

(1) - الإعلان بالتوبيخ، ص 183.

(2) - مصدر سابق، 1/398. 2/301. كما أشار قاسم علي سعد، مرجع سابق، 1/52-55. في دراسته إلى وجود نسخة من هذا المختصر بالخزانة الحسنية تحت رقم (672).

(3) - أبو العباس أحمد بن محمد، أشار أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 107. إلى وقوفه على نسخة من هذا المختصر في سفر، كما ذكر قاسم علي سعد، مرجع سابق، 1/55-58. إلى وجود نسخة منه بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم (11434)، منسوخة بخط أحمد بابا التنبكي.

(4) - عرض السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص 182-183. قائمة متكونة من خمسة مختصرات وضعت حول "ترتيب المدارك"، منها مختصر معاصره سراج الدين أبي القاسم عمر بن فهد القرشي (ت 885 هـ/1480 م)، ويقع في نحو كراسين، أحدهما في أصحاب مالك، وثانيهما فيما عداه، كذلك مختصر شهاب الدين أحمد بن عمر الخوارزمي الدمشقي (ت 868 هـ/1463 م).

(5) - حوله أنظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، 1/48. أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 33-35. محمد مخلوف، مرجع سابق، 1/222.

(6) - وضع ابن فرحون قائمة بأهم مصادره الإخبارية، التي عول عليها في تحرير تراجمه في خاتمة ديباجه، وقد بلغت نحو 15 كتابا، منها 6 أعمال مشرقية، وخمسة أعمال أندلسية، و5 أعمال مغربية. حولها أنظر: المصدر نفسه، 2/302.

(7) - عرف السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص 182-183. بمختصره في تراجم المالكية، وهو عبارة عن عملين، الأول أعاد فيه ترتيب تراجم ابن فرحون في مجلد مستقل، والثاني تجريد التراجم الواردة في مدارك القاضي عياض، أسقطها ابن فرحون من ديباجه.

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

الوسيلة المتأخرة حتى أصبحت تقليدا راسخا، ومرغوبا فيه لدى المهتمين بهذا الخط التاريخي<sup>(1)</sup>. بالموازاة مع خط التراجم الذي يعنى بسيرة أعلام المالكية في شكل طبقات نخبوية، انتشرت كذلك بعض الأعمال المخصصة لسيرة عمدة المذهب المالكي، إمام دار الهجرة مالك بن أنس (ت 179 هـ / 795 م)، المشتهرة بـ "كتب الفضائل"، وقد صيغت شمائله على شاكلة شمائل الصحابة والتابعين، لتصبح سيرته معيارا سلوكيا تنقلتها الأوساط المالكية إلى المراحل الوسيطة المتأخرة، وبلا شك كثرة المؤلفات المصنفة في مناقبه، يعكس تلك الشهرة التي حيكت حوله منذ وقت مبكر، ويكفي في هذا قراءة القائمة الاسمية التي عرضها القاضي عياض في مداركه<sup>(2)</sup>، أحصى خلالها ما يقرب 34 عملا منقبا، هذا ويأتي عمل الفقيه المالكي أبي الروح عيسى بن منصور المنكلاقي الزواوي (ت 743 هـ / 1342 م)، الموسوم بـ "مناقب سيدنا الإمام مالك"<sup>(3)</sup>، في سياق سلسلة الأعمال المنقبية التي قدمها أعلام المالكية بالحاضرة القيروانية منذ مرحلتها الأغلبية<sup>(4)</sup>.

### 3. مناقب رجالات الصوفية، محاولة للتوقيع ضمن أطر الفكر الديني الوسيط.

استطاعت مجموعة من النخب البارزة في بلاد المغرب الوسيط، أن تحرز مكانة متقدمة في الأوساط الاجتماعية التي تنتمي إليها، يأتي ذلك تماشيا والدور المحوري الذي لعبته في بعض مراحل حياتها، أين تمتعت بقدر كبير من الجاذبية والتأثير الواسع، الأمر الذي جعل من مسيرتها

<sup>(1)</sup> - أنجزت العديد من المختصرات والذبول المستدركة على "الديباج المذهب" في بلاد المشرق والمغرب، أشير سريعا إلى: مختصر ابن هلال الصنهاجي (ت 903 هـ / 1497 م)، و"توشيح الديباج وحلية الابتهاج" لبدر الدين القراني (ت 1008 هـ / 1599 م)، وكتاب "نبيل الابتهاج بمن ليس في الديباج"، و"كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج"، كلاهما لأحمد بابا التنبكي (ت 1036 هـ / 1326 م)، وكتاب "في رجال المالكية" لأبي محمد عبد الله الجزولي السملالي (ت 1052 هـ / 1642 م)، و"طبقات المالكية" لمؤلف مجهول.

<sup>(2)</sup> - مصدر سابق، 16 / 1 - 18.

<sup>(3)</sup> - ذكر الفقيه الزواوي في ديباجة كتابه، أسباب تأليفه في مناقب الإمام مالك قائلا "...ليكون ذلك تذكرة للغافلين ونصيحة للمؤمنين وحجة للموفقين ويعف فضله من جهل قدره ويتنبه من يظن غيره ويعلم منزلته من جهل مكانته..."

أنظر: مناقب سيدنا الإمام مالك، تحقيق هارون بن عبد الرحمن آل باشا الجزائري، دار ابن حزم، بيروت، 2012، ص 13-14.

<sup>(4)</sup> - من أبرز أعلام المدرسة المالكية القيروانية، التي دونت في مناقب الإمام مالك في مراحل مبكرة، أذكر سريعا منهم: الشيخ ابن عبدوس محمد بن إبراهيم (ت 260 هـ / 873 م)، وأبو عمرو يوسف بن يحيى المغامي (ت 288 هـ / 900 م)، وربيعة القطان (ت 333 هـ / 944 م)، وابن اللباد (ت 333 هـ / 944 م)، وأبو العرب التميمي (ت 333 هـ / 944 م).

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

الشخصية نموذجاً استثنائياً، ومحوراً مهماً للتدوين التاريخي، وفي هذا السياق حرصت الأوساط الصوفية ذات الحضور المتزايد في المرحلة الوسيطة المتأخرة، على إبراز سيرة شيوخها البارزين من المشتهرين بحياة الزهد والتقشف، وذلك بتسليط الضوء على الحلقات الأكثر تأثيراً في مسيرتهم الروحية، والتشهير بأعمالهم الخيرية وسلوكهم المثالي.

كان منطقياً أن تشهد القرون الثلاثة الوسيطة المتأخرة، ارتفاعاً محسوساً في حجم الكتب المخصصة لتراجم شيوخ الصوفية في بلاد المغرب، وهو الخط التاريخي الذي يلامس في كثير من زواياه الخطاب المنقبي، الذي تبنته عديد الأوساط الدينية المغربية في تلك المرحلة الحساسة، يأتي ذلك بالتزامن مع اتساع دائرة المدّ الصوفي، وقد اتخذت تراجم الصوفية مسلكين في عملية التدوين.

**الخط الأول:** عبارة عن سير منقبية فردية، ويتمّ التركيز فيها على مسيرة أحد مشاهير الشخصيات الزهدية، في محاولة لتتبع تجاربها الروحية، وجمع أخبارها وترتيبها ضمن ترجمة فردية مستقلة، وقد أنتجت في هذا الخط المنقبي، الكثير من الأعمال إلى درجة يصعب ضبطها وتقصي أعدادها، بما فيها تلك المنجزة خلال القرنين 8-10 هـ/14-16 م، كما أن الكثير منها لا يزال مخطوطاً في مجاميع مجهولة<sup>(1)</sup>، ناهيك عن تلك المجموعات المصنفة ضمن خانة الأعمال المفقودة، على غرار العاملين المخصصين للولي الصوفي التامسني الأصل، نزيل ربض العباد، الشيخ أبو محمد عبد الهادي (ق 8 هـ/ 14 م)<sup>(2)</sup>، أشار إليهما ابن مرزوق الخطيب<sup>(3)</sup>، الأول من إنجاز ابن الحاج النميري (ت 764 هـ/ 1362 م)، عبارة عن تأليف كبير جامع في أخبار

<sup>(1)</sup> - على غرار مناقب متصوفة مدينة تونس، أذكر منها: "مناقب سيدي بو حديد محمد بن سليمان"، ومناقب علي الفحام الموسومة بـ "رياض الأنام في مناقب سيدي أبي الحسن علي الفحام"، و"مناقب جامع الصفصافة"، و"مناقب محمد الجلاز"، و"مناقب أبي محمد عبد الله المغربي"، و"مناقب سيدي عامر البطّاش"، و"مناقب علي السفّاج"، و"مناقب مناقب موسى النعماني"، وتوجد نسخ منها بدار الكتب الوطنية بتونس، ضمن مجاميع متفرقة. حولها أنظر: عبد الحفيظ منصور: مرجع سابق، ص 371-377. كما قام هشام عبيد بعرض محتواها في دراسته الموسومة بـ: تونس وأولياؤها الصالحون في مدونة المناقب الصوفية، مركز النشر الجامعي، تونس، 2006، ص 105-135.

<sup>(2)</sup> - ذكر ابن مرزوق العلاقة التي جمعت والده بالولي الصوفي أبي محمد عبد الهادي، وكثير الاعتقاد فيه، الذي كان يسمى كذلك "السديدر المغربي"، وهو أحد الأولياء البدلاء، حوله أنظر: ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 210-211. المسند الصحيح، ص ص 156، 356، 468.

<sup>(3)</sup> - أنظر: ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 211.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

الشيخ الصوفي المذكور، أما العمل الثاني فمن انجاز التلمساني ابن أبي العيش الخزرجي، وأكماله من بعده ابنه أبو زيد عبد الرحمن<sup>(1)</sup>.

ومن بين الأعمال المنقوية التي وصلتنا اليوم، من أعمال المرحلة الوسيطة المتأخرة، يمكننا أن أشير إلى بعض منها فقط، وهي تمثل أبرز أماكن انتشار المد الصوفي في بلاد المغرب، وفق الجدول التالي:

عنوان العمل	صاحبه	أصله	صلته بالشيخ	هوية الشيخ المخصوص بالترجمة
اثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين <sup>(2)</sup>	محمد بن تيجلات الهزميري (ت بعد 720 هـ/1320 م)	أغمات/مراكش	ابن بلدته	أبو عبد الله محمد الهزميري (ت 678 هـ/1279 م)
			ابن بلدته	أبو زيد عبد الرحمن الهزميري (ت 706 هـ/1306 م)
المنهج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح <sup>(3)</sup>	أبو العباس أحمد الماحري (ق 8 هـ/14 م)	أسفي	حفيدة	أبو محمد صالح الماحري (ق 8 هـ/14 م)
درّة الأسرار وتحفة الأبرار <sup>(4)</sup>	محمد بن الصبّاغ الحميري (ت بعد 716 هـ/1316 م) <sup>(5)</sup>	تونس	مريد	أبو الحسن الشاذلي (ت 656 هـ/1258 م)

(1) - حولهما أنظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 1/ 104. ويظهر من خلال شهادة ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 211. الذي انفرد بالإشارة إلى هذا العمل التاريخي، أنه عمل مشترك بدأه الوالد ابن أبي العيش ثم جاء الابن من بعده ليكمل عمل الأب.

(2) - ذكر أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 384. أنه اطلع على نسخة من هذا الكتاب في مدينة مراكش، كما توجد له نسخة عتيقة بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (1767 د)، وقع الفراغ منها يوم الاثنين 25 رجب 1002 هـ/15 أفريل 1594 م. حولها أنظر: محمد إبراهيم الكتاني وصالح التادلي: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997، 5/ 97.

(3) - تحقيق عبد السلام السعدي، دار أبي رقرق، الرباط، 2013 م.

(4) - درّة الأسرار وتحفة الأبرار في أقوال وأفعال وأحوال ومقامات ونسب وكرامات وأذكار ودعوات سيدي أبي الحسن الشاذلي"، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 2001 م.

(5) - كذلك اهتم الصبّاغ بمناقب بعض المتصوفة من أصحاب وتلاميذ أبي الحسن الشاذلي التونسيين، وقد ألحقها بكتابه "درّة الأسرار"، وهي: "مناقب أبي الحسن المرسي"، و"مناقب أبي العزائم ماضي بن سلطان"، و"مناقب أبي عبد الله محمد بن سلطان"، و"مناقب أبي عبد الله الحبيبي"، و"مناقب محمد أبي عبد الله القرطي"، و"مناقب أبي عبد الله البجائي الحياط". حولها أنظر: هشام عبيد، مرجع سابق، ص 316-368.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

مناقب عائشة المنوية <sup>(1)</sup>	أبو العباس أحمد التادلي (ق 8 هـ/14 م) <sup>(2)</sup>	تادلة/ المغرب الأقصى	مريد <sup>(3)</sup>	عائشة بنت عمران المنوي (ت 665 هـ/1266 م)
مناقب سالم التباسي <sup>(4)</sup>	//	//	مريد	سالم التباسي (ت 642 هـ/1244 م)
أنس الفقير وعز الحقير	ابن قنفذ القسنطيني (ت 810 هـ/1407 م)	قسنطينة	له سند في لبس الخرقه	أبو مدين شعيب (ت 594 هـ/1197 م)
ترجمة الشيخ إبراهيم بن موسى المصمودي <sup>(5)</sup>	ابن مرزوق الحفيد (ت 842 هـ/1438 م)	تلمسان	تلميذه وابن بلدته	إبراهيم بن موسى المصمودي (ت 805 هـ/1402 م)
المواهب القدوسية في المناقب السنوسية "	أبو عبد الله محمد الملاي (ت 897 هـ/1491 م)	تلمسان	تلميذه وابن بلدته	محمد بن يوسف السنوسي (ت 895 هـ/1489 م)
ابتسام الغروس ووشي الطروس في مناقب ابن عروس	عمر بن علي الراشدي (ت 912 هـ/1506 م)	مليانة/ الجزائر	تلميذه	أحمد بن عروس (ت 868 هـ/1463 م)

مجموع الأعمال المنقبية المعروضة في الجدول أعلاه، البالغ عددها ثمانية أعمال، ما هي إلا جزءا من تلك الأعمال الكثيرة التي أصدرتها الأوساط الصوفية مرحلة ما بعد القرن 7 هـ/13 م، والتي تدور حول مسيرة عدد من أقطاب صوفية مغرب العصر الوسيط، والملاحظ على أنها دونت من قبل الدوائر القرية من الشيخ المخصوص بالترجمة، ويكشف العمود الرابع في الجدول أعلاه، على تلك الروابط الروحية والاجتماعية، التي جمعت بين طرفي الوسط الصوفي "الشيخ

(1) - تحقيق محمد الكحلاوي، منشورات كارم الشريف، تونس، 2011 م.

(2) - كذلك نسبت للتادلي أعمال منقبية حول بعض الشخصيات الصوفية التونسية أذكر منها: "مناقب مبارك العجمي"، و"مناقب سيدي عبد الوهاب المزوغي"، و"مناقب علي السّفاج"، و"مناقب علي القرجاني"، و"مناقب علي الخطّاب"، و"مناقب حسين السجومي". حولها أنظر: هشام عبيد، مرجع سابق، ص 337-368.

(3) - لا توجد معلومات وافية حول هوية التادلي، نزيل مدينة تونس ودفينها، إلا أنه من مريدي عائشة المنوية، وقد دفن بإزاء قبرها بمقبرة القرجاني. حوله أنظر: محمد محفوظ، مرجع سابق، 1/ 149.

(4) - تحقيق أحمد الباهي، دار كونتراست للنشر، سوسة، 2012 م.

(5) - حوله أنظر: أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 54. ابن مريم المليتي، مصدر سابق، ص 374. كما أنجز ابن مرزوق الحفيد ترجمة للشيخ أبي عبد الله محمد المقرئ (ت 759 هـ/1357 م)، وجاء تحت عنوان "النور البدر في التعريف بالفقيه المقرئ"، كذلك خصص الونشريسي (ت 914 هـ/1508 م) ترجمة للشيخ المقرئ. أنظر: المقرئ التلمساني، نفع الطيب، 5/ 206-207.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

والمريد"، فبالإضافة إلى علاقة المعرفة وطريقة التلقي<sup>(1)</sup>، التي تبدو على الأقل بالنسبة للنماذج المعروضة أعلاه، الرابطة الأكثر فاعلية في تحفيز عناية التلميذ بسيرة شيخه، كذلك يمكن الحديث عن تعزيز تلك العلاقة الروحية بأهمية الانتساب للمكان الواحد، وفي بعض المرات قد ترتفع أكثر إلى صلة القرابة، ومن المؤكد أن الارتباط الروحي، قد لعب دورا كبيرا في تنشيط خط الإنتاج المنقبي الموجه لفئة شيوخ الصوفية، هذه الفئة المتميزة التي استطاعت أن تحتل مرتبة عالية في مدارج الطريق الصوفي<sup>(2)</sup>.

وعلى أهمية هذه الأعمال المنقبية، التي تسهم في تعميق معرفتنا حول أبرز المحطات التاريخية التي رسمت حياة بعض شيوخ الصوفية، وفهم أبعاد وتحليلات الخطاب الصوفي المغربي، وتطوره في المرحلة الوسيطة المتأخرة، إلا أن اقتراها بالفضيلة والسلوك المثالي للشيخ الصوفي، بدعوى الارتقاء بمستوى الحماس الديني، والدفع به إلى أقصى نقاطه الممكنة، خصوصا في مرحلة تشهد العديد من التقلبات السياسية والاجتماعية، قد أضرت كثيرا بمستوى المواد الإخبارية المهمة، التي يمكن العثور عليها في تلك الأعمال المنقبية.

ما يمكنني التأكيد عليه في هذا الخصوص، أن شريحة التلامذة المقربين من الشيخ والآخذين عنه، من أكثر الشرائح المنتمية للوسط الصوفي، التي أظهرت تمسكها بهذا الخط المنقبي، إذ يتيح لها إمكانية التعريف بشيخ الطريقة الصوفية، والكشف على قدراته ومواهبه الخارقة، في محاولة منها لإثبات مكانته الرفيعة، واستمرار تأثيره الروحي حتى بعد وفاته، في قالب يعكس جانبا كبيرا من القداسة والتبجيل.

**الخط الثاني:** وهو الخط الذي يعنى بسيرة شيوخ الصوفية، وتتبع أخبار رجالها وكراماتهم في شكل تراجم جماعية، خصوصا تلك المجموعات التي أثبت تفوقها في الوسط الذي تنتمي إليه، واتساع دائرة تأثيرها الروحي ليشمل مناطق شاسعة من بلاد المغرب، وكمباقي الأعمال المنقبية فقد ركزت هذه الأخيرة عنايتها على إظهار حياة الزهد والتقشف لشيوخ الصوفية، ونقل

(1) - حول مسألة الشيخ وتلقي المعرفة في الفكر الصوفي الوسيط. أنظر: محمد الكحلوي: الفكر الصوفي في افريقية والغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، 2009، ص 111-114.

(2) - حول طرق ومراتب الصوفية. أنظر: المرجع نفسه، ص 142-168. بونابي الطاهر، مرجع سابق، ص 103-159.

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التدوين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

الكثير من القصص الشعبية والخوارق التي تنسب إليهم، ومن أبرز الأعمال التي شكلت انطلاقة مهمة لتجسيد مشروع تدوين أخبار المتصوفة في شكل جماعي، أشير إلى العمل الذي قام به الفاسي الأصل أبو عبد الله التميمي (ت 603 هـ / 1206 م)، المعنون بـ "المستفاد في مناقب العباد"، وعمل معاصره المنحدر من المناطق الجنوبية للمغرب الأقصى، ابن الزيات التادلي (ت 617 هـ / 1220 م) الموسوم بـ "التشوف إلى رجال التصوف".

اكتسى كتاب التادلي أهمية كبيرة في مسار التدوين المخصص لسيرة رجالات التصوف، فقد أعيد إحياء مشروعه التاريخي في المراحل الوسيطة اللاحقة<sup>(1)</sup>، حيث تعتبر التجربة التي قادها عبد الحق الباديسي (حيا سنة 722 هـ / 1322 م)، الأكثر تميزا في هذا الخصوص، وجاء كتابه تحت عنوان "المقصد الشريف والمترع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف"، وكما يبدو أن الباديسي قد أخذ طريق الصلاح والزهد عن والده إسماعيل الخزرجي (ت 685 هـ / 1286 م)، الذي خصّه بترجمة في مقصده<sup>(2)</sup>، أبان فيها علاقة والده بجماعة الصالحين، وإيثاره لحياة الزهد والتقشف، كما كان المصنف يتردد على الحاضرة الفاسية، أين اتصل بشيخه الفقيه الصوفي إسحاق بن مطهر الورياغلي<sup>(3)</sup>.

أراد الباديسي من وراء تدوين سيرة متصوفة "بلاد الريف"، وهي المناطق الواقعة بين مدينتي سبتة ووجدة، أن يكون صلة وتتمة على تراجم كتاب "التشوف"، الذي اقتصر فيه التادلي على

---

(1) - أشير هنا إلى "مختصر على التشوف" الذي أنجزه التونسي ابن علوان المصري (ت 787 هـ / 1385 م)، ذكره أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 107. كما استمرت العناية بالكتاب إلى ما بعد القرن 10 هـ / 16 م، من خلال المحاولة التي قام بها أحد الفقهاء المنتمين إلى منطقة الجنوب "مراكش"، أحمد الصومعي التادلي (ت 1013 هـ / 1604 م)، أحد شيوخ المقرئ التمساني الذين التقى بهم بمراكش، تحت عنوان "التشوف في رجال السادات أهل التصوف"، ويعرف كذلك بـ "التشوف الصغير"، توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (D 1103). حوله أنظر: المقرئ التمساني: روض الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقبته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983، ص 300-303.

(2) - مصدر سابق، ص 131-133.

(3) - ينحدر من "بني الورياغلي"، أحد بيوتات البربر من زناتة، الساكنين مدينة فاس. أنظر: المصدر نفسه، ص 110-112. كذلك أشار إلى هذا البيت البربري، صاحب بيوتات فاس، ص 65-66.

## الفصل الثاني ————— تعرفو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

ذكر صلحاء المناطق الجنوبية المصمودية دون سواها<sup>(1)</sup>، الأمر الذي دفع بالباديسي إلى تركيز عنايته على سيرة صلحاء وزهاد المناطق التي ينحدر منها، مدعوما بانتتمائه إلى ذلك المجال الجغرافي الصوفي المتميز، حيث تنتشر الأربطة والزوايا والمحارس<sup>(2)</sup>، التي كانت تقوم بدور فعال في تنشيط التمسك بالورع الديني، والجهاد في صيغته الصوفية، حرر ست وأربعين ترجمة لمتصوفة وزهاد المنطقة، وإن ركز فيها على إثبات الكرامة للشخصيات المترجم لها، إلا أنه تضمن كذلك معلومات تاريخية مهمة، خصوصا تلك المتعلقة بتاريخ بلاد الريف خلال القرن 7 هـ/13 م.

مساهمة الباديسي في التعريف بأبرز زهاد بلاد الريف، تظهر كذلك في انجازه لعمل ثان، جاء تحت عنوان "طبقات الأولياء"، إلا أنه معدود ضمن قائمة الكتب المفقودة، أشار إليه في مقصده<sup>(3)</sup>، ويفهم من هذه الإشارة التي تمتلكها حول الكتاب، أن مصنفه اعتمد في تحرير تراجمه على كتاب مستوطن "بادس"، الشيخ الصوفي علي بن محمد المراكشي (ق 7 هـ/13 م)<sup>(4)</sup>، الموسوم بـ "مناقب الأولياء وصفة سلوك الأصفياء"، معدود كذلك ضمن قائمة الكتب المفقودة المخصصة لتراجم طبقات الصوفية، وكما يظهر أن الباديسي قد وضع كتابه "الطبقات" قبل تحريره لتراجم "المقصد الشريف"، الذي كتبه خلال سنة 711 هـ/1311 م<sup>(5)</sup>.

(1) - ذكر الباديسي أسباب تأليفه لمقصده في دياحة الكتاب بالقول "ثم إن الأديب المحسن المتفنن يوسف ابن الزيات أتى في كتابه التشوف إلى رجال التصوف بآيات... وبالغ في ذكر المصامدة مظهرها لكل شيخ محاسنه ومحامده ولم يعرج في تلك الأحياء على ذكر أحد من الأحياء... وغفل فيما آثره من الحسن والإحسان عن الريف الكائن... فرأيت تتميم صلته وتنظيم فيصلته بذكر من كان ببلاد الريف من ولي يجب به التعريف...". أنظر: عبد الحق الباديسي، مصدر سابق، ص 14-15.

(2) - لمزيد من التفصيل حول علاقة مؤسسة الزوايا والأربطة بالمد الصوفي خلال المرحلة الوسيطة. أنظر:

- Golvin, Lucien, «Note sur le mot *ribât*' (terme d'architecture) et son interprétation en Occident musulman », *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, 6, (1969), pp. 95- 101.

-Ferhat Halima, «Frugalité soufie et banquets de zaouyas: l'éclairage des sources hagiographiques », *Médiévales*, 33, (1997), pp 69-79; *Le soufisme et les zaouyas au Maghreb*, Casablanca, Maroc, Les éditions Toubkal, 2003.

(3) - مصدر سابق، ص 73.

(4) - خصص له عبد الحق الباديسي ترجمة موسعة في مقصده، كما أورد مقتطفات من كتابه الضائع "مناقب الأولياء". أنظر: المصدر نفسه، ص 72-85.

(5) - المصدر نفسه، ص 151.



## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

التغطية الواسعة التي حظي بها زهاد ومتصوفة المناطق الجنوبية المراكشية، وكذا الواجهة الساحلية الشمالية لبلاد الريف في نهاية المرحلة الوسيطة، جاءت العناية بسيرة متصوفة هضبة "سايس" التي تشمل فاس ومكناس، ومتصوفة الواجهة الأطلسية، حيث تقبع "سلا" على الضفة الشرقية لوادي "أبي رراق"، ويبدو أن القاسم المشترك الذي يجمع هذا المجال الجغرافي الواسع، في الوسط الصوفي خلال القرن 8 هـ/ 14 م، ارتباطه بشخصية الولي الصوفي الأندلسي أحمد بن عاشر (ت 765 هـ/ 1363 م)<sup>(1)</sup>، الذي دخل العدو المغربية، واستوطن حاضرة فاس، ثم توجه إلى مكناسة الزيتون، لينتقل بعدها إلى سلا، ليستقر بهذه المدينة بصفة نهائية، أين توفي وضرجه بها مشهور ومحل للزيارة والتبرك، وقد تعاضمت سلطة ابن عاشر الروحية بين أتباعه ومريديه، وانتشرت كراماته ومناقبه في ذلك المجال الصوفي الواسع، فكان منطوقاً أن تتوجه عناية أحد تلاميذه إلى تتبع حياته الزهدية، وذكر كراماته في قالب منقبي، أعني هنا سليل أسرة الحضرميين السبتية، أبا عبد الله بن أبي بكر بن عبد المهيمن الحضرمي، ويعود تاريخ اتصاله بشيخه إلى وقت متأخر، قبل وفاته بنحو سنة، وبالتحديد سنة 763 هـ/ 1361 م<sup>(2)</sup>، حدث ذلك في أثناء زيارة التبرك التي قام بها الحضرمي إلى بيت ابن عاشر في مدينة سلا<sup>(3)</sup>، ضمن وفد الزائرين والمتبركين به من أهل فاس ومكناس.

كتاب الحضرمي جاء تحت عنوان "السلسل العذب من المنهل الأحلى في سلك من تحلى سلكهم الأربعين في الجيل جيل فاس ومكناس وسلا"، جمع فيها أخبار شيخه ابن عاشر السلاوي، كما ترجم فيه لعدد من أقرانه وأصحابه ومريديه، وقد رتبهم على ثلاثة طبقات بحسب درجاتهم في الخلوة والانقطاع والزهد<sup>(4)</sup>، وفي خطوة تنبؤ بوجود نوع من الليونة التي

(1) - حوله أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير، ص 42-43. أبو بكر الحضرمي: السلسل العذب، تحقيق مصطفى التّجار، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية، سلا، 1988، ص 19-30.

(2) - المصدر نفسه، ص 21. وهي السنة ذاتها التي التقى فيها ابن قنفذ القسنطيني بشيخه ابن عاشر في مدينة سلا. أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير، ص 39.

(3) - استناداً إلى رواية أبي بكر الحضرمي، مصدر سابق، ص 20-21. فان دار الشيخ الصوفي ابن عاشر، كانت في درب فرات من الجهة بإزاء باب معلقة سلا، وقد اشتراها ابن عاشر من عمله بنسخ وتفسير الكتب، وكان قبلها قد نزل بزواوية الشيخ أبي محمد عبد الله الياهوري الكاتنة برباط الفتح، وبعد وفاة الشيخ الياهوري انتقل إلى "سلا"، حيث نزل بزواوية الشيخ أبي زكريا بالقرب من الجامع الأعظم بدار الشيخ أبي عبد الله محمد بن عيسى.

(4) - حول خطاطة الكتاب، وطريقة تصنيفه لتراجم الكتاب. أنظر: المصدر نفسه، ص 18.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

أبدتها بعض الأوساط الصوفية في علاقتهم بالسلطة المرينية، قام الحضرمي برفع كتابه إلى السلطان المريني المستنصر بالله أبي فارس عبد العزيز (767 - 774 هـ / 1366 - 1372 م)، استناداً إلى التصريح الذي أورده في كتابه<sup>(1)</sup>، الذي ترجم فيه لواحد وأربعين شخصية، من المشتهرين بالزهد والصلاح في تلك المناطق.

غير بعيد عن رباط ابن عاشر بمدينة سلا، نزولاً بمحذاة الواجهة الأطلسية المغربية، حيث تقع منطقة "دكالة"، التي تعتبر أحد أبرز نقاط تجمع أعداد كبيرة من المشتهرين بالصلاح والتصوف في المغرب الأقصى<sup>(2)</sup>، حيث يوجد رباط "عين الفطر"<sup>(3)</sup>، على مقربة من منطقة "صنهاجة أزمو"، التي ينحدر منها محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد العظيم الأزموري (ت بعد: 850 هـ / 1446 م)<sup>(4)</sup>، هذا الأخير ربطته علاقة بأحد مشاهير الأسر الحسنية الشريفة، التي اقترن تاريخ رجالها بالتصوف، وهي أسرة "بني أمغار" الساكنين برباط "عين الفطر"، وقد أظهر عنايته بتاريخ هذه الأسرة الأمازيغية في كتابه "هجرة الناظرين وأنس العارفين"، تطرق فيه إلى سيرة شيوخها البارزين في ثلاثة محاور أساسية، الأول في صحة نسب الشرفاء الأمازيغيين، وعلاقتهم بالسلطة القائمة في المغرب، أما الثاني فقد ركز فيه على ذكر المكانة المتميزة التي حظي بها هذا البيت الشريف عند السلاطين المرينيين، وفي المحور الأخير فصل القول في كرامات شيوخ بني أمغار، وتتبع سيرتهم وأخبارهم، في محاولة منه لإثبات التأثير الروحي الذي تمتع به أعضاء الطائفة الأمازيغية.

كما نسب للأزموري محاولة ثانية في سيرة الصلحاء من طبقة الأشراف، وجاءت بعنوان

(1) - المصدر نفسه، ص 17، 115 - 117.

(2) - حول المكانة المتميزة التي حظي بها رباط منطقة دكالة، واستقطابها لعدد كبير من أولياء المغرب، خلال القرن 8 هـ / 14 م. أنظر: ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 221. ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير، ص 114 - 116.

(3) - تعرف كذلك "رباط تيط"، و"تيطنطر"، و"زاوية مولاي عبد الله أمغار" بإقليم دكالة، على الواجهة الأطلسية للمغرب الأقصى. حولها أنظر: ابن الزيات التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997، ص ص 209، 233، 426. ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير، ص ص 106، 114. ابن عبد العظيم الأزموري، مصدر سابق، ص 7 - 8. الحسن الوزان، مصدر سابق، 152/1.

(4) - حوله أنظر: محمد المغراوي: "أنساب الأشراف بالمغرب محاولة بليوغرافية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 27، (2007)، ص 221.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

"ذكر شرفاء المغرب وصلحائه وقبائله" <sup>(1)</sup>، وعلى العموم فإن الأعمال التي قدمها الأزموري، تأتي في سياق سلسلة الأعمال المتعددة التي خصصت لهذه الأسرة الشريفة <sup>(2)</sup>، من أبرزها كتاب سلفه "الشيخ الفقيه" محمد عبد العظيم الأزموري الأكبر (ق 8 هـ / 14 م)، الموسوم بـ "الأخبار في كرامات الشرفاء بني أمغار"، هذا الأخير معدود ضمن قائمة الأعمال المفقودة، اعتمدها سليله الأزموري الأصغر في كتابه "بهجة الناظرين" <sup>(3)</sup>.

وفي الأخير يمكنني القول، أن الأعمال المنقبية المتعلقة بتراجم صوفية المغرب الأقصى في المراحل الوسيطة المتأخرة، قد ارتبطت بشكل كبير بالمناطق التي انتشر فيها تيار التصوف، وبناء عليه أصبح بوسعي الآن توزيع الأعمال المنقبية على أربعة مناطق أساسية، أجمالها كالآتي:

- تراجم متصوفة المناطق الجنوبية، مراکش وأحوازها.

- تراجم متصوفة بلاد الريف شمال المغرب الأقصى.

- تراجم متصوفة أربطة الوجهة الأطلسية (سلا- دكالة - عين الفطر).

- تراجم متصوفة حاضرة فاس ومكناس.

رغم هيمنة الكتابات المختصة بتراجم زهاد ومتصوفة المغرب الأقصى، جاءت عناية محمد بن سعيد الرعيبي (ت 778 هـ / 1376 م) أحد فقهاء مدينة فاس، من تلامذة ابن رشيد السبتي (ت 721 هـ / 1321 م)، وأبي القاسم التجيبي (ت 730 هـ / 1329 م)، مغايرة لذلك الاتجاه المحلي، لتشمل عنايته تراجم صلحاء المغرب والمشرق معا، في كتابه الجامع الموسوم بـ "المغرب

<sup>(1)</sup> - توجد منه نسختان بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (1595 د)، (1512 د)، وبعد الإطلاع على المخطوطة الثانية، تبين لي أن الأزموري قد تعرض فيها بشكل سريع إلى أولية دخول الأشراف إلى بلاد المغرب، وانتشارهم زمن الأدارسة، كما تطرق إلى الأصول الشريفة لأبرز البيوتات المعروفة، على غرار منطقة شفشاون، وفاس، ومكناسة الزيتون، ودكالة، وتلمسان، وتونس، وغرناطة، وحتى في بلاد المشرق.

<sup>(2)</sup> - ذكر ابن عبد العظيم الأزموري الأصغر، مجموعة من المؤلفات التي خصصت لأسرة بني أمغار، التي اعتمد عليها في كتابه "بهجة الناظرين"، منها: كتاب "الوسائل الزلفى" لأبي عمران موسى، و كتاب "مطالع الأنوار في كرامات الشرفاء بني أمغار" و"تحفة الأصفياء في تعريف الأولياء"، كلاهما للشيخ الفقيه أبي علي عمر بن عيسى الهنائي، وكتاب "تنقيح الأخبار في كرامات الصالحين بني أمغار" لمؤلف مجهول، وكتاب "أنس العارفين في بني أمغار الصالحين" لمؤلف مجهول. لمعرفة مواضع النقل عن هذه الكتب في كتاب بهجة الناظرين أنظر: ابن عبد العظيم الأزموري، مصدر سابق، ص 16-17، 19، 22، 24، 29، 31، 32، 33، 37، 38، 41، 44، 49، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 63، 64، 67، 87، 88، 107، 113، 116، 118، 125، 128، 129، 133، 142، 149، 169، 170.

<sup>(3)</sup> - المصدر نفسه، ص 17.

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

في جملة من صلحاء المشرق والمغرب" (1)، معدود ضمن قائمة الكتب المفقودة، هذا الخط التاريخي الذي سلكه الرعيبي في تحرير طبقاته، يأتي في سياق الأعمال الإخبارية التي سعت إلى الجمع بين أخبار طرفي العالم الإسلامي، وهو الخط التاريخي الذي يتماشى واهتمامات عديد النخب المغربية التي استوطنت البلاد المشرقية.

بلا شك الرحلة الحجازية للفقير الرعيبي، قد عززت هذا التوجه التاريخي الذي رسمه في طبقاته، فقد أتاحت له على الأقل فرصة الدخول إلى عديد الحواضر العلمية المعروفة خلال القرن 8 هـ / 14 م، انطلاقاً من بلده فاس، وسبتة، ومكناس، وسلا، وبجاية، وتونس، ومصر، وبلاد الحجاز، كما تمكن من التعرف عن كتب على مجموعة من شيوخه البارزين والقراءة عليهم، وقد ضمنهم في فهرسته الضائعة (2)، وهي الفهرسة التي يحملها عنه تلميذه أبو زكريا يحيى السراج (ت 803 هـ / 1400 م)، واستفاد منها في الترجمة المطولة التي خصصها له في فهرسة شيوخه (3).

وبخصوص الحاضرة الزيانية تلمسان، التي تكتسي أهمية خاصة في تاريخ صوفية المغرب الإسلامي الوسيط، باحتضانها لقبر الولي الصوفي الذائع الصيت، أبا مدين شعيب (ت 594 هـ / 1197 م)، دفين ربض "العباد"، والذي سوف يصبح نقطة استقطاب مهمة، ومزارا لشيوخ التصوف وأقطابه المنقطعين، وجمهور المريدين من بلاد المغرب والأندلس في المراحل الوسيطة اللاحقة، وتماشياً مع تفشي ظاهرة تقديس الأولياء، والدعوة إلى حياة الورع والتقشف، شهدت تلمسان الزيانية ارتفاعاً محسوساً في أعداد المنتمين إلى تيار المتصوفة (4)، كما

(1) - أشار إليه ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، 1/ 236. أما أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 459. فيرد عنده تحت عنوان "المغرب في حثالة صلحاء المشرق والمغرب".

(2) - استفاد منها المقري التلمساني في الترجمة المطولة التي خصصها للشيخ أبي حيان محمد بن يوسف النفزي الغرناطي (ت 745 هـ / 1344 م)، أحد شيوخ الرعيبي الذين ترجم لهم في فهرسته المفقودة. أنظر: المقري التلمساني، نفح الطيب، 2/ 560 - 565.

(3) - مصدر سابق، ص 256 - 330.

(4) - يؤكد عبد العزيز فيلالي في دراسته حول تلمسان الزيانية، على أن انتشار التصوف بهذه الحاضرة، قد وصل ذروة نشاطه خلال القرن 8 هـ / 14 م، ولم يتوقف انتشاره بين مختلف فئات المجتمع التلمساني، بل وصل إلى البلاط، فقد كان السلاطين الزيانيين يعتقدون في الأولياء ويقدرونهم ويحترمونهم بداية من جدهم يغمراسن. أنظر: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، 2/ 387 - 403.

نشطت حركة التأليف في موضوع الزهد والرفائق وتهذيب النفس بشكل لافت<sup>(1)</sup>.

ما يعينني بشكل أساسي في هذه المرحلة، تلك الأعمال المخصصة لسيرة رجال التصوف وأخبارهم، المنجزة في نهاية المرحلة الوسيطة، وقد غلب عليها كذلك طابع القصص الشعبي وذكر الكرامات والخوارق، أشير إلى عمليين من إنجاز أحد المنتمين لأعيان بيوتات الحاضرة الزيانية<sup>(2)</sup>، الفقيه الصوفي ابن سعد الأنصاري التلمساني (ت 901 هـ / 1495 م)، وقد نال لقب "المقيّد التاريخي المحصّل" في الترجمة التي خصصها له تلميذه أبو جعفر البلوي (ت 938 هـ / 1531 م)<sup>(3)</sup>، يأتي ذلك نظير الأعمال الإخبارية التي أنجزها في موضوع السيرة النبوية، وتراجم الصوفية، هذه الأخيرة التي خصّها بكتابه الكبير الموسوم بـ "النجم الثاقب فيما لأولياء الله تعالى من المفخر والمناقب"<sup>(4)</sup>، كتبه برسم السلطان الزياني أبي عبد الله محمد الثالث، المتوكل على الله (866-873 هـ / 1461-1468 م)، يذكرني هذا بأهمية الخطوة التي قام بها في وقت سابق شيخه الحافظ التنسي (ت 899 هـ / 1493 م)، الأمر الذي يعكس عناية السلطان الزياني المذكور ببعض أشكال التدوين التاريخي.

بعض الإشارات الواردة في ثبت البلوي حول كتاب شيخه ابن سعد، تشير إلى أن نسخته الأولى خرّجها مؤلفها في ثمانية أسفار، إلا أن تلميذه البلوي لم يطلع على نسخة شيخه الأولى على الأقل، وإنما علم بخبرها مما تناهى إلى مسامعه<sup>(5)</sup>، ومع ذلك لم يمنعه من الإشادة بعمل شيخه، وكتب يقول "محمّدٌ بفوائد نفيسة ومحاسن عديدة تدلّ على فضل الرجل وإطلاعه ونبله وامتداد باعه"<sup>(6)</sup>.

أما العمل الثاني الذي أنجزه ابن سعد، فهو عبارة عن مختصر عن كتابه الأول، وجاء تحت

(1) - حول الأعمال التي قدمتها الأوساط الصوفية التلمسانية في المرحلة الزيانية. أنظر: المرجع نفسه، 2/ 403-404.

(2) - حول أصوله العريقة. أنظر: أبو جعفر البلوي، مصدر سابق، ص 414.

(3) - المصدر نفسه، ص 414.

(4) - تحقيق محمد بن أحمد الديباجي، دار صادر، بيروت، 2011 م.

(5) - يفهم من تصريح أبي جعفر البلوي، مصدر سابق، ص 416. أنه علم بخبر نسخة شيخه بطريق السماع، يظهر ذلك في قوله "سمعت أنه خرج في ثمانية أسفار".

(6) - المصدر نفسه، ص 416.

## الفصل الثاني ———— تعدو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

عنوان "روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين" <sup>(1)</sup>، اقتصر فيه على الترجمة لأربعة من أقطاب التصوف بتلمسان خلال القرن 9 هـ/ 15 م، في قالب مناقبي من خلال إيراد كثير من الكرامات والحوارق، وهي على العموم الطريقة التي لجأ إليها معظم المشتغلين بأخبار هذه الشريحة، وورد ذكرهم مرتين على حسب الوفاة، على النحو الآتي: الشيخ الصوفي محمد بن عمر الهواري (ت 843 هـ/ 1439 م)، والحسن أبركان (ت 857 هـ/ 1453 م)، وأبو إسحاق إبراهيم التازي (ت 866 هـ/ 1461 م)، وأبو العباس أحمد الغماري (ت 874 هـ/ 1469 م)، ورغم الضعف الذي يمكن تسجيله على مثل هذه الأعمال المنقبية، من ناحية مستوى وقيمة الخبر التاريخي، تبقى أعمال ابن سعد من أهم الكتب المصنفة في سيرة مشاهير رجالات التصوف في تلمسان العهد الزياني.

أما الفقيه ابن مزروق الخطيب، فقد جاءت مساهمته في هذا الخط التاريخي، مختصة بسيرة سلفه أسرة "المرازقة" في قالب منقبي، وهي تجربة تاريخية استثنائية، أراد من ورائها التأكيد على عميق العلاقة التي ربطته وسلفه بالقطب الصوفي دفين ربض العباد أبي مدين شعيب، واختصاصهم بخدمته، في مجموع نسب إليه تحت عنوان "المناقب المرزوقية"، ويبدو أن هذه الخطوة المهمة قد جاءت مسبقة ببعض الأعمال التي دونت حول أسرة المرازقة، في تصريح كشف عنه في ديباجة مناقبه <sup>(2)</sup>، وقد ذكر منها أربعة أعمال، من إنجاز فقهاء مدينة تلمسان خلال القرن 8 هـ/ 14 م، وهم: الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الواحد المسيلي، والفقيه أبو عبد الله محمد بن حسن بن هنيّة، والفقيه يعقوب البرشكي، والخطيب أبو علي منصور بن أبي عبد الله بن هدية القرشي التلمساني، وعلى ما يبدو أن هذه الأعمال قد فقدت في وقت مبكر خلال القرن 8 هـ/ 14 م، ولم يتمكن حتى ابن مزروق من الإطلاع عليها.

وبخصوص تراجم متصوفة المغرب الحفصي، فيبدو أن المهتمين بجمع أخبار صوفية المنطقة <sup>(3)</sup>، قد ركزوا عنايتهم أكثر على جمع سيرة متصوفة المدرسة الشاذلية، التي تعود جذورها

(1) - صرح ابن سعد في ديباجة كتابه، أنه عبارة عن مختصر عن كتابه النجم الثاقب. أنظر: روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق يحي بوعزيز، منشورات المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002، ص 47.

(2) - مصدر سابق، ص 142.

(3) - أشير هنا إلى عناية أبي علي الحسن بن باديس القسنطيني (ت 787 هـ/ 1385 م)، بتراجم الصوفية في قصيدته التي ترجم فيها لأولياء والمتصوفة، وهي قصيدة سينية عدد أبياتها 27 بيت بعنوان "النفحات القدسية"، توجد نسخ منها

## الفصل الثاني ———— تعدو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

إلى أحد أقطاب صوفية القرن 7 هـ/13 م، هو القطب الصوفي أبو الحسن الشاذلي (ت 656 هـ/1258 م)، الذي سرعان ما استطاع جذب أعداد كبيرة من المريدين والمتعاطفين معه، عقب نزوله بمدينة تونس<sup>(1)</sup>، منها الأعمال المنقبية التي جمعها دفين المدينة، أبو عبد الله محمد التادلي (ق 8 هـ/14 م)، هذا الأخير بالإضافة إلى جهوده في تدوين سيرة عدد من مشاهير متصوفة المدينة، وقد أشرت إلى بعضها في وقت سابق، أنجز كذلك كتاب جامع في مناقب أولياء وصلحاء مدينة تونس، تحت عنوان "تحفة العاشقين في ذكر الأولياء والصالحين ممن كان في مدينة تونس"<sup>(2)</sup>، كان ذلك استجابة إلى طلب أحد المهتمين بأخبار متصوفة المدينة<sup>(3)</sup>، وقد جاءت مناقب التادلي في سياق المشروع التاريخي، الذي يهدف إلى الاحاطة بتاريخ كبار صلحاء مدينة تونس من المتقدمين والمتأخرين، الذي وضع أولى خطواته الصوفي علي بن عمر الهواري (حيا سنة 665 هـ/1266 م)<sup>(4)</sup> في عمله الموسوم بـ "مناقب أولياء مدينة تونس"<sup>(5)</sup>، وقد ترجم فيه لمتصوفة المدينة خلال القرنين 6-7 هـ/12-13 م.

تعدى مستوى العناية بسيرة مشاهير أصحاب أبي الحسن الشاذلي في تونس الحفصية، إلى الإشادة بالأمكنة والمزارات التي لها ارتباط قوي بالسيرة التعبدية لبعض متصوفة المدرسة الشاذلية، الأمر الذي أجده ماثلا في أحد النصوص المنقبية المعنونة بـ "أصحاب أبي الحسن الشاذلي الأربعين وفضائل جبل الجلاز والمغارة الشاذلية بتونس"، كذلك كتاب "مناقب جامع

---

بالمكتبة الوطنية بالرباط، في مجموع تحت رقم (D 583). وقد قام بشرحها في قصيدته الموسومة بـ "اللمحات الأنسية في شرح القصيدة المسماة بالنفحات القدسية". توجد نسخة منه بذات المكتبة في مجموع تحت رقم (D 1641)، وفي وقت لاحق من النصف الأول من القرن 10 هـ/16 م، قام قاض مدينة بجاية، ابن الحاج أحمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب بن سعيد بن عبد الله المانوي الورديني (ت 930 هـ/1523 م)، بوضع شرح على هذه القصيدة تحت عنوان "أنس الجليس في جلو الحناديس عن سينية ابن باديس". توجد نسخة منها بذات المكتبة في مجموع تحت رقم (D 4/2100).

(1) - ناقش روبر برونشفيك، مرجع سابق، 337/2 - 345. الأسباب الحقيقية التي تقف وراء نجاح الصوفي أبي الحسن

الشاذلي في مدينة تونس، بخلاف غيره من كبار المتصوفة الذين مروا على المدينة منهم، الصوفي ابن العربي، وابن سبعين.

(2) - توجد نسختان منه بدار الكتب الوطنية التونسية، ضمن مجموع تحت رقم (9264)، (18555).

(3) - حول محتوى مناقب التادلي. أنظر: هشام عبيد، مرجع سابق، ص 428-432.

(4) - أنظر ترجمته: محمد محفوظ، مرجع سابق، ص 108-109.

(5) - توجد نسخة منه بدار الكتب الوطنية التونسية (رصيد مكتبة حسن حسني عبد الوهاب)، في مجموع تحت رقم

(18441). حولها أنظر: هشام عبيد، مرجع سابق، ص 235-254.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

الصفصافة بتونس<sup>(1)</sup>، والمؤكد أن عملية التشهير بهذه الأمكنة، على غرار "جبل الجلاز"، و"المغارة الشاذلية"، و"جامع الصفصافة"، واعتبارها أمكنة صوفية مقدسة، ومزارات تعبدية، تقصد إليها شريحة واسعة من المتركين والمعتقدين في الشيخ، يعكس حقيقة المكانة الروحية الرفيعة التي حظيت بها مسيرة الولي الصوفي أبي الحسن الشاذلي، وأصحابه، ومريديه في تونس الحفصية، في نهاية المرحلة الوسيطة، والاعتقاد في كراماتهم وقدسيتها الأماكن المختصة بهم.

رغم إقاربي بالمستوى التاريخي الضعيف، الذي بدت عليه النماذج المنقبية الجاهزة أمامي، يعود ذلك أساسا إلى عدم وجود تجميع منظم ومرتب لمصادر الخبر التاريخي فيها، كما أنها لا تعطي أهمية كبيرة للمعطيات البيوغرافية حول الشخصية المترجم لها، في الوقت الذي كان تركيزها منصبا على المسيرة الروحية للشيخ الصوفي، وإبراز جوانبها المتعلقة بالعظة والكرامات والمعجزات، كمداداة المرضى المستعصي شفاؤهم، ومشاكل العقم، وإطعام المحتاجين... الخ، الأمر الذي ألحق ضررا كبيرا، وتشويها للملامح الشخصية، حتى اختلطت فيها الحقائق التاريخية بالأسطورة، والخوارق والقصص الشعبية، التي أخذت موقعها البارز في تلك الأعمال المنقبية كموروث شعبي متميز.

ومع ذلك لا يزال بوسعي التأكيد على قدرة هذه الأعمال المنقبية، في الترويج لسيرة الأعضاء المنتسبين إليها بشكل واسع في تلك المرحلة على الأقل، وتقديم تراجم أعلامها في صورة مثالية محاطة بهالة كبيرة من القداسة والتبجيل، كما نجحت إلى حد كبير في ترسيخ تلك النظرة التمجيدية للفرد في مغرب القرون الوسطى المتأخرة، وتضع التاريخ البيوغرافي "السير" في وضعية جيدة، لتصبح بعدها الخط التاريخي الأكثر جذبا للمهتمين بسيرة رجال الدين من طبقة الفقهاء والمتصوفة على حد سواء، الأمر الذي يترجمه لنا ذلك التزايد المطرد في كمية الأعمال المخصصة لهذه الفئات الدينية.

(1) - توجد نسخة منه بدار الكتب الوطنية التونسية، تحت رقم (18756). حولها أنظر: عبد الحفيظ منصور، مرجع سابق، ص 373. هشام عبّيد، مرجع سابق، ص 235-254.



## المبحث الرابع:

تنوع وارتفاع مستوى الإنتاج المعرفي، يسهم في تغذية أنماط تراجمية مختلفة.

رغم الاضطرابات العنيفة التي هزت بلاد المغرب في نهاية العصر الوسيط، إلا أن هذه المرحلة قد سمحت بتأسيس مراكز علمية مهمة في كبريات حواضره، وقد مثلتها هنا على الخصوص حواضر سبتة، وفاس، ومكناس، وتلمسان، وبجاية، وقسنطينة، وتونس، كما أدى ذلك الانفتاح الفكري على المعارف المنتشرة في البلاد الأندلسية والمشرقية، الذي غذاه عامل الرحلة وطلب المشيخة، إلى اتساع مشاركة النخب العلمية المغربية في مختلف فروع المعرفة المتداولة في تلك المرحلة الحساسة، ونتيجة لذلك التراكم المعرفي، كان منطقياً أن نجد سيرة النخب العلمية البارزة، أحد المواضيع المهمة التي جذبت اهتمام المصنفين في شكل تراجم وطبقات، تختلف مواضيعها باختلاف الفئة المعنية بالترجمة، وهو ما سوف أحاول مناقشته في هذا المحور.

### 1. العناية بتراجم نخبة الأدباء والشعراء:

لقد ساعد تطور الإنتاج الأدبي والشعري في بلاد المغرب نهاية العصر الوسيط، إلى زيادة الاهتمام بتدوين تراجم هذه الطبقة النخبوية، ترافق هذا مع استقرار عديد العناصر الأندلسية من ذوي القدرة العالية على نظم الشعر، والمشاركة الفعالة في ضروب مختلفة من المعارف الأدبية بكبريات الحواضر المغربية، ومن بين الأعمال المحلية التي سوف أسلط الضوء عليها في هذه المرحلة، تلك التي أنتجتها أحد مشاهير الأسر التونسية "أسرة التيجانيين"<sup>(1)</sup>، وقد اشتهر العديد من أفرادها بالتضلع في معارف أدبية مختلفة، كما جمع بعضهم بين الكفاءة العالية في النظم والنثر، انخراطهم في الأعمال الديوانية بالبلاط الحفصي ضمن سلك الكتّاب.

يبدو أن المسار التاريخي الأكثر جذبا لبعض أفراد هذا البيت التونسي، كان العناية بتراجم طبقة الأدباء والشعراء والكتّاب، وهو الخط التاريخي الذي يعبر على انتمائهم إلى تلك الأوساط الأدبية النشطة، ضمن مجموعة النخب الفكرية التونسية القريية من البلاط الحفصي، الأمر الذي

(1) - حول بعض مشاهير أفراد أسرة التيجاني. أنظر: محمد النيفر: عنوان الأريب عمن نشأ بالبلاد التونسية من عالم وأديب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، 1/ 279-304. كذلك مقدمة تحقيق رحلة التيجاني التي أنجزها حسن حسني عبد الوهاب.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

أجد له تفسيراً مقنعاً في وجود أربعة أعمال تراجمية صادرة عن بعض أفراد أسرة التيجاني، مطلع القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي.

— العمل الأول: جاء تحت عنوان "الحلي التيجانية والحلل التجانية"، من إنجاز متولي خطة الكتابة بديوان الإنشاء في البلاط الحفصي، الفقيه أبي الفضل محمد بن علي التيجاني (ت 718 هـ/ 1314 م)<sup>(1)</sup>، اعتنى فيه مصنفه بتاريخ السلالة التيجانية المنحدر منها، في محاولة منه تدوين أخبار النابغين من أفراد بيته، وما لهم من الآثار العلمية والأدبية، وعلى أهمية هذا العمل الذي يكتسي طابع "التاريخ الأسري" في قالب تراجمي، إلا أنه معدود ضمن قائمة المؤلفات الضائعة، التي لا يعرف عنها سوى عناوينها أو بعض الإشارات التاريخية المقتضبة حيالها، كما أن بعض نسخه كانت معروفة صدر المائة الثامنة، اطلع على إحداها معاصره ابن الطواح التونسي (حيا سنة 718 هـ/ 1318 م)، هذا الأخير قد وجه إليه انتقاداً شديداً، جاء ذلك في الترجمة التي خصصها لوالده "الأديب الشاعر" أبي الحسن (ت 714 هـ/ 1314 م)<sup>(2)</sup>، وقد كتب ابن الطواح قائلاً "وله كتاب الحلي التيجانية والحلل التجانية، وهذه تسمية انتحلها وعظيمة افتعلها"<sup>(3)</sup>، ومن المحتمل كذلك أن يكون صديقه ابن رشيد السبتي (ت 721 هـ/ 1321 م)، الذي التقى به في مدينة تونس، قد عرف بخبر كتابه "الحلي التيجانية"، واستفاد منه في الترجمة التي خصصها لوالده أبي الحسن<sup>(4)</sup>.

(1) - أنظر ترجمته: محمد محفوظ، مرجع سابق، 1/ 161-162. وقد أورد له ابن عمه صاحب الرحلة مقطوعات شعرية من نظمه، كما أثبت له بعض المكاتبات التي كانت تجري بينهما. أنظر: التيجاني، مصدر سابق، ص ص 88-89، 221، 285. أما ابن رشيد السبتي، الذي التقى بمدينة تونس أثناء نزوله بها، فيشير إليه بـ "صاحبنا الفاضل". أنظر: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، تحقيق محمد الحبيب خوجة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1982، 2/ 197، 412.

(2) - ينسب ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 1/ 413. لأبي الحسن التيجاني جزءاً جمع فيه قصائد في مرثي شيخه ابن الغماز (ت 693 هـ/ 1293 م). كما أشار إليه ابن فرحون، مصدر سابق، 1/ 229. هذا ويعتبر أبو الحسن التيجاني من أبرز الشيوخ المتصدين للإقراء بتونس في النصف الثاني من القرن 7 هـ/ 13 م، وقد قرأ عليه عدد من تلامذته من ذوي العناية بالخبر التاريخي، أذكر منهم ابنه أبا الفضل محمد التيجاني (ت 718 هـ/ 1318 م)، وقربيه صاحب الرحلة عبد الله التيجاني، والرحالة العبدري، وابن رشيد السبتي، وابن الطواح التونسي، وابن جابر الوادي آشي.

(3) - ابن الطواح، مصدر سابق، ص 192.

(4) - صرح ابن رشيد السبتي، مصدر سابق، 5/ 402. في نهاية الترجمة التي خصصها لأبي الحسن علي بن إبراهيم التيجاني، أنه ينقل من خط ابنه أبي الفضل التيجاني.

## الفصل الثاني ———— تعرفو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

- العمل الثاني: هو كذلك من انجاز الأديب أبي الفضل التيجاني المذكور آنفا، وقد خصصه لطبقة شعراء عصره وورد تحت عنوان "الناسم"، معدود كذلك ضمن قائمة الكتب الضائعة، التي لا يعرف عنها سوى تلك الإشارة المقتضبة، التي وفانا بها ابن عمه مؤلف الرحلة عبد الله التيجاني (حيا سنة 718 هـ / 1318 م)، ويفهم منها أن كتاب "الناسم" قد أنجزه خلال سنة 708 هـ / 1308 م<sup>(1)</sup>، في أثناء تواجد صاحب الرحلة بمنطقة "زنزور"، الذي علم بخبره من مكاتبة بعث بها إليه مصنفه، ومع ذلك فليس بوسعي الحديث عن إمكانية إطلاع صاحب الرحلة على نسخة من هذا الكتاب.

على أهمية الأعمال التي أصدرها الأديب أبو الفضل التيجاني، إلا أن الأعمال المتنوعة التي أنجزها ابن عمه صاحب الرحلة<sup>(2)</sup>، كانت الأكثر شهرة وتميزا في هذا الخط التاريخي، وباعتباره أحد وجوه البلاط الحفصي مطلع القرن 8 هـ / 14 م، فقد تم ترفيعه من كاتب بديوان الإنشاء زمن السلطان الحفصي أبي عصيدة (694-709 هـ / 1294-1309 م) إلى رئيس للديوان، ومتوليا لخطبة العلامة الكبرى، زمن السلطان أبي يحيى زكريا اللحياني (711-717 هـ / 1311-1317 م)، هذا الأخير الذي جمعه به علاقة متينة، وقد توطدت في وقت سابق بعد مرافقته له في رحلته إلى جهات تونس واطرابلس بين سنتي 706-709 هـ / 1306-1309 م.

المؤكد أن شهرة عبد الله التيجاني، قد اكتسبها جراء مشاركته الجيدة في الفنون الأدبية، ونظم القصائد الشعرية، يضاف إليها انجازه لمجموعة من الأعمال المهمة<sup>(3)</sup>، في علوم الفقه وغيره، لكن ما يعينني أكثر هنا، أعماله الإخبارية، وقد صنف عمليين في موضوع التراجم.

- العمل الأول: جاء تحت عنوان "الدر التنظيم في الأدب والتراجم"، معدود ضمن قائمة الكتب المفقودة، التي لا يعرف عنها سوى تلك الإشارات التاريخية الباهتة، التي أوردها المصنف في رحلته<sup>(4)</sup>، ويظهر من خلالها أن التيجاني اعتنى فيه بالترجمة لعدد من أدباء القرن 7 هـ / 13 م

(1) - استنادا إلى تاريخ وصول الرسالة التي بعث بها أبو الفضل التيجاني لابن عمه صاحب الرحلة. حولها أنظر: التيجاني، مصدر سابق، ص 221-224.

(2) - باعتباره أحد كتّاب ديوان الإنشاء في البلاط الحفصي، فقد خصص له ابن الأحمر ترجمة مقتضبة في كتابه مستودع العلامة، ص 34.

(3) - لمعرفة عناوين المؤلفات التي أنجزها عبد الله التيجاني. أنظر: محمد محفوظ، مرجع سابق، 1/ 156-158.

(4) - مصدر سابق، ص 366.

## الفصل الثاني ———— تعدو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

نعرف منها ترجمتين لشاعرين من شعراء البيت الحفصي، ترجمة أبي علي عمر بن عيسى بن أبي حفص (ت 646 هـ / 1248 م)<sup>(1)</sup>، له ديوان شعر اطلع التيجاني على نسخة منه في مجلدين<sup>(2)</sup>، أما الترجمة الثانية فهي ترجمة أخيه عبد الرحمن بن عيسى، وبسبب قلة المعلومات التاريخية المتوفرة حول هذا الكتاب المهم، ليس بوسعي إعطاء تاريخ دقيق حول زمن انجازه، وكل ما يمكنني قوله، أن عبد الله التيجاني أنجز "الدر النظيم" قبل تدوينه لرحلته إلى البلاد الطرابلية.

— العمل الثاني: يبدو أن عمله الثاني الموسوم بـ "علامة الكرامة في كرامة العلامة"، قد أراد به التيجاني تاريخاً لموظفي الإدارة، وكتاب الدواوين بصفة خاصة، وباعتباره أحد المنتسبين لسلك الكتاب في البلاط الحفصي، وسليل أسرة ديوانية توارثت منصب الكتابة لفترة ليست بالقصيرة<sup>(3)</sup>، فقد أولى عنايته بالترجمة لهذه الطبقة في كتابه المفقود، وما يمكن التنبيه إليه أن مؤلفه عبد الله التيجاني لا يشير إليه في نص رحلته، فهل يفهم من ذلك أن زمن تأليفه كان في وقت لاحق بعد سنة 709 هـ / 1309 م؟ كما يبدو أن نسخ الكتاب كانت موجودة خلال القرن 9 هـ / 15 م، على الأقل نعرف أن إحداها كانت تحت نظر ابن بلدته التونسي الأصل ابن الشماع، وقد اعتمد عليها في تدوين أخبار أحد أبرز كتّاب البلاط الحفصي خلال القرن 7 هـ / 13 م، أعني به ترجمة الكاتب أبي العباس إبراهيم الغسالي (ت 688 هـ / 1289 م)، وبالتأكيد هذه الإشارة تكشف عن استمرار وجود بعض نسخ الكتاب، وتداولها في مدينة تونس في تلك المرحلة الوسيطة المتأخرة.

من غير المبالغة القول أن قسماً كبيراً من الأخبار التي جمعها الرحالة التيجاني في أعماله المفقودة الآنف الذكر، كانت مخصصة لتراجم طبقاته من المبرزين في الفنون الأدبية ونخبة من المتدربين في ديوان الإنشاء، لكن شح المادة الخبرية التي وصلتنا حول هذه الأعمال المفقودة، لا

(1) - ابن عم الأمير الحفصي أبي زكريا يحي الأول ( 625 - 647 هـ / 1227 - 1249 م)، هذا الأمير قام بتولية الأديب أبي

علي مدينة بجاية ثم بونة، وبعدها المهديّة التي توفي بها. حوله أنظر: المصدر نفسه، ص 363-366.

(2) - أورد التيجاني مقاطع شعرية للشاعر أبي علي الحفصي منقولة من ديوانه الشعري. أنظر: المصدر نفسه، ص 364.

(3) - أشير هنا إلى تولى أبي عبد الله محمد التيجاني، والد صاحب الرحلة، كتابة العلامة في بجاية للأمير أبي زكريا يحي

الحفصي، ثم تولى خطة عالية بديوان الرسائل في تونس زمن السلطان الحفصي أبي يحي زكريا اللحياني (711-717 هـ /

1311-1317 م)، خلفاً للكاتب أبي الحجاز المهدي. لمزيد من التفصيل أنظر: ابن الأحمر، مستودع العلامة، ص 34.

الزركشي، مصدر سابق، ص 62.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

يمكن التعويل عليها لمعرفة مستوى نضج تيار التراجم المحلي في المغرب الحفصي، الذي تمثله هنا أعمال التيجاني، ومن ثمة تعذر مقارنته بباقي الأعمال المحلية المنجزة في المرحلة الوسيطة المتأخرة، هذا النقص يمكن تداركه ببعض المعطيات المهمة التي يوفرها نص رحلته، ومحاولة الكشف على بعض مصادره الإخبارية التي كان على معرفة بها.

من المناسب جدا، فهم الخلفية التاريخية التي استند عليها الأديب الرحالة التيجاني، في تحرير تراجمه الأدبية، وإذا كان من غير الممكن الكشف عن مصادره الإخبارية في مؤلفاته الضائعة المذكورة آنفا، فإنه بالإمكان على الأقل معرفة تلك التي عوّل عليها في التراجم الكثيرة التي أدرجها في نص رحلته الذي وصلنا اليوم، خصوصا تلك المتعلقة بتراجم طبقة الأدباء والشعراء، والتي كان التيجاني على معرفة أكيدة بها، وامتلك بعض نسخها، على غرار امتلاكه لأعمال الفقيه أبي إسحاق إبراهيم الأجدابي الطرابلسي (ق 5 هـ / 11 م)<sup>(1)</sup>، بما فيها نسخة من مختصره في النسب وبخطه<sup>(2)</sup>، وسعيًا مني للكشف على مصادره الإخبارية التي استعان بها في تحرير تراجم رحلته، أنجزت جدولًا لعناوين مصادره، وقد تفاديت فيه ذكر تلك المرسلات، والوثائق الرسمية الكثيرة والمهمة، التي اعتمد عليها في توثيق بعض الأخبار التاريخية الخاصة برحلته<sup>(3)</sup>، إضافة إلى مصادره الشفوية<sup>(4)</sup>، بما فيها مرويات صديقه "الفقيه الحافظ" أبي العباس أحمد

(1) - أنظر ترجمته: ياقوت الحموي: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، 1/ 51. التيجاني، مصدر سابق، ص 262-264. وقد صرح التيجاني في الترجمة الموسعة التي خصصها لابن الأجدابي، بامتلاكه لمعظم مؤلفاته وبخطه، منها مختصره في النسب، وكتابه في اللغة الموسوم بـ "كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ"، وعلى حسب إفادته فإن أعمال ابن الأجدابي قد لقيت رواجا واسعا في الأوساط المحلية، وانتشرت نسخها بين الناس مطلع القرن 8 هـ / 14 م.

(2) - عبارة عن مختصر لكتاب "أنساب قريش" للنسابة أبي عبد الله الزبير بن بكار (ت 256 هـ / 869 م)، اطلع عليه التيجاني وأشاد بمحتواه، خصوصا تلك الزيادات والفوائد التي أدخلها ابن الأجدابي على مختصره، وقد رجع إليه في موضوع أصول قبيلة "زغب"، أحد بطون الدبابيين من العرب الهلالية. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص ص 141-142، 216-217، 264.

(3) - حولها أنظر: المصدر نفسه، ص ص 14-15، 106-108، 114، 191، 197-198، 217، 264، 356.

(4) - من بين الروايات الشفوية التي نقلها التيجاني، أذكر تلك التي نقلها عن علماء الأعراب العارفين بنسب قبيلة زغبة وبطونها. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص ص 86، 110، 111، 142، 306.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

الأموي التاجوري (ت 708 هـ / 1308 م)<sup>(1)</sup>، الذي أشاد بحفظه للآداب والتواريخ وحسن الخط.

النمط التاريخي	المجال	عددتها	عنوان المصدر وصاحبه	المجموع
التاريخ السياسي	مغربية	4	كتاب تاريخي لمعلم الفتيان <sup>(2)</sup> - تاريخ الرقيق القيرواني <sup>(3)</sup> - صلة ابن شرف القيرواني <sup>(4)</sup> - الجمع والبيان لابن شداد الصنهاجي <sup>(5)</sup>	6
	أندلسية	2	الديباجة في أخبار صنهاجة لأمية بن الصلت <sup>(6)</sup> - تاريخ ابن نخيل.	
التراجم	مغربية	4	طبقات أبي العرب التميمي <sup>(7)</sup> - أتمودج الشعراء <sup>(8)</sup> - الروضة الموشية <sup>(9)</sup> كلاهما لابن رشيق القيرواني-	12

(1) - أبو العباس أحمد بن عبد السلام الأموي التاجوري، ينحدر من منطقة "تاجورة" إحدى قرى اطرابلس، ومن خلال الترجمة المتوسطة التي خصصها التيجاني لصديقه، يفهم منها أن لقاء الصديقين قد وقع مرتين، الأول في مدينة تونس في أثناء قدوم أبي العباس التاجوري إلى المدينة قبل تاريخ 706 هـ / 1306 م، أما الثاني فكان في مدينة اطرابلس في أثناء نزول التيجاني بالمدينة سنة 708 هـ / 1308 م، وقد استفاد التيجاني من مرويات التاجوري عديد المرات. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص ص 83، 216، 254، 258، 270، 308.

(2) - لا يقدم التيجاني معلومات دقيقة حول هوية "معلم الفتيان"، الذي نسب له كتاب تاريخي استفاد منه في أخبار بناء المهديّة. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص ص 321-322. ويشير محقق رحلة التيجاني حسن حسني عبد الوهاب، في هامش الصفحة الآتفة الذكر أنه من المحتمل أن يكون معلم الفتيان، هو محرز بن خلف الله المعلم (ت 413 هـ / 1022 م).

(3) - المصدر نفسه، ص ص 6، 7، 8، 11، 12، 32، 320، 321.

(4) - المصدر نفسه، ص ص 29، 33، 83. يعتبر كتاب ابن شرف القيرواني (ت 460 هـ / 1067 م)، من أولى الذبول الموضوعة على تاريخ الرقيق القيرواني (ت 420 هـ / 1029 م). لمزيد من التفصيل حول الذبول المنجزة على كتاب الرقيق القيرواني. أنظر: علاوة عمارة: الرقيق القيرواني وبلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب، ص ص 141-142.

(5) - التيجاني، مصدر سابق، ص ص 14-15. لمزيد من التفصيل حول أهمية كتاب الجمع والبيان لابن شداد الصنهاجي (حيا سنة 600 هـ / 1203 م). أنظر: علاوة عمارة: "ابن شداد الصنهاجي جامع أخبار المغرب الوسيط"، مجلة التاريخ العربي، 21، (2002)، ص ص 67-95.

(6) - نقل عنه في مواضع كثيرة. حولها أنظر: التيجاني، مصدر سابق، ص ص 70-74، 98-99، 314-315، 331.

(7) - المصدر نفسه، ص ص 30-32.

(8) - نقل عنه التيجاني تراجم كثيرة بلغت نحو 12 ترجمة، موزعة على ثلاثة مدن، ستة تراجم لشعراء مدينة سوسة، ثلاثة من مدينة صفاقس، ثلاثة شعراء من المهديّة. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص ص 33-42، 76-78، 81-82، 366.

(9) - "الروضة الموشية في شعراء المهديّة"، معدود ضمن قائمة الكتب المفقود، قال عنه التيجاني أن مصنفه ابن رشيق (ت 456 هـ / 1063 م)، "ذكر فيه ما يطول تعداده من شعراء المهديّة". المصدر نفسه، ص 366. لكن الحميري، مصدر

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

والطبقات				
	أندلسية	7	المختار لابن بشرون المهدي <sup>(1)</sup> . جذوة المقتبس للحميدي <sup>(2)</sup> - الحديقة في شعراء الأندلس لأمية بن الصلت <sup>(3)</sup> - الذخيرة لابن بسام الشتريبي <sup>(4)</sup> - صلة ابن بشكوال <sup>(5)</sup> - الحلة السيرة <sup>(6)</sup> - التكملة <sup>(7)</sup> - تحفة القادم <sup>(8)</sup> ثلاثتها لابن الأبار	
	مشرقية	1	خريدة القصر لعماد الدين الأصفهاني <sup>(9)</sup>	
النسب	مغربية	1	مختصر في النسب لأبي إسحاق إبراهيم الأجدادي	4
	أندلسية	2	كنوز المطالب لابن سعيد المغربي <sup>(10)</sup> - اقتباس الأنوار للرّشاطي <sup>(11)</sup>	

سابق، ص 172. الذي صرح بالنقل عن هذا الكتاب، ينسبه إلى أحد فقهاء المهديّة، وهو الفقيه ابن بشير المهدي (حيا سنة 562 هـ/ 1166 م). وعلى ما يبدو أن الحميري قد وقع له خلط في هوية صاحب كتاب "الروضة المشوية"، في حين أجد التيجاني الأكثر معرفة بأعمال أدباء قطره التونسي، قد نسب صراحة كتاب "الروضة المشوية" لابن رشيق القيرواني، وكتاب "المختار في شعراء" لابن بشرون المهدي.

<sup>(1)</sup> - كتاب ضائع في تراجم الشعراء تحت عنوان "المختار في شعراء أهل عصره من الأشعار"، استفاد منه عماد الدين الأصفهاني (ت 597 هـ/ 1201 م)، في تراجم مجموعة من شعراء المغرب والأندلس، وورد عنده تحت عنوان "المختار من النظم والنثر لأفاضل أهل العصر". حوله أنظر: عماد الدين الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق آذرتاش آذرنوش، تنقيح محمد العروسي المطوي وآخرون، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986، 2/ 82، 191، 207، 237، 260، 332. كذلك أشار إليه العبدري، مصدر سابق، ص 367.

<sup>(2)</sup> - التيجاني، مصدر سابق، ص ص 54، 55، 79.

<sup>(3)</sup> - المصدر نفسه، ص 42.

<sup>(4)</sup> - المصدر نفسه، ص 16-22.

<sup>(5)</sup> - المصدر نفسه، ص ص 55، 79.

<sup>(6)</sup> - المصدر نفسه، ص 365.

<sup>(7)</sup> - المصدر نفسه، ص 272.

<sup>(8)</sup> - المصدر نفسه، ص ص 84، 106. كما أشار التيجاني في مواضع إلى النقل من بعض كتب ابن الأبار، من غير أن يحدد عناوينها. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص 278-279.

<sup>(9)</sup> - المصدر نفسه، ص ص 43، 101، 102، 367.

<sup>(10)</sup> - وهو كتاب في نسب الطالبين بعنوان "كنوز المطالب في آل أبي طالب"، اعتمد عليه التيجاني في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحسيني (ت 552 هـ/ 1157 م)، أحد أشرف منطقة "تاجورة" شرقي اطرابلس. أنظر: المصدر نفسه، ص 308-309.

<sup>(11)</sup> - الرّشاطي هو عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي (ت 546 هـ/ 1151 م) أريوي الأصل، من مؤلفاته المهمة في النسب كتابه المعنون بـ "اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار"، نقل عنه التيجاني في مواضع متفرقة في

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

	الإكمال لابن ماكولا <sup>(1)</sup>	1	مشرقية	
1	أخبار أبي إسحاق الجينياني لأبي القاسم اللبيدي <sup>(2)</sup>	1	مغربية	المناب
2	نزهة المشتاق للإدرسي <sup>(3)</sup>	1	مغربية	الجغرافية
	المسالك والممالك للبكري <sup>(4)</sup>	1	أندلسية	
25				المجموع الكلي

بوسعي الآن فهم جزء مهم حول طبيعة الخلفية التاريخية التي استند عليها التيجاني، والجدول أعلاه يعرض أمامي قائمة متميزة، متكونة من نحو 25 كتابا في مختلف ضروب المعرفة التاريخية، ومن دون شك قد أتاحت له هذه المصادر المتنوعة، إمكانية جمع وتحرير تراجم موسعة حول طبقة الأدباء والشعراء والكتّاب، وإذا ما دقت النظر أكثر في طبيعة هذه الأعمال الإخبارية، فإنها تكشف على اتساع حجم الكتب المصنفة في التراجم والطبقات بما مجموعه 12 عملا، والحصص المتبقية جاءت موزعة على باقي الأنماط التاريخية، على ما أوضحه في التمثيل البياني التالي:

رحلته. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص ص 66، 83، 86، 142. كما ذكر ابن عبد الملك المراكشي وقوفه على نسخة من هذا الكتاب بخط مؤلفها الرّشاطي، واستفاد منه في ترجمة الأديب الشاعر أبي جعفر البتي (ت 488 هـ / 1095 م). أنظر: ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 1 / 273، 274، 276. وكتاب الرّشاطي حقه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999 م. وحقق بأخره اختصاره الذي أنجزه كتاب ابن الخراط الاشبيلي (ت 581 هـ / 1185 م).

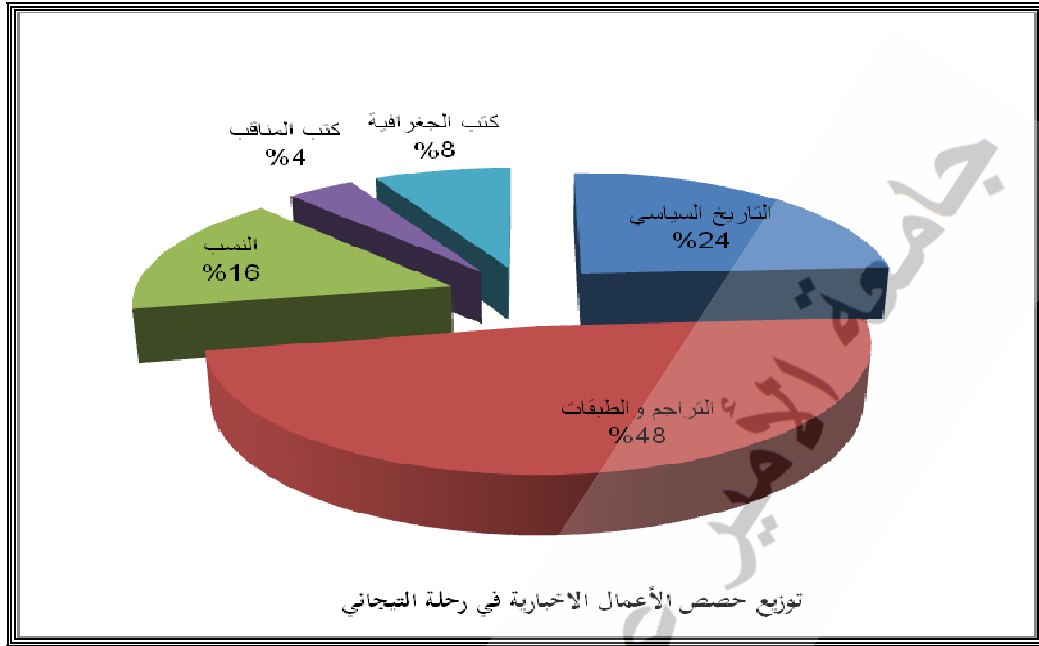
<sup>(1)</sup> - الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1961، 10 مج. وقد اعتمد عليه التيجاني في نسب قبيلة "زغب". حولها أنظر: التيجاني، مصدر سابق، ص 142.

<sup>(2)</sup> - كتاب في مناقب الشيخ أبي إسحاق الجينياني (ت 399 هـ / 1008 م)، ترجم فيه تلميذه أبو القاسم اللبيدي (ت 440 هـ / 1048 م)، لمجموعة من تلاميذ شيخه، وقد نقل عنه التيجاني في ثلاث مواضع. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص ص 67، 69، 83.

<sup>(3)</sup> - المصدر نفسه، ص ص 11، 121، 122، 124، 143.

<sup>(4)</sup> - المصدر نفسه، ص ص 6، 7، 8، 10، 57، 89، 90، 94، 135، 155، 247، 259، 271، 322، 326.





بالنظر إلى التكوين الأدبي المرموق الذي حظي به التيجاني، كان من الطبيعي أن تتشكل لديه إحاطة واسعة بالمؤلفات الإخبارية المتعلقة بتراجم طبقته من الشعراء والأدباء والكتّاب، وهي تعود إلى مراحل زمنية مختلفة، ما يلفت الانتباه فيها استعانتها بتراجم أدباء الحاضرة القيروانية المفقودة، يضاف إليها تعويله على الأعمال القريبة منه زمنياً، وبشكل خاص أعمال الوافد إلى البلاط الحفصي "الكاتب التاريخي" ابن الأبار القضاعي، الأمر الذي من شأنه أن يرفع من قيمة أعماله التراجمية بما فيها تلك المفقودة "الدر النظيم"، و"علامة الكرامة".

مساهمة الأسر المحلية في تراجم طبقة الأدباء والشعراء في بلاد المغرب، لم تكن مقتصرة فقط على أعمال أسرة التيجانيين التونسية، كذلك أظهرت بعض الأسر السبتية عنايتها بالخبر التاريخي، على غرار أسرة العزفين الأميرية، هذه الأخيرة كانت لها مساهمة فعّالة في تدوين السيرة النبوية، كذلك سجل بعض أفرادها اهتمامهم بموضوع التراجم، على غرار محاولة "الفقيه المحدث" أبي القاسم العزفي (ت 717 هـ / 1317 م)<sup>(1)</sup>، في كتابه المعنون بـ "الإشادة بذكر المشهورين من المتأخرين بالإجادة"، الذي يعتبر من الأعمال التراجمية الضائعة المخصصة لتراجم طبقة الشعراء المبرزين، ألّفه العزفي يرسم الوزير الغرناطي الشهير الذكر، محمد بن الحكيم الرندي (ت 708

(1) - أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي طالب عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد العزفي. أنظر ترجمته: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 2/ 397-398. المقري، أزهار الرياض، 2/ 356، 374-378.

هـ/ 1308 م<sup>(1)</sup>، وعلى ما يبدو أن إحدى نسخه كانت معروفة في النصف الأول من القرن 11 هـ/ 17 م، اطلع عليها المقرئ التلمساني واستفاد منها، وتظهر بعض نقوله<sup>(2)</sup>، أن مصنفه أورد فيه تراجم المتأخرين من شعراء القرن 7 هـ/ 13 م، وبدايات القرن 8 هـ/ 14 م.

كما أنجز معاصره وابن بلدته، الشاعر الاشبيلي الأصل، أبو عبد الله محمد بن هانئ اللخمي (ت 733 هـ/ 1332 م)<sup>(3)</sup>، كتابا في تراجم شعراء القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي، تحت عنوان "الغرة الطالعة في شعراء المائة السابعة"، معدود ضمن أعمال شعراء سبته الضائعة، أشار إليه صاحب "الإحاطة"<sup>(4)</sup> في الترجمة المتوسطة التي خصصها لمؤلفه ابن هانئ اللخمي.

المرونة والقدرة الكبيرة التي أظهرها حكام البلاط في مغرب ما بعد الموحدين، في استقطاب فئة الأدباء والشعراء الأندلسيين، حيث أتيحت لهم فرصة الانخراط في سلك الدواوين، ضمن فئة كتاب الإنشاء، وكان لذلك أهمية كبيرة في تنشيط خط التراجم بشكل عام، حيث يمكن اعتبار شخصية الوزير الغرناطي ابن الخطيب السلماي، من أرفع الشخصيات الأندلسية التي نزحت إلى بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن 8 هـ/ 14 م، كان ذلك نتيجة لتشجع العلاقة التي ربطته بأصحاب البلاط في مملكة غرناطة النصرية، مترددا بين مدينتي فاس وسلا، كانت وضعية ابن الخطيب تزداد سوءا وتعقيدا، وقد انتهت بمقتله في مدينة فاس سنة 776 هـ/ 1374 م<sup>(5)</sup>، ومن دون شك أن أعماله الموسوعية في مجال التراجم<sup>(6)</sup>، مثلت أرقى مستويات

(1) - الوزير محمد بن الحكيم الرندي، هو رفيق ابن رشيد السبي في رحلته المشرقية. حوله أنظر: ابن الخطيب السلماي، الإحاطة، 444 - 476. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، 3/ 495 - 496. المقرئ التلمساني، أزهار الرياض، 2/ 340 - 347.

(2) - منهم ترجمة أخوه الشاعر أبي العباس أحمد العزفي (ت 708 هـ/ 1308 م)، كذلك ترجمة قاصي الموحدين أبي حفص عمر بن أبي محمد عبد الله السلمي، وترجمة الشاعر ابن خبازة أبي عمرو ميمون (ت 637 هـ/ 1239 م). حولها أنظر: المصدر نفسه، 2/ 356 - 361، 371 - 373، 378 - 379، 380.

(3) - أنظر ترجمته: ابن الخطيب السلماي، الإحاطة، 3/ 143 - 154. مؤلف مجهول: بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، مجلة تطوان، 9، (1964)، ص 175.

(4) - مصدر سابق، 3/ 145.

(5) - خصصت الكثير من الدراسات حول حياة وأعمال ابن الخطيب السلماي، أشير فقط إلى البعض منها: آنجيل جنثال بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955 م. محمد عبد الله عنان: لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1968 م.

- Boloix-Gallardo Babara, «Beyond the Haram: Ibn al-Khatib and His privileged Knowledge of royal Nasrid Women», *Medieval encounters*, 20, (2014), pp. 383- 402.

(6) - خصص ابن الخطيب سلسلة من أعماله في تراجم شعراء قطره الأندلسي، أذكر منها: "التاج المحلى في مساحلة القدح

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

الوعي التاريخي الذي وصلت إليه مدرسة التراجم الأندلسية في نهاية العصر الوسيط، وبالرغم من أنه لم يخصص عملا مستقلا في تراجم أدباء وشعراء المغرب، إلا أن الكثير من أعماله التراجمية جاءت حافلة بتراجم مشاهير النخب الفكرية المغربية، على غرار تلك التراجم الواردة في كتابه "الإحاطة"، و"ريحانة الكتاب" (1).

كذلك استقبل البلاط المريني خلال القرن 8 هـ / 14 م، أحد أمراء البيت النصري المنشق، "الشاعر التاريخي" إسماعيل بن الأحمر (ت 807 هـ / 1404 م)، الذي أنجز عمليتين في تراجم طبقت من الشعراء المبرزين، الأول جاء تحت عنوان "نثر الجمان في شعر من نظمي وإياه الزمان"، فرغ منه في حدود سنة 776 هـ / 1374 م، ويحتوي على أزيد من سبعين ترجمة، أما الثاني فجاء بعنوان "نثر فرائد الجمان في فحول الزمان" (2)، وترجم فيه لنحو ثلاثين شاعرا من بلاد المغرب، والأندلس، وبلاد المشرق، كان متوقعا أن نلاحظ على أعمال ابن الأحمر التراجمية، أن تضم في طياتها عددا كبيرا من القصائد، والكثير من المقطوعات الشعرية.

العناية بتراجم سلك موظفي الدواوين من طبقة الكتّاب، كان كذلك ضمن اهتمامات بعض متولي منصب الكتابة في البلاط مغرب ما بعد الموحدين، هذه الفئة المتميزة استطاعت أن تؤسس لروابط مهنية مشتركة تجمع فيما بينها، وتترجم ذلك الشعور المشترك بتدوين سيرة أعضائها المنتسبين إليها في بعض الأعمال التراجمية المهمة، حيث تعتبر محاولة ابن الأبار البلنسي في كتابه "إعتاب الكتاب"، من أهم المحاولات المنجزة في هذا الخط التراجمي، وهو كتاب لا يخلو مغزاه من محاولة مصنفه التودد، والتقرب لولي نعمته السلطان الحفصي أبي زكريا يحيى (626- 647 هـ / 1228-1249 م)، كذلك العمل الضائع "علامة الكرامة" للرحالة التيجاني المشار إليه سابقا، وبالمثل جاءت عناية ابن الأحمر بهذه الفئة في كتابه "مستودع العلامة ومستبدع العلامة"، وقد تضمن على مقدمة في التعريف بوظيفة كتابة العلامة وأهميتها،

---

المعلّى" وهو عبارة عن أدباء الأندلس في القرن 8 هـ / 14 م، وعمل له ذبلا بعنوان "الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر"، بالإضافة إلى "الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة". حوله أعماله أنظر: أنجيل جنثال بالنيثيا: مرجع سابق، ص 252-258. محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، ص 110-215.

(1) - تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980 م.

(2) - تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1967 م.

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

واختلاف صيغها، كما ترجم فيه لنحو 72 شخصية من فئة الكتاب<sup>(1)</sup>، وقد رفعه مصنفه ابن الأحرر إلى رئيس الكتاب، صديقه أبي زكريا يحيى بن أبي علي الحسين بن أبي دلامة، الأمر الذي يفسر تلك الترجمة المعتبرة التي خصصها لهذا الكاتب، وقد جاءت مثقلة بعبارات التقدير والشكر، كما نظم في شخصه قصيدة مدح، ختم بها تراجم كتابه<sup>(2)</sup>.

عمل ابن الأحرر حول هذه الفئة النخبوية، كان خاتمة الأعمال المخصصة لفئة الكتاب، ولم يعد في الإمكان العثور على أعمال مهمة خلال القرنين 9-10 هـ/ 15-16 م، وبلا شك تراخي سلطة البلاط في تلك المرحلة الحساسة، التي ميزها الاضطراب وعدم الاستقرار، قد ترك آثاره السلبية على باقي الهياكل الإدارية للسلطة، بما فيها ديوان الكتاب، فعلى نحو سيء أصيب هذا الخط التاريخي بإخفاق شديد، وتراجع بشكل لافت في تلك المرحلة، في مقابل ذلك نرقب عن كثب الاحتفاء المتزايد بالخط التاريخي المنقبي المخصص لسيرة رجال الدين، المتمين إلى طبقة الفقهاء والمتصوفة.

### 2. انحصار تيار تراجم رواة العلم الموسوعية.

مرة أخرى أجدني أشير إلى حالة التراجع والتقهقر الذي آلت إليه الأوضاع العامة بالغرب الإسلامي في نهاية العصر الوسيط، وانحسار سلطة المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية على مملكة غرناطة النصرية، التي سوف تشهد هي الأخرى هزات عنيفة في المراحل اللاحقة، كان لذلك تداعياته الواضحة في تحديد مسار الحقول المعرفية المنتشرة في تلك المرحلة المضطربة، خصوصا بعدما شهدنا عديد النخب الفكرية الأندلسية التي نزحت إلى بلاد المغرب، منضوية تحت سلطة البلاط، كما لم تعد هناك رغبة كافية في محاولة إعطاء هوية مشتركة ومنتصلة لرواة العلم في الغرب الإسلامي بشكل عام، هذه الرغبة التي كانت كامنة خلف استمرارية تدوين كتب الصلات الأندلسية، وقد بدأت أولى حلقاتها مع تاريخ ابن الفرضي (ت 403 هـ/ 1012 م)،

<sup>(1)</sup> - يقول ابن الأحرر "رفعت إليه لفضله الذي هو أشرق من ضياء النهار ولجده الطاهر الذي هو المثل في الاشتهار ولماثره المنضدة عجب في الانتظام معدودة في مآثره أولى العلامة العظام ليكون العوين لي على حاجي إلى سلطانه الذي هو رئيس كتابه بأوطانه وأنا القائل إليه في ذلك الغرض...". أنظر: مستودع العلامة، ص 19-20.

<sup>(2)</sup> - حولها أنظر: المصدر نفسه، ص 75-83.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

وانتهت بذييل ابن عبد الملك المراكشي (ت 703 هـ / 1303 م)<sup>(1)</sup>، وحتى المحاولة التي قام بها ابن الخطيب السلماني في كتابه الضائع "عائد الصلة"<sup>(2)</sup>، كأحدى الذبول المنجزة على "صلة" شيخه ابن الزبير الغرناطي (ت 708 هـ / 1308 م)، لم تعط نفسا جديدا من شأنه إنعاش هذا الخط التاريخي الموسوعي، الذي يبدو أنه فقد جاذبيته في وسط المهتمين بتراجم رواة العلم. لكن ومع إقراره بانحصار هذا التيار التاريخي في نهاية المرحلة الوسيطة، إلا أنه بالإمكان الإشارة إلى عمليتين مهمتين من أعمال القرن 8 هـ / 14 م.

**العمل الأول:** من إنجاز أصيل مدينة سبتة، أبي عبد الله الزرعي الجدميوي، الذي يعود بأصوله البربرية إلى "جدميوة" إحدى بطون "مصمودة"<sup>(3)</sup>، بالإضافة إلى مهاراته الشعرية، حاز كذلك على لقب "التاريخي الحافظ" في الترجمة التي خصصها له صاحب "بلغة الأمانة"<sup>(4)</sup>، كأحد أعلام مدينة سبتة البارزين، يأتي ذلك نظير العمل التاريخي الموسوعي الذي قام به في أخبار العلماء والأدباء والتعريف بهم، ويبدو أن اتساع مداركه المعرفية حول أسماء المصنفين وكتبهم، تعود إلى ممارسة الجدميوي لمهنة الوراقة، وباعتباره أحد الوراقين البارزين بمدينة سبتة، فقد وفر له ذلك فرصة جيدة للإطلاع وعن كتب على مجموعات واسعة من المصنفات في مختلف

(1) - أنه هنا إلى إنجاز السخاوي تكمليتين في تراجم أعلام الغرب الإسلامي الوسيط، الأولى تكملته على الخمسة الأول من تسعة التكملة ابن عبد الملك المراكشي إلى قوله في السادس محمد بن أحمد بن عثمان القيسي، أما الثانية فتكملته على الأول من كتاب الإحاطة لابن الخطيب. حولها أنظر: الإعلان بالتوبيخ، ص 210.

(2) - أشار إليه ابن الخطيب في الترجمة التي خصصها لشيخه ابن الزبير بالقول "تأليفه كتاب صلة الصلة لابن بشكوال التي وصلتها بعده وسميت كتابي بعائد الصلة وافتتحت أول الأسماء فيه باسمه". كما أحال إليه في واضح كثيرة في الإحاطة، 153/1، 157، 190، 272، 284، 287، 329، 372، 374، 494. 2 / 139، 170، 282، 249، 266، 270، 272، 339، 527. 3 / 31، 33، 35، 60، 65، 66، 78، 82، 91، 96، 134، 135، 159، 160، 163، 171، 194، 203، 208، 219، 226، 229، 239، 242، 246. 4 / 11، 104، 125، 177، 236، 404، 422.

(3) - جدميوة، بكسر الجيم وسكون الدال المهملة فميم ثم ياء ساكنة واو مكسورة فياء النسبة. أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 216-217. كما أشار إليها عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 424. ضمن القبائل السبعة المنضوية تحت جماعات "مصمودة"، ومن الشخصيات التي تنسب لـ "جدميوة"، الشيخ أبو محمد جمال الدين عبد الله بن أبي بكر الجدميوي الصودي نزيل الإسكندرية، أحد شيوخ أبي القاسم التجيبي. حوله أنظر: التجيبي، مصدر سابق، ص 274-275. أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 217-218. كذلك شخصية الأديب أبي القاسم محمد بن عبد الرحمن الجدميوي التونسي (حيا سنة 837 هـ / 1433 م). حوله أنظر: محمد محفوظ، مرجع سابق، 2 / 17.

(4) - مصدر سابق، ص 176.

ضروب المعرفة المتداولة.

الإشارة التي وصلتنا حول العمل التاريخي الموسوعي الضائع، الذي أنجزه هذا الوراق السبتي، يقع في نحو أربعين سفرا، وقد احتوت تراجمه إضافة إلى مواد تاريخية متعلقة بسيرة الأعلام المترجم لهم، كذلك حشد فيه مواد أدبية من بليغ النظم والنثر، والحكايات والفوائد وغيرها، على غرار كتب التراجم المغربية المتداولة في عصره، كما أنه اعتمد في ترتيب تراجمه على حروف المعجم، وهي الطريقة المشرقية التي اعتمدها معاصره ابن عبد الملك المراكشي في ذيله، مخالفا بذلك الطريقة المغربية المتداولة في ترتيب التراجم على نسق الحروف<sup>(1)</sup>، ومن غير المستبعد أن يكون الجدميوي قد تأثر بمنهجية ابن عبد الملك المراكشي في ذيله، وما يرفع من احتمالية معرفة الجدميوي بكتاب ابن عبد الملك المراكشي، ومنهجية ترتيبه، علاقة الصداقة التي جمعتها بابن بلدته السبتي أبا القاسم التجيبي (ت 730 هـ / 1329 م)<sup>(2)</sup>، الذي كان يجوز على نسخة من كتاب شيخه ابن عبد الملك المراكشي.

– العمل الثاني: كتبه أحد أفراد الجالية المغربية، التي استوطنت بلاد المشرق مطلع القرن 9 هـ / 15 م، وتحديدًا القاهرة المملوكية، أعني به سليل أسرة "بني مزني" العربية، أصحاب بسكرة، التي استوطنت بلاد الزاب بالمغرب الأوسط، الفقيه ناصر بن أحمد بن مزني البسكري (ت 823 هـ / 1420 م)<sup>(3)</sup>، المعلومات المتوفرة حوله في كتب التراجم والطبقات التي اعتنت بالترجمة له،

(1) – تطرق ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 1/ 6-12. بالتفصيل إلى هذه الطريقة المعتمدة في كثير من الأعمال المشرقية، هذه الطريقة يعود أصلها حسبه إلى ترتيب البخاري لكتابه "التاريخ الكبير"، ثم انتشرت بعدها بين باقي كتب التراجم المشرقية، لتعرف طريقها إلى كتب التراجم الأندلسية والمغربية، في مقدمتها تاريخ ابن الفرضي، ومن بعده صلة ابن بشكوال، أما الطريقة المغربية المتبعة في ترتيب التراجم فهي على نسق الحروف، على غرار الأعمال التراجمية لابن الأبار، وابن فرتون السلمي، وأبي جعفر بن الزبير.

(2) – صرح صاحب بلغة الأمنية، ص 176. بعلاقة الصداقة التي جمعت الجدميوي بمعاصره التجيبي قائلا "وكان من أصدقاء أبي القاسم التجيبي"، من دون أن يقدم أية تفاصيل قد تسعفنا في فهم طبيعة العلاقة التي جمعت بين اثنين من أعلام سبته المهتمين بالخبر التاريخي.

(3) – عدّه ابن حجر من أقرانه الذين أخذ عنهم، وقد خصص له ترجمة مقتضبة في مشيخته، ذكر فيها نسبه، وشيوخه بتونس والقاهرة، والمناصب التي تولّاها ثم وفاته. أنظر: ابن حجر العسقلاني: الجمع المؤسس للمعجم المفهرس، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة، بيروت، 1994، 3/356. وقد نقل عنه هذه الترجمة، تلميذه المقرئ، درر العقود، 3/502-503. وتلميذه الثاني السخاوي، الضوء اللامع، 10/195-195. الإعلان بالتوبيخ، ص 208.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

تذهب إلى الإشادة بتكوينه الفقهي، الذي حصل عليه في مرحلته الأولى بمدينة تونس، أين قرأ على أبرز فقهاء الحاضرة الحفصية، كالشيخ ابن عرفة الورغمي، وأبي مهدي عيسى الغبريني، وبعد بلوغه سن الثانية والعشرين<sup>(1)</sup> توجه حاجا إلى بلاد الحجاز سنة 803 هـ/ 1400 م، ويبدو أن النكبة التي تعرضت لها أسرته في المغرب الحفصي، من قبل السلطان أبي فارس عبد العزيز<sup>(2)</sup>، قد أجبرته على الاستقرار بالقاهرة في ظروف مادية جد صعبة<sup>(3)</sup>.

بلا شك وجود ابن مزني بالحاضرة المملوكية القاهرة، قد منحه فرصة جيدة للاتصال بعدد كبير من الشيوخ المتصدرين للإقراء، وقد كان لذلك أثره الواضح في الرفع من مستوى معارفه العلمية بشكل عام بما فيها التاريخية، ويكفي في هذا اتصاله بثلاثة من شيوخه المبرزين، من ذوي العناية بالخبر التاريخي، وهم:

- ابن قطره المغربي ابن خلدون، وإن كانت المعلومات المتوفرة في كتب التراجم المشرقية، شحيحة جدا بخصوص طبيعة العلاقة التي جمعت اثنين من أفراد الجالية المغربية بالقاهرة المملوكية مطلع القرن 9 هـ/ 15 م، لكن ما لا يمكنني إغفاله هنا، علاقة الصداقة التي جمعت في وقت سابق ابن خلدون بوالد ناصر بن مزني، أعني به أحمد بن مزني "صاحب بسكرة"، وبلا شك هذه العلاقة المتينة التي جمعت ابن خلدون بهذه الأسرة، كانت تقف خلف الرعاية التي خصّها صاحب "العبر" لابن صديقه القديم ناصر بن مزني<sup>(4)</sup>، وعلى أهمية هذه الإشارة إلا أنه لا يمكنني تأكيد التحاق ناصر بن مزني بحلقة ابن خلدون أثناء إقامتهما بالقاهرة.

(1) - استنادا إلى تاريخ مولده الذي كان في شهر محرم 781 هـ/ أفريل - ماي 1379 م. أنظر: ابن حجر العسقلاني،

المجمع المؤسس، 356/3. المقرئ، درر العقود، 3/ 502. السخاوي، الضوء اللامع، 10/ 195.

(2) - تحدث ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 198. عن المصير المؤسف الذي تعرض له أحمد بن يوسف بن مزني،

وذهب ملكه على بلاد الزاب في 7 جمادى الثانية 804 هـ/ 11 جانفي 1402 م، بعد حكم دام نحو مائة وأربعين سنة.

(3) - تحدث المقرئ، درر العقود، 3/ 502. عن تلك النكبة المزدوجة التي تعرض لها ناصر بن مزني في أثناء رحلته

الحجازية، فبالإضافة إلى تعرض ركب الحاج الذي كان برفقته، إلى عملية سطو من قبل مجموعة من العربان، خسر على إثرها معظم ممتلكاته من الأموال والكتب، كذلك تنهى إلى مسامحة أبناء النكبة التي ألت بأسرته ووالده في بلاد المغرب، الأمر الذي اضطره إلى الإقامة بالقاهرة على فاقة.

(4) - تحدث ابن حجر العسقلاني عن المساعدة التي قدمها ابن خلدون لابن صديقه القديم ناصر بن مزني، عقب الفاقة التي

ألت به في القاهرة، مشيرا إلى المساعي التي بذلها ابن خلدون في توليته بالمدرسة "الشيخونية"، وبعدها تحول إلى "الظاهرية".

أنظر: ابن حجر العسقلاني، المجمع المؤسس، 3/ 356. المقرئ، درر العقود، 3/ 502. السخاوي، الضوء اللامع، 10/ 195.

## الفصل الثاني ————— تعرفو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

- شيخه "الحافظ التاريخي" ابن حجر العسقلاني، يعتبر من أبرز شيوخ ناصر بن مزني، الذين أكثر القراءة عليهم بالقاهرة، وقد لزم مجلسه عدة سنين، في شهادة مهمة أدلى بها شيخه ابن حجر<sup>(1)</sup>، مرة أخرى أشير بكل أسف أنني لا أملك معلومات وافية، قد تمكنني من معرفة طبيعة المواد التي قرأها ناصر بن مزني على شيخه ابن حجر، خصوصا وأن مدة القراءة عليه ليست بالقصيرة، وكما يفهم من كلام ابن حجر أن تلميذه ناصر بن مزني، كتب له ترجمة عن نفسه وبخطه، واستفاد منها ابن حجر في الترجمة التي خصصها له في معجمه.

- شيخه "مؤرخ مصر الفاطمية" تقي الدين المقرئ، على حسب الشهادة التي أدلى بها المقرئ في درره<sup>(2)</sup>، أن تلميذه ناصر بن مزني قد تردد في بعض المرات على مجلسه، من دون أن نعرف كذلك طبيعة المواد المدروسة في حلقاته، لكن من غير المستبعد أن تكون بعض المواد التاريخية، هي ضمن مروياته على شيخه المقرئ، التي كانت متداولة في مجلسه.

حقيقة تعوزني الكثير من الأدلة القاطعة، التي تثبت تعاظم ابن مزني مواد تاريخية في مجالس شيوخه بالقاهرة، لكن بلا شك احتكاكه المباشر بأعمدة مؤرخي مطلع القرن التاسع هجري/ الخامس عشر ميلادي، قد حفز معارفه التاريخية، وتوجيه عنايته بتراجم رواة العلم، وجاءت شهادة شيخه ابن حجر العسقلاني<sup>(3)</sup>، والمقرئ<sup>(4)</sup> لتعزز ذلك، يأتي هذا تنويجا لمشروعه التاريخي الذي جمع فيه عددا كبيرا من أخبار الرواة في مسودات، جاءت تحت عنوان "تاريخ الرواة"، إلا أن وفاة المصنف قد حال دون إكماله، وبقي في مسوداته التي بلغت من الكثرة بحيث أنها لو بيضت لخرجت في مائة مجلدة، على حسب تقدير شيخه ابن حجر<sup>(5)</sup>، الذي كان على معرفة أكيدة باشتغال تلميذه ابن مزني على هذا النوع من التأليف، كما تعرضت هذه

(1) - الجمع المؤسس، 3/ 356.

(2) - مصدر سابق، 3/ 502. وقد صرح المقرئ قائلا "وتردد إلي زمانا"، لكن من دون أن يقدم أية شروح إضافية في هذا الخصوص.

(3) - قال عنه ابن حجر العسقلاني، الضوء اللامع، 10/ 195. "كان لهجا بالتاريخ وأخبار الرواة جماعة لذلك ضابط له مكثرا منه".

(4) - قال عنه المقرئ، درر العقود، 3/ 502. "كان من أعرف الناس بالتراجم".

(5) - أنظر: الجمع المؤسس، 3/ 356. المقرئ، درر العقود، 3/ 502. السخاوي، الضوء اللامع، 10/ 195. الإعلان بالتويخ، ص 221.



المسودات إلى الضياع في وقت مبكر، وقد تحدث شيخه المقريزي بأسف شديد عن تشتتها وعدم الاستفادة منها (1).

في مقابل التعثر الذي أصاب خط تراجم رواة العلم بالغرب الإسلامي في القرون الوسيطة المتأخرة، فقد توجهت عناية النخب الفقهية المالكية إلى العناية بتراجم رواة الأسانيد وضبط وفياتهم، وتوزعت أعمالهم على ثلاثة محاور أساسية:

**المحور الأول:** العناية بتراجم طبقة المحدثين ورجال السند، الوارد ذكرهم في أمهات الكتب الفقهية، وهي الأصول التي تشكل أحد ركائز المذهب المالكي، أشير فقط إلى كتاب "ترجمان التراجم على أبواب صحيح البخاري" (2) لمرحالة المحدث ابن رشيد السبتي، وقد اعتنى فيه بالتراجم الواردة في كتاب البخاري، وأعاد ترتيبها وتبويبها ليسهل الانتفاع بها، كذلك بعض أعمال النخب المالكية التلمسانية، من خلال مؤلفات أبي عبد الله محمد بن الحسن أركان (ت 868 هـ / 1463 م)، التي تدور حول التعريف برجال الأسانيد الواردة في ثلاثة أصول فقهية: صحيح البخاري (3)، وصحيح مسلم (4)، وموطأ الإمام مالك (5)، بالإضافة إلى محاولة معاصره ابن سعد الأنصاري، التي يهدف من ورائها إلى التعريف برجال المختصر الفقهي لابن عرفة الورغمي (6)، وعلى حسب الإشارة التي أوردها تلميذه أبو جعفر البلوي (7)، الذي كان على معرفة بمشروع شيخه ابن سعد، وربما ساعده في جمع بعض مواده، أنه قد ترك هذا المشروع غير مكتمل بيد شيخه، بعد مفارقتة له في حدود سنة 896 هـ / 1490 م.

(1) - جاءت شهادته على النحو الآتي "فيرحمه الله ماذا فقدنا من فوائده وتلفت مسوداته فلم ينتفع بها". أنظر: المقريزي، درر العقود، 3/ 503.

(2) - تحقيق محمد زين العابدين رستم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008 م.

(3) - جاء تحت عنوان "الزند الواري في ضبط رجال البخاري"، توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (97 ك/2).

(4) - جاء تحت عنوان "فتح المبهم في ضبط ما أشكل من رجال مسلم"، توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (97 ك/3).

(5) - بعنوان "المشرع المهيأ في ضبط رجال الموطأ"، توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (97 ك/1).

(6) - يعتبر مختصر ابن عرفة الورغمي في الفقه، من أشهر المختصرات الفقهية التي أنتجتها النخب الفقهية المغربية خلال القرن 8 هـ / 14 م، والكتاب منشور ومحقق، كما تم طبعه عدة مرات.

(7) - لمزيد من التفصيل أنظر: أبو جعفر البلوي، مصدر سابق، ص 417.

**المحور الثاني:** يتمثل في اتساع نشاط الكتابة الفهرسية، كأحد أهم أشكال التدوين المخصص لتراجم شيوخ العلم<sup>(1)</sup>، حيث شكلت مسألة أخذ الرواية والإسناد والرحلة إلى لقاء الشيوخ البارزين والقراءة عليهم، حافظا قويا في إثارة الاهتمام بسيرة شيوخ العلم المتصدرين للإقراء في مغرب العصر الوسيط، فكان من الطبيعي أن يقوم هذا الصنف على التعريف بالشيوخ، وعرض نشاطهم العلمي والمواد المقروءة عليهم، الأمر الذي يتيح للمهتمين بدراسة الأوساط التعليمية المغربية، رصد طبيعة المواد الدراسية المتداولة في الحلقة، ناهيك عن الكشف على الأساليب المعتمدة في عملية التلقين، والطريقة التي انتقلت عبرها الكثير من المصنفات العلمية، وهو ما سوف أتطرق إليه بالتفصيل في الفصول اللاحقة.

**المحور الثالث:** العناية بتواريخ وفيات العلماء من طبقة الفقهاء والمحدثين، والتي أصبح ينظر لها كموضوع بحث تاريخي مستقل، منذ مراحل مبكرة من الفترة الوسيطة، يأتي ذلك تماشيا والحاجة الماسة التي أقرها علماء الحديث، في إطار سعيهم إلى ضبط تاريخ وفيات رواة الحديث، خوفا من وقوع التدلّيس والخلط، ومن المفيد في هذا السياق التاريخي، أن أشيد بالتجربة المتميزة التي أنجزها أحد تلامذة التاريخي ابن شبّاط التوزري (ت 684 هـ / 1285 م)<sup>(2)</sup>، الشيخ ابن هريرة محمد بن عبد المعطي النفزي<sup>(3)</sup>، وأحد شيوخ الرحالة العبدري الذي التقى به في مدينة تونس سنة 688 هـ / 1289 م، هذا الأخير أثنى على عناية شيخه النفزي بالتاريخ<sup>(4)</sup>، وسمع منه جزءا من كتابه التاريخي الضائع الذي "جمعه في وفيات المشاهير من أهل كل فن ومواليدهم

(1) - تشير الدراسة التي أنجزها عبد الله لمرباط الترغي، حول فهراس علماء المغرب، إلى ارتفاع عدد الأعمال الفهرسية المنجزة خلال القرون الثلاثة الوسيطة المتأخرة، حيث رصد نحو 24 عنوانا من أعمال القرن 8 هـ / 14 م، و13 عنوانا من أعمال القرن 9 هـ / 15 م، وخلال القرن 10 هـ / 16 م، فقد أشار إلى نحو 29 عنوانا منها. حولها أنظر: عبد الله لمرباط الترغي: فهراس علماء المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدر البيضاء، 1999، ص ص 118-120، 149-152.

(2) - أنظر ترجمته: محمد محفوظ، مرجع سابق، 3/ 141-143. ويشير العبدري، مصدر سابق، ص 39. إلى قراءة شيخه ابن هريرة النفزي القصيدة الشقراطية على شيخه ابن شبّاط التوزري، ومن أشهر كتب ابن شبّاط التاريخية، كتابه "العقد الفريد في تاريخ علماء الجريد"، وكتاب "أنيس الفريد في حلية أهل الجريد".

(3) - أنظر ترجمته: محمد محفوظ، مرجع سابق، 5/ 104.

(4) - العبدري، مصدر سابق، ص 39.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

ونتف من أخبارهم" <sup>(1)</sup>، وأجازه له الباقي، كما أن العبدري يتحدث عن أخذه لهذا الكتاب من يد مصنفه، وهي إشارة تؤكد على حيازة العبدري لنسخة من هذا الكتاب يحملها عن مصنفها بثلاث طرق (السماع- الإجازة- المناولة)، إلا أنها معدودة ضمن قائمة نسخ الكتاب المفقودة.

لم تلق هذه التجربة المتميزة التي قادها الشيخ النفزي، رواجاً في وسط المهتمين بتراجم الرواة بالمغرب الحفصي، واقتصرت اهتمامات أعضاء المدرسة الفقهية على إصدار بعض الأعمال الموجزة، والتقاييد في وفيات مشاهير الشخصيات العلمية من طبقة الفقهاء والمحدثين، مرتبة على السنين، في محاولة منهم إرضاء رغبة جمهور المهتمين بمعرفة تواريخ وفيات رواة العلم بشكل مضبوط ومختصر، وهو ما قام به ابن قنفذ القسنطيني، الذي اختار أن يكون موضوع وفيات الصحابة والعلماء والمحدثين والمؤلفين، ذيلاً لكتابه في علم الحديث "شرف الطالب في أسنى المطالب" <sup>(2)</sup>، وقد استهله بوفاة الرسول الكريم، وانتهى به إلى وفيات سنة 807 هـ / 1404 م، أي قبيل وفاته بنحو السنتين، كما جاءت تراجمه مرتبة على القرون، وتميزت بالاختصار المفرط، حيث لا تتعدى في كثير من المرات ذكر السنة التي توفي فيها المترجم له، ومع مطلع القرن 10 هـ / 16 م أنجز خطيب جامع الأندلس بفاس، الفقيه أبو الحسن علي بن قاسم بن الزقاق (ت 912 هـ / 1506 م) <sup>(3)</sup>، تقييداً في وفيات المائة الثامنة والتاسعة والعاشر <sup>(4)</sup>، كذلك قام معاصره وصديقه الفقيه أحمد الونشريسي (ت 914 هـ / 1508 م)، بوضع تقييد آخر في وفيات القرنين 8 - 9 هـ / 14 - 15 م، بدأه بوفيات سنة 702 هـ / 1302 م، وانتهى به إلى وفيات سنة 912 هـ / 1506 م، أي قبل وفاته بنحو السنتين.

<sup>(1)</sup> - تحدث العبدري عن محتوى كتاب ابن هريرة النفزي بقوله "كتاب مفيد لولا أنه لم يرتب على ما ينبغي". المصدر نفسه، ص 39.

<sup>(2)</sup> - هذا الكتاب عبارة عن شرح للقصيدة الغزلية التي نظمها أبو العباس الاشيلي (ت 699 هـ / 1299 م) في ألقاب علوم الحديث، تتألف من عشرين بيتاً، وقد ذكر ابن قنفذ في ديباحته دواعي تأليفه، الذي خصصه للمبتدئين في علوم الحديث.

<sup>(3)</sup> - أنظر ترجمته: الونشريسي، الوفيات، ص 116. ابن القاضي، درة الحجال، 3/ 252. أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 343.

<sup>(4)</sup> - توجد نسخة منه بالخزانة الحمزية العياشية بإقليم الراشدية، ضمن مجموع تحت رقم (1/240).

على أهمية هذه التقايد التي تبقى أحد المراجع المعول عليها في ضبط قوائم تواريخ وفيات بعض أعلام القرون الوسيطة المتأخرة، إلا أنها لا ترقى إلى مستوى الأعمال الموسوعية التي أصدرتها النخب العلمية الدمشقية بشكل خاص، هذه الأخيرة التي أثبتت سيطرتها على هذا الخط التاريخي برصيد مكتبي ضخم، على غرار أعمال المحدث علم الدين البرزالي (ت 739 هـ / 1338 م)<sup>(1)</sup>، وصلاح الدين الصفدي (ت 764 هـ / 1362 م)<sup>(2)</sup>، وابن شاعر الكتي (ت 764 هـ / 1362 م)<sup>(3)</sup>، وتقي الدين بن رافع السلامي (ت 774 هـ / 1362 م)<sup>(4)</sup>.

### 3. التاريخ القطري، مساهمة في تدوين ذاكرة المدن المغربية:

تمتعت كبريات حواضر المغرب الإسلامي خلال القرون الوسيطة المتأخرة، بنوع من النفوذ السياسي، وباعتبارها مركزا للسلطة السياسية، حظيت مدينة فاس، وتلمسان، وتونس بتغطية اسطوغرافية واسعة في النصوص الإخبارية المتأخرة، الأمر الذي جسده كتب التاريخ السلالاتي، التي أولت عنايتها الكبيرة بجاشية البلاط والسلالة الحاكمة، في حين انحصرت الأخبار المتعلقة بتاريخ الحاضرة، ومكانتها لا تتعدى في كثير من الأحيان حدود الفصول الأولى من الكتاب، مع ذلك فإن هذه الأعمال السلالاتية قد عكست عملية المزج بين تاريخ الحاضرة الحافل، وسيرة السلالة الحاكمة<sup>(5)</sup>.

وفي سياق العناية بتاريخ مدينة المولى إدريس "فاس"، التي جمعت بين النفوذ السياسي والتأثير الروحي، ترافق ذلك مع تنامي مصادر الثروة والجاه بين عديد الأسر الفاسية، الأمر الذي أدى إلى تحفيز الشعور بالانتماء الطبقي في المدينة الواحدة، وقد بات باستطاعة شاعر البلاط المريني إسماعيل بن الأحمر أن تتشكل لديه معرفة بمشاهير الأسر الفاسية، ترجم ذلك في مشروعه التاريخي الذي صيغ في وقت لاحق تحت عنوان "بيوتات فاس الكبرى"، أهمية هذا المشروع التاريخي الذي بدأه ابن الأحمر، قد لفت في وقت لاحق عناية بعض المهتمين بأخبار

(1) - الوفيات، تحقيق أبو يحيى عبد الله الكندري، الكويت، 2005 م.

(2) - الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000 م.

(3) - فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1974 م.

(4) - الوفيات، تحقيق صلاح مهدي عباس وبشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982 م.

(5) - هذا النوع من التواريخ القطرية يعتبره فرانز روزنتال "تاريخ محلي دنوبي"، وقد قام بمناقشة هذا الموضوع في دراسة

حول التدوين التاريخي الإسلامي. أنظر: فرانز روزنتال، مرجع سابق، ص 206-224.

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

مدينة فاس، والأسر المنتمة إليها، وإن كانت المعلومات شحيحة حول هوية الشخصيات التي أضافت إلى هذا المشروع التاريخي مجموعة من الأخبار المتأخرة، لكن يظهر أن أحد المشاركين فيه، كان من تلامذة الشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم القوري الفاسي (ت 872 هـ / 1467 م) <sup>(1)</sup>، وعبد العزيز بن موسا الورياغلي (ت 880 هـ / 1475 م) <sup>(2)</sup>، كما أن بعض الإضافات تصل بالكتاب إلى نهايات القرن 9 هـ / 15 م <sup>(3)</sup>، وقد مسّت على الأقل تراجم لثمانية بيوتات فاسية <sup>(4)</sup> من أصل 83 بيتا، منها ستة بيوت تعود إلى أصول بربرية.

المؤكد أن مشروع تدوين تاريخ الأسر الفاسية، الذي دشنه ابن الأحمر مع مشاركة متميزة لبعض المهتمين بتاريخ المدينة خلال القرن 9 هـ / 15 م، قد لقي رواجاً واسعاً مرحلة ما بعد القرن 10 هـ / 16 م، كما أنتجت على نحو مجموعة من الأعمال التي تعنى بتراجم أعلام مدينة فاس <sup>(5)</sup>.

وفي هذا السياق، تمكنت بعض الحواضر المغربية الثانوية، من إحراز تقدم ملحوظ، أثبتت

---

<sup>(1)</sup> - أنظر ترجمته: ابن الأحمر وآخرون، بيوتات فاس الكبرى، ص 65. ابن غازي المكناسي: التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل و الناد، تحقيق محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، 1984، ص 65-70. ويعتبر ابن غازي العثماني (ت 919 هـ / 1513 م) من أشهر تلاميذ القوري بفاس، ممن لهم عناية بالخبر التاريخي، وقد وصف ابن غازي شيخه القوري باستحضاره لقضايا التواريخ، في الترجمة التي خصصها له في فهرسته، كما اعتمد عليه في مواضع كثيرة في كتابه الروض الهتون، ص ص 15، 44، 59، 60، 61، 63، 64، 67.

<sup>(2)</sup> - أنظر: ابن الأحمر وآخرون، بيوتات فاس الكبرى، ص 65.

<sup>(3)</sup> - ورد في ترجمة الفقيه محمد بن أبي غالب بن حشّار، أحد الفقهاء المنتسبين لبيت "بني حشّار" الفاسية، أنه توفي سنة 898 هـ / 1492 م. أنظر: المصدر نفسه، ص 68.

<sup>(4)</sup> - البيوت التي شملتها الإضافات التاريخية هي: بيت "بني المصمودي"، و"بني الجزولي"، و"بني القوري"، و"بني الورياغلي"، و"بني حشّار"، و"بني الجنباري"، و"بني رضوان"، و"بني الحميدي"، على أن البيوت الست الأولى من أصل بربري، أما الأخيران فمن أصول عربية. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص ص 39، 43، 65، 68، 69، 70.

<sup>(5)</sup> - منها: كتاب "جدوة الاقتباس في ذكر من حلّ من أعلام مدينة فاس" لابن القاضي المكناسي (ت 1029 هـ / 1619 م)، وكتاب "روضة الآس العطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش و فاس" للمقري التلمساني (ت 1041 هـ / 1631 م)، وكتاب "بيوتات فاس الصغرى" لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت 1096 هـ / 1684 م)، وكتاب "التنبية على من لم يقع به من فضلاء فاس تنويه" لابن عيشون الشراط (ت 1109 هـ / 1697 م)، وكتاب "الدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسيني" لعبد السلام بن الطيب القادري (ت 1110 هـ / 1698 م)، وكتاب "سلوة الأنفاس ومحادثه الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس" لمحمد بن جعفر الكتاني (ت 1345 هـ / 1326 م).

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

خلالها قدرتها التنافسية العالية لعواصم الحكم في مغرب ما بعد الموحدين، ولم يعد من الممكن تجاهل أهميتها بأي حال من الأحوال، على غرار مدينة سبتة، ومكناس، وبجاية، وقسنطينة، ومراكش، وقد استطاعت هذه الأخيرة ضمان استمراريتها الفكرية، المستندة أساسا على طبقة شيوخ العلم المنتسبين إليها، حيث سعت هذه النخب الفكرية إلى مواجهة الخطاب التاريخي الموجه لخدمة السلالات الحاكمة، من خلال تبني خطاب تاريخي يهدف إلى إعادة بناء ذاكرة المدن المغربية، بعيدا عن سلطة البلاط، وهو خطاب يقترب أكثر إلى تعداد فضائل المدن، وتركيز العناية على تراجم شيوخ العلم، الذين يجمعهم انتماءهم المشترك للمكان الواحد.

أنتج هذا الخطاب التاريخي، شعورا عميقا بأهمية الانتماء للمدينة الواحدة، إلا أنه في مقابل ذلك قد حفّز على أن تمتلك هذه المدن المنافسة، رواية تاريخية محلية غنية بتراجم الأفراد المنتسبين إليها، وتعتبر مدينة سبتة من أهم المدن المتوسطة التي احتلت مكانة مرموقة في مسار التدوين التاريخي القطري، يأتي ذلك تماشيا مع الأهمية الجيو-استراتيجية التي تمتعت بها على مدار مرحلتها الوسيطة<sup>(1)</sup>، وبالتأكيد كان لانتقالها من مجرد مدينة ثغرية على الواجهة الجنوبية لبحر الزقاق، إلى مدينة أميرية منافسة سيطرت عليها أحد مشاهير الأسر العلمية المحلية "أسرة العزفيين" خلال القرن 7 هـ / 13 م، دورا فعّالا في أن تكون نقطة جذب مهمة لأعداد كبيرة من أفراد الجالية الأندلسية، التي فضلت دخول بر العدو المغربية عبر مضيق جبل طارق.

في هذا السياق المتسارع، نشط مسار التدوين التاريخي في أشكاله المختلفة بالمدينة، وهنا من المهم بما كان الإشارة إلى أهمية العمل الذي قدمه الفقيه السبتي القاضي عياض في كتابه "الفنون الستة في أخبار سبتة"، وهو العمل الذي أعطى للمدينة هويتها المحلية، وخصوصيتها التاريخية المتميزة، وكان متوقعا أن يكون هذا الكتاب انطلاقة جيدة لإخباري المدينة في تدوين

---

(1) - أُنجزت الكثير من الدراسات حول تاريخ مدينة سبتة وأهمية موقعها في مرحلتها الوسيطة، أكتفي بالإشارة فقط إلى دراسة: محمد بن تاويت الطنجي: تاريخ سبتة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1982 م. خليفة إدريس أحمد: التاريخ المغربي لمدينة سبتة، (د.م)، المغرب، 1988 م. محمد الشريف: سبتة الإسلامية، دراسات في تاريخها الاقتصادي والاجتماعي، ط2، منشورات جمعية تطوان، الرباط، 2006 م.

- Ferhat H, *Sabta des origines au XIV<sup>e</sup> siècles*, Publication de la Faculté des lettres et sciences humaines, Rabat, 1994.

-Benramdane Zoulikha, *Ceuta du XIII<sup>e</sup> au XIV<sup>e</sup>: siècles des lumières d'une ville marocaine*, Publication de la faculté de Mohammadia, 2003.

تاريخ المدينة في قلبه القطري<sup>(1)</sup>، لكن وعلى خلاف باقي أعمال القاضي عياض، لم يتمكن تاريخه القطري من الرواج في وسط المهتمين بتاريخ المدينة<sup>(2)</sup>، فهل كان وراء ذلك الإخفاق، أن نسخته الأولى قد بقيت مبيضة في يد مصنفها، الأمر الذي عرقل إمكانية الاستفادة منها، ومن ثمة محدودية انتشار نسخته في المراحل الوسيطة اللاحقة؟ باستثناء تلك النسخة التي عثر عليها ابن مرزوق الخطيب في وقت لاحق؟ أم أن هناك أسباب أخرى أعمق من هذا، ساهمت في إضعاف هذا التيار التاريخي القطري؟

لا يمكن إنكار الدور السلبي الذي من الممكن أن تلعبه النسخة الغير مكتملة لكتاب "الفنون الستة"، في محدودية انتشار الكتاب خلال المراحل الوسيطة اللاحقة، لكن من غير الممكن كذلك، أن تكون السبب الوحيد في تأخر هذا الخط التاريخي القطري، خصوصا أن هذه المدينة الثغرية قد تعرضت إلى تحولات ديموغرافية عميقة، نتيجة لحركة الهجرة الأندلسية التي ارتفعت وتيرتها خلال القرن 7 هـ / 13 م، الأمر الذي من شأنه إضعاف خصوصيتها المحلية.

مسار الهجرة الأندلسية، قد حمل معه وعبر فترات تاريخية متعاقبة، مجموعات مهمة من الشيوخ الأندلسيين من ذوي الكفاءة العالية في مختلف أنماط المعرفة التاريخية، كان لذلك أثره الواضح في العناية بتراجم أعلام العدوتين المغربية والأندلسية على حد سواء، واندجحت بذلك تراجم أعلام مدينة سبتة، ضمن سياق التراجم الموسوعية، متجاوزا التاريخ القطري الضيق، الذي مثله في وقت سابق كتاب "الفنون الستة" للقاضي عياض.

وفي سياق تاريخي مضطرب، لم تكن نهاية القرن 8 هـ / 14 م، ومطلع القرن 9 هـ / 15 م، بداية جيدة في تاريخ مدينة سبتة، هذه الأخيرة التي تعرضت لهزات عنيفة، نتيجة لضربات

<sup>(1)</sup> - يعتبر كتاب ابن حمادو البرنسي "المقتبس في تاريخ المغرب وفاس والأندلس"، من أهم الأعمال الإخبارية التي استوعب فيها مصنفه أخبار بلده سبتة وعلماؤها، وقد أصبح المصدر المعول عليه حول تاريخ المدينة في القرون الوسيطة اللاحقة.

<sup>(2)</sup> - أشير هنا إلى عناية المقرئين من القاضي عياض بكتبه الغير مكتملة، والتي بقيت مسودة بعد وفاة مصنفها، منها قيام ابنه أبي عبد الله محمد (ت 575 هـ / 1179 م) بإتمام كتابين لوالده، الأول كتابه "الأجوبة المحيرة على الأسئلة المتحيرة"، والثاني كتابه "أجوبة القرطبيين". حولها أنظر: أبو عبد الله محمد بن القاضي عياض، مصدر سابق، ص 104. كذلك اعتنى الشيخ أبو عبد الله الطراز (ت 645 هـ / 1247 م) بكتاب "مشارف الأنوار"، وقد تركه القاضي عياض في نسخة صعبة للقراءة حتى قل الانتفاع به، ليقوم الشيخ الطراز بإعادة إخراج الكتاب من جديد، ومقابلته وتصحيح الأخطاء الواردة فيه، حتى وصل به إلى حالة جيدة. حوله أنظر: ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 42/3.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

النصارى على شبه الجزيرة الأيبيرية، وقد تعرضت لحصار شديد من قبل البرتغاليين، الذين أطبقوا سيطرتهم على أقصى الحوض الغربي للمتوسط، وبعد سقوط المدينة المروع سنة 818 هـ/ 1415 م<sup>(1)</sup>، كان لذلك وقعه الشديد والمخزن على مختلف الشرائح الاجتماعية، ومن دون شك، فقد أدى ذلك إلى تحفيز الشعور القومي بين أهالي سبتة المهجرّين، الذين وجدوا أنفسهم في مواجهة مع مصيرهم المجهول، خصوصا وأن أغلب معالم المدينة العمرانية قد تضررت بفعل عملية التدمير المقصودة، وما تبعه من إعادة هيكلة للعديد من منشآتها الدينية، وفق متطلبات الحاكم البرتغالي الجديد.

أركز اهتمامي هنا، على تأثير ذلك في تنشيط مسار التدوين التاريخي المحلي، ففي سياق إعادة تمجيد الماضي الحيني للمدينة، وإثبات هويتها الدينية الإسلامية، وانتمائها الحضاري المغربي، أنجز بعض السبتيين عدة أعمال اخبارية، تركز عنايتها على تدوين تاريخ المدينة المسلوقة، واستعادة تراجم أعلامها المبرزين، ومن أهم الأعمال التي وصلتنا من تلك المرحلة، أشير إلى ثلاثة منها، عملان لسليل أسرة الحضرميين السبتية، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد المهيمن الحضرمي (حيا سنة 820 هـ/ 1417 م)<sup>(2)</sup>، أحدها تحت عنوان "الكواكب الوقادة في ذكر من دفن في سبتة من العلماء والصلحاء والقادة"، أما الثاني عبارة عن مختصر تحت عنوان "بلغة الأمنية ومقصد اللبيب، فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب"، هذا الأخير كتبه مؤلفه الحضرمي بعيد سقوط المدينة بنحو سنتين فقط<sup>(3)</sup>، أورد فيه مجموعة معتبرة من تراجم السبتيين، من ذوي الفئات المهنية المشتركة، من ممارسي مهنة التدريس والطب.

(1) - لمعرفة حيثيات سقوط سبتة بيد البرتغاليين. أنظر: محمد بن تاويت الطنجي، مرجع سابق، ص 175- 185. أمين

توفيق الطبي: مرجع سابق، ص 117- 139.

(2) - أشير إلى اللبس والتشكيك الذي دار حول هوية أصحاب هذه الأعمال الثلاث بين الباحثين، وقد تعرض لها بالتفصيل عبد السلام الجعماطي، الذي قام بتحقيق المؤلفات المنسوبة لأبي القاسم الأنصاري، وجاء كتابه تحت عنوان "تواريخ السبتيين" مع تقديمه بدراسة حول التدوين التاريخي حول مدينة سبتة، والكتاب من منشورات المجلس العلمي المحلي لعمالة المضيق الفينديق، 2015 م.

(3) - ورد في نهاية بلغة الأمنية، ص 188. أن هذا المختصر وقع الفراغ منه في 26 صفر 820 هـ/ 13 أفريل 1417 م.



## الفصل الثاني ———— تعدو سارات (التدوين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

أما العمل الثالث الموسوم بـ "اختصار الأخبار عما بثغر سبتة من سني الآثار"، فقد ألفه السبتي المولد، أبو القاسم محمد بن القاسم الأنصاري (حيا سنة 825 هـ / 1421 م)، بعد نحو سبع سنوات فقط من سقوط المدينة<sup>(1)</sup>، ضمّنه تراجم الأعيان المدفونين بالمدينة وقبورهم، كما قدم معلومات تفصيلية حول نسيجها العمراني على غرار (المساجد- المدارس- خزائن الكتب- الأربطة والزوايا- المحارس- الحمامات- الأسواق- الحوانيت- الحوانيت- دور الأشراف- المطاحن)، كما أشار إلى مراسي وأرباض المدينة وأحوازها، والقرى العامرة المتصلة بها، وما تمتعت به من مصادر الثروة الحيوانية والنباتية، وعلى أهمية المعلومات المونوغرافية<sup>(2)</sup> التي قدمها صاحب "اختصار الأخبار"، التي يهدف من ورائها إلى تدوين الذاكرة التاريخية للمدينة، إلا أن مؤلفه لم يتطرق فيه إلى سقوط المدينة، سوى بعض الإشارات المحتشمة التي أوردها حول قبور الشهداء الذين سقطوا في أولى عمليات الهجوم البرتغالي<sup>(3)</sup>، وبعض عبارات الدعاء والأسى على حال المدينة وأهلها التي ختم بها كتابه<sup>(4)</sup>، كما أنه لا يتعرض إلى الوضعية التي كان عليها بعيد سقوط المدينة، والتي أقل ما يقال عنها أنها كانت صعبة للغاية.

وفي سياق تمجيد الماضي الحنيني للمدينة، صرح أبو القاسم السبتي في اختصاره، بانجازه لثلاثة أعمال إخبارية أخرى، أذكرها على التوالي: "بغية السامع"<sup>(5)</sup>، و"الكواكب الوقادة لما

(1) - جاء في نهاية الكتاب، أن مؤلفه فرغ منه يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول 825 هـ / 22 فيفري 1422 م. أنظر:

أبو القاسم الأنصاري، مصدر سابق، ص 57.

(2) - حول خصائص النسيج العمراني لمدينة سبتة في المرحلة الوسيطة. أنظر: زليخة بن رمضان ميمون: "التخطيط المادي لمدينة سبتة الإسلامية محاولة في إعادة بناء التركيبة الحضرية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، 3، (1989)،

ص 59-77.

(3) - أنظر: أبو القاسم الأنصاري، مصدر سابق، ص 26-27.

(4) - جاءت العبارات الختامية لكتاب الأنصاري، تؤكد على مشاعر الحزن والأسى لما حدث لمدينته سبتة بالقول "فانظر ما كان عليه هذا الثغر الشامخ وما أصيب به المسلمون فان لله وإنا إليه راجعون وسيعلم اللذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والله أسأل أن يمن بارتجاعه ويعيده كما كان ويمكن من نخور أعدائه والذابل والسنان، بمنه وفضله، وكرمه وطوله، انه منعم منان". المصدر نفسه، ص 56-57.

(5) - صرح أبو القاسم الأنصاري بتأليفه لكتاب "بغية السامع" في معرض وصفه للمسجد العتيق الموجود بالمدينة قائلا "وقد استوعبنا وصف هذا الجامع وذكرنا ما ينبغي أن يذكر من تاريخ وفي خير في بغية السامع من تأليفنا، نفعنا الله بالقصد في ذلك". المصدر نفسه، ص 28.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

في ثغر سبته من تراجم السادة وقبور الأئمة القادة<sup>(1)</sup>، و"الأعلام"<sup>(2)</sup>، هذه الأعمال الثلاثة معدودة ضمن قائمة المؤلفات الضائعة، التي لا يعرف عنها سوى تلك الإشارات القليلة التي أوردها المصنف في "اختصار الأخبار"، كما يبدو أنها دونت خلال السنوات السبع التي أعقبت سقوط المدينة، أي في المرحلة الممتدة بين سنوات 818 - 825 هـ / 1415 - 1421 م.

وفي الأخير ما يمكنني قوله، أن الأعمال القطرية التي قدمتها المجموعات السبئية في هذه المرحلة المتأخرة، على غرار أعمال ابن عبد المهيمن الحضرمي، وأبي القاسم الأنصاري، جاءت خاتمة لسلسلة الأعمال الإخبارية المتميزة التي قدمها أعلام المدينة في مختلف أنماط المعرفة التاريخية خلال المرحلة الوسيطة، معلنة بذلك عن نهاية عهدها الإسلامية، ودخولها في مرحلة جديدة لها خصوصيتها التاريخية المختلفة، أعني بما هنا مرحلتها البورتو - اسبانية.

وبخصوص مدينة يوسف بن تاشفين "مراكش"، التي بقيت تحتفظ بخصوصيتها المحلية البربرية في نهاية المرحلة الوسيطة، والمستندة أساساً على مورثها التاريخي المرابطي، كان تتويجها للمرة الثانية كعاصمة لدولة الموحدين، قد ساهم بشكل كبير في تدفق عديد النخب العلمية الأندلسية إليها، خلال القرنين 6 - 7 هـ / 12 - 13 م، سمحت هذه الوضعية المتميزة بتواجد مجموعات أندلسية من المهتمين بالخبر التاريخي، وقد كان العناية بتراجم أعلام مراكش القادمين إليها، الخط التاريخي الذي كتب فيه مستوطن المدينة الأندلسي الأصل، أحمد بن محمد بن بيرة الأنصاري

---

(1) - أعلن الأنصاري أن كتاب "الكواكب الوقادة"، من تأليفه في ديباجة كتابه "اختصار الأخبار"، كما أشار إليه في معرض حديثه عن قبور أعلام المدينة وسادتهم. أنظر: المصدر نفسه، ص 12. كما أحال إليه كثيراً صاحب بلغة الأمنية، ص 177، 179، 181، 182، 184. كما أنه على أن عنوان كتاب "الكواكب الوقادة"، ترد الإشارة إليه في عدد من كتب التراجم المتأخرة، من دون أن تصرح بهوية مؤلفه، هل المقصود به كتاب أبي القاسم الأنصاري، أم كتاب معاصره الحضرمي. حول هذه الإشارات أنظر: المقرئ، أزهار الرياض، 1 / 33 - 38، 40. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 1 / 314. أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 111، 323، 479، 481. ابن مريم المليتي، مصدر سابق، ص 518.

(2) - أكد الأنصاري على وضعه لكتاب "الأعلام"، وأحال إليه في مواضع كثيرة من كتابه. أنظر: المصدر نفسه، ص 36، 39، 40، 43، 45، 48، 51، 52. وهو بالتأكيد ليس كتاب "أعلام مالقة" لأبي بكر بن حميس (ت 750 هـ / 1349 م)، حققه عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الأمان، الرباط، 1999 م.

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

الخرجي<sup>(1)</sup>، وتوجت جهوده التاريخية في كتابه الضائع الموسوم بـ "التعريف بمن قدم مراكش من العلماء"، ويبدو أن ابن قطره الاشبيلي الأصل "المقيد التاريخي"<sup>(2)</sup>، أبا العباس بن علي بن هارون (ت 649 هـ / 1251 م) مستوطن مراكش، قد كتب تعليقا مهما على تراجم معاصره الخرجي، اطلع على نسخة من هذا التعليق المكتوبة بخط المصنف ابن هارون، معاصره ابن عبد الملك المراكشي، واستفاد منها على الأقل في تحرير ترجمتين مهمتين في ذيله<sup>(3)</sup>.

وإن فقدت المدينة التاشفينية، الكثير من جاذبيتها وتأثيرها الروحي والفكري أمام العودة القوية لمدينة فاس خلال المرحلة المرينية، إلا أنها بلا شك امتلكت رواية تاريخية محلية مغايرة للخط التاريخي الذي تبنته الرواية الفاسية، التي كانت تدفع دوما باتجاه تمجيد تاريخ السلالة المرينية الحاكمة، ويتجلى الشعور القومي في التواريخ المراكشية من خلال تركيز العناية على تدوين تاريخ العناصر البربرية، وتمثله هنا كتابات النسابة ابن عبد الحليم الايلاني، وحتى ابن عذاري المراكشي، الذي لم يسلم في بيانه من تلك التوجهات الإيديولوجية الموحدية، إلا أنه بالتأكيد ابتعد بأخباره عن خط الكتابات السلالاتية الرائجة في تلك المرحلة الحساسة، كما أن خيار اللجوء إلى تدوين تراجم النخب العلمية بالغرب الإسلامي الوسيط، كان الخط التاريخي الأنسب الذي تبناه ابن عبد الملك المراكشي، صاحب التجربة التاريخية الموسوعية المتميزة، والتي تصب في سياق سلسلة الذبول المنجزة على "تكملة" ابن الأبار.

وفي سياق البحث عن التواريخ المراكشية المنجزة خلال المرحلة الوسيطة المتأخرة، يظهر كتاب "الحلل الموشية في الأخبار المراكشية" للكاتب ابن السماك العاملي المالقي<sup>(4)</sup>، كأحد الأعمال الإخبارية التي خصصت لتاريخ مراكش، وتعاقب الأحداث عليها منذ اختططها زمن

(1) - وقف ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 467/1. على ضبط اسمه مكتوب بخط يده، صرح بذلك في الترجمة المقتضية التي خصصها له، وخلالها أشاد بمعارفه التاريخية بالقول "حافظا للأدب والتواريخ ذاكرة للرجال، وله تاريخ حافل".

(2) - أشاد ابن عبد الملك المراكشي بمعارفه التاريخية في الترجمة التي خصصها له بقوله "كثر هممه بتقيد العلم وتخليد التواريخ"، كذلك أشار إليه بـ "المقيد التاريخي" في أثناء النقل عنه. حولها أنظر: المصدر نفسه، 326/1، 264/5.

(3) - تتعلق إحدهما بترجمة الاشبيلي أبي العباس أحمد اللخمي، أما الثاني فهو أبو الحسن بن مؤمن الخرجي (ت 598 هـ / 1201 م). حولهما أنظر: المصدر نفسه، 301-302 / 1، 264/5.

(4) - أنظر الترجمة التي حلاه بها معاصره ابن الخطيب السلماني: الكتيبة الكامنة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت،

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

يوسف بن تاشفين، والدول التي حكمتها وصولا إلى القرن 8 هـ/ 14 م، يبدو أن تعرض المدينة إلى الحصار المريني سنة 783 هـ/ 1381 م، كان المحرك الأساسي الذي أثار اهتمام الكاتب ابن السماك للعناية بتاريخ المدينة المحاصرة، استنادا إلى التصريح الذي أدلى به في ديباچته<sup>(1)</sup>، إلا أن تركيزه كان منصبا على العناية بتدوين الوقائع والحروب، كما توزعت أخباره بين تاريخ المغرب وبلاد الأندلس، الأمر الذي أبعده كتابه "الحلل الموشية" عن مسار التاريخ القطري، ليضعه في خانة تاريخ الدول.

ارتفاع مستوى التدوين التاريخي المخصص للحواضر المغربية، التي ارتقت إلى مصاف عواصم الحكم في بعض مراحلها الوسيطة، قابله حضور محتشم لتلك الأعمال القطرية المخصصة لمدينة ثانوية، قد تبدو أقل أهمية من حواضره الأولى "عواصم الحكم"، فمدينة مكناسة التي برزت كإحدى أهم حواضر المغرب المرابطي، ورغم موقعها الاستراتيجي الواقع في الجهة الغربية لهضبة "سايس"، وهو الموقع الذي يمنحها الأراضي الخصبة، ناهيك عن الطريق التجاري الداخلي النشط، الذي يعتبر الشريان الاقتصادي المعول عليه في إمداد الحاضرة الفاسية، إلا أن هذه المحفزات الاقتصادية لم تستطع أن تجذب اهتمام الأسر الحاكمة إلى هذه الحاضرة<sup>(2)</sup>، وسوف تنتظر طويلا حتى تتوج في مرتبة مدينة أميرية، فترة ما بعد القرن 10 هـ/ 16 م.

كان لذلك أثره الواضح في تأخر الخط التاريخي المخصص لمكناسة وأعلامها إلى بدايات القرن 10 هـ/ 16 م، حيث أظهر سليل المدينة، وأحد مشاهير فقهاء المالكية، الفقيه ابن غازي العثماني المكناسي (ت 919 هـ/ 1513 م)<sup>(3)</sup>، عنايته بالسير والمغازي والتاريخ، من خلال كتابه الذي خصصه لمدينته مكناسة، جاء تحت عنوان "الروض الهتون في تاريخ مكناسة الزيتون"، ونظرا لقيمة المعلومات المعروضة في روضه، والتي تلمس بشكل مباشر طوبونيميا المدينة، ومونوغرافية الجهة، والتفاصيل التاريخية الدقيقة المتعلقة بمراحلها الوسيطة، يعتبر المصدر الأساسي المعول عليه للمهتمين بهذا الحقل التاريخي القطري.

(1) - أنظر: مصدر سابق، ص 53-55.

(2) - من أهم الدراسات المنجزة حول تاريخ مدينة مكناس، أشير إلى دراسة عبد القادر بوتشيش: إسهامات في التاريخ الاقتصادي - الاجتماعي لمدينة مكناسة خلال العصر الوسيط، مطبعة فينالا، المغرب، 1997 م.

(3) - حوله أنظر: أحمد المنجور، فهرس شيوخه، تحقيق محمد حجي، دار المغرب، الرباط، 1976، ص 17. أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 581-583.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

وجود القاضي المكناسي بالحاضرة الفاسية، واستقراره بها لمدة ليست بالقصيرة<sup>(1)</sup>، كان له أثره الإيجابي في احتكاكه المباشر بأعلام الحاضرة من طبقة الفقهاء المبرزين، كما أن توليه منصب خطيب جامع القرويين، وتولي التدريس به، قد أتاح له فرصة الإطلاع على خزانة الجامع النفيسة، ومعاينة لما حملته بين رفوفها من أمهات الدواوين والكتب في مختلف أنواع المعارف<sup>(2)</sup>، بما فيها الدواوين التاريخية المرفوعة للخزانة، ومن غير المستبعد أن تكون مصادره الإخبارية التي صرح بالنقل عنها في روضه، كانت على لائحة كتب الخزانة النفيسة، منها "مسند" ابن مرزوق، و"عبر" ابن خلدون<sup>(3)</sup>، كذلك استفاد من أعمال ابن الخطيب السلماي في كتابه "الإحاطة"، و"نفاضة الجراب"، و"ريحانة الكتاب"<sup>(4)</sup>.

كان متوقعا أن أجد بين مصادر ابن غازي التي استعان بها في تحرير روضه، أعمال إخبارية تعنى بتاريخ الحاضرة، فاستعادة الماضي البعيد لمكناسة في عهودها الإسلامية، يتطلب من الفقيه ابن غازي، استغلال الرواية المحلية وقد أثمرت جهوده على الأقل في حصوله على تقييد تاريخي مهم من إنجاز سليل أسرة "الزغابشة" الساكنين بحارة "تاورا"<sup>(5)</sup>، من تلاميذ أبي عبد الله بن المواق (ت 642 هـ / 1244 م)<sup>(6)</sup>، أعني به القاضي أبا الخطاب سهل بن زغبوش (حيا سنة

(1) - انتقل الشيخ ابن غازي من مدينته مكناسة إلى حاضرة فاس سنة 891 هـ / 1496 م، أين نزل بالبليدة من حومة الأصدع الفاسية. أنظر: أحمد المنجور، مصدر سابق، 1976، ص 41.

(2) - من الإشارات الدالة على معرفة ابن غازي ببعض مقتنيات خزانة جامع القرويين بفاس، إشارته إلى وجود أرجوزة من نظم الفقيه محمد بن جابر الغساني (ت 827 هـ / 1423 م)، كذلك أشار إلى وجود تقييد على المدونة للفقيه عمران الجناتي (ت 830 هـ / 1426 م)، بجامع الأندلسيين بفاس. أنظر: الروض الهتون، ص 56-57.

(3) - المصدر نفسه، ص ص 20، 24، 36، 42، 71.

(4) - المصدر نفسه، ص ص 9، 10، 42، 45، 55، 56، 67، 70.

(5) - قدم ابن غازي معلومات مونوغرافية في غاية الأهمية حول حوائر مدينة مكناسة بما فيها حارة "تاورا"، التي تتوزع على ضفتي وادي فلغل "أبي عمائر"، وأقرب الحوائر إلى المدينة من جهة باب البراذعيين، وهذه الحارة مقسومة إلى قسمان كلها معمرة وكثيرة الخصب، قسم الضفة الغربية للوادي والضفة الشرقية، وفي هذا القسم الشرقي توجد حارة "بني زغبوش"، التي بها بيوت بني حماد الزغابشيين. لمزيد من التفصيل. أنظر: المصدر نفسه، ص ص 13-14، 16-17، 20-23، 36.

(6) - صرح ابن عبد الملك المراكشي، مصدر السابق، 8/ 272-274. بتلمذ أبي الخطاب الزغابشي على شيخه ابن المواق، في الترجمة التي خصصها لهذا الشيخ، وقد أشاد خلالها بمعرفة ابن المواق بأسماء الرجال وتواريخهم وأحوالهم.

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التروين) (التاريخي) خارج مجتمع البلاط.

616 هـ / 1219 م) <sup>(1)</sup>، من بيت "بني حماد" المستقرين بالأندلس <sup>(2)</sup>، معرفتنا المحدودة حول هذا البيت المكناسي، قد تضاعفت أكثر في تلك الإشارات العابرة، التي أحال فيها ابن غازي <sup>(3)</sup> إلى كتاب ابن عبد الملك المراكشي بخصوص تراجم بعض أعلام بيت بني زغبوش، كما أنها تقع في أجزاء "الذيل" المفقودة اليوم، ومن المحتمل أن يكون ابن عبد الملك المراكشي قد ترجم فيها لثلاثة منهم على الأقل، وهم: صاحب التقييد أبو الخطاب سهل، قريبه ومعاصره أبو عبد الرحمن عبد الله بن زغبوش <sup>(4)</sup>، والشاعر أبو مروان بن زغبوش <sup>(5)</sup>.

ويعتبر هذا التقييد التاريخي الضائع، المنجز خلال المرحلة الموحدية، من بواكير الأعمال التي دونت حول المدينة، اعتمد عليه ابن بلدته الفقيه ابن غازي في وقت متأخر من المرحلة الوسيطة <sup>(6)</sup>، وقد صرح بالنقل عنه في ترجمة أعلام بيته "بني حماد الزغابشيين"، والتعريف

<sup>(1)</sup> - أبو الخطاب سهل بن القاسم بن عبد الله بن محمد بن حماد بن محمد بن زغبوش، ولد بمدينة وادي آش الأندلسية، ثم انتقل مع والده إلى موطنه الأصلي منطقة "تاورا"، حيث يوجد بيت العائلة المتوارث عن جدهم الأعلى أبي عيسى القبي، وبعد وفاة والده والظروف المضطربة في المدينة، عاد مرة أخرى إلى الأندلس سنة 616 هـ / 1219 م، وتولى بها قضاء مدن كثيرة، منها رندة، واستيجة، وطنجة، ومرسية. حوله أنظر: ابن غازي المكناسي، الروض الهتون، ص 34.

<sup>(2)</sup> - عددهم ابن غازي المكناسي، من الأسر العلمية المكناسية الشهيرة، التي انتقل عدد من أفرادها إلى البلاد الأندلسية، وبعضهم توجه إلى عاصمة الموحدين المغربية مراكش، وقد أظهر أفرادها ولاءهم الشديد لسلطة الموحدين، كما أورد ترجمة مقتضبة لعدد من المنتسبين إلى هذا البيت منهم، أبو عيسى حماد الملقب بالقبي، واليه ينتسب بيت "بني حماد"، سكن بداره التي بناها التي تسمى بـ "دار النارج" بحارة "تاورا"، وقد توارث عقبه سكنى هذه الدار إلى أوائل القرن 7 هـ / 13 م، كذلك ابنه الفقيه محمد بن حماد الذي قرأ بقرنطة، وقتل من طرف عامل مدينة مكناسة، المرابطي يدر بن ولكوط، وابنه عبد الله بن محمد بن حماد (ت 594 هـ / 1197 م)، الذي كانت له عناية بتأليف المهدي بن تومرت، وابنه القاضي القاسم بن محمد (ت بعد 597 هـ / 1200 م)، والد ابن زغبوش صاحب التقييد التاريخي المذكور. حول هذا الفرع أنظر: المصدر نفسه، ص ص 21-23، 32-34، 52-53.

<sup>(3)</sup> - أنظر: المصدر نفسه، ص 52.

<sup>(4)</sup> - على حسب الإشارة التي أوردها حول ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 8 / 273. أنه من تلامذة ابن المواق شيخ قريبه أبي الخطاب سهل، لكن لا تتوفر معلومات كافية لمعرفة صلة القرابة التي تجمع الرجلين.

<sup>(5)</sup> - أورد له ابن عبد الملك المراكشي، قصيدة من نظمه في أثناء الترجمة التي خصصها لمعاصره الشيخ أبي العباس أحمد الخرجي (ت 633 هـ / 1235 م). أنظر: المصدر نفسه، 1 / 378-380.

<sup>(6)</sup> - يفهم من كلام ابن غازي المكناسي، أنه ينقل كثيرا من تقييد ابن زغبوش بقوله "نقلت أكثر ما ذكرت من تقييد وجدته للقاضي أبي الخطاب سهل"، وفي موضع ثان "وأما ابنه الذي نقلنا من تقييده"، وفي موضع ثالث "قال حفيد أخيه أبو الخطاب". أنظر: ابن غازي المكناسي، الروض الهتون، ص ص 32، 34، 52.

## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

بحارتهم "تاورا"، كما عوّل عليه في تحرير إحدى أهم المقاطع التاريخية، المتعلقة بالأيام الأخيرة التي كابدها سكان الحاضرة المكناسية في أثناء الحصار الموحدى عليها<sup>(1)</sup>، وبشكل خاص أخبار النكبة المروعة التي ألمت بأفراد بيته، على يد آخر أمراء المرابطين، الأمير يدر بن ولكوط المرابطي سنة 543 هـ / 1148 م<sup>(2)</sup>، بالتأكيد هذا الشح في المعطيات التاريخية من شأنه تعميق جهلنا حول تقييد أبي الخطاب سهل الضائع، وتبقى المعلومات التي يوفرها ابن غازي المكناسي، الرواية المعول عليها في هذا الخصوص.

كما أشار ابن غازي المكناسي في روضه، إلى الرجز التاريخي الذي نظمه أحد الفقهاء المكناسيين المشتهرين بنظم الأراجيز العلمية، وهو الفقيه محمد بن جابر الغساني (ت 827 هـ / 1423 م)<sup>(3)</sup>، الذي اظهر عنايته بتاريخ مدينته مكناسة، في نظمه التاريخي الذي أشاد به ابن غازي بقوله "وله تعريف ببلده مكناسة رجز بديع سماه بترهة الناظر لابن جابر"<sup>(4)</sup>، كما أورد بعض مقاطعه في روضه<sup>(5)</sup>، ومن غير المستبعد أن يكون قد اطلع عليه بين رفوف خزانة جامع القرويين بفاس، التي كانت تضم أرجوزة أخرى لابن جابر، على حسب التصريح الذي أدلى به مطالعه ابن غازي<sup>(6)</sup>.

(1) - حول الأوضاع المزرية التي كابدها سكان مكناسة في تلك المرحلة. أنظر: عبد القادر بوتشيش، مرجع سابق، ص 116-113.

(2) - حول المحزنة التي ارتكبت في حق بيت بني حماد الزغابشيين، والتي راح ضحيتها سبعة من أفرادهم. أنظر: ابن غازي المكناسي، مصدر سابق، ص 22-23.

(3) - من خلال الترجمة التي خصصها له ابن غازي المكناسي، الروض الهتون، ص 57. فقد نسب له أرجوزتين، واحدة تحت عنوان "نظم المرقبة العليا في تعبير الرؤيا لابن راشد"، أما الثانية فتسميته لبردة البوصري، يضاف إليها الرجز التاريخي. أما ابن الحاج النميري فقد أورد له قصيدته التي بعث بها من مدينة مكناسة يمدح فيها السلطان المريني أبي عنان، ويهنته بالنصر الذي أحرزه في حركته على السلطنة الحفصية سنة 758 هـ / 1337 م. حولها أنظر: فيض العباب، تحقيق محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 378-379. كذلك أشار إلى أرجوزة أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 486.

(4) - ابن غازي المكناسي، الروض الهتون، ص 8.

(5) - أنظر: المصدر نفسه، ص 9، 10، 15، 29-30.

(6) - الأرجوزة التي أشار ابن غازي إلى وجودها بالخزانة، هي أرجوزة "المرقبة العليا في تعبير الرؤيا". أنظر: المصدر نفسه، ص 57.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

أما حواضر المغرب الحفصي، التي تعتبر فيها بجاية مدينة "أميرية منافسة" لحاضرة الحفصيين الأولى تونس، فقد ساعد توافد واستقرار أعداد كبيرة من الجالية الأندلسية بها<sup>(1)</sup> من فئة الشيوخ البارزين، في التأسيس لقيادات فقهية مهمة، حجزت موقعها سريعا بين طبقة النخب الفكرية البجائية، وقد كان لوجود فئة مهمة من الإخباريين الأندلسيين، آثاره الإيجابية في تنشيط المعرفة التاريخية خلال القرن 7 هـ / 13 م<sup>(2)</sup>، حيث أنجز قاضي المدينة أبو العباس الغبريني كتابه الموسوم بـ "عنوان الدراية"، ليكون بذلك إحدى أهم الأعمال التي اهتمت بتراجم النخب البجائية.

يبدو أن المراحل الوسيطة اللاحقة، لم تعرف حضورا مهما للمعارف التاريخية في الفضاء الفكري البجائي، خصوصا إذا قورن بمستوى الدراسات الفقهية الأصولية المتداولة، وما يضاف إليها من علوم اللغة والشعر<sup>(3)</sup>، وما يمكنني التنبية إليه في هذا الخصوص فقط، هو التقييد التاريخي الذي كشف عنه السخاوي<sup>(4)</sup>، ونسبه لأبي البركات بن الحاج البلفيقي (ت 771 هـ / 1369 م)<sup>(5)</sup>، أحد أعلام طبقة المؤرخين الأندلسيين، ممن كانوا يترددون على بلاد المغرب، وتعود صلته بمدينة بجاية إلى وقت مبكر من نشأته، أين رحل إليها بعد سنة 715 هـ / 1315 م<sup>(6)</sup>، وقرأ على عدد من شيوخها المبرزين<sup>(7)</sup>، وقد أشار تلميذه ابن الخطيب السلماي بشكل خافت في الترجمة التي خصص له، عناية شيخه البلفيقي بتاريخ مدينة بجاية بقوله "فجاس

(1) - حول طبيعة الهجرة الأندلسية إلى مدينة بجاية وحشايتها التاريخية. أنظر:

- Valérian Dominique, « Les Andalous à Bougie (XI<sup>e</sup>-XV<sup>e</sup> siècle », Migrations et diasporas méditerranéennes (X<sup>e</sup>-XVI<sup>e</sup> siècle) », Centre de recherches d'histoire et de civilisation Byzantines, Paris, 2002, pp. 313- 330.

- صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص 403- 414.

(2) - آسيا ساحلي: "المشيخة الأندلسية في بجاية ودورها في تنشيط المعرفة التاريخية خلال القرن 7 هـ / 13 م"، مجلة الأندلس والمغرب، جامعة قادس، 21، (2014)، ص 79-95.

(3) - لمزيد من التفصيل حول تخصصات النخب العلمية ببجاية خلال المرحلة الوسيطة المتأخرة. أنظر: بريكة مسعود: النخبة والسلطة في بجاية الحفصية (7- 9 هـ / 13- 15 م)، ميم للنشر، الجزائر، 2014، ص 149-158.

(4) - الإعلان بالتوبيخ، ص 252.

(5) - أنظر ترجمته: ابن الخطيب السلماي، الإحاطة، 2/ 143- 169. الكتيبة الكامنة، ص 127- 134.

(6) - ابن الخطيب السلماي، الإحاطة، 2/ 145.

(7) - من أبرز شيوخ ابن الحاج البلفيقي بمدينة بجاية، شيخه ناصر الدين المشدالي. حوله أنظر: النباهي، مصدر سابق، ص 174. أبو زكريا السراج، مصدر سابق، ص 554.



## الفصل الثاني ———— تعدد سارات (التروين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

خلال القطر الغربي إلى بجاية نافضا إياه من العلماء والصلحاء والأدباء والآثار بتقييده، وأخذه قيام ذكر وإغفال شهرة" (1)، لكن هذا التقييد التاريخي الضائع لا أجده حتى ضمن قائمة كتب البليقي، التي ضبطها عنه تلميذه ابن الخطيب السلماي في وقت لاحق (2)، الأمر الذي يطرح الكثير من التساؤلات.

ومع ذلك تبقى المعلومات التاريخية، التي جمعها الغرناطي الأصل، ابن الحاجّ النميري (ت 774 هـ / 1372 م)، من أهم التغطيات التي حظيت بها مدينة بجاية خلال القرن 8 هـ / 14 م، ويعود تاريخ دخول النميري المدينة بعد رحلته الحجازية سنة 737 هـ / 1336 م، وقد تولى بها منصب الكتابة (3)، ليعود إليها من جديد سنة 758 هـ / 1356 م، بصحبة مخدومه السلطان المريني أبي عنان (4)، في أثناء الحركة الأدبية التي شنها على المغرب الحفصي إلى جهات قسنطينة والزاب، هذا وقد تضمن تقييده لرحلته الموسومة بـ "فيض العباب وإحالة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب" (5)، الكثير من المعلومات الطوبونيمية الجديرة بالاهتمام، حول مجموعة من أسماء الأمكنة بمدينة بجاية، والتي يندر الحصول عليها مجتمعة في عمل واحد،

(1) - ابن الخطيب السلماي، الإحاطة، 2/ 144.

(2) - تكتسي القائمة التي وضعها ابن الخطيب، حول أسماء كتب شيخه ابن الحاجّ البليقي أهمية خاصة، ذلك أنه ينقلها مباشرة من تقييد كتبه له شيخه وبخطه. لمزيد من التفصيل أنظر: المصدر نفسه، 2/ 148-150.

(3) - تولى ابن الحاجّ النميري منصب الكتابة في بلاط الأمير الحفصي أبي عبد الله محمد بن أبي يحيى. أنظر: المصدر نفسه، 1/ 344. ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 376.

(4) - أشار ابن خلدون إلى أن السلطان المريني أبا عنان قد قام بتعيين ابن الحاجّ النميري، في وظيفة الإنشاء والتوقيع سنة 757 هـ / 1356 م، خلفا لكاتبه أبي القاسم بن رضوان المالقي (ت 783 هـ / 1381 م)، وهو المنصب الذي سوف يتولاه ابن خلدون زمن السلطان المريني أبي سالم إبراهيم. أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص 56.

(5) - يفهم من التصريح الذي أدلى به ابن أخ صاحب الرحلة في مقدمة الرحلة، أنه وجد كتاب عمّه إبراهيم متفرقا في تقييد ورقائع مبددة، فقام هو بإعادة جمعها وترتيبها وإخراجها من جديد في كتاب واحد، وبعدها أهداه إلى السلطان المريني المستنصر بالله أبي فارس عبد العزيز (796-799 هـ / 1393-1396 م). لمزيد من التفصيل أنظر: ابن الحاجّ النميري، مصدر سابق، ص 149-150. لكن المؤكد أن النسخة التي تحدث عنها ابن مرزوق في مسنده، ص 376. والتي قال أنها تقع في عدة أسفار، هي النسخة الأولى التي قيدها ابن الحاجّ النميري، الذي كان بقاء الحياة زمن كتابة ابن مرزوق للترجمة التي حلاه بها في مسنده، وليست هي النسخة المعدلة الصادرة فيما بعد من طرف ابن أخ ابن الحاجّ النميري المذكور.

## الفصل الثاني ————— تعدو سارات (التروين) (التاريخي خارج مجتمع البلاط).

الأمر الذي يؤكد على معرفة ابن الحاج النميري الجيدة بالمدينة، فقد ذكر أسماء أبوابها (1)، والأربطة (2)، وقصبة الحكم (3)، ودار الصناعة (4)، كما تخللها وصف لعدد من البساتين والمنتزهات والأرباض، ناهيك عن ذكره لأزقة ودروب المدينة الضيقة.

الطابع السردي والأسلوب الأدبي، الذين أثقلا نصّ رحلة ابن الحاج النميري (5)، مع قلة عنايته بالخبر التاريخي بشكل عام، أضرب بشكل واضح بالقيمة التاريخية للرحلة، إلا أن مقيدتها قد أبان فيها كذلك على معرفته الجيدة بالكثير من جهات المغرب الأوسط منها مدينة قسنطينة (6)، وعديد الأمكنة التي توجد على طول الطريق الداخلي الرابط بين قسنطينة وبلاد الزاب (7).

وبخصوص الخط التاريخي القطري المخصص لمدينة قسنطينة، إحدى أهم حواضر المغرب الحفصي، فيبدو أن سيرة الفرع الحاكم في قصبة المدينة، الذي يستند كثيرا على رواية ابن قنفذ القسنطيني في فارسيتها، كان أهم الخطوط التاريخية الذي دون فيه تاريخ المدينة في نهاية المرحلة الوسيطة، ويبقى عمل سليل المدينة ابن قنفذ القسنطيني الموسوم بـ "طبقات علماء قسنطينة"،

(1) - من أبواب المدينة التي ذكرها ابن الحاج النميري في رحلته: باب أمسيون، باب المرسى، باب الخوخة، باب رأس السور، باب عزون. حولها أنظر: ابن الحاج النميري، مصدر سابق، ص 267-268.

(2) - من الأربطة التي ذكرها ابن الحاج النميري الموجودة في محيط المدينة، رباط برج اللؤلؤ، رباط زاوية الشيخ أبي زكريا الزواوي. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص 267.

(3) - أكد ابن الحاج النميري دخوله قصبة بجاية برفقة السلطان المريني أبي عنان، الذي استقر برياض القصر الأميري يستقبل وفود المهنيين. أنظر: المصدر نفسه، ص 268-269.

(4) - حولها أنظر: المصدر نفسه، ص 266.

(5) - قام محقق الرحلة محمد بن شقرون، بدراسة واسعة حول رحلة ابن الحاج النميري، أظهر خلالها قيمتها الأدبية والتاريخية، ناهيك عن محتواها والسياق التاريخي العام الذي كتبت فيه، في مقدمة تحقيقه لنص الرحلة، ص 9-148.

(6) - من بين أسماء الأمكنة الصغيرة بمدينة قسنطينة التي ذكرها النميري، أسوار باب القنطرة و باب الحمة و باب الجاية. أنظر: المصدر نفسه، ص 289، 294-295.

(7) - من بين أسماء المناطق التي ورد بها ابن الحاج النميري في رحلته أشير إلى: منطقة تيجمانين، وقصور الأعراب الرياحيين، وباتنة، و ليس، وقصر يعقوب، وطولقة، و فرفر، ومدوكال و نقاوس... الخ. حولها. أنظر: المصدر نفسه، ص 412 وما بعدها.

## الفصل الثاني ————— تعدد سارات (التدوين) التاريخي خارج مجتمع البلاط.

إحدى أهم الأعمال الإخبارية التي جسدت عناية المصنف بتراجم أعلام مدينته قسنطينة<sup>(1)</sup>. ما يمكنني قوله في الأخير، أن هيمنت الدراسات الفقهية على المناخ الفكري في بلاد المغرب في نهاية العصر الوسيط، كان خلف الحضور الباهت لبعض المعارف التاريخية، وينسحب هذا على التاريخ القطري، الذي تمّ إقحامه ضمن الفصول الأولى لكتب التاريخ السلالاتي، وبالتالي فالتواريخ القطرية قد أصبحت جزءاً مهماً من ذلك التيار التاريخي الموجه لخدمة مجتمع البلاط، ومع ذلك فقد استطاعت النخب الفكرية المغربية، أن تتجاوز ذلك الطرح التاريخي الموجه، وتنتج في مقابل ذلك مجموعة من الأعمال الإخبارية المهمة، في قالب تاريخي يتماشى ومنطلقاًها المعرفية، وقد وجدت في تراجم أعلام المدن الخط التاريخي الأنسب لها.

---

(1) - أشار عادل نويهض محقق كتاب الوفيات في مقدمة تحقيقه، إلى احتمال أن يكون "طبقات علماء قسنطينة"، من الأعمال التي كتبها ابن قنفذ في الستين الأخيرتين من حياته، أي بين سنتي 807 - 810 هـ/ 1404 - 1407 م، مستندا في ذلك إلى عدم وجود عنوان الكتاب في ثبت بأسماء كتب ابن قنفذ الذي دونه سنة 807 هـ/ 1404 م.

# الفصل الثالث:

مكانة المعارف التاريخية في تصانيف  
العلوم و مجالس الإقراء

جامعة الأميرة  
الاسلامية  
العلوم

### المبحث الأول: مكانة التاريخ في تصانيف العلوم عند المسلمين.

إن ظهور فكرة تصنيف العلوم "Classification des sciences"، وتطورها في الفكر الإسلامي الوسيط، تتصل اتصالاً وثيقاً بتزايد الكم المعرفي تزايداً كبيراً في الحضارة الإسلامية منذ مراحل مبكرة، إضافة إلى استمرار حدوث الكثير من التقسيمات داخل فروع المعرفة المختلفة، وتشعب فروعها إلى أخرى أصغر منها، فتشكلت بذلك حاجة ماسة إلى إعادة هيكلة وتنظيم العلوم المنتشرة، وضبط مختلف أشكالها، في محاولة لتوضيح طبيعة العلاقات التي تجمع بين أجزائها المتشعبة، ناهيك عن إعداد قوائم دقيقة ومنسقة للمواد الدراسية التي يتم تداولها في الهياكل التعليمية "الحلقة"، لتتماشى ومنطلقات النظام المعرفي الإسلامي الوسيط، هذا الأخير الذي يعطي أولوية قصوى للمواد المرتبطة بالجانب الديني، حيث تكون العناية أكثر بالمواد الشرعية.

لكن الإشكالية الجوهرية التي تواجهني في هذه المرحلة، هي معرفة المكانة الفعلية التي حازت عليها المعارف التاريخية موضوع الدراسة، ضمن منظومة المعرفة الإسلامية الشاملة، والتي يبدو أنها تستند في بعض أجزائها إلى خلفيات فكرية فلسفية يونانية دخيلة على الفكر الإسلامي، وفي محاولة مني إيجاد أجوبة مقنعة للإشكالية التالية: ما هي المكانة الفعلية التي حازت عليها المعارف التاريخية في تصانيف العلوم الإسلامية؟ وما هي الخلفيات الفكرية التي تحكمت في تحديد تلك المكانة؟ وإلى أي مدى استطاعت تصانيف العلوم الإسلامية أن تترجم واقع الإنتاج التاريخي الوسيط؟

#### 1. هيمنة التصنيف الأرسطي، يبعد التاريخ عن تصنيف تيار المشائين المسلمين<sup>(1)</sup>:

<sup>(1)</sup> - حول المدرسة المشائية الإسلامية، تطورها وأعلامها. أنظر: حسن الشفيعي: التيار المشائي في الفلسفة الإسلامية، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1998، ص 13-119. أما كلمة المشائية، فأصلها يوناني مشتقة من الفعل (peripatein) وتعني يطوف، وذلك إشارة إلى الممشى الظليل أو الرواق (peripatos) الذي كان أرسطو يلقي محاضراته فيه، أو إلى طريقته في التدريس وهو يطوف بالرواق في مدرسة اللوقيين التي أسسها في أثينا عام 334 ق.م، واستمر وجودها نحو ألف عام حتى 529 م، حين أمر الإمبراطور جستنيان بإقفالها وحظر تدريس الفلسفة بها. أنظر: مصطفى حسبيبة: المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص 51-52.

تاريخيا يعتبر التصنيف الذي وضعه الفيلسوف اليوناني، الشهير الذكر "المعلم الأول" أرسطو (ت 322 ق.م) للعلوم في عصره، من أقدم التصانيف الموضوعية في هذا المجال وأتمها، وفي نظريته المعرفية التي تقوم على أساس الموازنة بين أهمية الإدراك الحسي والإدراك العقلي<sup>(1)</sup>، ميّز أرسطو بين ثلاثة أصناف من العلوم، العلوم النظرية وتشمل (الرياضيات - الطبيعة - ما وراء الطبيعة)، والعملية وتشمل (أخلاق - تدبير المنزل - السياسة)، والعلوم الإنتاجية وتشمل (شعر - فنون - جدل)، وحدد لكل منها موضوعا يخصه<sup>(2)</sup>.

هذا التصنيف الأرسطي للمعارف، الذي يجعل من المنطق أعلى درجات التفكير، قد وجد طريقه إلى الفكر الإسلامي بداية من القرن 2 هـ / 8 م، بعد أن تمّ ترجمة الكثير من أعماله الفلسفية<sup>(3)</sup>، وإزاء هذا التراث اليوناني الدخيل، اختلفت مواقف علماء الإسلام وتضاربت فيما بينها، فقد أعلن بعض الفقهاء رفضهم القاطع له، ومن ثمة تحريم العمل به، في مقابل ذلك كان هناك تيار فلسفي ديني داعم له، وقد أقرّ بأهميته في علوم الشريعة، لكن مع محاولة لاحتواء العلوم المدرجة في التصنيف الأرسطي، وإعادة تكييفها واستيعابها ضمن نسق الفكر الإسلامي الوسيط، وذلك بإدخال تعديلات مهمة عليه، اختلفت من حيث درجة عمقها إلى مستويين:

**الأول:** عملية تكييف سطحية، لم تتعد ترتيب الأجزاء وحذف بعض المباحث، لتكون بذلك وقيّة بشكل كبير للتصنيف الأرسطي، كتصنيف تيار المشائين المسلمين، على غرار

(1) - ركز أرسطو اهتمامه على دراسة العقل وإمكاناته المعرفية، وعمد إلى وضع قوانين لازمة لضبط التفكير العقلي، لذلك كان المنطق عند أرسطو أعلى درجات التفكير. لمزيد من التفصيل حول نظرية المعرفة الأرسطية. أنظر: Hamelin O., *Le Système d'Aristote*, Librairie Félix Alcan, Paris, 1920, p. 95.

- مصطفى النشار: نظرية المعرفة عند أرسطو، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص 39 - 42.  
(2) - حول التصنيف الأرسطي للعلوم. أنظر: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 145 - 147. لعموري عليش: تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 60-67.

- Hamelin O., *op. cit.* p. 25- 27.

(3) - معرفة مزيدا من التفصيل حول مسألة ترجمة أعمال أرسطو، وتأثيرها على فلاسفة الإسلام. أنظر: بول كروس: "التراجم الارسطوطاليسية المنسوبة لابن المقفع"، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1940، ص 101- 119. عبد الرحمن بدوي: أرسطو عند العرب، دراسة ونصوص غير منشورة، ط2، وكالة المطبوعات، الكويت، 1978 م.

تصنيف الكندي (ت 256 هـ / 869 م)، وأبي نصر الفراءي (ت 339 هـ / 950 م)، و"الشيخ الرئيس" ابن سينا (ت 427 هـ / 1036 م).

الثاني: عملية تكيف أكثر عمقا، حاولت إدراج مباحث دينية أصيلة في العلوم الإسلامية، لكن مع محافظتها على القلب العام للتصنيف الأرسطي، على غرار تصنيف بعض الفلاسفة المتكلمين، الذين حاولوا الجمع بين المباحث الأرسطية وعلوم الشريعة، كتصنيف ابن حزم القرطبي، وأبي حامد الغزالي (ت 505 هـ / 1111 م).

في هذه المرحلة، سوف أركز اهتمامي أكثر على دراسة مجموعة من التصانيف الإسلامية، وتتبع مكانة علم التاريخ فيها عبر مراحل تاريخية متعاقبة، وإذا تجاوزت المحاولة المتواضعة التي قام بها الكندي<sup>(1)</sup> خلال القرن 3 هـ / 9 م، فإنني أجد المحاولة المتميزة التي قام بها الفيلسوف الفراءي، وقد اعتبر تصنيفه للعلوم من بواكير التصنيفات الإسلامية المنجزة خلال القرن 4 هـ / 10 م، عرض الفراءي نظريته المعرفية في مجموعة من أعماله الفلسفية، منها كتابه "التنبيه على سبيل السعادة" التي يصنف فيها العلوم إلى صنفين علوم نظرية وتشمل (التعاليم- العلم الطبيعي- علم ما بعد الطبيعيات)، وعلوم عملية وتشمل (علم الأخلاق- علم السياسة)<sup>(2)</sup>، والملاحظ على تصنيف الفراءي، أنه متأثر بشكل واضح بالتصنيف الأرسطي، وعلم التاريخ فيه خارج دائرة التصنيف بشكل كامل.

يتكرر الأمر في مقالته الموسومة بـ "إحصاء العلوم"، التي حاول فيها الفراءي القيام بأول عملية إحصاء للعلوم المعروفة في عصره، مصرحا بذلك في الديباجة بقوله "قصدنا في هذا الكتاب، أن نحصي العلوم المشهورة علما علما، ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها،

<sup>(1)</sup> - جاء ذلك في رسالته المعنونة بـ "كمية كتب أرسطو، وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة"، وفيها رتب كتب أرسطو على أربعة أنواع من الكتب، الأول في المنطقيات، والثاني في الطبيعيات، والثالث فيما كان مستغنيا عن الطبيعة قائما بذاته غير محتاج إلى الأجسام، أما الرابع فيما لا يحتاج إلى الأجسام ولا يواصلها البتة. أنظر: رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريذة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1950، ص 364-365.

<sup>(2)</sup> - يعتبر الفراءي صناعة الفلسفة، هي علوم الحكمة، ويقسمها إلى صنفين: الفلسفة النظرية، وتشمل ثلاثة أصناف من العلوم وهي: التعاليم، علم الطبائع، علم ما بعد الطبيعيات، وكل منها يتفرع إلى عدة فروع، أما الصنف الثاني: فهو الفلسفة العملية، والفلسفة المدنية، وهي صنفان: الأول هو علم الصناعة الخلقية، والثاني هو علم السياسة. حولها أنظر: الفراءي: التنبيه على سبيل السعادة، تحقيق سحبان خليفات، الجامعة الأردنية، عمان، 1987، ص 224-226.

وأجزاء كل ما له منها أجزاء، وجمال ما في كل واحد من أجزائه " (1)، وقد قام بتوزيعها على خمسة فصول تحتوي على ثمانية علوم أساسية (2)، وهي:

1- علم اللسان وأجزائه

2- علوم المنطق وأجزائه

3- علوم التعاليم وأجزائه

4- العلم الطبيعي والعلم الإلهي

5- العلم المدني وعلم الفقه وعلم الكلام.

المؤكد أن الفراءى قد استغرق كل العلوم التي أوردها أرسطو في تصنيفه، مع إدخاله لبعض التعديلات المهمة في تصنيفه، حيث يمكننا تسجيل ثلاث تعديلات أساسية:

- علوم حافظت على مكانتها، وهي العلوم النظرية (التعاليم- الطبيعة- العلم الإلهي).
- أدرج علوم اللسان على رأس القائمة، ويليه علم المنطق، وهما يردان عند أرسطو ضمن المجموعة الثالثة في العلوم الإنتاجية.
- أدخل علوما جديدة ذات منطلقات دينية، وهما علم الفقه والكلام (3)، وقد أحقهما بالعلوم العلمية (المدنية).

على أهمية هذه التعديلات التي تكشف عن محاولة الفراءى، إقحام بعض العلوم الشرعية في التصنيف الأرسطي، وإعطائه ذلك البعد الديني ليتماشى وطبيعة العلوم المتداولة عند المسلمين في عصره، إلا أن هذه التعديلات جاءت سطحية، ولا تشمل الكثير من العلوم المعروفة في تلك المرحلة، ما يعني هنا إقصاءه الكلي للتاريخ، خصوصا وأن مرحلة القرن 4 هـ / 10 م، قد عرفت زيادة مطردة في حجم الأعمال الإخبارية المنتجة في العالم الإسلامي، يكفي فقط أن

(1) - الفراءى، إحصاء العلوم، ص 7.

(2) - حول أصناف العلوم ومختلف تقسيماتها عند الفراءى. أنظر: ملحق رقم (03).

(3) - حول مكانة علم الكلام في تصنيف الفراءى. أنظر:



أشير هنا إلى كتاب معاصره الطبري (ت 310 هـ / 922 م) في "تاريخ الرسل والملوك"، الذي يكون قد أنهى كتابته مطلع القرن 4 هـ / 10 م، في مقابل ذلك نجد الفرائي يسط الشرح في بعض فروع العلم أقل تداولاً عن نظيرتها التاريخية المقصاة من تصنيفه، على غرار بعض فروع العلم الطبيعي، والموسيقى والحيل، الأمر الذي يدفع باتجاه القول، أن عمل الفرائي في رسالته "إحصاء العلوم"، هو ليس إحصاءاً واقعياً لما هو موجود من العلوم المتداولة في عصره، وإنما هو محاولة لتقديم خريطة معرفية شاملة عن حالة العلوم، وبيان فائدة وقيمة كل منها من وجهة نظره الفلسفية، إلا أن هذا لا ينفى محاولته إيجاد تصنيفاً أوسع من التصنيف اليوناني، يجمع بين التصنيف الأرسطي الموروث، ومستجدات العلوم الشرعية في الحضارة الإسلامية خلال القرون الهجرية الأربعة الأولى<sup>(1)</sup>.

بلا شك يبدو أن إقصاء التاريخ من المنظومة المعرفية الإسلامية في تصانيف القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي، أمراً غير منطقياً ولا يتماشى وواقع الإنتاج التاريخي في تلك المرحلة الوسيطة، ويكفي في هذا قراءة كتاب "الفهرست" للوراق البغدادي الأصل ابن النديم (ت 380 هـ / 990 م)، هذا الأخير الذي ندين له بأقدم عرض منهجي واسع للتراث الإسلامي، وأدقّه على الإطلاق<sup>(2)</sup>، كما أنه المصدر الأول والمعول عليه في تقصي مصادر المعرفة الإسلامية خلال القرون الهجرية الأربعة الأولى، لذلك أعتبر من أنفس الموسوعات العلمية الشاملة الموضوعية في بابها، كتبه مصنفه في حدود سنة 377 هـ / 987 م<sup>(3)</sup>، وقام بتقسيمه إلى عشرة مقالات، كل

(1) - اعتبر علي أواميل تصنيف الفرائي، تصنيفاً توفيقياً يجمع بين الفلسفة والدين. أنظر: الخطاب التاريخي، ص 58.

(2) - أشير هنا إلى وجود أعمال فهرسية اعتنت بذكر أسماء الكتب ومصنفوها، اعتمد عليها ابن النديم في كتابه "الفهرست"، وهي في أغلبها كتب ضائعة، على غرار: فهرستين للكيميائي جابر بن حيان (ت 197 هـ / 812 م)، واحد كبير في جميع ما ألف في صنعة الكيمياء وغيرها، والثاني صغير مختص فقط بالمؤلفات الموضوعية في صنعة الكيمياء، كذلك قائمة بأسماء مؤلفات هشام بن السائب الكلبي (ت 206 هـ / 821 م)، قائمة بأسماء مؤلفات أبي الحسن المدائني (ت 225 هـ / 839 م)، "فهرست كتب جالينوس" لحنين بن إسحاق (ت 260 هـ / 873 م)، و"فهرست" أبي بكر محمد الرازي (ت 311 هـ / 923 م)، "الفهرست في أسماء كتب أرسطاطاليس" لأبي زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي (ت 363 هـ / 973 م)، و"فهرست" الوزير الكامل أبو القاسم المغربي، وكتاب في أسماء كتب أبي سليمان داوود بن علي، فهرسة عبدان من طائفة الاسماعلية في أسماء كتبه. حول هذه الأعمال. أنظر على الترتيب: ابن النديم: مصدر سابق، 452/2، 453، 457، 301/1، 316، 277/2، 291، 170/2، 117/1، 60/2، 671/1.

(3) - المصدر نفسه، 3/1.

واحدة منها تناول موضوعا معينا<sup>(1)</sup>، ركّز فيها على ذكر المؤلفين، وعناوين كتبهم.

حقيقة ما لا يمكنني تجاهله في كتاب "الفهرست"، أن مؤلفه ابن النديم لا يتبع فيه تصنيفا محددًا، ومع ذلك فبالوسع تبين ملامح نظرتة الدقيقة للمعارف المنتشرة في عصره، أين خصص المقالات الست الأولى من كتابه، للموضوعات المتعلقة بالعلوم النقلية (اللغة- الكتاب- النحو- الشعر- الأخبار- الكلام- الفقه- الحديث)، أما المقالات الأربعة الأخيرة، فقد خصصها لعلوم الأوائل (الفلسفة- الرياضيات- الطب- الأسمار والشعوذة والسحر- المذاهب القديمة والغريبة- الكيمياء).

يبدو جليًا، أن ابن النديم أعطى مكانة ممتازة للمعارف التاريخية بين مجموع مقالاته، فبالإضافة إلى توظيفه لعبارة "في أخبار"، في كثير من عناوين مقالاته، قدم كذلك أربعة تسميات أصيلة، تشير إلى ماهية التاريخ في تلك المرحلة المتقدمة، وهي (أخبار- رواة- سير- أحداث)، كما ألحق به علم النسب، ليصبح هذا العلم أحد أهم الباحث المتصلة اتصالًا وثيقًا بالخبر التاريخي، لكن العلامة الفارقة التي أضافها كتاب "الفهرست" في هذا الشأن، هو تخصيصه لمكانة متقدمة للمعارف التاريخية من مجموع مقالاته العشر، أين احتلت المرتبة الثالثة ضمن مقالات المجموعة الأولى، باعتبارها أحد أهم فروع المعرفة الشرعية، كما حدد لها ثلاثة موضوعات أساسية، وهي على نحو التالي:

ترتيب المقالة	عنوانها	الفنون المتفرعة عنها	رقم الصفحات
المقالة الثالثة	في أخبار الاخباريين والنسّابين وأصحاب الأحداث والآداب	أخبار الاخباريين والرواة والنسّابين وأصحاب السير والأحداث وأسماء كتبهم	356-235 /2
		أخبار الملوك والكتاب والمرسلين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم	434-357 /2
		أخبار الندماء والجلساء والمغنيين والصفادمة والصفاعنة والمضحكين وأسماء كتبهم	482-435 /2

وإذا انتقلت إلى تصنيف "جماعة إخوان الصفا"، المتأثرة بالفلسفة اليونانية، تلك الجماعة التي تكونت بالحاضرة العباسية "البصرة" خلال القرنين 3-4 هـ/ 9-10 م، ورغم الغموض

<sup>(1)</sup> - معرفة مزيد من التفصيل حول مضمون المقالات العشر وتصنيفها في كتاب "الفهرست" لابن النديم. أنظر: ملحق رقم (04).

الكبير الذي يكتنف هذا التنظيم السري، وهوية أعضائه وطبيعة تعاليمهم، والأفكار التي يدعون إليها<sup>(1)</sup>، إلا أن الطابع الفلسفي الديني، كان السمة البارزة في تلك "الرسائل"، التي أعدوها ورتبوها لتعكس نظرتهم الفلسفية للمعرفة وفروعها المتشعبة، هذه الرسائل تشمل 52 رسالة، جاءت مقسمة على أربعة مجموعات<sup>(2)</sup>، كل مجموعة منها تعالج موضوعا مختلفا، ما يعني هنا المجموعة الأولى المتكونة من 14 رسالة، وهي "الرسائل الرياضية التعليمية"، وقد جاء في الرسالة السابعة منها المعنونة بـ "في الصنائع العلمية والغرض منها" فصلا في "أجناس العلوم"<sup>(3)</sup>، وقد تم تصنيفها إلى ثلاث أجناس: العلوم الرياضية مقسمة على تسعة أنواع، والعلوم الشرعية مقسمة على ستة أنواع، أما العلوم الفلسفية فجاءت مقسمة على أربعة أنواع، على ما أوضحه في المخطط التالي:

- في المخطط التالي:
- 1- الكتابة والقراءة
  - 2- اللغة والنحو
  - 3- الحساب والمعاملات
  - 4- الشعر والعروض
  - 5- الزجر والفأل وما يشاكله
  - 6- السحر والعزائم والكيمياء والحيل وما يشاكله
  - 7- الحرف والصنائع
  - 8- البيع والشراء والتجارات والحرف والنسل
  - 9- السيرة والأخبار
- العلوم الرياضية ( الآداب )

(1) - حول هذه الجماعة وتاريخ ظهورها ومبادئهم وأسلوب دعوتهم. أنظر: فؤاد معصوم: إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 1998 م.

(2) - المجموعة الأولى وهي الرسائل الرياضية التعليمية وتشمل 14 رسالة، المجموعة الثانية وهي رسائل الطبيعيات وعددها 17 رسالة، والمجموعة الثالثة وهي الرسائل النفسانية العقلية وعددها عشر رسائل، أما المجموعة الرابعة والأخيرة فهي الرسائل الناموسية الإلهية والشرعية الدينية وعددها 11 رسالة.

(3) - حولها أنظر: رسائل إخوان الصفا، 1/ 266-275.

- |                 |   |                                    |
|-----------------|---|------------------------------------|
| العلوم الشرعية  | } | 1- التزويل                         |
|                 |   | 2- التأويل                         |
|                 |   | <u>3- الروايات والأخبار</u>        |
|                 |   | 4- الفقه والسنن والأحكام           |
|                 |   | 5- التذكار والمواعظ والزهد والتصوف |
|                 |   | 6- تأويل المنامات                  |
| العلوم الفلسفية | } | 1- الرياضيات                       |
|                 |   | 2- المنطقيات                       |
|                 |   | 3- الطبيعيات                       |
|                 |   | 4- الإلهيات                        |

من خلال المخطط التوضيحي أعلاه، يبدو أن المعرفة التاريخية قد حظيت بمكانة معتبرة في المنظومة المعرفية في "رسائل إخوان الصفا"، حيث يرد تصنيف التاريخ في المجموعتين الأولى والثانية، كما احتفظ بتسميته الأصلية (سير-أخبار-روايات)، وإن احتل المرتبة التاسعة والأخيرة، في مجموعة العلوم الرياضية، فإنه استطاع الحصول على المرتبة الثالثة في مجموعة العلوم الشرعية بعد علمي التزويل والتأويل، في حين غاب بشكل كلي عن المجموعة الثالثة المتعلقة بأقسام علوم الفلسفة.

بعيدا عن النقاش الذي أثاره علي أواميل<sup>(1)</sup>، حول مدى مطابقة هذا التصنيف الوارد في الرسالة السابعة، بالنظرية المعرفية الشاملة التي تبناها إخوان الصفا، وتشكيكه في حقيقة المكانة التي حصل عليها التاريخ في تصنيفهم، فإن الأمر الذي لا يمكن تجاوزه هنا، هو اعتبار إخوان الصفا للمعارف التاريخية كأحد أقسام المعرفة الرياضية، التي ترادف عندهم علم الآداب، وقد

(1) - لمزيد من التفصيل حول موقف علي أواميل من تصنيف إخوان الصفا للعلوم في الرسالة السابعة. أنظر: علي أواميل، الخطاب التاريخي، ص 60-64.

"وضع أكثرها لطلب المعاش وصلاح أمر الحياة الدنيا"<sup>(1)</sup>، ومن هذا المنطلق يبدو أن مفهوم التاريخ في فكر هذه الجماعة، هو أحد الفنون الأدبية التي يرجى منها تحقيق فوائد دنيوية للمتعلم.

ومن جهة ثانية، يرد التاريخ في تصنيفهم كأحد فروع العلوم الشرعية التي "وضعت لطب النفس وطلب الآخرة"<sup>(2)</sup>، ويقدم إخوان الصفا تبريرا في سبب إدراجه ضمن المجموعة الثانية المختصة بالعلوم الدينية، لارتباطه بعلم الحديث، وهو ما جاء مصرحا به في العبارة التالية "فعلماء التزويل هم القراء والحفظ، وعلماء التأويل هم الأئمة والخلفاء، وعلماء الروايات هم أصحاب الحديث، وعلماء الأحكام والسنن هم الفقهاء، وعلماء التذكار والمواعظ هم العباد والزهاد والرهبان ومن شاكلهم، وعلماء تأويل المنامات هم المعبرون"<sup>(3)</sup>، على ذلك فإن علماء الحديث عند إخوان الصفا، هم أصحاب الروايات والأخبار من هذه الزاوية.

يظهر أن تصنيف إخوان الصفا في الرسالة السابعة، أكثر إنصافا للمعارف التاريخية مقارنة بالتصانيف السابقة التي تبنت التصنيف الأرسطي، ووفق منظورهم الفلسفي الذي يكتنفه الكثير من الغموض والتعقيد، أن التاريخ هو أحد الفنون الأدبية، وكذلك هو أحد فروع العلوم الشرعية، الأمر الذي سوف يعيد مناقشته بشكل جدّي، وبأدوات منهجية مبتكرة، في وقت لاحق من القرن 8 هـ / 14 م، ابن خلدون في كتابه الأول "العمران البشري".

كما أشير إلى أن الفيلسوف الأديب أبا حيان التوحيدي (ت 414 هـ / 1023 م)، الذي يعتبر من أبرز الشخصيات العلمية التي اطلعت على محتوى "رسائل إخوان الصفا" في مرحلة مبكرة<sup>(4)</sup>،

(1) - رسائل إخوان الصفا، 1/ 266-267.

(2) - المصدر نفسه، 1/ 267.

(3) - المصدر نفسه، 1/ 267.

(4) - يبدو أن أبو حيان التوحيدي كان على معرفة بهذه الجماعة وبعض أعضائها، كما صرح بإطلاعه على جملة من رسائلهم البالغ عددها 50 رسالة، وقد حمل جزءا منها إلى شيخه أبي سليمان المنطقي السجستاني محمد بن بهرام، ليعرف رأيه بشأن المعلومات الواردة فيها. حول هذا الموضوع. أنظر: أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، تحقيق هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية، بيروت، 2011، ص 163-174.

وانتقد بشدة نظريتهم المعرفية<sup>(1)</sup>، كتب كذلك رسالة في تصنيف العلوم<sup>(2)</sup>، جاء ذلك في إطار تأكيده على أهمية المنطق، وضرورة وجوده في مختلف أنواع المعارف<sup>(3)</sup>، وهي رسالة تبدو خارجة عن نظام التصنيف الثلاثي أو الثنائي الموروث، فهو لا يميز بين العلوم النظرية والعملية، ذكر فيها 14 صنفاً من أصناف المعرفة<sup>(4)</sup>، بين علوم إسلامية بحتة كعلم الكتاب، والسنة، والفقهاء... الخ، والعلوم اليونانية كالمنطق، والطب، والهندسة والحساب، كما أنه لا يعطي فيها أهمية للمعارف التاريخية، فهي خارج تصنيفه كذلك بشكل كامل.

استمرت عملية إقصاء المعارف التاريخية من دوائر التصنيف الإسلامية التي تبنت التصنيف الأرسطي، خصوصاً تلك التي اهتمت بتصنيف العلوم العقلية دون سواها من العلوم النقلية، على غرار تصنيف ابن سينا في رسالته الموسومة بـ "أقسام العلوم العقلية"<sup>(5)</sup>، وتصنيف نصير الدين الطوسي (ت 672 هـ / 1273 م) في رسالته "فصل في بيان أقسام الحكمة على سبيل الإيجاز"<sup>(6)</sup>، لتبقى إحدى خلفيات غياب التاريخ عن المنظومة المعرفية الإسلامية، هو

(1) - يقول أبو حيان التوحيدي بعد قراءته لبعض هذه الرسائل "وهي ماثورة في كل فن تتفا بلا إشباع ولا كفاية وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات وقد غرق الصواب فيها لغلبة الخطأ عليها". أنظر: المصدر نفسه، ص 165.

(2) - أشار أبو حيان التوحيدي في هذه الرسالة إلى ثلاث كتب في تصنيف العلوم، وهي: كتاب "أقسام العلوم"، و"اقتصاص الفضائل" لأبي سليمان السجستاني، و"تسهيل سبل المعارف". أنظر: أبو حيان التوحيدي: رسالة في العلوم، مجلة الدراسات الشرقية، 18، (1964)، ص 296.

(3) - صرح أبو حيان التوحيدي، أن رسالته في العلوم جاءت رداً على بعض القائلين بعدم جدوى المنطق، وأن ليس له مدخل في الفقه ولا للفلسفة اتصال بالدين، ولا للحكمة تأثير في الأحكام. أنظر: المصدر نفسه، ص 296-297.

(4) - وردت أصناف العلوم في رسالة أبي حيان التوحيدي مرتبة على النحو التالي: الفقه - الكتاب - السنة - القياس - الكلام - النحو - اللغة - المنطق - الطب - النجوم - الحساب المفرد بالعدد - الهندسة - البلاغة - التصوف. أنظر: المصدر نفسه، ص 286-296.

(5) - وهي الرسالة الخامسة من رسائل ابن سينا. أنظر: تسع رسائل لابن سينا في الحكمة والطبيعات، ط2، دار العرب، القاهرة، 1989، ص 104-118. وقد قسم فيها العلوم (الحكمة) إلى قسمين: قسم نظري مجرد وهي ثلاثة أصناف (العلم الطبيعي - العلم الرياضي - العلم الإلهي)، أما القسم الثاني العملي، وهو ثلاثة أصناف (الأخلاق - تدبير المنزل - السياسة).

(6) - يرد فيها تقسيمه للعلوم إلى صنفين هما: عملي ويشمل ثلاثة أقسام: الأخلاق، وعلم تدبير المنزل، وعلم السياسة، أما الصنف الثاني فهو النظري، وهو على ثلاثة أقسام، الطبيعي الرياضي، الإلهي. لمزيد من التفصيل أنظر: نصر الدين الطوسي: فصل في بيان أسام الحكمة على سبيل الإيجاز، تصنيف العلوم بين نصير الدين الطوسي وناصر الدين البيضاوي، تحقيق عباس محمد حسن سليمان، دار النهضة العربية، بيروت، 1996، ص 86.

تبنيها للتصنيف الأرسطي للعلوم الذي يعتبر المنطق أداة للعلوم<sup>(1)</sup>.

## 2. حضور محتشم للمعارف التاريخية في التصانيف الإسلامية المعدلة:

لم تتوقف عملية البحث عن إطار منهجي واسع، يشمل العلوم المتداولة في المنظومة المعرفية الإسلامية الوسيطة، لذلك جاءت بعض التصانيف الإسلامية، محاولة إجراء تعديلات جوهرية على التصنيف الأرسطي للعلوم، وذلك من خلال تخصيصها لمكانة مهمة لفروع المعرفة الشرعية ضمن خانة العلوم النقلية، في مقابل المحافظة على فروع العلوم العقلية، من دون شك هذه الثنائية أصبحت التصنيف الأكثر رواجاً بين المشتغلين في هذا الحقل المعرفي، وفي هذا الصدد يضبط ابن خلدون مفهوم العلوم العقلية بقوله "العلوم الحكمية والفلسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها"<sup>(2)</sup>، أما العلوم النقلية فهي "كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول"<sup>(3)</sup>.

هذه التوسعة التي أدخلها المسلمون على التصنيف الأرسطي، بالتأكيد جاءت لتستوعب المعارف المختصة بالشريعة الإسلامية "العلوم الشرعية"، وهو الأمر الذي يمكن ملاحظته على تصنيف محمد بن أحمد الخوارزمي (ت 387 هـ / 997 م) في كتابه "مفاتيح العلوم"<sup>(4)</sup>، هذا الأخير رتب العلوم على مقالتين، الأولى في علوم الشريعة وما يقترن بها من علوم العربية، وقسمها إلى ستة أنماط معرفية، أما الثانية فهي علوم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم، وقسمها إلى أربعة أنماط معرفية<sup>(5)</sup>، ولتوضيح ذلك إليك المخطط التالي:

(1) - علي أومليل، الخطاب التاريخي، ص 57.

(2) - ابن خلدون، المقدمة، 3/ 930-931.

(3) - المصدر نفسه، 3/ 931.

(4) - تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1989، ص 15.

(5) - المصدر نفسه، ص 119-149.



علوم العجم من اليونانيين

وغيرهم من الأمم

- 1- الفلسفة وفروعها  
2- المنطق وفروعه  
3- الطب وفروعه  
4- الأرتماطيقي (علم العدد) وفروعه

من خلال المخطط أعلاه، يظهر أن التاريخ الذي يرد عند الخوارزمي، تحت تسميته الأصلية "الأخبار"، جاء ضمن المجموعة الأولى، مجموعة العلوم الشرعية وما يقترن بها، متديلا ترتيب هذه الأخيرة، وذلك بحصوله على المرتبة السادسة، كما خصص له تسعة فصول، تطرق فيها إلى ذكر طبقات الملوك، وشرح الكثير من الاصطلاحات والعبارات التي يتم تداولها في الكتب التاريخية، ما يمكنني قوله أن الخوارزمي اعتبر "الأخبار" أحد العلوم الفرعية، المقترنة بالعلوم الشرعية.



بالعودة إلى تصنيف ابن حزم القرطبي، في رسالته الموسومة بـ "رسالة في مراتب العلوم"، التي يؤكد فيها على ارتباط كل فروع المعرفة بعضها ببعض، وأن الغاية من تعاطيها هو تحقيق فوائد أخروية لا غير، هذه النظرة الدينية التي قدمها ابن حزم لطبيعة العلم والغاية منه<sup>(1)</sup>، جعلته يعطي الأفضلية للعلوم الشرعية ومتعلقاتها على غيرها من العلوم، وفي سياق تصنيفه اعتبر مجموعة المعارف ضمن قائمة العلوم المحرمة، كالسحر والطلّمسات، وعلم الكيمياء<sup>(2)</sup>، وعلوم مذمومة التي لا يجب الاشتغال بها كـ بعض أصناف العلوم الشرعية<sup>(3)</sup>، وعلم أحكام النجوم<sup>(4)</sup>.

اقترح ابن حزم في رسالته نظاما تعليميا متدرجا، يراعى فيه المرحلة العمرية للمتعلم، وطبيعة المواد التعليمية المناسبة لكلّ منها، بداية من مرحلة النشأة<sup>(5)</sup>، وصولا إلى مرحلة النضج التام، وعلى ما يبدو أنه بالإمكان التمييز بين خمسة مراحل أساسية في هذه المنظومة<sup>(6)</sup>، والملفت للانتباه في هذه المنظومة التعليمية الأندلسية، التي جمع فيها ابن حزم بين تلقي علوم الشريعة، وفروع العلوم العقلية، أنه أدرج فيها مواد تاريخية، ليكون السؤال التالي: ما هو مضمون المقترح التعليمي الأندلسي الذي اقترحه ابن حزم؟ وفي أية مرحلة يمكن فيها تعاطي مواد تاريخية حسبه؟ ولمناقشة ذلك حاولت إنجاز المخطط التوضيحي التالي، استنادا إلى ما أورده في رسالته المعنية بالدراسة:

(1) - يذكر ابن حزم في هذا الصدد أن "حقيقة العلم هو ما قلنا انه يطلبه لينتفع به طالبه، وينتفع به غيره في داره العاجلة وداره الآجلة التي هي محل قراره ومكان خلوده". المصدر نفسه، 4/ 75.

(2) - المصدر نفسه، 4/ 61-62.

(3) - الضروب الشرعية التي يراها ابن حزم من الأشعار المذمومة هي أربعة: الأغزال، والرقيق، أشعار التصعلك، وذكر الحروب، أشعار التّغرب، وأشعار الهجاء. المصدر نفسه، 4/ 67-69.

(4) - المصدر نفسه، ص 69-72.

(5) - يعتبر ابن حزم سن الخمس سنوات، العمر المناسب الذي يلتحق فيه الصبي بالمؤدب، ومن وجهة نظره ففي هذه المرحلة يكون فيها الصبي قد اشتد عوده، وأصبح قادرا على فهم ما يخاطب به، وقدرته على رجوع الجواب. أنظر: المصدر نفسه، 4/ 65.

(6) - حولها أنظر: المصدر نفسه، 4/ 65-73.

المرحلة	مواد التلقين	الكتب المقترحة
المرحلة الأولى	الخط- القراءة- حفظ القرآن - النحو - اللغة- شيء من الشعر	القرآن الكريم- الواضح للزبيدي- الموجز لابن السراج - كتاب سيبويه- الغريب المصنف لأبي عبيدة - مختصر العيني للزبيدي - كتاب خلق الإنسان، وكتاب الفرق كلاهما لثابت اللغوي - المذكر والمؤنث لابن الأنباري- الممدود والمقصود للقيالي- النبات للدينوري- أشعار حسان بن ثابت، كعب بن مالك، عبد الله بن رواحة
المرحلة الثانية	علم الأرقام (العدد، المساحة، الأثقال)	كتاب اقليدس- كتاب المحسبي
المرحلة الثالثة	حدود المنطق- علم الأجناس والأنواع- البرهان- الطبيعيات وعوارض الجو-الحيوان- النبات- المعادن	كتب التشريح (غير محدد)
المرحلة الرابعة	- النظر في العلوم - أخبار الأمم السالفة و العلماء والصالحين	التواريخ القديمة والحديثة (غير محدد)
المرحلة الخامسة	البرهان من العلوم (النظر في الموجودات) (1)	غير محدد

يتجلى بوضوح أن ابن حزم قد أدرج ستة مواد أساسية يتم تلقينها للولدان كمرحلة أولى "النشأة"، وهي الخط، والقراءة، وحفظ القرآن، وعلوم اللغة والنحو، ورواية بعض فنون الشعر المحمودة، كما قدّم قائمة بأسماء 10 عناوين في علوم اللغة والنحو، يستعان بها في تلقين هذه المواد، وعلى ما يبدو أن هذه الطريقة الأندلسية في تعليم الولدان، التي عرضها ابن حزم في رسالته خلال القرن 5 هـ/ 11 م، استمر العمل بها إلى المراحل الوسيطة المتأخرة، خلال القرن 8 هـ/ 14 م، وقد عقد ابن خلدون فصلاً مستقلاً لمناقشة ذلك (2)، وقارنها مع الطريقتين المغربية والمشرقية في قوله "وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو..."

(1) - رغم وجود تيار ديني يرفض بشكل قاطع الاشتغال فيما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا)، واعتبروها مباحث محرمة دخيلة على الفكر الإسلامي، إلا أن ابن حزم حاول ربطها بعلم العقيدة الإسلامية، والتوحيد وجعل البحث فيها من أجل ترسيخ النبوة. لمزيد من التفصيل حول هذه المسألة. أنظر: حسان محمد حسان: ابن حزم الأندلسي عصره وفكره ومنهجه التربوي، دار الفكر العربي، القاهرة، دت، ص 140-142.

(2) - جاء الفصل تحت عنوان "فصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه". أنظر: ابن خلدون، المقدمة، 3/ 1115-1118.

ويخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والتراسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب... فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر، حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي" (1).

وبخصوص مكانة المواد التاريخية في هذا المقترح التعليمي، فقد جاء في مراحل متأخرة، وهي مرحلة اكتمال النضج الفكري، بعد أن يكون المتعلم قد استوفى علوم الخط والعربية، والحساب والمنطق وعلوم الهندسة والطب... الخ، فتتشكل عند المتعلم القدرة الكافية على النظر في مختلف العلوم (2)، وهنا يصبح من الضروري عدم إغفال مطالعة أخبار الأمم السالفة والخالفة، وأخبار العلماء والصالحين (3)، ليأخذ العبرة من فناء الممالك، وخراب البلاد وذهاب الملوك والتشبه بعمل الصالحين (4).

يبدو أن وصول المتعلم إلى مرحلة مكتملة من النضج الفكري، وإحاطته بمختلف العلوم، لم يكن يستدعي من ابن حزم تحديد عناوين مؤلفات تاريخية بعينها، ليستعين بها في هذه المرحلة المتأخرة، على خلاف المراحل الأولى التي ذكر فيها مجموعة من المؤلفات، لكن في مقابل ذلك نجد يصنف تواريخ الأمم بحسب صحتها إلى صنفين، التواريخ الصحيحة التي يمكن الاشتغال بها، والتواريخ المشكوك في صحتها، التي لا ينبغي للمتعلم الاشتغال بها، ومن وجهة نظره الدينية كان متوقفاً أن نجد يعتبر تاريخ الأمة الإسلامية أصح التواريخ على الإطلاق، بخلاف باقي تواريخ الأمم التي دخلها الشك والغلط، على غرار تواريخ بني إسرائيل، والروم، والترك، والفرس... الخ (5)، وعليه يمكن القول أن ابن حزم كان يرى في تواريخ الإسلام، التواريخ التي يمكن الاشتغال بها لصحتها دون سواها من التواريخ الموضوعية خارج الملة الإسلامية.

(1) - المصدر نفسه، 1116/3، 1117، 1118.

(2) - النظر في العلوم عند ابن حزم، هو "الوقوف على الحقائق ولا يكون ذلك إلا بشدة البحث، وشدة البحث لا تكون إلا بشدة المطالعة لجميع الآراء والأقوال والنظر في طبائع الأشياء وسماع حجة كل محتج والنظر فيها وتفنيشها...". حولها أنظر: ابن حزم: التقريب لحد المنطق، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، 4/343-344.

(3) - من الملفت للانتباه أن ابن حزم يجعل الوقت الأنسب لمطالعة هذه التواريخ، هو وقت الراحة والملل من دراسة غيره من العلوم. أنظر: ابن حزم، رسالة في مراتب العلوم، 4/73.

(4) - شرح ابن حزم الفوائد والعبر التي تحصل للمتعم بعد مطالعته للتواريخ. حولها. أنظر: المصدر نفسه، 4/72-73.

(5) - المصدر نفسه، 4/79-80.

على أهمية المواد المعرفية التي أدرجها ابن حزم في مقترحه التعليمي، إلا أن مجموعة كبيرة من فروع العلوم الشرعية كانت غائبة عنه تماماً، على غرار علوم الفقه والحديث، في مقابل حضور أغلب تفرعات العلوم العقلية (الأرثمائيقي-الطب-الهندسة-المنطق)، ما يهمني أكثر في هذه النقطة، هو إغفاله لموضوع السيرة النبوية، فهل يمكن اعتبار غياب مواد السيرة النبوية، أحد الثغرات الكبيرة التي يمكن تسجيلها على مقترح ابن حزم؟

المؤكد أن ابن حزم لم يكن دقيقاً بالشكل الكافي، في ضبط وتسمية العلوم التي يجب الإحاطة بها من قبل المتعلم، ورغم غياب موضوع السيرة النبوية عن مقترحه التعليمي الآنف الذكر، إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة تجاهلها عند ابن حزم، ويكفي هنا أن أشير إلى أحد أعماله المهمة في السيرة الموسوم بـ "جوامع السيرة النبوية"<sup>(1)</sup>، كذلك أكد في كتابه "الحد لتقريب المنطق"<sup>(2)</sup> على ضرورة مطالعة موادها، فمن خلالها تعرف الفضائل الحمودة الموصلة إلى الآخرة، كما أتبعها بأهمية قراءة الأخبار القديمة والحديثة أيضاً.

نظرة ابن حزم للتاريخ<sup>(3)</sup>، ومن جدوى تعاطي مباحته المختلفة، هي تحقيق منفعة دينية، التي هي جوهر العلم عنده، هذه النظرة الدينية للتاريخ أو "علم الأخبار" كما أطلق عليه، ترجمها في تصنيفه لعلوم عصره، المبني على ثنائية العلوم النقلية والعقلية، أين نجده في رسالته يصنف العلوم إلى مجموعتين، الأولى في العلوم المختصة بالأمة الإسلامية، وقد رتبها على ثلاثة أصناف، أما المجموعة الثانية، فهي علوم مشتركة مع باقي الأمم، وهي على أربعة أصناف. ولتوضيح ذلك إليك المخطط التالي:

(1) - تحقيق عبد الكريم سامي الجنيدى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 م.

(2) - مصدر سابق، 4/ 344.

(3) - حول مفهوم التاريخ ومدلوله، ومختلف اتجاهات التدوين التاريخي عند ابن حزم. أنظر: عبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ط2، الزهراء للإعلام العربي، مصر، 1988، ص 123-248.



كما هو مبين في المخطط أعلاه، يرد التاريخ في تصنيف ابن حزم، ضمن مجموعة العلوم المختصة بالأمة الإسلامية، كما حدد له خمسة مباحث تاريخية، وألحق به علم النسب، ويحتل المرتبة الثالثة والأخيرة بعد علوم الشريعة، وعلوم النحو واللغة، هذه المكانة المهمة التي احتلها التاريخ في التصنيف الأندلسي للعلوم، جاء منسجما وعملية الجرد التي قام بها ابن حزم في رسالته الموسومة بـ "التقريب لحد المنطق"<sup>(1)</sup>، والتي أحصى فيها اثنا عشرة علما متداولاً خلال القرن 5 هـ / 11 م، وقد جاء علم الأخبار ضمن هذا الإحصاء.

وإن كان لا يبدو على هذا الإحصاء الأخير ترتيباً معيناً، مقارنة بما ورد في تصنيفه السابق، إلا أنه عموماً لا يخرج عن دائرة التصنيفات الثنائية التقليدية، طبعاً مع تقديمه لمجموعة علوم الشريعة وملحقاتها، المتكونة من سبعة علوم (القرآن-الحديث-المذاهب-الفتيا-النحو-اللغة-الشعر-الخبر)، جاء التاريخ في ذيل الترتيب، كما تخللها هنا علم المنطق، معتبراً إياه أداة

(1) - تطرق فيها ابن حزم لموضوع إحصاء علوم عصره في أحد أبواب كتاب "البرهان"، الذي جاء تحت عنوان "باب في كيفية أخذ المقدمات من العلوم الظاهرة عند الناس بإيجاز". حوله أنظر: ابن حزم: التقريب لحد المنطق، 4/ 348-350.

لكل علم، أما مجموعة العلوم العقلية فذكر منها أربعة أتماط معرفية (الطب-العدد-الهندسة-النجوم)، كما أضاف إلى هذه العلوم علمان زائدان هما علم العبارة، والبلاغة<sup>(1)</sup>.

بالإضافة إلى تصنيف العلوم عند ابن حزم القرطبي، جاء تصنيف أحد كبار فلاسفة الإسلام خلال القرن 5 هـ / 11 م، وهو تصنيف الصوفي أبي حامد الغزالي، الذي طرح مسألة تصنيفه للعلوم في كثير من مؤلفاته ورسائله، وعلى ما يبدو أن تضلعه في العلوم الشرعية، والفلسفية، كان له الأثر الكبير في تباين تصنيفه، حيث يمكن التمييز بين اثنين مختلفين منها<sup>(2)</sup>، الأول تبنى فيه الغزالي البعد المعرفي الديني المحض، الأمر الذي يظهر في كتابه الذائع الصيت "إحياء علوم الدين"<sup>(3)</sup>، و"فاتحة العلوم"<sup>(4)</sup>، أما الثاني فقد غلب عليه البعد الفلسفي، كما هو في رسالته "الرسالة اللدنية"<sup>(5)</sup>، ما يهمني في هذا الخصوص هو تقصي مكانة التاريخ في تصانيف الغزالي، ومحاولة الكشف عن ماهية التواريخ التي قصدها الغزالي في أعماله.

دون الدخول في كثير التفاصيل المعقدة، حول طبيعة المعرفة وعلاقتها بالدين والفلسفة عند الغزالي<sup>(6)</sup>، فإن تصنيفه للعلوم في كتابه "الإحياء"، و"فاتحة العلوم"، يقوم على مقدار الفائدة والغاية من العلم، ومدى الحاجة إليه في الوصول إلى معرفة الله، ومن هذا المنطلق الغائي الديني للعلم، فقد جعل من "علوم الآخرة" أعلى مرتبة من "علوم الدنيا"، باعتبارها الآلة الموصلة

(1) - المصدر نفسه، 4/ 348.

(2) - حول منهجية تصنيف الغزالي للعلوم. أنظر: لعموري عليش، مرجع سابق، ص 129-175.

(3) - ورد الحديث عن تقسيم الغزالي للعلوم في كتابه "إحياء علوم الدين"، في الكتاب الأول وهو "كتاب العلم"، وفي الباب الثاني المعنون بـ "في العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما..."، جاء الحديث عن أقسام العلوم الشرعية والغير شرعية.

(4) - خصص الغزالي الباب الرابع في رسالته "فاتحة العلوم" لبحث موضوع أقسام العلوم، وجاء تحت عنوان "في العلوم المهمة وأقسامها".

(5) - مجموعة رسائل الغزالي، تحقيق إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دت، ص 239-253.

(6) - أنجزت الكثير من الدراسات حول مسألة المعرفة وماهيتها عند أبي حامد الغزالي أشير إلى دراسة: عادل زعبوب: مناهج البحث عند الغزالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980 م. فيكتور سعيد باسيل: منهج البحث عن المعرفة عند الغزالي، ط4، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1994 م. أنور الزعبي: وسائل المعرفة ومنهج البحث عند الغزالي، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2000 م.

إلى معرفة الخالق (1).

طرح الغزالي، البعد الأصولي في تصنيفه، ونظر إلى العلوم على أنها إما علوم مهمة، وتنقسم إلى فرض العين وفرض الكفاية، أو أنها علوم غير مهمة، وهي المباح والمذموم (2)، وتحت هذا التصنيف الأصولي، قسم العلوم إلى مجموعتين، الأولى مختصة بالعلوم الشرعية، وهي حسبها "ما يستفاد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مما لا يرشد إليه العقل" (3)، ورتبها على أربعة أصناف (الأصول-الفروع-المقدمات-التميمات)، أما المجموعة الثانية فتتعلق بالعلوم الغير شرعية، التي أخضعها لأقسام الحكم التكليفي الأصولي، ورتبها على ثلاثة أصناف ما بين علوم محمودة، وأخرى مذمومة، وثالثة مباحة (4)، على ما أوضحه في المخطط التالي:

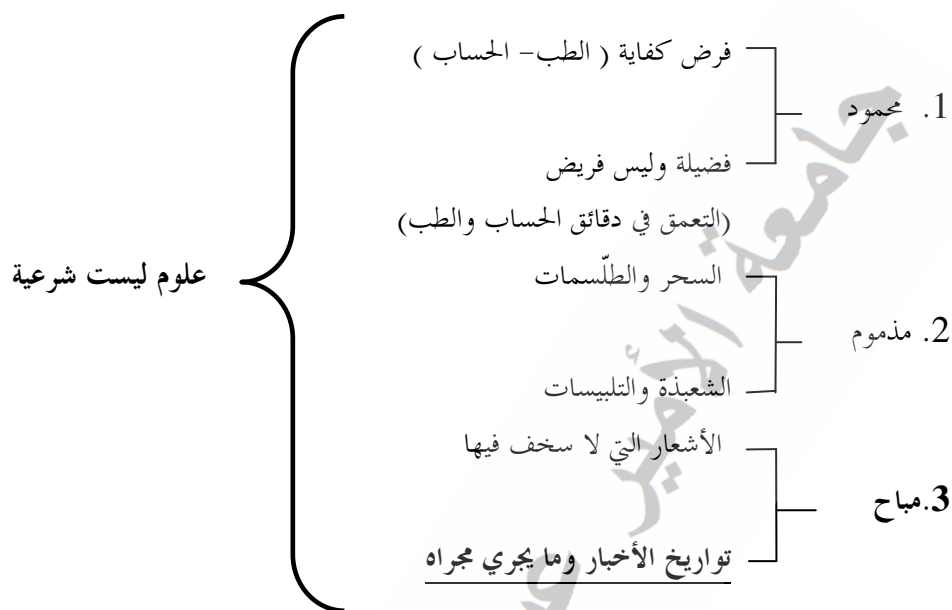


(1) - أنظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، 2011، 1/ 47-49.

(2) - أبو حامد الغزالي: فاتحة العلوم، تحقيق أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، 1913، ص 35.

(3) - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، 1/ 62.

(4) - حول هذا التقسيم. أنظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، 1/ 62-66. رسالة في فاتحة العلوم، ص 35-36.



من خلال المخطط أعلاه، يظهر أن التاريخ الذي يرد في تصنيف الغزالي على ثلاثة نعوت أصلية (الآثار، وتواريخ، والأخبار)، قد تم إدراجه في كلتي المجموعتين، كما جاء في مجموعة العلوم الشرعية ضمن الصنف الرابع والأخير في ضرب "المتهمات"، الأمر الذي وضعه جنباً إلى جنب مع علوم القرآن، والتفسير، وأصول الفقه، ليكون التاريخ معدود ضمن خانة العلوم المحمودة ومن فروض الكفايات، التي هي من العلوم المهمة عند الغزالي، هذه المكانة التي حاز عليها التاريخ، جاءت ثانوية مقارنة بباقي العلوم الشرعية المدرجة في هذه المجموعة، ويعود ذلك أساساً إلى ماهية الباحث التاريخية التي قصدها الغزالي في تصنيفه، وهي تلك الباحث المتعلقة، بسيرة الرسول وأخبار رواة الحديث النبوي من طبقة الصحابة ومن جاء بعدهم، أي "علم رجال السند"، وذلك لتمييز الحديث الصحيح عن غيره من الأحاديث الموضوعية، وبذلك تتحقق الفائدة الدينية للتاريخ من هذه الزاوية.

أما عن وجود التاريخ ضمن دائرة المجموعة الثانية، وهي مجموعة العلوم الغير شرعية، يظهر أن إدراجه في خانة العلوم المباحة، قد جعل التاريخ من فئة العلوم الغير مهمة، والتي لا طائلة منها من منظور الغزالي، بخلاف علوم الطب والحساب التي اعتبرها من العلوم المهمة، وأدرجها على رأس مجموعة العلوم الغير شرعية، وذلك لارتباط هذه العلوم بمصالح الدنيا، في مقابل استبعاده لعلوم السحر والشعبذة والطلسمات بشكل كلي، وهنا يمكن القول أن التاريخ



الذي يشير إليه الغزالي في هذه المجموعة، هي تلك التواريخ الغير مرتبطة بالشريعة الإسلامية، والتي ترد عنده تحت تسمية "تواريخ الأخبار وما يجري مجراها"، من دون أن يحدد ماهية هذه الأخيرة، بشكل أوضح.

وإذا انتقلت إلى تصنيف الغزالي الذي تبناه في "الرسالة اللدنية"<sup>(1)</sup>، وهو التصنيف الثنائي للعلوم بين العلوم الشرعية والعقلية، فإن التاريخ بالتأكيد غير وارد ضمن علوم المجموعة الثانية، وهي مجموعة العلوم العقلية، التي رتبها على ثلاث مراتب (العلم الرياضي المنطقي، والعلم الطبيعي، والعلم الإلهي)، بخلاف ذلك فإنه يرد ضمن علوم المجموعة الأولى، مجموعة العلوم الشرعية، وهي على صنفين (علم الأصول، وعلم الفروع)، ولتوضيح هذا التصنيف الثنائي، أنجزت المخطط التوضيحي التالي:



المخطط أعلاه، يظهر المكانة المهمة التي حاز عليها التاريخ، المتواجد ضمن خانة علم الأصول، كأحد فروع العلوم الشرعية، وقد أشير إليه تحت تسميته الأصلية "علم الأخبار"،

(1) - مصدر سابق، ص 244-245.

ومن دون شك أن الغزالي الذي جعل هذا العلم أحد علوم أصول الدين، يعود أساسا إلى ماهية علم الأخبار المقصودة هنا، وهي تلك الأخبار المتعلقة بشخص الرسول وأحاديثه المروية، وقد برر الغزالي ذلك بقوله "ومن علم الأصول أيضا علم الأخبار، فإن النبي ﷺ أفصح العرب والعجم... فعلم أخباره ومعرفة أحاديثه أمر عظيم" (1).

ما يمكن قوله حول تصور الغزالي للتاريخ، أو كما أطلق عليه "علم الأخبار"، أنه نظر إليه من حيث وظيفته وغاياته، فكلما ابتعد التاريخ عن العلم الشرعي، ولا يحقق فوائد دينية أخرى، تقلصت مكانته بين باقي العلوم المصنفة في مؤلفاته، والعكس صحيح فكلما ارتبط أكثر بالعلم الشرعي، انعكس ذلك إيجابيا على مكانته بين باقي العلوم الشرعية، هذا التصور الإيجابي حول الغاية من تعاطي مواد تاريخية، جعل من التاريخ عند الغزالي هو "التاريخ الديني"، ومن دون شك كان لذلك الأثر المباشر في تقليص حجم ونوعية الموضوعات التي يتناولها علم التاريخ في تصوره، فقد حصرها فقط في تلك المباحث المرتبطة بشخص الرسول، واعتبر موضوع السيرة النبوية "أخبار الرسول"، وتاريخ رواة الحديث النبوي "علم رجال السند"، أحد أهم فروع العلم الشرعي، في حين تم إقصاء باقي المباحث التاريخية في تصنيفه منها تواريخ الأمم الغير إسلامية "تواريخ العجم".

### 3. ابن خلدون يمنح التاريخ الاستقلالية عن باقي فروع المعرفة الإسلامية:

ما لا يمكن إنكاره حول التصنيف الخلدوني للعلوم، الذي خصص له شروحا مفصلة في الباب السادس من كتابه الأول في "العمران البشري"، أنه ظل وفيا للتصنيف الأرسطي اليوناني المتوارث، وقد أعاد توزيع علوم عصره وفق ثنائية العلوم العقلية والعقلية (2)، وإذا اعتبر غياب التاريخ في التصنيف الخلدوني عن فروع العلوم العقلية، أمرا متداولاً في تصنيف أتباع المدرسة المشائية الإسلامية، فإن الأمر الذي يدعو إلى التساؤل هنا، هو غيابه بشكل كلي عن مجموعة العلوم العقلية "علوم الشريعة"، هذه المجموعة التي لا طالما كانت الحاضنة المناسبة لاحتواء المباحث التاريخية في مجموعة مهمة من التصانيف الإسلامية السابقة، يأتي هذا الغياب رغم

(1) - المصدر نفسه، ص 247.

(2) - أنظر: ابن خلدون، المقدمة، 3/ 930-932.

التعديلات المهمة التي أدخلها ابن خلدون على هذه المجموعة، وقد أضاف إليها علم التصوف وتعبير الرؤيا، وتوضيحا لذلك، إليك مخطط تصنيف العلوم عند ابن خلدون التالي:



يبدو واضحا في المخطط أعلاه، غياب التاريخ عن مجموعة العلوم الشرعية، فهل يفهم منه، رفض صريح من ابن خلدون في اعتبار التاريخ أحد العلوم المساعدة للعلوم الشرعية؟ خصوصا وأن تعريفه الدقيق للتاريخ يتجاوز بكل تأكيد ذلك الطرح الديني التقليدي الضيق، الذي ظلّ محكوماً به على امتداد المرحلة الوسيطة، حيث كان التاريخ مدرجا تحت مظلة العلوم الشرعية، ناقش ابن خلدون بالتفصيل هذه المسائل الحساسة والدقيقة في أولى مباحثه التاريخية، أين خصص لها مقدمة مستقلة جاءت تحت عنوان "مقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام وشيء من أسبابها"<sup>(1)</sup>، تمهيدا لعرض نظريته المعرفية المبتكرة في العمران البشري بأبعادها المتشعبة.

لا مجال للشك أن ابن خلدون كان يدرك جيدا، تلك المكانة التي حظي بها التاريخ، وعلى نطاق واسع بين مختلف شرائح المجتمعات الإسلامية خلال المرحلة الوسيطة، لكن نضج الوعي التاريخي عنده جعله ينظر للتاريخ بمنظور مزدوج، ظاهري لا يخرج عن تلك النظرة التقليدية التي تجعله عبارة عن مجموعة أخبار تروى وتنتقل جيلا بعد جيل، على ما فيها من الغلط

(1) - المصدر نفسه، 291 / 1.

وتزييف للوقائع، بطريقة يغلب عليها الطابعين السردى الرتيب، والكمي الواسع<sup>(1)</sup>.

أما المفهوم الباطني للتاريخ، فهو المفهوم الأعمق الذي تنبّه إليه ابن خلدون، وفيه يخضع الخبر التاريخي إلى مجموعة من الضوابط والقواعد المنهجية الدقيقة<sup>(2)</sup>، التي شرحها في قوله "فهو محتاج إلى مأخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم فيها أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب، فرما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم..."<sup>(3)</sup>، هذه الضوابط من شأنها أن تخرج التاريخ من مرحلة النقل، والتقليد إلى مرحلة ثانية، وهي مرحلة النظر والتحقيق والتمحيص، ومن هذا المنطلق المنهجي يؤكد ابن خلدون أن التاريخ جدير بأن يعدّ "أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعدّ في علومها وخليق"<sup>(4)</sup>.

هذا الطرح المبتكر الذي توصل إليه ابن خلدون، حول مفهوم وطبيعة الخبر التاريخي، حفّزه في أن يوجه انتقاداً شديداً للهجة للأعمال التاريخية التقليدية، التي تبنت المفهوم السطحي الظاهري للتاريخ، وانسياقها خلف سرد ونقل الأخبار دون تمحيصها أو التدقيق في صحتها، وضرب أمثلة كثيرة عن المغالط والمزلق التي وردت في أعمال الاخباريين من أمثال الطبري والمسعودي<sup>(5)</sup>، وبناء على هذا قدم تقييماً شاملاً للتراث التاريخي الإسلامي، منذ مراحل مبكرة، وصولاً إلى عصره القرن 8 هـ / 14 م، وميّز بين أربعة مراحل أساسية في عملية التدوين التاريخي<sup>(6)</sup>، مع رصده لبعض النماذج المشرقية منها والمغربية، وتوضيحا لذلك إليك العرض السريع التالي:

(1) - المصدر نفسه، 282/1.

(2) - لمزيد من التفصيل حول هذه القواعد المنهجية التي حددها ابن خلدون. أنظر محمد طالبي: منهجية ابن خلدون التاريخية، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، 1981 م.

(3) - المقدمة، 332/1.

(4) - المصدر نفسه، 282/1.

(5) - لمعرفة أسباب وقوع الخطأ في الخبر التاريخي من وجهة نظر ابن خلدون. أنظر: محمد عابد الجابري: فكر ابن خلدون العصبية والدولة، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994، ص 97 - 101.

(6) - حولها أنظر: ابن خلدون، المقدمة، 283-285/1.

المرحلة	مميزات التدوين التاريخي فيها	نماذج من مؤلفات المرحلة
مرحلة الشمولية (التواريخ العامة)	- جمع تواريخ الأمم والدول في العالم منذ الخليقة - تداول الأخبار المدونة في هذه المرحلة في المراحل اللاحقة. - وقوع التزييف في الأخبار المنقولة	ابن إسحاق، الطبري، ابن الكلبي، الواقدي، سيف بن عمر، المسعودي
مرحلة التقييد (التواريخ القطرية)	- كتابة تواريخ العصر فقط - كتابة تواريخ قطر بعينه	ابن حيان، الرقيق
مرحلة التقليد	- الذهول عن تبدل الأحوال والأيام - نقل الأخبار صوراً قد تجردت عن موادها - تكرار الأخبار المتداولة بأعيانها - إغفال تواريخ الأجيال الناشئة...	غير وارد
مرحلة إفراط الاختصار	- الاكتفاء بأسماء الملوك والأمصار مقطوعة عن الأنساب والأخبار - إضاعة الفوائد وإحلال مذاهب المؤرخين	الحسن بن رشيق

أدان ابن خلدون وبشدة، عملية استنساخ الروايات التاريخية، وإعادة تدويرها في حلقة مفرغة<sup>(1)</sup>، حيث اعتبرت أعمال المرحلة الأولى "التواريخ الشاملة"، المرحلة الأكثر تأثيراً على مؤرخي القرون اللاحقة، من حيث المنهج وطبيعة المواضيع الإخبارية المطروقة<sup>(2)</sup>، واستناداً إلى ذلك جاءت أعمال المتأخرين مطبوعة بـ "تواتر النقل الاستنساخي"<sup>(3)</sup>، هذه العملية التقليدية المعول عليها في نقل الخبر التاريخي خلال القرون الهجرية الأولى، أشار إلى أهميتها ابن حزم خلال القرن 5 هـ / 11 م، بقوله "وأما علم الخبر فإلى مقدمات قد اضطر تواتر النقل إلى الإقرار بصحتها من كون البلاد المشهورة، والملوك المعلومين، ووقائعهم وسائر أخبارهم مما لا شك فيه"<sup>(4)</sup>.

(1) - ناقش سالم حميش، مسألة تأثير الطبري على المؤرخين الذين جاءوا بعده، سواء في الأعمال التاريخية المشرقية كالمسعودي، وابن مسكويه وابن الأثير أو الأعمال التاريخية المغربية، وفي مقدمتها كتاب "العبر" لابن خلدون. حول هذا الموضوع أنظر: سالم حميش: الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، دار الطليعة، بيروت، 1998، ص 33-36.

(2) - أنظر: علي أومليل، الخطاب التاريخي، ص 78-82.

(3) - سالم حميش، مرجع سابق، ص 41.

(4) - التقريب لحد المنطق، ص 187.

أهمية القراءة النقدية التي طرحها ابن خلدون في هذا السياق، وتحليله العميق لواقع الإنتاج التاريخي خلال القرن 8 هـ / 14 م، دفعت به إلى تسمية المراحل الوسيطة المتأخرة بمرحلة "التقليد وإفراط الاختصار"، حيث أصبحت عملية التدوين التاريخي، في مجملها عبارة عن مختصرات وملخصات، أخلت بقيمة الأعمال الإخبارية بشكل عام<sup>(1)</sup>، وقد وجه خلالها نقدا لاذعا لأحد الأعمال الإخبارية المغربية التي تعود إلى القرن 7 هـ / 13 م، وهو الكتاب الضائع "ميزان العمل" لأبي علي حسن بن رشيق السبتي (حيا سنة 677 هـ / 1278 م)<sup>(2)</sup>.

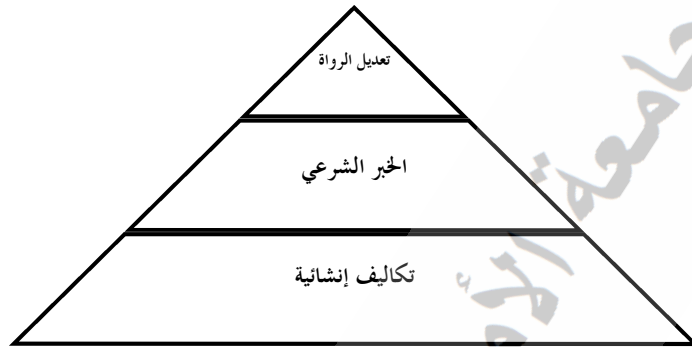
جاءت دعوة صريحة من ابن خلدون، إلى ضرورة إعادة تمحيص الخبر التاريخي، لكن وفق منهج أكثر فاعلية عن منهج الإسناد "الجرح والتعديل"، المتأصل في علم الحديث، والذي يمكن تطبيقه فقط على الأخبار الشرعية، لما يترتب عليها من أحكام تكليفية "إنشائية"، بخلاف الأخبار عن الوقائع التي تحتاج إلى "معرفة بطبائع العمران، وهو أحسن الوجوه وأوثقها في تمحيص الأخبار، وتمييز صدقها من كذبها وهو سابق على التمحيص بتعديل الرواة"<sup>(3)</sup>، ومن هذا المنطلق يميز ابن خلدون بين نوعين من الأخبار، إحداهما الخبر الديني المرتبط بالحديث النبوي، والخبر الدنيوي الواقعي المرتبط بالعمران البشري، وهو الحقل المعرفي المبتكر الذي وضع أسسه الأولى، ويمكن اختزال ذلك في الشكليين المواليين:

(1) - لمزيد من التفصيل حول طبيعة التأليف في بلاد المغرب خلال القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي. أنظر: عبد المجيد الصغير: "تقويم ابن خلدون للحالة العلمية في الغرب الإسلامي"، العلم والفكر العلمي بالغرب الإسلامي في العصر الوسيط، تنسيق بناصر البعزاتي، منشورات كلية الآداب، الرباط، 2001، ص 163-175. علي الإدريسي: "جوانب من المشهد الفكري والعلمي في المغرب زمن ابن خلدون"، الأبنية الفكرية في الغرب الإسلامي زمن ابن خلدون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007، ص 9-28.

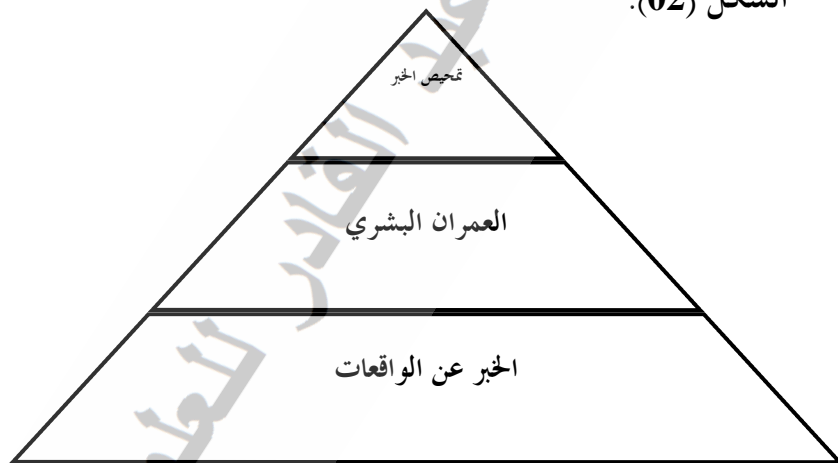
(2) - ابن خلدون، المقدمة، 1/ 285.

(3) - يقدم ابن خلدون في هذه المسألة، شروحا وافية حول المعايير المنهجية، التي تجعل من المعرفة بطبائع العمران هو الأداة المنهجية الجديدة بتمحيص الخبر التاريخي، بخلاف منهج المحدثين أي "الجرح والتعديل"، لمزيد من التفصيل. أنظر: المصدر نفسه، 1/ 332.

الشكل (01):



الشكل (02):



على اختلاف طبيعة المرتكزات المعرفية التي انطلق منها ابن خلدون، سواء كانت تلك المستمدة من التراث المعرفي الإسلامي الخصب أو على قواعد المنطق الأرسطي، والمدعوم بخلاصة تجاربه وخبراته الواسعة، كان لذلك أثره الواضح في أن يتخذ التاريخ عنده **طابعا نقديا** بامتياز، معتبرا إياه المدخل المنهجي لدراسة علم العمران البشري، وقد أثبت في ذلك قدرته الكبيرة في استيعاب مجمل التراث التاريخي الإسلامي ونقد مناهجه، وإخضاعه إلى قواعد منهجية دقيقة.

استنادا إلى تلك المرتكزات، أعلن ابن خلدون أن علم التاريخ هو **علم مستقل بنفسه**، له موضوعه الخاص، وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني، كما حدد مسأله، وهي بيان

ما يلحقه من العوارض والأحوال<sup>(1)</sup>، وان اقترب في بعض زواياه إلى بعض فروع العلوم العقلية، إلا أنه اختلف عن مباحث علم الخطابة أحد العلوم المنطقية، التي تهدف إلى استمالة الجمهور لرأي معين، كما اختلف عن علم "السياسة المدنية"، وبالتأكيد ليس أحد ملحقات العلوم الدينية.

بغض النظر عن مدى قدرة ابن خلدون في تطبيق نظريته النقدية المبتكرة في كتابه التاريخي "العبر"، إلا أنه بدون شك قد أحرز نجاحا كبيرا على المستوى النظري، حيث استطاع تأكيد تفرد في هذا الحقل المعرفي، ويتجاوز مسألة إلحاق علم التاريخ بمجموعة العلوم النقلية أو إقصائه عنه، كما فعل سابقوه في تصنيفهم للعلوم، وينتقل به إلى مستوى البحث عميقا في مسائل أكثر تعقيدا وأهمية في الخطاب التاريخي الإسلامي الوسيط، من حيث عمق الرؤيا، وطبيعة المنهج النقدي المبتكر.

من المفيد القول في ختام هذا العرض المفصل، الذي يهدف إلى البحث عن مكانة التاريخ في المنظومة المعرفية الإسلامية الوسيطة، أن المراحل اللاحقة من القرنين 9-10 هـ/ 15-16 م، لم تحمل جديدا يذكر فيما يخص وضعية التاريخ، ومكانته بين باقي أصناف العلوم المتداولة في طرفي العالم الإسلامي الوسيط، كما لم تعرف تحسنا ملحوظا حتى بعد الطرح الخلدوني المبتكر، حيث بقيت قيود النظرة الدينية التقليدية تهيمن على تصور الإخباريين المتأخرين حول مفهوم الخبر التاريخي وطبيعة مباحثه، حيث كان تركيزهم منصبا على تعداد فوائده الدنيوية والدينية، التي اختزلت في معرفة أخبار الماضي، وسير الملوك والصالحين وأخذ العبرة منها.

ورغم أن الموسوعي المصري السخاوي (ت 902 هـ/ 1496 م) كتب رسالته الموسومة بـ "الإعلان بالتويخ لمن ذم التاريخ"، التي تأتي في إطار إعادة الاعتبار للتاريخ، وشرف مقاصده، وتعداد المؤلفات المصنفة فيه، إلا أنها لم تخرج عن ذلك التصور الكلاسيكي لمفهوم التاريخ، الذي يهدف إلى تعزيز مكانته ضمن العلوم المرتبطة بالعلوم الدينية أساسا، ويمكن قراءة ذلك من خلال مقدمته التمهيدية، التي شرح فيها مفهومه وفوائده، أما معاصره السيوطي (ت 911 هـ/ 1513 م) الذي أفرد رسالة مستقلة في تصنيف علوم عصره بعنوان "النقاية في أربعة

(1) - أنظر: المصدر نفسه، 332/1.



عشرة علماء<sup>(1)</sup>، أحصى فيها 14 علما، موزعة بين علوم الشريعة (أصول الدين-التفسير- الحديث-أصول الفقه-الفرائض)، وعلوم العربية (التصريف-النحو-الخط-المعاني-البديع)، وبعض فروع العلوم العقلية (التشريح-الطب) و علم التصوف، إلا أنه وعلى غرار سابقه تجاهل علم التاريخ بشكل كلي.

على أهمية عمليات الجرد المتتالية لأصناف العلوم التي قام بها علماء الإسلام على اختلاف انتماءاتهم الفكرية والإيديولوجية، ومحاولتهم إعادة تصنيفها على امتداد المرحلة الوسيطة، فإن وضعية التاريخ جاءت محيبة للآمال، ومحبطة بشكل كبير في تلك التصانيف، تعرض خلالها التاريخ إما لعملية تهميش وإقصاء بشكل كلي أو حضور محتشم باهت لا يعدو أن يكون فيه أحد ملحقات العلم الشرعي، هذا بخلاف نظرية ابن خلدون التي منحت للتاريخ خصوصيته واستقلالته عن باقي العلوم، متجاوزا بذلك تلك النظرة التقليدية التي كان محكوما بها لمدة ليست بالقصيرة.

(1) - تحقيق فائزة عباس كاظم الإدريسي، مجلة قطر الندى، 9، (2011)، ص 339-342. كما قام السيوطي بوضع شرح عليها بعنوان إتمام الدراية لقراء النقاية، تحقيق الشيخ إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985 م.

## المبحث الثاني:

### مؤشرات كتب البرامج وفهارس الشيوخ المغربية حول مكانة المواد التاريخية.

تشكل كتب البرامج وفهارس الشيوخ، أوعية معلومات أساسية ومهمة لمعرفة رصيد المكتبة الإسلامية بوجه عام، المشرقية منها والمغربية، ومهما تعددت أنواعها واختلفت تسميتها (برنامج- فهرسة- ثبت- مشيخة- مسلسل- معجم) أو الغاية التي دونت لأجلها<sup>(1)</sup>، فإن القاسم المشترك الذي يجمع بينها، هو القيمة العلمية التي تمثلها هذه الأخيرة، فهي تتيح للمهتمين بمختلف حقول المعرفة الإسلامية الوسيطة، مراقبة المكونات الأساسية التي تركز عليها المنظومة التعليمية، سواء ما تعلق منها بطبيعة المواد الدراسية، وعناوين المؤلفات المتداولة في الحلقة أو أسماء الشيوخ المتصدرين للإقراء، هذا ناهيك عن معرفة مختلف طرق تحمل الدواوين العلمية، وأهم المراكز الحضارية التي تصدرت المشهد الفكري الوسيط.

المساهمة الفعالة التي سجلها أعلام بلاد المغرب، في تعيين مروياتهم والتعريف بشيوخهم وضبط أسانيدهم، كان علامة بارزة في عملية الإنتاج المعرفي في نهاية المرحلة الوسيطة، الذي مرّ في تكوينه بمراحل أساسية<sup>(2)</sup>، انطلاقاً من بواكير الأعمال المنجزة خلال القرن 4 هـ/ 10 م، مروراً بمرحلة النضج والتطور خلال القرنين 7-8 هـ/ 13-14 م، شهدت تأليف أهم كتب الفهارس، أما المراحل اللاحقة ورغم استمرار عملية التأليف وبوتيرة مرتفعة خلال القرنين 9-10 هـ/ 15-16 م، إلا أنها في الجمل لم تستطع تقديم أعمال متميزة.

بالاستناد إلى المعطيات التاريخية، التي توفرها كتب البرامج وفهارس الغرب الإسلامي الوسيط، سوف أحاول مناقشة وتحليل الإشكالية الجوهرية، التي تتمحور حول البحث عميقاً عن المكانة الفعلية التي احتلتها المواد التاريخية في حلقة شيوخ المغرب خلال المرحلة الوسيطة

<sup>(1)</sup> - معرفة مزيد من التفصيل حول التسميات التي أطلقت على هذا النوع من التأليف، ومختلف الأنماط المعتمدة في ترتيب المواد المروية. أنظر: عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، 1/ 67-71. عبد العزيز الأهواني: "كتب برامج العلماء في الأندلس"، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، (1955)، ص 91 - 120. عبد الله الترغي، مرجع سابق، ص 15 - 51. 202-206. محمد صاحبي: "من مصادر الثقافة والعلم، فهارس الشيوخ أو برامج العلماء"، مجلة عصور، 13، (2003)، ص 53-76.

<sup>(2)</sup> - حول مراحل تطور الفهرسة المغربية خلال المرحلة الوسيطة. أنظر: عبد الله الترغي، مرجع سابق، ص 100-199.

المتأخرة، انطلاقاً من بعض الأعمال الفهرسية المنجزة خلال القرن 8- 10 هـ/ 14- 16 م.

1. مكانة المواد التاريخية في كتب الفهارس المغربية المنجزة خلال القرن 8 هـ/ 14 م:

للتوصل إلى نتائج مهمة حول مكانة المواد التاريخية المتداولة في الحلقة خلال القرن 8 هـ/ 14 م، سوف أركز اهتمامي على تحليل المعطيات الفهرسية التي توفرها أهم الأعمال المنجزة خلال القرن 8 هـ/ 14 م، وهي برنامج أبي القاسم التجيبي (ت 730 هـ/ 1329 م)، وأبي عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي (ت 749 هـ/ 1348 م)، وفهرسة أبي زكريا يحيى السراج الفاسي.

أ- مكانة المواد التاريخية في برنامج أبي القاسم التجيبي:

يعتبر برنامج أبي القاسم التجيبي، من أهم كتب البرامج والفهارس المغربية المنجزة في نهاية المرحلة الوسيطة، خصصه مؤلفه في ذكر شيوخه ودواوين العلم التي قرأها عليهم، في أثناء رحلته العلمية التي قادتته إلى كثير من حواضر العالم الإسلامي الوسيط، حرره التجيبي مطلع القرن 8 هـ/ 14 م، بين سنوات 702 هـ/ 1302 م<sup>(1)</sup>، و723 هـ/ 1323 م<sup>(2)</sup>.

بدأ التجيبي رحلته العلمية، التي قيدها في كتابه الموسوم بـ "مستفاد الرحلة والاعتراب"<sup>(3)</sup>، انطلاقاً من بلدته سبتة، باتجاه المرية، ومالقة سنة 694 هـ/ 1294 م<sup>(4)</sup>، ثم نزل

(1) - وهي السنة التي توفي فيها شيخه ابن دقيق العيد، وقد ورد ذكره في البرنامج مرفقاً بعبارة "رحمه الله"، الأمر الذي يشير إلى أن التجيبي حرر برنامجه بعد وفاة هذا الشيخ. حول عبارات الترحم أنظر: التجيبي، مصدر سابق، ص 143، 154، 174، 199، 260، 278. كما يمكنني التنبيه إلى أن التجيبي أورد كذلك عبارة "رحمه الله"، بعد ذكره لصديقه أبي بكر محمد القلوسى، وقد كانت وفاته سنة 707 هـ/ 1307 م. الأمر الذي يؤكد كذلك على استمرار التجيبي في تحرير برنامجه بعد ذلك التاريخ كذلك. حول عبارة الترحم. أنظر: المصدر نفسه، ص 276.

(2) - وهي السنة التي توفي فيها شيخه أبو القاسم بن الشَّاط الأنصاري، ويفهم من كلام التجيبي في قوله "الشيخ أبي القاسم بن عبد الله بن محمد بن محمد الأنصاري... أمتع الله تعالى بطول بقائه"، أن ابن الشَّاط كان حياً أثناء تحرير التجيبي لمواد برنامجه، وصدرت نسخته الأولى قبل ذلك التاريخ. حول تلك العبارات أنظر: المصدر نفسه، ص 39، 77، 111، 148، 150، 247، 258، 277.

(3) - أحال التجيبي في مواضع متعددة من برنامجه لهذه الرحلة العلمية، التي ضاع جزءاً مهماً منها خصوصاً تلك الفصول المتعلقة بالشق المغربي. حول تلك الإحالات أنظر: المصدر نفسه، ص 40، 56، 98، 166. وقد تمّ نشر الجزء الموجود منها بتحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1975 م.

(4) - المصدر نفسه، ص 47، 263.

مدينة بجاية التي كان بها بين سنتي 694 هـ - 695 هـ / 1294 - 1295 م<sup>(1)</sup>، كما دخل مدينة تونس سنة 695 هـ / 1295 م<sup>(2)</sup>، ليتوجه بعدها إلى بلاد المشرق لأداء مناسك الحج، ودخل البلاد المصرية (الإسكندرية، والقاهرة، وقوص، والفسطاط، والقرافة)، ثم توجه حاجا إلى مكة، ثم دمشق، وعاد بعدها إلى بلاد المغرب أين استقر ببلدته سبتة، ومن أبرز تلامذته الآخذين عنه ببلاد المغرب، تلميذه أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعييني<sup>(3)</sup>، وأبو سعيد محمد بن عبد المهيمن الحضرمي<sup>(4)</sup>، وأبو الحجاج المتنشاقري<sup>(5)</sup>.

اعتمد التجيبي في عملية تبويب مواد برنامجه على تصنيف العلوم لفرز مروياته، وهي الطريقة التي اعتمدها في وقت سابق ابن خير الاشبيلي (ت 575 هـ / 1129 م) في فهرسته الجامعة<sup>(6)</sup>، إلا أنه لم يضع عناوين يضبط بها أبواب مروياته، مكتفيا فقط بذكر عبارة "وهو حسبنا ونعم الوكيل"<sup>(7)</sup>، في نهاية كل صنف من أصناف الكتب المروية، وعليه يمكن التمييز بين عشرة أصناف من العلوم التي يحملها عن شيوخه، تنتمي كلها إلى خانة علوم الشريعة، وما يرتبط بها من علوم اللغة والأدب والنحو، وبعض العناوين في السيرة النبوية، وتراجم رجال الحديث ورواة العلم، وقد جاء ترتيبها في البرنامج<sup>(8)</sup> موزعا على النحو التالي:

(1) - المصدر نفسه، ص 161.

(2) - المصدر نفسه، ص ص 165، 233.

(3) - أبو زكريا السراج، مصدر سابق، ص ص 136، 259، 260، 275، 277، 281، 285، 323.

(4) - المصدر نفسه، ص ص 280، 283، 286، 292، 630.

(5) - أنظر: ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 4/ 388.

(6) - فهرسة ما رواه عن شيوخه، تحقيق بشار عواد معروف، ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2009 م.

(7) - ورد ذكرها ثمانية مرات في البرنامج. حولها أنظر: التجيبي، مصدر سابق، ص ص 52، 249، 259، 266، 274، 277، 280، 290.

(8) - وبخصوص توزيع الكتب التي أوردها التجيبي في برنامجه بين كتب مشرقية، وأندلسية، ومغربية، وبالاستناد إلى الدراسة التي أنجزتها الباحثة "A. Ramos" في مقالها حول برنامج التجيبي، فإن عدد الكتب المشرقية المذكورة في البرنامج قد بلغ ما نسبته 60% من مجموع المؤلفات المروية، أما مؤلفات الغرب الإسلامي فحظيت بنسبة 40%، ومن أعمال هذه الأخيرة لدينا 16% أعمال مغربية و24% أندلسية. لمزيد من التفصيل أنظر:

Ana Ramos Calvo, «Le Barnāmağ d'al-Tuğībī», *Arabica*, 24-3, (1977). p 298.

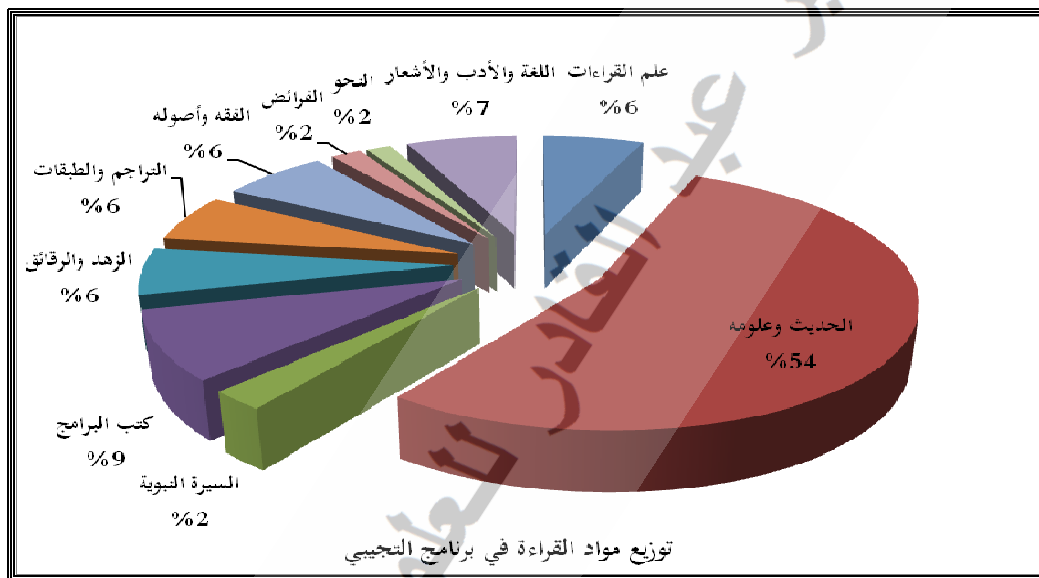
الترتيب	التصنيف العلمي للمؤلفات	عدد المؤلفات
01	علم القراءات	20
02	الحديث وعلومه	172
03	السيرة النبوية	8
04	كتب البرامج	28
05	الزهد والرقائق	19
06	التراجم والطبقات	19
07	الفقه وأصوله	21
08	الفرائض	6
09	النحو	5
10	اللغة والأدب والأشعار	22
المجموع		320

تظهر القائمة أعلاه، أن التجيبي افتتح مروياته بعلوم القرآن، وذلك لارتباطها بشكل مباشر بقداسة النص القرآني، وأدرج ضمنها كل ما يتعلق بحفظه وتلاوته وتفسير معانيه... الخ، وكما كان متوقعا فقد جاء علم القراءات متبوعا بعلوم الحديث، الذي احتل المرتبة الثانية، أين حظي بالعدد الأعلى من مجموع الكتب المروية في البرنامج، وقد بلغ عددها نحو 172 كتاب، كما جاءت عناوين كتب السيرة النبوية البالغ عددها نحو 8 مؤلفات فقط، مدرجة ضمن صنف الحديث وعلومه<sup>(1)</sup>.

من دون شك أن ارتباط موضوع السيرة النبوية بشخص الرسول، كان كافيا في حصولها على المرتبة الثالثة ضمن مجموعة كتب الحديث، متقدمة بذلك على باقي مواد البرنامج، أما كتب البرامج والفهارس والمشیخات البالغ عددها نحو 28 عنوانا، فيبدو أن عنايتها بتراجم رواة الحديث الذي يأتي استجابة لاهتمامات التجيبي الحديثية، أهلها أن تكون ضمن ملحقات علوم الحديث كذلك، ما جعل من باب كتب الحديث وعلومه، أكبر أبواب البرنامج من حيث عدد الكتب المروية وتنوعها كذلك، وقد بلغ عددها الكامل نحو 208 كتابا.

(1) - لا يذكر التجيبي عبارة "وهو حسينا ونعم الوكيل"، في نهاية عرضه لعلوم الحديث، ليبدأ عرض مواد السيرة النبوية، والأمر يتكرر مع كتب البرامج والفهارس والمشیخات. أنظر: التجيبي، مصدر سابق، ص 128، 239.

في مقابل ذلك، حظيت كتب التراجم والطبقات<sup>(1)</sup> باستقلالية تامة عن باقي المواد، كما أنها احتلت المرتبة الرابعة، وقد بلغ عدد كتب هذا الصنف نحو 19 كتابا، الأمر الذي يشير إلى تلك المكانة المتميزة التي حظيت بها الأعمال المنجزة في تراجم رواة الحديث، لارتباطه بشكل عميق بعلم "الجرح والتعديل" أو "علم رجال السند"، الذي يركز على معرفة هوية الراوي وتاريخه لتحديد مراتب الحديث، ويكفي دلالة على هذا الإطلاع على عناوين كتب التراجم والطبقات المذكورة في هذا الباب، لتكتشف أن أغلبها مختص بتعريف رواة الحديث<sup>(2)</sup>، وتوضيحا لمكانة التي احتلتها المواد التاريخية في برنامج التحجبي، إليك نسبة توزيع مروياته على النحو التالي:



يكشف التمثيل البياني أعلاه، نسبة توزيع المواد التي قرأها التحجبي في برنامجه، حيث يمكنني إعادة ترتيبها، لكن هذه المرة استنادا إلى حجم الكتب المدروسة في كل صنف من الأصناف المذكورة لأحصل على النتائج التالية:

الصنف	الحديث	البرامج	الأدب	التراجم	الفقه	القراءات	الزهد	السيرة	الفرائض	النحو
الرتبة	01	02	03	04	04	04	04	08	08	08
النسبة	54%	9%	7%	6%	6%	6%	6%	2%	2%	2%

(1) - حولها أنظر: المصدر نفسه، ص 259-266.

(2) - أنجز علاوة عمارة، بحثا دقيقا حول مكانة المواد التاريخية في برنامج التحجبي، وقد توصل من خلاله إلى نتائج مهمة. لمزيد من التفصيل أنظر:

Allaoua Amara. « La transmission du savoir historique en al- Andalus et au Maghreb à la fin du Moyen Age », p. 229-234.

تصدرت كتب الحديث قائمة المجموعة نسبته 54 %، لتعكس بذلك التوجهات العلمية لأبي القاسم التجيبي، الذي أظهر عنايته بعلم الحديث، ترافق ذلك مع الغاية الأساسية التي كتب من أجلها برنامجه، وقد أعلن عنها في ديباجة البرنامج<sup>(1)</sup>، وتلخص في الاقتداء بأهل الحديث في تعيين أسانيدهم وضبط مروياتهم، في مقابل ذلك حصول كتب التراجم والطبقات على المرتبة الرابعة بما نسبته 6 % مناصفة مع كتب الفقه، والقراءات، والزهد، في حين احتلت كتب السيرة النبوية نهاية ترتيب المواد وهي المرتبة الثامنة، بما نسبته 2 % مناصفة مع كتب الفرائض والنحو.

إن المراقبة الدقيقة لمخازن المواد التاريخية في برنامج التجيبي، والتي تجمع بين موضوع السيرة النبوية وكتب التراجم والطبقات، ليصبح مجموعها الإجمالي نحو 28 كتابا، من شأنه أن يميظ اللثام على بعض المسائل الحساسة المتعلقة بكيفية توزيعها، ومكانتها بين باقي الكتب المروية، أجمالها في ثلاث نقاط.

**النقطة الأولى:** يبدو أن التجيبي الذي دخل العديد من الحواضر العلمية المغربية والمشرقية، قد أتاح له ذلك فرصة الاتصال بعدد من الشيوخ المتصدرين لإقراء، وقد تلقى خلال وجوده في تلك الحواضر مواد في السيرة النبوية وكتب التراجم والطبقات، الأمر الذي كان له أثره الواضح في اختلاف توزيع عدد المؤلفات التاريخية التي تلقاها بين مختلف الحواضر المغربية والمشرقية، وتوضيحا لذلك الأرقام التوضيحية التالية:

الحاضرة	عدد المؤلفات التاريخية المدروسة	الصفحة من البرنامج
مالقة	3	266، 263، 244
سبتة	10	263، 135، 262، 137، 128، 111
بجاية	12	259، 258، 138، 134، 129، 110، 44، 265، 264، 263، 261، 260
تونس	4	263، 259، 250، 136
حواضر مصر <sup>(2)</sup>	10	265، 264، 251، 135، 131، 130، 111

(1) - مصدر سابق، ص 8-9.

(2) - التحق التجيبي بملقات الشيوخ التي كانت تعقد في مختلف حواضر مصر، وقرأ على شيوخها مجموعة معتبرة من المؤلفات التاريخية حيث كان نصيب الإسكندرية الأعلى. بمجموع 4 مؤلفات تاريخية، تليها القاهرة بمجموع 3 مؤلفات، أما مدينة قوص، والفسطاط، والقرافة، فنصيب كل واحدة منها مؤلف واحد.

دمشق	2	260، 261
مكة	2	111، 136

من خلال الإحصائية أعلاه، تظهر أهمية بعض حواضر الغرب الإسلامي في التكوين التاريخي للتجيب، وقد بلغ عدد المؤلفات التي تلقاها بحاضرة مالقة، وسبتة، وبجاية، وتونس نحو 58 كتابا، برزت فيها مدينته سبتة كأحد أهم الحواضر العلمية التي تلقى بها مواد تاريخية، وتستمد هذه المدينة أهميتها في تلقين مواد تاريخية، كونها نقطة استقطاب جيدة لكثير من الشيوخ الأندلسيين من ذوي الكفاءة العالية في المعرفة التاريخية، وبالمثل كانت حاضرة الحفصيين الثانية مدينة بجاية، لتكون هي الأخرى أهم الحواضر العلمية التي تلقى بها التجيب مواد تاريخية، كان المعول فيها بشكل أساسي على شيخه الشاطبي الأصل، مستوطن المدينة، الراوية أبي عبد الله محمد بن صالح الكناني (حيا سنة 699 هـ / 1299 م)، وقد بلغ عدد الكتب التاريخية التي يحملها عنه نحو 12 كتابا، الأمر الذي يميظ اللثام على الدور الكبير الذي لعبه الراوية أبو عبد الله الكناني، في الرفع من مستوى التكوين التاريخي لتلاميذه بمدينة بجاية، بما فيهم تلميذه التجيب<sup>(1)</sup>.

**النقطة الثانية:** تتعلق بتوزيع المواد التاريخية في البرنامج، فهناك أربعة عناوين لمؤلفات تاريخية صنفها التجيب ضمن مواد علمية أخرى، وهي كتاب "طبقات القراء والمقرئين" لأبي عمرو الداني (ت 444 هـ / 1053 م)<sup>(2)</sup>، أدرجه ضمن مجموعة كتب علوم القرآن، وكتاب "أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم" لابن إسحاق (ت 282 هـ / 895 م)<sup>(3)</sup>، و"المقتضب من حلية الأولياء" لأبي الحسين عبيد الله بن قبوش النفزي<sup>(4)</sup>، و"درر السمط في خبر

<sup>(1)</sup> - لمزيد من التفصيل حول الدور الذي لعبه الراوية أبو عبد الله الكناني، في تلقين مواد تاريخية على عدد من تلامذته بمدينة بجاية. بما فيهم التجيب. أنظر: آسيا ساحلي: "انتقال المعرفة التاريخية في المغرب الأوسط في نهاية العصر الوسيط"، مغرب أوسطيات، ص 213-231. "المشيخة الأندلسية في بجاية ودورها في تنشيط المعرفة التاريخية"، ص 107-112.

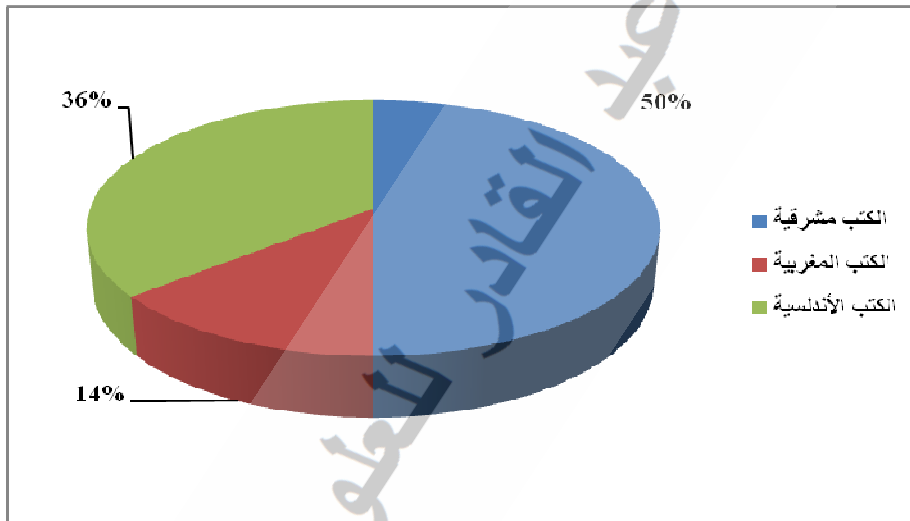
<sup>(2)</sup> - التجيب، مصدر سابق، ص 44.

<sup>(3)</sup> - المصدر نفسه، ص 250.

<sup>(4)</sup> - يعود الفضل في تلقين كتاب ابن قبوش النفزي على تلامذة الحلقة بمدينة بجاية، إلى الراوية أبي عبد الله الكناني، الذي يروي الكتاب عن شيخه النفزي المصنف، وحمله عنه اثنين من تلامذته بالمدينة، هما: الرحالة العبدري، والتجيب. لمزيد من التفصيل أنظر: العبدري، مصدر سابق، ص 130. التجيب، مصدر سابق، ص 258.



السبط" (1) لابن الأبار القضاعي، ثلاثتها أدرجها ضمن مجموعة كتب الزهد والرقائق (2).  
**النقطة الثالثة:** تتعلق بتعدد انتماءات الكتب التاريخية التي يحملها التحيي عن شيوخه، وتوزعت بين كتب مشرقية (3) وقد بلغت نحو 14 كتابا، متصدرة بذلك مجموع المواد المدروسة، لتثبت بذلك سيطرتها على طبيعة التكوين التاريخي الذي حصل عليه التحيي، وهنا يمكن ربطها بالرحلة التي قادته إلى كبريات الحواضر المشرقية، أما الكتب الأندلسية فقد بلغ عددها نحو 10 كتب محتملة بذلك المرتبة الثانية، أما الكتب المغربية فجاء تمثيلها ضعيف وهزيل جدا مقارنة بنظيرتها المشرقية والأندلسية، بما مجموعه أربعة كتب فقط، وسوف أتعرض إلى عناوينها بالتفصيل في المبحث اللاحق، وتوضيحا لذلك إليك التمثيل البياني التالي:



من خلال هذا العرض المفصل، الذي حاولت فيه تقصي مكانة المواد التاريخية في برنامج التحيي، التي حصلت على مكانة متميزة فيه، النتيجة التي يمكنني التأكيد عليها، أن التحيي

(1) - تحقيق عز الدين عمرو موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987. وهو كتاب في مراثي آل البيت يحكي فيه سيرتهم ومناقبهم، وله كذلك كتاب تحت عنوان "اللجين في مراثي الحسين"، اطلع على الغبريني، على إحدى نسخه وأثنى عليه بالقول "ولو لم يكن له من التأليف إلا الكتاب المسمى بكتاب اللجين في مراثي الحسين لكفاه في ارتفاع درجته وعلو منصبه وهو رتبته". أنظر: الغبريني، مصدر سابق، ص 261.

(2) - يعتبر الراوية أبو عبد الله الكناي من أبرز الشيوخ الذين قاموا بتلقين كتاب "درر السمط" على تلامذته بمدينة بجاية، أذكر منهم تلميذه الرحالة العبدري، ومعاصره التحيي، كما قام الشيخ ابن هارون الطائي بتلقين الكتاب في حلقة بمدينة تونس. لمزيد من التفصيل أنظر: العبدري، مصدر سابق، ص 125، 130. التحيي، مصدر سابق، ص 259.

(3) - لمعرفة عناوين الكتب التاريخية المشرقية التي قرأها التحيي. أنظر: المصدر نفسه، ص 110، 128، 135، 136، 165، 288، 250، 260، 261، 264.

ورغم من عنايته الكبيرة بتلقي مواد متنوعة وغزيرة في علوم الحديث ومتعلقاته، إلا أن الاتصال القائم بين علوم الحديث وموضوع السيرة النبوية من جهة وتراجم رواة العلم من جهة ثانية، كان له دور كبير في تعزيز مكانة هذه المواد التاريخية بين باقي مواد التلقين في البرنامج.

**ب- مكانة المواد التاريخية في برنامج ابن جابر الوادي آشي (ت 749 هـ / 1348 م):**

استكمالاً لموضوع البحث، سوف أتطرق في هذه المرحلة إلى أحد أبرز شيوخ القرن 8 هـ / 14 م، ممن كتبوا برنامج مروياتهم على شيوخهم، وهو برنامج "الرحالة المحدث" أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي، وقد كتب برنامجه الحافل<sup>(1)</sup>، استجابة لرغبة من طلب منه ذلك من المعتنين بالرواية<sup>(2)</sup>، حيث اعتمد في تبويبه على الجمع بين التعريف بشيوخه، في القسم الأول من البرنامج، أما القسم الثاني فخصصه لذكر مروياته عليهم، بتركيزي على القسم المخصص لشيوخه، فقد بلغ عددهم نحو 278 شيخاً، منهم 13 امرأة من البلاد المشرقية يروي عنهن بطريق الإجازة<sup>(3)</sup>، أما باقي شيوخه فقد تنوعت أصولهم بين مشرقية، وأندلسية، ومغربية، على ما أوضحه في أرقام الجدول التالي:

أصول الشيوخ	العدد	النسبة المئوية
بلاد المشرق	189	71 %
العدوة الأندلسية	41	15 %
المغرب الأدنى	15	6 %
المغرب الأقصى	14	5 %
المغرب الأوسط	6	2 %
المجموع	265	

قراءة سريعة في أسماء شيوخه المذكورين في القسم الأول، تؤكد على هيمنة شيوخ البلاد المشرقية، من المنتمين إلى مختلف الحواضر (الإسكندرية- القاهرة- مكة- بلاد الشام)، وقد كان لهم دوراً بارزاً في التكوين المعرفي للوادي آشي بشكل عام، كما بلغ عددهم نحو 189 شيخاً،

<sup>(1)</sup> - إضافة إلى هذا البرنامج، ألف الوادي آشي عملاً آخر في أسانيد كتب المالكية يسندها إلى مؤلفيها، ذكره تلميذه ابن فرحون المالكي (ت 799 هـ / 1396 م) في الترجمة التي خصصها له في ديباجه. حوله أنظر: ابن فرحون، مصدر سابق، 2 / 237.

<sup>(2)</sup> - حول دوافع تأليف الوادي آشي لبرنامجه، وطريقة تبويبه لمواد القراءة. أنظر: الوادي آشي، مصدر سابق، ص 417.

<sup>(3)</sup> - المصدر نفسه، ص 169 - 173.

بنسبة تفوق النصف، ما يعادل 71 % من مجموع شيوخه المذكورين في البرنامج، ويبدو هذا الأمر منطقياً جداً، خصوصاً إذا ربطنا ذلك بالرحلة التي قادته إلى بلاد المشرق مرتين، وحسب شهادة معاصره ابن حجر العسقلاني<sup>(1)</sup>، الذي اعتبره أحد أعيان القرن 8 هـ / 14 م، فإن رحلته الأولى كانت في حدود سنة 720 هـ / 1320 م، أما الثانية فكانت سنة 734 هـ / 1333 م، وعلى ذلك فقد استحق لقب "إمام المحدثين وصاحب الرحلتين" في الترجمة التي خصصها له تلميذه ابن خلدون<sup>(2)</sup>، وبخصوص شيوخه الأندلسيين، فقد بلغ عددهم نحو 41 شيخاً، خصوصاً من ففة النازحين إلى الحاضرة الحفصيين الأولى مدينة تونس، لتؤكد هذه الففة مرة أخرى على تأثيرها البالغ في تلقين مواد تاريخية في نهاية المرحلة الوسيطة، متفوقة بذلك على شيوخ البلاد المغربية التي نالت الحصة الأقل بين باقي الففات، كما تنوعت انتماءاتهم وأصولهم، من المنتسبين إلى بعض حواضر المغرب الأدنى<sup>(3)</sup>، والأوسط<sup>(4)</sup>، والأقصى، الذي كان ممثلاً بشكل خاص بأعلام حاضرة سبتة<sup>(5)</sup>.

ما يمكن التنبيه إليه في هذا الخصوص، أن ففة شيوخه المنتميين إلى المغرب الأوسط، هي الففة الأقل عدداً، وقد بلغ عددهم نحو ستة شيوخ فقط، وهو ما يمثل نسبة 2 % من مجموع شيوخه المذكورين في القسم الأول، كما هو موضح في الجدول أعلاه، ومن أهم شيوخه المنتميين إلى المغرب الأوسط، أشير إلى شيخه قاضي مدينة بجاية أبي العباس أحمد الغبريني، ويعود تاريخ اتصاله به في أعقاب الزيارة الأخيرة التي قام بها الغبريني إلى مدينة تونس سنة 704 هـ / 1304 م، والملفت للانتباه أن آخر هذه السنة، قتل فيها شيخه الغبريني ذبيحاً بحبسها بمدينة بجاية<sup>(6)</sup>.

(1) - الدرر الكامنة، 3 / 414.

(2) - الرحلة، ص 38-39.

(3) - لمعرفة أسماء شيوخه المنتسبين إلى حواضر المغرب الأدنى. أنظر: الوادي آشي، مصدر سابق، ص 40، 41، 45، 49، 55، 58، 59، 60، 63، 64، 128، 135، 155، 164.

(4) - لمعرفة أسماء شيوخه المنتسبين إلى حواضر المغرب الأوسط. أنظر: المصدر نفسه، ص 43، 114، 128، 130، 138.

(5) - لمعرفة أسماء شيوخه المنتسبين إلى حواضر المغرب الأقصى. أنظر: المصدر نفسه، ص 56، 64، 98، 119، 120، 122، 124، 129، 141، 142، 158، 161، 168.

(6) - أشار الوادي آشي إلى مقتل شيخه الغبريني بعد محنة شديدة تعرض لها. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص 40. كذلك قدم ابن خلدون، العبر، 6 / 462. بعض التفاصيل المهمة حول ظروف وأسباب مقتله بعد عودته سفيراً من الحاضرة الحفصية تونس.

وبالرغم من أن الغبريني في تلك المرحلة المتأخرة من حياته، يكون قد أنهى الاشتغال على كتابه التاريخي "عنوان الدراية" الذي بدأه في حدود سنة 690 هـ/1291 م، منذ ما يقرب الخمس سنوات، حيث يفترض أن يكون قد أجرى تعديلاته الأخيرة على ترجمة شيخه أبي عبد الله الكتاني، في حدود سنة 699 هـ/1299 م<sup>(1)</sup>، إلا أن تلميذه الوادي آشي لا يشير إليه ضمن الكتب التي قرأها عليه في البرنامج، واكتفى في تصريحه المقتضب حول مروياته التي يحملها عنه بذكر قراءته لكتابين من تأليفه الغبريني نفسه، هما "المورد الأصفى"<sup>(2)</sup>، و"الفصول الجامعة"<sup>(3)</sup>.

الاستعانة بفهارس المراحل اللاحقة، قد يسعني في معرفة حقيقة تداول كتاب الغبريني في الأوساط العلمية بعيد صدوره في المجال الحفصي، وأخص بالذكر منها "فهرسة" المنتوري، التي يؤكد فيها على روايته لمؤلفات الغبريني<sup>(4)</sup>، بطريق شيخه ابن لب الغرناطي (ت 782 هـ/1380 م)<sup>(5)</sup>، وورد فيها صراحة كتاب "عنوان الدراية"<sup>(6)</sup> ضمن أعمال الغبريني التي يرويها بطريق شيخه الوادي آشي، الأمر الذي يفيد بأن الغبريني وبعد أن أنهى تحرير تراجم عنوانه في نهاية القرن 7 هـ/13 م، وبداية القرن 8 هـ/14 م، قد أجاز لتلميذه الوادي آشي رواية الكتاب، قد يكون ذلك قبيل وفاته بأشهر في أثناء اجتماعه به في مدينة تونس، مع ذلك يبقى الإشكال المطروح هنا، ما هو سبب غيابه عن قائمة مرويات الوادي آشي المذكورين في

(1) - استنادا إلى عبارة "وهو إلى هذا الوقت وهو عام التسعة والتسعين وستمائة". أنظر: الغبريني، مصدر سابق، ص 106.

(2) - وهو كتابه "الأربعون في الحديث". أنظر: الوادي آشي، مصدر سابق، ص 44، 292.

(3) - عنوان الكتاب "الفصول الجامعة والحدود المانعة في أصول المعرفة بالله تعالى". أنظر: المصدر نفسه، ص 44، 303.

(4) - قرأ المنتوري، مصدر سابق، ص 368. كذلك منظومات شعرية للغبريني على شيخه ابن لب الغرناطي. وعلى ما يبدو أن بعض هذه المقطوعات الشعرية التي نظمها الغبريني، كانت متداولة في مدينة بجاية نهاية القرن 7 هـ/13 م، على غرار قصيدته في مدح الصوفي ابن سبعين (ت 669 هـ/1270 م)، اطلع عليها ابن الطواح التونسي أثناء نزوله بالمدينة. حولها أنظر: ابن الطواح، مصدر سابق، ص 241.

(5) - أنظر ترجمته: ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 4/ 253-255.

(6) - ورد عنوان كتاب الغبريني عند المنتوري، مصدر سابق، ص 368. على النحو الآتي "عنوان الدراية فيمن عرف من الفقهاء في المائة السابعة ببجاية"، ليكون الاختلاف واقع في كلمة "فقهاء"، مع عنوان الكتاب المحقق والمتداول بيننا اليوم، الذي وردت فيه كلمة "علماء"، كما حذف كلمة "فقهاء" بالكامل عند ابن الخطيب السلماني، الذي رجع إليه في الترجمة لشخصيتين في كتابه الإحاطة، 4/ 32، 205. الأمر الذي يشير إلى محافظة الكتاب على عنوانه الأصلي في بعض النسخ، التي كانت متداولة خلال القرن 8 هـ/14 م، مع وجود بعض الفروق البسيطة.

برنامجهم؟ فمن غير المستبعد أن تكون طريقة "الإجازة العامة" <sup>(1)</sup> التي يروي بها كتاب شيخه، خلف ذلك الغياب، الأمر الذي من شأنه أن يفتح المجال لطرح أسئلة مهمة، تدور حول إمكانية قيام الغبريني بتلقي كتابه التاريخي على بعض طلبته الآخذين عنه بمدنيتي بجاية، وتونس مطلع القرن 8 هـ / 14 م، خصوصا وأنه كان يعقد حلقاته بالمسجد الجامع ببجاية، وكان يحضرها عدد كبير من طلبة المدينة، منهم تلميذه التونسي ابن الطواح (حيا سنة 718 هـ / 1318 م)، الذي اتصل به سنة 698 هـ / 1298 م <sup>(2)</sup>، هذا التلميذ لا يذكر قراءته لكتاب شيخه الغبريني "عنوان الدراية" في "سبك المقال"، إلا أنه كان على معرفة أكيدة بهذا العمل <sup>(3)</sup>، ومن المحتمل أن يكون قد اطلع على إحدى نسخ الكتاب المتداولة في مدينة بجاية مطلع القرن 8 هـ / 14 م، في أثناء تواجده بالمدينة سنة 717 هـ / 1317 م <sup>(4)</sup>.

وفي سياق تدقيقي في هوية شيوخ الوادي آشي، المترجم لهم في القسم الأول من برنامجهم، يبدو أن عددا معتبرا منهم من المحسوبين على فئة الشيوخ المهتمين بالخبر التاريخي، غير أنه اكتفى فقط بالإشارة إلى بعض أعمالهم الإخبارية، منها تسعة كتب مشرقية <sup>(5)</sup>، في حين اقتصر

<sup>(1)</sup> - وهي الطريقة التي لا يكون فيها تخصيص ولا تعيين للكتب المروية عن الشيخ الجيز، وقد فصل القاضي عياض الحديث عن هذا النوع من الإجازات، وهو يحتل المرتبة الثانية في أقسام الإجازة الستة، وأعلاه الإجازة في معين. لمزيد من التفصيل. أنظر: القاضي عياض: الاماع في ضبط الرواية وتقييد السماع، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، 1970، ص 88-107.

<sup>(2)</sup> - في تصريح أدلى به تلميذه ابن الطواح، مصدر سابق، ص 238، 239. الذي عاين حلقة تدريسه بالمسجد الجامع بالمدينة، بقوله "فرايت حلقة عظيمة وسمعت كلاما مسترسلا ... فرايت مجلسا غص..."، وهو يعطي دلالة واضحة على كثرة طلبة الغبريني في المدينة.

<sup>(3)</sup> - يظهر ذلك من خلال إحالة ابن الطواح إلى كتاب "عنوان الدراية"، حول مكانة شيخه الفقيه أبي زكريا يحيى اليفري، التي أشاد بها صديقه الغبريني. أنظر: المصدر نفسه، ص 239. وبالفعل فقد أشاد الغبريني في كتابه المطبوع والمتداول بيننا اليوم بصديقه أبي زكريا اليفري، وكتب حوله يقول "ومن أحسنهم خلقا وفضلا ورياسة صاحبنا الفقيه الجليل الفاضل الكامل أبو زكريا يحيى اليفري رجل من أهل الكمال في كل وجهة وحال ولو لا أن ذكره هنا إنما جاء بالاستطراد لذكرت من فضائله ما يعلم أنه أربى على من سبقه وزاد". حوله أنظر: الغبريني، مصدر سابق، ص 267.

<sup>(4)</sup> - حول هذا التاريخ أنظر: ابن الطواح، مصدر سابق، ص 245.

<sup>(5)</sup> - ذكر الوادي آشي، أربعة مؤلفات تاريخية لشيخه عبد المؤمن بن خلف الدمياطي (ت 705 هـ / 1305 م)، وكتاب صفى الدين محمود القرافي (ت 723 هـ / 1323 م) الموسوم بـ "ذيل كبير على البداية والنهاية"، وكتاب "تهذيب الكمال" لجمال الدين المزني (ت 742 هـ / 1341 م)، وثلاث أعمال لشمس الدين الذهبي (ت 748 هـ / 1347 م)، وهي "تاريخ الإسلام"، و"تأليف في الضعفاء"، و"معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار". حولها أنظر: الوادي آشي، مصدر سابق، ص 61، 65، 89، 92-93، 148-150.

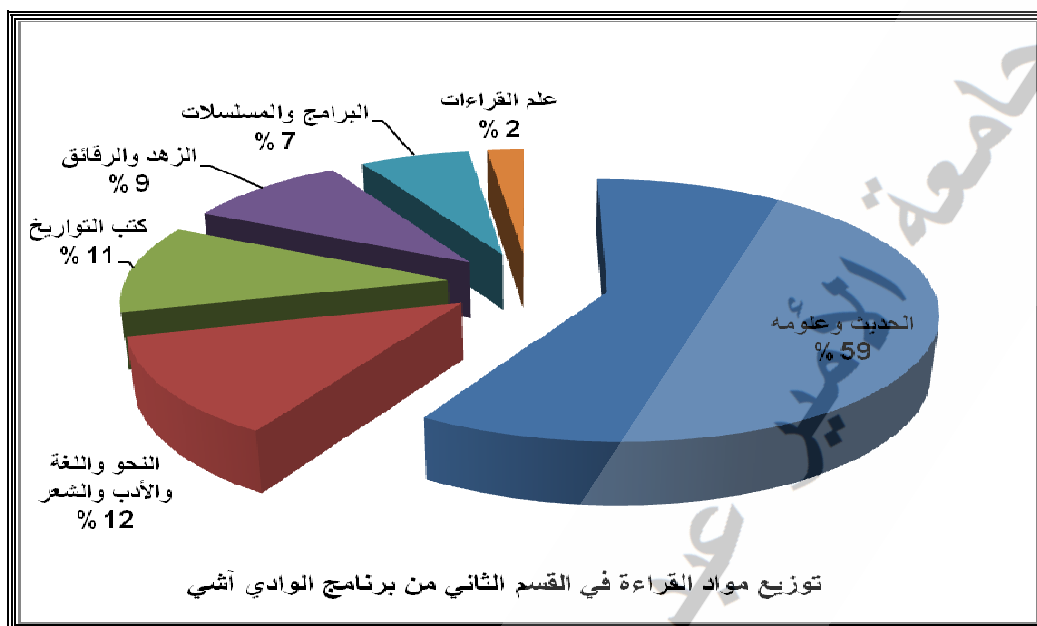
على ذكر أربعة كتب لاثنين من شيوخه من بلاد المغرب، كتاين لشيخه الدباغ القيرواني هما: "مناهج المتقين المنتخب من كلام سيد المرسلين"، و"معالم الإيمان"، وكتاين لشيخه ابن رزين التجيبي (ت 692 هـ / 1292 م)، هما "الأخبار التونسية في الأخبار الفرنسية"، و"الأخبار الثمينة في خبر القل وفتح قسنطينة"، وقد أشرت إليهما في وقت سابق.

وبخصوص القسم الثاني من البرنامج، الذي أفردته في ذكر مواد قراءته المختلفة، فعلى ما يبدو أنه لم يراع في تبويب مواده حسب العلوم، وان حاول في البداية المحافظة على التقليد المعروف في كتب البرامج، في إعطاء الأولوية لمروياته في علوم القرآن، متبوعا بعلوم الحديث ومواد السيرة النبوية، إلا أن الاضطراب قد شاب باقي أصناف المواد المروية، بما فيها كتب الحديث، التي نجد مجموعة كبيرة منها موزعة بين أغلب مواد القسم، كما اختلطت كتب السيرة النبوية، وتراجم رجال الحديث، وفضائل الصحابة، مع مجموعة كتب الرقائق، والزهد، والتصوف، الأمر الذي يصعب معه فرز مواد هذا القسم بشكل دقيق، كما وضع الوادي آشي كتب علم النحو واللغة الأدب والأشعار في المرتبة ما قبل الأخيرة، متبوعة بكتب البرامج والفهارس التي جاءت في نهاية ترتيب المواد.

مع ذلك فبالإمكان إعادة فرز مروياته، استنادا إلى أصناف العلوم الموجودة، وقد بلغ عددها نحو 235 كتابا، ويمكن خلالها التمييز بين ستة أنماط معرفية أساسية، كما اختلفت من حيث حجم المؤلفات المدروسة في كل نمط معرفي، لذلك حاولت إعادة ترتيب وتوزيع مروياته على النحو التالي:

المرتبة	تصنيف المواد	العدد	الصفحة
01	الحديث وعلومه	138	موزعة عبر مختلف صفحات القسم
02	النحو واللغة والأدب والشعر	29	296-300، 303-320
03	كتب التواريخ	26	210-220، 221، 222، 223، 226-236، 238، 268، 270-272، 289، 292، 293، 299، 301، 317
04	الزهد والرقائق	22	226-233، 278، 302
05	البرامج والمسلسلات	15	296-297، 320-323
06	علم القراءات	5	177-186
	المجموع	235	

وتوضيحا لذلك إليك التمثيل البياني التالي:



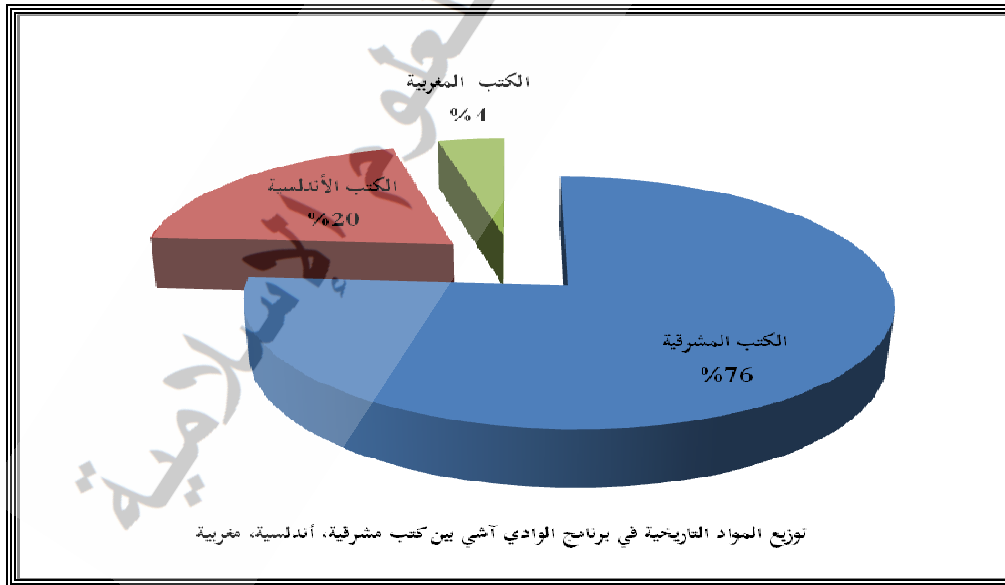
كما يبدو ظاهرا، أن الطابع الغالب على مرويات الوادي آشي في هذا القسم، هي كتب علوم الحديث ومتعلقاته، بنسبة تفوق نصف المواد المقروءة، وجاءت ممثلة في 59% من مجموع الكتب المروية، وهي تعبر عن توجهات الوادي آشي في العناية بدواوين علوم الحديث، ولقاء شيوخه البارزين، كما حظيت كتب التاريخ بمكانة متقدمة، بما مجموعه 26 كتابا، محققة بذلك نسبة قدرها 11% من مجموع الكتب المروية.

كما تنوعت أنماط التأليف بين مواد السيرة النبوية<sup>(1)</sup>، والتراجم والطبقات، وفضائل الصحابة، وفضائل المدن، وتواريخ الدول، على ما أوضحه في أرقام الجدول التالي:

(1) - أشير إلى أن هناك مجموعة من الأراجيز والقصائد في السيرة النبوية، التي يرويها الوادي آشي في برنامجه، وهي: قصيدة كعب بن زهير في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، و"معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب في نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم" لأبي عبد الله بن أبي الخصال الغافقي (ت 540 هـ / 1145 م)، والقصيدة الشقراطية، وقصيدة "حديقة الأزهار وحقيقة الافتخار في مدح النبي المختار" لابن حازم القرطاجني السابقة الذكر. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص ص 223، 224، 225، 299.

نظ المؤلف التاريخي	العدد	الصفحات
السيرة النبوية	17	210, 213, 215, 218, 219, 221, 223, 224, 225, 236, 237, 238, 268, 299
كتب التراجم	4	271-272, 301
فضائل الصحابة	2	289, 292
فضائل المدن	1	293
تاريخ الدول	1	317
الأنساب	1	270
المجموع	26	

وفيما يخص طبيعة المؤلفات التاريخية، التي قرأها الوادي آشي في عديد الحواضر العلمية التي دخلها خلال رحلته، فقد احتلت فيها الكتب المشرقية الصدارة بما مجموعه 19 كتابا، وبفارق كبير جاءت متبوعة بالكتب الأندلسية، ممثلة بخمسة أعمال فقط، في حين جاءت الكتب المغربية في نهاية الترتيب، وقد جاءت ممثلة فقط في كتاب "الشفاء" للقاضي عياض، الأمر الذي يشير إلى نوعية التكوين المعرفي الذي تلقاه صاحب الرحلتين، ودور رحلته المشرقية في الرفع من مستوى مداركه التاريخية، على ما أوضحه في التمثيل البياني التالي:



ما يمكن التوصل إليه من خلال المعطيات الفهرسية المهمة، التي وفرها لي برنامج الوادي آشي، أنه بالرغم من المكانة المتقدمة التي حازت عليها المواد التاريخية في برنامجه، إلا أن التدقيق أكثر في هوية شيوخه الذين تلقى عليهم مواد تاريخية، ومكان القراءة عليهم، يميظ اللثام عن الدور



الكبير الذي لعبته الحواضر المشرقية (القاهرة- مكة- دمشق)، وبشكل لافت مدينة دمشق في الرفع من مستوى تكوينه التاريخي، في مقابل ذلك أظهر شيوخ الحاضرة الحفصية تونس، من فئة المهتمين بالخبر التاريخي، بصمتهم البارزة في تلقين مواد تاريخية مختلفة في مجالس الإقراء، الأمر الذي أكشف عنه في الجدول التالي:

الحاضرة	عدد الكتب التاريخية المروية	الصفحة من البرنامج
تونس	10	210، 215، 219، 220، 221-223، 228، 236-237، 290، 301.
القاهرة	3	213، 271، 293.
مكة	3	212، 223، 238.
دمشق	8	218، 238، 271، 272، 293، 317.

كما يحسن بي هنا، أن أشير إلى أحد أهم الأعمال الفهرسية المنجزة في نهاية القرن 8 هـ/ 14 م، إلا أنها لم تصلنا سوى بعض أجزئها، من عمل أبي زكريا يحيى السراج الفاسي<sup>(1)</sup>، الذي كتب فهرسة جامعة في ذكر شيوخه وتعيين مروياته عليهم، واستنادا إلى دياحة فهرسته فقد قسمها إلى خمسة أبواب<sup>(2)</sup>، خصص الباب الأول والثاني منها في أهمية علوم الحديث، وطرق التحمل المعروفة في روايته، أما الباب الثالث فقد جاء في ذكر أسماء شيوخه الذين أخذ عنهم، والأبواب الثلاثة الأولى هي الأجزاء التي وصلتنا من هذه الفهرسة في الوقت الحالي، بخلاف البابين الرابع والخامس، كلاهما معدود ضمن قائمة الأجزاء المفقودة، وقد وضعهما السراج في تعيين الكتب المروية بالقراءة أو السماع أو المناولة عن مشايخه، وما له فيها من علو الإجازة، وذكر بعض أسانيد، وبلا شك ضياع هذا القسم المهم والأخير من فهرسة السراج، قد فوت علي إمكانية تقصي مكانة المواد التاريخية فيها، والكشف على طبيعة التكوين التاريخي الذي حصل عليه السراج، ويبقى التعويل في معرفة بعض العناوين التاريخية التي قرأها على شيوخه بمدينته فاس، على المعلومات المهمة التي الباب الثالث من هذه الفهرسة، كذلك يمكن استعادة بعضها، خصوصا تلك التي يحملها عنه تلميذه المنتوري في فهرسة، أو بعض العناوين المسندة إليه

(1) - معرفة مزيد من التفصيل حول الرواية أبي زكريا السراج، شيوخه وتلاميذه وتكوينه العلمي. أنظر: الدراسة المنجزة من قبل محققة الفهرسة نعيمة بنين، في مقدمة تحقيقها، ص 54-106. كذلك الدراسة الموسعة التي أنجزها محمد بن عزوز: ضوء السراج في ترجمة أبي زكريا يحيى السراج، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم، بيروت، 2009م.

(2) - حولها أنظر: أبو زكريا السراج، مصدر سابق، ص 125-126.

في مرويات ابن غازي المكناسي.

2. مكانة المواد التاريخية في كتب الفهارس المغربية المنجزة خلال القرنين 9-10 هـ / 15-16 م: استكمالا لموضوع النقاش الذي أثرته آنفا، سوف أحاول في هذه المرحلة تقصي المكانة التي حازت عليها المواد التاريخية في برامج القرنين 9-10 هـ / 15-16 م، معتمدة في ذلك على بعض الأعمال الفهرسية المتأخرة.

#### أ- مكانة المواد التاريخية في فهرسة المنتوري:

أبدأ نقاشي بإحدى أهم فهارس الغرب الإسلامي الوسيط، المنجزة في النصف الأول من القرن 9 هـ / 15 م، أعني بها "فهرسة" أبي عبد الله محمد المنتوري<sup>(1)</sup>، الذي يعود بأصوله إلى مدينة غرناطة الأندلسية<sup>(2)</sup>، أين كانت بدايات تحصيله العلمي في مجالس شيوخه الأندلسيين المذكورين في فهرسته، ثم انتقل بعدها إلى حاضرة المرينيين فاس، أين اتصل بعدد من شيوخها المتصدرين للإقراء، وتلقى عليهم مواد تاريخية مهمة، منهم شيخه أبو عبد الله محمد بن محمد اللخمي الفاسي (ت 794 هـ / 1391 م)<sup>(3)</sup>، والرواية أبو زكريا يحيى السراج، هذا الأخير الذي جمعته به علاقة صداقة، كما قرأ عليه مجموعة معتبرة من الدواوين في بعض فروع العلوم الشرعية<sup>(4)</sup>، وقد بلغ مجموع الكتب التي يرويها في فهرسته نحو 269 كتابا، موزعة على عشرة من أصناف علوم عصره، كما اختلفت من حيث حجم الكتب المروية في كل صنف، على ما أظهره في الجدول التالي:

(1) - يبدو أن صديقه وشيخه السراج، قد اطلع على نسخة من برنامجه، واعتمد عليها في سرد أسماء شيوخه. أنظر: المصدر نفسه، ص 671.

(2) - تعتبر الترجمة التي خصصها له معاصره أبو زكريا السراج، من أقرب الترجمات المخصصة للمنتوري، وقد كتبها السراج والمنتوري بقيد الحياة، أشار فيها إلى علاقة الصداقة التي جمعتهما بعد نزول المنتوري بمدينة فاس، بقوله "ومنهم رضي الله تعالى عنهم صاحبنا الفقيه القاضي الأستاذ المحقق الحافظ أبو عبد الله... المنتوري". أنظر: المصدر نفسه، ص 670-672. كذلك أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 495-496.

(3) - حوله أنظر: أبو زكريا السراج، مصدر سابق، ص 341-360. المنتوري، مصدر سابق، ص 398.

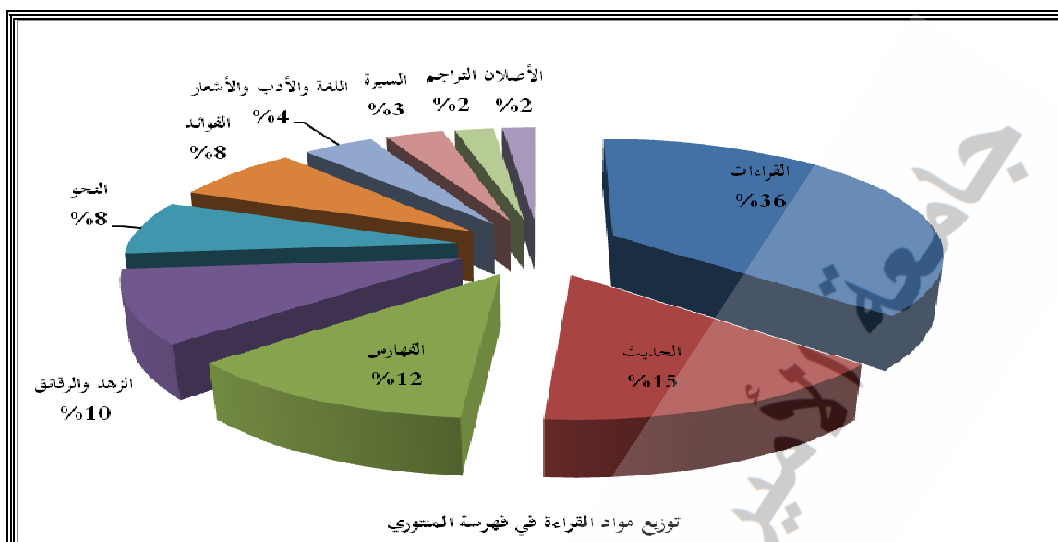
(4) - لمعرفة عناوين المؤلفات التي قرأها المنتوري على شيخه السراج. أنظر: المصدر نفسه، ص 100، 101، 118، 142، 143، 146، 147، 148، 150، 152، 154، 162، 188، 197، 200، 201، 206، 210، 211، 213، 216، 217، 220، 221، 222. في مقابل هذا صرح السراج بإجازة المنتوري لولده أبو القاسم محمد، حديث الرحمة المسلسل بشرطه إجازة عامة. حولها أنظر: أبو زكريا السراج، مصدر سابق، ص 671.

الترتيب	التصنيف العلمي للمؤلفات	عدد المؤلفات
01	علم القراءات	98
02	علوم الحديث	40
03	السيرة النبوية	9
04	الزهد والرقائق	27
05	الأصلا ن	5
06	النحو	20
07	اللغة والأدب والأشعار	11
08	الفوائد	20
09	تراجم الرجال	6
10	البرامج وفهارس الشيوخ	33
	المجموع	269

كما كان متوقعا، يأتي في القائمة الترتيبية أعلاه، الكتب المصنفة في علوم القرآن والحديث التي احتلت المراتب الأولى في هذا التصنيف الذي اعتمد عليه المنتوري، متبوعة بكتب السيرة النبوية، والزهد والرقائق، الأمر الذي يشير إلى استمرار إعطاء الأولوية للمعارف الدينية في عملية التلقين، وفيما يتعلق بحجم الكتب المروية في كل صنف، قد جاءت خلالها كتب السيرة النبوية لتحتل المرتبة الثامنة ممثلة بنحو 9 كتب، أما كتب التراجم والطبقات التي بلغ عددها نحو 6 مؤلفات، فقد احتلت المرتبة التاسعة، وهي المرتبة الأخيرة، التي تقاسمتها مع كتب الأصلين، وعليه أنجزت الأرقام الترتيبية الآتية:

الصنف	القراءات	الحديث	الفهارس	الزهد والرقائق	النحو	الفوائد	اللغة والأدب	السيرة	التراجم	الأصلا ن
المرتبة	01	02	03	04	05	05	07	08	09	09
النسبة	% 36	% 15	% 12	% 10	% 8	% 8	% 4	% 3	% 2	% 2

وتوضيحا لذلك، إليك التمثيل البياني التالي:



بالنظر إلى إجمالي عدد الكتب التاريخية، التي يرويها المنتوري في فهرسته، والبالغ عددها 15 كتاباً<sup>(1)</sup>، فإنها توزعت بين دواوين مشرقية، وأندلسية، ومغربية، أثبتت خلالها الكتب الأندلسية سيطرتها بنحو تسعة عناوين مهمة، بخلاف الكتب المغربية التي تذيلت الترتيب، وجاءت ممثلة في عنوانين فقط للقاضي عياض، بينما احتلت الكتب المشرقية المرتبة الثانية، بأربعة كتب تاريخية فقط، الأمر الذي يشير إلى غياب مجموعة كبيرة من الأعمال المشرقية المهمة في التكوين التاريخي للمنتوري، خصوصاً إذا قورنت بالمجموعة المتميزة التي يرويها التحجبي، ومعاصره الوادي آشي، وحتى مرويات شيخه السراج.

والمؤكد أن لذلك الغياب، علاقة مباشرة بعامل الرحلة وطلب المشيخة، فالمنتوري لا تعرف له رحلة سوى تلك التي قاده إلى مدينة فاس، واتصل هناك بشيوخه الفاسيين، وقرأ عليهم مواد تاريخية، أما باقي شيوخه المذكورين في فهرسته، من المنتمين إلى بعض الحواضر المغربية، منها مراکش<sup>(2)</sup>، وبونة<sup>(3)</sup>، وتونس<sup>(4)</sup>، وحتى المشرقية على غرار مدينة القاهرة<sup>(5)</sup>، فقد كتبوا له بالإجازة فقط، ولم يتصل بهم بشكل مباشر، وتوضيحا لنسبة توزيع المواد التاريخية

(1) - معرفة عناوين هذه الأعمال. أنظر: المنتوري، مصدر سابق، ص ص 150 - 156، 203 - 205.

(2) - معرفة هوية شيخه الذي كتب له بالإجازة من مراکش. أنظر: المصدر نفسه، ص ص 86، 170.

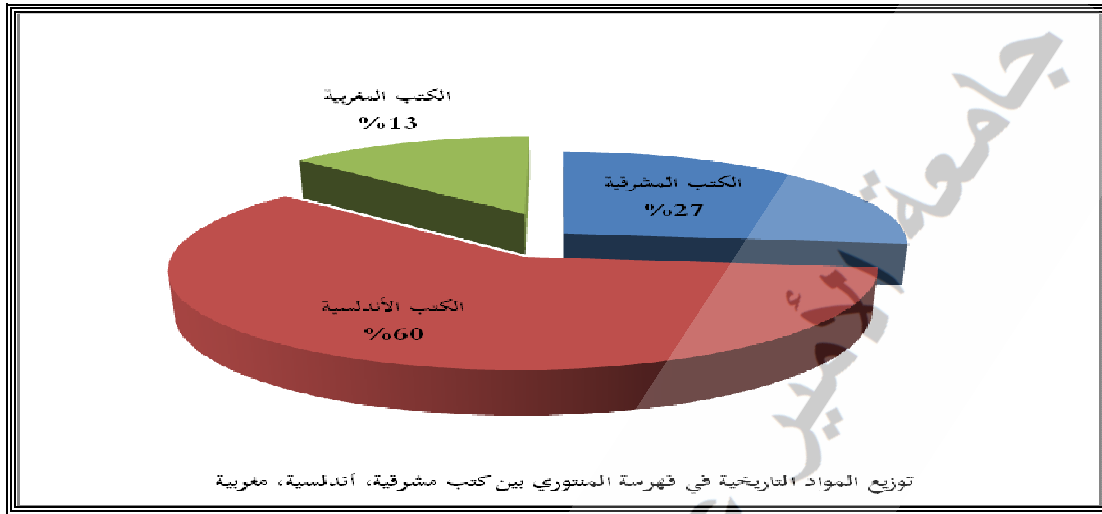
(3) - معرفة هوية شيخه الذي كتب له بالإجازة من بونة. أنظر: المصدر نفسه، ص 392.

(4) - معرفة هوية شيخه الذي كتب له بالإجازة من تونس. أنظر: المصدر نفسه، ص 393.

(5) - معرفة هوية شيوخه الذين كتبوا له بالإجازة من القاهرة. أنظر: المصدر نفسه، ص ص 68، 103، 116، 123، 136،

139، 150، 151، 158.

في فهرسة المنتوري بين الكتب المشرقية، والأندلسية، والمغربية، إليك التمثيل البياني التالي:



ما ينبغي التأكيد عليه، أنه بالرغم من تلقي المنتوري لمواد مختلفة ومنوعة في مختلف فروع المعرفة الشرعية، على عدد من شيوخه بمدينة غرناطة، إلا أن الملفت للانتباه، أن أكبر مجموعة من الكتب التاريخية المصرح بها في هذه الفهرسة، تلقاها المنتوري أثناء إقامته بمدينة فاس، في مجالس إقراء شيوخها المبرزين، منهم شيخه السراج الفاسي، وبالتدقيق أكثر في هوية الحواضر العلمية التي دعمت معارفه التاريخية، استنادا إلى المعلومات المهمة التي استخرجتها من فهرسته، إليك أرقام الجدول التالي:

الحاضرة	عدد الكتب التاريخية المروية	الصفحة من الفهرسة
غرناطة	6	153، 155، 156، 203، 205.
فاس	12	150، 152، 153، 154، 155، 156، 204، 205.
القاهرة	2	150، 151.

يظهر الجدول أعلاه، أهمية الحاضرة الفاسية التي نشطت بها عملية تلقين مواد تاريخية في حلقة شيوخها المتصدرين للإقراء في نهاية القرن 8 هـ/ 14 م، ومطلع القرن 9 هـ/ 15 م، وبالتأكيد فإن طبيعة هذه المواد التاريخية، تركز على كتب السيرة، وتراجم رواة العلم، الأمر الذي يتماشى والتوجهات الفكرية، الداعمة للتيار الديني في تلك المرحلة الوسيطة المتأخرة، هذا وتؤكد قراءة المنتوري لنحو 12 كتابا في فروع المعرفة التاريخية، بالحاضرة المرينية فاس، على الحضور البارز لهذه الحاضرة واستمرار دورها الريادي في تلقين مواد تاريخية إلى القرن 9 هـ/ 15 م، مستندة في ذلك على نشاط المشيخة الأندلسية والمغربية أيضا.

ب- مكانة المواد التاريخية في فهرسة الرصاع (ت 894 هـ / 1488 م): تلمساني المولد، تونسي النشأة، تطرق في فهرسته إلى شيوخه الذين اتصل بهم في مدينتي تلمسان وتونس منذ مراحل مبكرة، كما تضمنت هذه الأخيرة الكثير من الفوائد التاريخية، خصوصا تلك المتعلقة بطريقة تلقين بعض مواد الحديث والفقہ، ناهيك عن طرق تحفيظ القرآن الكريم<sup>(1)</sup>، يضاف إليها تسميته لبعض أماكن الإقراء، التي كان يتردد عليها الطلبة في مدينتي تلمسان، وتونس، على غرار (المسيد<sup>(2)</sup> - دويرية الجامع<sup>(3)</sup> - الزاوية<sup>(4)</sup> - المدرسة<sup>(5)</sup> - البيوت<sup>(6)</sup>)، في مقابل ذلك قلّت عنايته بذكر سلاسل أسانيد كتبه، فقد اقتصر فقط على ذكر أسماء شيوخه، وبعض المواد التي قرأها عليهم في إشارات باهتة، الأمر الذي أثر بشكل سلبي في إمكانية الكشف على طبيعة المواد التاريخية التي قرأها بحاضرة الزيانيين تلمسان، والحاضرة الحفصية تونس في النصف الثاني من القرن 9 هـ / 15 م، هذا وقد سيطرت على مروياته في الدراسات القرآنية، وعلوم الحديث، والفقہ، والنحو، وعلوم اللغة، وبعض فروع المعرفة العقلية، خصوصا منها كتب الحساب والمنطق<sup>(7)</sup>.

وما يمكن تسجيله على مكانة المواد التاريخية في هذه الفهرسة، أنها غائبة تماما عن التكوين العلمي الذي عرضه الرصاع فيها، باستثناء كتابين ذكرهما في موضوع السيرة النبوية هما: كتاب "الشفاء" للقاضي عياض الذي يحمله على اثنين من شيوخه، أحدهما بطريق الفقيه أبي

(1) - من الأمثلة على ذلك، وصفه الدقيق لمجلس شيوخه أبي زيد عبد الرحمن السنوسي، بأحد مساجد مدينة تلمسان القريبة من منزله. حوله أنظر: الرصاع، مصدر سابق، ص 43.

(2) - المصدر نفسه، ص ص 14، 16، 19.

(3) - المصدر نفسه، ص ص 56، 179.

(4) - المصدر نفسه، ص 30.

(5) - المصدر نفسه، ص ص 60، 140، 141، 157، 176.

(6) - يذكر الرصاع، أن شيوخه أبا العباس أحمد البسيلي، أحد شيوخ مدرسة الحكيمية بتونس، كان كثيرا ما يقرأ في سقيفة داره. أنظر: المصدر نفسه، ص 177.

(7) - أشير هنا إلى محتوى النصيحة التي أشار بها الشيخ ابن عقاب لوالد الرصاع، بعد أن علم بنوعية المواد التي كان يتعاطاها ابنه صاحب الفهرسة، في مرحلة مبكرة من حياته، والمتمثلة في علوم "العربية والبيان والمنطق والفرائض والحساب والأصول وبعض كتب الفقہ"، أين أدلى هذا الشيخ بنصيحته إلى الوالد قائلا "لا تتركه ينقطع للمعقول أعنه على الجد في كتب الفقہ... فسأله الوالد عن أي كتاب ألامه في الفقہ؟ فقال المدونة بشرحها لابن يونس". لمعرفة المزيد حول هذا النص ومحتواه. أنظر: المصدر نفسه، ص 148.

عبد الله بن عقاب (ت 851 هـ / 1447 م) <sup>(1)</sup>، والثاني بطريق الفقيه أبي القاسم البرزلي (ت 841 هـ / 1437 م)، كان ذلك سنة 834 هـ / 1430 م <sup>(2)</sup>، أما الثاني فهو كتاب "الشمائل" للترمذي <sup>(3)</sup>، ويرويه بطريق شيخه البرزلي، وقد جاءت الإشارة إلى الكتابين في سياق تسمية الرصاع لمروياته في علوم الحديث <sup>(4)</sup>، الأمر الذي يشير إلى التراجع الملحوظ في مكانة المواد التاريخية المتداولة في الحلقة في نهاية القرن 9 هـ / 15 م.

ينسحب هذا التراجع على باقي الأعمال الفهرسية المتأخرة، على غرار فهرسة الفقيه ابن غازي المكناسي، الموسومة بـ "التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد"، فعلى أهمية المواد المعروضة في هذه الفهرسة، التي يرويها مصنفها على شيوخه وذكره لسلاسل أسانيد، فقد سيطرت عليها علوم الشريعة، وبشكل لافت علوم الفقه والحديث، ولم تتعد مكانة المواد التاريخية، سوى تداول كتاب "الشفاء"، و"الشمائل"، و"سيرة" ابن إسحاق تهذيب ابن هشام.

أما مرويات معاصره أبي جعفر أحمد البلوي الوادي آشي (ت 938 هـ / 1531 م) <sup>(5)</sup>، الأندلسي الأصل، الذي كان بالحاضرة الزيانية تلمسان بين سنوات 894 - 896 هـ / 1488 - 1490 م، واتصل بعدد من شيوخها المرزبين، منهم بعض المهتمين بالخبر التاريخي، على غرار شيخه الحافظ التنسي (ت 899 هـ / 1493 م)، الذي يعود تاريخ اتصاله به إلى سنة 895 هـ /

(1) - من تلامذة الشيخ ابن عقاب الذين قرؤوا عليه كتاب "الشفاء"، تلميذه الشيخ ابن مرزوق الكفيف (ت 901 هـ / 1495 م). أنظر: المصدر نفسه، ص 154. أبو جعفر البلوي، مصدر سابق، ص 310.

(2) - أنظر: الرصاع، مصدر سابق، ص 56، 60. واستنادا إلى عدد من الإشارات المتناثرة في بعض المصادر، يمكن تفصي ثلاث طرق للبرزلي في رواية كتاب "الشفاء": إحداهما بطريق شيخه الفقيه ابن عرفة الورغمي (ت 803 هـ / 1400 م)، وشيخه أبو العباس الموماني، وشيخه ابن مرزوق الخطيب (ت 781 هـ / 1379 م). لمزيد من التفصيل أنظر: المصدر نفسه، ص 84، 90، 101. ابن مريم المليبي، مصدر سابق، ص 289، 281.

(3) - يروي البرزلي كتاب "الشمائل" بسند مشرق، حصل له ذلك في أثناء رحلته إلى البلاد المشرقية. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص 105.

(4) - المواد التي قرأها الرصاع على شيخه البرزلي هي: "تجويد القرآن"، و"قصيدة "حز الأمان"، و"قصيدة و"عقيلة أتراب القصائد في رسم المصحف"، و"رسالة" ابن أبي زيد القيرواني الفقهية، والكتب الستة في الحديث، و"الشفاء" للقاضي عياض، و"موطأ" الإمام مالك. أنظر: المصدر نفسه، ص 57-60. كما فضل ذكر سلاسل أسانيد كتب الحديث التي قرأها عليه. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص 95-105.

(5) - أنظر ترجمته: أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 138.

1489 م<sup>(1)</sup>، ورغم قائمة المؤلفات الكثيرة التي قرأها عليه في مجلسه الذي كان يعقده بالمدرسة اليعقوبية، بما فيها بعض أعماله المهمة<sup>(2)</sup>، إلا أنه لا يشير فيها إلى نظمه التاريخي "نظم الدرر والعقيان"، يأتي هذا الغياب بالرغم من معرفة البلوي بهذا الكتاب، وإطلاعه على إحدى نسخه النفيسة، التي كانت تقع في سفر كبير استنادا إلى شهادته المهمة في ثبته<sup>(3)</sup>، هذا وقد انتشرت نسخ "نظم الدرر" في الحاضرة الزيانية بعيد صدورها زمن المؤلف<sup>(4)</sup>، نعرف منها إضافة إلى النسخة التي رفعها مصنفها للخزانة السلطان أبي ثابت التي أشرت إليها في وقت سابق، والنسخة التي اطلع عليها تلميذه البلوي، كذلك وصلتنا اليوم من نسخه، تلك التي وقع الفراغ منها سنة 882 هـ / 1477 م<sup>(5)</sup>، ونسخة ثانية بخط أحد تلامذة التنسي، وقع الفراغ من نسخها سنة 885 هـ / 1480 م<sup>(6)</sup>.

في مقابل ذلك اقتصرت المرويات التاريخية للبلوي المذكورة في ثبته، على ثلاثة كتب في

(1) - استنادا إلى التاريخ الذي قيده التنسي، في نهاية نص الإجازة التي كتب بها لتلميذه البلوي. حولها أنظر: أبو جعفر البلوي، مصدر سابق، ص 319.

(2) - المواد التي قرأها أبو جعفر البلوي على شيخه التنسي، جاءت موزعة على علوم التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، وعلوم اللغة والشعر، منها: "تفسير القرآن مما ذكره المفسرون" من اجتهاد الحافظ التنسي نفسه، كتاب مسلم، كتاب ابن الحاجب، و"التهذيب"، و"مغنى اللبيب"، كذلك كتاب "الألفية"، و"الجميل"، و"الكامل" للمبرد، وعدد من القصائد، منها ما هو من نظم التنسي نفسه. لمزيد من التفصيل أنظر: المصدر نفسه، ص 319-320.

(3) - المصدر نفسه، ص 372.

(4) - تعتبر نسخة "نظم الدرر والعقيان" التي نسخها المقرئ التلمساني بخطه في 24 رمضان سنة 1008 هـ / 7 أبريل 1600 م، إحدى النسخ الموثقة عن أصل المؤلف التنسي الذي كتبه بخطه. وهي إحدى نفائس الخزانة الحسنية بالرباط وتوجد تحت رقم (1072). حولها أنظر: محمد عبد الله عنان وآخرون: فهارس الخزانة الحسنية (قسم التاريخ والرحلات والإجازات)، المطبعة الملكية، الرباط، 2000، 2/ 1080.

(5) - هذه النسخة العتيقة من نفائس الخزانة الحسنية بالرباط، توجد تحت رقم (12187). حولها أنظر: المرجع نفسه، 2/ 1079.

(6) - يبدو أن هذه النسخة النفيسة التي وقع الفراغ من نسخها في 3 صفر 885 هـ / 13 أبريل 1480 م، بخط تلميذ التنسي الناسخ أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن جلول، وهي إحدى الأصول التي انبثقت عنها نسخة علي بن الحسن بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن رحمون الحسني العلمي دارا ومنشأ، وقد وقع الفراغ من نسخها في 17 صفر 1043 هـ / 22 أوت 1633 م، جاء ذلك في نهاية هذه النسخة المحتفظ بها في المكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (ق 444)، وهي إحدى النسخ التي اعتمدها محقق الكتاب محمود بوعباد، وقام بدراساتها في مقدمة تحقيقه لنظم الدرر والعقيان، ص 87.



السيرة، وهي كتاب "الشفاء" <sup>(1)</sup>، و"الشمائل" <sup>(2)</sup>، كلاهما يرويها بطريق شيخه التلمساني ابن مرزوق الكفيف (ت 901 هـ / 1495 م)، وكتاب "مفاخر الإسلام في فضل الصلاة على النبي ﷺ"، يرويها بطريق شيخه مؤلف الكتاب، ابن سعد التلمساني الأنصاري (ت 901 هـ / 1495 م).

وبالجمل، فعلى كثرة الأعمال الفهرسية التي يحفل بها القرن 9-10 هـ / 15-16 م، إلا أنها لا تحمل جديدا على مستوى طبيعة المواد التاريخية، ومكانتها المحدودة ضمن باقي مواد الفهرسة، خصوصا وأن معظمها قد انتهج أسلوب الاختصار في عرض مواد القراءة، وقلة العناية بالإسناد وطلب الرواية، وتركزت العناية أكثر على بعض دواوين السيرة في مقدمتها "شمائل" الترمذي، و"سيرة" ابن إسحاق، و"الشفاء" للقاضي عياض، وهكذا فإن كتب البرامج وفهارس شيوخ المغرب المتأخرة، قد عبّرت وبشكل واضح عن ذلك التوجه الديني الذي أحكم سيطرته على المنظومة التعليمية المغربية، في اعتمادها على بعض المواد التاريخية المرتبطة بعلوم الشريعة أساسا، واعتبارها مواد أساسية في عملية التلقين.

من خلال تبني لأهم كتب البرامج والفهارس المغربية المنجزة خلال القرنين 8-10 هـ / 14-16 م، فقد أصبح بوسعي الآن استخلاص بعض نتائج المهمة، حول مكانة المواد التاريخية في مجالس الإقراء في كبريات الحواضر المغربية، أجملها على النحو التالي:

- استطاعت بعض المواد التاريخية، أن تحجز لها مكانة معتبرة بين باقي المواد المتداولة في الحلقة، اكتسبت ذلك بفعل اتصال بعض فروعها بالعلوم الشرعية خصوصا علوم الحديث، حيث أجد كتب السيرة النبوية وتراجم رواة العلم، من أهم الأنماط التاريخية الأكثر رواجاً داخل الحلقة في بلاد المغرب في نهاية المرحلة الوسيطة، ويكفي في هذا مراجعة الجداول الإحصائية السابقة.

- أثار مسألة الرحلة إلى بلاد المشرق وطلب المشيخة خلال القرن 8 هـ / 14 م، نقطة حساسة وبالغة التأثير في طبيعة المواد التاريخية المنتشرة في حلقة شيوخ المغرب، وبصرف النظر عن تلك المجموعة الكبيرة من المؤلفات التاريخية التي تم تداولها في الحواضر المشرقية من قبل بعض الشخصيات المغربية في أثناء رحلاتهم الحجازية (القاهرة-الإسكندرية-مكة-دمشق)، فمن دون

(1) - أبو جعفر البلوي، مصدر سابق، ص 281-284.

(2) - المصدر نفسه، ص 220-223.

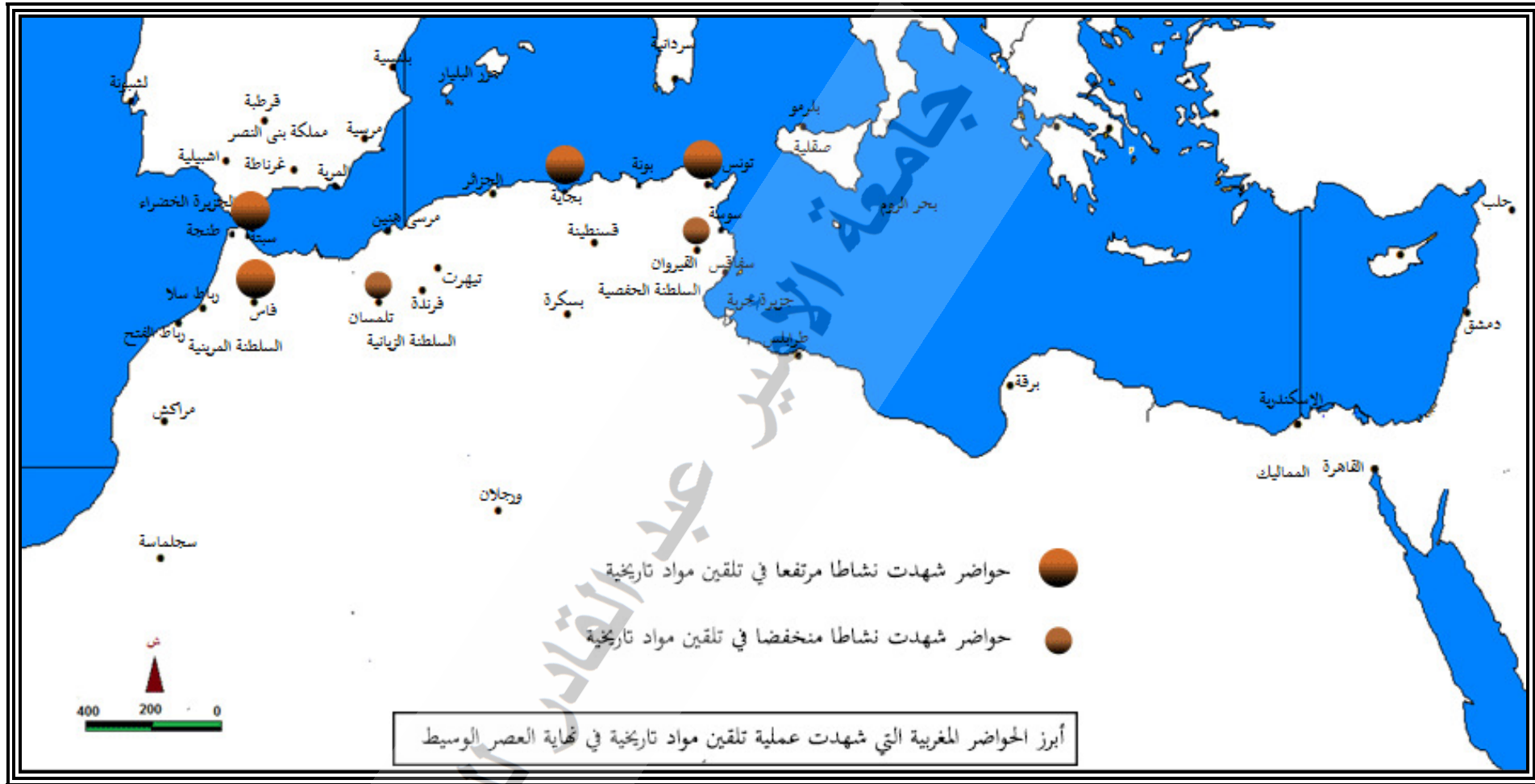
## الفصل الثالث ————— مكانة المعارف التاريخية في تصانيف العلوم و مجالس الإقراء

شك فقد أثبت التيار التاريخي المشرقي تأثيره الكبير في مواد التلقين داخل حلقة شيوخ المغرب خلال القرن 8 هـ/ 14 م، لكن يبدو أن الأعمال التاريخية المشرقية قد انخفض مستوى تداولها في المراحل اللاحقة، حتى أصبحت تكاد تنحصر في سيرة ابن إسحاق، وشمائل الترمذي.

- يبدو أن القرن 8 هـ/ 14 م، يعتبر أخصب القرون الهجرية الوسيطة المتأخرة، الذي عرفت فيه الحواضر المغربية نشاطا مهما في عملية تلقين مواد تاريخية، أين نجد (سبتة- فاس- تلمسان- تونس- بجاية)، ليتراجع مستوى تداولها في المراحل اللاحقة، وباستعادة أرقام الجداول التي أنجزتها سابقا، المتعلقة بمجموع الكتب التاريخية التي قرأها كل من التجيبي، والوادي آشي، والمنتوري، تحصلت على النتائج التالية:

الخاصة	عدد المؤلفات التاريخية المدروسة بها	هوية البرنامج
تونس	10	برنامج الوادي آشي
	4	برنامج التجيبي
فاس	12	فهرسة المنتوري
بجاية	12	برنامج التجيبي
سبتة	10	برنامج التجيبي

بالاستعانة بالمعطيات الفهرسية التي جمعتها حول عملية تلقين المواد التاريخية في حواضر بلاد المغرب في نهاية العصر الوسيط، أنجزت الخريطة التوضيحية التالية:



### المبحث الثالث:

#### طبيعة المواد التاريخية المتداولة في حلقة شيوخ المغرب:

النتائج المتحصل عليها من خلال التحليل المعمق الذي أجرته على مجموعة مهمة من كتب البرامج وفهارس المغرب الإسلامي الوسيط، والمنجزة في المرحلة الوسيطة المتأخرة، قد سلطت الضوء بشكل واسع على حقيقة المكانة المحتشمة التي احتلتها المواد التاريخية ضمن مجموع مواد التلقين المتداولة في الحلقة، وإذا تقرر لديّ الأهمية التي حازت عليها بعض الأنماط التاريخية المتصلة بعلوم الحديث، فيلى أي مدى استطاعت بعض المصنفات التاريخية أن تفرض سيطرتها على مواد التلقين في المنظومة التعليمية المغربية في تلك المرحلة الحساسة؟ ما هي طرق تلقين المواد التاريخية المعتمدة في الحلقة؟ هذا ناهيك عن البحث في هوية الشيوخ الذين لعبوا دورا حاسما في عملية التلقين وأماكن الإقراء.

#### 1. دواوين السيرة النبوية تحفظ بمكانتها المتقدمة إلى المراحل الوسيطة المتأخرة:

أثبتت مواد السيرة النبوية سيطرتها على باقي الأنماط التاريخية التي جرى تداولها في حلقة شيوخ المغرب على امتداد المرحلة الوسيطة، وتظهر كتب الفهارس المغربية ذلك التنوع في طبيعة العناوين المعتمدة في عملية التلقين بين مصنفات مشرقية، وأندلسية ومغربية، والسؤال الذي سوف تتم مناقشته في هذه المرحلة، يبحث في عناوين كتب السيرة النبوية الأكثر تداولاً في نهاية المرحلة الوسيطة؟

#### أ- الدواوين المشرقية في السيرة النبوية الأكثر انتشارا في حلقة شيوخ المغرب:

بات متوقعا أن نجد دواوين السيرة النبوية المشرقية، المصنفة خلال القرون الهجرية الأولى، مكررة بأسانيدھا في الكثير من الأعمال الفهرسية المغربية المتأخرة، في مقدمتها "سيرة" ابن إسحاق (ت 151 هـ / 768 م)، التي وصلتنا برواية أبي محمد زياد البكائي (ت 183 هـ / 799 م) <sup>(1)</sup> شيخ مهذب السيرة ابن هشام (ت 218 هـ / 833 م)، وعلى الرغم من تداول بعض الانتقادات اللاذعة التي وجهت إلى مصنفها ابن إسحاق في مراحل متقدمة، خصوصا تلك التي تم

(1) - أنظر ترجمته: أبو القاسم السهيلي: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، مصر، 1967، 40/1-41.

تلفيقها إلى عمدة المذهب المالكي، الإمام مالك بن أنس (ت 179 هـ / 795 م) <sup>(1)</sup> في المراحل اللاحقة، إلا أن ذلك لم يشكل عائقاً في طريق انتشار "السيرة" في معظم أقطار العالم الإسلامي إلى المراحل الوسيطة المتأخرة.

لكن هذا لا ينفي حقيقة وجود صدى لتلك الانتقادات في المراحل الوسيطة المتأخرة، ولو بشكل خافت في الحاضرة الحفصية تونس، وفي خبر ينقله إلينا ابن ناجي التنوخي القيرواني في "تكملة على معالم الإيمان" <sup>(2)</sup>، صرح خلاله بعدم قيام شيخه أبي مهدي عيسى الغبريني (ت 845 هـ / 1441 م)، بتلقي "سيرة" ابن إسحاق في مجلسه، ويفترض في ذلك احتمالين، أحدهما أن يكون لم يطلبه أحد على قراءتها، أو أن الغبريني لم يكن يرى في تدريسها أمراً مناسباً، استناداً إلى موقف الطعن الذي نسب إلى الإمام مالك بن أنس، مع ذلك استطاعت "سيرة" ابن إسحاق أن تجد لها طريقاً واسعاً عند شيوخ أعلام المدرسة المالكية في بلاد المغرب، لتكون بذلك أحد أهم مواد التلقين داخل الحلقة، وكفي هنا أن أستدل على أهميتها بتلك العبارات التي حلاها بها أحد فقهاء المالكية خلال القرن 8 هـ / 14 م، أعني به ابن مرزوق الخطيب (ت 781 هـ / 1379 م)، بقوله "وهو الكتاب العظيم القدر، الشريف المنتمى، وقد اشتمل هذا الكتاب على عدة فوائد منها تفسير الكتاب العزيز، وذكر المعاني التي أنزل فيها، وأخبار رسول الله ﷺ وشرف وكرم من لدن ولادته ونشئه إلى وفاته صلى الله عليه، ومأربه وكثير من اللغة والنسب والشعر وغير ذلك" <sup>(3)</sup>، كما كان الكتاب ضمن قائمة كتب السيرة، التي كان يقرأها ابن مرزوق في مجلس مخدومه السلطان أبي الحسن المريني، وقد صرح في مسنده بعناية السلطان المذكور بالأخبار والسير، ومن

(1) - حول مكانة سيرة ابن إسحاق، والمآخذ التي سجلت على مصنفها في المراحل الأولى. أنظر: شاکر مصطفى، مرجع سابق، ص 160-162. عبد العزيز الدوري، مرجع سابق، ص 26-27.

(2) - جاءت شهادة ابن ناجي، مصدر سابق، 4/156. على النحو التالي "وأما شيخنا أبو مهدي الغبريني فكنت لا أرى أحد يقرأها عليه، فيحتمل أن يكون لم يطلبه أحد على قراءتها، ويحتمل أن يكون لقول مالك في ابن إسحاق مؤلفها: انه رجل كذوب، ونحن نفيناها من المدينة".

(3) - ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 277. أنه هنا على أن هذه الفقرة التي أشاد فيها ابن مرزوق. بمحتوى كتاب السيرة، أحدثها بنصها كاملة في برنامج التحجيج، الذي ختم بها أسانيد في رواية هذا الكتاب. حولها أنظر: التحجيج، مصدر سابق، ص 134.

جملة المؤلفات المتداولة في مجلسه العلمي، يمكنني أن أحصي نحو 15 كتاباً<sup>(1)</sup>، منها أربعة مؤلفات في موضوع السيرة النبوية، وهي على النحو التالي "سيرة" ابن إسحاق تهذيب ابن هشام، و"فتوح الشام" للواقدي (ت 207 هـ / 822 م)، و"الشفا" للقاضي عياض، و"الاكتفاء" لأبي الربيع بن سالم الكلاعي (ت 634 هـ / 1236 م)<sup>(2)</sup>.

تماشياً والمكانة التي حققها هذا الكتاب المشرقي في المجالس العلمية البلاطية خلال القرن 8 هـ / 14 م، كان الوسط العلمي يدفع كذلك باتجاه العناية بهذا الأخير، وقد تم تلقيه في الوسط الفقهي المالكي بشكل واسع، الأمر الذي تؤكدته كتب البرامج وفهارس شيوخ المغرب، وتوضيحاً لذلك إليك الجدول التالي، الذي رصدت فيه ما مجموعه 14 شخصية من أعلام المالكية خلال القرنين 8-10 هـ / 14-16 م، كان لها عناية بتلقي "سيرة" ابن إسحاق في أهم حواضر المغرب (القيروان، وتونس، وبجاية، وتلمسان، وفاس، وسبتة).

التلميذ	الشيخ	طريقة التحمل	الحاضرة	المصدر
التجبي <sup>(3)</sup>	أبو حاتم أحمد العزفي	السماع	سبتة	برنامج التجبي، ص 128
	أبو الحسن بن أبي الربيع	السماع - الإجازة	سبتة	برنامج التجبي، ص 130
	أبو عبد الله الكناني	القراءة - المناولة	بجاية	برنامج التجبي، ص 263
ابن جابر الوادي آشي <sup>(4)</sup>	ابن الغماز	السماع	تونس	برنامج الوادي آشي، ص 224
أبو الحجاج يوسف التسولي (حيا سنة 743 هـ / 1342 م)	الوادي آشي	السماع	غير وارد	فهرسة السراج، ص 535
أبو عبد الله بن أبي عمرو العزفي (ت 768 هـ / 1366 م)	عم والده أبو حاتم العزفي	السماع	سبتة	فهرسة السراج، ص 600
	والده يحيى بن أبي طالب	السماع	سبتة	فهرسة السراج، ص 600
أبو سعيد بن عبد المهيمن الحضرمي	ابن عبد الرفيق (ت 733 هـ / 1332 م)	الإجازة	تونس	فهرسة السراج، ص 635

(1) - قائمة الكتب التي صرح بها ابن مرزوق المتداولة في مجلس السلطان أبي الحسن المريني، أشار إليها في موضعين من مسنده، وقد جاءت موزعة على عدة أصناف من العلوم، في التفسير، والفقه، والحديث، والزهد، والرفائق، والوعظ، وكتب التاريخ، والسيرة. حولها أنظر: ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 138، 277.

(2) - الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ومغازي الثلاثة خلفاء، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتاب، بيروت، 1997، 2 مج.

(3) - ذكر التجبي، مصدر سابق، ص 130، 131. قراءته لكتاب السيرة مرتين في أثناء تواجده بمصر، الأولى بالإسكندرية سنة 690 هـ / 1291 م، والثانية بالقرافة.

(4) - يروي كذلك الوادي آشي، مصدر سابق، ص 213-314. كتاب "السيرة" بسند مشرفي.

				(ت 787 هـ / 1385 م)
241	تلمسان	القراءة	والده أبو عبد الله الشريف (ت 771 هـ / 1369 م)	أبو محمد عبد الله الشريف التلمساني (ت 792 هـ / 1389 م)
342	فاس	السمع - الإجازة	أبو الحسن بن سليمان القرطبي (ت 730 هـ / 1329 م)	أبو عبد الله محمد بن عمر اللخمي (ت 794 هـ / 1391 م)
40	تونس	السمع - الإجازة	ابن عبد المهيمن الحضرمي (ت 749 هـ / 1348 م)	ابن خلدون
111 / 4، 155	القيروان	القراءة	أبو عبد الله محمد الرماح (ت 749 هـ / 1348 م)	أبو مهدي عيسى الصميلي
156 / 4	القيروان	القراءة	أبو محمد عبد الله الشيبني (ت 782 هـ / 1380 م)	ابن ناجي القيرواني
156 / 4	القيروان	القراءة	أبو محمد الشيبني	أبو القاسم البرزلي (ت 841 هـ / 1447 م)
151	فاس	السمع - الإجازة	أبو عبد الله محمد اللخمي	أبو عبد الله المنتوري <sup>(1)</sup>
113	تونس	السمع - الإجازة	ابن مرزوق الحفيد (ت 842 هـ / 1438 م)	عبد الرحمن الثعالبي (ت 875 هـ / 1470 م)
65 - 66	فاس	السمع	أبو عبد الله القوري (ت 872 هـ / 1467 م)	ابن غازي المكناسي
107	فاس	القراءة	أبو عبد الله محمد بن السراج <sup>(2)</sup>	

انطلاقاً من معطيات الجدول أعلاه، وسعيًا مني للكشف على أهم أسانيد المغاربة في رواية كتاب السيرة، وإمطة اللثام عن هوية الشيوخ الذين كان لهم دور في تلقين "السيرة" عبر مختلف مراحل الفترة الوسيطة، منذ دخولها إلى بلاد المغرب خلال القرن 3 هـ / 9 م، قمت بانجاز شجرة لأهم أسانيد أعلام المغرب المتأخرين في رواية الكتاب، وبالتأكيد كان الاعتماد فيها بشكل أساسي على معطيات كتب البرامج وفهارس الغرب الإسلامي الوسيط، هذا بالإضافة إلى الاستعانة

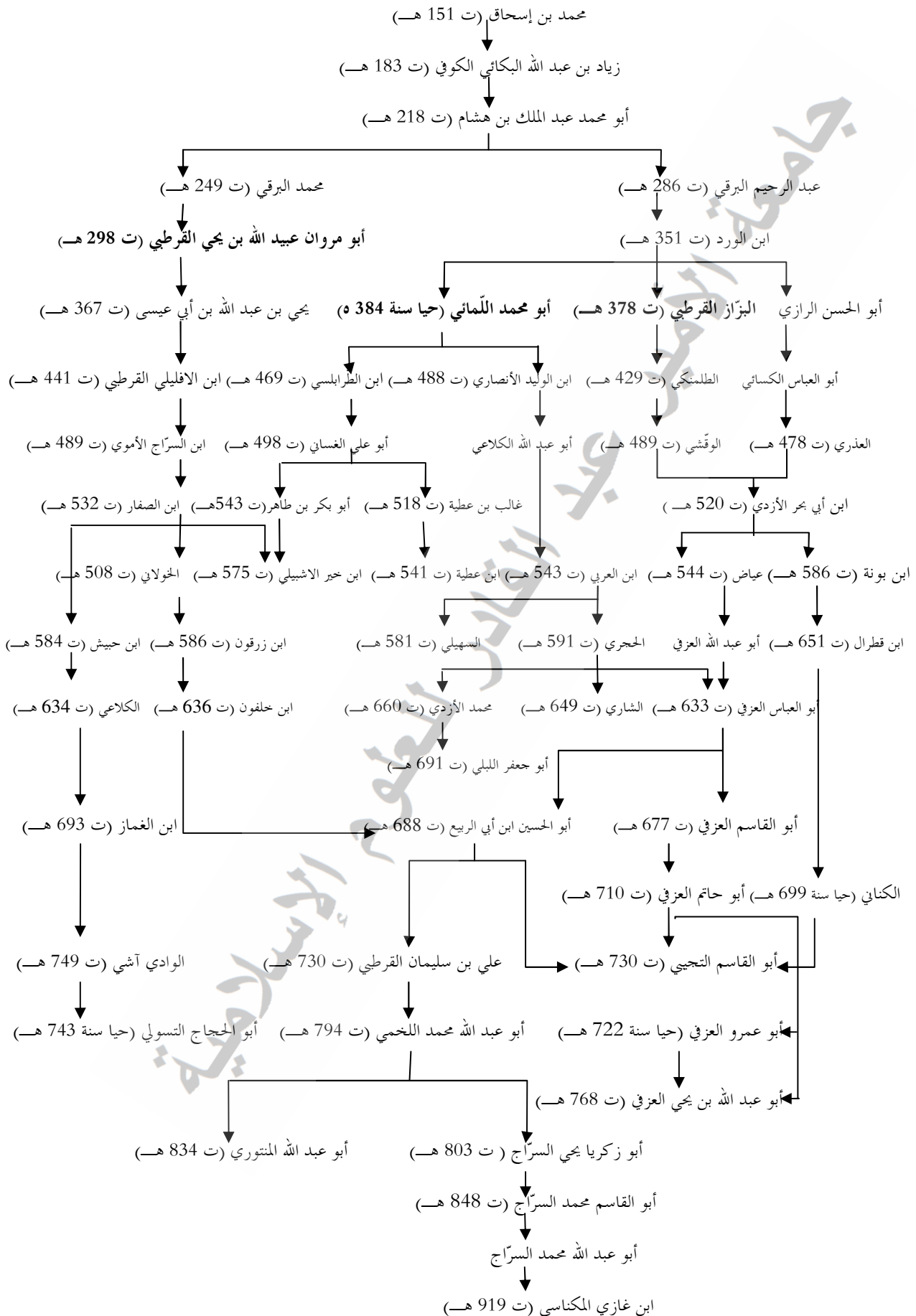
(1) - يذكر كذلك المنتوري، مصدر سابق، ص 151. سنده المشرقي في رواية كتاب "السيرة".

(2) - يروي أبو عبد الله محمد بن السراج كتاب "السيرة" عن والده محمد السراج عن جده أبي زكريا يحيى السراج، صاحب الفهرسة.

بكتب التراجم والطبقات، التي تضمنت إشارات مهمة، تؤكد على قيام العديد من شيوخ الغرب الإسلامي الوسيط بتلقين "السيرة"، على أن تركيزي في هذه الشجرة هو تتبع سلاسل أسانيد المغاربة فقط، وأهملت تلك الأسانيد المقطوعة، ناهيك عن الكثير من طرق رواية الكتاب للشيوخ الأندلسيين، على النحو التالي:

مكتبة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية





النتائج المتحصل عليها من خلال شجرة أسانيد المغاربة في رواية كتاب "السيرة":

– تكشف شجرة الأسانيد أعلاه، عن هوية ثلاث شخصيات علمية بارزة، أدخلت كتاب "السيرة" إلى منطقة الغرب الإسلامي الوسيط خلال القرنين 3- 4 هـ / 9- 10 م، اثنين منهم ينتميان إلى الحاضرة القرطبية الذائعة الصيت، حيث يعتبر إسناد الراوية أبي مروان عبيد الله بن يحيى القرطبي (ت 298 هـ / 910 م) <sup>(1)</sup> من أقصر طرق رواية الكتاب إلى مهذبه خلال القرن 3 هـ / 9 م، على الأقل على مستوى هذه الشجرة، فهو يروي الكتاب مباشرة عن أحد أبرز تلاميذ ابن هشام "مهذب السيرة"، وهو محمد بن عبد الرحيم البرقي (ت 249 هـ / 863 م) <sup>(2)</sup> الذي التقى به في البلاد المصرية، وإلى وقت متأخر من القرن 4 هـ / 10 م، يرد علينا إسناد ثان، متصل بابن بلدته القرطبي الأصل، أبو جعفر أحمد بن عون الله البزاز (ت 378 هـ / 988 م) <sup>(3)</sup>، الذي توجه حاجا إلى بلاد المشرق وفي مصر اتصل بشيخه راوي "السيرة"، الشيخ ابن الورد البغدادي المصري (ت 351 هـ / 962 م) <sup>(4)</sup>، وقرأ عليه الكتاب.

في مقابل ذلك أظهرت المدرسة القيروانية عنايتها بـ "سيرة" ابن إسحاق، يأتي ذلك بالتزامن مع تنامي سلطة فقهاء المالكية في منطقة افريقية الزيرية بعد وصول الفرع الباديبي إلى العرش، وتظهر شجرة الأسانيد أعلاه، تلميذ ثان لراوي السيرة ابن الورد البغدادي المصري، وهو

<sup>(1)</sup> – أورد ابن الفرضي (ت 403 هـ / 1012 م)، ترجمة مقتضبة للراوية أبي مروان القرطبي في تاريخه، أشار فيها إلى رحلته المشرقية، وفي مصر كان لقاؤه بشيخه محمد بن عبد الرحيم البرقي (ت 249 هـ / 863 م)، وقرأ عليه كتاب "السيرة"، وورد الكتاب تحت عنوان "مشاهد ابن هشام"، كما أشار ابن الفرضي إلى أبرز تلاميذه ممن أخذوا عنه الكتاب بالأندلس، وهو قريبه أبو العباس يحيى بن عبد الله بن أبي عيسى (ت 367 هـ / 977 م) وقد قرأ عليه تلميذه ابن الفرضي مجموعة من المؤلفات سنة 366 هـ / 976 م. لمزيد من التفصيل. أنظر: ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق السيد عزت العطار، ط2، مطبعة المدني، القاهرة، 1988، 1/ 292-293. 2/ 190.

<sup>(2)</sup> – خصص له القاضي عياض ترجمة مقتضبة في كتابه ترتيب المدارك، 1/ 152. كما أشار إليه في أثناء حديثه عن أسانيد المتعددة في رواية كتاب "السيرة" في برنامج شيوخه. حولها أنظر: القاضي عياض: الغنية في شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص 206-207.

<sup>(3)</sup> – من شيوخ ابن الفرضي (ت 403 هـ / 1012 م)، وقد أورد له ترجمة متوسطة في تاريخه، أكد خلالها على سماع شيخه البزاز للكتاب بمصر على شيخه الراوية ابن الورد البغدادي المصري. لمزيد من التفصيل أنظر: ابن الفرضي: مصدر سابق، 1/ 67-68.

<sup>(4)</sup> – أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد بن زنجويه البغدادي ثم المصري راوي "السيرة". أنظر ترجمته: ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، 4/ 270.

الراوية أبو محمد عبد الله بن محمد اللّمائي<sup>(1)</sup> (حيا سنة 384 هـ / 994 م)، كما يبدو من نسبته أنه يعود بأصوله البربرية إلى "لماية" البترية<sup>(2)</sup>، ويفهم من الترجمة التي خصصها له في وقت متأخر ابن بلدته الدباغ في معالمة<sup>(3)</sup>، أنه كان من أهل القيروان، من تجارها الميسوري الحال، وأحد أصحاب الفقيه المالكي الذائع الصيت، أبو الحسن القابسي (ت 403 هـ / 1012 م)، كما أكد الدباغ في هذه الترجمة على اتصال اللّمائي بشيخه ابن الورد في الديار المصرية، وقراءته لكتاب "السيرة" تهذيب ابن هشام.

استنادا إلى معطيات بعض برامج وفهارس الغرب الإسلامي الوسيط، تأكد لديّ قيام الراوية اللّمائي بعد عودته من الرحلة المشرقية، بتدريس "السيرة" لاثنين من تلاميذه بالحاضرة القيروانية، أحدهم أشار إليه التحجبي في سلسلة أسانيد، وهو ابن الوليد الأنصاري (ت 488 هـ / 1095 م)<sup>(4)</sup> الأندلسي الأصل، مستوطن البلاد المصرية، وقد صرح التحجبي بمكان القراءة عليه، وهي الحاضرة القيروانية، كما ضبط تاريخ القراءة الذي كان خلال سنة 384

(1) - وردت تسميته بـ "اللّمائي"، في عدد من المصادر المغربية، على غرار: ابن عطية المحاربي: فهرسة شيوخه، تحقيق محمد أبو الأحناف، ومحمد الزاهي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 70. كذلك الدباغ، مصدر سابق، 3/ 144. كذلك التحجبي، مصدر سابق، ص 130، 131. في حين وردت تسميته بـ "ابن اللقائي" عند ابن خير الاشبيلي: مصدر سابق، ص 289.

(2) - تعتبر من أبرز فروع البتر الساكنين بمنطقة افريقية، خلال القرون الهجرية الأولى، ممن تمذهبوا بمذهب الاباضية في وقت مبكر. حولها أنظر: ابن خلدون، العبر، 6/ 120، 147، 158-161.

(3) - مصدر سابق، 3/ 144.

(4) - هو أبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري (ت 488 هـ / 1095 م)، وباعتباره أحد شيوخ أبو عبد الله محمد الرازي (ت 525 هـ / 1130 م)، فقد أورد له أبو طاهر السلفي (ت 576 هـ / 1180 م)، ترجمة مقتضبة في المشيخة التي جمعها لشيخه الرازي، وقد أشار إليه بالقول "الفقيه على مذهب الإمام مالك... كان من سادات المغاربة وفضلائهم". حوله أنظر: أبو طاهر السلفي: مشيخة أبي عبد الله محمد الرازي، تحقيق الشريف حاتم بن عارف العوني، دار المحجرة، الرياض، 1994، ص 191. ويحسن بي هنا، أن أشير إلى ثلاثة من تلامذة ابن الوليد الأنصاري ممن يحملون عنه كتاب "السيرة" بإسناد شيخه اللّمائي، اثنين من أصول أندلسية: الأول تلميذه الفقيه ابن الطلائع القرطبي (ت 497 هـ / 1103 م)، أما الثاني فهو تلميذه نزيل الإسكندرية، أبو عبد الله محمد بن الفضل الحضرمي (ت 510 هـ / 1116 م)، كلاهما معدود ضمن شيوخ ابن عطية المحاربي، ممن يروي عنهم كتاب "السيرة" بطريق الإجازة، وقد كانت إجازة شيخه ابن الطلائع سنة 497 هـ / 1103 م. لمزيد من التفصيل أنظر: ابن عطية المحاربي، مصدر سابق، ص 91، 93، 115. أما التلميذ الثالث لابن الوليد الأنصاري، فهو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن فاتك المصري، الذي يروي الكتاب على شيخه سماعا بمصر سنة 443 هـ / 1051 م. حوله أنظر: التحجبي، مصدر سابق، ص 131.

هـ/994م<sup>(1)</sup>، أما التلميذ الثاني، فهو القرطبي الأصل، أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي (ت 469 هـ / 1076 م)<sup>(2)</sup> الذي يظهر في أسانيد ابن خير الاشبيلي (ت 575 هـ / 1189 م)<sup>(3)</sup>، وابن عطية المحاربي (ت 541 هـ / 1146 م)<sup>(4)</sup>، من دون أن نعرف تاريخ ومكان القراءة على وجه الدقة<sup>(5)</sup>.

المؤكد أن كتاب "السيرة"، كان يحظى بعناية كبيرة من قبل شيوخ المالكية بالقيروان، بعد وصوله إلى المنطقة بطريق الشيخ اللّمائي، وان كنت لا أملك الكثير من المعطيات التاريخية التي قد تسعفني في مراقبة طرق انتقال الكتاب في المراحل الوسيطة اللاحقة في الحاضرة القيروانية، لكن مراجعتي لبعض الأخبار التي نقلها إلينا ابن ناجي التنوخي في هذا الخصوص، تدفع في مجملها باتجاه التأكيد على المكانة المتميزة التي حظي بها كتاب "السيرة" في الوسط الفقهي بالقيروان، خلال القرنين 8-9 هـ / 14-15 م، فقد أكد في عدد من تصريحاته المهمة، على قيام بعض شيوخ المالكية بإقراءها في جامع القيروان في مواعيد معلومة، ويعتبر الشيخ أبي عبد الله محمد الرماح (ت 749 هـ / 1348 م)، من أبرز الشيوخ القيروانيين الذين خصصوا لها دولة بالجامع

(1) - أنظر: المصدر نفسه، ص 131.

(2) - أنظر ترجمته: ابن بشكوال: الصلة، ضبط وتعليق صلاح الدين الهوارى، المكتبة العصرية، بيروت، 2009، 143-141/1.

(3) - أورد ابن خير الاشبيلي، مصدر سابق، ص 289-292. أسانيد كثيرة في روايته لكتاب "السيرة"، منها سنده الذي يتصل بالرواية القيرواني، أبو محمد عبد الله اللّمائي.

(4) - من خلال الإفادات التاريخية المهمة التي عرضها علينا ابن عطية المحاربي، حول طرق روايته لكتاب "السيرة"، أنه يرويه بطريقتين رئيسيين، كلاهما متصل بإسناد الرواية القيرواني، أبو محمد اللّمائي، الأول رواية التلميذ ابن الوليد الأنصاري، وقد أشرت إليه سابقاً، أما الثاني فهو بطريق تلميذ ثان لأبي محمد اللّمائي، وهو الشيخ ابن الطرابلسي، وأهمية الإسناد الأخير لابن عطية المحاربي، أنه قرأها في أصل والده الذي يرويه بإسناد ابن الطرابلسي، هذه النسخة النفيسة التي كانت في حيازة ابن عطية، حصل عليها مناولة من يد شيخه أبي علي الغساني (ت 498 هـ / 1104 م)، في غرناطة سنة 496 هـ / 1102 م. حولها أنظر: ابن عطية المحاربي، مصدر سابق، ص ص 70-71، 87.

(5) - من خلال الترجمة الموسعة التي خصصها له ابن بشكوال في صلتها السابقة الذكر، تأكد لي أن ابن الطرابلسي، دخل القيروان مرتين على الأقل، الأولى كانت بين سنتي 402-403 هـ / 1011-1012 م، اتصل خلالها بشيخه أبي الحسن القابسي (ت 403 هـ / 1012 م)، أما الثانية فكانت سنة 404 هـ / 1013 م، لكن ابن بشكوال لا يذكر الرواية اللّمائي، كأحد شيوخ ابن الطرابلسي في القيروان، ومع ذلك فهذا لا ينفي اتصال ابن الطرابلسي بشيخه اللّمائي بالحاضرة القيروانية، لكن يبقى الإشكال في تاريخ اللقاء والقراءة، ففي ظل غياب معلومات دقيقة قد تفيدني في معرفة تاريخ وفاة اللّمائي، يبقى زمن اللقاء بين الشيخ وتلميذه بالقيروان، مفتوحاً على السنوات الثلاث التي كان فيها ابن الطرابلسي متواجداً بالقيروان، وهي: سنة 402 هـ / 1011 م، 403 هـ / 1012 م، 404 هـ / 1013 م.

بعد صلاة العصر<sup>(1)</sup>، وكان القارئ فيها تلميذه أبو مهدي عيسى بن مرزوق الصميلي، وتوحي إ shade ابن ناجي بالصوت الحسن للصميلي، أن وضوح صوت القارئ كان له اعتبار في نجاح عملية تلقين المؤلفات داخل الحلقة، بما فيها كتاب "السيرة" المشار إليه، هذا وقد استمر إقراء الكتاب في ميعاد الشيخ أبي محمد الشببي (ت 782 هـ / 1380 م)، وتلميذه أبي القاسم البرزلي، إلا أنها كانت تقرأ في الفترة الصباحية على الطلبة المجتهدين<sup>(2)</sup>، ما يوحي بأهمية هذه المادة الإخبارية، واعتبارها أحد المواد التي يتم تلقينها للطلبة في هذا المستوى المتقدم في الحلقة.

— تحتوي شجرة الأسانيد أعلاه، على مجموعة كبيرة من رواة السيرة المنتمين إلى أجيال متعاقبة، وإذا ما أغفلت حساب الشخصيات الثلاثة الأولى (المصنف، الراوي، والمهذب)، فإن مجموع رواة كتاب "السيرة" في هذه الشجرة، قد بلغ نحو 54 شخصية، تنتمي إلى أصول مشرقية، وأندلسية، ومغربية، وجاء توزيعها كآتي:

05	رواة مشاركة
36	رواة أندلسيين
13	رواة مغاربة
54	المجموع

(1) — ذكر ابن ناجي، مصدر سابق، 4 / 111 - 112. أن الشيخ الرماح، كان يعمل الميعاد بجامع القيروان خلال الفترة الصباحية، الممتدة من الصباح الباكر إلى أذان الظهر، وتقرأ فيه دولة التهذيب لأبي سعيد البراذعي (ت 466 هـ / 1073 م)، وكتاب "المورد العذب" لابن الجوزي (ت 597 هـ / 1200 م)، أما الفترة المسائية فتبدأ بعد صلاة العصر، وتقرأ فيها دولة في صحيح مسلم والبخاري، و"الموطأ" و"الشفا"، و"السيرة" و"الملخص"، وتختتم هذه الفترة بدعاء الختم، الذي كان يتخير له أحد الشيوخ المشتهرين بالصلاح والزهد.

(2) — ذكر ابن ناجي القيرواني بالتفصيل، صفة ميعاد شيخه أبي محمد الشببي، الذي يبدو أنه ضم مختلف الشرائح العمرية لطلبة الحلقة: الصغار والكبار، والمبتدئون والمجتهدون، كذلك طلبة من داخل المدينة والوافدين إليها من الغرباء، حيث يبدأ ميعاده بعد صلاة الصبح بالطلبة المجتهدين، يقرؤون عليه عشر القرآن الكريم، "صحيح مسلم"، و"سيرة" ابن إسحاق، دولتان في الرقائق أو ثلاث، وبعدها ميعاد الطلبة المبتدئين، فيقرؤون عليه "رسالة" ابن أبي زيد القيرواني، وابن الجلاب، وابن الحاجب، وتأليف ابن عبد السلام، وبعدها يكون ميعاد الطلبة الكبار، فيقرؤون عليه "التهذيب" إلى أذان الظهر، وبعد صلاة العصر إلى المغرب يكون ميعاد طلبة المدينة في التجويد، وبعد صلاة المغرب ميعاد الطلبة الغرباء من الزوايا القريية للتجويد عليه أيضا. أنظر: المصدر نفسه، 4 / 206 - 207.

أرقام الجدول أعلاه، تشير إلى الدور الذي لعبته المدرسة الأندلسية في تلقين الكتاب، وتداوله عبر العديد من حواضر الغرب الإسلامي الوسيط، أما المدرسة المغربية التي جاءت ممثلة بـ 13 شخصية فقط، فيتركز أغلبهم في جيل رواة السيرة المتأخرين من أعلام القرنين 7-8 هـ/ 13-14 م، الأمر الذي يشي بطبيعة المادة الإخبارية المتداولة في تلك المرحلة، والتي غلب عليها التوجه الأندلسي بعد تراجع دور القيروان بشكل لافت خلال القرنين 5-6 هـ / 11-12 م، وفي الشق الغربي لبلاد المغرب برزت أسرة العزفين، كأحد الأسر الأميرية السبتية التي ارتبط اسم عدد من أعلامها بتلقين مواد "السيرة النبوية"، بما فيها "سيرة" ابن إسحاق، بداية من الجد الأعلى للأسرة، الراوية أبي عبد الله العزفي تلميذ القاضي عياض، وقد شاركهم في ذلك مجموعة من الشيوخ المنتسبين إلى المدينة أو الوافدين إليها، من الأندلسيين والتلمسانيين كذلك<sup>(1)</sup>.

- على أهمية النتائج المتحصل عليها في الوقت الحالي، اعتمادا على شجرة الأسانيد أعلاه، إلا أن هذه التغطية حول المكانة التي تبوأها كتاب "السيرة" في عديد حواضر المغرب الإسلامي الوسيط، جاءت جزئية وغير مكتملة، فقد غاب عنها سلاسل أسانيد عدد من أعلام القرن 8 هـ/ 14 م، خصوصا من شيوخ الحاضرة الزيانية تلمسان، على غرار إسناد ابن مرزوق الخطيب، وأبي عبد الله محمد الشريف التلمساني، وإسناد ابن خلدون عن شيخه ابن عبد المهيم الحضرمي، وهنا بالضبط أفتقد لكتب البرامج وفهارس أعلام القرنين 7-8 هـ/ 13-14 م، والتي لا نعرف عنها سوى تلك التتف المبعثرة في ثنايا المصادر الإخبارية، أو وصلتنا بعض أجزاءها فقط، على غرار فهرسة ابن مرزوق الخطيب<sup>(2)</sup>، وأبي عبد الله المقرئ الجد<sup>(1)</sup>، ومعاصرها السبتي الأصل

<sup>(1)</sup> - من أبرز الشخصيات التلمسانية، التي قامت بتدريس كتاب "السيرة" في بعض حواضر المغرب المريني، خلال القرن 7 هـ/ 13 م، أذكر الشيخ محمد بن إبراهيم الغساني التلمساني (ت 663 هـ/ 1264 م)، الذي كان يدرس في مجلسه بأسفي السير. حوله أنظر: ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 8/ 357، 521. أبو القاسم التجيبي، مصدر سابق، ص 135. يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 105/1.

<sup>(2)</sup> - أنجز ابن مرزوق فهرسة في التعريف بشيوخه وضبط مروياته، تحت عنوان "عجالة المستوفز المستحاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أحاز من أئمة المغرب والشام والحجاز"، توجد نسخة منها بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم (13446)، وهي من المصادر التي اعتمادها معاصره ابن الخطيب السلماني، في الترجمة لشيوخ ابن مرزوق. أنظر: الإحاطة، 3/ 105-106. كما يرويها ابن مرزوق الحفيد عن شيخه عبد الرحمن الثعالبي، الذي أورد عدد من مروياتها في فهرسته. أنظر: عبد الرحمن الثعالبي، مصدر سابق، ص 64-65. كما استفاد منها المقرئ التلمساني، نفح الطيب، 5/ 200-203.

عبد المهيمن الحضرمي<sup>(2)</sup>، وفهارس أعلام المغرب الحفصي، منهم القيرواني أبو زيد الدباغ<sup>(3)</sup>، وابن عبد الرفيع التونسي (ت 733 هـ/1332م)<sup>(4)</sup>، وبرنامج القسنطيني حسن بن خلف الله بن حسن بن باديس (ت 784 هـ/1382م)<sup>(5)</sup>، كذلك فهارس الشيوخ الإخباريين الأندلسيين النازحين إلى العدو المغربية، منهم: فهرسة ابن السراج الاشبيلي (ت 657 هـ/1258 م)<sup>(6)</sup>، وابن رزين التجيبي المرسي (ت 692 هـ/1292 م)<sup>(7)</sup>، و برنامج أبي عبد الله

كذلك ذكر ابن مرزوق الخطيب، انجازه لبرنامج واحد صغير وآخر كبير، أحال إليهما في المناقب المرزوقية، ص ص 212، 217، 221، 233، 298، 300، 303.

(1) - أنجز رحلة فهرسية تحت عنوان "نظم اللآلي في سلوك الأمالي"، وأورد فصولا مطولة منها، سليل أسرة "آل المقرئ"، صاحب نفع الطيب، في التعريف بجده صاحب الفهرسة، المقرئ الجد وشيوخه. حولها أنظر: المقرئ التلمساني، أزهار الرياض، 5/7 - 28، 28 - 75.

(2) - أشار ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 264. إلى فهرسة أسماء شيوخ ومرويات معاصره الحضرمي، وقد بلغوا نحو ألف شيخ، ويفهم من كلامه أن هذه الفهرسة قد ضاعت في وقت مبكر خلال القرن 8 هـ/14 م، ومن بين الذين اطلعوا عليها، واستفادوا منها تلميذه ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 4/13 - 14. كما أشار إلى ضياعها ابن القاضي الكناسي، درة المجال، 2/445.

(3) - من مرويات تلميذه الرحالة العبدري، الذي التقى به في القيروان في رحلة الذهاب سنة 688 هـ/1289 م، وأشار ببرنامج الذي يزيد عدد شيوخه فيه عن الثمانين شيخا. حولها أنظر: العبدري، مصدر سابق، ص 60. كذلك أشار إليه تلميذه الثاني بمدينة تونس، الوادي آشي، مصدر سابق، ص 61.

(4) - يملك تلميذه الوادي آشي نسخة من فهرسة شيخه، وهي نسخة نفيسة كتبها الوادي آشي بخطه من أصل المؤلف، كما يحملها عنه بطريق القراءة والمناولة. أنظر: المصدر نفسه، ص 321.

(5) - يبدو أن فهرسة الشيخ حسن بن خلف بن باديس القسنطيني، كانت موجودة خلال القرن 8 هـ/14 م، يبدو أنها ضاعت في وقت مبكر، على حسب إفادة تلميذه أبو زكريا السراج، الذي تحدث عن ضياع نسخته النفيسة المكتوبة بخط المؤلف، كما صرح السراج إلى أنه بعد ضياع نسخته تلك، اضطر إلى الاستعانة بحفظه، في تسمية شيوخ شيخه ابن خلف القسنطيني، وبخصوص محتوى هذه الفهرسة، فقد ذكر فيها مصنفها جماعة من شيوخه الإفريقيين والمشاركة وغيرهم. حولها أنظر: أبو زكريا السراج، مصدر سابق، ص 243.

(6) - من مرويات التجيبي على شيخه أبي عبد الله الكناني ببجاية. أنظر: التجيبي، مصدر سابق، ص 246.

(7) - أشاد العبدري، مصدر سابق، ص ص 106، 107. بمحتوى هذه فهرسة شيخه بالقول "وله في ذلك فهرسة جمعها فحسن وتمق وأتقن"، ويملك العبدري نسخة نفيسة منها، منقولة من أصل المؤلف شيخه ابن رزين التجيبي، ومقروءة عليه، وقد قام أحد النساخ بنسخها له، كان ذلك أثناء إقامته بمدينة تونس سنة 689 هـ/1290 م، وهي نسخة معدودة ضمن التراث المغربي المخطوط المفقود اليوم. كما أشار إليها، وأشاد بمضمونها تلميذه الوادي آشي، مصدر سابق، ص 65.

الكناني الشاطبي<sup>(1)</sup>، وابن الغماز الخزرجي البلنسي (ت 693 هـ / 1293 م)<sup>(2)</sup>، وابن هارون الطائي القرطبي (ت 702 هـ / 1302 م).

مع الانتشار الواسع الذي حققه كتاب "السيرة" لابن إسحاق، استطاعت مجموعة معتبرة من كتب السيرة المشرقية أن تحتفظ هي الأخرى بمكانتها المرموقة، كأحد أهم المواد التاريخية المتداولة في الحلقة في عدد من حواضر المغرب في نهاية العصر الوسيط، الأمر الذي يمكن الكشف عنه من خلال بعض المعطيات الإخبارية المهمة، التي توفرها كتب برامج وفهارس الغرب الإسلامي، وللتعرف عن كتب عن أبرز تلك العناوين، إليك جدول التالي:

عنوان الكتاب	التلميذ	الشيخ	طريقة التحمل	المكان	المصدر
مزاجات <small>عليه السلام</small> للزبير بن بكار الزبيري (ت 256 هـ / 869 م)	الوادي آشي	أبو عبد الله محمد بن حيان الشاطبي (ت 718 هـ / 1318 م) <sup>(3)</sup>	القراءة	تونس	برنامج الوادي آشي، ص 268
أخلاق النبي <small>عليه السلام</small> لأبي إسحاق إسماعيل (ت 282 هـ / 895 م)	التجيبى <sup>(4)</sup>	أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن محرز	القراءة	تونس	برنامج التجيبى، ص 250.

(1) - برنامج الراوية أبي عبد الله الكناني، كان معروفا لدى ثلاثة من تلامذته الأخذين عنه بمدينة بجاية، فقد أشار إليه تلميذه الغريبي في الترجمة التي خصصها له. أنظر: الغريبي، مصدر سابق، ص 107. كما قرأ عليه تلميذه العبدري في أثناء نزوله بالمدينة في رحلة العودة سنة 689 هـ / 1290 م، وهنا أشير إلى نفاضة النسخة التي قرأها العبدري، وهي أصل شيخه الكناني والمكتوبة بخطه. حولها أنظر: العبدري، مصدر سابق، ص 130. أما تلميذه الثالث فهو التجيبى، الذي قرأه عليه في أثناء نزوله بمدينة بجاية. أنظر: التجيبى، مصدر سابق، ص 249.

(2) - يعتبر الرحالة العبدري، ومعاصره صاحب الرحلتين الوادي آشي، من تلامذة الراوية ابن هارون الطائي، وابن الغماز البلنسي بمدينة تونس، كما يحملان عنهما برنامجيهما. أنظر: العبدري، مصدر سابق، ص 38، 95، 125. الوادي آشي، مصدر سابق، ص 321. وبطريق الوادي آشي يروي البرنامجين، الراوية الفاسي أبو زكريا السراج وتلميذه المنتوري. أنظر: المنتوري، مصدر سابق، ص 211 - 212. أما التجيبى فيروي برنامج الشيخ ابن الغماز بطريق صديقه أبي القاسم خلف القبوري. حوله أنظر: التجيبى، مصدر سابق، ص 248.

(3) - أنظر ترجمته: الوادي آشي، مصدر سابق، ص 67-68.

(4) - تظهر سلاسل الأسانيد المغربية، قيام الشيخ شرف الدين الدباطي (ت 722 هـ / 1322 م) بتدريس كتاب "أخلاق النبي" على اثنين من تلامذته الوافدين إلى القاهرة من بلاد المغرب، أحدهما تلميذه التجيبى، والثاني تلميذه الشيخ أبي علي حسن بن يوسف بن يحيى بن أحمد الحسيني. حولهما أنظر: التجيبى، مصدر سابق، ص 251. أبو زكريا السراج، مصدر سابق، ص 374.



العبدري	أبو جعفر اللبلي	السمع- القراءة- الإجازة العامة	بجاية	رحلة العبدري، ص 39
	أبو عبد الله الكناني <sup>(1)</sup>	القراءة- المناولة	تونس	رحلة العبدري، ص 25
التجيبى	أبو عبد الله الكناني	القراءة	بجاية	برنامج التجيبى، ص 110-111
	ابن الشاط الأنصاري	القراءة- السمع	سبتة	برنامج التجيبى، ص 111
الوادي آشي	ثلاثة من شيوخه <sup>(2)</sup>	القراءة	تونس	برنامج الوادي آشي، ص 210- 212
أبو الحجاج التسولي	الوادي آشي	سماعا	تونس سنة 743 هـ/ 1342 م	فهرسة السراج، ص 535
المنتوري <sup>(3)</sup>	أبو زكريا السراج	القراءة	فاس	فهرسة المنتوري، ص 150
	أبو عبد الله اللخمي	القراءة- الإجازة	فاس	فهرسة المنتوري، ص 150
ابن غازي المكناسي	أبو الحسن الصغير	السمع	فاس	فهرسة ابن غازي، ص 41، 42
العبدري	أبو محمد عبد الله الخلاسي	القراءة	تونس	رحلة العبدري، ص 99
التجيبى <sup>(4)</sup>	ابن الخضار الكنامي	السمع-	سبتة	برنامج التجيبى،

شمال الترمذي (ت 279 هـ/  
892 م)

- (1) - يروي الشيخ الكناني كتاب "الشمال"، على اثنين من شيوخه الأندلسيين، أحدهما أبو الحسن بن قطرال (ت 651 هـ/ 1253)، وأبو الحسن بن السراج (ت 657 هـ/ 1258 م). حولهما أنظر: التجيبى، مصدر سابق، ص 110-111.
- (2) - شيوخ الوادي آشي الذين يحمل عنهم كتاب "الشمال" في بلاد المغرب هم: أبو جعفر اللبلي، وأبو الحسن علي التيجاني، وأبو زيد الدباغ، أما شيخه الرابع فهو المكي الأصل، رضي الدين الطبري.
- (3) - للمنتوري سند ثالث مشرق في رواية "الشمال". أنظر: المنتوري، مصدر سابق، ص 150.
- (4) - ويرد تحت "رائع الدرر ورائق الزهر"، أحد المؤلفات التاريخية التي قرأها التجيبى بالمدرسة الساقية بمدينة قوص من صعيد مصر، على الشيخ بماء الدين ابن سيد الكل العذري الشافعي. أنظر: التجيبى، مصدر سابق، ص 135.

ص 135		القراءة			
برنامج التجيبي، ص 136	تونس	القراءة	أبو محمد عبد الله الخلاسي		
فهرسة المنتوري، ص 153	سبتة	السماع	ابن الخضار الكنامي	ابن رشيد السبتي	
برنامج الوادي آشي، ص 236- 237	تونس	القراءة	خمسة من شيوخه <sup>(1)</sup>	الوادي آشي	
فهرسة المنتوري، ص 153	مكناسة	القراءة	أبو عبد الله محمد الحسيني المكناسي	أبو زكريا السراج	
فهرسة المنتوري، ص 153-152	فاس	القراءة <sup>(2)</sup>	أبو زكريا السراج	المنتوري	
فهرسة السراج، ص 629. فهرسة المنتوري، ص 153	غير وارد	السماع	الوادي آشي	أبو سعيد بن عبد المهيم الحضرمي	خلاصة سير سيد البشر لمح الدين أحمد الطبري (ت 694 هـ / 1294 م)
فهرسة السراج، ص 535	غير وارد	السماع	//	أبو الحجاج يوسف التسولي	
فهرسة المنتوري، ص 154	فاس	اذنا بالرواية	أبو الحسن علي القرطبي	أبو عبد الله اللخمي	
فهرسة المنتوري، ص 153	فاس	القراءة- المناولة	أبو زكريا السراج	المنتوري	
فهرسة المنتوري، ص 154	فاس	السماع	أبو عبد الله اللخمي		

(1) - شيوخ الوادي آشي، الذين قرأ عليهم "مختصر السيرة"، منهم أربعة أندلسيين من النازحين إلى الحاضرة الحفصية تونس، وهم: أبو الفضل اللبدي، وابن هارون الطائي، وأبو عبد الله محمد الأسدي، وأبو محمد الخلاسي. أما شيخه الخامس فهو التونسي الأصل، أبو الحسن علي التيجاني.

(2) - للمنتوري سند ثاني أندلسي في رواية "مختصر السيرة"، بطريق شيخه ابن جزيء الكلي عن شيخه ابن رشيد السبتي. أنظر: المنتوري، مصدر سابق، ص 153.

الجدول أعلاه، يكشف على خمسة عناوين مهمة في موضوع السيرة النبوية، منها أربعة معدودة ضمن أمهات دواوين السيرة النبوية المشرقية، المنجزة خلال القرون المجرية الأربعة الأولى (مزاجات النبي - أخلاق النبي - الشمائل - مختصر السيرة)، يظهر من بينها كتاب "الشمائل الحمديّة والخصائل المصطفوية" للترمذي (ت 279 هـ / 892 م)، كأحد أبرز كتب السيرة التي جمعت بين علوم الحديث وأخبار الرسول، وقد حققت بذلك الانتشار الواسع في الحلقة في نهاية المرحلة الوسيطة، في أغلب حواضر المغرب الإسلامي (تونس، والقيروان، وبجاية، وتلمسان، وفاس، ومكناس)، الأمر الذي يفسر وجود مجموعة معتبرة من نسخ "الشمائل" التي وصلتنا اليوم، من منتسخات المرحلة الوسيطة المتأخرة أو تلك المنبثقة عنها، منها النسخة الخزانة المحفوظة في الخزانة الحسينية بمدينة الرباط المغربية تحت رقم (3395)، وقع الفراغ من نسخها يوم الأحد 16 ربيع الثاني 747 هـ / 5 أوت 1346 م<sup>(1)</sup>.

وبخصوص العنوان الخامس المشار إليه في الجدول أعلاه "خلاصة السير"، فالملفت للانتباه أن هذا الكتاب، معدود ضمن كتب السيرة المشرقية المتأخرة المنجزة خلال القرن 7 هـ / 13 م، من عمل الفقيه الشافعي المكي محب الدين الطبري<sup>(2)</sup>، ويبدو أن الشيخ أبا إسحاق إبراهيم الطبري (ت 722 هـ / 1322 م)<sup>(3)</sup>، هو أحد تلامذته الذين يحملون عنه هذا الكتاب، وقد قام بتلقين كتاب شيخه لاثنين من أعلام المغرب في نهاية القرن 7 هـ / 13 م، وبداية القرن 8 هـ / 14 م، من فئة المهتمين بالخبر التاريخي، أحدهما تلميذه أبو القاسم التجيبي، الذي اتصل به في مكة

<sup>(1)</sup> - استنادا إلى توقيع الناسخ الذي كتبه في نهاية نسخته، وبعد إطلاعي على هذه النسخة الخزانة النفيسة المحفوظ بها في الخزانة الحسينية بمدينة الرباط تحت رقم (3395)، فقد كتب على ورقة العنوان عبارة تملك أحمد المنصور الذهبي السعدي (986-1012 هـ / 1578-1603 م)، وعليها نصّ تحييس باسمه على الخزانة جامع القرويين بفاس في 4 رمضان 1011 هـ / 14 فيفري 1603 م. حولها أنظر: محمد سعيد حنشي وعبد العالي لمدير: فهرس الكتب المخطوطة في السيرة النبوية المحفوظة بالخزانة الحسينية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2010، ص 309.

<sup>(2)</sup> - نشر الكتاب بتحقيق عبد الغفار خان، دائرة المعارف العثمانية، 2005 م. وقد اعتمد المحقق على إحدى أقدم النسخ التي وصلتنا من هذا الكتاب، وهي نسخة نفيسة مقروءة على مؤلفها محب الدين الطبري. بمكة سنة 689 هـ / 1290 م، محفوظة بمكتبة متحف سلارجنك بجيدر آباد بالهند (قسم المخطوطات)، تحت رقم (8) فن السير - العربي. حولها أنظر: مقدمة تحقيق الكتاب المنجزة من قبل المحقق عبد الغفار خان، ص 6-7.

<sup>(3)</sup> - أنظر ترجمته: ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، 8 / 103.

خلال شهر رمضان وشوال 696 هـ / 1296 م<sup>(1)</sup>، وقرأ عليه إضافة إلى كتاب "خلاصة سير البشر"، مجموعة من المؤلفات في علوم الحديث<sup>(2)</sup>، وفي وقت لاحق اتصل به تلميذه الثاني، الشيخ ابن جابر الوادي آشي، وقرأ عليه الكتاب بمجلس إقرائه بمكة<sup>(3)</sup>، وإن كان الوادي آشي لا يزودنا بتاريخ قراءته للكتاب، لكن من المرجح أن يكون التاريخ قد وقع في أثناء رحلته الأولى إلى البلاد المشرقية سنة 720 هـ / 1320 م، وبالتأكيد قبل وفاة شيخه أبي اسحق الطبري، ما يعني أن تاريخ القراءة كان بين سنتي 720 - 722 هـ / 1320 - 1322 م.

على أهمية رواية التجيبي لكتاب "خلاصة سير البشر" لمحّب الدين الطبري، إلا أن المعلومات الفهرسية التي بحوزتي في الوقت الحالي، لا تشير إلى دور التجيبي في تلقين الكتاب في حلقة بعد عودته إلى المغرب، واستقراره بمدينة سبتة، على خلاف رواية معاصره الوادي آشي، التي رغم تأخرها عن زمن قراءة التجيبي للكتاب بمدة لا تقل عن 24 سنة، إلا أن فهرستي السراج، وتلميذه المنتوري تكشفان عن الدور الذي لعبه الوادي آشي في تلقين الكتاب على اثنين من تلامذته، بعد عودته إلى الحاضرة الحفصية تونس، أحدهما تلميذه أبو الحجاج يوسف التسولي، الذي اتصل بشيخه الوادي آشي سنة 743 هـ / 1342 م، وأكثر السماع عليه<sup>(4)</sup>، أما تلميذه الثاني، فهو الشيخ أبو سعيد بن عبد المهيمن الحضرمي.

تكتسي رواية الوادي آشي للكتاب أهمية بالغة، فبالإضافة إلى كونه يحمل الكتاب عن شيخه أبي إسحاق الطبري بأعلى طرق التحمل (القراءة، والسماع)، فإنه كذلك كان يملك نسخة نفيسة مقابلة على الأصل المنتسخ منه، وهو أصل شيخه أبي إسحاق، وتستمد هذه النسخة المغربية نفاستها في كونها مكتوبة بخط الوادي آشي، حيث قام بنسخها ومقابلتها وقراءتها

(1) - التجيبي، مصدر سابق، ص 136.

(2) - حول طبعة المواد التي قرأها التجيبي على شيخه أبي إسحاق إبراهيم الطبري. أنظر: التجيبي، مصدر سابق، ص ص 10، 100، 109، 121، 127، 136، 141، 144، 195، 207، 208، 238، 287.

(3) - الوادي آشي، مصدر سابق، ص 223.

(4) - من المؤلفات التي قرأها التلميذ التسولي على شيخه الوادي آشي، أذكر: كتاب "الموطأ" للإمام مالك، و"الجامع الصحيح" للبخاري، و"صحيح" مسلم، و"الجامع الكبير" للترمذي، و"التقصي" لابن عبد البر النمري، و"الشهاب" للقضاعي، و"أدب الصحبة" للسلمي، وكتب تخريج الأحاديث، و"الإعلام" للقاضي عياض، وبعض الأراجيز والقصائد بما فيها القصيدة الشقراطية، وعدد من مؤلفاته بما فيها فهرسة شيوخه... الخ. حولها أنظر: أبو زكريا السراج، مصدر سابق، ص 534 - 536.

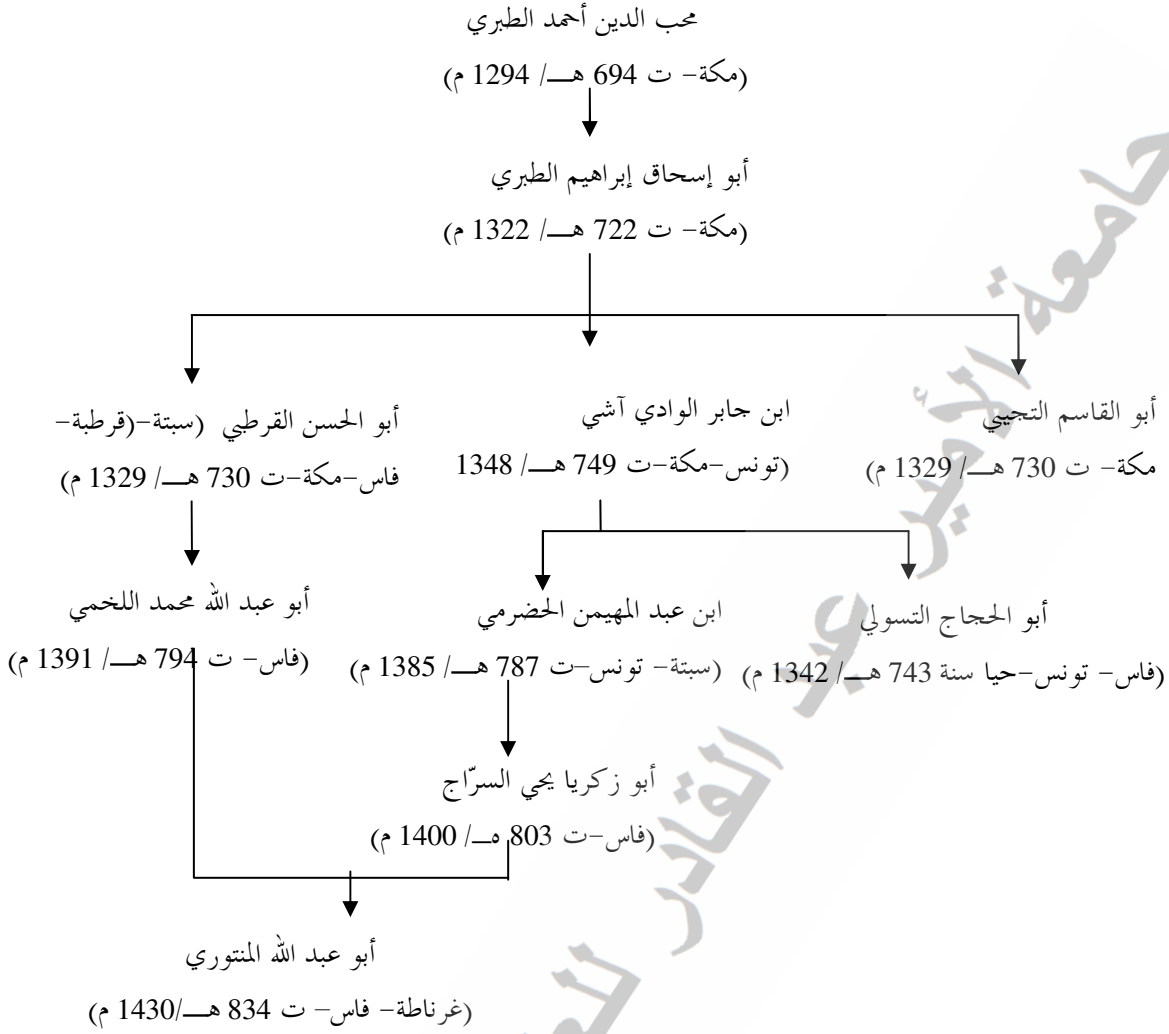
على شيخه بمكة، كما أن أصل شيخه الذي استعان به في الانتساخ والتصحيح والمقابلة، هو أصل نفيس مقروء على المصنف محب الدين الطبري بمكة سنة 664 هـ / 1365 م، ومن غير المستبعد أن تكون نسخة الوادي آشي التي نجعل مصيرها اليوم، هي إحدى مقتنياته النفيسة، التي جلبها معه بعد عودته إلى العدو المغربية، واعتمد عليها في تلقين مواد السيرة في مجلسه بالحاضرة الحفصية تونس في النصف الأول من القرن 8 هـ / 14 م.

وفي سياق بحثي عن تلامذة الفقيه الشافعي أبي إسحاق الطبري، من المنتمين إلى العدو المغربية، الملتحقين بمجلسه في مكة، وسمعوا عليه كتاب "خلاصة سير البشر"، كشفت لي سلاسل أسانيد المنتوري، عن تلميذ ثالث للطبري، وهو القرطبي الأصل، مستوطن مدينة فاس، أبو الحسن علي بن سليمان القرطبي (ت 730 هـ / 1329 م)<sup>(1)</sup>، وقد قام هذا الأخير بتلقين الكتاب بعد عودته من رحلته المشرقية على طلبته بمدينة فاس.

خلاصة القول، أن كتاب "خلاصة سير البشر"، قد دخل بلاد المغرب في نهاية القرن 7 هـ / 13 م، ومطلع القرن 8 هـ / 14 م، ليعرف طريقه للانتشار في الحلقة إلى النصف الأول من القرن 9 هـ / 15 م، عبر ثلاث طرق كشفت عنها كتب البرامج وفهارس الشيوخ المتأخرة، أحدها طريق التجيبي، الذي يبدو أنه الطريق الأقل انتشاراً، بخلاف طريق الوادي الذي وجد طريقه في الانتشار في الحاضرة الحفصية تونس، وطريق أبي الحسن القرطبي الذي انتشر في الحاضرة المرينية فاس، ولتوضيح ذلك، إليك شجرة الأسانيد التالية:

---

(1) - من تلامذته الآخذين عنه، أبو عبد الله محمد بن العربي الغساني (ت 748 هـ / 1347 م)، وأبو عبد الله الكرسوطي الفاسي (حيا سنة 772 هـ / 1370 م). أنظر: ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 3/ 97، 131. كما ذكره الونشريسي ضمن وفيات سنة 730 هـ / 1329 م. أنظر: الونشريسي، الوفيات، ص 25.



### ب- الدواوين الأندلسية في السيرة النبوية المتداولة في حلقة شيوخ المغرب:

ليس من قبيل المبالغة التأكيد على علو كعب الكتابات التاريخية الأندلسية، فمنذ مراحل مبكرة أظهر شيوخها عنايتهم بموضوع السيرة النبوية على وجه الخصوص، وعلى أهمية مصنفاتهم المنجزة خلال القرنين 3-4 هـ / 9-10 م، على غرار "مغازي الرسول" لعبد الملك بن حبيب السلمي (ت 238 هـ / 852 م)<sup>(1)</sup>، و"اختصار السيرة" لأبي عيسى يحيى بن عبد الله الليثي (ت 367 هـ / 977 م)<sup>(2)</sup>، و"أعلام النبوة" لأبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس (ت 402

(1) - حوله أنظر: ابن الفرضي، مصدر سابق، 1/ 313. الحميدي: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ضبط وتعليق

صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2004، ص 274-275.

(2) - حوله أنظر: ابن الفرضي، مصدر سابق، 2/ 189-190.

هـ/ 1011 م<sup>(1)</sup>، إلا أن كتابات القرنين 5-6 هـ/ 11-12 م، شكلت نقطة تحول كبيرة، ومنعظفا حاسما في تزايد نشاط التدوين التاريخي المخصص لموضوع السيرة النبوية، وظهرت مصنفات مهمة على غرار كتابات ابن حزم القرطبي (ت 456 هـ/ 1063 م)، ومعاصره ابن عبد البر النمري (ت 463 هـ/ 1070 م)، وابن بشكوال (ت 578 هـ/ 1183 م)، وأبي القاسم السهيلي (ت 581 هـ/ 1185 م)، وأبي الربيع بن سالم الكلاعي (ت 634 هـ/ 1236 م).

تاريخيا، استطاعت مجموعة من مصنفات السيرة النبوية الأندلسية، تجاوز حدودها الإقليمية، وتنجح في الوصول إلى الحواضر المغربية، وتحقيق الانتشار الواسع في وقت مبكر من زمن صدورها، واستنادا إلى مؤشرات الأعمال الفهرسية المغربية المتأخرة، يمكنني تفصي مجموعة من العناوين الأندلسية المهمة، التي استطاعت أن تثبت منافستها لدواوين السيرة النبوية المشرقية في حلقة شيوخ المغرب، خلال القرنين 8-10 هـ/ 14-16 م، وتوضيحا لذلك إليك الجدول التالي:

عنوان الكتاب	التلميذ	الشيخ	طريقة التحمل	المكان	المصدر
الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر النمري	التحبيي	أبو عبد الله الكناني	قراءة	بجاية	برنامج التحبيي، ص 134
	الوادي آشي	أبو الحكم عبد الله بن مجاهد الاشبيلي (ت 691 هـ/ 1291 م)	القراءة	تونس	برنامج الوادي آشي، ص 215
أبو زكريا السراج	أبو البركات البلفيقي	أبو عبد الله محمد السراج	السماع	فاس	فهرسة ابن غازي، ص 108
ابن غازي المكناسي <sup>(2)</sup>	أبو عبد الله محمد السراج	أبو عبد الله محمد السراج	القراءة	فاس	فهرسة ابن غازي، ص 108

(1) - أنظر ترجمته: ابن بشكوال، مصدر سابق، 1/ 255-258.

(2) - يتصل إسناد الكتب التي يرويها ابن غازي المكناسي على شيخه أبي عبد الله محمد السراج، بإسناد والده أبي القاسم محمد السراج (ت 848 هـ/ 1444 م) عن والده يحيى السراج صاحب الفهرسة.

أفضية الرسول لابن الطلاع (ت 497 هـ / 1103 م)	عبد الرحمن الثعالبي	غير وارد <sup>(1)</sup>	غير وارد	غير وارد	غنيمة الوافد لثعالبي، ص 49
الإعلام بفضل الصلاة على النبي عليه السلام لأبي عبد الله محمد النميري (ت 544 هـ / 1149 م)	أبو زكريا السراج	أبو القاسم بن رضوان	السماع	فاس	فهرسة ابن غازي، ص 106
	المنتوري	أبو عبد الله محمد اللخمي	القراءة	فاس	فهرسة المنتوري، ص 155
القربة إلى رب العالمين لابن بشكوال	العبدري	أبو عبد الله الكناني	المناولة	بجاية	رحلة العبدري، ص 130
	التحبيي	أبو عبد الله الكناني	القراءة	بجاية	برنامج التحبيي، ص 253
	الوادي آشي	أبو الحسن المعافري (ت 718 هـ / 1318 م) <sup>(2)</sup>	القراءة	غير وارد	فهرسة المنتوري، ص 156
	أبو زكريا السراج	أبو عبد الله الفشتالي	السماع	فاس	فهرسة ابن غازي، ص 108
	المنتوري <sup>(3)</sup>	أبو زكريا السراج	القراءة	فاس	فهرسة المنتوري، ص 156
	ابن غازي المكناسي	أبو عبد الله السراج	القراءة	فاس	فهرسة ابن غازي، ص 108
الروض الأنف	ابن الطواح	أبو الحسن المعافري	السماع	تونس	سبك المقال لابن الطواح، ص 233

<sup>(1)</sup> - يكتفي عبد الرحمن الثعالبي بذكر عنوان الكتاب وصاحبه فقط، من دون أن يعرض طريقة تحمله للكتاب وشيوخه، الأمر الذي جعل من إمكانية تتبع طريقة تلقينه وتداوله في الحلقة مسألة غير متاحة، وحتى عودتي إلى فهرسة ابن عطية المحاربي تلميذ ابن الطلاع مؤلف "الأفضية"، اكتفى في أثناء الترجمة المقتضبة التي خصصها لشيخه، بذكره للكتاب والإشادة به فقط، دون تأكيد قراءته له. لمزيد من التفصيل أنظر: ابن عطية المحاربي، مصدر سابق، ص 19.

<sup>(2)</sup> - أشتهر بمعرفته الطبية، ترجم له تلميذه ابن الطواح، مصدر سابق، ص 232 - 234. وضبط تاريخ وفادته إلى تونس بسنة 645 هـ / 1247 م، وانتقل بعدها إلى بجاية مع الأمير الحفصي أبي فارس عبد العزيز، ومن تلامذته بمدينة تونس من فئة المهتمين بالخبر التاريخي، الوادي آشي الذي خصص له ترجمة مقتضبة في برناجه. حولها أنظر: الوادي آشي، مصدر سابق، ص 68.

<sup>(3)</sup> - للمنتوري سند ثاني أندلسي في تحمله لهذا الكتاب، بطريق شيخه ابن جزيء الكلبي. أنظر: المنتوري، مصدر سابق، ص



للسهيلي	الوادي آشي (1)	أبو الحسن المعافري	السمع	غير وارد	برنامج الوادي آشي، ص 221
	المنتوري	أبو عبد الله محمد اللخمي	القراءة- الإجازة	فاس	فهرسة المنتوري، ص 152
	أبو الحسن المطغري التلمساني (2)	ابن غازي المكناسي	قراءة	جامع القرويين (فاس)	فهرسة المنجور، ص 41، 43.
الاكتفا للكلاعي (ت 634 هـ / 1236 م)	العبدري (3)	ابن الغماز	القراءة	تونس	رحلة العبدري، ص 95
	الوادي آشي	ابن الغماز	القراءة- الإجازة	تونس	برنامج الوادي آشي، ص 219
	أبو الحسن المطغري التلمساني	ابن غازي المكناسي	القراءة	جامع القرويين (فاس)	فهرسة المنجور، ص 41، 43.

المؤكد أن عامل الرحلة وطلب المشيخة بين العدوتين المغربية والأندلسية، أحد أهم العوامل التي ساهمت في انتشار، وتداول مؤلفات السيرة النبوية الأندلسية، ويكشف الجدول أعلاه عن ستة عناوين منها، تسربت إلى حواضر المغرب عبر مراحل تاريخية متباينة، لكن ما يستدعي الانتباه أكثر في هذا الخصوص، وبعد التدقيق في هوية الشيوخ الذين تولوا عملية تلقين هذه الدواوين، يبدو أن مساهمة طبقة شيوخ المغرب الداخلين إلى حواضر العدو الأندلسية، في هذا الخصوص

(1) - يرد كتاب السهيلي في برنامج الوادي آشي تحت عنوان "الروض الأنف المشرع الروي في تفسير ما اشتمل عليه كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتوى".

(2) - هو أبو الحسن علي بن موسى بن علي بن هارون المطغري التلمساني (ت 951 هـ / 1544 م)، وقد حلاه معاصره أحمد المنجور (ت 995 هـ / 1586 م) في الترجمة التي خصصها له بـ "الشيخ الفقيه الأستاذ العددي الفرضي العروضي الموقت المؤرخ المتفنن الخطيب المفتي"، كما ذكر مروياته الكثيرة على شيخه ابن غازي المكناسي بمدينة فاس، وقد بلغت نحو 62 كتابا، في مختلف فروع المعرفة كالتفسير، والفقه، وأصوله، والنحو، واللغة، والحساب، والمنطق، إلا أن حضور المواد التاريخية فيها كان ضعيفا، ولم يتعد حدود ثلاث كتب وهي: "الروض الأنف" للسهيلي، و"الاكتفا" للكلاعي، وجزء من "ترتيب المدارك" للقاضي عياض. لمزيد من التفصيل أنظر: أحمد المنجور: فهرس شيوخه، تحقيق محمد حجي، دار المغرب، الرباط، 1976، ص 40-45. كذلك أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 345-346.

(3) - أشير هنا إلى أن الرحلة العبدري، ذكر كذلك قراءته لبرنامج أبي الربيع بن سالم الكلاعي على شيخه ابن الغماز. أنظر: العبدري، مصدر سابق، ص 95.

ضئيلة وضعيفة<sup>(1)</sup>، في مقابل الدور البارز الذي بدت عليه فئة الشيوخ الأندلسيين النازحين إلى بلاد المغرب، وإن أدت هذه العملية إلى هيمنة التوجه التاريخي الأندلسي على المواد التاريخية المتداولة في الحلقة على نظيرتها المغربية، إلا أن جهودها قد أثمرت في الدفع بمستوى الوعي التاريخي المحلي، وتشكلت بفعل ذلك إحدى أبرز طبقة شيوخ المغرب من ذوي العناية بالخبر التاريخي خلال القرن 8 هـ / 14 م.

سوف أحاول في هذه المرحلة، تقصي إحدى العينات المهمة من الكتب الأندلسية المشار إليها في الجدول أعلاه، والتي استمر تداولها في بلاد المغرب إلى المراحل الوسيطة المتأخرة، وهو كتاب "الاكتفا" لشيخ المحدثين أبي الربيع بن سالم الكلاعي، من أعلام مدينة بلنسية البارزين، الذين استشهدوا في موقعة حصن "أنيشة" سنة 634 هـ / 1236 م<sup>(2)</sup>، وهي إحدى حلقات الصراع، الممهدة للسقوط المروع لمدينة بلنسية سنة 636 هـ / 1238 م، وقد كان لتلك النهاية المأساوية، الأثر الكبير في ارتفاع عدد النازحين منها إلى بر العدو المغربية، بما فيهم تلامذة الكلاعي، ممن سمعوا عليه كتابه "الاكتفا"، هذا الأخير كان يقرأه على الناس بجامع بلنسية<sup>(3)</sup>.

واستنادا إلى عدد من كتب البرامج وفهارس المرحلة الوسيطة المتأخرة، فقد تأكد لي وصول ثلاثة من تلامذته على الأقل، كان ذلك مع طلائع مهاجري شرق الأندلس إلى الحواضر الحفصية بشكل خاص، وفي مقدمتهم تلميذه التاريخي ابن الأبار<sup>(4)</sup>، الذي يروي كتاب شيخه

<sup>(1)</sup> - من الأمثلة على ذلك ما أورده ابن الزبير في صلته المطبوعة بآحر الجزء الثامن من الذيل والتكملة، ص 555. أن الشيخ السبتي الأصل، أبو الحسن علي بن حبازة (ت 610 هـ / 1213 م)، قرأ كتاب شيخه السهيلي "الروض الأنف" بالأندلس، لكن العطيات التاريخية لا تشير إلى تدريسه للكتاب بعد عودته إلى مدينة سبتة، كما لا يظهر في سلاسل الأسانيد المغربية في رواية الكتاب.

<sup>(2)</sup> - تحدث ابن خلدون بالتفصيل عن احتلال النصارى لحصن "أنيشة"، واستشهاد الشيخ الكلاعي في تلك الواقعة، ومحاصرة النصارى لمدينة بلنسية وسقوطها سنة 636 هـ / 1238 م، كما أشار إلى الوفد الأندلسي، الذي ترأسه تلميذه التاريخي ابن الأبار، وقد توجه بالصريح إلى الأمير الحفصي أبي زكريا يحيى. لمزيد من التفصيل أنظر: ابن خلدون، العبر، 6/ 389-385.

<sup>(3)</sup> - أشار الوادي آشي، مصدر سابق، ص 50. إلى مكان إلقاء الكلاعي لكتابه "الاكتفا"، في الترجمة التي خصصها لشيخه أبي محمد الخلاسي (ت 697 هـ / 1298 م).

<sup>(4)</sup> - يتحدث ابن الأبار، بفخر واعتزاز عن تلك الخطوة، التي جمعته بشيخه الكلاعي في قوله "صحبته طويلا وأخذت عنه كثيرا ... وأفادني ما لم يفد أحدا مما كان عنده من الغرائب...". لمزيد من التفصيل أنظر: ابن الأبار، التكملة، 4/ 102-

بطريق الإجازة، ورغم أهمية إسناده كأحد أبرز تلامذة الكلاعي المختصين به، إلا أن روايته للكتاب لا تظهر في الأسانيد المغربية المتأخرة، كذلك الأمر ينسحب على تلميذه الثاني، الشيخ أبي محمد عبد الله الخلاسي البلنسي (ت 697 هـ / 1298 م)، هذا الأخير وعلى الرغم من تأكيده لسماعه للكتاب على شيخه الكلاعي بجامع بلنسية، إلا أنه نفى إجازة شيخه له في رواية الكتاب، وهو التصريح الذي أدلى به الخلاسي لتلميذه بتونس الوادي آشي<sup>(1)</sup>، الأمر الذي يفهم منه سبب غياب رواية هذا التلميذ لكتاب "الاكتفا" في سلاسل الأسانيد المغربية اللاحقة، هذا بخلاف إسناد تلميذه الثالث، القاضي أبي العباس أحمد بن الغماز البلنسي، الذي حققت روايته لكتاب شيخه، انتشارا واسعا في مناطق التروح الحفصي.

لقد كانت الانطلاقة الأولى لكتاب "الاكتفا" من الحاضرة الحفصية تونس، استنادا إلى المعطيات الفهرسية المتوفرة في الوقت الحالي، حيث قام ابن الغماز البلنسي بتلقيه على أربعة من تلامذته بالمدينة، وهم: تلميذه الرحالة العبدري، والوادي آشي، وسليل أسرة التيجانيين التونسية، أبو حفص عمر بن إبراهيم التيجاني، هذا الأخير كان الطالب القارئ في مجلس شيخه ابن الغماز، فقد تولى قراءة دولا كثيرة لكتاب "الاكتفا"، ودولة كتاب "الاستيعاب" لابن عبد البر النمري، بحضور شيخه ابن الغماز بين سنتي 688 - 689 هـ / 1289 - 1290 م<sup>(2)</sup>، كما نجده كذلك الطالب القارئ في مجلس شيخه أبي محمد بن هارون الطائي القرطبي، في دولة كتاب "الماء المعين في الأربعين في فضل الأربعة الخلفاء رضي الله تعالى عنهم وعن الصحابة أجمعين"<sup>(3)</sup>، الأمر الذي يؤكد على تلقي التيجاني المذكور لمجموعة مهمة من كتب السيرة النبوية وتراجم الصحابة في حلقة شيوخه بمدينة تونس.

أما التلميذ الرابع، الذي تعتبر روايته إحدى أسانيد بعض أعلام المغرب الأوسط خلال القرنين 8 - 9 هـ / 14 - 15 م، فهو القرطبي الأصل، نزيل مدينة تونس، الشيخ أحمد المرادي

(1) - مصدر سابق، ص 50.

(2) - من بين التلامذة الحاضرين في مجلس إلقاء كتاب "الاكتفا"، صديقه الوادي آشي، استنادا إلى شهادة هذا الأخير، التي أدلى بها في برنامجه، حولها أنظر: المصدر نفسه، ص 219.

(3) - لمصنفه كمال الدين عبيد الله بن محمد بن عبد اللطيف الحجندي، وقد حضر هذه القراءة صديقه الوادي آشي. أنظر: المصدر نفسه، ص 289 - 290.

القرطبي العشاب (ت 736 هـ / 1335 م)<sup>(1)</sup>، وقد كشف عن هوية هذا التلميذ، الفقيه الجزائري عبد الرحمن الثعالبي<sup>(2)</sup>، الذي ذكره في سلسلة أسانيد كتبه التي يحملها عن شيخه ابن مرزوق الحفيد (ت 842 هـ / 1438 م)، الذي يجمله بدوره عن شيخه ابن مرزوق الخطيب (ت 781 هـ / 1379 م)، بطريق شيخه أحمد العشاب عن شيخه ابن الغماز البلنسي.

هذا الإسناد يسلط الضوء على الدور الذي لعبه بعض أفراد أسرة المرازقة في تلقين مواد السيرة في الحلقة، وهنا أذكر هنا بقيام ابن مرزوق الخطيب بقراءة كتاب الكلاعي في مجلس السلطان المريني أبي الحسن، الأمر الذي يؤكد مرة أخرى على جهود ابن الغماز في تلقين كتاب شيخه في الحاضرة الحفصية تونس في نهاية القرن 7 هـ / 13 م، هذا وقد احتفظ كتاب الكلاعي بمكانته المرموقة بين باقي دواوين السيرة النبوية الأندلسية في حلقة شيوخ المغرب إلى المرحلة الوسيطة المتأخرة، وفي النصف الأول من القرن 10 هـ / 16 م، نجده يقرأ بجامع القرويين في حلقة الشيخ ابن غازي المكناسي بمدينة فاس.

المؤكد أن تاريخية وصول كتاب "الاكتفا" إلى بر العدو المغربية، كان مع طلائع مهاجري جالية شرق الأندلس من البلنسيين، من تلامذة الكلاعي المصنف، حدث ذلك بعد سقوط المدينة في النصف الأول من القرن 7 هـ / 13 م، واستنادا إلى بعض معطيات كتب البرامج الفهارس، يمكنني اعتبار سنتي 688-689 هـ / 1289-1290 م، من بواكير تواريخ قراءة الكتاب بالحاضرة الحفصية، ما يعني أن كتاب "الاكتفا" قد عرف طريقه في الانتشار في الحاضرة الحفصية تونس، بعد نحو نصف قرن من تاريخ وفاة مصنفه الكلاعي، ويبدو أن النسخة التي كان يعتمدها تلميذه ابن الغماز في مجلس إقرائه للسيرة النبوية، تقع في أربعة مجلدات، وهي النسخة التي أشار إليها تلميذه العبدري، كما أنها تتفق مع عدد أجزاء النسخة التي أشار إليها تلميذه ابن الأبار<sup>(3)</sup>، أما شهادة تلميذه الوادي آشي الغير مضبوطة، فتحدث عن نسخة مجزئة إلى أربعة أو ستة مجلدات، ويعود هذا الاضطراب في كون الوادي آشي لم يتمكن من إكمال قراءة كتاب "الاكتفا" في

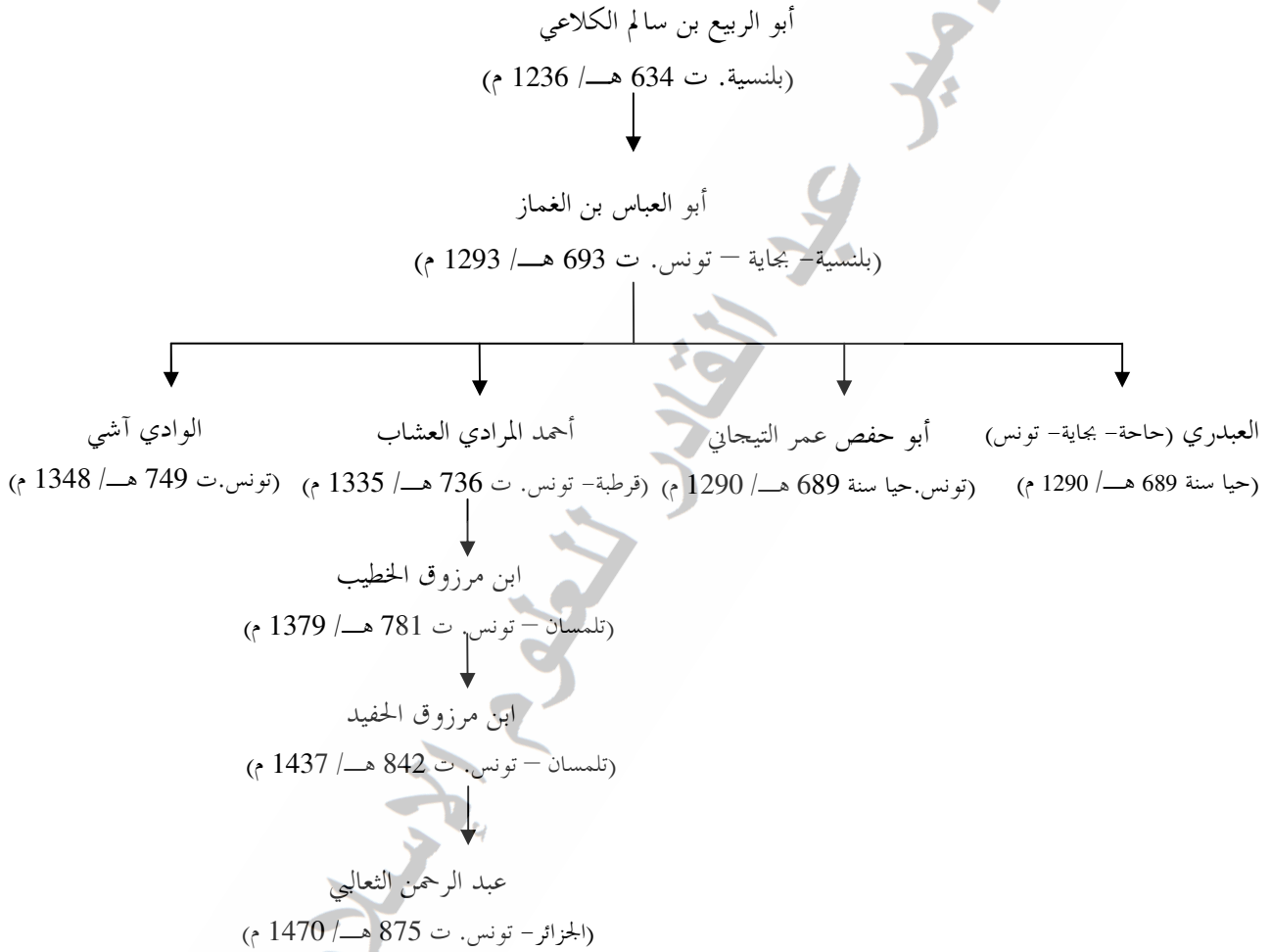
(1) - يصرح ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، 1/ 241-242. في الترجمة التي خصصها للعشاب، بحقيقة اتصاله بشيخه ابن الغماز البلنسي بمدينة تونس.

(2) - مصدر سابق، ص 63.

(3) - أشار ابن الأبار، التكملة، 4/ 101. إلى حجم نسخة "الاكتفا" في أثناء عرضه لقائمة مؤلفات شيخه الكلاعي، في الترجمة التي خصصها له.

مجلس شيخه ابن الغماز، وبقي له جزء يسير من السفر الرابع<sup>(1)</sup>، وهو الأمر الذي قد يعطي انطبعا مريحا حول الاتفاق الحاصل في حجم نسخ الكتاب المتداولة بين تلامذة الكلاعي بعد استقرارهم بمدينة تونس في تلك المرحلة المتقدمة.

وفي ختام هذه الدراسة، التي حاولت من خلالها، تقصي طرق انتقال أحد أهم كتب السيرة النبوية الأندلسية إلى بر العدو المغربية في المرحلة الوسيطة المتأخرة، إليك شجرة الأسانيد التالية:



(1) - لا يقدم الوادي آشي، مصدر سابق، ص 219. تفاصيل حول سبب مفارقتة مجلس شيخه في تلك المرحلة.

### ج. الحضور الباهت لمؤلفات المغاربة في السيرة النبوية:

من خلال البحث المعمق الذي أجرته حول تداول كتب السيرة النبوية في الحواضر المغربية، تأكد لي تلك المكانة المتميزة التي حصل عليها كتاب "الشفاء" للقاضي عياض، وقد شكّل بمعية "السيرة" لابن إسحاق، و"الشمائل" للترمذي، و"الاكتفا" للكلاعي، أساساً معرفياً مهماً يرتكز على أربعة مصنفات مختلفة الانتماءات (مشرقية، ومغربية، وأندلسية)، معوّلاً عليها في عملية تلقين مواد السيرة النبوية على طلبة الحلقة بالمغرب، غير أن ذلك الانتشار الذي حققه كتاب "الشفاء" في الحلقة، قابله حضور محتشم لكتابات المغاربة في السيرة النبوية في المرحلة الوسيطة المتأخرة، حيث تم تداول بعض العناوين، منها كتابين من مرويات التجيبي على شيخه أبي الظفر بن أبي عمرو الكلبي بمدينة سبتة<sup>(1)</sup>، إحداهما كتاب "العدة المختصر من العمدة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده"<sup>(2)</sup> للبرّي التلمساني (ت 681 هـ / 1282 م)<sup>(3)</sup>، والثاني كتاب "سراج المتقين المنتخب من كلام سيد المرسلين" لشيخه أبي زيد الدباغ<sup>(4)</sup>.

كذلك أشير إلى تداول عمليتين من إنجاز شيوخ الحاضرة الزيانية تلمسان، الأول كتاب "مفاخر الإسلام في فضل الصلاة على النبي عليه السلام"، من مرويات أبي جعفر البلوي على شيخه المصنف ابن سعد الأنصاري التلمساني، أما الثاني فهو كتاب "تخرّيج الدلالات السمعية" للخزاعي، وهو من مرويات تلميذه أبي زكريا يحيى السراج على المصنف بمدينة فاس، ويحمله عنه بثلاث طرق (السماع، والمناولة، والإجازة العامة)، وعلى ما يبدو أن هذه المصنفات المغربية

(1) - من المؤلفات التي قرأها التجيبي على شيخه أبي الظفر الكلبي إضافة إلى كتاب البرّي التلمساني، أذكر كتاب "الاماع إلى معرفة أصول الرواية والسماع" للقاضي عياض، و"فهرسة أبي القاسم بن حبيش" لجمع أبو الربيع بن سالم الكلاعي، و"برنامج" أبي بكر محمد بن محرز البلنسي، وقطعة أدبية منتخبة من نظم أبي الحسن بن حازم القرطاجني. لمزيد من التفصيل أنظر: التجيبي، مصدر سابق، ص ص 143، 246، 248، 288.

(2) - ذكر ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 8/ 280-281. أنه اطّلع على كتاب "العمدة" في نسختين إحداهما أكبر من الأخرى، كما ذكر له كتاب "الجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة"، والكتاب منشور من طرف محمد التونجي، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، 1983 م.

(3) - التجيبي، مصدر سابق، ص 266.

(4) - أشار عبد الحفيظ منصور محقق الكتاب إلى قراءة التجيبي لهذا الكتاب في هامش (1) من الصفحة 151 من البرنامج، استناداً إلى محتوى الطرّة الموجودة بهامش النسخة التي اعتمدها في تحقيقه. ويرد الكتاب عند الوادي آشي، تحت عنوان "مناهج المتقين المنتخب من كلام سيد المرسلين". أنظر: الوادي آشي، مصدر سابق، ص 61.

وعلى أهميتها، إلا أن مستوى تلقينها لم يتعد حدود حلقة المصنف، على الأقل استنادا إلى الأعمال الفهرسية المتأخرة، وبلا شك التعويل على تلقين بعض مؤلفات السيرة النبوية من قبل شيوخ المغرب، قد أدى إلى إضعاف التيار التاريخي المحلي، في مقابل سيطرت التوجهات الخارجية "المشرقية والأندلسية" على مواد التلقين في نهاية العصر الوسيط، إلا أنه كذلك عبر عن ذلك الانفتاح الفكري الذي تمتعت به حلقة شيوخ المغرب، وقدرتها الكبيرة على استيعاب مختلف دواوين السيرة النبوية المشرقية منها والمغربية.

## 2. الحضور البارز لكتب التراجم والطبقات الأندلسية في حلقة شيوخ المغرب:

تركزت العناية بعلوم الحديث وفروعه في عموم الحواضر الإسلامية، منذ مراحل مبكرة من الفترة الوسيطة، ولم يكن شيوخ المغرب بمعزل عن تلك التوجهات الحديثية، القائمة على العناية بأهميات دواوين الحديث المصنفة خلال القرون الهجرية الأولى، وتلقينها في الحلقة، على غرار كتب "الصحاح الستة"، و"موطأ" الإمام مالك، وغيرها من المصنفات التي تعدت شهرتها حدودها الإقليمية، وبالتزامن مع ذلك اتسعت العناية بتراجم رواة الحديث النبوي، حيث لقيت الكتب المصنفة في تراجم رجال السند، اقبالا كبيرا في معظم حلقة شيوخ المغرب، ويكفي هنا الإطلاع على قائمة مرويات كتب التراجم والطبقات في مختلف الأعمال الفهرسية المغربية، أين نجد كتاب "الضعفاء" للإمام البخاري (ت 256 هـ / 869 م)<sup>(1)</sup>، وكتاب "معرفة أصحاب الحديث ومن يجمع حديثه منهم" لأبي حفص عمر بن علي العتكي (ت 360 هـ / 970 م)<sup>(2)</sup>، وكتاب "المؤتلف والمختلف" للدراقطني (ت 385 هـ / 995 م)<sup>(3)</sup>، و"المؤتلف والمختلف"<sup>(4)</sup> لأبي محمد عبد الغني الأزدي (ت 409 هـ / 1018 م)، كما شملت عملية التلقين كذلك، تلك

(1) - تحقيق أبي عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، مكتبة ابن عباس، القاهرة، 2005 م. والكتاب من مرويات التحيي على شيخه أبي عبد الله الكناي بجاية. التحيي، مصدر سابق، ص 260-261.

(2) - من مرويات الوادي آشي على شيخه أبي عبد الله محمد بن حيان بمدينة تونس. الوادي آشي، مصدر سابق، ص 275.

(3) - تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986 م، 5 مج. كما يرد ذكره في مجموعة من فهارس الشيوخ الغرب الإسلامي منها: ابن عطية المحاربي، مصدر سابق، ص 97. القاضي عياض، الغنية، ص 68، 135. ابن خير الاشبيلي، مصدر سابق، ص 270.

(4) - المؤتلف والمختلف في أسماء نقلة الحديث وأسماء آبائهم وأجدادهم، تحقيق مثنى محمد حميد الشمري وقيس عبد إسماعيل التميمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007 م، 2 مج. ويرد ذكره في مرويات: القاضي عياض، الغنية، ص 134، 179. ابن خير الاشبيلي، مصدر سابق، ص 270. التحيي، مصدر سابق، ص 264.

الكتب المشرقية المصنفة خلال القرن 8 هـ / 14 م، من أهمها "تهذيب الكمال" لجمال الدين المزّي (ت 742 هـ / 1341 م)، الذي يرويه التحجيبي<sup>(1)</sup>، والوادي آشي<sup>(2)</sup> عن شيخهما المصنف، حدث ذلك بفعل عامل الرحلة إلى الحواضر المشرقية، وطلب المشيخة، الذي عزز وصول الأعمال المشرقية إلى بلاد المغرب في تلك المرحلة.

في مقابل ذلك أحرزت كتب التراجم والطبقات الأندلسية، هي الأخرى تقدما ملحوظا منذ مراحل مبكرة، وقد تمتعت هذه الأخيرة بنوع من الخصوصية الفكرية في الحضارة الإسلامية<sup>(3)</sup>، حيث ظهرت بالأندلس كتب التراجم والطبقات التقليدية، وكتب الفهارس وبرامج الشيوخ والصلوات، شكلت هذه الأخيرة علامة فارقة في الإنتاج البيوغرافي في الغرب الإسلامي الوسيط، وأصبح التعويل عليها بشكل لافت في عملية التلقين داخل الحلقة، واستمر حدوث ذلك إلى نهاية العصر الوسيط، وهو ما سوف أحاول تفصيله في الجدول التالي:

الكتاب	التلميذ	الشيخ	طريقة التحمل	المكان	المصدر
تاريخ الفقهاء والرواة للفضلي (ت 403 هـ / 1061 م) <sup>(4)</sup>	التحجيبي	أبو القاسم البلفيقي	القراءة	سبتة	برنامج التحجيبي، ص 262
	التحجيبي	ابن أبي الربيع السبتي	الإجازة	سبتة	برنامج التحجيبي، ص 262
	السراج	أبو البركات البلفيقي	السماع	فاس	فهرسة المنتوري، ص 205
	المنتوري	أبو زكريا السراج	القراءة-الإجازة	فاس	فهرسة المنتوري، ص 204
طبقات المقرئين للداني (ت 444 هـ / 1053 م)	التحجيبي	أبو عبد الله الكناني	القراءة- المناولة	بجاية	برنامج التحجيبي، ص 44
	أبو عبد الله اللخمي	أبو الحسن علي القرطبي	السماع	فاس	فهرسة المنتوري، ص 203
	المنتوري <sup>(5)</sup>	أبو عبد الله محمد اللخمي	القراءة	فاس	فهرسة المنتوري، ص 203

(1) - المصدر نفسه، ص 260.

(2) - مصدر سابق، ص 92، 271.

(3) - حول خصائص كتب التراجم والطبقات الأندلسية. أنظر: علاوة عمارة، "الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط"، ص 363-368. كذلك عبد الواحد عبد السلام شعيب: الكتابة التاريخية ومناهجها في الأندلس، دار الأمان، الرباط، 2014، ص 339.

(4) - من المؤلفات التي يحملها ابن خير الاشبيلي على شيخه ابن عتاب القرطبي (ت 520 هـ / 1126 م). أنظر: ابن خير الاشبيلي، مصدر سابق، ص 272.

(5) - تجتمع أسانيد المنتوري والتحجيبي بأسانيد الشيخ أبي الحسين بن هذيل عن شيخه أبي داوود سليمان الأموي عن مؤلفه. حولها أنظر: المصدر نفسه، ص 106. أما القاضي عياض فيروي الكتاب بطريق شيخه أبي القاسم بن الحصار (ت 511 هـ / 1117 م). أنظر: القاضي عياض، الغنية، ص 148. كما أن المنتوري يحمل الكتاب كذلك بسند أندلسي، بطريق شيخه أبي



الاستيعاب لابن عبد البر (ت 463 هـ / 1020 م) (1)	الوادي آشي (2)	ابن الغماز	السمع- الإجازة	تونس	برنامج الوادي آشي، ص 219
الصلة لابن بشكوال (ت 578 هـ / 1183 م)	العبدري	ابن رزين التجيبي	تونس	القراءة	رحلة العبدري، ص 106
	التجيبي (3)	أبو القاسم محمد البلفيقي	قراءة	سبته	برنامج التجيبي، ص 262
	المنتوري	أبو عبد الله الكناني	القراءة- المناولة	بجاية	برنامج التجيبي، ص 263
المنتقى لابن	التجيبي (4)	ابن الحاج القرطبي أبو	القراءة- المناولة	تونس	برنامج التجيبي، ص 259
	المنتوري	أبو عبد الله محمد اللخمي	القراءة- الإجازة	فاس	فهرسة المنتوري، ص 205

عبد الله محمد بن محمد القيجاطي برواية أبي داوود سليمان تلميذ المؤلف.

(1) - يعتبر كتاب "الاستيعاب" لابن عبد البر النمري، من أهم الأعمال الأندلسية التي اعتنى بها علماء الغرب الإسلامي الوسيط، من خلال روايته أو إنجاز الاستدراكات عليه، ومن بين الاستدراكات المغربية على الكتاب، أشير إلى استدراك أبي علي الأشيري (ت 561 هـ / 1165 م). للمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع. أنظر: عبد الله محمد حسن دنفو "الإمام الحافظ أبو محمد الأشيري واستدراكه على كتاب الاستيعاب لابن عبد البر"، مجلة *مرآة الثقافة*، 2، (2012)، ص 53 - 68. كذلك استدراك أبي إسحاق إبراهيم الطليلي، المعروف بابن الأمين (ت 544 هـ / 1149 م)، الذي يعتبر إحدى الاستدراكات التي وصلتنا على كتاب "الاستيعاب"، وقد نشر بتحقيق حنان الحداد، وزارة الأوقاف، المغرب، 2008، ص 2. (2) - يجتمع إسناده الوادي آشي، وابن خير الاشبيلي في رواية كتاب "الاستيعاب"، عند الراوية أبي بكر محمد بن طاهر القيسي، الذي يروي الكتاب سماعا عن أبي علي الغساني عن مؤلفه، بينما يحمل المنتوري الكتاب بطريق ثان أندلسي عن شيخه أبي عبد الله محمد القيجاطي. حول ذلك أنظر: ابن خير الاشبيلي، مصدر سابق، ص 268. الوادي آشي، مصدر سابق، ص 219-220. المنتوري، مصدر سابق، ص 203. وفي وقت متأخر من المرحلة الوسيطة يشير أحمد المنجور، مصدر سابق، ص 683. إلى مطالعة الكتاب من طرف شيخه علي بن عيسى الراشدي التلمساني، نزيل فاس (ت 962 هـ / 1554 م)، وحفظه له.

(3) - قرأ التجيبي هذا الكتاب أيضا بمحاضرة مألقة سنة 694 هـ / 1294 م، على الشيخ أبي عبد الله محمد بن عياش القرطبي، وقد قرأ عليه في تلك المدة، كذلك كتاب "التبيين عن مناقب من عرف قبره وشهر فضله ممن كان بقرطبة من التابعين والعلماء الصالحين والعباد المتبتلين والزهاد المجتهدين الذين تعرفت البركة وإجابة الدعاء عند قبورهم على مر السنين" لأبي القاسم بن الطليسان (ت 642 هـ / 1244 م)، وتناوله من يده، كما قرأ عليه مشيخة أبي القاسم بن الطليسان. حولها أنظر: التجيبي، مصدر سابق، ص 263، 266، 244.

(4) - يملك التجيبي نسخة نفيسة من كتاب "المنتقى في أسامي الأئمة المرضيين"، وهي بخط المؤلف أبي عبد الله محمد الأزدي الأونبي، وتقع نسخته في ثلاثة أسفار كبار وسفر رابع صغير، هذه النسخة الأم النفيسة صرح التجيبي أن في سفرها الرابع الأخير، قيد نص إجازة صاحب "المنتقى" الشيخ أبي عبد الله محمد بن خلفون الأزدي لتلميذه ابن الحاج القرطبي شيخ التجيبي. حوله أنظر: المصدر نفسه، ص 259. وفي هذا السياق صرح ابن الأبار، التكملة، 2/ 141. باللقاء الذي جمعه بالأونبي بـ "الوراقين" من مدينة اشبيلية سنة 626 هـ / 1228 م، كما أشار إلى كتابه "المنتقى"، الذي يبدو أنه اطلع على نسخة منه تقع في خمسة أسفار.

			إسحاق إبراهيم بن أبي الوليد		خلفون الأزدي (ت 636 هـ / 1238 م)
263	برنامج التحجبي، ص	سبته	أبو القاسم البلفيقي	التحجبي	التكملة لابن الأبار
263	برنامج التحجبي، ص	تونس	ابن رزين التحجبي <sup>(1)</sup>		
263	برنامج التحجبي، ص	سبته	أبو القاسم البلفيقي	التحجبي	الذيل لكتاب الصلة لابن فرتون السلمي (ت 666 هـ / 1267 م)
263	برنامج التحجبي، ص	سبته	أبو إسحاق إبراهيم المديوني		

يتضمن الجدول أعلاه، ستة مصنفات في تراجم رواة العلم من إنتاج شيوخ الأندلس، وقد تم تداولها على نطاق واسع في عديد الحواضر المغربية (تونس - بجاية - فاس - سبته)، باستثناء "صلة" ابن فرتون السلمي الفاسي نزيل سبته، هذه "الصلة" التي تعتبر إحدى الحلقات المفقودة من كتب الصلات المنجزة خلال القرن 7 هـ / 13 م، يصرح التحجبي بامتلاكه لنسخة نفيسة منها بخط شيخه المصنف، وبخصوص كتاب ابن الفرضي فيبدو أنه احتفظ بمكانته المرموقة، ضمن كتب التراجم الأكثر تداولاً في حلقة شيوخ المغرب إلى القرن 9 هـ / 15 م، وتظهر سلاسل الأسانيد المغربية في رواية الكتاب، الدور الذي لعبه تلميذه، وابن بلدته ابن عبد البر النمري القرطبي وتلامذته من بعده في انتشار الكتاب في بلاد المغرب، فهو معدود ضمن قائمة مرويات المنتوري التي يرويها بطريق شيخه السراج بالحاضرة المرينية فاس، هذا الأخير يتصل إسناده بأحد مشاهير إخباريي الأندلس خلال القرن 8 هـ / 14 م، أعني به شيخ ابن خلدون، الراوية ابن الحاج البلفيقي (ت 771 هـ / 1369 م)، الذي اتصل به تلميذه السراج في أثناء تواجده بمدينة فاس، وقرأ عليه كتاب ابن الفرضي، وهنا تحديداً أفتقد للجزء المفقود من فهرسة السراج، والذي يتضمن تعيين مروياته على شيوخه بمدينة فاس، والمؤكد أن العثور على هذا الجزء المفقود، سوف يتيح للباحثين المهتمين بالحقول المعرفية، ومستوى تداولها في الحاضرة المرينية فاس، إمكانية مناقشة الكثير من القضايا الحساسة، بما فيها تلك المتعلقة بالمعرفة التاريخية محل الدراسة، وللكشف عن الأسانيد المغربية في رواية كتاب ابن الفرضي، إليك هذه الشجرة.

<sup>(1)</sup> - وردت الإشارة إلى قراءة التحجبي لكتاب "التكملة" لابن الأبار على شيخه ابن رزين التحجبي، في هامش (2)، من الصفحة 263 من البرنامج.



من خلال الجدول التفصيلي أعلاه، هناك إمكانية انجاز سلاسل أسانيد باقي المصنفات الأندلسية، التي من شأنها الكشف على مزيد من طرق انتقال المعرفة التاريخية الأندلسية إلى بلاد المغرب، إضافة إلى معرفة هوية الشيوخ الذين تولوا عملية التلقين، وإماطة اللثام كذلك على أماكن وتاريخ إقراء تلك المصنفات، على أنني سوف أعود لمناقشة مسألة انتقال وانتشار بعض نسخ "صلة" ابن بشكوال، و"تكملة" ابن الأبار في الحواضر المغربية، بشكل دقيق في الفصل القادم.

من المخيب للآمال، الحديث عن تأخر المصنفات التاريخية المغربية المتعلقة بالتراجم والطبقات، وتلك المكانة المحتشمة التي احتلتها بين باقي مواد التلقين في نهاية العصر الوسيط، في ظل هيمنة المواد التاريخية الأندلسية، أستثني هنا "ترتيب المدارك" للقاضي عياض، الذي يمثل أعلى مستويات الإنتاج التاريخي المغربي، في تراجم طبقة فقهاء المالكية المنجزة خلال القرن 6 هـ / 12 م، استطاع هذا الكتاب حجز مكانة مرموقة بين باقي الأعمال التراجمية المحلية، وبقي متداولاً في الوسط المالكي إلى نهاية المرحلة الوسيطة، فهو ضمن قائمة المواد التاريخية التي يحملها المنتوري<sup>(1)</sup> عن شيخه أبي عبد الله محمد بن عمر اللخمي بفاس، هذا الأخير يتصل إسناده برواية أحد تلامذة القاضي عياض، الشيخ أبي جعفر الحصار الغرناطي الأصل (ت 598 هـ / 1201 م)<sup>(2)</sup>، كذلك هو على قائمة مرويات الفقيه ابن غازي المكناسي، الذي صرح بقراءته لجزء منه على شيخه أبي عبد الله محمد بن قاسم القوري (ت 872 هـ / 1467 م)<sup>(3)</sup>.

ومع إقراره بالنجاح الذي حققته بعض الدواوين التاريخية المشرقية، في الانتشار الواسع في حلقة شيوخ المغرب في نهاية المرحلة الوسيطة، إلا أن ذلك لم يكن حليف بعض الأنماط التاريخية المعروفة<sup>(4)</sup>، خصوصاً تلك المتعلقة بتراجم أعلام الحواضر المشرقية، فقد تراجع مستوى تداولها في نهاية العصر الوسيط، بالتزامن مع تراجع الدور الحضاري الذي لعبته تلك الحواضر، التي لا طالما شكلت نقطة استقطاب مهمة لأعلام المغرب في رحلاتهم الحجازية والعلمية، ورغم رواية التحجبي لكتاب "تاريخ بغداد" للخطيب لبغداد (ت 436 هـ / 1044 م)، الذي يحمله بسنده المشرقي<sup>(5)</sup>، إلا أننا لا نجد ضمن مرويات أعلام شيوخ المغرب خلال القرنين 9-10 هـ / 15-16 م، وينسحب الكلام على روايته لكتاب "تاريخ دمشق" لابن عساكر (ت 571 هـ / 1175 م)، الذي يحمله على شيخه الدباغ إجازة بالجملة، استناداً إلى شهادة تلميذه أبي

(1) - مصدر سابق، ص 204.

(2) - أنظر ترجمته: ابن الأبار، التكملة، 82/1 - 83.

(3) - ابن غازي المكناسي، فهرسة، ص 66.

(4) - أشير هنا إلى تاريخ خليفة بن خياط العصفوري (ت 240 هـ / 854 م)، الذي ورد ذكره في قائمة مرويات ابن عطية الحاربي، مصدر سابق، ص 90.

(5) - من مرويات التحجبي على شيخه جمال الدين المزّي بطريق السماع، كما يحمله بطريق الإجازة عن شيخه ناصر الدين أبو حفص عمر الطائي، والشيخ محي الدين أبو الفضل عبد الرحيم الدميري المصري. أنظر: التحجبي، مصدر سابق، ص ص 107، 261.

زكريا السراج<sup>(1)</sup>.

ما يمكنني التأكيد عليه في ختام هذا الفصل، الذي حاولت فيه مراقبة مكانة المواد التاريخية في تصانيف العلوم المنجزة خلال المرحلة الوسيطة، ومكانتها بين مواد التلقين في بلاد المغرب، هي تلك المكانة المحتشمة التي حازت عليها هذه المواد بشكل عام بين باقي أصناف المعرفة المتداولة خلال المرحلة الوسيطة المتأخرة، خصوصا إذا قورنت بمواد علوم الشريعة (الحديث- الفقه- التفسير)، التي أحكمت سيطرتها على المنظومة المعرفية الإسلامية الوسيطة، في حين خصصت مساحة هامشية لباقي أصناف المعرفة بما فيها التاريخية، وقد أعطيت فيها الأولوية لتلك المواد المرتبطة بشخصية الرسول، كالبحث في سيرته ومغازيه، وحتى في دوائر المقربين إليه (أولاده - زوجاته- صحابته)، والعناية بتراجم رواة الحديث.

<sup>(1)</sup> - مصدر سابق، ص 325. وقد صرح بأن التجيي يحمل كتاب "تاريخ دمشق" لابن عساكر، إجازة بالجملة عن شيخه أبي زيد الدباغ، وجاء ذلك في حديثه عن فضائل مجاورة الحرم المكي.

# الفصل الرابع:

تاريخ النصوص الإخبارية، ومستوى

تراول نسخها في بلاد المغرب

"مقاربة تاريخية لـ"ويكولوجية"

## المبحث الأول:

إجازات المعارضة والسماع، تكشف عن هوية بعض النسخ التاريخية المتداولة:

في البداية من الجيد التنبيه إلى نقطة حساسة ومهمة، تتعلق بمكانة النسخ التراثية المخطوطة بشكل عام، والتي يمكن اعتبارها من أنفس الآثار المادية التي وصلتنا اليوم من إنتاج المرحلة الوسيطة، فبالإضافة إلى الحاجة الماسة إلى تكثيف الجهود ومضاعفتها للمحافظة على هذا التراث المادي بطرق علمية مبتكرة وحديثة، وإعادة ترتيبه وفهرسته، من خلال وضع كشافات شاملة ومضبوطة، يمكن من خلالها تسهيل عملية الوصول إلى المخطوط ومعرفة أماكن تواجده، فهي كذلك تستدعي من الباحثين المتخصصين، الاستفادة منه إلى أقصى حدوده الممكنة، ومحاولة وضعه في محيطه المادي، والتاريخي والجغرافي، وذلك بتوجيه العناية ليس فقط إلى مستوى تحقيق نصوصه، بل يتعداه إلى مستوى دراسة جوانبه المادية والتقنية<sup>(1)</sup> كالاهتمام بنوعية الكاغد، والخطوط، والتسفير، والحبر، والزخرفة... الخ، وهو ما يصطلح عليه بـ "علم المخطوط" (La Codicologie)<sup>(2)</sup>.

وأمام الكم الكبير من التراث المغربي المخطوط، المصنف في مختلف فروع المعرفة الوسيطة، سوف ينصب اهتمامي أكثر في هذا الفصل على المخطوط التاريخي، الذي ينتمي إلى المرحلة الوسيطة المتأخرة موضوع الدراسة، وبالتأكيد لست هنا بصدد الحديث عن البعد الحفري التقني للمخطوط، الذي يتناول مادة الكتابة، ونظام الطي، والترتيب، والتنقيب،

(1) - أشير هنا إلى العمل الذي أنجزه مصطفى الطوي، حول مخطوطات النحو بالخزانة الحسينية بالرباط، التي اعتمد فيها على مقارنة كوديكولوجية تجمع بين البعدين الحفري التقني والحفري النسقي للمخطوطات المعنية بالدراسة، وقد توصل من خلالها إلى نتائج مهمة. حولها أنظر: مصطفى طوي: "مخطوطات النحو بالخزانة الحسينية بالرباط، مقارنة كوديكولوجية"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، 55، (2006)، ص 192-199.

(2) - علم يهتم بدراسة المخطوط باعتباره قطعة مادية، الغاية الأساسية من دراسته، هو محاولة فهم مختلف الجوانب الصناعية للكتاب المخطوط القديم، وذلك بالإجابة عن مجموعة من التساؤلات مثل: كيف ومتى تم إنجاز المخطوط؟ وما الغاية من هذا الإنجاز؟ ومن دعا إلى صناعته؟ وعليه فقد اقترح البلجيكي فرانسوا مازي (F.Masai) تسمية هذا العلم بـ "آثارية المخطوط" (archéologie du manuscrit). لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع. أنظر: فرانسوا ديروش: المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ترجمة أيمن فؤاد سيّد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2005، ص 44-68. أحمد شوقي بنين، مرجع سابق، ص 21-29. أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، مرجع سابق، ص 250. جاك لومير: مدخل إلى علم المخطوط، ترجمة مصطفى طوي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2006، ص 24-36.

وتركيب الصفحات، والتفسير، والزخرفة، والترميم... الخ، لذلك سوف يكون البعد الحفري النسقي للمخطوط موضوع اهتمامي، فهو يعنى بقضايا النسخة (la Transcription) <sup>(1)</sup>، من بداية المخطوط إلى نهايته، نصوص التملكات، والاقتناء، والمقبلات، والمعارضة <sup>(2)</sup>، ونصوص الإجازة والسماعات، ووثائق الوقف، وتواقيع النساخ، ناهيك عن الطرر والحواشي.

إن محاولة تجميع وقراءة محتوى نصوص الفقرات المقيدة على عدد من النسخ التاريخية، التي وصلتنا اليوم، وتحليل بعض بياناتها النصية، استنادا إلى مجموعة من الروايات التاريخية، قد يساعد إلى حد كبير في إمكانية التوصل إلى نتائج جديرة بالاهتمام في هذا الشأن، وإمارة اللثام عن بعض القضايا الحساسة المتعلقة بـ (Histoire du texte) <sup>(3)</sup>، أو ما يعرف بـ "تاريخ النصوص"، ومراقبة مستوى تداول النسخ العتيقة، وتتبع بعض محطاتها التاريخية المفصلية، إلى أن وصلت إلينا في أشكالها المختلفة، قد تكون مبيضة المؤلف أصل نفيس أو "أم نفيسة" انبثقت عنها نسخ أخرى، أو نسخا فرعية منبثقة عن نسخ عتيقة كتبت بخط أحد النساخ من الأعلام المشتهرين بالدقة والضبط، الأمر الذي قد يرفع من نفاسة نسخته، كما قد تكون نسخة محرفة عن الأصل أو منقولة عن أصل سقيم، هذا الاختلاف الذي قد يؤثر كثيرا على مضمون نسخ الكتاب

<sup>(1)</sup> - حول مفهوم النسخة في المرحلة الوسيطة، وتقنياتها والوسائل المستخدمة فيها. أنظر: فرنسوا ديروش، مرجع سابق، ص 286-311. جاك لومير، مرجع سابق، ص 249-271.

<sup>(2)</sup> - أنه هنا بأحد أقدم نصوص المعارضة التي وصلتنا اليوم، مقيدة على إحدى النسخ التاريخية المشرقية العتيقة، ويعود تاريخ المعارضة إلى سنة 251 هـ / 768 م، وهي نسخة من كتاب "حذف من نسب قريش" المشرقية، لأبي فيد مؤرخ بن عمرو النحوي البصري (ت 195 م / 810 م)، وقد استقرت في إحدى مراحلها التاريخية ببلاد المغرب، كتبت بخط الناسخ أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد النجيمي (ت 355 هـ / 965 م)، برواية محمد بن العباس البيهقي (ت 310 هـ / 922 م)، عن عمه أبي جعفر أحمد بن محمد العباس البيهقي (ت قبل: 260 هـ / 873 م)، وقد عارض نسخته بأصل المصنف أبي فيد مؤرخ، كما عارضها بأصل عمه المذكور سنة 251 هـ / 865 م، هذه النسخة النفيسة من أوقاف الزاوية الناصرية بتامكروت المغربية، وليست لدينا معلومات كافية حول ملاسات وصولها إلى هذه الزاوية، وهي الآن من ذخائر الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم (99 ق)، وقام صلاح الدين المنجد، باعتماد هذه النسخة في تحقيقه للكتاب، ونشره بمكتبة دار العروبة، القاهرة، سنة 1960. لمعرفة محتوى نص المعارضة المقيد على هذه النسخة النفيسة. أنظر: ملحق رقم (05).

<sup>(3)</sup> - من الدراسات الغربية المهمة التي وظفت مقاربات كوديكولوجية، انطلاقا من مجموعة من نسخ الكتاب الواحد، أنه بالدراسة التي قامت بها الفرنسية أمبير جنفييف حول كتاب سيويه، وقد استطاعت أن تجمع نحو 78 نسخة خطية من الكتاب، وتنجز دراسة دقيقة ومهمة حول الكتاب. أنظر:

- Humbert Geneviève, *Les voies de la transmission du Kitab de Sibawayhi*, E.J.Brill, Leiden, 1995.



الواحد، يضاف إليه في كثير من الأحيان تعرض مجموعة من النسخ العتيقة إلى الكثير من التلف والتمزق لأسباب مختلفة، قد تتعلق بنوعية الحبر، الورق، الأرضة، ناهيك عن تأثير الرطوبة، وعبث الأيدي البشرية... الخ<sup>(1)</sup>، وغالبا ما يقع هذا التلف على الورقات الأولى والأخيرة، وهي الورقات التي عادة ما تأتي حبلى بنصوص الإجازة، والسماعات، والتملكات، والوقف، والمطالعة، وتواقيع النساخ الذي يظهر في حرود المتن<sup>(2)</sup>.

ليس خفي على أحد، مدى صعوبة الوصول إلى مجموعة مهمة من النسخ التاريخية النفيسة، التي تعود إلى المرحلة الوسيطة المتأخرة، نظرا لتوزعها عبر مختلف مكتبات الدول المتوسطة وغيرها، العربية منها والأجنبية<sup>(3)</sup>، يضاف إليها تلك المجموعات الغير مفهرسة، وحتى الخاصة التي تقع ضمن ملكية بعض الأفراد والأسر، هذا ناهيك عن حساسية التعامل مع المعطيات الكوديكولوجية المقيدة على النسخ العتيقة، الأمر الذي فرض عليّ ضرورة استغلال النتائج القيّمة التي توصلت إليها بعض الدراسات الحديثة المتخصصة، والتي لها تجارب طويلة مع المخطوط التاريخي المغربي بشكل عام، إضافة إلى مراجعة البيانات الفهرسية المهمة، التي توفرها الكشافات والفهارس العلمية لدور المخطوطات، لتبقى المجموعة الأهم في هذه الدراسة، هي تلك النسخ التاريخية النفيسة، التي تمكنت من الوصول ومعاينتها.

انطلاقا من هذه المقاربة المنهجية، سوف تدور مناقشتي في هذه المرحلة المهمة، حول مجموعة من الأسئلة الجوهرية: ما هي الملابس التاريخية التي رافقت بعض النسخ التاريخية، انطلاقا من أولى عمليات نسخ الكتاب؟ هل من الممكن التعرف على هوية بعض النسخ

<sup>(1)</sup> - تعددت الأسباب المؤدية إلى تلف المخطوطات بين عوامل طبيعية وأخرى بشرية يمكن التعرف على بعضها في دراسة الجيلاني عبد اللطيف: "ظاهرة غرق النصوص المخطوطة أو إغراقها ومحوها بالماء في التراث العربي الإسلامي"، مجلة مرآة التراث، 1، (2011)، ص 26-38.

<sup>(2)</sup> - وهو الهامش الموجود في آخر النص والمتعلق بالنسخة وبياناتها (Colophon). حوله أنظر: أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي: مرجع سابق، ص 128. ولمعرفة أهمية حرود المتن وتطور أشكالها المختلفة في المخطوط العربي الوسيط. أنظر: رمضان شنشون: "تطور حرود المتن في المخطوطات الإسلامية"، ترجمة طه مصطفى أمين، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مج 53، (2009)، 1/ 143-182.

<sup>(3)</sup> - حول واقع فهرسة المخطوطات العربية الموجودة على مستوى خزائن الدول المتوسطة، أنظر: أحمد شوقي بنين: مرجع سابق، ص 90-100. كذلك دراسة علاوة عمارة: "الغرب والمخطوطات العربية: قراءة في تجربة"، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، 1، (2009)، 6/ 47-65.

المفقودة اليوم من خلال تواقع النساخ؟ وهل تعدد نسخ الكتاب التاريخي الواحد خلال بعض الفترات، يعكس حقيقة ارتفاع مستوى تداوله خلال المرحلة الوسيطة؟ إلى أي مدى يمكن التعويل على نصوص الإجازة، والسماعات، والتملكات، والقراءة والتصحيحات، في الكشف عن هوية الأشخاص المطلعين على بعض النسخ التاريخية؟ ما هي حدود الاستعانة بمرود المتن في إمكانية التوصل إلى هوية بعض النساخ، وتاريخ، ومكان النسخ؟

### 1. إجازات المعارضة المقيدة على نسخ "الشفاء"، تكشف عن نسخة أبي زكريا السراج.

كان متوقعا أن نجد مجموعة كبيرة من نسخ "الشفاء" العتيقة، موزعة في مختلف خزائن الكتب المغربية<sup>(1)</sup> ناهيك المشرقية<sup>(2)</sup>، يأتي هذا تماشيا والانتشار الواسع الذي حققه الكتاب منذ

(1) - تحتوي الخزانة الحسينية بمدينة الرباط المغربية، على عدد كبير من نسخ "الشفاء"، وعلى حسب الإحصاء الذي صرح به مفرسو مخطوطات قسم السيرة النبوية بالخزانة، فان عدد نسخه قد بلغ نحو 265 نسخة. حولها أنظر: محمد سعيد حنشي وعبد العالي لمدر، فهارس الخزانة الحسينية (فهرس مخطوطات السيرة)، ص 183. ومن نسخ "الشفاء" العتيقة التي تحتفظ بها هذه الخزانة، نسخة تحت رقم (11913)، يعود تاريخ نسخها إلى الفترة الموحدية، وقد كتبت على الرق. كذلك توجد الكثير من نسخه بخزانة القرويين بفاس، منها نسخة تحت رقم (252)، وقع الفراغ من نسخها 13 شعبان سنة 697 هـ/ 25 ماي 1298 م، بيد الناسخ أبي عمرو بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن ربيع الأشعري، نسخها من أصل كتب عليه، نسخ من أصل عتيق وعليه خط المؤلف القاضي عياض.

(2) - أشير هنا إلى بعض نسخ "الشفاء" المشرقية العتيقة، التي يعود تاريخ نسخها إلى المرحلة الوسيطة المتأخرة: منها نسخة محفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (96 ك)، نسخت بتاريخ 877 هـ/ 1472 م. حولها أنظر: محمد المنوني: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط (قسم الخزانة الكتانية)، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2000، 6/ 40. كذلك نسختان محفوظتان بالمكتبة الوطنية التونسية، الأولى تحت رقم (18662) نسخت بقلعة دمشق سنة 764 هـ/ 1362 م، أما الثانية تحت رقم (18384)، نسخت بتاريخ 820 هـ/ 1417 م، وتوجد بها تأكيد بالإجازة بخط ابن حجر العسقلاني. حولهما أنظر: عبد الحفيظ منصور: مرجع سابق، ص 356. كذلك نسختان من نفائس مكتبة تشستريتي بايرلندا، ومن مصورات معهد المخطوطات العربية بالكويت، الأولى تحت رقم (1368)، يعود تاريخ نسخها إلى سنة 771 هـ/ 1369 م، عليها سماعات مؤرخة بسنة 746 هـ/ 13345 م، وسنة 771 هـ/ 1369 م، نسخة ثانية تحت رقم (848)، نسخت بتاريخ 767 هـ/ 1365 م، عليها سماع مؤرخ بسنة 783 هـ/ 1381 م. حولهما أنظر: فهرس المخطوطات المصورة لمعهد المخطوطات العربية بالكويت، 1/ 39، 42. ونسخة محفوظة بمكتبة دير الأسكوريال على مقربة من مدريد الإسبانية، تحت رقم (1683 = 1678 كسيري) نسخت بتاريخ 759 هـ/ 1357 م. حولها. أنظر:

صدر أول نسخة، وقد كان لتلامذة القاضي عياض<sup>(1)</sup>، دورا أساسيا في نسخه وتصحيحه ومقابلته بأصل المصنف<sup>(2)</sup>، لتعرف بعدها عملية نسخه مستويات مرتفعة، اعتمادا على الأصول الأولى خلال القرون الوسيطة اللاحقة<sup>(3)</sup>، الأمر الذي يفسر كثرة طرق روايات "الشفاء"، وعلى حسب تقييم محمد المنوني<sup>(4)</sup>، فتعتبر نسخة أبي زكريا يحيى السراج الفاسي المصححة والمقابلة بالأصل<sup>(5)</sup>، أم المنتسخات المغربية<sup>(6)</sup>.

(1) - أحصى محمد المنوني في دراسته الدقيقة حول روايات كتاب "الشفاء"، ما مجموعه اثنين وعشرين من تلامذة القاضي عياض، يحملون عنه الكتاب إما بطريق السماع أو الإجازة. لمزيد من التفصيل. أنظر: محمد المنوني: "كتاب الشفاء للقاضي عياض من خلال روايته ومروياته"، مجلة المناهل، 22، (1982)، ص 307-313.

(2) - ذكر المقرئ التلمساني، أزهار الرياض، 4/ 308-312. وقوفه على عدة نسخ صحاح من كتاب "الشفاء"، ومن بينها أصل أحد تلاميذ القاضي عياض، وهو عبد الرحمن بن القصير الغرناطي (ت 576 هـ / 1180 م)، واستنادا إلى رواية المقرئ فهذا الأصل مكتوب بخط ابن القصير، منبثق من أصل شيخه القاضي عياض المكتوب بخطه، لذلك اعتبره المقرئ من أوثق الأصول التي وقف عليها، كما أورد محتوى بعض الطرر التي قيدت على هذا الأصل النفيس.

(3) - أنه هنا، بعدد نسخ "الشفاء" التي أنجزها الناسخ أحمد اليافوخ بن محمد بن محمد الحلفاوي التلمساني، الأندلسي الأصل، انطلاقا من توقيعه الذي قيده في نهاية ثلاثة نسخ للكتاب التي وصلتنا اليوم، النسخة الأولى: هي النسخة التاسعة والعشرون التي فرغ منها عام 1141 هـ / 1728 م، محفوظة بدار الكتب الوطنية التونسية (رصيد المكتبة العبدلية)، أما النسخة الثانية: فهي النسخة السابعة وستين، التي فرغ منها في شهر جمادى الآخرة 1149 هـ / أكتوبر - نوفمبر 1736 م، وفي شهر ذي الحجة من نفس السنة، كتب أحمد اليافوخ نسخته الواحدة والسبعين، وكلتا النسختان من محفوظات الخزانة الحسينية بالرباط تحت رقم (11168)، (2266)، الأمر الذي يشير إلى أن الناسخ أحمد اليافوخ التلمساني معدود ضمن قائمة النساخ المختصين بنسخ "الشفاء"، وقد بلغ مجموع نسخه على الأقل 71 نسخة، فخلال ثمانية أشهر فقط من سنة 1149 هـ / 1736 م، تمكن من نسخ أربعة نسخ، أي بمعدل شهرين لكل نسخة، كما لا يفوتني هنا أن أشير إلى أن آخر منتسخاته المعروفة اليوم، تعود إلى سنة 1155 هـ / 1742 م، أين فرغ من نسخ كتاب "الاكتفا" لأبي الربيع بن سالم الكلاعي، وتوجد نسخته محفوظة بالمكتبة الوطنية التونسية (رصيد مكتبة حسن حسني عبد الوهاب)، تحت رقم (18159).

(4) - كتاب الشفاء للقاضي عياض، ص 314.

(5) - كشف المقرئ التلمساني، أزهار الرياض، 4/ 280. على وقوفه على نسخة "الشفاء" بخط السراج، ونقل عنها قصيدة في تقريض الكتاب لأبي محمد عبد النور بن محمد بن أحمد الحسيني العمراني.

(6) - من نسخ "الشفاء" المقابلة والمصححة بنسخة السراج، أذكر نسخة عبد القادر بن علي الفاسي (ت 1091 هـ / 1680 م)، من ذخائر الخزانة الحسينية تحت رقم (34)، استنادا إلى سلاسل الأسانيد التي اطلعت عليها، والمقيدة على الورقات (4-5-6-8)، والورقة الأخيرة من هذه النسخة، كما تحتفظ هذه الخزانة بنسختين كذلك من الكتاب بخط عبد القادر الفاسي المذكور، الأولى نسخها سنة 1065 هـ / 1654 م، والثانية سنة 1068 هـ / 1657 م، وهما تحت رقم (657)، و(3332)، وعلى ما يبدو أن نسخ "الشفاء" التي نسخها عبد القادر الفاسي، قد انبثقت عنها مجموعة ثانية من

انطلاقاً من مجموعة البيانات المقيدة على الورقات الأولى والأخيرة، لعدد من نسخ "الشفاء" المتأخرة، المنبثقة عن نسخة السراج، هذه النسخ قد احتفظت لنا بسلاسل أسانيد السراج في روايته لكتاب "الشفاء"، أخص بالذكر منها ثلاث نسخ محفوظة بالخزانة الحسينية بمدينة الرباط، تحت الأرقام التالية: (34) (1)، (3836) (2)، (1094) (3)، ومراجعتي الدقيقة لهذه الأسانيد، تبين لي أن رواية ابن غاز السبتي (ت 591 هـ / 1194 م)، أحد تلامذة القاضي عياض، والمختصين به (4)، هي طريق رواية السراج للكتاب، وأما عن هوية الأصل الذي كان بحوزته، فهو الأصل الذي نسخه نزيل غرناطة، الناسخ أبو عبد الله محمد بن علي بن فرج القيسي (ت 664 هـ / 1265 م) (5)، هذا الأخير الذي يطل علينا كناسخ لكتاب ثان للقاضي عياض، وهو كتاب "مشارف الأنوار على صحاح الآثار" (6).

ويستمد أصل ابن فرج القيسي، الذي فرغ منه سنة 632 هـ / 1234 هـ، نفاسته وقيمه التوثيقية، في كونه أحد النسخ المنبثقة عن أصل شيخه أبي عبد الله الطراز (ت 645 هـ /

---

النسخ في المراحل اللاحقة، توجد مجموعة منها بالخزانة الحسينية، تحت الأرقام التالية: (3340)، (2262)، (570)، (1108). لمعرفة مزيد من التفصيل حول هذه النسخ. أنظر: محمد سعيد حنشي وعبد العالي مدير، فهارس الخزانة الحسينية (فهرس مخطوطات السيرة)، ص ص 185، 192، 198، 215، 241.

(1) - حول أسانيد السراج المقيدة على الورقات الأولى من هذه النسخة أنظر: ملحق رقم (06).

(2) - وقع الفراغ من هذه النسخة المنقولة عن نسخة السراج في شهر صفر 1142 هـ / أوت - سبتمبر 1729 م، من قبل الناسخ علي بن محمد بن الحسن بن هلال. حولها أنظر: المرجع نفسه، ص 247-248.

(3) - وقع الفراغ من هذه النسخة المنقولة عن نسخة السراج سنة 1110 هـ / 1698 م، بيد الناسخ أحمد بن عمر بن محمد بن دعالل. حولها أنظر: المرجع نفسه، ص 197-198.

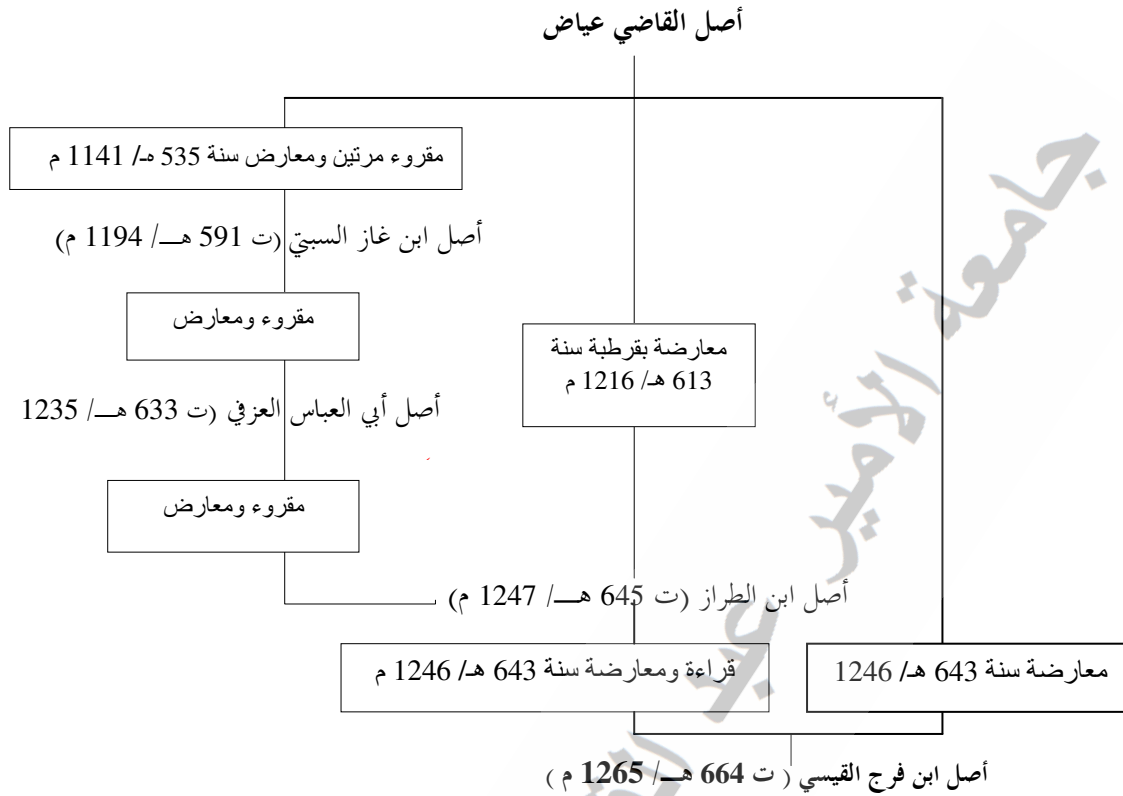
(4) - أكد ابن الأبار، التكملة، 2/ 160. في الترجمة التي خصصها لابن غاز السبتي، ملازمته لشيخه القاضي عياض واختصاصه بصحبته، كما أشار إلى سماعه معظم مروياته وتوليده.

(5) - تحتفظ المكتبة الوطنية بالرباط بأصل ابن فرج القيسي تحت رقم (ق 407)، كما تظهر نسخة ابن فرج القيسي كأصل معتمد من قبل عدد من النسخ التي تحتفظ بها الخزانة الحسينية، تحت الأرقام التالية: (1133)، (1442)، (1598)، (2630)، (3131)، (11179)، حولها أنظر: محمد سعيد حنشي وعبد العالي مدير، فهارس الخزانة الحسينية (فهرس مخطوطات السيرة)، ص ص 200، 202، 203، 225، 234، 282.

(6) - من نفائس مخطوطات خزانة القرويين بفاس تحت رقم (1015)، وفي آخر السفر الأول من هذه النسخة، كتب تقييد يشير إلى هوية النسخة الأصل التي نقلت عنها، وهي نسخة ابن فرج القيسي التي كتبها بخطه وعارضها بأصل القاضي عياض، وكان ذلك بمعية الحدث أبي عبد الله محمد بن سعيد، وبسماع ابنه أبي بكر محمد في شهر شوال سنة 644 هـ / فيفري - مارس 1247 م. حولها أنظر: محمد العابد الفاسي، مرجع سابق، 3/ 125-126.

1247 م)، والمعارض به في السابع والعشرين من رمضان 643 هـ / 14 فيفري 1246 م، هذا الأصل النفيس الضائع المكتوب بخط الطراز، هو أصل معارض كذلك لمرتين، أحدها أصل المؤلف القاضي عياض، وكانت المعارضة سنة 613 هـ / 1216 م، أما الثاني فهو أصل شيخه أبي العباس العزفي (ت 633 هـ / 1235 م)، كما أن أصل سليل أسرة العزفين السبئية المذكور، هو أصل مقروء ومقابل على أصل شيخه ابن غاز السبئي، وبالمثل هذا الأصل النفيس لأحد أبرز تلامذة القاضي عياض المباشرين، قد قام بمعارضة أصله بأصل شيخه، في غرة ذي القعدة 535 هـ / 7 جوان 1141 م، ومقروء عليه مرتين.

يبدو واضحا وبما لا يدعو للشك، العناية الكبيرة التي حظي بها كتاب "الشفاء" في الوسط المالكي، منذ صدور أولى نسخه بمدينة سبتة، فبالإضافة إلى هوية النسخ الأعلام الذين تولوا عملية نسخه عبر مراحل متتابعة، أين كان ينتقل بين أيدي الشيوخ وتلاميذهم، كذلك تؤكد الطريقة المعتمدة في نسخه، والتي تظهر الاعتماد على أعلى معايير تحري الدقة والضبط، بطريق إجازات المعارضة التي قيدت على الأصول النفيسة المفقودة لـ "الشفاء"، وصولا إلى أصل ابن فرج القيسي، الذي أعيد معارضته خلال القرن 8 هـ / 14 م، من قبل السراج، وتوضيحا لذلك، إليك المخطط التالي:



هذا ما كشفت عنه محتوى سلاسل الأسانيد، المقيدة على حواشي نسخة "الشفاء" المحفوظة بالخزانة الحسينية (3836)، على ورقة العنوان في أسفله مباشرة، وحواشي الورقة الأخيرة منها، على ما يظهر في النموذج المصور التالي:



ورقة العنوان من نسخة "الشفاء" المحفوظة بالخرزانة الحسينية (3836).



الورقة الأخيرة من نسخة "الشفاء" المحفوظة بالخرانة الحسينية (3836).



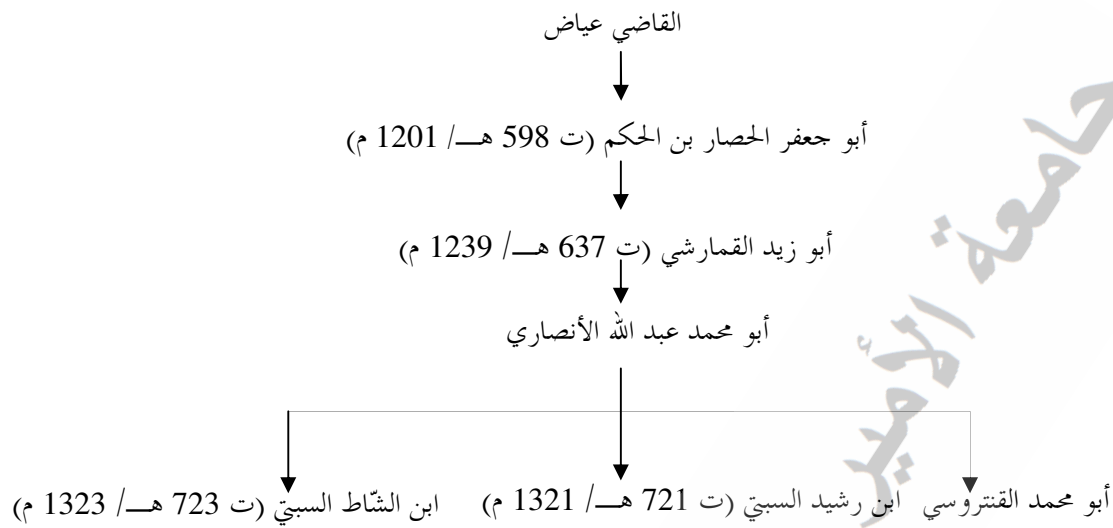
بلا شك أن الفقيه الراوية السراج، كان يدرك جيدا نفاسة أصل ابن فرج القيسي الذي كان يحوز عليه، وقد قام بإعادة معارضته مرة أخرى بأصل ثان نفيس، وهو أصل ابن رشيد السبتي (ت 721 هـ / 1321 م)، الأمر الذي تكشف عنه حواشي النصوص المثبتة على الحاشية السفلى<sup>(1)</sup> من الورقة الأخيرة للمخطوطة رقم (3836) المنوه بها أعلاه، وقد كتبت عبارة المقابلة التالية: "بلغت المقابلة من أصل الخطيب المحدث أبي عبد الله محمد بن رشيد الذي هو على رواية ابن الحكم، قاله متولي المقابلة بنفسه يحيى بن أحمد بن محمد النفزي شهر بالسراج وأصلح قوله وعمله بيمينه وكرمه والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين".

ويعتبر أصل ابن رشيد السبتي، إحدى أهم أصول "الشفاء" النفيسة الضائعة اليوم، وفي تصريح كشف عنه السراج، أن أصل ابن رشيد الذي استخدمه في معارضة نسخته، به تلف وضاعت منه بعض الأوراق، الأمر الذي اضطره إلى جبر ذلك النقص بنسخة ثانية، مقابلة بأصل ابن رشيد قبل الضياع، وهي نسخة نفيسة بخط معاصره الشيخ أبي القاسم القبتوري (ت 704 هـ / 1304 م)<sup>(2)</sup>، وتحريا للدقة والضبط، نقل السراج نص السماع الذي قيده ابن رشيد على نسخته للشفاء، وقد صرح فيه ابن رشيد بسماعه للكتاب على شيخه عبد الله بن أبي القاسم الأنصاري سنة 683 هـ / 1248 م، وشاركه في ذلك السماع، الشيخ أبو القاسم بن الشاطئ الأنصاري (ت 723 هـ / 1323 م)، وأبو محمد عبد الحق القنتروسي الفاسي<sup>(3)</sup>، وزيادة في التوضيح، إليك إسناد ابن رشيد فيما نقله السراج مما وجدته مقيدا على أصله المفقود اليوم.

(1) - كتبت هذه الحاشية بخط ناسخ المخطوطة، علي بن محمد بن الحسن بن هلال.

(2) - ورد في الترجمة التي خصصها له ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، 85/2 - 86. أنه قرأ كتاب "الشفاء" بسبته على عبد الله بن أبي القاسم الأنصاري. الأمر الذي يدفعني إلى الاعتقاد جازمة، أن نسخة القبتوري التي استخدمها السراج في جبر النقص الواقع في نسخة ابن رشيد، هي كذلك على رواية شيخهما أبي محمد عبد الله الأنصاري.

(3) - أنظر ترجمته: ابن القاضي، درة الحجال، 155/3 - 156.



استنادا إلى هذه المعطيات التاريخية والكوديكولوجية المهمة، المستندة على سلاسل الأسانيد التي قيدها السراج على نسخته، يمكنني التأكيد على حيازة السراج لأصل ابن فرج القيسي، بطريق ابن غاز السبتي، كما كان تحت نظره في أثناء مراجعته لهذا الأصل النفيس، نسختين على الأقل للكتاب هما:

- أصل ابن رشيد السبتي الضائع، بطريق أبي جعفر الحصار تلميذ المصنف.
  - فرع منبثق عن أصل ابن رشيد ومقابل به، بخط أبي القاسم القبتوري.
- كما عرض السراج منهجيته في مقابلة وتصحيح أصل ابن فرج القيسي، مع تفسير الإشارات التي أضافها على نسخته<sup>(1)</sup>، على ما هو مقيد في النموذج المصور التالي:

<sup>(1)</sup> - بيانها مقيدة في أعلى الورقة الأولى، من المخطوطات المحفوظة بالخزانة الحسينية تحت رقم (3836)، كذلك في الورقة 10 من المخطوطة تحت رقم (34)، والورقات الأولى من المخطوطة رقم (1094)، الورقات الأولى من المخطوطة رقم (3131)، وقد قام السراج بوضع رموز الأصول التي استخدمها في المقابلة، فأصل ابن رشيد أشار له بالرمز (ش)، ومن أصل أبي عبد الله الطراز بالرمز (ز)، ونسخة أخرى صحيحة معتمد عليها رمز لها بالرمز (صح خ).



منهجية السراج في مراجعة أصل ابن فرج، في نص مقيد على الورقة الأولى من نسخة "الشفاء" المحفوظة  
 بالخرزانة الحسنية تحت رقم (1094)

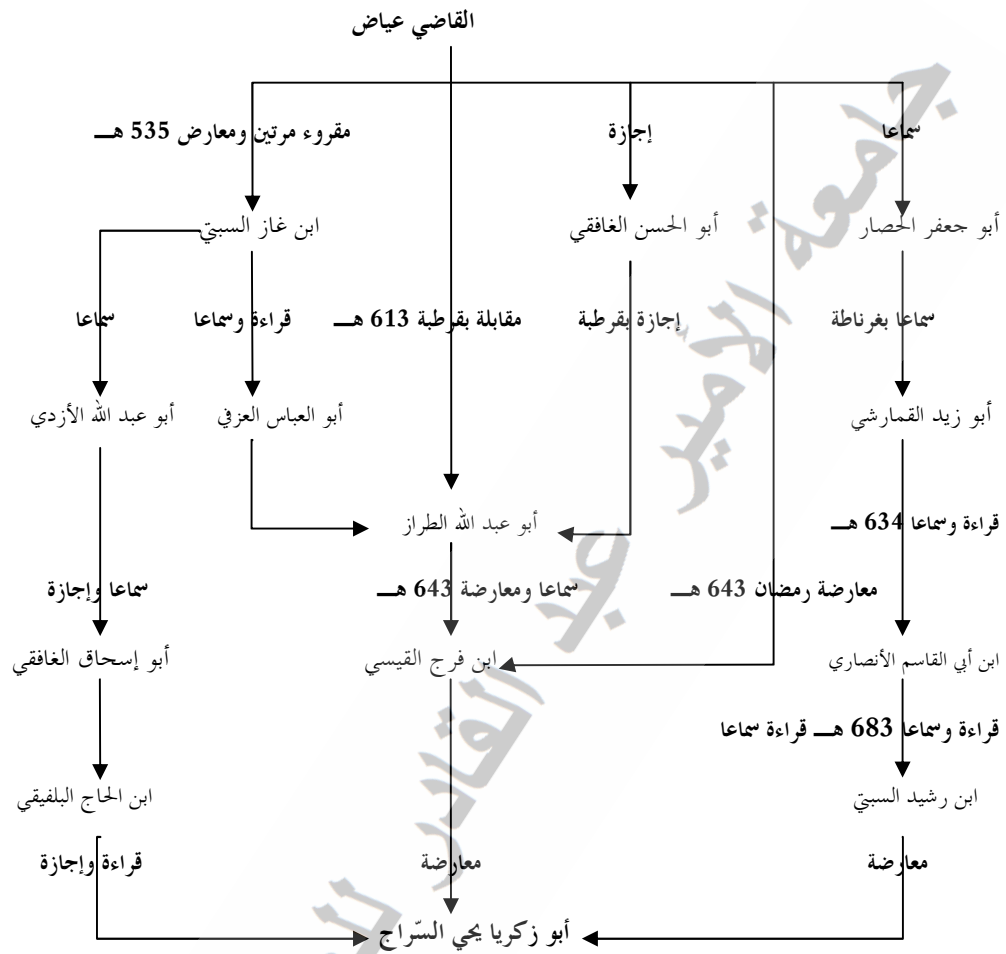
وبخصوص طرق تحمل السراج لكتاب "الشفاء"، الذي يرويه بالحاضرة المرينية فاس عن شيخه ابن الحاج البلفيقي (ت 771 هـ / 1369 م)، فقد ورد إسناده مقيدا في أعلى حاشية الورقة الأولى في الجهة اليسرى، وبشكل مائل في النسخة تحت رقم (3836)، المنوه بها سابقا، والملفت للانتباه أن هذا الإسناد المقيد على نسخته، يتطابق محتواه بشكل كامل مع الإسناد الذي أورده له تلميذه المنتوري في فهرسته<sup>(1)</sup>، كما أوضحه على النحو التالي:

<p>"حدثني بكتاب الشفاء قراءة عليه لبعضه وإجازة غير مرة في الجملة لجميعه الشيخ الفقيه الراوية المسند الخطيب الأكمل قاضي الجماعة أبي البركات محمد بن أبي بكر محمد بن إبراهيم السلمي رحمه الله عن القاضي أبي إسحاق الغافقي عن القاضي أبي عبد الله الأزدي سمعا عليه لأكثره وإجازة لسائره عن القاضي العدل أبي عبد الله بن عطية بن غاز السبتي سمعا عن المؤلف قراءة عليه لجميعه وسمعا لجملة منه قال هذا وكتبه يحيى بن أحمد بن محمد النفزي الحميري شهر بالسراج".</p>	<p>نص الإسناد المقيد بحاشية النسخة</p>
<p>"حدثني به عن القاضي أبو البركات محمد بن محمد بن الحاج قراءة لبعضه وإجازة لجميعه عن الأستاذ أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الغافقي قراءة لجميعه عن القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الله الأزدي سمعا لأكثره وإجازة لباقيه عن القاضي أبي عبد الله محمد بن أبي عبد الله محمد بن عطية بن غاز سمعا لجميعه عنه قراءة وسمعا".</p>	<p>نص الإسناد في فهرسة المنتوري</p>

التطابق بين شهادة التلميذ المنتوري في فهرسته، وما قيده شيخه السراج على نسخته، يعززه تصريح المنتوري في سلسلة أسانيد الشفاء، الذي يرويه بطريق شيخه السراج، بقوله "قراءة لبعضه ومناولة لجميعه في أصل مقابل من أصل المؤلف"<sup>(2)</sup>، وان لم يصرح هذا التلميذ بهوية الأصل النفيس الذي كان يعتمد عليه شيخه السراج في تلقين مواد السيرة النبوية في مجلسه بمدينة فاس، فإن المعطيات الكوديكولوجية السابقة الذكر، قد أثبتت بما لا يدعو للشك، أنه أصل ابن فرج القيسي المعارض بأصل القاضي عياض، وكان تاريخ المعارضة سنة 643 هـ / 1246 م. وفي الأخير، إليك موجزا ملخصا لشجرة أسانيد السراج في روايته لكتاب "الشفاء"، استنادا إلى المعطيات التاريخية والكوديكولوجية السابقة الذكر.

(1) - مصدر سابق، ص 154 - 155.

(2) - المصدر نفسه، ص 154.



إطلاع السراج على عدد من أصول "الشفاء"، التي كانت موجودة في مدينته فاس، على غرار أصل ابن فرج القيسي وابن رشيد السبتي خلال القرن 8 هـ / 14 م، وحيازته لأحدها، يعكس حقيقة شغفه الكبير في حيازة الأصول النفيسة<sup>(1)</sup>، سواء تلك المكتوبة بيد مصنفها، أو تلك النسخ المقابلة والمصححة على الأصول المقيدة بخط أحد الأعلام البارزين، وتأكيدا على نفاسة مجموعة الأصول التي كان يحوز عليها، يمكنني تقديم تشكيلة متميزة ومتنوعة منها، تسعة نسخ عتيقة، كان يعتمد عليها في حلقة، بالاستناد إلى شهادة تلميذه المنتوري<sup>(2)</sup>، كما أن العودة إلى

(1) - جاء في الترجمة التي خصصها له ابن القاضي الكناسي، جذوة الاقتباس، 2 / 539. قوله "وقلما تجد في كتب المغرب كتابا ليس عليه خطه".

(2) - عناوين النسخ التي كانت في حيازة السراج، التي صرح بها المنتوري في فهرسته هي: نسخة "إسفار الفجر الطالع في اختصار الزهر اليناع في قراءة نافع" للمقرئ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن الفار التتميلي، وهو أصل نفيس بخط مؤلفه،

سلاسل الأسانيد التي قيدها السراج بخطه على عدد من النسخ التي وصلتنا اليوم، تكشف على هوية مجموعة ثانية من النسخ التي كانت في حيازته، يحملها عن شيوخه، أذكر منها على الأقل أربعة نسخ نفيسة وهي: برنامج شيخه أبي القاسم التجيبي<sup>(1)</sup>، وابن الشَّاط السبتي<sup>(2)</sup>، كذلك كان يملك نسخة من كتاب ابن الشَّاط الموسوم بـ "الإشراف على أعلى شرف في التعريف برجال سند البخاري"<sup>(3)</sup>، و"إفادة النصيح" لابن رشيد السبتي<sup>(1)</sup>، على أن النسخ الثلاثة

كذلك أصل من كتاب "نظم الفريد في أحكام التجويد" للمقري أبي العباس أحمد الشريف السبتي (ت 776 هـ/ 1374 م)، كذلك أصل ابن فرتون السلمي لكتاب "التعريف والإعلام بما أنبهم في القرآن من الأسماء الأعلام" للسهيلي (ت 581 هـ/ 1185 م)، كذلك أصل "بيان المنن على قارئ الكتاب والسنن بالآثار النبوية والأخبار المروية" لابن الطيلسان (ت 642 هـ/ 1244 م)، وهو أصل مقروء على مؤلفه، كذلك نسخة من كتاب "الأربعين حديثاً في فضل المجاهدين" لأبي القاسم التجيبي (ت 730 هـ/ 1329 م)، وهو أصل نفيس بخط مؤلفه التجيبي، نسخة "المغني عن الحفظ والكتاب"، لضياء الدين أبي حفص عمر بن بدر بن سعيد الموصلبي الحنفي (ت 622 هـ/ 1225 م)، وهو أصل نفيس بخط ابن رشيد السبتي، ونسخة من كتاب "بداية الهداية" لأبي حامد الغزالي (ت 505 هـ/ 1111 م)، وهو أصل نفيس مقروء على أبي محمد الحجري المري نزيل سبتة (ت 691 هـ/ 1291 م). حول هذه النسخ النفيسة. أنظر: المنتوري، مصدر سابق، ص ص 86، 95، 102، 109، 144، 156.

<sup>(1)</sup> - تظهر بيانات نسخة برنامج التجيبي التي يحتفظ في دير الأسكوريال (El Escorial) قرب مدريد الإسبانية، تحت رقم (1756 = 1751 كسيري)، أنها نسخة منقولة عن أصل المؤلف، وعلى وجه الورقة الأولى من هذه النسخة طرق قراءة السراج للبرنامج على ثلاثة من شيوخه، قراءة على شيخه ابن الحاج البلفيقي، ثم قراءة أخرى على شيخه أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي، وقراءة ثالثة ومناولة من يد شيخه محمد بن سعيد الرعيبي، وكتب السراج ذلك بخطه في آخر شهر محرم الفاتح من سنة 792 هـ/ 13 جانفي 1391 م. حولها أنظر:

- Derembourg H. et E. Lévi-Provençal, *op. cit.* 3/ 262.

وقد أورد نص هذا السماع، المحقق عبد الحفيظ بمنصور في مقدمة تحقيقه للبرنامج.  
<sup>(2)</sup> - الموسوم بـ "برنامج شيوخ ابن أبي الربيع السبتي"، تخريج ابن الشَّاط السبتي، وتظهر بيانات النسخة التي يحتفظ بها المتحف البريطاني بلندن تحت رقم (Or, 1413)، أنها نسخة نفيسة عتيقة، وقع الفراغ من نسخها سنة 705 هـ/ 1305 م، في حياة المؤلف ابن الشَّاط، وقد دون السراج على الورقة الأولى والثانية من هذه النسخة، طرق قراءته للبرنامج على شيخين من شيوخه، قراءة على الشيخ ابن سعيد الرعيبي، وإجازة من شيخه ابن الحاج البلفيقي، كما قام السراج بتأكيد مقابله لهذه النسخة، سجل ذلك في حاشية في نهاية نسخته، وقد تمت المقابلة بأصلين صحيحين، أحدهما بخط أبي الحسن سليمان، والثاني بخط أبي القاسم التجيبي، وقد أورد نص هذه الأسانيد والمقابلة، محقق برنامج ابن الشَّاط، العربي الدائر الفرياطي، في مقدمة تحقيقه.

<sup>(3)</sup> - تظهر بيانات كتاب "الإشراف على أعلى شرف في التعريف برجال سند البخاري" لابن الشَّاط، التي يحتفظ بها دير الأسكوريال تحت رقم (مجموع، 1732)، أنها نسخة نفيسة عليها نصّ سماع ناسخها ابن هانئ على شيخه ابن الشَّاط مؤرخة بسنة 701 هـ/ 1301 م، وفي أعلى الورقة الأولى، كتب السراج إسناده في رواية هذا الكتاب على شيخين من

الأخيرة، هي بخط ناسخها ابن هانئ اللخمي السبتي (ت 733 هـ / 1332 م)، تلميذ ابن الشَّاط، الموصوف ببراعة الخط<sup>(2)</sup>.

– أسانيد أعلام مدينة تلمسان الزيانية، من خلال نص مقيد على إحدى نسخ "الشفاء":

انطلاقاً من إسناد قيّد على الورقة الأولى من نسخة "الشفاء" المحفوظة بالخزانة الحسنية<sup>(3)</sup>، وهو إسناد في جزئه الأخير، عبارة عن سلسلة أسانيد مشرقية، ينتمي رواها إلى مرحلة ما بعد القرن 10 هـ / 16 م<sup>(4)</sup>، وعليه فهو خارج مجال وزمن الدراسة، ليكون اهتمامي بالجزء الأول فقط، وتنتمي سلسلة رواته إلى مجموعة من الأعلام المنحدرين من الحاضرة الزيانية "تلمسان"، وجاء مقيدا على النحو التالي "أما بعد فاني أروي كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى من أوله إلى المنتهى... عن أبي عبد الله التنسي عن والده عن أبي عبد الله محمد بن أحمد الخطيب عن جده عن مؤلفه"، والمؤكد أن هذا الإسناد يشير إلى اتصال سند الحافظ التنسي صاحب "نظم الدرر"، وابنه أبي عبد الله بإسناد أسرة المرازقة<sup>(5)</sup>.

شيوخه، إجازة من شيخه ابن سعيد الرعيبي، وسماعاً على شيخه ابن الحاج البليقي، وهي أحد النسخ التي اعتمدها المحقق المغربي إسماعيل الخطيب، وقام بوصفها في مقدمة التحقيق، ص 38-40.

<sup>(1)</sup>– تظهر بيانات النسخة التي يحتفظ بها دير الأسكوريال تحت رقم (1732 = 1727 كسيري)، أنها نسخة نفيسة من منتسحات ابن هانئ اللخمي في شهر صفر 706 هـ / أوت 1306 م، وقد كتب السراج بأعلى الورقة الأولى في وجهها فوق العنوان طريق روايته للكتاب، وأثبت تاريخه في الفاتح من محرم 793 هـ / 8 ديسمبر 1390 م، والنسخة عليها تملك باسم الفقيه أحمد بن عبد الواحد الونشريسي. حولها أنظر:

– Derembourg H. et E. Lévi-Provençal, *op. cit.* 3/ 244- 245.

وقد أورد نصها محمد الحبيب الخوجة في دراسته الموسومة بـ "ابن رشيد من خلال كتابه إفادة النصيح في التعريف بالسند الصحيح"، مجلة السنة النبوية، 9، (2010)، ص 337-340.

<sup>(2)</sup>– على حسب ما ورد في الترجمة التي خصصها له ابن الخطيب السلماي، الإحاطة، 3/ 143.

<sup>(3)</sup>– نسخة توجد تحت رقم (11270) بخط مغربي غير مؤرخة. حولها أنظر: محمد سعيد حنشي وعبد العالي المدبر، فهارس الخزانة الحسنية (فهرس مخطوطات السيرة)، ص 284.

<sup>(4)</sup>– كتب هذا التقييد على الورقة الأولى من نسخة الخزانة الحسنية (11270)، بخط كاتبه عبد الرحمن النابلسي، نزيل طيبة الطيبة وجاء فيه التالي "أما بعد فاني أروي كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى من أوله إلى المنتهى عن شيخنا عبد الغني الميداني عن شيخ الحديث في دمشق عبد الرحمن الكزبري وهو يرويه عن والده محمد وهو عن الشهاب أحمد الميني وهو عن العلامة عبد الله بن سالم البصري وهو عن محمد بن سليمان المغربي وهو عن أبي عثمان الجزائري الشهير بقدورة عن...".

<sup>(5)</sup>– أشير هنا أن هذا السند، هو كذلك أحد طرق تحمل المقرئ التلمساني للكتاب، ويرويه عن عمه سعيد بن أحمد

وتعتبر أسرة المرازقة من أبرز الأسر التلمسانية، التي كان لأفرادها دور بارز في تلقين الكتاب<sup>(1)</sup>، وفي مقدمتهم ابن مرزوق الخطيب (ت 781 هـ / 1379 م) "شارح الشفا"، هذا الأخير الذي أخبرنا أنه كان يملك نسخة عتيقة من الكتاب، وهي نسخة ضائعة<sup>(2)</sup> من منتسحات القرن 7 هـ / 13 م، مكتوبة بخط ناسخين اثنين من أعلام مدينة تلمسان، أحدهما جدّه أبو عبد الله محمد بن مرزوق، أما الناسخ الثاني فهو الشيخ أبو عبد الله بن البلد<sup>(3)</sup>، أحد متصوفة تلمسان، ممن كانوا يتمعشون بحرفة النساجة.

يتكرر ذكر أسانيد أسرة المرازقة في العديد من الأعمال الفهرسية المتأخرة، منها فهرسة عبد الرحمن الثعالبي<sup>(4)</sup>، وأبي عبد الله الرصاع، وأبي جعفر البلوي<sup>(5)</sup>، ولتسليط الضوء أكثر على أهمية هذا الإسناد المحلي، أُنجزت شجرة أسانيد كتاب "الشفا" المتعلقة ببعض أعلام المغرب الأوسط، حيث تشكل فيها أسرة المرازقة، حلقة عودة للرواية المغربية، التي وصلت إلى بلاد المشرق بطريق ابن تميمّيت الفاسي مستوطن البلاد المصرية<sup>(6)</sup>، وهي رواية شيخه أبي الحسن

---

المقري (حيا سنة 1011 هـ / 1602 م) عن التنسي الصغير عن والده التنسي الكبير. أنظر: المقري التلمساني، أزهار الرياض، 4 / 341.

(1) - حول دور أسرة المرازقة في تلقين كتاب "الشفا". أنظر: آسيا ساحلي، "انتقال المعرفة التاريخية"، مغرب أوسطيات، ص 234-236.

(2) - ذكر ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 185. أنه كان يملك نسخة نفيسة من كتاب "الشفا"، إلا أنها ضاعت منه، ولا يعرف مصيرها على الأقل زمن تحريره للمناقب، الذي كان في حدود 763 هـ / 1361 م، ويفهم من قوله "ولا أدري ما كان منها في هذا الوقت الذي أوتي به على الكتب وغيرها والحمد لله على كل حال"، أنها قد تكون ضاعت في جملة من ممتلكاته وكتبه، التي صودرت منه في أعقاب النكبة الأخيرة التي تعرض لها بفاس سنة 762 هـ / 1360 م.

(3) - حوله أنظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 1 / 119. ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 189.

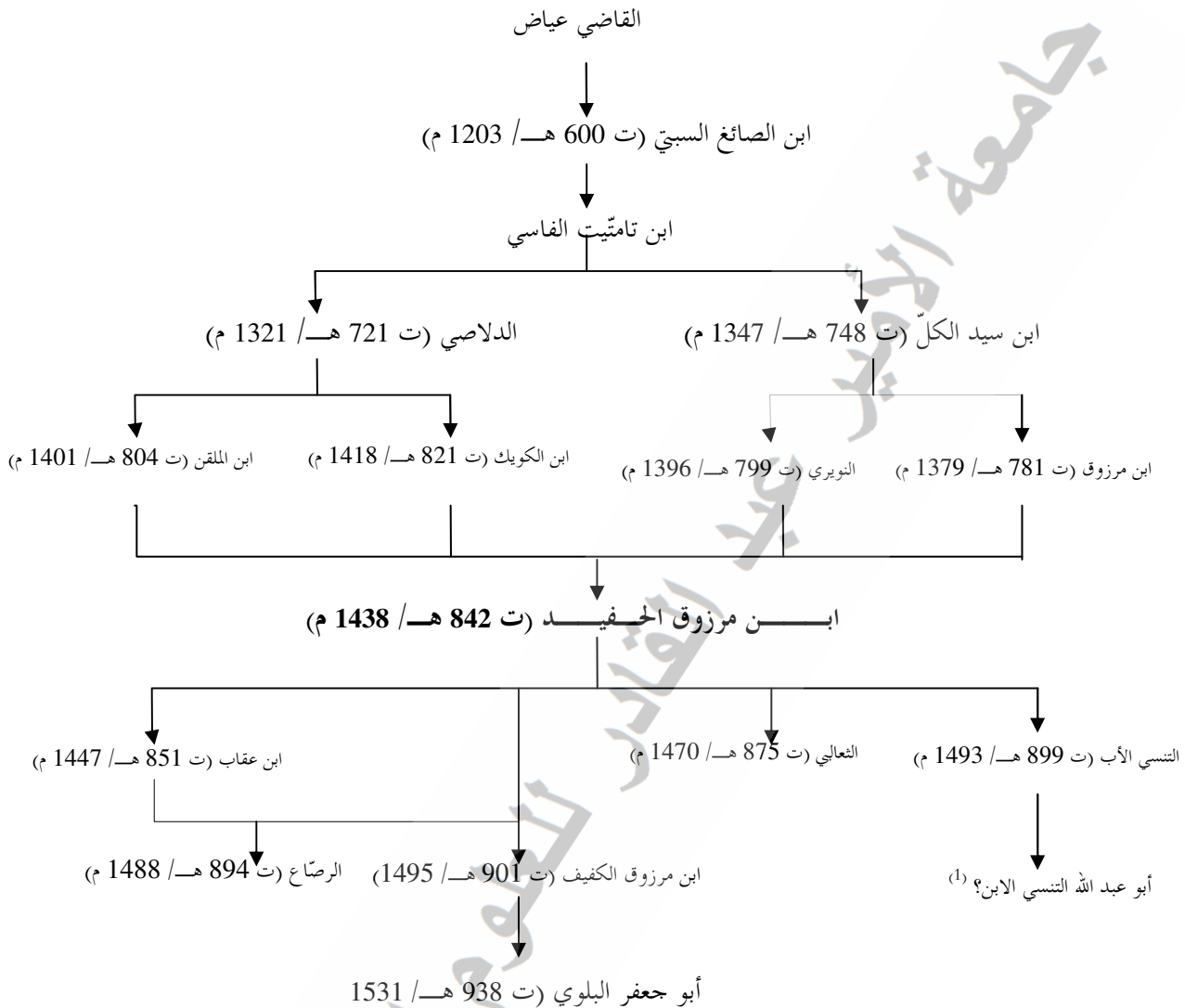
(4) - مصدر سابق، ص 113. وقد شرح أبو جعفر البلوي، مصدر سابق، ص 281. أسانيد ابن مرزوق الحفيد، الذي يروي الكتاب على أربعة من شيوخه، بطريق السماع على شيخه قاضي القضاة نور الدين النويري (ت 799 هـ / 1396 م)، وقراءة ومناولة على شيخه المسند شرف الدين بن الكويك (ت 821 هـ / 1418 م)، واثنين بطريق الإجازة، هما جدّه ابن مرزوق الخطيب، وشيخه سراج الدين بن الملحن (ت 804 هـ / 1401 م).

(5) - المصدر نفسه، ص 281-282، ويروي أبو جعفر البلوي كتاب "الشفا" عن شيخه ابن مرزوق الكفيف (ت 901 م / 1495 م) بأسانيد المعروفة المتصلة برواية ابن الصائغ السبيتي (ت 600 هـ / 1203 م).

(6) - ترجم ابن الأبار، التكملة، 1 / 113. لشخصية أبي العباس أحمد بن محمد بن حسين بن علي اللواتي، الذي يعرف بابن تميمّيت، وقال عنه أنه فاسي الأصل انتقل إلى اشبيلية، وتوجه بعدها إلى إفريقية، ثم توجه إلى المشرق، حيث دخل مصر وحدث بها عن أبي الحسن بن الصائغ. كذلك أورد له المقري التلمساني، ترجمة مقتضبة في أزهار الرياض، 4 / 340. وتذكر



يحيى بن الصائغ السبيتي (ت 600 هـ / 1203 م) <sup>(1)</sup> تلميذ المصنف.



بعض المصادر أن هناك ابن لأبي العباس المذكور اسمه "يحيى"، وعرف كذلك بابن تامّيت الفاسي، كما يظهر كأحد رواة "الشفاء" عن شيخه ابن الصائغ، على ما ذكره ابن غازي المكناسي، التعلل برسوم الإسناد، ص 149. أما ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، 2/ 113. الذي ذكر سماع الشيخ ابن سيد الكلّ، أبو عبد الله المصري (ت 748 هـ / 1347 م)، لكتاب "الشفاء" على شيخه ابن تامّيت في ذي الحجة 705 هـ / جوان - جويلية 1305 م، وإذا صح تاريخ القراءة المتأخر، فمن المستبعد جدا أن يكون أبو العباس أحمد بن تامّيت حيا سنة 705 هـ / 1305 م، والأمر ينسحب على ابنه يحيى، الذي يروي مباشرة عن شيخه ابن الصائغ، الأمر الذي يجعل من تاريخ قراءة الكتاب، الذي أورده ابن حجر في درره محل نظر، ويحتاج إلى مزيد من التثبت.

<sup>(1)</sup> - يروي ابن الصائغ كتاب "الشفاء"، إجازة عن مؤلفه القاضي عياض. حوله أنظر: ابن الأبار، التكملة، 4/ 195-196.

لقد أثبتت المعطيات الكودولوجية، المقيدة على مجموعة من نسخ "الشفاء"، قدرتها على إعطاء فرصة جيدة للكشف على الطريقة التي انتقلت بها عدد من أصوله النفيسة، عبر مراحل تاريخية متعاقبة، وبالتأكيد فإن استعانتني بمجموعة الروايات التاريخية التي وفرتها بعض المصادر المهمة، وبشكل لافت كتب البرامج وفهارس شيوخ المغرب المتأخرة، قد شكل نقطة فارقة في التوصل إلى هوية أصول "الشفاء"، التي كانت موجودة خلال القرن 8 هـ / 14 م.

## 2. أهمية إجازات السماع المقيدة على بعض النسخ التاريخية المغربية:

ليس بعيدا عن موضوع أهمية الأسانيد المقيدة على بعض النسخ التاريخية، بما فيها إجازات المعارضة، ليكون حديثي في هذه المرحلة، حول إجازات السماع أو كما يصطلح عليها بـ "السماعات"، كأحد أهم الطرق المبتكرة في إثبات سماعات الكتب في الحضارة الإسلامية، خلال المرحلة الوسيطة، وعلى ما يبدو أنها كانت الطريقة الكفيلة في ضمان حق الشخص المستمع في رواية الكتاب، بوثيقة مكتوبة على نسخته المعنية بالسماع، والمؤكد أن تقييد إجازة السماع بخط الشيخ المحيز، سيكون له أثره الإيجابي في الرفع من قيمة سماع التلميذ لنسخته، لتصبح بمثابة وثيقة علمية موثوقة تحمل توقيع الشيخ المحيز<sup>(1)</sup>، وقد انتشرت هذه الطريقة في توثيق السماعات، بشكل لافت على المخطوطات المشرقية بصفة خاصة، خلال القرن 5 هـ / 11 م، كان ذلك بالتزامن مع انتشار المدارس<sup>(2)</sup>.

وبخصوص إجازات السماع، التي من الممكن العثور عليها مقيدة على بعض النسخ المغربية العتيقة، فإن المعلومات المتعلقة بهذا الشأن شحيحة جدا<sup>(3)</sup>، ومن الصعوبة بما كان

(1) - من أبرز النسخ التاريخية المشرقية التي قيد عليها إجازات السماع أذكر: نسختان نفيستان من كتاب "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" للحافظ جمال الدين المزي (ت 742 هـ / 1244 م)، من ذخائر دار الكتب المصرية تحت رقم: (62 مصطلح الحديث)، و(88 مصطلح الحديث)، كذلك نسخة من كتاب "تاريخ مدينة دمشق" لابن عساكر (ت 571 هـ / 1175 م) من ذخائر الخزانة الأزهرية بمصر، وتوجد تحت رقم [ 714 ] 10670 .:

(2) - لمزيد من التفصيل حول ظاهرة انتشار تقييد السماعات على المخطوطات المشرقية خلال المرحلة الوسيطة. أنظر: صلاح الدين المنجد: "إجازات السماع في المخطوطات القديمة"، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 1، (1955)، 1/ 232-250.

(3) - من أقدم إجازات السماع، التي يمكن رصدها مقيدة على النسخة التاريخية، أشير إلى إجازة أبي بكر بن أبي خيثمة (ت 279 هـ / 892 م)، ويعود تاريخها إلى شوال 276 هـ / جانفي - فيفري 890 م، استنادا إلى شهادة ابن خير الاشبيلي، مصدر سابق، ص 555-556. الذي ذكر في برنامجه ما نصه "ألقيت بخط أبي بكر بن أبي خيثمة رحمه الله: قد أجزت لأبي

الحصول عليها مقيدة على النسخ التاريخية المغربية، وبتركيزي على سماعات المرحلة الوسيطة المتأخرة، أشير إلى تلك النسخة التي قيد عليها سليل أسرة الحضرميين السبتية، أبو محمد عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم الحضرمي (ت 749 هـ / 1348 م) سماعه للكتاب، وهي نسخة "المقصد الشريف والمترع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف" لعبد الحق البادي سي (حيا سنة 722 هـ / 1322 م).

إجازة السماع التي قيدها عبد المهيم في نهاية نسخة "المقصد"، وصلتنا مقيدة في نهاية مجموعة من النسخ المتأخرة التي انبثقت عنها، تحتفظ بها المكتبة الوطنية المغربية بمدينة الرباط<sup>(1)</sup>، وإليك نموذجا مصورا من الورقة الأخيرة من النسخة (D 110)، وقد قيد بها نص سماع عبد المهيم الحضرمي على شيخه المصنف<sup>(2)</sup>.

---

زكريا يحيى بن مسلمة أن يروي عني ما أحب من كتاب التاريخ الذي سمعه من أبي محمد القاسم بن الاصبغ ومحمد بن عبد الأعلى كما سمعاه مني، وأذنت له في ذلك له ومن أحب من أصحابه، فإن أحب أن تكون الإجازة لأحد بعد هذا فأنا أجزت له ذلك بكتابي هذا. وكتبت بيد أحمد بن خيثمة في شوال من سنة 276". وتحتفظ خزانة القرويين بفاس بإحدى النسخ العتيقة لهذا الكتاب، تحت رقم (244)، وهي برواية المحدث القرطبي القاسم بن الاصبغ (ت 340 هـ / 951 م) تلميذ المصنف، ويعود تاريخ الفراغ منها 16 جمادى الأولى 610 هـ / 2 أكتوبر 1213 م، استناد إلى المعلومات التي قيدها الناسخ في حرد نسخته المشار إليها، وترداد القيمة التوثيقية لهذه النسخة، في كونها مقابلة بأصل ابن الاصبغ، كما قيد في الأوراق الأولى منها بعض السماعات المهمة، لكنها مطموسة جعل من إمكانية قراءتها مهمة صعبة، إضافة إلى علامات التدقيق والمقابلة والتصحيح. حولها أنظر: محمد العابد الفاسي، مرجع سابق، 257/1-258. سناء الوسيبي: "ابن أبي خيثمة وكتابه التاريخي من خلال نسخة خطية عتيقة"، مجلة دار الحديث الحسنية، 16، (1999)، ص 391-457.

(1) - تحتفظ المكتبة العامة بالرباط إضافة إلى النسخة أعلاه، مجموعة ثانية من النسخ تحت الأرقام التالية: (D 1419)، (D 2100)، (D810)، (D 1853)، (D 6/2100)، (D 1/ 1853)، (D 713). حولها أنظر: ي. س. العلوش وعبد القادر الرجراجي، مرجع سابق، القسم الثاني، 182/2-183. محمد بن إبراهيم الكتاني وصالح التادلي: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997، 97/5-98.

(2) - حول محتوى نص السماع المقيد على نسخة "المقصد الشريف" المحفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (D 110). أنظر: الملحق رقم (07).

أبراهيم المصنف

عرفنا عن المصنفين من قبل المصنفين عن غير الله ذنوباً  
 المشتمل على بيان أصل البداهة بتة فالشرح بسعة الله من كل باب فسمعنا  
 عليه من كتابه الإسماعيلية المقصد الشريف في التفرقة بين أهل البيت  
 من أوله إلى آخره وذلك في نحو ثلثه من مائة ألفاً من غير غير الحق  
 لمن كثر وعرض تلك البلاء بفراة البقية أهل البيت محمد بن يحيى بن  
 أبي كمال عن الله بن إبراهيم الفاسم النخعي الغزي عليه وعلى من سماع بلاء  
 الكتاب للمجال الشريف ثم لفت البقية أهل البيت كونه من الأهل  
 فلم يذكر الكتاب بعدة الرأي وقال إنه من مائة ألفاً من غير غير  
 أهل سنة اثنين وسبعين وعشرين وسعمائة فلهذا تملكنا فراة الكتاب  
 من كثر كماله بل سماع جميعه وكذا سماعنا للثلاثين من كورني  
 أوله بفراة المؤلفين وفراة أبي عمير في تلك الأثر من شمس بن يعقوب  
 البزار في سنة اثنين وعشرين وسعمائة وكذا البقية له عن الغزي في  
 أنما فراة الكتاب من خور من المصنف المنكر كتب على فقههم وشيخ  
 له ملكته فما على منشورته وأخباره مما سأله وأجابه  
 في أبحاثه العرفية عنه بكل ما تلا من نظم أو نثره أو غيره  
 في أبحاثه ذاتها من اختار له من غير تصحيحه لأهل البيت  
 كما وكفى بصحة ذلك ما علم يثبت على من بحثه بنو به تنويه  
 في والله عز وجل جميل جزاه ثلاثين وثمناً وذلك وفيه  
 قلنا أنما قال العلوي محمد بن أبي بكر الغلاء بنفسه وأبيه

؟  
 ؟  
 بروراه سلطانها المضاء  
 خ  
 ترجمته البقية إلى ذلك

أو الغزي؟

التحديث

اجازة المؤلف للغير

الورقة الأخيرة من نسخة "المقصد الشريف" المحفوظة بالمكتبة الوطنية المغربية بالرباط (D110).

## الفصل الرابع ————— تاريخ النصوص الإخبارية... مقارنة تاريخية لـ «تاريخ الدولة»

استنادا إلى نص سماع ابن عبد المهيمن الحضرمي أعلاه، يمكنني القول أنه يتوفر على الشروط الأساسية، التي يتضمنها نص إجازة السماع المعروفة بين أهل الحديث، وسعيا مني لتوضيحه ذلك وإعادة تفكيك معلوماته المهمة، إليك الجدول التفصيلي التالي:

شروط السماع	السماع في المرحلة الأولى	باقي السماع في المرحلة الثانية
اسم المسمع	عبد الحق الباديصي المصنف	عبد الحق الباديصي المصنف
أسماء السامعين	- عبد المهيمن بن محمد الحضرمي - أبو عمرو يحيى العزفي	- عبد المهيمن الحضرمي - أبو عمرو يحيى العزفي
النص: ما سمعه وما فاته	من أوله إلى آخر ترجمة إبراهيم، نحو ثلثيه وبعضه	ثلثا الكتاب المتبقية
اسم القارئ	- عبد الحق الباديصي - أبو عمرو يحيى العزفي	- عبد الحق الباديصي - أبو عمرو يحيى العزفي
هوية النسخة المقروءة	المقصد الشريف في التعريف بصلحاء الريف (النسخة الشخصية للمصنف)	//
اسم كاتب السماع	أبو عمرو يحيى العزفي	//
اسم مكان السماع	مدينة فاس البيضاء	مدينة فاس القرويين (مزل المصنف)
تاريخ السماع	غير محدد	العشر الآخر ربيع الأول 722 هـ

هذه الإجازة المهمة، التي ضبطت مكان وتاريخ السماع، آخرها في منزل المصنف عبد الحق الباديصي في العشر الآخر من ربيع الأول 722 هـ/ أبريل 1322 م، الذي كان يتردد عليه بمدينة فاس القرويين، وعلى ما يبدو أن مجلس إقراء "المقصد الشريف"، كان يحظى بأهمية عند بعض وجهاء وأعلام المدينة، فهذه الوثيقة المقيدة تؤكد على حضور ذلك السماع اثنين من أعلام القرن 8 هـ/ 14 م، وسمعوا الكتاب، أحدهما عبد المهيمن الحضرمي، أما الشخصية الثانية فهو ابن بلدته سبتة وسليل أسرة العزفيين، أبو عمرو يحيى العزفي<sup>(1)</sup>، هذا الأخير كتب ناسخ المخطوطة المنوه بها أعلاه، على الحاشية الورقة الأخيرة، طرة تفيد بإجازة المصنف للعزفي، على النحو الآتي "إجازة المؤلف للعزفي".

(1) - أود أن ألفت الانتباه إلى قضية مهمة، تخص الاختلاف الذي وقع في تحديد تاريخ وفاة أبي عمرو يحيى العزفي، فقد ضبطها ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 4/ 343. سنة 719 هـ/ 1319 م. وهو التاريخ الذي تنبأه كل من ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، 4/ 420. والمقري التلمساني، أزهار الرياض، 2/ 377-378. في حين ضبطها ابن خلدون، العبر، 7/ 327. سنة 720 هـ/ 1320 م، وكلاهما يتعارض مع تاريخ السماع المقيد في نهاية نسخة "المقصد الشريف"، التي تذهب إلى أنه كان حيا سنة 722 هـ/ 1332 م.

كما صرح عبد المهيمن في نص سماعه، بالظروف الطارئة التي حالت دون إتمامه سماع الكتاب في المرة الأولى، وهي "اعجال السفر"، لذلك كان الحديث عن لقائه بالمصنف بمدينة فاس مرات كثيرة، لكن يبدو أن المصنف في تلك الأثناء لم يكن يحمله معه نسخته الشخصية من "المقصد"، إلا أن كانت المرة التي جلبها معه، ليتمكن بعدها الحضرمي من إتمام قراءة الجزء المتبقي من الكتاب، وقد حلاه في نص سماعه بقوله "صاحبنا الفقيه الأديب".

المعني بالسماع في هذه الإجازة، هو عبد المهيمن بن محمد الحضرمي، الموصوف بـ "إمام المحدثين والنحاة بالمغرب"، في الترجمة التي خصصها له تلميذه ابن خلدون<sup>(1)</sup>، أشاد خلالها بالنسخ الكثيرة التي كانت ضمن رفوف خزانة شيخه، وعلى حسب تقديره فقد بلغ مجموع نفائسها نحو 3000 سفر، في مختلف فروع المعرفة (الحديث، والفقه، والعربية، والأدب، والمعقول)، وما يرفع من نفاسة هذه المجموعة الحضرمية الخاصة من الدواوين<sup>(2)</sup>، أن أصولها مقابلة كلاًها ومضبوطة، وعلى أغلبها نصوص إجازة مقيدة بخط بعض شيوخه البارزين، شهادة ابن خلدون هذه، جاءت لتعزز نصوص السماع التي وصلتنا مقيدة على بعض نسخه<sup>(3)</sup>، فبالإضافة إلى السماع المقيد على نسخة "المقصد الشريف" المذكورة آنفاً، جاءت إحدى النسخ العتيقة لرحلة "ملء العيبة"، لابن بلدته السبتي ابن رشيد، لتؤكد هي الأخرى على عناية الحضرمي بتقيد سماعاته، وقد جاء في نهاية نسخة ابن رشيد التي كاتبها المصنف بخطه<sup>(4)</sup> ما

(1) - الرحلة، ص 40.

(2) - أشاد أبو القاسم الأنصاري، مصدر سابق، ص 29. بالخزانة الخاصة التي كانت تملكها أسرة بني الحضرمي، الكاتبة في دور فقهاء وأعلام مدينة سبتة، ويبدو من خلال شهادة أبي القاسم الأنصاري، أنها إحدى الخزائن القليلة التي بقيت موجودة بالمدينة إلى زمنه مطلع القرن 9 هـ/ 15 م، مع مجموعة أخرى من الخزائن الخاصة التي كانت تملكها بعض الأسر العلمية السبتية في تلك المرحلة، على غرار خزانة بني ابن أبي حجة.

(3) - من النسخ التي قيدها بخطه ابن عبد المهيمن الحضرمي، رسالة "الصاهل والشاحج" لأبي العلاء المعري (ت 449 هـ/ 1057 م)، فرغ من نسخها يوم 10 شعبان سنة 693 هـ/ 5 جوان 1294 م، كما قام بمقابلتها سنة 697 هـ/ 1297 م. وهي من ذخائر الخزانة الحسينية بالرباط تحت رقم (6146). حولها أنظر: محمد سعيد حنشي وعبد العالي المدبر: فهرس الخزانة الحسينية، فهرس مخطوطات الأدب، المطبعة الملكية، الرباط، 2001، 215/1 - 216.

(4) - من نفائس مخطوطات دير الاسكوريال، إلا أن أجزاء مهمة منها قد ضاعت وتبعثرت، والموجود منها وقع فيه نقص وخلل، والأجزاء التي وصلتنا منها هي: الثاني تحت رقم (1736 = 1731 كسيري)، الخامس تحت رقم (1680 = 1675 كسيري)، السادس تحت رقم (1737 = 1732 كسيري)، السابع تحت رقم (1735 = 1730 كسيري). حولها أنظر:

- Derembourg H. et E. Lévi-Provençal, *op. cit.* 3/ 204- 205, 247- 248.

نصه "أكملت قراءة هذا البرنامج في يوم الأحد الحادي عشر لرجب عام عشرين وسبعمائة، قاله عبد المهيمن الحضرمي وفقه الله" <sup>(1)</sup>.

ما أود قوله في الختام، أن إجازات السماع المقيدة على المخطوطات التاريخية المغربية التي تعود إلى أواخر العصر الوسيط، وإن وصلنا عدد قليل منها <sup>(2)</sup>، إلا أنها بلا شك كانت تكتسي أهمية بالغة في إعطاء النسخة المسموعة، قيمتها العلمية التوثيقية، فهي تمنح للمهتمين بدراسة السماعات فرصة جيدة في معرفة أماكن وتاريخ السماع، ناهيك عن هوية الأشخاص المستمعين، وعناوين النسخ المتداولة في مجالس الإقراء.

---

<sup>(1)</sup> - قام محمد الحبيب بن الخوجة في مقدمة تحقيقه لأجزاء "رحلة ابن رشيد" المنشورة اليوم، بعرض تفصيلي دقيق حول نسخة الرحلة المحفوظة بدير الأسكوريال، بما فيها تلك الحواشي الكثيرة التي قيدت عليها، كما أشار إلى بعض الأسماء المذكورة على الأوراق الأولى منها، اسم محمد بن يحيى بن محمد بن رشيد الفهري، وتملك باسم أحمد الونشريسي، وتملك آخر لأفراد كثيرين من آل المنجور.

<sup>(2)</sup> - أشير هنا إلى أهمية نسخة "سيرة ابن إسحاق تهذيب ابن هشام"، المحفوظة بخزانة القرويين بفاس، تحت رقم (285)، واستنادا إلى الملاحظات المدونة حولها في فهرس خزانة القرويين، 1/ 282. فهي نسخة عتيقة بخط أندلسي، يعود تاريخ نسخها إلى مطلع القرن 8 هـ / 14 م، في 30 رجب الفرد 718 هـ / 26 سبتمبر 1318 م، وهي نسخة مصححة ومعارضة بأصل وجد على ظهره سماعات الشيوخ، مع الأسف لم أتمكن من الإطلاع عليها، وتبين طبيعة السماعات المقيدة بها، نظرا لأشغال الترميم التي كانت تجرى على الخزانة. كما أشير إلى نسخة المكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (ك 77)، وقيد عليها سماعتين اثنتين يعود تاريخهما إلى القرن 7 هـ / 13 م، خلال سنة 619 هـ / 1222 م، وسنة 660 هـ / 1261 م. حولهما أنظر: محمد المنوني: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط (الخزانة الكتانية)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، مج 6، 1999-2000، 1/ 38-39. كما أشير إلى النسخة الوحيدة التي وصلتنا من كتاب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" لعبد الواحد المراكشي، من محفوظات مكتبة ليدن هولندا تحت رقم (546 or)، وقد ضمت ثلاث سماعات لشخصيات أميرية، تعود إلى أصول مشرقية، قيدت على ورقها الأولى. حولها أنظر: مقدمة تحقيق كتاب المعجب، المنجزة من قبل المحقق محمد سعيد العريان، ص 22.

- Voorhoeve P., *Codices Manuscript VII Handlist of Arabic Manuscript in the Library of the University of Leiden and other Collections in the Netherlands*, Bibliotheca Universitatis Lugduni Batavorum, 1957, p. 222.

## المبحث الثاني:

الوقفيات تكشف عن هوية بعض النسخ التاريخية المحبوسة على الخزائن.

لقد ارتبطت عملية وقف الكتب بمختلف أنواعها، في طرقي العالم الإسلامي المشرقي والمغربي بشكل عميق، بخزائن الكتب الملحقة بالجوامع، والمدارس، والزوايا، وحتى بيوت العلماء، وهي بالتأكيد أحد الأماكن الأكثر استقطاباً وجذباً للطلبة، الذين كانوا يترددون عليها، لما توفره من عناوين في مختلف فروع المعرفة المنتشرة في المرحلة الوسيطة، وتكتسي عملية وقف النسخ أهمية بالغة في إثراء المخزون المكتبي، من خلال تزويدها بمختلف أنواع الدواوين المصنفة<sup>(1)</sup>.

### 1. ملاحظات حول النسخ الموقوفة على الخزائن المغربية في نهاية العصر الوسيط.

دون الدخول في كثير من التفاصيل، المتعلقة بتاريخ وقف الكتب على الخزائن المغربية، الذي يعود إلى مراحل متقدمة من الفترة الوسيطة، حيث يمكن اعتبار النسخ التي كانت موجودة بين رفوف مكتبة جامع القيروان، من أقدم المجموعات المحبسة<sup>(2)</sup> في إفريقية خلال المرحلة الأغلبية<sup>(3)</sup>، ويبدو أنها قد بدأت بالتشكل في البداية مع وقف المصاحف<sup>(4)</sup>، هذه الأخيرة قد

(1) - أجريت العديد من الدراسات العربية، حول ظاهرة وقف الكتب في الحضارة الإسلامية بشكل عام خلال المرحلة الوسيطة، أشير فقط إلى دراسة: عبد اللطيف إبراهيم: دراسات في تاريخ الكتب والمكتبات الإسلامية، مطابع جامعة القاهرة، 1962. محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها، ومصانرها، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1978. يحيى محمود ساعاتي: الوقف وبنية المكتبة العربية، استبطان للموروث الثقافي، ط2، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1996. عبد الحى الكتاني: تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، ضبط وتعليق أحمد شوقي بنين وعبد القادر سعود، ط2، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2005 م.

(2) - يذكر شبوح إبراهيم أن أقدم وثيقة تقيس موجودة بمكتبة جامع القيروان، هي نص التحسيس المقيد على مصحف، الذي كتبه بخطها، فضل مولاة أبي أيوب أحمد بن محمد سنة 295 هـ/ 907 م. حولها أنظر: شبوح إبراهيم: سجل قدم لمخطوطات مكتبة جامع القيروان، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 2، (1956)، 2/ 339.

(3) - حول تاريخ الكتب والمكتبات بمنطقة إفريقية خلال المراحل الوسيطة المتقدمة. أنظر: حسن حسني عبد الوهاب: "العناية بالكتب وجمعها في إفريقية التونسية من القرن الثالث إلى القرن الخامس للهجرة"، مجلة جامعة الدول العربية، المجلد الأول، (1955)، 1/ 72-90.

(4) - تضم مكتبة جامع القيروان نماذج لمصاحف نفيسة كتبت على الرق، يعود تاريخ حبسها إلى المرحلة الأغلبية. حولها أنظر: شبوح إبراهيم، سجل قدم لمخطوطات مكتبة جامع القيروان، ص 345-359.



أخذت حيزا كبيرا في وقفيات الخزائن المغربية، يضاف إليها مجموعة من كتب أعمدة المذهب المالكي<sup>(1)</sup>، واستنادا إلى شهادة الرحالة العبدري<sup>(2)</sup>، الذي عاين "بيت الكتب" بالجامع سنة 688 هـ / 1289 م، فقد تحدث عن نسخ عتيقة يعود تاريخ حبس مجموعة منها إلى المرحلة الأغلبية، لتعرف بعدها باقي الحواضر المغربية، انتشارا واسعا لخزائن الكتب، ترافق معه ارتفاعا محسوسا في نسبة النسخ الموقوفة، لذلك سوف أركز اهتمامي على تلك المجموعات النفيسة، التي تم وقفها في المراحل الوسيطة المتأخرة، اعتمادا على مجموعة مهمة من النصوص الإخبارية المتناثرة في ثنايا المصادر التاريخية المتأخرة، وتدعيمها ببعض المعطيات الكوديكولوجية المقيّدة على عدد قليل من النسخ الخطية التي وصلتنا اليوم.

انطلاقا من خزائن الكتب الموجودة على مستوى الحاضرة الحفصية تونس، أظهر سلاطين السلالة الحاكمة، ومنذ مراحل مبكرة عناية كبيرة بالكتب<sup>(3)</sup>، ووقفها على خزانة القصبة، هذه الخزانة العتيقة التي يعود تاريخ تأسيسها، إلى النصف الأول من القرن 7 هـ / 13 م، من قبل الأمير الحفصي أبي زكريا يحيى الأول (625 - 647 هـ / 1227 - 1249 م)، وقد بلغ عدد مقتنياتها في تلك المرحلة المتقدمة نحو 30000 نسخة، وربما كان متوقعا أن يرتفع رصيد هذه المكتبة في المراحل الوسيطة اللاحقة، خصوصا وأن النصوص الإخبارية الحفصية المتأخرة<sup>(4)</sup>، تتحدث عن ما مقداره 36000 نسخة، معدودة في تركة مؤسسها الأول الأمير أبي زكريا<sup>(5)</sup>، لكن ما حدث في وقت لاحق، كان على خلاف ذلك تماما، فتقرير ناظر خزانة

(1) - من أبرز عناوين الكتب الفقهية التي كانت محبسة بجامع القيروان، نسخ من كتاب: "الموطأ"، و"المدونة"، و"الواضحة"، و"النوار والزيادات". لمزيد من التفصيل. أنظر: المرجع نفسه، ص 359-370.

(2) - ذكر العبدري، مصدر سابق، ص 59. أنه عاين مجموعة كثيرة من المصاحف بالخط المشرقي، منها ما كتب كله بالذهب، ومصحف بخط مشرق في مجلدين، غير منقوط ولا مشكول، طوله شبران ونصف، في عرض شبر ونصف، وقيل له أنه أحد المصاحف التي بعث بها الخليفة عثمان بن عفان إلى المغرب، كذلك عاين كتباً محبسة، يعود تاريخ وقفها إلى عهد الإمام سحنون التنوخي وقبله، منها نسخة عتيقة من موطأ ابن القاسم.

(3) - حول تاريخ خزائن الكتب في تونس الحفصية. أنظر: روبر برونشفيك، مرجع سابق، 2 / 384-386.

(4) - ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 113. ابن الشماخ، مصدر سابق، ص 57.

(5) - استنادا إلى المعطيات الكوديكولوجية المقيّدة على نسخة "الصالح والشاحج" لأبي العلاء المعري (ت 449 هـ / 1105 م)، التي تحتفظ بها الخزنة الحسنية تحت رقم (802)، أنها إحدى أقدم النسخ التي كتبت برسم خزنة الأمير الحفصي أبي زكريا يحيى الأول التي وصلتنا اليوم، وتاريخ نسخها يعود إلى 10 محرم 638 هـ / 31 جوان 1240 م، بيد الناسخ يحيى بن

القصبة<sup>(1)</sup>، الفقيه أبي علي حسن بن معمر الطرابلسي (ت 682 هـ / 1283 م)<sup>(2)</sup>، يصرح أنه وبحلول سنة 669 هـ / 1270 م، تقلص عدد النسخ إلى حدود 20000 نسخة فقط، واستمر في الانخفاض، وبشكل مؤسف وسريع إلى أدنى مستوياته، ليصل نحو 6000 نسخة فقط، بحلول سنة 675 هـ / 1277 م، أي بعد مضي ستة سنوات فقط، فقدت هذه الخزانة ما مقداره 14000 نسخة، واستنادا إلى هذه الأرقام المخيفة والمرتفعة، فإن هذه الخزانة الحفصية النفيسة، قد فقدت خلال 28 عاما منذ وفاة مؤسسها الأمير أبي زكريا الأول، نحو 30000 نسخة، أي بمعدل خسارة 1250 نسخة كل سنة.

كما أن المراحل اللاحقة، لم تكن تحمل في طياتها لهذا المخزون المكتبي الحفصي النفيس، سوى استمرارا في ذلك التزييف الكبير، الذي طال مجموعة هائلة من النسخ التي كانت بين رفوفها، وبحلول القرن 8 هـ / 14 م، واستنادا إلى خبر ينقله إلينا ابن خلدون<sup>(3)</sup>، مفاده أن السلطان الحفصي أبا يحيى زكريا اللحياني (711-717 هـ / 1311-1317 م)، قد اضطر إلى بيع ما تبقى من كتب الخزانة في سوق الوراقين بمدينة تونس، خلال سنة 716 هـ / 1316 م.

---

إبراهيم عن أم عتيقة مقروءة على مؤلفها أبي العلاء المعري، وصححت وقوبلت في جمادى الأولى 644 هـ / سبتمبر- أكتوبر 1246 م. حولها أنظر: محمد سعيد حنشي وعبد العالي المدبر: فهارس الخزانة الحسنية، (فهرس مخطوطات الأدب)، 1/ 215-216.

(1) - حول متولي وظيفة ناظر الخزانة في بلاد المغرب خلال المرحلة الوسيطة. أنظر: أحمد شوقي بنين، مرجع سابق، ص 134-146.

(2) - هذه الأرقام المخيفة التي ذكرها التيجاني، مصدر سابق، ص 275-276. حول التزييف الكبير الذي طال المقتنيات النفيسة لهذه الخزانة، جاءت استنادا إلى التقرير الشفوي السليبي الذي قدمه ناظر الخزانة الفقيه حسن بن معمر الطرابلسي، يوم السبت 19 ذي الحجة 675 هـ / 23 ماي 1277 م، كان ذلك بعد استعادته لوظيفته كناظر بالخزانة، زمن الأمير الحفصي أبي زكريا يحيى الوائق (675-678 هـ / 1276-1279 م)، مشيرا إلى أن "المطر وأيدي البشر"، كانت خلف هذا التزييف.

(3) - هذا العمل الذي قام به السلطان الحفصي اللحياني، والذي جاء نتيجة للاضطرابات التي هزت افريقية وعرش الحفصيين في تلك المرحلة الحساسة، هو أحد المقاطع التاريخية المهمة التي استند إليها ابن خلدون في تحليله العميق للفصل الذي خصصه "في أن ثروة السلطان وحاشيته إنما تكون في وسط الدولة". حوله أنظر: المقدمة، 2/ 696. كما وعد ابن خلدون في نهاية عرضه لهذه الحادثة في مقدمته، بإعادة مناقشتها مرة أخرى في أخبار السلطان المذكور، وبالفعل فإننا نجد أخبار السلطان اللحياني وبيعه للكتب في كتابه العبر، 6/ 479-480. وقد استفاد منها في وقت لاحق ابن الشماخ، مصدر سابق، ص 86. الزركشي، مصدر سابق، ص 63.

في هذا السياق التاريخي المضطرب، الذي مرت به الحاضرة الحفصية تونس، والذي يشي بالمصير المؤسف لأحد أنفس خزائن الحفصيين بالمدينة، من غير المستبعد أن تكون مجموعة الكتب التاريخية المفقودة اليوم، والتي كتبت برسم الأميرين أبي زكريا الأول، وابنه من بعده الأمير المستنصر (647- 675 هـ / 1249- 1276 م)، قد فقدت في إحدى المراحل العصبية التي مرت بها خزنة القصب، وقد أشرت إلى مجموعة مهمة من النسخ التاريخية المرفوعة لحكام البلاط الحفصي في مراحلها الأولى، ومن الجيد أن إحدى النسخ العتيقة من كتاب "الإعلام بما وقع من الحروب في صدر الإسلام" لأبي الحجاج البيهقي (ت 653 هـ / 1255 م)، الذي كتبه للأمير الحفصي أبي زكريا الأول، قد عرفت طريقها إلى بلاد المشرق في وقت مبكر منذ صدور أولى نسخها في النصف الأول من القرن 7 هـ / 13 م، حيث اطلع على إحداها الدمشقي ابن خلكان (ت 681 هـ / 1282 م)، الأمر الذي كشف عنه في تصريح له في كتابه الذائع الصيت "وفيات الأعيان" <sup>(1)</sup>، كما توجد إحدى نسخه المبتورة بدار الكتب المصرية <sup>(2)</sup>، إلا أننا نجهل هوية ناسخها، الأمر الذي يصعب معه التكهن بكيفية وصولها إلى البلاد المصرية وحيثيات ذلك.

استمر السلاطين الحفصيين في إظهار عنايتهم بخزانة القصب التونسية، حيث نجد بعض النصوص الإخبارية الحفصية للقرنين 8- 9 هـ / 14- 15 م <sup>(3)</sup>، تشيد بخبر استحداث السلطان أبي فارس عبد العزيز (796- 837 هـ / 1393- 1433 م)، خزنة الكتب جوفي جامع الزيتونة بـ "مجنبة الهلال"، تحت الصومعة سنة 822 هـ / 1419 م، وقد جلب إليها الدواوين

<sup>(1)</sup> - صرح ابن خلكان، مصدر سابق، 7 / 238- 239. بمعانيته لنسخة من كتاب "الإعلام" بالقول "وقد رأيت هذا الكتاب وطالعت، وهو في مجلدين أجاد في تصنيفه، وكلامه فيه كلام عارف بهذا الفن"، وقد استعان به في ترجمة الوليد بن طريف الشاري، وترجمة يزيد بن يزيد بن زائدة الشيباني. كما اطلع ابن خلكان، على نسخة نفيسة من كتابه "الحماسة"، وهي نسخة مقروءة على مصنفها البيهقي وعليها خطه.

<sup>(2)</sup> - توجد تحت رقم (399)، في تجزئين مهما نقص وخرم كثيرة.

<sup>(3)</sup> - في مقدمتها رواية عبد الله الترجمان الميورقي (القس انسلم تورميديا سابقا) (حيا سنة 823 هـ / 1420 م)، متولي عملية الترجمة للسلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز، وأورد قائلا في تحفته "ومن عظيم مآثره خزنة الكتب التي جعلها بجوف جامع الزيتونة من تونس وجمع فيها من دواوين مفيدة في علوم شتى وأوقفها مؤبدا لطلاب العلم". أنظر: عبد الله الترجمان: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تحقيق محمود علي حماية، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1992، ص 58-59. كذلك أشار إليها ابن الشنّاع، مصدر سابق، ص 114. الزركشي، مصدر سابق، ص 125.

النفيسة، التي كانت موجودة بخزانة القصر، وأوقفها على الطلبة، للنظر فيها والنسخ منها، وقد أضيفت إلى الجامع خزانة ثانية سنة 854 هـ / 1450 م، من قبل حفيده السلطان أبي عمرو عثمان (839 - 894 هـ / 1435 - 1488 م)، بمقصورة "سيدي محرز" الشرقية، ونقل إليها كذلك "أمهات الدواوين والمعدومة المثال"، التي كانت موجودة بقصره<sup>(1)</sup>.

قيام السلاطين الحفصيين بنقل نفائس خزانة القصبية، ووقفها على جامع الزيتونة المستحدثة في المرحلة الوسيطة المتأخرة، يعكس مستوى عناية السلالة الحفصية الحاكمة بخزائن الكتب في تلك المرحلة، ومن دون شك كان لذلك تأثيره الكبير في جعل الكثير من النسخ النفيسة في متناول طلبة تونس، ومتاحة للمطالعة والتصحيح، والمقابلة والنسخ كذلك، خصوصا وأن خزانة القصبية، قد ضمت بين رفوفها أعدادا كبيرة من دواوين العلم المعدومة النظر، هذا ناهيك عن تنوع أنماطها المعرفية، بما فيها كتب التاريخ، وهو الأمر الذي كشف عنه الزركشي<sup>(2)</sup>، لكن وإلى وقت متأخر من حكم السلالة الحفصية في نهاية القرن 10 هـ / 16 م، تعرضت نفائس خزانة جامع الزيتونة، وغيرها من خزائن المدينة، إلى الإتلاف والتمزق على يد النصارى<sup>(3)</sup>.

السؤال الذي يطرح هنا وبالإلحاح، خصوصا في هذه المراحل الحرجة، من تاريخ خزائن مدينة تونس، يكمن في معرفة مصير نسخة "العبر" التونسية، الرواية الأولى الضائعة اليوم، وقد أهداها مصنفها ابن خلدون للسلطان المستنصر (772 - 796 هـ / 1370 - 1393 م) سنة 784 هـ / 1382 م، هل كانت ضمن مجموعة النسخ التي نقلت إلى خزانة جامع الزيتونة في وقت لاحق؟ أم أنها بقيت ضمن مجموعة القصبية الخاصة؟ وإذا افترضت أنها كانت بين رفوف خزانة

(1) - ابن الشّماع، مصدر سابق، ص 124. الزركشي، مصدر سابق، ص 136، 144.

(2) - صرح الزركشي بطبيعة الكتب الموقوفة بهذه الخزانة، بقوله "في العلوم الشرعية والعربية واللغة والطب والحساب والتاريخ والأدبيات وغير ذلك". أنظر: المصدر نفسه، ص 116.

(3) - حدث ذلك سنة 998 هـ / 1589 م، بعد تولية آخر السلاطين الحفصيين أبي عبد الله محمد بن الحسن، من قبل النصارى الإسبان، وقد دخلوا مدينة تونس وقاموا بنهبها، واستنادا إلى رواية ابن أبي دينار أن "في تلك الأيام أهين المسجد الأعظم وانتهبت الكتب التي به ودرست بأرجل الكفرة معالم المدارس وتفرقت ما جمع فيها من دواوين العلوم وتبددت الكتب بالشوارع حتى قيل أن المار عن شرقي الجامع حيث النواورين الآن إنما يمر على الكتب المطروحة هناك". أنظر: ابن أبي دينار الرعييني، مصدر سابق، ص 166.

جامع الزيتونة، فهل حدث انتقالها ضمن مجموعة النسخ، التي نقلها السلطان أبو فارس عبد العزيز سنة 822 هـ/ 1419 م؟ أم أنها نقلت في المرحلة الثانية سنة 854 هـ/ 1450 م، زمن السلطان أبي عمرو عثمان؟

حاليا لا نملك معلومات كافية حول تاريخ انتقال هذه النسخة النفيسة، أو بقائها ضمن مجموعة نسخ خزانة القصبه الخاصة، خصوصا في تلك المرحلة المتقدمة، وأقصى ما يمكن معرفته أن نسخة منها كانت موجودة في مصر<sup>(1)</sup>، وأخرى يحتفظ بها المتحف البريطاني، يوجد منها الكتاب الأول فقط<sup>(2)</sup>، ورد في كليهما نص الإهداء للسلطان الحفصي المستنصر، كما انفردت نسخة المتحف البريطاني بصيغة عنوانها المختلفة عن باقي نسخ "العبر" التي وصلتنا اليوم، وقد جاءت على النحو الآتي "ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر"<sup>(3)</sup>، والمثير للاهتمام حول عنوان هذه النسخة، أن نقولات الزركشي، والحافظ التنسي التي أشرت إليها في وقت سابق، تتوافق وهذه الصيغة "ترجمان العبر"، ما يعني أن عنوان بعض نسخ الكتاب، التي كانت في بلاد المغرب خلال القرن 9 هـ/ 15 م، كانت تتوافق مع عنوان نسخة المتحف البريطاني، التي تمثل الرواية الأولى لنص العبر، فهل يشير هذا ولو بشكل خافت، إلى وجود نسخ تمثل الرواية الأولى لنص "العبر"، كانت معروفة في بلاد المغرب خلال القرن 9 هـ/ 15 م، وهو أمر غير مستبعد؟ وفي ذات الاتجاه، هل هذا يرفع من إمكانية إطلاع الزركشي، على تلك

(1) - وهي النسخة التي عثر عليها الشيخ نصر الهوريني، الذي أشرف على طبعة بولاق، أقدم طبعات "المقدمة" التي نشرت سنة 1858 م، وقد كشف عن ذلك في تعليق كتبه على الحاشية أمام عبارة "أُتخفت بهذه النسخة منه"، وكتب يقول "وجد في نسخة لبعض فضلاء المغاربة في مصر زيادة قبل قوله أُتخفت وبعد قوله أدت سياحه ونصها...". وهذه الزيادة التي يشير إليها نصر الهوريني، متعلقة بنص الإهداء الذي كتبه ابن خلدون للسلطان الحفصي أبي العباس المستنصر. حولها أنظر: الحاشية التي قيدت على الجزء الأول من كتاب العبر لابن خلدون (مصورة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى ببولاق)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2007، ص 6-8.

(2) - تحت رقم (add 9574)، يوجد منها الجزء الأول فقط، عارية من اسم الناسخ وتاريخ النسخ. حولها أنظر: Rosen and Forshall, *Catalogus Codicum Manuscriptorum Orientalium Qui In Museo Britannico Asservantur*, British Museum, Londini, 1838 - 1894, 2/ 144- 145.

واعتمادا على هذه النسخة النفيسة، أورد المحقق عبد السلام الشدادي، نص الإهداء للسلطان الحفصي المستنصر، في الجزء الرابع من تحقيقه للمقدمة.

(3) - استنادا إلى الدراسة التي أنجزها عبد السلام الشدادي في مقدمة تحقيقه لنص المقدمة، وهي إحدى النسخ المعتمدة في تحقيقه.

النسخة الأم النفيسة في مدينته تونس؟ لكن وعلى أهمية البحث عن إجابة مقنعة لهذه الأسئلة المهمة، إلا أن ضياع النسخة التونسية، شكّل فجوة كبيرة عمقت جهلنا حول ملاسبات ضياعها وهوية النسخ المنبثقة عنها.

أعود مرة أخرى إلى عناية السلالة الحفصية الحاكمة بجزائرتهم السلطانية، حيث تشير النصوص الإخبارية إلى خزانة سلطانية أخرى، كانت موجودة بمدينة بجاية، والمؤكد أنها كانت تضم بين رفوفها نسخا نفيسة، فعلى الأقل نحن نعلم أنه في نهاية القرن 7 هـ/ 13 م، كانت هذه الخزانة تضم بين رفوفها نسخة نفيسة من كتاب "يتيمة الدهر" للثعالبي (ت 429 هـ/ 1037 م)، بخط النسخة البجائية، عائشة بنت الفقيه أبي طاهر عمارة بن يحيى (ق: 6 هـ/ 12 م)<sup>(1)</sup>، وهي نسخة تقع في ثمانية عشر جزءا، استنادا إلى شهادة قاضي المدينة الغبريني<sup>(2)</sup>، كذلك يمكنني الحديث عن تلك النسخ التي كانت موجودة في مدينة قسنطينة، بيد أعلامها المبرزين على غرار الأسرة الباديسية، و"ال قنفذ"، وأسرة "ابن الفكون"، غير أن أهم المجموعات الموقوفة في المدينة، كانت موجودة بين رفوف خزانة جامع القصبة<sup>(3)</sup>.

ولا يفوتني هنا، لفت الانتباه إلى تلك النسخ الموقوفة على مدارس<sup>(4)</sup> وزوايا وجوامع افريقية الحفصية، منها تلك الموقوفة على مدرسة "المعرض" بمدينة تونس، من قبل الأمير الحفصي أبي زكريا يحيى بن أبي إسحاق (ت 700 هـ/ 1300 م)، وابنه من بعده الأمير أبي البقاء خالد

(1) - أنظر ترجمته: الغبريني، مصدر سابق، ص 76-80.

(2) - أشاد الغبريني بحسن خط هذه النسخة، الذي عاين خطها على نسخة "يتيمة الدهر" للثعالبي التي كانت موجودة بالخزانة السلطانية، بقوله "كانت أدبية أريية فصيحة لبيبة وكان لها خط حسن". أنظر: المصدر نفسه، ص 78-79. ولمعرفة مزيد من التفصيل حول أبرز نسخ منطقة بجاية خلال المرحلة الوسيطة. أنظر: آسيا ساحلي: "فئة الوراقين في المغرب الأوسط"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، 4، (2013)، ص 424-429.

(3) - أشار الغبريني، مصدر سابق، ص 79. إلى معاينته لنسخة من كتاب "يتيمة الدهر" للثعالبي، عند إمام جامع القصبة. واستنادا إلى رواية لسليل المدينة ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 149. فان جده لأبيه، الفقيه علي بن قنفذ القسنطيني (ت 733 هـ/ 1332 م)، كان هو إمام الجامع في أثناء وفادة الغبريني إلى المدينة، الذي كان قبل سنة 687 هـ/ 1288 م.

(4) - بلغ عدد مدارس مدينة تونس، خلال القرن 8 هـ/ 14 م، خمسة مدارس، وهي: مدرسة الشماعين، مدرسة التوفيقية، مدرسة المعرض، مدرسة عنق الجمل، مدرسة ابن تافراجين. حولها أنظر: عبد العزيز الدولاتي، مدينة تونس في العهد الحفصي، ترجمة محمد الشابي، وعبد العزيز الدولاتي، دار سراس، تونس، 1981، ص 139-140. بوية مجاني: "المدارس الحفصية، نظامها ومواردها"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، 12، (1999)، ص 157-164.

(709-711 هـ / 1309-1311 م)<sup>(1)</sup>، كذلك النسخ الكثيرة الموقوفة بزواوية "أولاد سهيل"، التي اطلع عليها الرحالة التيجاني<sup>(2)</sup>، في أثناء نزوله بمنطقة "صرمان" الطرابلسية سنة 707 هـ / 1307 م، إضافة إلى الكتب المحبوسة بزواوية الفقيه أبي الحسن علي العواني (ت 758 هـ / 1356 م)، أحد شيوخ ابن ناجي القيرواني (ت 839 هـ / 1435 م) بالقيروان<sup>(3)</sup>.

وبمناسبة الحديث عن الخزائن السلطانية بالمغرب الحفصي، فإن السلاطين الزيانيين كانت لهم عناية باقتناء الكتب وحبسها كذلك، ويجدر بي هنا التنبيه على وجود سوق الوراقين بالحاضرة الزيانية تلمسان، منذ مراحل مبكرة من نشأة السلطنة، حيث كان يتم فيه بيع الكتب ومختلف الأدوات الكتابية (الورق، المداد، الأقلام)، وهو التصريح الذي نقرأه في رواية التنسي<sup>(4)</sup>، وفي سياق بحثي عن النسخ التاريخية التي رفعها مصنّفوها إلى خزانة السلاطين الزيانيين خلال القرن 8 هـ / 14 م، يكفي هنا أن أذكر بنسخة كتاب "بغية الرواد" التي كتبها يحيى بن خلدون بخطه، وإذا صحت ادعاءات الناسخ مخطوطة "البغية"، الذي قيد إفادته في حرد نسخته المحفوظة اليوم بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم (Arabe 5752)، فإنها كانت موجودة خلال القرن 12 هـ / 18 م، تحت نظر الناسخ، واعتمدها كأصل في نسخ مخطوطته التي وصلتنا

---

(1) - أشاد ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 155-156. بهذه المدرسة ومقتنياتها من النسخ النفيسة، بالقول "ورتب لها من الإنفاق ما هي به الآن، هجرة مجتهدى الطلبة، ومحل رحلة قاصدي العلم، وحمل لها من الكتب ما يفوق الحصر عددا وحسنا". واستنادا إلى رواية الزركشي، مصدر سابق، ص 51، 67، 145. فمن أبرز شيوخها أبو العباس الغرناطي صاحب كتاب "المشرق في أخبار المشرق"، والشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الستار، والشيخ أبو عبد الله محمد الغافقي، ومن بعده الشيخ أبو عبد الله محمد الزندوي.

(2) - مصدر سابق، ص 126.

(3) - تحدث ابن ناجي القيرواني في تكملته على معالم الإيمان، 4 / 152-153. أن الكتب المحبوسة في هذه الزاوية، قد حاز عليها شيخه العواني من أيدي مالكيها بالشراء، في أثناء الشدة التي أصابت أهل القيروان في زمانه، وذكر منها: "تفسير" ابن عطية، و"الفخر" لابن الخطيب، و"صحيح" مسلم، و"الإكمال"، وكتاب النووي، والقرطبي، وابن يونس، واللخمي، وقد أوصى الشيخ العواني بوقفها على مرتادي زاويته من الطلبة، ويبدو أن كتب هذه الزاوية، كان يتم إعارتها خارج الزاوية، إلى الطلبة القرويين وقت القراءة، وتردّ إليها مرة أخرى بعد الفراغ منها، استنادا إلى فتوى أحد الشيوخ.

(4) - كما يفهم منها أن هذا السوق قد بيع فيه مصحف عثمان بن عفان لصالح الأمير الزياني يغمراسن (633-681 هـ / 1235-1282 م). أنظر: التنسي، مصدر سابق (تحقيق محمود بوعباد)، ص 124-125.

اليوم، وقد فرغ منها يوم السبت 7 صفر 1128 هـ/ 31 يناير 1716 م<sup>(1)</sup>، كذلك نسخة من كتاب التنسي "نظم الدرر"، على أهمية الكشف على طبعة النسخ التاريخية الموقوفة بالحاوية الزيانية تلمسان<sup>(2)</sup>، إلا أن المعطيات الكوديكولوجية والتاريخية المتعلقة بذلك شحيحة جدا، ولا توفر لي معلومات كافية حيال ذلك.

كذلك ضمت مدارس الحاضرة الزيانية تلمسان، مجموعة من الكتب الموقوفة، سواء في تلك التي أنشأها السلاطين الزيانيين<sup>(3)</sup> أو المرينيين<sup>(4)</sup>، ومن المرجح أن تكون أكبر المجموعات الموقوفة، هي تلك الموجودة بالجامع الأعظم<sup>(5)</sup>، منها إحدى نسخ كتاب "الشفاء" من أوقاف السلطان الزياني أبي زيان محمد (796 - 801 هـ/ 1393 - 1398 م)، وهي نسخة نفيسة مكتوبة بخط السلطان المحبس<sup>(6)</sup>، وفي شهادة مهمة أدلى بها سليل المدينة ابن مرزوق

(1) - وهي إحدى النسخ التي اعتمدها المحقق عبد الحميد حاجبات في تحقيقه للكتاب. لمعرفة تفاصيل ومحتوى توقيع الناسخ على نسخته المحتفظ بها بالمكتبة الوطنية الفرنسية. أنظر: ملحق رقم (08).

(2) - أشير هنا إلى نسخة "البداية إلى بلوغ النهاية" لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي الأندلسي (ت 477 هـ/ 1085 م)، والتي تم نسخها بمدينة تلمسان بأكادير في 18 شوال 759 هـ/ 22 سبتمبر 1358 م، من قبل الناسخ يحيى بن أحمد بن عبد المنان الأندلسي الدار الخزرجي الأنصاري النجار، استنادا إلى محتوى توقيعه الذي كتبه في نهاية نسخته المحفوظة بخزانة بن يوسف بمراكش تحت رقم (240). حولها أنظر: الصديق بن العربي: فهرس مخطوطات خزانة بن يوسف بمراكش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص 315.

(3) - من أهم مدارس مدينة تلمسان التي أنشأها السلاطين الزيانيين، أذكر مدرسة ابني الإمام، والمدرسة التاشفينية، والمدرسة اليعقوبية. حولها أنظر: عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، 1/ 141 - 145.

(4) - حول المدارس التي أنشأها السلطان المريني بالمغرب الأوسط. أنظر: ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 406 - 407.

(5) - من النسخ النفيسة التي وصلتنا اليوم، الموقوفة على الجامع الأعظم بتلمسان، أذكر نسخة "جامع أحكام القرآن"، لأبي عبد الله القرطبي (ت 671 هـ/ 1272 م)، من أوقاف ابن مرزوق الخطيب، وجاء نص التنجيس مقيدا على ظهر الورقة الأولى من الجزء 13، والأخير المتبقي من هذه النسخة العتيقة، وكتب ابن مرزوق ما يلي "الحمد لله حيس الشيخ الفقيه الزكي العالم الحافظ المحدث أبو عبد الله محمد بن الشيخ الفقيه الإمام العالم العامل الصالح الورع الزاهد المقدس أبي العباس أحمد بن مرزوق جميع هذا التفسير المسمى بكتاب جامع أحكام القرآن تأليف الإمام أبي عبد الله محمد على الجامع الأعظم ببلد تلمسان... وستين وسبعمئة"، هذه النسخة النفيسة التي يعود تاريخ وقفها إلى العشر الستين من القرن الثامن هجري، من ذخائر خزانة القرويين، وتوجد تحت رقم (13). حولها أنظر: محمد العابد الفاسي، مرجع سابق، 1/ 59.

(6) - أشاد التنسي، نظم الدرر (تحقيق محمود بوعباد)، ص 211. بالنسخ التي أوقفها السلطان أبو زيان محمد (796 - 801 هـ/ 1393 - 1398 م)، على خزانته الكائنة بمقدم الجامع الأعظم بتلمسان، وقد قام بنسخها بخط يده، منها مجموعة من المصاحف، ونسخة من صحيح البخاري.



الخطيب<sup>(1)</sup>، كشف خلالها عن قيام السلطان المريني أبو الحسن بإنشاء مدرسة جامع العباد قرب رباط الولي أبي مدين شعيب، وأوقف عليها "أعلاق الكتب النفيسة، والمصنفات المفيدة"، ومن غير المستبعد أن يكون ابن خلدون قد عاين مقتنياتها النفيسة، على الأقل في أثناء نزوله بالرباط لمرتين خلال سنتي 772 هـ / 1370 م، و776 هـ / 1374 م، وما نعرف عن هذه الخزانة، أنها كانت تضم بين رفوفها نسخا من مؤلفات تاريخية، بما فيها بعض مؤلفات النسابة البربر<sup>(2)</sup>، لكن مع الأسف تعرض الحاضرة الزيانية في العديد من محطاتها التاريخية الحرجة، إلى هجمات خارجية شرسة، قد أتلّف قسما كبيرا من تراث المدينة المخطوط، وتشتتت في خزائن مختلفة<sup>(3)</sup>.

وبخصوص الشق الغربي لبلاد المغرب، الذي كان تحت سيطرة الأسرة المرينية، فإننا نقرأ إشادة مصادر القرن 8 هـ / 14 م<sup>(4)</sup>، بأحد أهم صفقة استرجاع كتب، أبرمت سنة 684 هـ / 1285 م، بين الأمير المريني أبي يوسف يعقوب (656-685 هـ / 1258-1286 م)، مع نظيره

(1) - المسند الصحيح، ص 407.

(2) - يعتبر أبو القاسم الزياني (ت 1249 هـ / 1833 م)، أحد أهم الشخصيات المطلعين على بعض نسخ هذه الخزانة خلال القرن 12 هـ / 18 م، وعرض علينا قائمة متكونة من سبعة عناوين كانت موجودة على مستوى الخزانة أثناء زيارته لها، وهي: نسخة من تاريخ البلاذري في ستة أسفار، ثلاثة نسخ من أعمال النسابة البربر أشرت إليهم في وقت سابق، نسخة من تاريخ العقباني، ونسخة من مسند ابن مرزوق الخطيب، نسخة من واسطة السلوك لأبي محمو موسى الزياني. أنظر: أبو القاسم الزياني، مرجع سابق، ص 144.

(3) - أشير هنا إلى أهمية الشهادة التي أدلى بها القايد حمادي بن الصقال، الذي التقى به القس بارجيس (Bargès) في مدينة تلمسان سنة 1846 م، وعلى مآذبة الغداء التي دعي إليها هذا القس، صرح القايد أنه كان يملك مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية، إلا أن حوالي 200 مخطوطة من هذه المجموعة، قد ضاعت منه وأتلّفت من قبل أحد الجنود الفرنسيين، الذي أخذها من القايد ثم قام بتمزيقها، لكن يبدو أن القايد قد استطاع إنقاذ بعضها، منها مخطوطة "نظم الدرّ والعقبان" للحافظ التنسي، وهي النسخة التي حصل عليها هذا القس بواسطة الجنرال كفانياك حاكم المدينة، واعتمد عليها فيما بعد في إنجاز كتابه حول تاريخ تلمسان، وقع الفراغ من نسخها يوم الاثنين 17 شوال 1262 هـ / 7 أكتوبر 1846 م، عارية من اسم الناسخ، توجد بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس تحت رقم (16.127)، ضمن مجموعة القس بارجاس. لمزيد من التفصيل أنظر:

- Bargès, *Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, souvenirs d'un voyage*, Benjamin Duprat et Charllamel Ainé, Paris, 1859, pp. 244-246.

كما كانت مكتبة هذا القس بارجاس، تضم كذلك ثلاث نسخ من كتاب "بغية الرواد"، تحت الأرقام التالية: (406)، (407)، (408). حولها أنظر:

- Catalogue des livres orientaux de L'Abbé Bargès, Paris, 1896, pp. 65-66.

(4) - حولها أنظر: ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 475. ابن خلدون، العبر، 7 / 277.

"شأنه" ملك قشتالة، وهي تخص تلك الدواوين التي استولى عليها النصارى، واليهود من يد مسلمي الأندلس، والمثير للاهتمام في هذا الخصوص، أن هذه العملية قد أفضت إلى استرجاع، ما مقداره ثلاثة عشرة حملاً من مختلف الدواوين، وقد قام الأمير المريني بوقفها على مدرسته المعروفة بـ "المدرسة اليعقوبية"<sup>(1)</sup>، وعلى أهمية بعض التفاصيل التي انفرد بها ابن أبي زرع الفاسي، في تنوع عناوين الكتب المسترجعة في هذه الصفقة، إلا أن الغالب عليها كتب الشريعة، خصوصاً منها المصاحف<sup>(2)</sup>، كذلك يمكنني الإشارة إلى النسخ الكثير، التي كانت في حيازرة ابن الخطيب السلماي في أثناء إقامته بالمغرب المريني، واستناداً إلى شهادة معاصره ابن السكاك المكناسي (ت 818 هـ/ 1415 م)<sup>(3)</sup>، فقد كانت من بينها مجموعة كبيرة من كتب التواريخ.

بالعودة إلى نصوص الوقف المقيدة على مجموعة من النسخ التي وصلتنا اليوم، تظهر عناية السلاطين المرينيين خلال القرن 8 هـ/ 14 م، بوقف النسخ النفيسة على المدارس والجماعات التي أسسوها، منها أوقاف السلطان المريني أبي الحسن، وابنه من بعده أبي عنان، منها تلك الموقوفة على خزانة جامع القرويين<sup>(4)</sup>، ومدرسة "الصهريج"<sup>(5)</sup>، وهو الأمر الذي أكدت عليه كذلك

(1) - تسمى كذلك بـ "مدرسة الصفارين"، و"مدرسة الحلفاوين"، توجد بفاس القديمة، على مقربة من جامع القرويين، لمعرفة مزيد من التفاصيل حول تاريخ إنشائها وتخطيطها. أنظر: محمد السيد محمد أبو رحاب: المدارس المغربية في العصر المريني، دار الوفا لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2011، ص 272-284.

(2) - من العناوين التي ذكرها ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 475. المسترجعة في هذه الصفقة، تأتي في مقدمتها المصاحف، وكتب التفسير كتفسير ابن عطية والثعالبي، ومنها كتب الحديث وشروحه كالتهديب للبرادعي، والاستذكار، وكتب الأصول والفروع واللغة العربية والأدب.

(3) - أنظر: مصدر سابق، ص 18. وقد كتب ابن السكاك عن مكتبة ابن الخطيب السلماي يقول "دخل بيده من كتب التواريخ فطالع منها ما لا يمكن أن يدخل بيد ملك شامخ الملك كالحكم المستنصر في زمانه فتحقق ذلك".

(4) - من النسخ التي أوقفها السلطان أبو الحسن المريني، التي تحتفظ بها خزانة القرويين بفاس نسختين محبتين على هذه المدرسة، هما نسخة "جامع أحكام القرآن الميّن" لأبي عبد الله محمد القرطبي (ت 671 هـ/ 1272 م)، تحت رقم (12)، ونسخة "المنتقى في شرح الموطأ" لأبي الوليد الباجي (ت 494 هـ/ 1100 م)، تحت رقم (171). يعود تاريخ الوقف إلى سنة 744 هـ/ 1343 م. كذلك نسخة من "البيان والتحصيل" من أوقاف السلطان المريني أبي سعيد عثمان بن أبي العباس (800 - 823 هـ/ 1397-1420 م)، يعود تاريخ وقفها إلى سنة 817 هـ/ 1414 م، وتوجد تحت رقم (329). حول هذه النسخ. أنظر على الترتيب: محمد العابد الفاسي، مرجع سابق، 1/ 56-59، 175-176، 319-320.

(5) - تسمى كذلك بمدرسة الأندلس، توجد على مقربة من جامع الأندلس بعدوة الأندلسيين بفاس القديمة. حول موقعها وتاريخ إنشائها. أنظر: محمد السيد محمد أبو رحاب، مرجع سابق، ص 298-319. ومن النسخ المحبسة على هذه الخزانة، استناداً إلى نصوص الوقف المقيدة على بعض الأجزاء التي وصلتنا، أذكر منها: ثلاث نسخ من ذخائر خزانة القرويين

بعض النصوص الإخبارية المعاصرة لتلك المرحلة، منها رواية صاحب "المسند"، وقد أشاد بالأعلاق النفيسة التي أوقفها السلطان أبو الحسن، على المدارس التي أسسها بمختلف حواضر المغرب المريني<sup>(1)</sup>، كذلك الجزنائي<sup>(2)</sup> نوه بتلك النسخ التي أوقفها السلطان المريني أبو عنان على خزانته بجامع القرويين<sup>(3)</sup>، في شهر جمادى 750 هـ/ جويلية - سبتمبر 1349 م<sup>(4)</sup>، وفيما

بفاس، من أوقاف السلطان المريني أبي الحسن، وهي: نسخة "البيان والتحصيل"، يعود تاريخ وقفها إلى سنة 728 هـ، ونسخة "مفاتيح الغيب" لفخر الدين الرازي (ت 606 هـ/ 1210 م)، تحت رقم (10)، ونسخة "التبصرة" لأبي الحسن علي اللخمي (ت 498 هـ/ 1104 م)، تحت رقم (367)، كلا النسختين يعود تاريخ وقفهما إلى سنة 733 هـ/ 1332 م. حولها أنظر: محمد العابد الفاسي، مرجع سابق، 1/ 46-52، 359-360. ومحمد المنوني: "معرض المخطوطات العربية بمكناس"، مجلة تطوان، 3-4، (1958-1959)، ص 100-103. كذلك ثلاث نسخ من أوقاف السلطان المريني، أحمد المستنصر المريني، وهي: نسخة "تنبيه الطالب لفهم كلام الحاجب" لابن عبد السلام التونسي (ت 749 هـ/ 1348 م)، يعود تاريخ وقفها إلى سنة 793 هـ/ 1390 م، توجد تحت رقم (409)، أما نسخة "البيان والتحصيل" لابن رشد، توجد رقم (330)، ونسخة "التقييد على تهذيب البرادعي" لأبي الحسن علي الصغير (ت 719 هـ/ 1319 م)، توجد تحت رقم (373)، كلاهما يعود تاريخ وقفهما إلى سنة 795 هـ/ 1392 م. حولها أنظر: محمد العابد الفاسي، مرجع سابق، 1/ 392-393، 325، 367.

(1) - مصدر سابق، ص 407.

(2) - جاءت رواية الجزنائي، مصدر سابق، ص 76. على النحو الآتي "وأما خزانة الكتب التي يدخل إليها من أعلى المستودع الذي بالجامع فانه لما كان من شيم مولانا المتوكل أبي عنان رحمه الله... أن أخرج من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الأديان والأبدان والأذهان واللسان وغير ذلك من العلوم على اختلافها وشتى ضرورها وأجناسها ووقفها ابتغاء الزلفى ورجاء ثواب الله الأوفى".

(3) - توجد هذه الخزانة في الركن الشمالي الشرقي للجامع، ولها مدخل من أعلى المستودع، وقد عيّنها لها السلطان المريني أبو

عنان ناظرا لها يقوم بصيانتها. حولها أنظر: عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ط2، دار المعرفة، الرباط، 2000، 2/ 331.

(4) - استنادا الى فهرس خزانة القرويين، يمكنني عرض ما مجموعه 13 نسخة، من ذخائر خزانة القرويين بفاس، من أوقاف السلطان المريني أبي عنان على خزانته شرقي جامع القرويين، ثمانية منها على الأقل، يعود تاريخ حبسها إلى أشهر سنة 750 هـ/ 1349 م، والغالب عليها كتب الفقه، والحديث، وهي: نسخة "البيان والتحصيل" لابن رشد (ت 520 هـ/ 1126 م)، تحت رقم (329)، و(372)، ونسخة "التنبيهات المستنبطة" للقاضي عياض، تحت رقم (336)، ونسخة "التفريع" لابن الجلاب (ت 378 هـ/ 988 م)، تحت رقم (337)، ونسخة "الكتاب الكافي في الإفصاح عن مسائل كتاب الإيضاح" لابن أبي الربيع الاشبيلي (ت 688 هـ/ 1289 م)، تحت رقم (513)، ونسخة "الموطأ" على رق الغزال تحت رقم (605)، نسخة "نظم الدرر" للشرمساحي الزواوي المالكي (ت 669 هـ/ 1270 م)، تحت رقم (1140)، ونسخة "الإقناع في الفقه" للنيسابوري، تحت رقم (1167). حولها أنظر: محمد العابد الفاسي، مرجع سابق، 1/ 321، 329، 330، 330، 2/ 15، 161، 230، 250. أما النسخ الخمس المتبقية التي أوقفها هذا السلطان على خزانة الجامع، فهي: نسخة "كشف الأسرار عن غوامض الأفكار" لنجم الدين القزويني (ت 675 هـ/ 1276 م)، يعود تاريخ وقفها سنة 759 هـ/ 1357 م،

يظهر أن الغالب عليها، كتب الشريعة (الفقه، وأصوله، والحديث، والتفسير)، يأتي هذا تماشياً والتوجهات الدينية التي طبعت نهاية مرحلة الوسيطة.

أما مدارس مدينة سبتة، فقد تحدث أبو القاسم الأنصاري السبتي<sup>(1)</sup>، بالأرقام عن عدد خزائن المدينة ووضعيتها، مطلع القرن 9 هـ / 15 م، وقد بلغت ما مجموعه ثمانية خزائن، موقوفة كلها على الطلبة، من أصل 17 خزانة، من أقدمها خزانة أبي الحسن الشاري السبتي (ت 649 هـ / 1251 م)، وقد كانت تحتفظ بين رفوفها على "الأصول العتيقة والمؤلفات الغريبة"<sup>(2)</sup>، خصوصاً وأن مؤسسها، قد أشتهر بجمعه "للكتب والدفاتر مغالياً في أثمانها، وربما أعمل الرحلة حتى اقتنى مجموعة كبيرة فيها كل علق ونفيس"<sup>(3)</sup>، ما يعني أن هذه الخزانة كانت تضم بين رفوفها إلى مطلع القرن 9 هـ / 15 م، مجموعة نادرة من النسخ العتيقة، والتي يعود تاريخ وقف عدد منها إلى النصف الأول من القرن 7 هـ / 13 م، وهي المجموعات الخطية الأولى النادرة الموقوفة من قبل مالكيها في مرحلة التأسيس، كما نوّه أبو القاسم الأنصاري بالمخزون المكتبي الثري والمتنوع، الذي كان موجوداً على مستوى خزانة الجامع العتيق بمدينة سبتة<sup>(4)</sup>.

تحت رقم (608)، ونسخة "شرح مختصر ابن الجلاب" لمؤلف مجهول، يعود تاريخ نسخها إلى سنة 751 هـ / 1350 م، تحت رقم (1123). نسخة "التنبيه على مبادئ التوجيه" لأبي طاهر التنوخي، تحت رقم (1132). ونسخة "تحصيل الأصول من كتاب المحصول" للأرموي أبي الثناء سراج الدين (ت 682 هـ / 1283 م)، تحت رقم (619)، ونسخة "واضح السبيل" لأبي بكر بن العربي (ت 543 هـ / 1148 م)، تحت رقم (926). حولها أنظر: محمد العابد الفاسي، مرجع سابق، 2/ 169. 217/3، 225. 181/2، 31/3.

<sup>(1)</sup> - يخصي أبو القاسم الأنصاري، مصدر سابق، ص 29. ما مجموعه 62 خزانة كتب كانت موجودة بمدينة سبتة، منها 45 خزانة في دور الأكابر وذوي الأقدار على غرار خزانة بني العجوز، لكن يبدو أنه لم يبق من الخزائن في زمنه، سوى 17 خزانة، تسعة منها مليكة خاصة لمشاهير الأسر العلمية السبتية، وتوجد في دور الفقهاء والأعلام، وثمانية منها موقوفة على الطلبة.

<sup>(2)</sup> - المصدر نفسه، ص 29.

<sup>(3)</sup> - استناداً إلى بعض النصوص التاريخية، فإن خزانة أبي الحسن الشاري، توجد كملحقة لمدرسته التي بناها بجوار باب القصر أحد أبواب بحر سبتة، وقد جعل لها وقفاً من أملاكه. حولها أنظر: ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 8/ 197. أبو جعفر بن الزبير، صلة الصلة المطبوع بآخر السفر الثامن من الذيل والتكملة، ص 557. ابن الخطيب السلماي، الإحاطة، 4/ 187 - 188.

<sup>(4)</sup> - استناداً إلى شهادة سليل المدينة، أبي القاسم الأنصاري، مصدر سابق، ص 30. فقد ذكر خزانتي تابعتان للجامع العتيق بالمدينة، لكن الخزانة الأكثر حجماً من حيث مخزونها المكتبي، هي تلك الكائنة بشرقي صحنه، بإزاء باب الشواشين أحد أبواب المسجد، وقد أشاد بما قائلًا "وكانت في الكثرة بحيث لم يشذ منها فن من الفنون ولا نوع من المعارف أصلاً مع تعدد مصنفات ذلك الفن وكثرة دواوينه".

بلا شك تركت عناية السلاطين المرينيين على وقف النسخ النفيسة على جامع القرويين بحاضرهم فاس، في مقابل تضاعل مستوى نسخهم الموقوفة على مدرسة جامع بن يوسف بمراكش، ومع ذلك فإن رواية ابن مرزوق الخطيب<sup>(1)</sup> تصرح بالمدرسة التي بناها السلطان أبو الحسن المريني بمراكش، وأوقف عليها أعلقا نفيسة كباقي المدارس المرينية، كما لا تزال اليوم وقفية السلطان المريني أبي عنان مقيدة على إحدى نسخ خزانة الجامع النفيسة<sup>(2)</sup>، بالتأكيد كان لذلك دوره السلبى في تراجع مقتنيات هذه الخزانة من النسخ الموقوفة في المرحلة المرينية<sup>(3)</sup>.

## 2. نسخ "الشفاء" وكتاب "العبر" أبرز النسخ التاريخية الموقوفة في نهاية العصر الوسيط.

حرفيا نحن هنا أمام مجموعات ضخمة من المخطوطات النفيسة، التي ضاع الكثير منها في مراحل تاريخية مختلفة، ولم يصلنا اليوم من تلك النسخ الموقوفة إلا البعض منها، وما يميّز هذه التشكيلة المحبسة بالخزائن السلطانية أو تلك الملحقة بالجامع، والمدارس إضافة إلى الزوايا، أنها

(1) - المسند الصحيح، ص 406.

(2) - وهي نسخة "جامع البيان عن تأويل القرآن" لابن جرير الطبري (ت 310 هـ / 922 م)، من ذخائر خزانة بن يوسف بمراكش تحت رقم (2/523)، يعود تاريخ وقفها إلى آخر ذي القعدة سنة 750 هـ / فيفري 1350 م، وجاء نصها على النحو التالي "تحييس أبي عنان المريني على الخزانة المباركة الكائنة بالمدرسة التي بجوفي جامع المنصور بمراكش. صح ذلك وكتبه بخط يده عبد الله ووليه وفارس أمير المؤمنين بن علي بن عثمان بن أمير المؤمنين". حولها أنظر: الصديق بن العربي، مرجع سابق، ص 52-53. أشير كذلك إلى وقفية مقيدة على الجزء الثامن من نسخة "التمهيد" لابن عبد البر (ت 463 هـ / 1071 م)، المحفوظة بالخزانة تحت رقم (2/460)، ويعود تاريخ نسخها 20 جمادى الأولى 607 هـ / 8 نوفمبر 1210 م، ورد أنها من تحييسات السلطان المريني أبي الحسن، غير أن تاريخ حبسها في ربيع الثاني 752 هـ / ماي - جوان 1351 م، يتعارض وتاريخ وفاة السلطان المحبس. حولها أنظر: المرجع نفسه، ص 133.

(3) - أشير هنا إلى أهمية "حوالة خزانة جامع بن يوسف"، التي يشير مضمونها إلى التراجع الكبير الذي مسّ المخزون المكتبي لخزانة بن يوسف بمراكش في المراحل اللاحقة، هذه الحوالة التي كتبت 24 شعبان سنة 1111 هـ / 4 فيفري 1700 م، عثر عليها (Gaston Deverdun) "دوفيردان" سنة 1938 م، وأجرى حولها دراسة مهمة، توصل فيها إلى نتائج مهمة، فقد بلغ جرد إعارة الكتب 148 إعارة فقط خلال مائة سنة كاملة، كما اشتملت على نحو 500 عنوانا فقط، موزعة على تسعة أصناف من المعارف. حولها أنظر:

- Gaston Deverdun, «Un registre d'inventaire et de prêt de la bibliothèque de la mosquée 'Ali Ben Youssef à Marrakech daté de 1111 H - 1700 J.C.» *Hespers*, 31, (1944), pp 55-59.

من خلال إحصاءات عناوين الكتب الواردة في هذه الحوالة، فقد احتلت الكتب التاريخية المرتبة الخامسة بما مجموعة سبعة عناوين فقط، بينما كانت الحصبة الأعلى لعلوم القرآن والحديث بما مجموعه 200 عنوان.

## الفصل الرابع ————— تاريخ النصوص الإخبارية... مقارنة تاريخية لـ «تاريخ» لـ «تاريخ»

معظمها كان متاحا للطلبة الراغبين في المطالعة، والتصحيح، والنسخ، وما ينبغي توقعه أن يكون قسطا معتبرا منها، يصنف ضمن مجموعة النسخ التاريخية الموقوفة، وإن كانت معرفتي بهذه المجموعة المهمة محل الدراسة، أقل بكثير عن نظيرتها الموقوفة في علوم الشريعة، ومع ذلك فلا يزال بوسعي الكشف على هوية بعضها، منها ثلاثة نسخ خزائنية من كتاب "الشفاء"، ورد التنصيص على وقفها من قبل السلاطين، وهي على النحو التالي:

السلطان	الخزانة	هوية الناسخ	تاريخ النسخ	مكان تواجد المخطوطة
أبو عنان المريني	الجامع الأعظم بتازة	غير وارد	غير وارد	الخزانة العلمية بتازة (550)
أبو فارس عبد العزيز المريني	جامع القرويين بفاس	أصابه محو	غرة رجب،،،	خزانة القرويين (262)
محمد بن عمر الوطاسي	جامع القرويين بفاس	السلطان محمد الوطاسي	أواخر محرم 855 هـ / مارس 1451 م	خزانة القرويين (1071)

على أهمية نسخ "الشفاء" الموقوفة من قبل سلاطين مغرب ما بعد الموحدين، إلا أن أشهر النسخ التاريخية الموقوفة التي وصلتنا اليوم من تلك المرحلة، وقد بقيت محتفظة بنص وقفيتها، هي نسخة كتاب "العبر"، التي بعث بها مصنفها ابن خلدون من مقر إقامته بالقاهرة، برسم السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز، وتعرف بالنسخة "الفارسية"، وفقا على خزانة القرويين، لفائدة "طلبة العلم الشريف بمدينة فاس"، ويعود تاريخ وقفها إلى 21 صفر عام 799 هـ / 23 نوفمبر 1396 م<sup>(1)</sup>، وتقع هذه النسخة النفيسة في سبعة أسفار، بخط الناسخ المصري عبد الله بن حسن ولد الفاخوري، وقد وضع ابن خلدون، في وقفيته شروطا يضبط من خلالها كيفية الاستفادة منها<sup>(2)</sup>، فهي متاحة للقراءة والمطالعة، والنسخ أيضا، مع إمكانية إعارتها إلى خارج الخزانة كذلك، على أن لا تتجاوز المدة الشهرين لا غير، وهي المدة التي تكفي للنسخ، حسب تقدير محبها ابن خلدون<sup>(3)</sup>.

(1) - حول محتوى نص وقفية ابن خلدون. أنظر: ملحق رقم (09).

(2) - تظهر مجموعة من النوازل الفقهية التي أوردها الونشريسي في معياره، حول الكتب المحبسة على الجوامع والمدارس، وشروط الانتفاع بها، إضافة إلى بعض المسائل المتعلقة بصيغة الوقف، تلك الأهمية التي حظيت بها الكتب المحبسة في الغرب الإسلامي الوسيط، خصوصا منها المصاحف. أنظر: الونشريسي، المعيار، 7/ 18-21، 227، 293، 337، 340. 18-21، 227، 293، 337، 340.

(3) - من أهم الدراسات المنجزة حول هذه الوقفية، دراسة ايفاريسست ليفي - بروفنصال:

- Lévi-Provençal Évariste, « Note sur l'exemplaire du Kitab al-Ibar offert par Ibn Haldun à la bibliothèque de D' Al-Karawiyin à Fès », *Journal asiatique*, Paris, CCIII, 1923, p.161-168.

- أحمد شوقي بنينين: مرجع سابق، ص 114-115.

استقرت نسخة "العبر" الفارسية بخزانة القرويين بفاس في نهاية القرن 8 هـ / 14 م، ومن المتوقع أن تحقق نسبة مقروئية معتبرة بين طلبة فاس، خصوصا من فئة المهتمين بالخبر التاريخي، خلال القرنين 9-10 هـ / 15-16 م، لكن الملفت للانتباه أن إسماعيل بن الأحمر (ت 807 هـ / 1404 م)، الذي استقر بصفة نهائية بالحاضرة المرينية فاس، الأمر الذي يتيح له فرصة الإطلاع على نسخة "العبر" الموقوفة بخزانة القرويين، إلا أنه لا يشير مطلقا للكتاب، كأحد أهم مصنفات ابن خلدون التاريخية، مع علمنا أنه أحد الشخصيات التي ترجم لها في "مستودع العلامة" <sup>(1)</sup>، يأتي هذا الصمت من قبل ابن الأحمر حيال الاهتمامات التاريخية لابن خلدون ونسخته الموقوفة بالقرويين، رغم صدور أولى نسخ الكتاب بالحاضرة الحفصية تونس بداية من سنة 784 هـ / 1382 م، وقد أتبع بصدور مجموعة من نسخ ثانية بما فيها النسخة الفارسية.

حقيقة لا تتوفر عندي في الوقت الحالي معلومات كافية، قد تسعفني في التوصل إلى هوية الأشخاص المطلعين على النسخة الفارسية، في المرحلة الوسيطة المتأخرة، كما أن معظم أجزاء هذه النسخة قد ضاعت، ولم يبق منها إلا الجزء الثالث والخامس فقط، لذلك تبقى شهادة المقرئ التلمساني <sup>(2)</sup>، التي كشف فيها عن معاينته لنسخة "العبر"، وعليها خط ابن خلدون، أحد الشهادات المهمة، التي تجعل منه أبرز المطلعين على هذه النسخة النفيسة، المعروفين لدى الباحثين المهتمين بنسخة "العبر" مطلع القرن 11 هـ / 17 م.

وتأتي هذه النسخة كأحد أهم النسخ التي صدرت وابن خلدون بقيد الحياة، وقد قام بمراجعتها على غرار بعض النسخ التي تولى مراجعتها بنفسه، على ما أظهرته عبارات التصحيح التي كتبها بخطه على حواشي البعض منها التي وصلتنا اليوم، الأمر الذي يرفع من نفاستها وارتفاع قيمتها التوثيقية، واستنادا إلى مجموعة مهمة من الدراسات العربية والأجنبية، التي ركزت اهتمامها على نسخ "العبر" العتيقة، والموزعة في العديد من مكتبات الدول المتوسطة

<sup>(1)</sup> - اكتفى إسماعيل بن الأحمر، مستودع العلامة، ص 64-65. بالإشادة بالمستوى الجيد لابن خلدون في المنطق، والأصول والبلاغة، يظهر ذلك في قوله "وهو إمام المنطق والمتكلم بالإصابة فيه والناطق في أصول الدين بملء فيه والمرسل البلاغة في كتبه".

<sup>(2)</sup> - جاءت رواية المقرئ التلمساني، نفع الطيب، 6 / 191. على النحو الآتي "ورأيت به فاس وعليه خطه في ثماني مجلدات كبار جدا وقد عرّف في آخره بنفسه". والجزء الثامن في رواية المقرئ هو الجزء الأخير المتعلق بـ "التعريف بابن خلدون ورحلته".

## الفصل الرابع ————— تاريخ النصوص الإخبارية... مقارنة تاريخية لـ «تاريخ ابن خلدون»

وغيرها، فقد أصبح بالإمكان التعرف على هوية مجموعة منها، وإعادة ترتيبها ترتيباً كرونولوجياً، على ما أنجزته في الجدول التالي<sup>(1)</sup>:

الترتيب	تاريخ النسخ	تجزئة النسخة	المكتبة	ملاحظات
01	780 - 784 هـ / 1382 - 1387 م	العبر ماعدا جزء التعريف	مفقودة	برسم السلطان أبي العباس الحفصي سنة 784 هـ / 1382 م
02	784 - 786 هـ / 1382 - 1384 م	المقدمة	ليدن (48) جوليوس	بخط أحد تلامذة ابن خلدون <sup>(2)</sup>
03	790 هـ / 1388 م	العبر	داماد إبراهيم اسطنبول (865-868)	تحتوي على تعليقات بخط المقرئ، كتبت في الخزنة العلوية السعيدية المعزية الصاحبية.
04	791 هـ / 1388 م	الكتاب الأول	داماد إبراهيم اسطنبول (863)	برسم خزنة الظاهر برفوق سنة 797 هـ / 1394 م.
05	797 هـ / 1394 م	العبر	داماد إبراهيم اسطنبول (864/867)	
06	798 هـ / 1395 م	العبر	خزنة القرويين بفاس (362)	برسم السلطان أبي فارس المريني سنة 799 هـ / 1396 م
07	799 هـ / 1396 م	الكتاب الأول	ياني جامع اسطنبول (888)	بخط الناسخ المصري ابن الفخار لنفسه تحت إشراف ابن خلدون نفسه
08	800 هـ / 1399 م	العبر	داماد إبراهيم اسطنبول (869)	
09	804 هـ / 1401 م	الكتاب الأول	عاطف أفندي اسطنبول (1936)	تعليق بخط ابن خلدون " هذه مسودة المقدمة من كتاب العبر في أخبار العرب والعجم والبربر وهي علمية كلها كالديباجة

(1) - أنجزت هذا الجدول اعتماداً على الدراسات الحديثة المنجزة من قبل المهتمين بمخطوطات "العبر" لابن خلدون، من أهمها: الدراسة القيمة التي أنجزها فرانز روزنتال، في مقدمة تحقيقه لمقدمة ابن خلدون التي نقلها إلى اللغة الإنجليزية:  
- Ibn Khaldun, *The Muqaddimah: An Introduction to History*, Transl. from the Arabic by Franz Rosenthal, bollingen series XLIII, Princeton University Press, New York, 1958.

- الدراسة المنجزة من قبل محمد بن تاويت الطنجي في مقدمة تحقيقه لنص "التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً".  
- عبد الرحمن بدوي: مؤلفات ابن خلدون، ط2، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1979، ص 77-283.  
- الدراسة المنجزة من قبل عبد السلام الشدادي في مقدمة تحقيقه لنص المقدمة.  
- جمعة شيخة: "مخطوطات ابن خلدون وتحليل خطه"، ترجمة إسحاق عبيد، ابن خلدون، البحر المتوسط في القرن الرابع عشر، قيام وسقوط إمبراطوريات، تنسيق كريا خيسوس فيجيرا، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2007، ص 350-367.  
(2) - من النسخ التي قام عبد السلام الشدادي بدراستها في مقدمة تحقيقه لنص المقدمة.



لكتاب التاريخ قابلتها وصحتها وليس يوجد في نسخها أصح منها وكتب مؤلفها عبد الرحمن بن خلدون وفقه الله تعالى وعفا عنه بمنه " (1)				
بخط إبراهيم بن خليل بن سعد الشافعي	حسين جبلي بوصة (793)	الكتاب الأول	806 هـ / 1403 م	10
تقع في جزئين، الأول منها يعود إلى القرن 12 هـ، أما الجزء الثاني فيرجع إلى سنة 806 هـ / 1403 م.	نوري عثمانية اسطنبول (2423)	المقدمة	806 هـ / 1403 م	11
	داماد إبراهيم اسطنبول (866)	العبر	بداية القرن 9 هـ / 15 م	12
قسم منها بخط الناسخ ابن الفخار، عليها تصحيحات بخط ابن خلدون	آيا صوفيا اسطنبول (3200)	الكتاب الأول وجزء التعريف	بداية القرن 9 هـ / 15 م	13
تمت مراجعته من قبل ابن خلدون	أحمد الثالث طوب قوسراي ( 3 / 2924 - 14)، 7 مج.	العبر	بداية القرن 9 هـ / 15 م	14
بخط ابن الفخار عليها تصحيحات بخط ابن خلدون نفسه وهي النسخة الأحدث الصادرة عنه (2)	أحمد الثالث طوب قوسراي (04/ 3042) B1- 03-B10	العبر	808 هـ / 1405 م	15

الجدول أعلاه، يظهر العدد الكبير من النسخ التي صدرت خلال 23 سنة، التي قضاها ابن خلدون في مصر، وقد كان يجري التعديلات والتصحيحات المهمة على عبره، وزاد فيه فصولا كثيرة، ليتضاعف حجم الكتاب بشكل كبير، مقارنة بحجم النسخة التونسية "الرواية الأقصر"، ويبدو أن عزله عن منصب القضاء خلال سنوات 787 هـ - 801 هـ / 1385 - 1398 م، قد منحه فرصة التفرغ والتأليف والتدريس (3)، وخلالها تمكن على الأقل من إصدار أهم النسخ

(1) - للإطلاع على هذه الطرة التي قيدها ابن خلدون بخطه. أنظر: ملحق رقم (10).

(2) - أشاد محقق "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا" محمد بن تاويت الطنجي، بنسخة أحمد الثالث (3042)، التي تضم الأجزاء كاملة من هذا الكتاب، وقد اعتمد المحقق على تجزئتها الأخيرة، واعتبارها أحدث النسخ الصادرة عن ابن خلدون، التي بقيت معه إلى حين وفاته، كما أشار إلى كونه أصل عقيم لم يتفرع عنه أية نسخة. أنظر: مقدمة تحقيق الرحلة، ص 15.

(3) - ابن خلدون، الرحلة، ص ص 271، 272، 273.

المعدلة على نسخته الأولى، هما النسخة الظاهرية، والنسخة الفارسية، الموقوفة بجزارة القرويين، وبقي ابن خلدون يجري تعديلاته وإضافاته إلى الأشهر الأخيرة من حياته، وقد فصلت في هذا الموضوع في مرحلة سابقة، والجدول أعلاه يظهر هوية النسخة الأحداث الصادرة عنه، وهي نسخة أحمد الثالث، بطوب قبوسراي باسطنبول.

إن محدودية عدد نسخ "العبر" النفيسة، التي استقرت بالعدوة المغربية، وقد كان نصيبها نسختان فقط هما: النسخة التونسية، والنسخة الفارسية، في حين استأثرت البلاد المصرية بالقسط الأكبر منها، وهي بالتأكيد أصولا نفيسة، سوف تجد لها مكانة جيدة و متميزة، بين جمهور المهتمين بإعادة نسخ الكتاب ومقابلته، الأمر الذي يفسر ارتفاع عدد النسخ المنبثقة عنها خلال المراحل الوسيطة اللاحقة<sup>(1)</sup>، وفي هذا المنحى أظهرت نتائج إحدى الدراسات المهمة<sup>(2)</sup>، عدد نسخ "العبر" التي وصلتنا اليوم، من منتسخات القرنين 8 - 10 هـ / 14 - 16 م، على النحو التالي:

الكتاب	ق: 8 هـ / 14 م	ق: 9 هـ / 15 م	ق: 10 هـ / 16 م
الكتاب الأول	3	7	1
العبر	6	14	2
جزء التعريف	1	2	

وبصرف النظر عن إقرار الباحثين المهتمين بقضايا المخطوط التاريخي المغربي، بتعرض الورقات الأولى والأخيرة للكثير من النسخ التي وصلتنا اليوم، للتلف والضياع لأسباب مختلفة، وهي الأوراق التي من الممكن أن تحمل في طياتها نصوص الوقف المهمة، إلا أنه في اعتقادي ليس سببا كافيا في تفسير قلة النسخ التاريخية الموقوفة التي وصلتنا اليوم<sup>(3)</sup>، خصوصا إذا قورنت بنظيرتها

<sup>(1)</sup> - من نسخ "العبر" الحديثة المنبثقة عن النسخة الفارسية، نسختان بدار الكتب المصرية، واحدة تحت رقم: تيمور (684 تاريخ)، وقع الفراغ من نسخها سنة 1275 هـ / 1858 م، أما الثانية تحت رقم: تيمور (612 تاريخ)، ونسخة الشنقيطي تحت رقم (1 ش تاريخ)، وقع الفراغ من نسخها سنة 1137 هـ / 1724 م، برسم السلطان العلوي المولى إسماعيل (1072 - 1139 هـ / 1661 - 1726 م).

<sup>(2)</sup> - جمعة شيخة، مرجع سابق، ص 361.

<sup>(3)</sup> - أشير هنا إلى نسختين عتيقتين من "سيرة ابن إسحاق تهذيب ابن هشام" يعود تاريخ وقفهما إلى المرحلة السعدية، في نهاية القرن 10 هـ / 16 م، أحدها نسخة من نفاس خزانة بن يوسف بمراكش، تحت رقم (2 / 422)، عليها نصّ تحييس عبد الله السعدي على خزائنه بمراكش، يعود تاريخها إلى أوائل 978 هـ / 1570 م. حولها أنظر: الصديق بن العربي، مرجع

في العلوم الشرعية، حيث تتبوأ المصاحف وكتب الفقه والحديث الصادرة<sup>(1)</sup>، ويبدو أن هذا النقص يشير إلى تلك المكانة المتواضعة التي احتلتها الكتب التاريخية، كمادة مخطوطة بين رفوف خزائن حواضر العدو المغربية، وقد شكل كتاب "الشفاء" استثناء في هذا الخصوص، وعليه فإن وجود الوثيقة الوقفية المهمة، التي وصلتنا مقيدة على الجزء الخامس من نسخة "العبر" الفارسية، قد ساهم بشكل كبير في التعريف بهذه النسخة الخزائنية، وضبط تاريخ صدورها على وجه الدقة، إضافة إلى الكشف عن هوية الشخص الواقف، واسم المكان الذي استقرت فيه، وهي خزنة القرويين بالحاضرة المرينية فاس.

---

سابق، ص 160. أما الثانية، فهي نسخة محبسة على خزنة شرقي جامع القرويين بتاريخ اليوم الثاني من ربيع الأخير 988 هـ/ 23 ماي 1580 م. من ذخائر خزنة القرويين بفاس تحت رقم (283). حولها أنظر: محمد العابد الفاسي، مرجع سابق، 1/ 280-281.

(1) - أشير هنا إلى اهتمام السلاطين المرينيين بنسخ المصاحف وحبسها، منها أوقاف السلطان المريني أبي الحسن، الذي كان يرسل نسخا من المصاحف بخط يده وحبسها بالمدينة المنورة، ومكة وبالمسجد الأقصى. أنظر: ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص ص 475، 476، 477. ابن خلدون، العبر، 7/ 280، 351، أما ابنه أبو عنان فقد أنشأ خزنة المصاحف التي في صدر خزنة القرويين بفاس، وأوقف عليها مجموعة من المصاحف كذلك سنة 750 هـ/ 1349 م، لا يزال البعض منها موجودا في خزنة القرويين بفاس إلى اليوم. حولها أنظر: الخزنائي، مصدر سابق، ص 76.

### المبحث الثالث:

#### مجال جغرافي واسع لانتقال النسخ التاريخية في نهاية العصر الوسيط.

بتركيز اهتمامي أكثر في هذه المرحلة، على تتبع رحلة بعض النسخ التاريخية العتيقة، وانتقالها بين مختلف حواضر المغرب الإسلامي الوسيط، قد يصل مدى الكثير منها إلى خارج مجالها الجغرافي الذي نسخت فيه، وبلا شك فإن مراقبة مسار هذه النسخ، مسألة غاية في التعقيد والتشعب، ومن أجل التوصل إلى نتائج مرضية حيالها، يتطلب مني التدقيق ومراجعة الكثير من النصوص الإخبارية المتناثرة في ثنايا المصادر الإخبارية، وتدعيمها ببعض المعطيات الكوديكولوجية المهمة التي وصلتنا مقيمة على عدد من النسخ المعنية بالدراسة، فالإشكالية هنا لا تتوقف عند حدود معرفة هوية المكان الذي صدرت فيه أولى نسخ الكتاب، الذي تمثله في غالب الأحيان "مبيضة المؤلف" أو "النسخة الأم" النفيسة، التي انبثقت عنها باقي النسخ، بل كذلك مراقبة مسار انتقال باقي النسخ الفرعية، والبحث عميقا في كلّ مخرجات النص، كمسائل الحياة "التملكات"، هوية الأشخاص المطلعين على النسخة، الوقفيات، الإجازات والتصحيحات والمقابلة... الخ.

انطلاقا من بعض النسخ التاريخية الصادرة في نهاية العصر الوسيط، سوف يكون عملي مكثفا في هذه المرحلة على مجموعة منها، وهي نماذج جاهزة أمامي، تختلف من حيث نفاستها وقيمتها التوثيقية من نسخة إلى أخرى، وقد وصلنا اليوم مجموعة مهمة منها، كنسخ "الصلة" لابن بشكوال (ت 578 هـ / 1182 م)، و"التكملة" لابن الأبار، و"الذيل" لابن عبد الملك المراكشي.

#### 1. "صلة" ابن بشكوال واستدراكاتها، بين النسخ الضائعة والمتوفرة في بلاد المغرب:

حقق كتاب "الصلة" لابن بشكوال رواجاً كبيراً في وسط المهتمين بتراجم رواة العلم في حواضر الغرب الإسلامي الوسيط، منذ صدور أولى نسخه سنة 534 هـ / 1139 م، وقد بقي مصنفه يتعهده بالتصحيح والإضافة إلى السنوات الأخيرة من حياته، حتى أصبحت هذه الزيادات تمثل ذيلاً مستدركا على أصل صلته، وبالمثل تم تداول هذا المستدرك في حواضر الغرب الإسلامي الوسيط، حيث كانت مدينته قرطبة أولى الحواضر الأندلسية التي انتشرت فيها نسخ "الصلة" واستدراكاتها، حدث ذلك بعد قيام عدد من تلامذة ابن بشكوال والآخذين عنه بنسخ الكتاب، وأعادوا مقابلته بأصل المصنف، ليعرف طريقه إلى الانتشار في باقي حواضر

المغرب الإسلامي، وهنا أشير إلى إحدى أقدم نسخ الكتاب، التي كانت موجودة في بمدينة سبتة، تعود إلى منتسخات القرن 6 هـ / 12 م، وهي نسخة التلميذ الراوية أبي الحسين ابن الصائغ (ت 600 هـ / 1203 م)<sup>(1)</sup>، وفي المراحل اللاحقة من القرنين 7-8 هـ / 13-14 م، استمر تداول كتاب "الصلة" واستدراكها في مجالس الإقراء، رافقه ارتفاع لاف في عدد نسخه الموجودة في بلاد المغرب.

ويفهم من تصريح ابن الأبار، الذي أكد على توفر مجموعة من نسخها في الحاضرة الحفصية تونس<sup>(2)</sup>، اطلع على إحداها في أثناء وجوده بالمدينة، كانت في حيازة بعض أصحابه التونسيين، ويبدو أن هذه النسخة التونسية، كانت تضم تراجم مزيدة على الأصل الذي كان ابن الأبار على معرفة بمضمونه<sup>(3)</sup>، كذلك تلك النسخ المتداولة في حلقة شيوخ المغرب، منها نسخة مستوطن تونس المرسي، ابن رزين التجيبي (ت 692 هـ / 1292 م)، التي كان يعتمد عليها في حلقاته بمدينة تونس، وقرأها عليه تلميذه الرحالة العبدري، لكن ضياع فهرسة شيوخ ابن رزين التجيبي في وقت مبكر، حيث كانت إحدى نسخها في حيازة تلميذه العبدري، قد فوت علينا فرصة الكشف على طريق رواية ابن رزين لـ "صلة" ابن بشكوال، وبالمثل شهدت الحاضرة الحفصية الثانية، مدينة بجاية تداول نسخ "الصلة" في مجالس الإقراء، نعرف منها على

(1) - من تلامذة ابن بشكوال، سمع عليه كتاب "الصلة" بقرطبة، واستنادا إلى رواية ابن الأبار، التكملة، 4/ 195. فان هذه النسخة التي كان يعتمد عليها ابن الصائغ في حلقاته بمدينة سبتة، قد اطلع عليها صديقه أبا بكر التجيبي (ت 558 هـ / 1162 م) وقرأها عليه.

(2) - يصرح ابن الأبار بإطلاعه على مجموعة من الذبول والاستدراكات المنجزة على "صلة" ابن بشكوال، كذلك امتلاكه لبعض منها، على غرار نسخة مختصرة على "الصلة" من عمل القاضي أبي القاسم بن حميش المريني (ت 584 هـ / 1188 م)، كذلك "صلة" أبي بكر محمد بن عبد الله التجيبي (ت 558 هـ / 1162 م)، عبارة عن مجموع في رجال الأندلس، كذلك "زيادات على الصلة" لأبي عبد الله القنطري (ت 561 هـ / 1165 م)، كذلك العمل الذي قام به أبو محمد الحرار اللخمي الاشيلي (ت 645 هـ / 1247 م) بعنوان "المنهج الرضي في الجمع بين كتابي ابن بشكوال وابن الفرضي"، كذلك "ذيل على الصلة" شرع فيه ابن عياد أبي عمر يوسف (ت 575 هـ / 1179 م) من أهل لرية، هذه النسخة الغير مكتملة التي وقعت في حيازة ابن الأبار مكتوبة بخطين مختلفين، أحدها بيد مؤلفه ابن عياد، والثاني بخط ناسخ ثان نقلها من نسخة كتبت بخط ناسخها المصنف ابن عياد. حول هذه الذبول والاستدراكات أنظر: المصدر نفسه، 1/ 249، 25/2، 29، 3/ 212، 4/ 298.

(3) - يبدو أن الزيادة التي يتحدث عنها ابن الأبار الموجودة في النسخة التونسية، تتعلق بترجمة الوزير أبي الوليد بن زيدون (ت 405 هـ / 1014 م). أنظر: المصدر نفسه، 2/ 239.

الأقل تلك النسخة التي تناولها التحيي من يد شيخه أبي عبد الله الكناني في مجلس إقرائه، ومن غير المستبعد أن تكون هذه النسخة، هي إحدى نسخ "الصلة" التي استعان بها التحيي في تحرير تراجمه المستدركة على "ذيل" ابن عبد الملك المراكشي، وسوف أتطرق إلى هذه المسألة في وقت لاحق.

وفي سياق بحثي عن نسخ "الصلة" المنتشرة في حواضر بلاد المغرب، يعتبر التاريخي ابن عبد الملك المراكشي، من أبرز الشخصيات المغربية التي اطلعت على مجموعة من نسخ الكتاب النفيسة، وبمراجعتي لأجزاء كتابه "الذيل والتكملة"، المتوفرة بين أيدينا اليوم، يمكنني التأكيد على معانيته على الأقل لنحو ثلاثة منها، تعود إلى منتسخات تلامذة ابن بشكوال من الأندلسيين<sup>(1)</sup>، وتستمد هذه النسخ الضائعة اليوم، نفاستها وقيمتها الوثائقية، بحملها لنصوص الإجازة، والسماعات، والمناولة، والمعارضة، والقراءة التي كتبها المصنف بخط يده على ورقاتها الأولى، وقد عاينها ابن عبد الملك المراكشي ونقل إلينا بعض نصوصها، كما كشف عن معانيته لبعض الطرر التي قيدت على حواشي البعض منها، وقد كانت تحت نظره في أثناء تحريره لتراجم ذيله، واستفادته منها كذلك<sup>(2)</sup>، وتوضيحا لذلك إليك الجدول التفصيلي التالي:

---

<sup>(1)</sup> - أتبه إلى العلاقة الجيدة التي جمعت ابن بشكوال بمعاصره السبتي القاضي عياض، هذا الأخير كان يكتب ابن بشكوال بما عثر عليه من أسماء الرجال والرواة غربا وشرقا، وقد حصلت لابن بشكوال فائدة كبيرة من تلك المكاتبات. أنظر: المصدر نفسه، 1/ 249. أما أبو عبد الله محمد بن القاضي عياض (ت 575 هـ / 1179 م) فهو معدود ضمن تلامذة ابن بشكوال ممن قرؤوا عليه كتاب "الصلة" بالأندلس. حوله أنظر: صلة ابن الزبير المطبوعة بآخر الذيل والتكملة، 8 / 503. ابن الخطيب السلماي، الإحاطة، 230/2.

<sup>(2)</sup> - من الطرر التي اطلع عليها ابن عبد الملك المراكشي، واستفاد منها في بعض تراجمه، تلك المقيدة على الحاشية اليمنى في إحدى النسخ العتيقة، بمحاذاة كلام ابن بشكوال عن المصحف العثماني الموجود بالأندلس. حولها أنظر: ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 1 / 158-159.

الجزء / الصفحة من الدليل	نص الإجازة المثبت على النسخة	تاريخ المناولة	التلميذ مالك النسخة
183 - 182 / 4	"سألني صاحبنا الفقيه الزكي المحدث الكامل أبو محمد عبد الله بن إسماعيل ابن فرج تولى الله تعالى كرامته وضاعف جلالته مناولة كتاب الصلة فأجبتة إلى ما سألت على وجه الطاعة له بعد أن أشفقت مما رسم أن يتعاطى مثلي مع مثله منزلة الأشياخ لكن بعض الشيوخ كان يقول موافقة الإخوان خير من الإبقاء على النفس فأحضرت الكتاب المذكور وناولته إياه امتثالاً لأمره والله يصون قدره ويكمل ذكره".	صفر 534 هـ / سبتمبر - أكتوبر 1139 م	ناسخ المخطوطة أبو محمد بن العطار السرقسطي
.213 - 212 / 5	"قرأ الإمام الفاضل أبو الحسن علي بن خلف بن غالب سيدنا أحسن الله ذكراه جميع هذا السفر بحضرتي وصحح جميعه وسألني أن أقيد ذلك بخطي فأجبتة إلى ذلك على سبيل الطاعة لأمره"	جمادى الأولى 535 هـ / ديسمبر - جانفي 1140 م	أبو الحسن بن غالب الشلي (ت 563 هـ / 1162 م)
.213 / 6	"وكتب بخطه (أي ابن بشكوال) على سبيل الطاعة له والله يصون قدره ويكمل ذكره وتاريخه،،،"	غير وارد	أبو عبد الله محمد بن سعيد الغساني القرطبي

على أهمية هذه المعلومات التي قدمها ابن عبد الملك المراكشي، حول نسخ "الصلة" التي استفاد منها في تحرير الكثير من تراجم ذيله، إلا أنه لا يمكنني بأي حال من الأحوال التكهن بمكان وجودها، خصوصاً وأنه دخل الكثير من حواضر المغرب المربني، بداية من مدينته مراكش، وأغمات، وفاس، وآسفي، وسبتة، وصولاً إلى الحاضرة تلمسان، هذا ناهيك عن الجزيرة الخضراء بالبلاد الأندلسية.

ومع خيبة الأمل الكبيرة، في صعوبة معرفة مصير هذا التراث التاريخي المخطوط، الذي كان متداولاً بشكل واسع في وسط المهتمين بالخبر التاريخي<sup>(1)</sup>، إلا أنه بالتأكيد يشير إلى ارتفاع عدد نسخ "الصلة" واستدراكها في بلاد المغرب في نهاية المرحلة الوسيطة، خصوصاً إذا قورن بالعدد القليل الذي وصلنا منه اليوم، وهنا أنوه بثلاث نسخ أندلسية نفيسة تعود إلى

(1) - كذلك يمكنني أن أشير هنا إلى نسخة "الصلة" العتيقة التي عاينها ابن الزبير الغرناطي، وإن لم يكشف عن هوية المكان الذي كانت فيه هذه النسخة، إلا أنها تعود إلى منتسخات منتصف القرن 6 هـ / 12 م، وقع الفراغ منها سنة 551 هـ / 1156 م، عليها خط عزيزة بنت محمد بن بن نميل، التي خصص لها ترجمة في صلته المطبوعة بآخِر الدليل والتكملة، 566 / 8

منتسخت القرنين 6-7 هـ / 12-13 م، إحداهما نسخت خلال سنة 560 هـ / 1164 م، بمدينة قرطبة، وهي إحدى الأصول التي كانت في حيازة ابن دحية الكلبي (ت 633 هـ / 1235 م)<sup>(1)</sup>، تلميذ ابن بشكوال، عليها سماعات مؤرخة بين سنتي 534 هـ / 1139 م، وسنة 576 هـ / 1180 م، وتملكات متعددة<sup>(2)</sup>، نسخة ثانية عتيقة يعود تاريخ نسخها إلى سنة 609 هـ / 1212 م، منقولة ومقابلة بأصل المؤلف، المكتوب بخطه، وقع الفراغ منه سنة 534 هـ / 1139 م<sup>(3)</sup>، أما النسخة الثالثة فيعود تاريخ نسخها إلى القرن 7 هـ / 13 م، وهي نسخة مقابلة بالأصل المنتسخ منه<sup>(4)</sup>، ومع ذلك يبقى الأمل معقود في العثور على مزيد من نسخ "الصلة"، منها تلك التي كانت متداولة في مجالس الإقراء، وتردد ذكرها في كثير من الأعمال الفهرسية المغربية المتأخرة، ناهيك عن تلك التي كانت ضمن قائمة النسخ المعول عليها في كتب التراجم والطبقات، المنجزة خلال القرنين 8-10 هـ / 14-16 م.

## 2. نسخ "تكملة" ابن الأبار، ومستوى تداولها في بلاد المغرب:

تاريخيا، كان لتداعي الحواضر الأندلسية أمام الهجمات النصرانية بعد هزيمة العقاب 609 هـ / 1212 م، عاملا حاسما في ازدياد نشاط التأليف التاريخي المتعلق بتراجم رواة العلم الأندلسيين، والذي كان يهدف إلى إعادة إحياء التاريخ الحافل للحواضر الأندلسية المسلوقة،

(1) - صرح ابن دحية الكلبي بجماله لنسخة "الصلة"، وتقع هذه النسخة في مجلدين بحق سماعة من مؤلفها ابن بشكوال. حولها أنظر: ابن دحية الكلبي: نهاية السؤل في خصائص الرسول محمد بن عبد الله، تحقيق عبد الله عبد القادر الشيخ محمد نور تافادي، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، 1995، ص 455.

(2) - من ذخائر مكتبة فيض الله تحت رقم (1471). بمدينة اسطنبول بتركيا. وقد قام أنس وكاك بدراسة هذه المخطوطة وتحليل مختلف الطرر والسماعات والتملكات الموجودة بها، كما توصل إلى نتائج مهمة في بحثه الموسوم بـ "التعريف بنسخة خطية عريقة من كتاب الصلة لابن بشكوال ودراسة ما عليها من طرر وسماعات"، مجلة مرآة التراث، 1، (2001)، ص 79-103.

(3) - من نفائس مكتبة دير الأسكوريال، وتوجد تحت رقم (1677 = 1672 كسيري). حولها أنظر:

Derembourg H. et E.Lévi-Provençal, *op. cit.* 3/ 203.

(4) - من نفائس مخطوطات المكتبة الوطنية بتونس توجد تحت رقم (16101)، ومن مصورات جامعة الدول العربية، وعلى حسب الدراسة التي قام محقق الكتاب بشار عواد معروف في مقدمة تحقيقه لكتاب "الصلة"، أن هذه النسخة النفيسة التي لا نعرف ناسخها أو تاريخ نسخها، إلا أن عليها سماع مشرق مؤرخ في رمضان 732 هـ / ماي- جوان 1332 م، وقد عني بها علماء مشاركة، منهم شمس الدين الذهبي، الأمر الذي يشير إلى انتقال هذه النسخة وتداولها في بلاد المشرق، وعودتها مرة ثانية إلى بلاد المغرب في ظروف تاريخية مجهولة بالنسبة إلينا.



وحفظ الذاكرة التاريخية لسيرة شيوخها البارزين، وفي هذا السياق المضطرب جاء كتاب "التكملة" لابن الأبار، كأحد أبرز تلك النماذج التراجمية المتميزة، وقد شرع المصنف في تحرير تراجمه بمدينته بلنسية في أول شهر محرم 631 هـ/ 6 أكتوبر 1233 م<sup>(1)</sup>، كان ذلك بإيعاز من شيخه الملازم له، أبي الربيع بن سالم الكلاعي (ت 634 هـ/ 1236 م)<sup>(2)</sup>، وخلال السنوات الخمس اللاحقة، التي كان فيها ابن الأبار متواجدا بالعدوة الأندلسية، تمكن من إنجاز جزء مهم من كتابه التاريخي، وكان لصديقه الشيخ أبي بكر محمد بن غلبون الأنصاري المرسي (ت 650 هـ/ 1252 م)، فرصة الإطلاع على أولى نسخ "التكملة" بمدينة مرسية، من يد مصنفها ابن الأبار خلال سنة 636 هـ/ 1238 م<sup>(3)</sup>، وبعدها بزمن قليل في أشهر تلك السنة، انتقل المصنف لاجئا إلى العدوة المغربية بعد سقوط مدينة بلنسية.

استقر ابن الأبار بشكل نهائي في الحاضرة الحفصية تونس، كما تردد كثيرا على مدينة بجاية، وبالتأكيد حمل معه نسخته الشخصية، التي هي في أصلها مسودة من كتابه التاريخي إلى مناطق اللجوء الحفصي، وبصرف النظر عن حيثيات دخوله بلاد المغرب، وانخراطه في سلك الكتاب، وطبيعة العلاقة التي جمعه بأصحاب البلاط الحفصي، التي شأها الكثير من التوتر في السنوات الأخيرة من حياته، وتدايعات ذلك في إرباك وجوده بالحاضرة الحفصية، فما يعين في الوقت الحالي هو استئناف ابن الأبار الاشتغال على مشروعه التاريخي، وإصدار نسخته الأولى في تلك المرحلة الحساسة.

(1) - صرح ابن الأبار، التكملة، 6/ 1. بتاريخ شروعه في تحرير تكملته في ديباجة الكتاب.

(2) - تلقى ابن الأبار دعما قويا من شيخه الكلاعي بعد اطلاعه على مشروعه التاريخي، وهو ما يفهم من تصريحه "ولما تعرف على هذا التأليف حضني عليه وندبني إليه ... وكنت قد أفهمته في أول اشتغالي به عجزني عنه وسألته إعفائي منه ورغبت إليه في أن يتولاه ليكسوه رائق حلاه فأبى من إعفائي وأنكر أن لا أتحملي به دون أكفائي فعندها شرعت فيه ولم تمض إلا مدة يسيرة حتى أطلعت منه على حروف وأبواب فأطال العجب من احتشادي فيها وانتهائي بمعونة الله من ذلك إلى تعجيز من رame قبلي وهو كان السبب في جمعه والداعي إلى تصنيفه والمنهض إليه..."، ولتحقيق ذلك مكّنه شيخه الكلاعي من خزانة كتبه، التي حوت على أمهات الدواوين والأصول العتيقة التي تقيدت فيها أسمعة الأئمة الأعلام، وكتب الفهارس والبرامج، كما صرح ابن الأبار بصيرورة معظم تراث شيخه المكتبي بعد وفاته إليه. لمزيد من التفصيل أنظر: المصدر نفسه، 4/ 102-103.

(3) - أنظر: المصدر نفسه، 2/ 153.

من أجل التوصل إلى نتائج مهمة وحاسمة، تتعلق بإشكالية هوية نسخ "التكملة" المتداولة في بعض الحواضر المغربية في نهاية المرحلة الوسيطة، انطلاقاً من أولى نسخه الصادرة في حياة المصنف ابن الأبار، أجدني مضطراً إلى تتبع مراحل تطور نص "التكملة"، الذي يعتبر أحد أهم النصوص التاريخية الأندلسية التي تطورت في العدة المغربية منتصف القرن 7 هـ/ 13 م، فقد مرّ هذا النص في تكوينه بمرحلتين أساسيتين، الأولى: وهي مرحلة بلورة المشروع التاريخي لابن الأبار في العدة الأندلسية، وتجسيده في نسخته الأولى الصادرة سنة 636 هـ/ 1238 م، التي أشرت إليها آنفاً، أما المرحلة الثانية، فهي المرحلة المغربية، وقد بلغ فيها نص "التكملة" مرحلة متقدمة من النضج والاكتمال، والمؤكد أنها كانت الفترة الأطول والأكثر عمقا، من حيث حجم ومحتوى تراجم الكتاب، خصوصا وأن المصنف قد اشتغل عليه ما يقرب التسعة عشرة عاما، كان ذلك بعيد وصوله إلى تونس سنة 636 هـ/ 1238 م، إلى سنة 655 هـ/ 1257 م، حيث كانت آخر الإضافات التي أجراها على بعض تراجمه، أين كان مقيما بشكل مؤقت بمدينة بجاية<sup>(1)</sup>.

بلا شك انتفع ابن الأبار كثيرا في أثناء تردده على حاضرتي تونس وبجاية، وقد بات في مقدوره الإطلاع على مجموعة من الكتب التي استعان بها في تحرير تراجم تكملته، منها تلك التي اطلع عليها بالحاضرة التونسية، وصرح بمعانيته لنسخ منها، على غرار برنامج شيخه أبي عبد الله التحيبي، نزيل تلمسان (ت 610 هـ/ 1213 م)<sup>(2)</sup>، وبرنامج أبي عبد الله الطراز (ت 645 هـ/ 1247 م)<sup>(3)</sup>، ونسخة "الصلة" لابن بشكوال المزيدة، التي أشرت إليها في وقت سابق، ومن المحتمل كذلك أن تكون إحدى نسخ الكتاب التاريخي الضائع، الذي أنجزه حماد بن إبراهيم بن أبي يوسف المخزومي، لصالح الأمير الحمّادي العزيز بالله بن المنصور بن الناصر بن علّناس (498-515 هـ/ 1104-1121 م)، من النسخ التي اطلع عليها ابن الأبار في أثناء

<sup>(1)</sup> - نعرف ذلك من خلال إدراجه وفيات معاصريه من الأعلام سنة 655 هـ/ 1257 م، منها ترجمة شيخه ابن محرز البلنسي، مستوطن مدينة بجاية. حوله أنظر: المصدر نفسه، 2/ 153-154.

<sup>(2)</sup> - ذكر ابن الأبار تاريخ حيازته لنسخة من برنامج شيخه التحيبي (ت 610 هـ/ 1213 م)، بمدينة تونس سنة 640 هـ/ 1242 م، هذه النسخة التونسية النفيسة، تستمد نفاستها في كونها منسوخة بخط جامعها التحيبي. حولها أنظر: المصدر نفسه، 2/ 102.

<sup>(3)</sup> - أنظر: المصدر نفسه، 2/ 150.

إقامته بمدينة بجاية<sup>(1)</sup>.

خلال السنوات العشرة الأولى، التي قضاها ابن الأبار مستقرا بتونس الحفصية، بلغ نص "التكملة" مرحلة متقدمة من التطور، وأصبح في الوسع الحديث عن نسخة أولى جاهزة للصدور، على الأقل خلال سنة 646 هـ / 1248 م، هذا ما يفهم من تصريحه في ديباجة الكتاب<sup>(2)</sup>، الذي أشار فيه إلى ذلك التاريخ بالقول "وفي وقتنا هذا وهو آخر سنة ست وأربعين..."، وعلى ما يبدو أن إحدى نسخ "التكملة"، التي صدرت خلال هذه المرحلة المبكرة، قد وصلت إلى البلاد الشرقية، أين نجد خبرا عنها ينقله إلينا المصري شمس الدين الذهبي (ت 748 هـ / 1347 م)، حيث صرح باعتماده في وضع مختصره على "التكملة"<sup>(3)</sup>، على نسخة من الكتاب تقع في ثلاثة أسفار<sup>(4)</sup>، والملفت للانتباه في هذا الاتجاه، أن عدد تجزئة هذه النسخة النفيسة التي اطلع عليها الذهبي، في النصف الأول من القرن 8 هـ / 14 م<sup>(5)</sup>، تتطابق مع عدد تجزئة نسخة "التكملة" المحفوظ بها في المكتبة الأزهرية بالقاهرة<sup>(6)</sup>، الأمر الذي قد يرفع من احتمالية أن تكون هذه النسخة التي وصلنا منها الجزء الثالث فقط، هي إحدى النسخ التي تمثل النشريات الأولى لكتاب "التكملة" الصادرة قبل سنة 655 هـ / 1257 م، وقد شقت طريقها إلى البلاد الشرقية في مرحلة مبكرة، إلا أن ضياع المجلد الأول منها، والذي من الممكن

(1) - استفاد منه ابن الأبار في الترجمة التي خصصها للمؤرخ أبي العرب التميمي القيرواني (ت 333 هـ / 944 م). حوله أنظر: المصدر نفسه، 1/ 111.

(2) - أنظر: المصدر نفسه، المصدر نفسه، 6/ 1.

(3) - المستملح من كتاب التكملة، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2009 م. عن نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية المنوه بها أعلاه.

(4) - أنظر: شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف، ومحي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، 23/ 337.

(5) - ذهب محقق "المستملح من كتاب التكملة" بشار عواد معروف في مقدمة تحقيقه للكتاب، ص 35-37، إلى أن نسخة "التكملة" التي كانت في حيازة الذهبي هي إحدى النسخ التي صدرت في وقت مبكر من حياة المصنف، وقبل إجراءات لتعديلاته الأخيرة سنة 655 هـ / 1257 م، بناء على المقارنة التي عقدها بين نسخة "التكملة" المنشورة اليوم التي تحمل آخر التعديلات التي أدخلها ابن الأبار، ومحتوى نسخة "مختصر التكملة" للذهبي الذي توجد منه نسخة نفيسة بخط الذهبي بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم (1735)، ولاحظ حجم الفروق الموجودة بين النصين.

(6) - نسخة نفيسة تقع في ثلاث مجلدات، يوجد منها فقط المجلد الثالث، عارية من تاريخ واسم الناسخ، وبالإمكان الإطلاع على هذا المجلد المتبقي، في الشبكة العنكبوتية على موقع الألوكة.

أن تحمل ورقاته الأولى بعض المعطيات الكوديكولوجية (نصوص الإجازة- السماعيات- المعارضة- التملكات) قد أضع على المهتمين بتاريخ نص "التكملة"، فرصة معرفة هوية هذه النسخة، وملايسات وصولها إلى البلاد المشرقية<sup>(1)</sup>، ناهيك عن معرفة هوية باقي نسخها المتداولة بين أعلام المشرق خلال القرن 8 هـ/ 14 م، منها النسخة التي اعتمدها ابن فرحون المالكي (ت 799 هـ/ 1396 م)<sup>(2)</sup>.

بتركيزي أكثر على السنوات الثلاث الأخيرة من حياة صاحب "التكملة"، وقد قضى معظمها في مدينة بجاية، أين تأكد وجوده بها على الأقل خلال سنة 654 هـ/ 1256 م<sup>(3)</sup>، وسنة 655 هـ/ 1257 م، وسنة 657 هـ/ 1258 م<sup>(4)</sup>، واستنادا إلى شهادة "كبير بجاية وصاحب شوارها"، القاضي أبي العباس الغبريني، الذي أدرجه ضمن لائحة الوافدين على المدينة

<sup>(1)</sup> - يجدر بي هنا أن أشير إلى وصول بعض أعمال ابن الأبار، إلى بلاد المشرق في وقت مبكر وهو على قيد الحياة، منها رسالته الشعرية المعنونة بـ "مظاهرة المسعى الجميل ومحاضرة المرعى الويل في معارضة ملقى السبيل للمعري"، التي يبدو أن نسخة منها كانت بالقاهرة سنة 651 هـ/ 1253 م، وقرأت في مجلس الشيخ أبي عبد الله محمد العبدري الفاسي (ت 737 هـ/ 1336 م) بالمدرسة الصالحية، الأمر الذي يؤكد نص القراءة المكتوب بخط الشيخ العبدري الفاسي، في نهاية نسخته المحفوظة بالمكتبة الأحمدية بتونس، تحت رقم (4799)، وقد كتب ما يلي "قرأت جميع هذا الجزء المشتمل على مظاهرة المسعى الجميل ومحاضرة المرعى الويل في معارضة ملقى السبيل لأبي العلاء المعري والقصائد المتصلة بآخره والمقطعات كله إنشاء الشيخ الأجل الفاضل العالم الكاتب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله القضاعي البلنسي حرس الله مدته، على الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عيسى العبدري وفقه الله، بحق سماعه لذلك كله من مؤلفه المذكور، وعارض بأصله وصح وثبت في مجلسين بالقاهرة المحروسة، بالمدرسة المستجدة الصالحية قدس الله روح منشئها. آخر المجلسين المذكورين السابع والعشرون من شهر ربيع الأول من سنة إحدى وخمسين وستمائة. وكتبه فقير رحمة ربه، أبو بكر بن عمر بن عبد الله بن صالح القرشي". وقد نشرت هذه الرسالة اعتمادا على هذه النسخة النفيسة، بتحقيق صلاح الدين المنجد، ضمن كتاب "رسائل ونصوص"، ط 2، دار الجديد، بيروت، 1980 م.

<sup>(2)</sup> - استفاد منه ابن فرحون في الترجمة لابن بشكوال، وقد ختم ترجمته بالقول "انتهى كلام ابن الأبار في كتاب التكملة له"، كما أورده ضمن قائمة مصادره التي عول عليها في تحرير تراجم ديباجه. أنظر: ابن فرحون، مصدر سابق، 1/ 311. 301/2.

<sup>(3)</sup> - في هذا التاريخ بالتحديد، وفي شهر محرم اتصل به تلميذه الشيخ أبو عبد الله الكناني (حيا سنة 699 هـ/ 1299 م) بمدينة بجاية، وقرأ عليه كتابه "درر السمط في خبر السبط"، كما قرأ عليه كتاب "الضعفاء والمتروكين" للبخاري (ت 256 هـ/ 869 م). أنظر: التجيبي، مصدر سابق، ص ص 259، 260، 261.

<sup>(4)</sup> - تم تحديد هذه السنة، استنادا إلى تاريخ الرسالة التي بعثها إليه صديقه أبي المطرف بن عميرة، عندما كان ابن الأبار متواجدا في بجاية. حولها أنظر: الغبريني، مصدر سابق، ص 252.

في عنوانه، فقد تحدث عن تفرغ ابن الأبار في تلك المدة للتأليف والتدريس<sup>(1)</sup>، وفي الوقت الحالي يمكنني اعتبار سنة 655 هـ / 1257 م، التي كان فيها ابن الأبار بمدينة بجاية، تاريخاً مهماً لاثنتين من أهم أعمال الإخبارية، أحدها "معجم أصحاب القاضي أبي علي بن سكرة الصدي"، فبالاستناد إلى نص السماع المقيد على الورقة الأولى من نسخة المعجم التي وصلتنا اليوم من نفائس مكتبة دير الاسكوريال<sup>(2)</sup>، فقد جاء فيها التصريح بسماع تلميذه التاريخي ابن رزين التجيبي للمعجم بالمدينة سنة 655 هـ / 1257 م، بقراءة تلميذه الملازم له، أبي عبد الله بن الجلاب الاشيلي الأصل (ت 664 هـ / 1265 م)<sup>(3)</sup>، هذه النسخة التي تعود إلى منتسخات نهاية القرن 7 هـ / 13 م، قام بنسخها الرحالة ابن رشيد السبتي (ت 721 هـ / 1321 م)، وقد قيد عليها نص قراءته للكتاب على شيخه ابن رزين التجيبي بمدينة تونس سنة 685 هـ / 1286 م<sup>(4)</sup>، وتفيد الفقرة الأخيرة المقيدة في نهايتها<sup>(5)</sup>، أن ابن الأبار قام بإرسال نسخة من معجمه إلى صديقه أمير "نغر" منرقة<sup>(6)</sup>، الشيخ أبي عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن حكم القرشي (ت 680 هـ / 1281 م)<sup>(7)</sup>.

(1) - المصدر نفسه، ص 259.

(2) - توجد تحت رقم (1730 = كسيري 1725)، وهي النسخة التي اعتمدها المستشرق الاسباني فرنسيسكو كوديرا في تحقيق المعجم، ونشر ضمن سلسلة المكتبة العربية الاسبانية في المجلد الرابع، في مدريد، سنة 1884 م، ثم أعيد طبع الكتاب بتحقيق إبراهيم الأبياري في دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989 م، ثم أعيد تحقيقه من طرف بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011 م.

(3) - أشتهر ابن الجلاب بعنايته "برواية الحديث ومعرفة رجاله ومعرفة بالتاريخ وحفظ صالح بالأدب وقرض الشعر وإنشاء النثر ومشاركة في النحو...". أنظر ترجمته: ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 6/ 52-54.

(4) - حول صيغة نص القراءة المقيد على الورقة الأولى من نسخة "المعجم" المحفوظة بدير الأسكوريال. أنظر: ملحق رقم (11).

(5) - جاء محتوى هذه الفقرة مقيداً على النحو التالي "يقول عبد الله بن حكم بن سعيد بن حكم بن عمر بن حكم القرشي وفقه الله: كتب سيدي ومولاي أبي رضي الله عنه إلى الفقيه الكاتب، أبي عبد الله القضاعي رحمه الله، مؤلف هذا المعجم لما بعث به إليه أبياتا من نظمه...". وقد قام محقق المعجم إبراهيم الأبياري بإدراج هذه الفقرة في نهاية تحقيقه للكتاب، اعتماداً على ما ورد في نهاية نسخة الأسكوريال، والمنوه بها أعلاه.

(6) - (Menorca) ثاني جزر شرق الأندلس، التي يطلق عليها جزر البليار (ميورقة، ومنرقة، وبابسة)، وتقابل جزيرة "منرقة"، مدينة "برشلونة" الاسبانية. حولها أنظر: الحميري، مصدر سابق، ص 549، 568.

(7) - أفرد له الغبريني ترجمة في عنوان الدراية، ص 254-255. باعتباره أحد الأعلام الوافدين على مدينة بجاية.

إن حديثي عن نسخة "المعجم" العتيقة المقروءة على المؤلف بمدينة بجاية، وإرسال نسخة منها إلى "نغر" منرقة، ما هو إلا تمهيد للعمل الإخباري الثاني لابن الأبار، والمخصوص بالدراسة في هذه المرحلة، وهو "التكملة" حيث أطلقت نسخته النهائية بتاريخ 655 هـ / 1257 م، وهي "مبيضة المؤلف"، التي تتقاطع في بداية مسارها التاريخي مع نسخة "المعجم" المنوه بها أعلاه، الأمر الذي تكشف عنه الفقرات التي وصلتنا مقيدة على إحدى أقدم نسخ "التكملة"، الموجودة بيننا اليوم، من نفائس مخطوطات الخزانة الحسينية بالرباط<sup>(1)</sup>، منسوخة بخط التلميذ ابن الجلاب ومعارضة بأصل المصنف، ويعود تاريخ معارضتها إلى سنتي 661 - 662 هـ / 1263 - 1264 م بـ "نغر" منرقة.

النقطة الجوهرية التي تظهر هنا كمعطى تاريخي كوديكولوجي مهم هنا، أن هذه النسخة النفيسة تؤكد على وجود مبيضة المؤلف بـ "نغر" منرقة، إحدى جزر شرق الأندلس "جزر البليار"، بعد وفاة ابن الأبار بثلاث سنوات فقط، الأمر الذي يجعل من كتاب "التكملة" على لائحة كتب ابن الأبار التي نجت من عملية الحرق المقصودة، التي طالت دواوينه النفيسة عقب مقتله سنة 658 هـ / 1259 م، والسؤال الذي يرد في هذا الخصوص، كما يصعب الإجابة عليه في نفس الوقت، ما هي ملابسات انتقال هذه المبيضة إلى "نغر" منرقة؟ وهل لوجودها في البلاط الأميري لـ "نغر" منرقة، كان في سياق المهداة التي كانت تتم بين المصنف ابن الأبار إلى صديقه الأمير أبي عثمان، كما فعل بمعجمه؟ أم أن هذه المبيضة كانت ضمن مقتنيات تلميذه ابن الجلاب، الذي انتقل إلى "النغر" بين سنوات 655 - 661 هـ / 1257 - 1263 م؟

نسخة ابن الجلاب النفيسة، وإن كنا لا نعرف تاريخ نسخها بالضبط، غير أن عبارة "حفظه الله"، التي أعقبت ذكر اسم المصنف، المنصوص عليه في ورقة العنوان<sup>(2)</sup>، تدل على أنها كتبت في حياة المصنف ابن الأبار، ما يعني أن تاريخ نسخها يعود إلى سنوات 655 - 658 هـ / 1257 - 1259 م، كما كشف نص المعارضة المدون أسفل العنوان مباشرة<sup>(3)</sup>، أنها منبثقة

(1) - توجد تحت رقم (1411).

(2) - كتب العنوان في الورقة الأولى من نسخة الخزانة الحسينية، على النحو التالي "كتاب التكملة لكتاب الصلة تأليف الفقيه الكاتب الحدث الضابط أبي عبد الله محمد بن أبي محمد عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار حفظه الله".

(3) - كتبت هذه الفقرة بخط الشيخ البري التلمساني، ولمعرفة محتوى نص هذه المعارضة. أنظر: ملحق رقم (12).

عن مبيضة المصنف ومعارضة به، وقد تولى معارضتها بـ "ثغر" منرقه، تلميذ ثان لابن الأبار، وهو الشيخ البري التلمساني (ت 681 هـ / 1282 م) <sup>(1)</sup>، الذي كانت تجمعه كذلك علاقة جيدة بأمر الثغر <sup>(2)</sup>، وبمساعدة من ناسخها ابن الجلاب، كانت تاريخ معارضة هذه النسخة في يوم الجمعة 10 جمادى الآخرة سنة 661 هـ / 20 أبريل 1263 م، كما استمرت عملية المعارضة في مجلس الشيخ، أمير "الثغر" أبي عثمان سعيد بن الحكم <sup>(3)</sup>، وتحديدًا في قصبته، وكتبت برسمه واعتني بها حتى بلغت أعلى مستويات الضبط والدقة، الأمر الذي يؤكد مضمون التوقيع الذي كتبه الأمير المذكور بخطه في نهاية هذه النسخة الأميرية، في 15 جمادى الأولى سنة 662 هـ / 14 مارس 1264 م، وجاء مضمون التوقيع على النحو التالي:

" وتصفح هذه النسخة، وبلغ في تتبعها، وتقصيها الغاية، وكل ما استريب به منها نظر في المبيضة وأصلح، فهي الآن والحمد لله في غاية الصحة نفع الله بها، بمنه، قاله وكتبه عبد الله: سعيد بن حكم بن عمر بن حكم القرشي في الخامس عشر لجمادى الأولى سنة

(1) - تحدث ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 8 / 280. إلى أن اتصال البري بشيخه ابن الأبار، كان بالبلاد الأندلسية، كما تطرق إلى حيثيات وقوع البري التلمساني أسيراً بيد النصارى، وقد افتكه من الأسر شيخه أمير "الثغر" الشيخ أبي عثمان سعيد بن الحكم سنة 644 هـ / 1246 م، واستناداً إلى رواية ابن الخطيب السلماني، أن الشيخ البري التلمساني، قد تولى خطة الكتابة عند هذا الأمير. حوله أنظر: إعلام الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام ( قسم الأندلس)، تحقيق ليفي - بروفنصال، دار المكشوف، بيروت، 1956، ص 675-676.

(2) - يحسن بي هنا أن أشير إلى قيام البري التلمساني، بإهداء نسخة بخطه من كتابه "الجوهرة في نسب النبي" إلى ولي نعمته الأمير أبي عثمان سعيد بن الحكم، بعد افتكاكه من الأسر، وقد صرح بذلك في ديباجة كتابه "الجوهرة"، كما نص عليها في خاتمة نسخته، وجاء ما يلي " كتبه بخط يده مؤلفه العبد الفقير إلى رحمة الله المستغفر من ذنبه محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني الشهير بالبري التلمساني... وكان فراغه من كتابته في صدر يوم السبت الثامن لذي حجة من سنة 645 هـ بثغر منرقه أمنه الله... برسم خزانة الرئيس السيد الأكرم الهمام الأجد الثقاب الأعظم أبي عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن حكم القرشي أعلى الله يده ومقامه وأدام السعيدة أيامه بمنه وكرمه"، وهي النسخة المعتمدة من قبل محمد التنوخي. حولها أنظر: البري التلمساني: الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، تحقيق محمد التنوخي، دار الرفاعي، الرياض، 1983، 2 / 359.

(3) - ذكر ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 4 / 31. في الترجمة التي خصصها له، أنه كان حسن الخط ويكتب بخطوطه المختلفة، كما عرف عنه شغفه الشديد "بجمع دفاتر العلم وأعلاق الكتب حتى جمع منها ما لا نظير له كثرة وجودة، إذ كان مقصوداً بها من المسلمين والنصارى، فكان يتخدم بها إليه من النصارى، كما يتقرب بها إليه من المسلمين".

اثنتين وستين وست مئة بقصبة ثغر منرقة".

تقرر لديّ آنفا، أن تاريخ صدور هذه النسخة النفيسة، في شكلها النهائي المعارض كان منتصف شهر جمادى الأولى 662 هـ / 1264 م، وكما كان متوقعا فان هذه النسخة، كانت ضمن الرصيد المكتبي الذي تحتفظ به الأسرة الحكمية، حيث يظهر على الورقة الأولى منها، ثلاث تملكات<sup>(1)</sup>، اثنين منها باسم الأميرين، أبي عثمان سعيد بن الحكم المالك الأول للنسخة، والتملك الثاني باسم ابنه الذي تولى عرش إمارة "الثغر" من بعده، الأمير أبو عمرو حكم بن سعيد (680-685 هـ / 1281-1286 م)<sup>(2)</sup>، أما التملك الثالث، فمع الأسف لا يقرأ منه سوى الاسم الأول وهو "حسن"، الأمر الذي فوت على المهتمين بدراسة هذه المخطوطة، فرصة معرفة هوية الشخص الثالث الذي آلت إليه نسخة ابن الجلاب النفيسة، وهل خرجت من حيازة مالكيها الأصليين أمراء "الثغر"؟

هذا السؤال المنطقي والمهم في نفس الوقت، يأتي في ظل معرفتنا المسبقة بالظروف المضطربة، التي عصفت بالجزر الشرقية الأندلسية "جزر البليار"، بما فيها جزيرة منرقة، البنت الكبرى لجزيرة ميورقة، وقد تعرض خلالها أفراد هذه الأسرة الأميرية حاكمة "الثغر"، وسكانها من المسلمين، إلى عملية إجلاء تعسفية، على يد النصارى المتغلبين على الجزيرة سنة 685 هـ / 1286 م<sup>(3)</sup>، فهل كانت هذه النسخة ضمن مجموعة النسخ النفيسة، التي حملها معه مالكها الثاني أمير "الثغر" أبو عمرو عثمان، حيث توجه إلى أقصى الضفة الجنوبية لمضيق الزقاق<sup>(4)</sup>

(1) - وردت كالآتي: "... سعيد بن سيد الناس الربيعي ثم اليعمري هداه الله بالهدى ووقفه للفقير... ثم لابنه حكم بن سعيد أسعده الله وحكم له برضاه... الله في يد عبده الفقير الحقير الحسن بن... كان الله له بمنه و... غربته بمجاه...". حولها أنظر: محمد المنوي: ورفات عن حضارة المرينيين، ص 503.

(2) - جاء في الترجمة التي خصصها له ابن الخطيب السلماني، إعمال الأعلام (قسم الأندلس)، ص 276. أنه "كان أفضل من أبيه في دماثة الخلق، والعفة عن الدماء، والأبشار، والاجتناب للعظائم، مع حسن الخط، ورواية الحديث، وقرض الشعر، إلا أنه لم يستقل استقلال أبيه، ولا نهض مهضته".

(3) - حول الظروف المضطربة التي شهدتها جزر المتوسط الثلاث بما فيها جزيرة منرقة، في النصف الثاني من القرن 7 هـ / 13 م. أنظر: عصام ناجي سالم سيسالم: جزر الأندلس المنسية، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص 446-459.

(4) - تشير المصادر التاريخية للقرن 8 هـ / 14 م، أن الأمير أبا عمرو حكم بن سعيد، قد نزل أولا بمرسى مدينة المرية، ثم نزل أياما في غرناطة في ضيافة أميرها، وبعدها توجه إلى سبتة، حيث أعاد دفن رفاة والده، الشيخ أبي عثمان سعيد بن حكم، ثم استأنف وأسرته رحلتهم بحرا متوجهين إلى مدينة تونس، إلا أن غرق مركبهم قبالة سواحل جزائر بني مزغنة سنة



حاملًا معه رفاة والده، أين أعاد دفنه بمدينة سبتة<sup>(1)</sup>؟ ما هي ملابسات وصول هذه النسخة إلى حيازة شخص ثالث يدعى "حسن"؟ وهل مدينة سبتة كانت المحطة الأولى، التي استقبلت نسخة ابن الجلاب في نهاية القرن 7 هـ/ 13 م، لتنتقل بعدها إلى الحاضرة فاس؟ ما هي ملابسات وصولها إلى فاس؟

حاليا من المجازفة بما كان، التمسك بأي من الاحتمالات المطروحة حول حيثيات وصولها إلى بلاد المغرب، وكل ما يمكنني قوله أن نسخة ابن الجلاب النفيسة، التي تعتبر من نفائس الخزانة الحسينية بالرباط، هي أكمل وأنفس النسخ التي وصلتنا اليوم من كتاب "التكملة"، بعد ضياع مبيضة المصنف في ظروف تاريخية نجعلها، ويبدو أن نسخة ابن الجلاب أصبحت أصلا معتمدا لبعض نسخ المتداولة في بلاد المغرب في نهاية العصر الوسيط، ومن النسخ النفيسة التي وصلتنا اليوم، نسخة غير مؤرخة، يوجد منها الجزء الأول فقط، من نفائس الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (358)<sup>(2)</sup>، وتظهر بعض الطرر والتصحيحات، المقيدة على حواشي هذه النسخة، أنها مقابلة بالأصل المنتسخ منه<sup>(3)</sup>، واليك بعض النماذج التي تظهر نفاسة هذه النسخة ومدى العناية في مقابلتها وتصحيحها، واليك بعض النماذج المهمة.

---

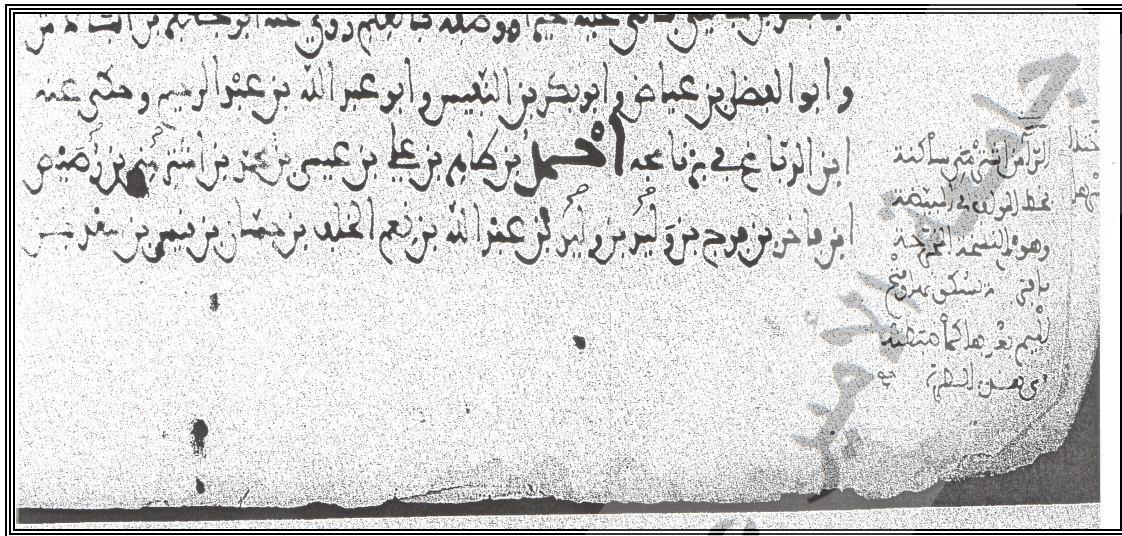
686 هـ/ 1287 م، قد حال دون ذلك. لمزيد من التفصيل. أنظر: ابن الخطيب السلماي، أعمال الأعلام (قسم الأندلس)، ص 276-277. ابن خلدون، العبر، 6/448.

(1) - من الملفت للانتباه في هذه النقطة، أن رواية أبي القاسم الأنصاري، مصدر سابق، ص 14. تؤكد على وجود قبر الأمير أبي عثمان سعيد بن حكم القرشي، بالمقبرة الكبرى الواقعة بسفح جبل الميناء الشرقي لمدينة سبتة، معتبرا إياه أحد الأعيان المشهورين المدفونين بمقابر المدينة، البالغ عددها 13 مقبرة، كانت موجودة في النصف الأول من القرن 9 هـ/ 15 م.

(2) - حولها أنظر: محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، ص 503.

(3) - من بين الطرر التي تظهر نفاسة هذه النسخة، ومقابلتها ببعض النسخ منها نسخة تونسية، تلك التي قيدت في الحاشية أمام ترجمة محمد بن عبد الله الأنصاري، ونصها كما يلي "أبو عبد الله الأنصاري القرطبي هذا رحمه الله كان وقع اسمه في نسخة كانت وجهت لنا من حضرة تونس كالأها الله لنقابل بها الأصل الذي كان عندنا إذ كانت سقيمة فألحقت أنا اسمه في الأصل الذي عندنا منه في الطرة حسبما وقع هنا ويأتي بعد هذا الخبر ورقة محمد بن عبد الله الأنصاري وبها أيضا القرطبي وما وقع في اسمه أكثره مطابق لهذا كما أنه يكنى أبا بكر فلا أدري أهو هذا أم غيره ونبهت عليه لأنظر إن شاء الله تعالى حيث يجب ولم يقع عندنا في المبيضة ولا في غيرها". وقد أشار إلى أهمية نص هذه الطرة محقق "التكملة" عبد السلام الهراس في الجزء الثاني، هامش (1)، ص 93.

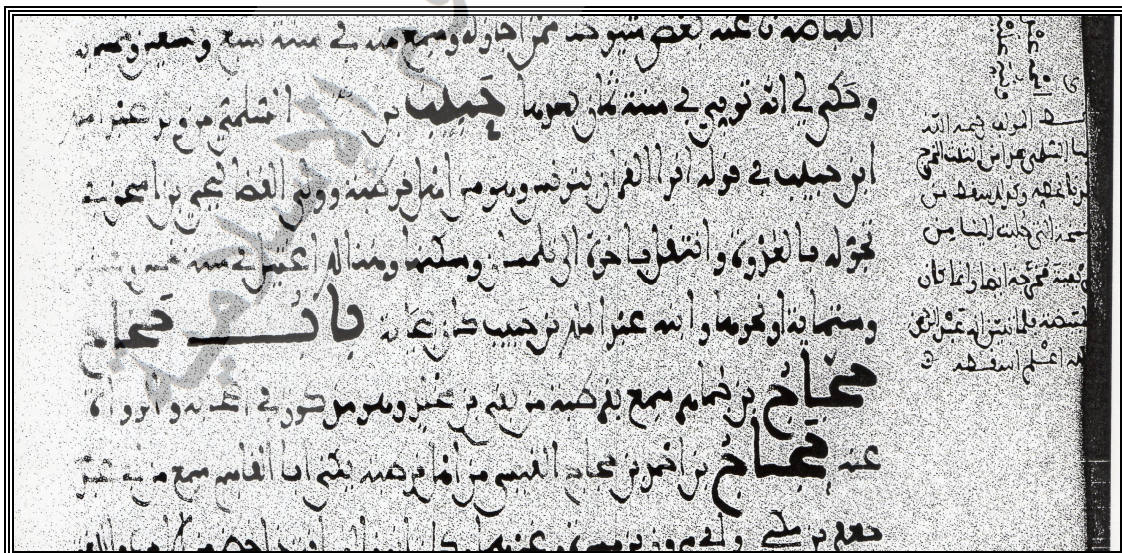
النموذج الأول:



الورقة (30) من مخطوطة "التكملة" لابن الأبار المحفوظة بالخرزانة العامة بالرباط تحت رقم (358)

توجد هذه الحاشية أمام ترجمة أبي العباس أحمد بن طاهر بن أشرميني<sup>(1)</sup>، وجاء محتواها على النحو التالي "الراء من أشرميني ساكنة بخط المؤلف في المبيضة وهو في النسخة المخرجة [كلام غير واضح] وسكوها وفتح الميم بعدها كما في مبيضته من هذه الطرة".

النموذج الثاني:



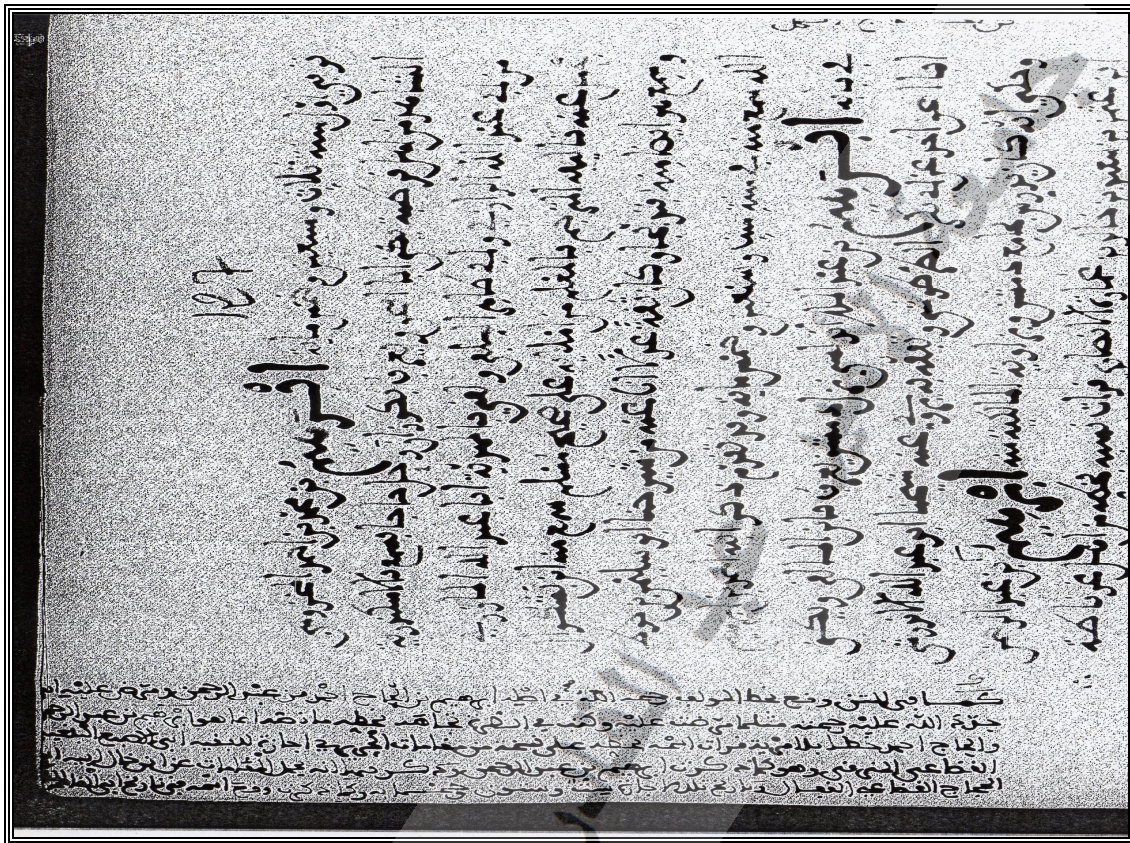
الورقة (224) من مخطوطة "التكملة" لابن الأبار المحفوظة بالخرزانة العامة بالرباط تحت رقم (358)

(1) - يقابلها في النص المطبوع من التكملة لابن الأبار، 1/ 43-44.

توجد هذه الحاشية أمام ترجمة حبيب بن (كذا) السلمي (ت 625 هـ / 1227 م)<sup>(1)</sup>، وجاء محتواها على النحو التالي: "أسقط المؤلف رحمه الله حبيبا السلمي هذا من الثلث المخرج عندنا بخطه وكذلك سقط من المشيخة التي جلبته إلينا من إفريقية فخرجه أيضا وإنما كان في مشيخته فلم نتبين أنه عبد الرحمن والله أعلم أسقطه".

(1) - يقابلها في النص المطبوع من التكملة لابن الأبار، 1/ 229-230.

النموذج الثالث:

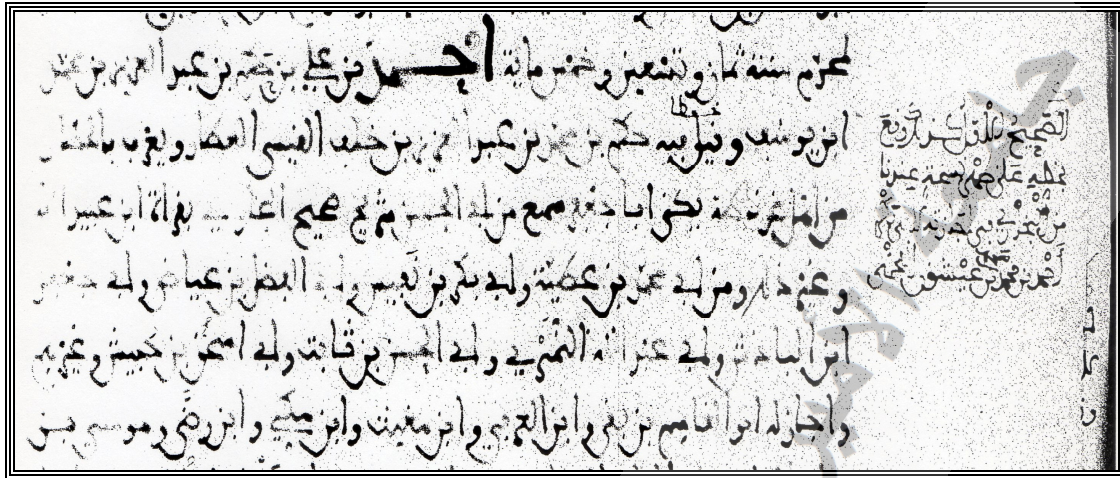


الورقة (127) من مخطوطة "التكملة" لابن الأبار المحفوظة بالخرانة العامة بالرباط تحت رقم (358)

توجد هذه الحاشية باتجاه معاكس للمتن، أمام ترجمة إبراهيم بن الحاج أحمد (ت 579 هـ/ 1183 م) <sup>(1)</sup>، وجاء محتواها على النحو التالي: "كما في المتن وقع بخط المؤلف رحمه الله في أصله إبراهيم بن الحاج أحمد بن عبد الرحمن ورضي عليه مجرد الله عليه رحمته مثلما رضيت عليه وكتب في الطرة تجاهه ما نصه إنما هو إبراهيم بن عبد الرحمن والحاج أحمد خطأ بلا مزية قرأت اسمه بخطه على نسخة من مقامات الحريري في إجازته للفقير أبي الاصمغ...".

(1) - يقابلها في النص المطبوع من التكملة لابن الأبار، 2/ 133-134.

النموذج الرابع:

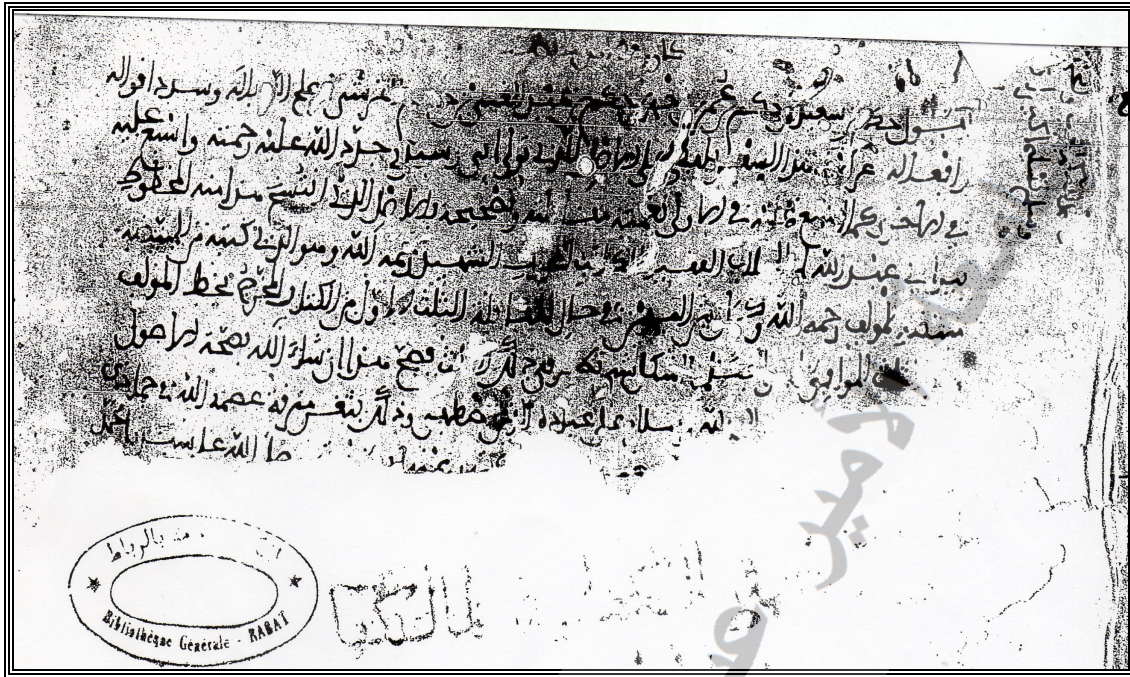


الورقة (74) من مخطوطة "التكملة" لابن الأبار المحفوظة بالخرانة العامة بالرباط تحت رقم (358)

توجد هذه الحاشية أمام ترجمة أحمد بن علي المعروف بالحصار (ت 598 هـ / 1201 م) (1)، وجاء محتواها على النحو التالي "الصحيح الأول كذلك وقع بخطه على ظهر نسخة عندنا وقد وجدت في إجازته...".

وقد جاء في نهاية هذه النسخة التنصيص على معارضتها بأصل ابن الجلاب، واليك نموذجاً مصوراً عنها.

(1) - يقابلها في نص المطبوع من التكملة لابن الأبار، 82- 83.



الورقة الأخيرة من مخطوطة "التكملة" لابن الأبار المحفوظة بالخرزانة العامة بالرباط تحت رقم (358)

كما توجد نسخة ثانية عتيقة ومقابلة، من نفائس المكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (ك) 214<sup>(1)</sup>، عليها تملك، كتب في ورقة العنوان في أسفله مباشرة، العبارة التالية "ملك ليحي بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد اللخمي العزفي نفع الله به"<sup>(2)</sup>، من المحتمل أن تكون من منتسحات نهاية القرن 7 هـ / 13 م، ومطلع القرن 8 هـ / 14 م<sup>(3)</sup>، وكما يظهر من اسم مالك هذه النسخة والمصرح به، أنه سليل أسرة العزفين التي حكمت مدينة سبتة، وانتقلت بعدها إلى حيازة مالك ثاني من مواليد مدينة فاس، الذي ذكر اسمه مقيدا على هذه النسخة<sup>(4)</sup>.  
ليس من قبيل المبالغة، القول بالانتشار الواسع الذي حققه كتاب "التكملة" لابن الأبار،

(1) - يوجد منها الجزء الأول فقط، من مقتنيات الشيخ عبد الحميد الكتاني، مكتوبة بخط أندلسي جيد. حولها أنظر: محمد المنوي، ورفات عن حضارة المرينيين، ص 504.

(2) - حول صيغة التملك المقيد على نسخة "التكملة" لابن الأبار. أنظر: ملحق رقم (13).

(3) - من أهم النسخ التي وصلتنا من تكملة ابن الأبار، والتي لا نعرف هوية وتاريخ نسخها، نسختان في مكتبة الأسكوريال تحت رقم (1675 = 1670 كسيري)، و(1678 = 1673 كسيري). حولهما أنظر:

- Derembourg H. et E.Lévi-Provençal, *op. cit.* 3/ 202 - 204.

(4) - ورد ذلك في أسفل ورقة العنوان، على النحو الآتي "عبيد الله علي بن قاسم بن محمد بن أحمد [كلام غير واضح] الفاسي المولد".

منذ صدور أولى نسخه منتصف القرن 7 هـ / 13 م، حيث يمكنني اعتبار حواضر المغرب الحفصي، وبشكل خاص مدينتي تونس وبجاية، نقطة الانطلاق الفعلية الذي انتشرت منه نسخ "التكملة"، وقد اطلع على إحدى نسخها الغبريني<sup>(1)</sup>، فبالإضافة إلى رواية ابن الجلاب المذكورة آنفاً، والتي شقت طريقها بحراً إلى جزر شرق الأندلس، ثم عادت مرة أخرى إلى بر العدو المغربية إلى حواضر المغرب المريني، ففي مدينة سبتة كان كتاب "التكملة" على قائمة المؤلفات التاريخية المتداولة في حلقة تلميذ ابن الأبار، أعني به الشيخ أبا القاسم محمد السلمي البلفيقي (ت 694 هـ / 1294 م)، أما الثانية فهي بطريق تلميذه ابن رزين التجيبي بمدينة تونس<sup>(2)</sup>، وكلاهما من طرق رواية التجيبي للكتاب، وقد أشرت إليهما في وقت سابق.

تكمن أهمية رواية التجيبي للكتاب، في كون إحدى نسخ "التكملة"، كانت على قائمة النسخ التي اعتمدها في استدراكه على كتاب "الذيل والتكملة" لابن عبد الملك المراكشي، في النصف الأول من القرن 8 هـ / 14 م، لكن مع الأسف لا نعرف مصير هذه النسخ، وهي معدودة ضمن التراث المغربي المخطوط الضائع، على غرار النسخ التي اعتمدها كل من أبي عبد الله التيجاني، والتاريخي ابن عبد الملك المراكشي<sup>(3)</sup>، وابن مرزوق الخطيب، وقد أشرت إليها

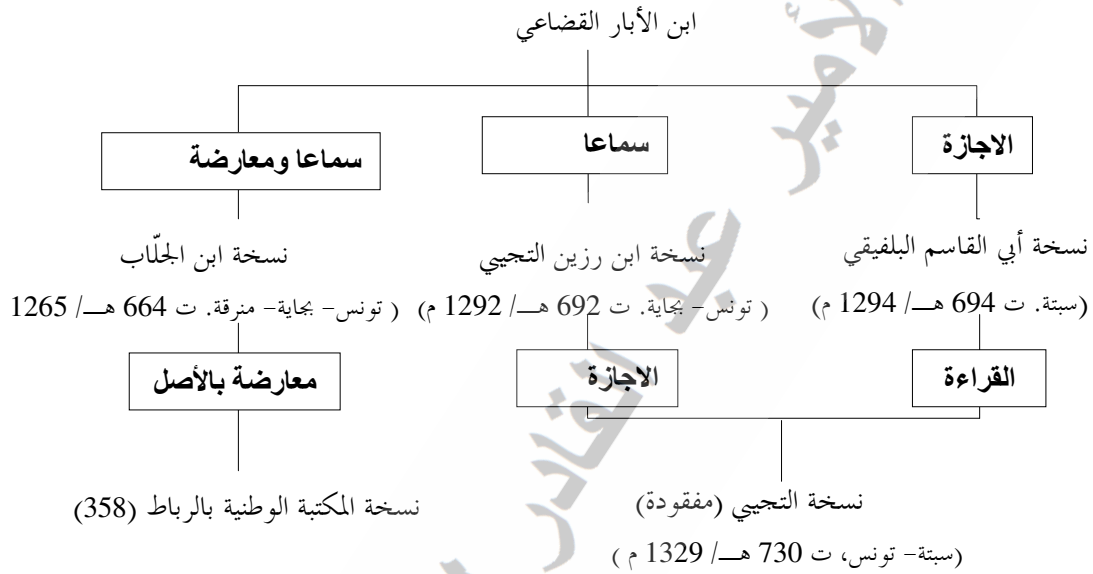
(1) - أشار إليها الغبريني، مصدر سابق، ص 271. فيما تعلق بمراجعة أصول الشيخ ابن برطلة الأزدي (ت 661 هـ / 1262 م)، وبالعودة إلى نص "التكملة"، المتداول بين أيدينا اليوم، نجدته يحتوي على ترجمة لكل من والد وجدّ ابن برطلة الأزدي المخصوص بالإحالة. حولهما أنظر: ابن الأبار، التكملة، 2/ 266-268، 3/ 41-42.

(2) - مع أن التجيبي الذي ذكر في برنامجه، سماع شيخه ابن رزين التجيبي للتكملة، مباشرة من لفظ شيخه ابن الأبار، إلا أنه لم يأت على ذكر زمن ومكان القراءة، لكن من غير المستبعد أن يكون سماع ابن رزين للكتاب، قد حدث في أثناء تواجده بمدينة بجاية سنة 655 هـ / 1257 م، أين التقى بشيخه ابن الأبار وسمع عليه بقراءة صديقه ابن الجلاب معجمه.

(3) - أكثر ابن عبد الملك المراكشي النقل من "التكملة" لابن الأبار. حول تلك النقول. أنظر: ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 10/1، 84، 89، 111، 121-123، 127، 131، 125، 265، 275، 293، 296، 303، 312، 323، 354، 367، 358، 387، 542، 555، 564، 12/4، 14، 18، 23، 49، 66، 70، 71، 88، 90، 95، 127، 185، 195، 222، 230، 5/ 24، 18، 56، 75، 95، 97، 110، 146، 153، 158، 163، 171، 178، 193، 201، 202، 251، 264، 265، 365، 323، 405-408، 417، 418، 419، 444، 448، 450، 458، 464، 501، 502، 523، 544، 547، 647، 39/6، 57، 70، 144، 186، 285، 298، 305، 312، 314، 330، 372، 376، 396، 410، 526، 159/8، 160، 212، 232، 234-235، 240، 259، 268، 282، 321، 329-330، 383، 349، 356، 362، 368، 377، 407، 411، 416، 488.

في وقت سابق، وابن الخطيب السلماني <sup>(1)</sup>، وابن خلدون <sup>(2)</sup>، وغيرها من النسخ التي نجهل مصيرها اليوم.

ولتوضيح طرق انتقال نسخ "التكملة"، منذ صدور أولى نسخه منتصف القرن السابع، وبعض النسخ المنبثقة عنها خلال القرن 8 هـ / 14 م، إليك المخطط التوضيحي الآتي.



### 3. مستوى تداول نسخة "الذيل والتكملة" برواية أبي القاسم التجيبي.

غير بعيدين عن موضوع النساخة المتشعب، والذي يحمل في طياته الكثير من المسائل المهمة، حول ملابسات انتقال بعض النصوص التاريخية وتطور مضامينها، ناهيك عن لفت الانتباه إلى أبرز النسخ التي تمّ تداولها على نطاق واسع في بلاد المغرب، في نهاية العصر الوسيط، وتعميقا لمعرفتنا حول هذه المواضيع التاريخية الدقيقة التي تتقاطع مع علم الكوديكولوجيا الواسع، سوف أستكمل موضوع بحثي مع أحد أهم النسخ التي تنتمي إلى منتسخات القرن 8

<sup>(1)</sup> - صرح ابن الخطيب السلماني، الإحاطة، 4 / 187. بالنقل من نسخة "التكملة"، في الترجمة التي خصصها للتاريخي أبي الحسن علي الشاري (ت 649 هـ / 1251 م).

<sup>(2)</sup> - يصرح ابن خلدون، المقدمة، 2 / 880. بتلك النسخة من "التكملة" لابن الأبار التي اطلع عليها، وقد عاين فيها ترجمة الفقيه المالكي عبد الله بن فروخ (ت 175 هـ / 791 م)، وبالعودة إلى كتاب "التكملة" المنشور بين أيدينا اليوم فهذه الترجمة تقع في الجزء 2 / 227 - 228.



هـ/ 14 م، وهي نسخة نفيسة من كتاب "الذيل والتكملة"، هذا الكتاب الموسوعي، الذي نجعل تاريخ شروع مصنفه ابن عبد الملك المراكشي في تأليفه، لكنه بقي يشتغل عليه إلى السنوات الأخيرة من حياته، مع مطلع القرن 8 هـ/ 14 م، هذا ما يفهم على الأقل من الترجمة التي خصصها له شيخه التاريخي أبو جعفر بن الزبير (ت 708 هـ/ 1308 م)<sup>(1)</sup>، وتعتبر ترجمته هذه من أقرب الترجمات التي كتبت بعد زمن قليل من وفاة ابن عبد الملك المراكشي، وجاءت شهادة ابن الزبير حيال الكتاب على النحو التالي "وكتابه المسمى بالذيل والتكملة لكتاب الصلة، وعلى هذا الكتاب عكف عمره، ولم يتم له مرامه منه إلى أن لحقته وفاته".

حقيقة لا تتوفر الكثير من المعلومات حول هوية تلامذة ابن عبد الملك المراكشي<sup>(2)</sup>، ممن يحملون عنه كتابه "الذيل والتكملة"، لكن العودة إلى إحدى أهم نسخ الكتاب النفيسة التي وصلتنا اليوم، التي يوجد منها الجزء الخامس بدار الكتب المصرية، تحت رقم (61 تاريخ حلیم)، والسادس بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس، تحت رقم (Arabe 2156)، لتكشف المعلومات الكودولوجية المقيدة عليهما عن هوية أحد أبرز تلامذته من فئمة المهتمين بالخبر التاريخي، أعني به تلميذه أبا القاسم التجيبي صاحب "البرنامج"، وقد جاء مصرحا باسمه في ورقة العنوان من نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية، على النحو التالي:

(1) - صلة الصلة، تحقيق عبد السلام المراس وسعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1993، ص 45. كذلك ترجم له أبو الحسن النباهي، مصدر سابق، ص 142-144. ترجمة في كتابه، باعتباره أحد الشخصيات التي تولت منصب القضاء بمراكش، معتمدا في ذلك على ترجمة شيخه ابن الزبير، كذلك ترجم له ابن فرحون، مصدر سابق، 2/ 258.

(2) - من تلامذة ابن عبد الملك المراكشي، أذكر منهم: ابنه أبو عبد الله محمد، وابن بلدته التاريخي ابن عذارى المراكشي، والمالقي الأصل، أبو جعفر أحمد بن صفوان (ت 763 هـ/ 1361 م)، وأبو العباس أحمد بن الحسن بن المعز وغيرهم. لمزيد التفصيل. أنظر: الدراسة التي أنجزها محمد بن شريفة في مقدمة السفر الثامن من الذيل والتكملة، ص 55-60.



ورقة العنوان من نسخة "الذيل والتكملة" الموجودة بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس تحت رقم (Arabe 2156)

وجاءت العبارات مقيدة على النحو التالي: "السفر السادس من كتاب الذيل والتكملة الموصول والصلة، تصنيف قاضي الجماعة النسابة الناقد، أبي عبد الله محمد بن الفقيه المقرئ أبي عبد الله محمد الأنصاري ثم الأوسي المراكشي، رواية القاسم بن يوسف بن محمد بن علي بن القاسم التجيبي عنه ورواية لصاحبه ومسترجعة ممن صار إليه بعداء وغضب بثمن محمد بن أحمد بن محمد مرزوق التلمساني عن أبي عبد الله ولد مصنفه وجماعة من أصحابه عنه والله المنة".

ومن أجل التوصل إلى نتائج مهمة حول مسار انتقال هذه النسخة النفيسة، استنادا إلى بعض المعطيات الكوديكولوجية والتاريخية التي حاولت الحصول عليها، سوف أحاول تتبع الفقرات والطرر المقيدة على الجزئين الخامس والسادس المتبقية من أجزاء هذه النسخة النفيسة.

أ- طرر التجيبي المقيدة على حاشية نسخته، تكشف عن عنايته بالخبر التاريخي.

هذه النسخة النفيسة، التي لا نعرف تاريخ نسخها على وجه الدقة، ناهيك عن مكان وهوية ناسخها، إلا أن الفقرة المقيدة في نهاية الجزء السادس المحفوظ بالمكتبة الوطنية الفرنسية،

تؤكد على أنها نسخت بعد وفاة مصنفها ابن عبد الملك المراكشي، استنادا إلى عبارة "رحمه الله" التي أعقبت ذكر اسمه<sup>(1)</sup>، وعليه فمن المرجح أن يكون تاريخ نسخها يعود إلى النصف الأول من القرن 8 هـ / 14 م<sup>(2)</sup>، بعد وفاة المصنف سنة 703 هـ / 1303 م، وبالتأكيد قبل وفاة مالكة التجيبي سنة 730 هـ / 1329 م.

بلا شك، هذه النسخة النفيسة هي نسخة التجيبي، لكن الملفت للانتباه في هذه المسألة تحديدا، أن التجيبي الذي عرض علينا قائمة كتبه التي يرويها على شيوخه في برنامجه الذي وصلنا اليوم، لا يرد فيها ذكر لكتابه "الذيل والتكملة"، وإذا افترضت جدلا أن رواية التجيبي للكتاب عن شيخه، قد وقعت بعد صدور البرنامج كتفسير مقنع لهذه المسألة، إلا أن ذلك يتعارض وما أكدت عليه في وقت سابق، في كون التجيبي كان لا يزال يشتغل على برنامجه على الأقل إلى حدود سنة 723 هـ / 1323 م، الأمر الذي يجعلني أستبعد هذه الفرضية، لكن يبقى أمامي افتراض ثان أكثر إقناعا، يكمن في طريقة تحمل التجيبي لكتاب شيخه، فمن المحتمل أن يكون التجيبي يروي كتاب شيخه بطريق الإجازة، الأمر الذي أخرج "الذيل والتكملة" من شرط البرنامج<sup>(3)</sup>، كغيره من المرويات الكثيرة التي استغنى عن ذكرها، والتي حصلت له بطريق الإجازة<sup>(4)</sup>، وقد صرح في ختام برنامجه<sup>(5)</sup> بالقول "وقد قرأت وسمعت غير ما ذكر على غير من ذكر، واقتصرت على هذا القدر مخافة الإطالة والإكثار، حسبما أعان عليه الوقت، ولرغبة

(1) - ورد في نهاية النسخة المحفوظة في المكتبة الوطنية الفرنسية ما نصه "عجز السفر السادس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تصنيف الشيخ القاضي أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي، رحمه الله تعالى، يتلوه في أول السابع إنشاء الله تعالى محمد بن علي بن ياسر الأنصاري جلياني استوطن حلب، أبو بكر سراج الدين، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وحسبنا الله ونعم الوكيل".

(2) - أشير هنا إلى الموقف الذي تبناه البارون دوسلان، مفهرس المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية الباريسية، في كون هذه النسخة تعود إلى منتسخات النصف الأول من القرن 8 هـ / 14 م. استنادا إلى مضمون الفقرة الأخيرة المنوه بها أعلاه. لمزيد من التفصيل أنظر:

B.de Slane, *op. cit.* p. 382.

(3) - صرح التجيبي في مقدمة برنامجه، ص 9. باستبعاده للكتب التي يرويها بطريق الإجازة، يظهر ذلك في قوله "وأما ما ليس لي فيه من المجموعات إلا مجرد الإجازة، فلم أعرج عليه، ولا ثنيت عناني إليه وان كان إسنادي في ذلك المجموع في غاية القرب والوجازة، إذ في ذكر المأخوذ بها كثرة طول وكل طائل ملول...".

(4) - وهو الافتراض الذي تبناه عبد الله المرابط الترغي، مرجع سابق، ص 242-243.

(5) - مصدر سابق، ص 290.

الأصحاب في الاختصار"، وهنا أذكر كذلك بغياب كتاب "تاريخ دمشق" لابن عساكر عن مرويات التجيبي، التي يحملها على شيخه الدباغ بطريق الإجازة العامة، على حسب التصريح الذي أدلى به التلميذ أبو زكريا السراج في وقت لاحق، ويأتي غياب كتاب "تاريخ دمشق" عن المرويات المذكورة في البرنامج، رغم تأكيد التجيبي على إطلاعها على إحدى نسخه، واستفادته منها كذلك<sup>(1)</sup>.

بتركيزي أكثر على محتوى الطرر المقيدة على حواشي الجزء السادس من "الذيل التكملة"، الذي تمثله النسخة الموجودة بدار الكتب المصرية، تظهر أن إحداها يمتد إلى حدود سنة 727 هـ/ 1327 م، وهي طرة مهمة كتبها التجيبي في أعلى الورقة (59) وتمتد نزولا إلى الحاشية اليمنى باتجاه المتن، كترجمة مضافة في أسماء العلويين، تخص أحد أعلام مالقة ونزول مدينة فاس، وهو علي بن سليمان بن أحمد بن سليمان الأنصاري، الذي كانت وفاته أواخر شهر ربيع الأول 727 هـ/ 22 فيفري 1327 م، وإليك نموذجا مصورا لهذه الطرة المقيدة على الجزء السادس<sup>(2)</sup>.

(1) - رجع التجيبي إلى كتاب "تاريخ دمشق" فيما تعلق بترجمة أبي عبد الرحمن النسوي. أنظر: المصدر نفسه، ص 116.

(2) - جاء محتوى الطرة مقيدا على النحو التالي: "علي بن سليمان بن أحمد بن سليمان الأنصاري مالقي نزل حضرة فاس أبو الحسن علي بن سليمان وأصله من قرطبة وهو سبط الإمام الفاضل أبي الحجاج يوسف بن محمد بن علي بن مصادم تلا أبو الحسن بمالقة بالسبع أفرادا وجمعا وترا وشفعا على شيخنا أبي جعفر بن الزبير وسمع الموطأ الكبير بقراءة ابن الزبير المذكور على أبي عمر بن حوط الله غير يسير منه فانه قرأه بلفظه وسمع عليه تيسير الداني وسمع من أبي علي بن الأحوص ومن محمد بن أحمد بن عبيد الله بن العاصي اللخمي نزول مالقة وأجازوه وتحرف بعقد الشروط مدة ثم تركها وأقبل على إقراء الكتاب العزيز وكان عارفا بالقراءات عاكفا على الإقراء رجلا صالحا ورعا زاهدا وعمر وعمر وأسن وتوفي بفاس أواخر شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وسبعمائة فيما بلغنا وقد كان أربى على الثمانين وكانت جنازته مشهودة وأتبعه الناس ثناء حسنا كان له أهلا رحمه الله تعالى ونفعه به".



الورقة (59) من نسخة "الذيل والتكملة" المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم (61 تاريخ حليم)

هذه الطرة البالغة الأهمية، تذهب بي إلى الاعتقاد أن نسخة "الذيل والتكملة" هذه، كانت في حيازة التجيبي إلى السنوات الثلاثة الأخيرة من حياته، وقد قيد عليها ترجمة لأحد معاصريه من الأندلسيين الوافدين إلى الحاضرة الفاسية، ومن تلامذة شيخه ابن الزبير (ت708هـ/ 1308 م). كما أن مراجعتي الدقيقة لمضمون الطرر، التي كتبها التجيبي بخطه المشتهر بـ "حسن الخط ومتقن للضبط... وخطه حجة عند من اعتمد عليه" <sup>(1)</sup>، سوف تفسح المجال أمامي لمعرفة مستوى النضج التاريخي الذي كان عليه التجيبي، خصوصا بعد عودته من رحلته العلمية، وهي بالتأكيد منحتة فرصة جيدة للاتصال بشيوخ العلم المتصدرين للإقراء في طرفي العالم الإسلامي، ووثق سماعته على كتبه التي يحملها عنهم، كذلك وضع قائمة مهمة لمروياته في برنامج المتداول

(1) - وصفه بذلك ابن بلدته سبتة، صاحب بلغة الأمانة، ص 177.

بيننا اليوم، يضاف إليها تقييده لمجموعة كبيرة من الطرر على نسخته من "الذيل والتكملة" ذكر فيها كذلك مروياته، على غرار تلك الطرة المقيدة في أعلى الورقة (149) من النسخة المحفوظة بالمكتبة الوطنية الفرنسية، باتجاه معاكس للمتن<sup>(1)</sup>، وهي طرة تؤكد على وجود نسخة "الذيل والتكملة" تحت نظر مالكةا التجيبي مطلع القرن 8 هـ/ 14 م، أين أورد فيها ترجمة مقتضبة لشيخه أبي القاسم بن الطيب، كما قيد بها تاريخ وفاته، الذي كان في 2 رمضان 701 هـ/ 30 أبريل 1302 م، باعتباره أحد شيوخه الذين ذكرهم في برنامجه<sup>(2)</sup>، وقرأ عليهم كتاب "الشفاء" للقاضي عياض.

كذلك ما جاء مقيدا على الورقة (109) من النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية، التي أكد فيها قراءته على شيخه أبي عبد الله بن صالح الكناني بمدينة بجاية<sup>(3)</sup> كتاب "التقريب والحرش في قراءة ورش" لأبي الاصبع بن المرابط عيسى بن محمد البلنسي (ت 552 هـ/ 1157 م)، والكتاب معدود كذلك ضمن مرويات التجيبي التي صرح بها في برنامجه<sup>(4)</sup>، واليك صورة عن تلك الطرة المكتوبة على الحاشية باتجاه معاكس للمتن أمام ترجمة أبي الاصبع عيسى بن المرابط.

<sup>(1)</sup> - وجاء مضمونها على النحو التالي "قرأت وسمعت على أبي القاسم بن الطيب الكثير وأجازني جميع ما يرويه مرات توفي رحمه الله عند مغيب الشفق الأول من ليلة الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان المعظم أحد وسبعمئة وصلى عليه من الغد اثر صلاة العصر على شفير قبره خارج الميناء وتولى حملة الطلبة على رقابهم وكانت جنازته مشهودة ومولده في يوم السبت لثمان ليال خلّت من جمادى الأولى تسعة وعشرين وستمئة وبموافقة الرابع عشر من مارس العجمي".

<sup>(2)</sup> - أعقب التجيبي ذكر اسم شيخه أبي القاسم بن الطيب، بعبارة "رحمه الله" في أثناء عرضه للمصنفات التي قرأها عليه في برنامجه، وهي كتاب "الشفاء"، و"جزء فيه لغات القرآن وتفسيره" كان ذلك بمدينة سبتة خلال سنتي 690- 691 هـ/ 1291- 1292 م. أنظر: التجيبي، مصدر سابق، ص 49، 137- 138.

<sup>(3)</sup> - كذلك صرح التجيبي باتصاله بشيخه أبي عبد الله بن صالح في بجاية وسماعه عليه، كتب ذلك في الطرة المقيدة على الورقة (43) باتجاه معاكس للمتن من النسخة المحفوظة بالمكتبة الوطنية الفرنسية، وجاء محتواه على النحو الآتي "أخبرني الخطيب الصالح أبو عبد الله بن صالح ببجاية قال أخبرني القاضي أبو محمد بن برطلة قال أخبرني الأديب أبو عبد الله الفقيه المعروف بمرج الكحل قال اجتمعت بمرسية مع أبي بحر وذكر القصة".

<sup>(4)</sup> - مصدر سابق، ص 45.



الورقة (109) من نسخة "الذيل والتكملة" اخفوظة بدار الكتب المصرية رقم (61 تاريخ حلیم)

وجاء محتوى الطرة أعلاه، على النحو التالي: "سمعت جميعه في أصل مؤلفه بخطه على ابن صالح ببحاية وثنا به سماعا بلفظه عن ابن زاهر مرتين وقرأته مرارا وعرضا عن ظهر قلب عن ابن الولي وتفقهها فيه وقراءة أيضا على ابن برطلة بسماع ثلاثتهم من ابن سعادة المعمر وزاد ابن زاهر منهم وابن عون الله جميعا عن مؤلفه".

بلا شك كان لاتساع معارف التحجبي التاريخية، القدرة الكافية على مناقشته لأحد أهم الأعمال الموسوعية التراجمية التي أنجزها ابن عبد الملك المراكشي، بعد وقت قصير من زمن صدورها مطلع القرن 8 هـ / 14 م، كما كان على معرفة جيدة بخطوط عدد من الأعلام البارزين من المتقدمين والمعاصرين له، وقد تمكن من معاينة مجموعة كبيرة من النسخ النفيسة المكتوبة بخطوط مصنفها، أو نصوص الإجازات المقيدة على بعض النسخ المقروءة عليهم، فقد صرح في بعض طوره بمعاينته لخط أبي الاصبع عيسى الشنتميري<sup>(1)</sup>، وأبي علي الغساني (ت 498

(1) - قيد في حاشية نسخة "الذيل والتكملة" الخفوظة بدار الكتب المصرية، طرة أسفل الورقة (109) بخط التحجبي في نهاية ترجمة أبي الاصبع ما مضمونه "وروى أيضا حفيد الأعم المذكور عن أبي عبد الله محمد بن أبي الحسين بن إبراهيم بن يحيى وسمع منه وأجاز له وفتت على خط له مؤرخا بالعشر الأخر لذي حجة ثلاثين وخمسمائة وقال فيه صاحبنا".

هـ/ 1104 م<sup>(1)</sup>، وأبي إسحاق البليقي (ت 616 هـ/ 1219 م)<sup>(2)</sup>، وابن عبد الحق التلمساني (ت 625 هـ/ 1227 م)<sup>(3)</sup>، وخط صديقه أبي جعفر بن خنيس التلمساني<sup>(4)</sup>.

النقطة الأهم في محتوى طرر التجيبي، أن عددا منها يفصح كذلك عن هوية النسخ التي عوّل عليها في كتابة الكثير من تعليقاته، وتصحيحاته، وتراجمه المزيّدة على نسخة "الذيل والتكملة"<sup>(5)</sup>، ما يعني هنا بشكل أساسي هو الكشف على مصادره الإخبارية موضوع الدراسة، التي كان يحوز على بعض نسخها، وسعيًا مني لمعرفة هوية عدد منها، بالاستناد إلى

(1) - قيد في حاشية نسخة "الذيل والتكملة" المحفوظة بدار الكتب المصرية، طرة أسفل الورقة (117) بخط التجيبي في نهاية ترجمة القاسم بن أبي علي البغدادي القرطبي ما مضمونه "ما قاله ابن الأبار صحيح فاني قرأت بخط أبي علي الغساني، وذكر أنه نقله من خط الحكم المستنصر بالله، أن أبا علي تخلف من الولد محمدا المعروف بأبي الهيجاء وجعفر المعروف بأبي الفتح، قال الحكم...".

(2) - ذكر التجيبي معاينته لخط أبي إسحاق البليقي في عدة طرر، مقيدة على حواشي نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية، احداها عبارة عن تعليق طويل يبدأ من الحاشية اليمنى للورقة (53) باتجاه معاكس للمتن صعودا إلى أعلى، أمام ترجمة أبي بكر بن عياش محمد بن أبي بكر، وطرة ثانية على حاشية الورقة (96)، تعليق على تاريخ وفاة المترجم له، أبا بكر محمد بن عبد الله بن مهني اللخمي، وطرة أخرى توجد في حاشية الورقة (135) باتجاه معاكس للمتن إلى الأعلى، في نهاية ترجمة أبي عبد الله محمد بن جوير الأنصاري.

(3) - اطّلع التجيبي على نص إجازة بخط الشيخ ابن عبد الحق التلمساني، كتب ذلك في طرة على حاشية الورقة (160) في اتجاه معاكس للمتن باتجاه الأعلى من نسخة دار الكتب المصرية، أمام ترجمة المجيز له التلميذ أبي عبد الله بن فرغلوش محمد بن أحمد، ومضمونها على النحو الآتي "وقفت عليها بخط ابن عبد الحق المذكور وتاريخها في ثاني عيد الفطر سبع وستمائة".

(4) - جاء في الطرة على حاشية الورقة (123) من نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية، أمام نسب المترجم له أبا عبد الله بن خنيس التلمساني، ما مضمونه "توفي في الثالث الأول من ليلة السبت الخامس والعشرين لصفر، كذا رأيته بخط ابنه شيخنا أبي جعفر حفظه الله".

(5) - من النسخ التي اطّلع عليها التجيبي، استنادا إلى بعض الطرر التي قيدها على حواشي نسخته، أذكر: نسخة من كتاب "الإمعان في شرح مصنف القرآن"، بخط مصنفه علي بن خلف الأنصاري (ت 567 هـ/ 1171 م)، وقد ورد الحديث عنها في الطرة على حاشية الورقة (56) من نسخة دار الكتب المصرية أمام ترجمة المصنف، كما اطّلع على نسخة من كتاب "ناسخ القرآن ومنسوخه" لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437 هـ/ 1044 م)، عليها نص قراءة يعود إلى سنة 493 هـ/ 1099 م، بخط أبي الاصبع عيسى بن رافع الأموي، جاء ذلك في طرة على الحاشية الورقة (105) من نسخة دار الكتب المصرية، أمام اسم المترجم له الشيخ المجيز أبي الاصبع. كذلك حيازته لعدد من مؤلفات ابن خلفون الأزدي (ت 636 هـ/ 1238 م)، وهي نسخ نفيسة بخط مصنفها، وقد ورد ذكرها في ثلاث طرر في نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية، اثنين منها على الحاشيتين اليمنى واليسرى من الورقة (48) أمام مؤلفات ابن خلفون الأزدي المخصوص بالترجمة.



مضمون الطرر المقيدة على حواشي السفرين الخامس والسادس، إليك القائمة الاسمية التالية:

عنوان وصاحب النسخة	مكان الطرة	هوية النسخة
تاريخ ابن الفرضي	حاشية في أعلى الورقة (126)، فوق ترجمة قاسم بن موسى القرطي	نسخة دار الكتب المصرية
صلة ابن بشكوال	حاشية الورقة (26)، أمام ترجمة عثمان بن عبد الله بن دليم	نسخة دار الكتب المصرية
	حاشية الورقة (114) أمام ترجمة فرح بن حديدة البطليموسي	نسخة دار الكتب المصرية
	حاشية أسفل الورقة (32)، في نهاية ترجمة أبي عبد الله محمد الفخار	نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية
	حاشية الورقة (75)، باتجاه معاكس للمتن إلى الأسفل، أمام شيوخ المترجم له أبو عبد الله محمد بن زرقون.	نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية
تاريخ ابن صاحب الصلاة	حاشية الورقة (6) في نهاية ترجمة عبد الملك بن عياش	نسخة دار الكتب المصرية
تكملة ابن الأبار	حواشي كثيرة <sup>(1)</sup>	نسخة دار الكتب المصرية ونسخة المكتبة الوطنية الفرنسية
صلة ابن الزبير	حواش كثيرة <sup>(2)</sup>	نسخة دار الكتب المصرية ونسخة المكتبة الوطنية الفرنسية
المنتقى <sup>(3)</sup> لابن خلفون الأزدي	حاشية الورقة (48)، أمام كتاب "المنتقى" للمترجم له ابن خلفون الأزدي.	نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية

<sup>(1)</sup> - يبدو أن التحجبي الذي كان يملك نسخة من تكملة ابن الأبار، أنه عوّل عليه في كتابة الكثير من التعليقات والطرر على حواشي أجزاء نسخته التي وصلتنا اليوم. حولها أنظر: ملحق رقم (14).

<sup>(2)</sup> - استعان التحجبي بـ "صلة" شيخه أبي جعفر بن الزبير في كتابة مجموعة من التعليقات على حواشي نسخته التي وصلتنا بعض أجزائها. حولها أنظر: ملحق رقم (15).

<sup>(3)</sup> - ذكر ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 6/ 130. عنوان الكتاب بـ "المنتقى في رجال التابعين ومن بعدهم"، كما أشار إلى كونه يقع في خمسة مجلدات، في حين جاء الكتاب تحت عنوان "المنتقى في أسامي الأئمة المرضيين والثقافة الحديثين والرواة المشتهرين من التابعين فمن بعدهم"، عند التحجبي الذي كان يجوز على نسخة نفيسة منه، أكد ذلك في برنامجه. أنظر: التحجبي، مصدر سابق، ص 259-260. كما كتب ذلك في الطرة المشار إليها أعلاه، وتستمد نسخته هذه قيمتها التوثيقية في كونها نسخة نفيسة مكتوبة بخط مصنفها ابن خلفون، وتقع في ثلاثة أشبار ضخمة ورابع صغير، وعلى هذا الجزء الصغير، قيد عليه نص إجازة ابن خلفون الأزدي لتلميذه الشيخ ابن الحاج القرطي، شيخ التحجبي، كما أن التحجبي قد حمل نسخته هذه معه في رحلته المشرقية، وأطلعها على شيخه ابن دقيق العيد، الذي استحسناها ونسخ عنها ابن دقيق العيد نسخة له بالقاهرة.

نسخة دار الكتب المصرية	حاشية الورقة (91) أمام ترجمة عمر بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل (1)	فهرسة ابن خير الاشبيلي
نسخة دار الكتب المصرية ونسخة المكتبة الوطنية الفرنسية	حواشي كثيرة (2)	معجم ابن مسدي (ت 660 هـ / 1261 م)
نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية	حاشية الورقة (75)، باتجاه معاكس للمتن إلى الأسفل، أمام شيوخ المترجم له، أبو عبد الله محمد بن زرقون.	فهرسة أبي علي الشلوين (ت 645 هـ / 1247 م)

بلا شك القائمة الاسمية أعلاه، والمثيرة للاهتمام، تضم نحو تسعة عناوين مهمة، في أغلبها مصنفات أندلسية في التراجم والطبقات، إضافة إلى كتب البرامج وفهارس الشيوخ، وهي أعمال تصب في اتجاه العناية بتراجم رواة العلم، وهي تتناغم وموضوع الكتاب المستدرک عليه "الذيل والتكملة"، استعان بها التجيبي في كتابة طرره وتعليقاته المفيدة، باستثناء "تاريخ" ابن صاحب الصلاة، الذي يعنى بالتاريخ الموحدى، وما يرفع من قيمة عناوين النسخ المشار إليها في القائمة أعلاه، أن مجموعة منه قد أكد التجيبي على حيازته لنسخ منها في برنامج شيوخه، وقد أشرت في وقت سابق إلى حيازته على نسخة من "صلة" ابن بشكوال، و"التكملة" لابن الأبار. لكن يبدو أن النقطة الفارقة، التي كشفت عنها بعض هذه الطرر، هي استعانه كثيرا بـ "صلة" شيخه أبي جعفر بن الزبير المعدودة ضمن كتب الصلوات الأندلسية المفقودة، ورغم أنه لا يضعها في قائمة مروياته التي يحملها عن شيوخه في برنامج، إلا أن مضمون الطرة المقيدة على الورقة (64) من نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية، أمام ترجمة أبي بكر الميورقي (ت 537 هـ / 1142 م)، تفيد أن التجيبي كان على معرفة أكيدة بإحدى نسخ "صلة" لابن الزبير، وكتب في الحاشية معلقا على نسب المترجم له بالقول "بل الحسين ثابت عنه في النسخة التي اعتمد عليه آخذا من صلته"، ويظهر في هذه الطرة انتقاد التجيبي لموقف شيخه ابن عبد الملك المراكشي

(1) - استنادا إلى محتوى هذه الطرة، فإن التجيبي استعان بفهرسة ابن خير الاشبيلي، وهي نسخة نفيسة وتستمد نفاستها في كونها مكتوبة بخط المصنف ابن خير، وقد جاء محتوى الطرة كالاتي "بل الصواب ما قاله ابن الأبار، وكذلك ألقيته في فهرسة ابن خير المذكور بخطه دون إشكال، وكذلك ذكره ابن الزبير".

(2) - استعان التجيبي بـ "معجم شيوخ ابن مسدي" في كتابة تعاليق وطرر كثيرة، على ما هو مقيد على حواشي أجزاء من نسخته التي وصلتنا اليوم. حولها أنظر: ملحق رقم: (16).

الذي أعاب التصحيف الذي وقع في "صلة" شيخهما ابن الزبير، حول نسب المترجم له أبا بكر الميورقي<sup>(1)</sup>.

المؤكد أن استعادة الطرز التاريخية التي قيدها التجيبي على نسخته، سواء تلك التي تقع في الأجزاء التي وصلتنا اليوم، ناهيك عن تلك المقيدة على باقي الأجزاء المفقودة، سوف تقدم لنا في مجموعها، عملا تاريخيا متميزا للتجيبي يتضمن "تراجم مستدركة على ذيل ابن عبد الملك المراكشي"<sup>(2)</sup>، وهي بذلك تعزز مكانة التجيبي في وسط المهتمين بهذا اللون التاريخي التراجمي خلال القرن 8 هـ / 14 م.

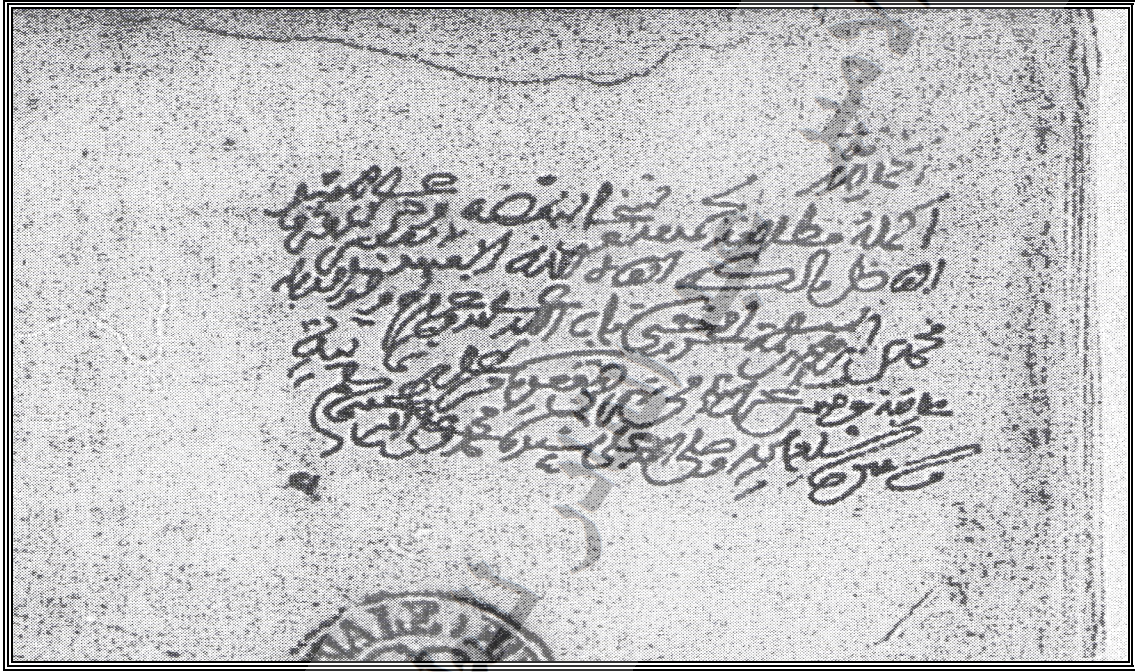
#### ب- نسخة "الذيل والتكملة" النفيسة، تنتقل إلى الحاضرة الحفصية تونس:

من الصعوبة بما كان، تتبع مسار انتقال نسخ المؤلفات التاريخية، بشكل دقيق خلال المرحلة الوسيطة المتأخرة، في ظل غياب معطيات تاريخية وكوديكولوجية دقيقة، من شأنها سدّ الكثير من الثغرات التي تشكل في مجموعها منعطفا حاسما في إمكانية تتبع مسار الكثير من النسخ التي وصلتنا اليوم، وهو الأمر الذي ينسحب على نسخة "الذيل والتكملة"، فما نعرفه أنها كانت بيد مالكة الأول أبو القاسم التجيبي، على الأقل إلى السنوات الأخيرة من حياته، حيث كان متواجدا في مدينته سبتة، وعلى ما يبدو أن هذه النسخة النفيسة، وفي ظل ظروف تاريخية غير معروفة بالنسبة لنا في الوقت الحالي، انتقلت إلى حاضرة الحفصيين الأولى مدينة تونس، في النصف الثاني من القرن 8 هـ / 14 م، لتكون تحت نظر أحد مطالعها، الذي كتب توقيعه في نهايتها، وهو محمد بن إبراهيم بن مسلمة الخزرجي، وقد أنهى قراءتها في العشر الأول من شهر

(1) - ذكر ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 6/ 170. في هذه النقطة ما يلي "وقد أحل أبو جعفر بن الزبير بذكره في موضعين، فأسقط الحسين من نسبه، وصحف بشرا ببشير، وأغفل كثيرا من الإعلام بحاله، فاعلم ذلك، والله الموفق لا ربّ غيره".

(2) - قام إحسان عباس الذي تولى تحقيق السفرين الخامس والسادس من "الذيل وتكملة"، باستخراج أهم التراجم التي استدركها التجيبي في أجزاء نسخته التي وصلتنا اليوم، وقد بلغت التراجم المستدركة على السفر الخامس ما مجموعه 59 ترجمة، أشار إليها المحقق في هوامش السفر الخامس المطبوع، كما أدرج قائمة اسمية لها في نهاية هذا الجزء، أما التراجم المستدركة على السفر السادس فقد بلغت نحو 22 ترجمة، وقد أدرجها المحقق كملحق في نهاية السفر السادس المطبوع، واستنادا إلى هذه المعلومات، فيبدو أن تراجم التجيبي المستدركة على السفرين الخامس والسادس، قد بلغت نحو 81 ترجمة على أقل تقدير.

ذي القعدة 768 هـ / 7 جويلية 1367 م، نعرف ذلك من خلال الفقرة التي قيدها بخطه في آخر السفر الخامس من نسخة دار الكتب المصرية<sup>(1)</sup>، وبالمثل أكد على مطالعته للسفر السادس من نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية، حيث ورد التصريح باسم مطالعها، ومكان وتاريخ المطالعة، واليك نموذجا مصورا عن هذه الأخيرة.



الورقة الأخير من نسخة "الذيل والتكملة" اخفوظة بالمكتبة الوطنية الفرنسية (Arabe 2156)

حاليا لا أملك معلومات دقيقة وكافية، يمكن التعويل عليها للكشف عن هوية قارئ هذه النسخة المشار إليه أعلاه، الذي لا أعرف من هويته سوى اسمه المصرح به آنفا، وهل هو تونسي المولد؟ أم أحد الوافدين على المدينة؟ والسؤال كذلك يدور حول هوية المكان الذي استقرت في هذه النسخة، هل كانت موجودة في أحد خزائن الكتب المنتشرة بمدينة تونس،

(1) - جاء في نهاية نسخة دار الكتب المصرية الفقرة التالية "أكملته مطالعة لجميعه، ونسخا لمعظمه عبيد الله الفقير إليه محمد بن إبراهيم بن مسلمة الخزرجي تاب الله عليه وغفر له ولوالديه بمدينة تونس حرسها الله تعالى في العشر الأول من ذي القعدة من عام ثمانية وستين وسبعمائة وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم". أنه هنا على أنه نظرا لرداءة تصوير الأوراق الأخيرة من نسخة دار الكتب المصرية التي بجوزي، والتلف الذي لحق هذه الفقرة تحديدا، وهي مطموسة بشكل كامل بالخبر بما لا يمكن معه قراءتها. وبخصوص الورقة الأخيرة من نسخة دار الكتب المصرية. أنظر ملحق رقم: (17).

ضمن قائمة الكتب المتاحة للمطالعة والنسخ، وكان محمد بن إبراهيم الخزرجي أحد الأشخاص المطلعين عليها هناك؟ أم أنها كانت في حيازته ضمن مقتنياته الخاصة؟ وكيف وصلت إليه؟ على أهمية التوصل إلى إجابات مقنعة حيال هذه الأسئلة الصعبة، إلا أنه من المجازفة بما كان التكهن بمكان وجود هذه النسخة النفيسة بمدينة تونس، وكيفية وصولها إلى نظر مطالعها الخزرجي في النصف الثاني من القرن 8 هـ / 14 م، وأقصى ما يمكن قوله في هذا الخصوص، أن مطالعها محمد بن إبراهيم الخزرجي، الذي كان متواجدا بالمدينة أواخر سنة 768 هـ / 1367 م، كان له عناية بالخبر التاريخي، وبشكل خاص تاريخ رواة العلم، وعلى ما يبدو أنه قام بنسخ معظم أجزاء الكتاب اعتمادا على هذه النسخة، واستنادا إلى نوعية الخط الذي كتب به الفقرتين الأخيرتين، والذي يظهر في النموذج المصور أعلاه، أن هذا القارئ لم يكن من ذوي الخطوط الواضحة، بشكل يسهل قراءتها.

### ج- نسخة "الذيل والتكملة" النفيسة، في حيازة ابن مرزوق الخطيب التلمساني.

مرة أخرى العودة إلى بعض المعطيات الكوديكولوجية، التي حملتها لنا نسخة "الذيل والتكملة" المحفوظة بالمكتبة الوطنية الفرنسية، حيث تشير الفقرة المقيدة على ورقة العنوان في أسفله مباشرة، إلى وقوعها في حيازة أحد أبرز أعلام المغرب خلال القرن 8 هـ / 14 م، أعني به هنا ابن مرزوق الخطيب التلمساني، وجاء التنصيص في ورقة العنوان على تملكه لهذه النسخة، كما جاء موضحا في النموذج المصور سابقا، على النحو التالي: "... ورواية لصاحبه ومسترجعة ممن صار إليه بعداء وغضب بالثمن، محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق التلمساني عن أبي عبد الله ولد مصنفه وجماعة من أصحابه عنه والله المنة".

بجزر شديد، تمليه علي طبيعة المخطوطة المدروسة، والسيرة الذاتية الحافلة التي تمتع بها مالك النسخة الثاني، والغموض الكبير الذي يكتنف هوية مطالع النسخة، يبدو أن محاولة فهمي لطبيعة الملابس التاريخية التي رافقت وصول هذه النسخة النفيسة إلى مدينة تونس، ومعرفة المكان الذي استقرت فيه، هي مسألة بالغة التعقيد ويصعب فكها بشكل حاسم، على الأقل في الوقت الحالي الذي أفتقد فيه لباقي أجزاء النسخة.

ومع ذلك يمكنني مناقشة بعض المسائل الجوهرية، التي من شأنها تقربي أكثر إلى إدراك بعض الحطات التاريخية المفصلية في مسار انتقال هذه النسخة، بين حواضر المغرب في المرحلة

الوسيلة المتأخرة، لذلك سوف أحاول استغلال تلك التفاصيل المهمة المتعلقة بمالكها ابن مرزوق الخطيب، وتتبع تنقلاته بين مختلف حواضر الغرب الإسلامي الوسيط، فما نعرفه أن ابن مرزوق هو أحد الأعلام المترددين على مدينة تونس، كما أقام بها عديد المرات، منها تلك التي قادته إليها كأحد الشخصيات المرافقة لمخدومه السلطان المريني أبي الحسن، حدث ذلك بين سنتي 748-749 هـ / 1347-1348 م، ليعود إليها مرة ثانية سنوات المحنة الأخيرة التي ألمت به في البلاط المريني، وقد أفضت به لاجئا إليها سنة 765 هـ / 1363 م، ويبدو أنها الإقامة الأطول في تاريخ دخوله إلى المدينة، حيث مكث بها مدة ثماني سنوات، وغادرها بتاريخ 773 هـ / 1371 م.

بالتركيز أكثر على سنوات إقامة ابن مرزوق الأخيرة بمدينة تونس، أجد أن تاريخ مطالعة النسخة من قبل محمد بن إبراهيم الخزرجي، الذي يعود إلى أواخر 768 هـ / 1367 م، يتزامن مع وجود ابن مرزوق في تونس، بعد نحو ثلاث سنوات منذ تاريخ وفادته إليها، والسؤال المنطقي الذي أطرحه هنا، هل كان ابن مرزوق على معرفة بنسخة "الذيل والتكملة" أثناء إقامته بالمدينة؟ إن معرفتي المسبقة بتاريخ ومكان تحرير ابن مرزوق لمسنده، الذي كان بمدينة تونس بين سنتي 771-772 هـ / 1369-1371 م، من شأنه مساعدتي كثيرا في الكشف عن بعض المسائل الحساسة حيال هذه النسخة، كما تأكد لدي سابقا أن كتاب "الذيل والتكملة" كان على لائحة المصادر التاريخية، التي استعان بها في تحرير الباب الثاني والثلاثين، والباب الثاني والخمسين من مسنده، الأمر الذي يدفعني إلى الاعتقاد جازمة، أن إحدى نسخ الكتاب النفيسة كانت تحت نظر ابن مرزوق أثناء تواجده في تونس خلال سنتي 771-772 هـ / 1369-1371 م، ويبقى السؤال حول هوية هذه النسخة، هل كانت نسخة "الذيل والتكملة" التي عليها استدراكات التعجيب؟ أم نسخة ثانية؟

بالتدقيق في التصريحات المقتضبة التي أدلى بها ابن مرزوق حيال نسخة كتاب "الذيل والتكملة" الواردة في مسنده، أكد خلالها على أن النسخة المعتمدة، هي النسخة التي عليها استدراكات التعجيب، وكان متوقعا بالنظر إلى الوعي التاريخي الذي كان يتمتع به ابن مرزوق، أن يدرك جيدا نفاسة النسخة التي وقعت في حيازته، فقد أشار في مسنده<sup>(1)</sup> إلى موضعين اثنين تطرق فيهما ابن عبد الملك المراكشي لقصة المصحف العثماني وملابس وصوله إلى البلاد

(1) - مصدر سابق، ص 462.

الأندلسية، والجدير بالملاحظة أن الموضوعان المشار إليهما من قبل صاحب المسند، تقع إحداهما في السفر الأول من الكتاب، وهي ترجمة أبي المطرف بن عميرة (ت 658 هـ/ 1260 م)<sup>(1)</sup>، أما الثانية فتقع في السفر الثامن منه، وهي ترجمة أبي الحسن بن القطان (ت 628 هـ/ 1231 م)<sup>(2)</sup>، الأمر الذي يؤكد على أن ابن مرزوق كان يحوز على أجزاء نسخة "الذيل والتكملة" كاملة، وما وصلنا منها اليوم، هما السفران الخامس والسادس فقط.

كما أكد ابن مرزوق معاينته لتلك الطرر المقيدة على حواشي نسخته، والاستفادة منها أيضا، وقد أورد في مسنده محتوى طرتين منها، وصرح بكونهما بخط التجيبي السابق الذكر، حيث كتب يقول "ورأيت بخط المحدث التاريخي أبي القاسم التجيبي، فيما ذيله على تكملة ابن عبد الملك"<sup>(3)</sup>، الأمر الذي يشير إلى معرفة ابن مرزوق الأكيدة بخط التجيبي ونسخته النفيسة التي كان يحوز عليها.

بإحباط شديد، الطرتان المنوه بهما في "المسند" المنسوبتان للتجيبي، تقعان في السفر الأول المفقود من نسخة "الذيل والتكملة" النفيسة، ومع ذلك بإمكاننا استعادة مضمونهما من خلال شهادة ابن مرزوق في مسنده، وتوضيحا لذلك إليك عرضا مفصلا، أظهر فيه محتوى الطرتين، ومكانهما في النسخة المفقودة، وما يقابلهما في الجزء الأول المطبوع عن نسختين مختلفتين من الكتاب<sup>(4)</sup>.

(1) - أنظر: ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 1/ 158-169.

(2) - أنظر: المصدر نفسه، 8/ 169-170.

(3) - ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 462.

(4) - وهي نسخة المحفوظة بخرانة القرويين بفاس تحت رقم (626)، ونسخة ثانية محفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (269)، وكلاهما يوجد منها الجزء الأول فقط، وعن هاتين النسختين المبتورتين قام محمد بن شريفة بتحقيق الجزء الأول من الكتاب.

ما يقابلها في كتاب الذيل المطبوع	مكانها في نسخة الذيل استنادا إلى شهادة ابن مرزوق	محتوى طرة التجيبي، نقلا عن ابن مرزوق
166 - 165 / 1	في ترجمة أبي المطرف بن عميرة	"أما الشامي، فهو باق محفوظ بالمقصورة العظمى من الجامع الأموي من محروسة دمشق حرسها الله تعالى، وعمره بذكره، وقد عاينته هناك في صدر سنة سبع وتسعين وستمائة، كما عاينت المكي أواخر سنة ست وتسعين وهو في قبة اليهودية. وإني اختبرت الذي بالمدينة، والذي عندنا بالمغرب، وهو الذي كان بالأندلس فألقيت خطهما سواء ولا يشك في أنه أحد المصاحف العثمانية" <sup>(1)</sup>
167 / 1	بحذاء ذكر المعتضد، في ترجمة أبي المطرف بن عميرة	"قرأت بخط أبي علي بن منصور الجنب قال: سمعت الكاتب أبا الحسن الرعيبي يقول: لما أراد المعتضد التوجه في الحركة التي قتل فيها، اجتمع إليه أهله وأولاده للوداع، فدعوا له بأن يرده إليهم سالما فكان من قوله لهم: "والله لا رأيتوني هنا أبدا" قال وأعجب من ذا الذي أن علي بن عبد الله المغيلي كان يقول " وصل إلى بربري من أهل آزمور في الحركة التي مات المعتضد برقة قديمة فيها مكتوب بخط قدم: يقتل الملك الأحمر البربري الأشر. فكان الذي خرج إليه من الحصن الذي تحصن فيه يغمراسن وهو تامزردكت رجلا أشر. قال: وكان يقال: " من النوادر موت المعتضد وحده وكان جيشه نحو مائة وعشرين ألفا " <sup>(2)</sup> .

على أهمية النتائج التي توصلت إليها في هذه المرحلة، والمتعلقة بتاريخ حياة ابن مرزوق لنسخة "الذيل والتكملة" برواية التجيبي في مدينة تونس، يبقى الإشكال قائما حول محتوى صيغة التملك التي كتبها ابن مرزوق بخطه، على ورقة العنوان في السفر السادس من النسخة المحفوظة بالمكتبة الوطنية الفرنسية، المنوه بها سابقا، والتي نقرأ فيها صراحة عبارات تشير إلى حالة الاسترجاع ممن صارت إليه هذه النسخة، بعداء وغضب بالثمن، وهو الأمر الذي يفهم منه، أن ابن مرزوق كان يملك هذه النسخة النفيسة في وقت سابق، ثم ضاعت منه لأسباب مجهولة، حيث وقعت في حيازة أحدهم، ثم تمكن بعدها ابن مرزوق من استرجاعها مرة ثانية

(1) - المصدر نفسه، ص 459.

(2) - المصدر نفسه، ص 462-463.



بالثمن، وهنا ترد علي الكثير من الأسئلة، تدور حول إشكالية جوهرية، أجملها على النحو التالي:

أثبت أنفا، أن ابن مرزوق كان يملك نسخته هذه على الأقل سنوات 771- 772 هـ/ 1369- 1371 م، فهل العبارات المقيدة أسفل العنوان، تشير إلى أن ابن مرزوق قد تعرّف على هذه النسخة، في وقت سابق سنوات تواجهه بالبلاط المريني، قد يكون ذلك بالحاضرة المرينية فاس أو حتى في مدينة سبتة التي زارها سنوات خدمته ببلاط السلطان أبو الحسن؟ وهل يمكن أن نربط ملابسات ضياعها منه بإحدى مراحل حياته الحرجة، خصوصا سنوات النكبة التي تعرض لها في البلاط المريني خلال سنة 762 هـ/ 1361 م، وقد تمّ على إثرها مصادرة ممتلكاته الخاصة بما فيها دواوين كتبه؟ وهل يرفع هذا من احتمالية أن تكون نسخته من "الذيل والتكملة" ضمن قائمة الكتب المصادرة منه سنة 762 هـ/ 1361 م؟ أم أن نسخة "الذيل والتكملة" كانت إحدى مقتنيات ابن مرزوق النفيسة التي جلبها معه إلى تونس سنة 765 هـ/ 1363 م، ولأسباب مجهولة ضاعت منه بعد ذلك، لتقع في يد مطالعها أواخر سنة 768 هـ/ 1367 م؟

في ظل ضعف الأدلة التاريخية المتحصل عليها في الوقت الحالي، تبقى الكثير من الاحتمالات مفتوحة أمامي، وما يمكنني التنبيه إليه في هذا الخصوص، أن ابن مرزوق كان على معرفة أكيدة بكتاب ابن عبد الملك المراكشي، قبل وصوله إلى مدينة تونس سنة 765 هـ/ 1364 م، الأمر الذي أجده ماثلا في تلك الإحالات الثلاثة إلى "الذيل والتكملة"، التي تضمنها كتابه الموسوم بـ "المناقب المرزوقية"، والمتعلقة بتراجم ثلاث شخصيات<sup>(1)</sup>، خصوصا أن ما نعرفه عن "مناقب ابن مرزوق"، قد أنهى الاشتغال عليه أوائل سنة 763 هـ/ 1361 م، حيث كان لا يزال متواجدا بمدينة فاس.

وعلى أهمية هذه الإشارة التي تؤكد على إطلاع ابن مرزوق على إحدى نسخ "الذيل والتكملة"، في السنتين الأخيرتين من تواجهه بمدينة فاس، إلا أنه من المجازفة بما كان، القول أن النسخة التي عوّل عليها في تحرير بعض تراجم "المناقب المرزوقية" مدة إقامته بفاس، هي نفسها

(1) - يتعلق الأمر هنا بترجمة أبي محمد الملقبي، وأبي عبد الله محمد بن رشيد البغدادي، وأبي العيش محمد الخزرجي. أنظر: ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص ص 171، 181، 184.

نسخة الكتاب التي عليها استدراكات التحجبي النفيسة، التي عوّل عليها في تحرير بعض فصول "المسند" أثناء تواجده بتونس، وما يزيد الأمور تعقيدا في هذا الشأن، أن التراجم الثلاث المشار إليها في "المناقب المرزوقية"، هي مع الأسف تقع في الأجزاء المفقودة من نسخة "الذيل والتكملة" النفيسة<sup>(1)</sup>، ومع ذلك يبقى هناك الاحتمال قائما في كونها نسخة واحدة، وهي النسخة التي عليها استدراكات التحجبي، كانت في حيازة ابن مرزوق أثناء تواجده بفاس ثم ضاعت منه بمدينة تونس لأسباب مجهولة، وقد وقعت تحت نظر مطالعها الخرجي، ليسترجعها ابن مرزوق من جديد بالمدينة ذاتها، ويعتمدها في كتابة بعض فصول مسنده، وهو الاستنتاج الذي يتماشى على العموم مع ما قيده ابن مرزوق بخطه على ورقة عنوان السفر السادس من نسخة "الذيل والتكملة" المحفوظة بالمكتبة الوطنية الفرنسية، المشار إليها سابقا.

إن غياب معطيات كوديكولوجية حاسمة، ترافق ذلك مع ضياع ما مقداره سبعة أسفار من نسخة "الذيل والتكملة" النفيسة، قد فتح المجال لبعض الاحتمالات والافتراضات، التي على الرغم من أهميتها تبقى تفتقد إلى أدلة تاريخية قاطعة، قد تميظ اللثام عن بعض المراحل التاريخية التي نجعلها حول ملابسات انتقال هذه النسخة النفيسة، من يد شخص إلى آخر، ومن حاضرة إلى أخرى خلال القرن 8 هـ / 14 م، وما يزيد من صعوبة عملية التقصي، أن ابن مرزوق مالك النسخة، يصرح في مسنده بمعاينته لطرة ثانية في شأن المصحف العثماني، مكتوبة بخط مغاير لخط التحجبي، وتقع مباشرة تحت طرة التحجبي المنوه بها آنفا، وهو خط صديقه الفقيه أبي عبد الله المقرئ (ت 759 هـ / 1357 م)<sup>(2)</sup>، ما يعني أن هذه النسخة النفيسة، قد عاينها المقرئ المذكور قبل معاينة ابن مرزوق لها، ومن المحتمل أن يكون ذلك قد تم في الحاضرة المرينية فاس.

(1) - حول الشخصيات الثلاثة المنوه بها أعلاه. أنظر: ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، 1/ 178. 8 / 274 - 280، 516.

(2) - أنظر: ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 463. وقد صرح ابن مرزوق بمضمونها في المسند على النحو التالي "وقرأت عقب هذا بخط صاحبنا الفقيه القاضي أبي عبد الله المقرئ ما نصه: يقول محمد المقرئ: حدثني الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق (يعني عمي شقيق والدي)، الشيخ بالعباد أن أبا الحسن المعتضد (وهو السعيد)، كان شبيها للسلطان أبي الحسن في الصفة وموافقة الاسم، فكان يقول أصاب بنو عبد الوادي أبا الحسن عليا (يعني السعيد) فملكوا، وأصاهم أبو الحسن علي أمير المسلمين فهلكوا، فسبحان من جرى حكمه وحكمته في كل شيء".

ومهما يكن حول ملابسات انتقال هذه النسخة، فالمؤكد أن نسخة "الذيل والتكملة" برواية أبي القاسم التجيبي، كانت إحدى أهم نسخ الكتاب المتداولة بين أعلام المغرب خلال القرن 8 هـ/ 14 م، وقد أثبتت الطرر والفقرات المقيدة في بدايتها ونهايتها وحواشيتها ناهيك عن شهادة ابن مرزوق، أنها كانت على الأقل تحت نظر أربعة شخصيات علمية من المهتمين بتراجم رواة العلم، وهم:

1 - أبو القاسم التجيبي، صاحب الاستدراكات المقيدة على حواشي نسخته.

2 - أبو عبد الله المقري، أحد الأشخاص المطلعين على النسخة، وكتب تعليقا على حاشيتها.

3 - ابن مرزوق الخطيب، مالك النسخة.

4 - محمد بن إبراهيم الخزرجي، أحد الأشخاص المطلعين على النسخة.

يستمر الغموض الذي يكتنف مسار انتقال هذه النسخة النفيسة، التي شقت طريقها إلى المشرق واستقرت بالبلاد المصرية، ومن المحتمل أن يكون ذلك قد حدث في أثناء مغادرة مالكة ابن مرزوق لبلاد المغرب سنة 773 هـ/ 1371 م، واستقراره بشكل نهائي في مدينة القاهرة، لقد تعرف الجمهور المشرقي على كتاب "الذيل والتكملة"، حيث تمكن بعض أعلام القرنين 8-9 هـ/ 14-15 م، من الاعتماد على إحدى نسخه في تحرير تراجمهم المغربية، فالكتاب هو أحد المصادر التي عوّل عليها ابن فرحون في ديباجه<sup>(1)</sup>، الذي فرغ منه في شهر شعبان 761 هـ/ جوان - جولية 1359 م<sup>(2)</sup>، ما يعني أن ابن فرحون قد استفاد من إحدى نسخ "الذيل والتكملة"، التي وصلت إلى البلاد المشرقية قبل وصول نسخة ابن مرزوق الخطيب، وإن كنت في الوقت الحالي لا أعرف هوية النسخة التي استفاد منها ابن فرحون في تلك المرحلة المتقدمة، لكن المؤكد أن طريق الحج الذي كان أحد أنشط طرق انتقال النسخ المغربية إلى البلاد الحجازية، كان خلف ذلك الانتشار، وبخصوص النسخة التي اطلع عليها القاهريان

<sup>(1)</sup> - صرح ابن فرحون، مصدر سابق، 1/ 344. بالنقل من ذيل ابن عبد الملك المراكشي في الترجمة التي خصصها للفقير سهل بن محمد بن سهل بن مالك الأزدي (ت 639 هـ/ 1239 م)، وقد وردت ترجمته في كتاب الذيل والتكملة في السفر 4/ 101-124.

<sup>(2)</sup> - كتب ذلك في نهاية كتابه، أنظر: ابن فرحون، مصدر سابق، 2/ 302.

السخاوي<sup>(1)</sup>، والسيوطي<sup>(2)</sup>، خلال القرن 9 هـ / 15 م، فكلتاهما تقعان في تسعة أسفار<sup>(3)</sup> وهي توافق في تجزئتها مع تجزئة نسخة ابن مرزوق المنوه بها.

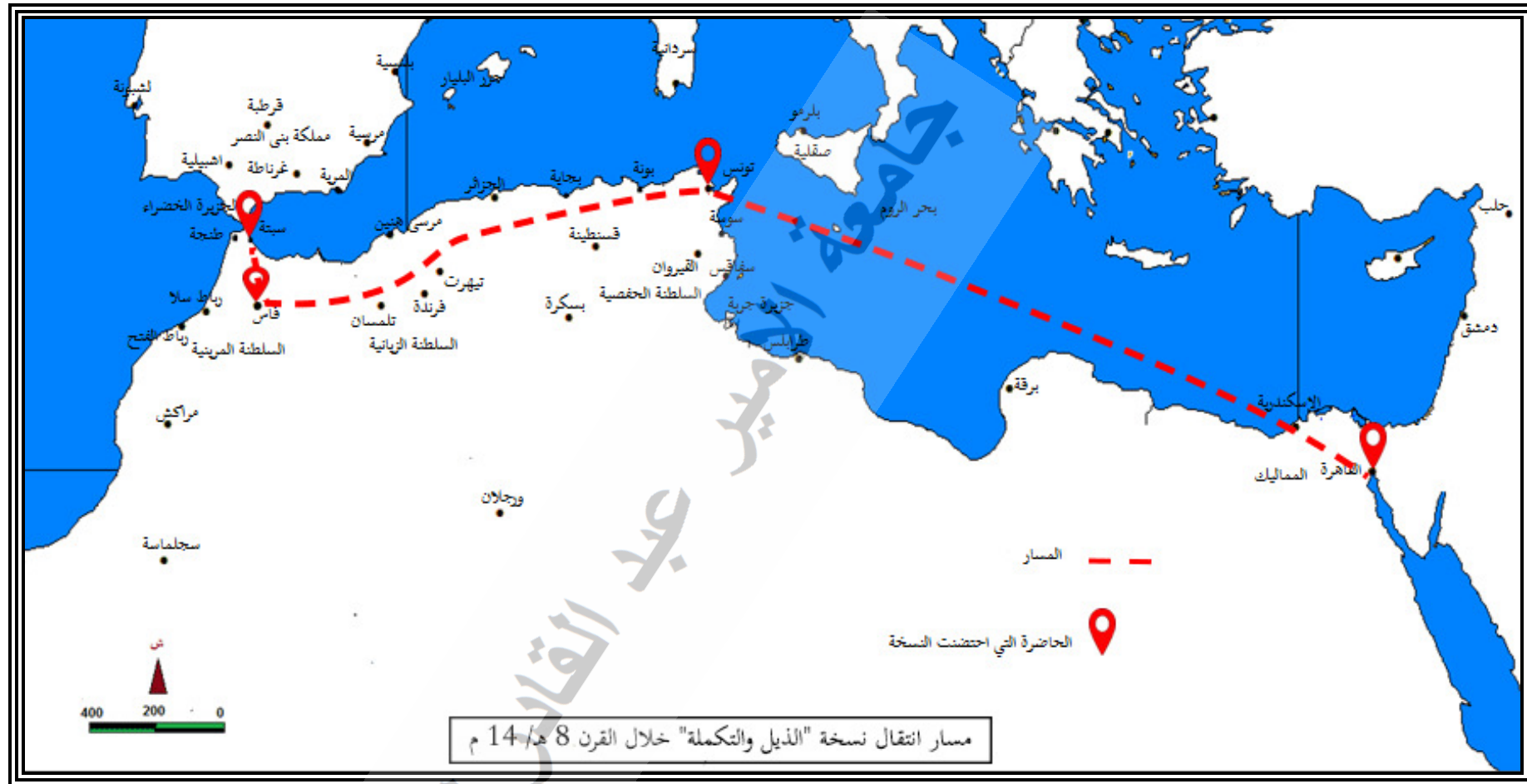
وفي الأخير فمن دون شك ضياع أجزاء كثيرة من هذه النسخة النفيسة، وانقسام الجزء المتبقين منها الخامس والسادس، بين دار الكتب المصرية، والمكتبة الوطنية الفرنسية، هو حتما يشير إلى حالة التشتت والتمزق التي تعرضت لها عبر الكثير من مراحلها التاريخية، ومع ذلك يبقى الأمل معقود في العثور على باقي أجزائها المفقود، والتي من شأنها تعميق فهمنا للكثير من القضايا التاريخية التي طرحتها للنقاش، وربما إعادة النظر في بعض النتائج التي توصلت إليها، وتقديم إجابات حاسمة حيال البعض الآخر، ولتوضيح المسار الذي انتقلت عبره نسخة "الذيل والتكملة" استنادا إلى المعلومات التاريخية والكوديكولوجية الآنفة، أنجزت الخريطة التالية:

---

(1) - تحدث السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص ص 210، 237. على إطلاعه على نسخة "الذيل والتكملة" في عدة مجلدات، وفي موضع ثان صرح بانجازه "تكملة" على الجزء الخامس من أصل تسعة مجلدات من نسخة "الذيل والتكملة".

(2) - بغية الوعاة، 4/1.

(3) - يتحدث الحسن الوزان، مصدر سابق، 1/135. عن معاينته لنسخة "الذيل والتكملة"، تقع في سبعة أسفار لكنه لا يشير إلى مكان معاينته لها.



في ختام هذا الفصل الذي ناقشت فيه بعض المسائل الحساسة المتعلقة بعملية نسخ المخطوط التاريخي في نهاية العصر الوسيط، يبقى علي لفت الانتباه إلى أحد القضايا الشائكة والمتعلقة بنوعية الورق<sup>(1)</sup> المتداول بين أيدي نساخ المغرب في تلك المرحلة الحساسة، باعتباره الوعاء الأساسي الذي كتبت عليه المصنفات التاريخية المعنية بالدراسة، فبالاستناد إلى ما كشفت عنه إحدى النوازل الواردة على الفقيه التلمساني ابن مرزوق الحفيد (ت 842 هـ / 1438 م)، والمتعلقة بجواز استخدام الكاغد الرومي في عملية النسخ<sup>(2)</sup>، يفيد مضمونها بحدوث تغير كبير في سوق بيع الورق ببلاد المغرب، أقله في النصف الأول من القرن 9 هـ / 15 م، كان من أبرز تجلياته، انتشار "الكاغد الرومي" المصنع خارج بلاد الإسلام<sup>(3)</sup>، في مقابل انحصار الورق "البلدي" المصنع في حواضر المغرب<sup>(4)</sup>، هذا التغير الواضح في سوق الوراقين في تلك المرحلة المتأخرة، من شأنه التأثير بشكل مباشر على سعر بيع الورق، الأمر الذي سوف يكون له تداعياته كذلك على وتيرة إنتاج النسخ، ناهيك عن مستوى تداولها بين جمهور المهتمين بالكتاب التاريخي، وبلا شك دراسة هذا السوق وأهم العناصر الفاعلة فيه، سوف يقدم الكثير

(1) - أنجزت الكثير من الدراسات حول الوراقة في الحضارة الإسلامية خلال المرحلة الوسيطة، أشير إلى البعض منها: حبيب الزيات: "الورق والوراقون في الإسلام"، الوراقة وصناعة الكتابة ومعجم السفن، اعتناء غادة يوسف خوري، دار الحمراء، بيروت، 1992 م. محمد المنوني: تاريخ الوراقة المغربية، كلية الآداب جامعة محمد الخامس، الرباط، 1991 م. الكسناني أحمد بوزيد: "من تاريخ الوراقة بمنطقة السوس"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 21-22، (1998)، ص 97-142. مسعد سامية مصطفى: الوراقة والوراقون في الأندلس من عصر الخلافة حتى نهاية عصر الموحدين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2000 م. عابد سليمان المشوخي: "أخلاقيات مهنة الوراقة في الحضارة الإسلامية"، مجلة جامعة الملك سعود، مج 15، 2 (2003)، ص 417-478. محمد صاحبي: "الورق والوراقون وأثرهما في ظهور خزائن المخطوطات"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، 1، (2003)، ص 119-137.

(2) - حول هذه النازلة ألف الفقيه ابن مرزوق رسالته الموسومة بـ "الدليل المومي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي"، وقد أثبتها الونشريسي في معياره. حولها أنظر: الونشريسي، المعيار، 1/ 85-104.

(3) - يطلق عليه اسم الورق الأوروبي، يجلب من مدينة البندقية الإيطالية، كما توجد عليه علامة مائية (Filigrane)، غالبا ما تكون رمزا من رموز المسيحية على شكل رأس ثور، ولكن الورق الذي يصدر للبلاد الإسلامية يحمل رمز الهلال. لمزيد من التفصيل أنظر: أحمد شوقي بنين، مرجع سابق، 104-105..

(4) - ازدهرت صناعة الوراقة في الحواضر الأندلسية منذ مراحل مبكرة، وقد أشاد بذلك الرحالة المقدسي (ت 387 هـ / 997 م) بقوله "أهل الأندلس أحذق الناس في الوراقة". أنظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، 3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص 239. كذلك نوه الإدريسي بالورق المصنع في "شاطبة"، والمشتهر بـ "الورق الشاطبي"، بقوله "يعمل بها الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض ويعم المشارق والمغرب". الإدريسي، مصدر سابق، 2/ 556.

من التفاصيل المهمة، للمهتمين بقضايا نسخ المخطوط المغربي في نهاية العصر الوسيط، وربما التوصل إلى نتائج جديدة بالاهتمام حيال سعر نسخ بعض المصنفات التاريخية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الخاتمة

جامعة الأمير  
عبد العزيز  
للعلوم الإسلامية



وفي ختام دراستي لمكانة التاريخ في الحقول المعرفية في بلاد المغرب في نهاية العصر الوسيط (8-10 هـ/ 14-16 م)، توصلت إلى نتائج مهمة أجملها في النقاط التالية:

من الصعوبة بما كان تجاهل الحديث عن ذلك الشغف الكبير الذي أبداه حكام البلاط في مغرب ما بعد الموحدين، في سعيهم الدائم للحصول على مزيد من المكاسب المعنوية، خصوصا تلك التي تسمح لهم بتقوية وتدعيم نفوذهم السياسي على الأقل بين الدوائر القريبة من البلاط، وخلالها كان ديوان الإنشاء أحد الدواوين السلطانية، التي قدمت نماذج متميزة من فئة الكتاب من ذوي العناية بالخبر التاريخي، هذه الشخصيات الديوانية التي امتلكت كفاءات ومهارات في الجمع والتحرير، قد أبدت مرونة كافية في الدفع باتجاه العناية بتاريخ السلالة الحاكمة في نهاية المرحلة الوسيطة، الأمر الذي كان أثره واضحا في تزايد مستوى النقاش المثار حول أصول الجماعات الزناتية بشكل لافت في أعمالهم الإخبارية، أين جرى ربط فروعها بالأصول العربية، وتطورت في بعض محطاتها المهمة لتصل إلى مستوى الحديث عن الأصول الشريفة لهذه الفروع الزناتية.

وبصرف النظر عن مدى نجاح هذا الخطاب التاريخي الموجه، في تقديم صورة مثالية حول تاريخ السلالة الحاكمة، والترويج لبطولاتها الحربية، ومنجزاتها العمرانية، في مقابل التغاضي عن إخفاقاتها العسكرية وتراخي سلطتها في مرحلة جد حساسة، إلا أن عملية التدوين التاريخي في بلاد المغرب، تدين بالكثير لذلك الخطاب التمجيدي، الذي انتعش في نهاية المرحلة الوسيطة، والغير بريء من صبغته الإيديولوجية، فمن خلاله دونت أعمال إخبارية مهمة ليس في الوسع تجاهلها، وهي الأعمال السلالاتية التي وصلتنا اليوم، والمعول عليها في إعادة تدوين تاريخ المغرب الوسيط.

بعيدا عن مجتمع البلاط، ازدهر أحد أهم الأنماط التاريخية التقليدية المعروفة، والتي تعنى بتراجم الأشخاص في شكل طبقات "البروسبوغرافيا"، حيث تكون سيرة الفرد جزءا لا يتجزأ من الوسط الذي ينتمي إليه، وهو التيار التاريخي الأكثر جذبا للمجموعات الدينية من طبقة فقهاء المالكية ذات النفوذ المتعاضم في مغرب ما بعد الموحدين، يضاف إليها فئة الزهاد والمتصوفة التي استطاعت أن تحجز لها مكانة مهمة في تلك المرحلة الحرجة، وبالموازاة مع هذا الصنف التأليفي الذي يخدم تاريخ المجموعة، ارتفع وبشكل كبير الاهتمام بسيرة الفرد باعتباره

"نموذجاً مثالياً"، وهو "التاريخ البيوغرافي"، ويبدو أن حالة الإخفاق والانكسار الشديد الذي هز طرفي العالم الإسلامي في نهاية القرون الوسطى بما فيه بلاد المغرب، قد دفع باتجاه البحث عميقاً عن نماذج مثالية خارج مجتمع البلاط، ذات التأثير الكبير، والأفعال والحلول الخارقة، فخلال تلك المرحلة الحرجة، أعطيت مكانة كبيرة للفرد، وأصبح التاريخ البيوغرافي في وضعية جيدة بين المهتمين بسيرة الفقهاء والزهاد والمتصوفة على وجه الخصوص، وأنتج في ذلك الخط أعمال كثيرة عرفت بكتب المناقب.

في ظل تدهور الأوضاع العامة للعالم الإسلامي في نهاية القرون الوسطى، ومع تفكك وحدته السياسية بتهوي نظام الخلافة التوحيدي، تراجع مستوى تدوين التاريخ الجامع الذي مثلّ لمدة ليست بالقصيرة رمزا للسلطة المركزية إلى مستوياته الدنيا، كان ذلك لصالح التواريخ القطرية، هذا الخط التاريخي المحلي، قد حقق انتشاراً مهماً بين باقي أنماط التدوين التاريخي في نهاية العصر الوسيط، وكانت معانقته لخط التراجم، الدور الإيجابي في جلب جمهور المهتمين بتراجم أعلام المدن المغربية، وبات في الوسع الحصول على مصنفات في تراجم أعلام حواضره البارزة.

وبخصوص مكانة المعارف التاريخية في تصانيف العلوم الإسلامية، فعلى المدى البعيد احتلت مواد الشريعة مكانة أساسية في تلك التصانيف، في مقابل المكانة المحتشمة التي حازت عليها المواد التاريخية، وقد اعتبرت بعض فروعها أحد العلوم المساعدة لعلم الحديث لارتباطها بشخص الرسول، بينما أقصيت تلك الموضوعات التاريخية التي ابتعدت عن علوم الشريعة، وبات الاشتغال بها مرهون بمدى تحقيقها لفوائد دينية ودينية، إن هذه النظرة التقليدية التي خضعت لها المعرفة التاريخية على امتداد المرحلة الوسيطة، وإن أسهمت في اشتغال علماء الحديث بالسيرة النبوية وتراجم الرجال، والترويج لتلك المواد داخل الحلقة، إلا أنها كذلك قد قطعت الطريق أمام تداول باقي أنماط المعرفة التاريخية في الحلقة، كما جاءت معالجتهم لتواريخ الشعوب الغير إسلامية باهتة وغير مجدية في كثير من الأحيان.

لقد تمت عملية تلقين المعارف التاريخية بشكل واسع في مجالس إلقاء الشيوخ، في كبريات حواضر المغرب الإسلامي في نهاية العصر الوسيط، حيث اعتمدت على طرق التحمل المعروفة التي ضبطها علماء الحديث (السماع - القراءة - الإملاء - الإجازة - المناولة)، وخلالها كان

التعويل على طريقة السماع والمشاهدة "القراءة بصوت مسموع" في تلقين الدواوين الكثيرة، كما كشفت كتب البرامج وفهارس الشيوخ عن طبيعة المصنفات التاريخية المتداولة في الحلقة، حيث تراجع مستوى تداول المصنفات المشرقية، التي لا طالما احتفظت بمكانتها المرموقة في حلقة شيوخ المغرب، وبات وجودها مقتصرًا على بعض دواوين السيرة النبوية، يبدو أن حالة التمزق والتفكك التي هزت الحواضر المشرقية في تلك المرحلة الحرجة، قد ألفت بضلالها الثقيلة في تدي مستوى تداول تلك المصنفات في بلاد المغرب.

مع تراجع دور القيروان الحضاري، وتراخي نفوذها الروحي في مغرب نهاية العصر الوسيط، قابله ذلك انتعاش عديد الحواضر العلمية المغربية، التي تلقت وعبر مراحل متتالية أعدادا كبيرة من الشيوخ الأندلسيين من ذوي الكفاءة العالية في الخبر التاريخي، أسهمت تلك العناصر النشطة بشكل لافت في الترويج للمصنفات التاريخية الأندلسية، في مقابل الحضور الباهت للتيار التاريخي المحلي، تجلى ذلك في ضعف تداول المصنفات المغربية داخل حلقة الشيوخ.

وبخصوص قضايا نسخ المؤلفات التاريخية في بلاد المغرب في نهاية العصر الوسيط، فتبدو الأمور أكثر تعقيدا وصعوبة، كما تحمل في ثناياها الكثير من المحاذير، ومع أنه ليس بوسعي الآن معرفة قدرا كبيرا من المعلومات، بشأن كيفية انتقال العديد من النسخ التاريخية في الحواضر المغربية، وإدراك مدى استجابة جمهور المهتمين بالخبر التاريخي لتلك النسخ الصادرة في نهاية المرحلة الوسيطة، إلا أن المعطيات الكوديكولوجية المهمة، التي وصلتنا مقيدة على بعض نسخها، قد كشفت النقاب عن عديد القضايا الجوهرية والحاسمة في هذا الخصوص، وبات بإمكاننا تقديم قراءة تاريخية كوديكولوجية مهمة حول إشكالية تاريخ بعض النصوص الإخبارية، وانتقال نسخها في بلاد المغرب في نهاية العصر الوسيط.

نشطت عملية نسخ المؤلفات التاريخية خلال القرن 8-10 هـ/ 14-16 م، انطلاقا من المكان الذي شهد إطلاق أولى نسخ الكتاب "مبيضة المؤلف"، ليرتفع عدد نسخه في الأوساط العلمية القريبة من المصنف، وبشكل لافت بين أيدي التلامذة، هذه الفئة قد تداولت أصولا تاريخية نفيسة، سوف تصبح فيما بعد أصولا معتمدة في إصدار نسخ فرعية عنها، لكن ضياع الكثير من هذه الأصول التاريخية، قد فوت على المهتمين بقضايا المخطوط التاريخي، فرصة مراقبة طرق تداوله وطبيعة الأوساط العلمية التي انتشر بينها، ناهيك عن أماكن حفظه، ومع

ذلك فعينات النسخ التاريخية التي شملتها دراستي، قد سلط الضوء على تداول بعض نسخ السيرة النبوية وكتب التراجم والطبقات في كبريات الحواضر المغربية (سبتة، وفاس، وتلمسان، وبجاية، وتونس).

الانتشار الكبير الذي حققته كتب السيرة النبوية بين مواد التلقين في الحلقة، قد رافقه كذلك وجود هذه المصنفات على رأس قوائم النسخ التاريخية الأكثر رواجاً في عملية النسخ في بلاد المغرب، وخلالها استطاع كتاب "الشفاء" للقاضي عياض، أن يحقق أرقاماً مرتفعة جداً في عدد نسخه التي وصلتنا اليوم، كنتيجة حتمية لاستمرار تداوله على نطاق واسع إلى وقت متأخر من المرحلة الوسيطة، أين يمكن العثور عليه في خزائن السلاطين، والخزائن الملحقة بالجامع والمدارس، وفي حيازة أعلام المغرب من طبقة الفقهاء والمحدثين، والمتصوفة.

وفي الأخير يبقى هذا الموضوع مفتوحاً أمام الباحثين المهتمين بدراسة قضايا المعرفة التاريخية في بلاد المغرب الوسيط، ومتابعة أهم التحولات المفصلية التي شهدتها خلال مسارها الطويل، وذلك بتوظيف وثائق مصدرية جديدة، وخاصة كتب البرامج وفهارس الشيوخ التي لا يزال الكثير منها مخطوطاً، واستخراج مزيداً من مخرجات النصوص المخطوطة (الإجازات- السماعات- التملكات- المطالعة- حرود المتن)، التي من شأنها إثراء معلوماتنا، وتعميق فهمنا حول تاريخ النصوص الإخبارية وانتقال نسخها في بلاد المغرب في نهاية العصر الوسيط.

# الملاحق

جامعة الأمير  
القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم (01):

الطرة المقيدة على نسخة "بغية الرواد" المحفوظة بالمكتبة الوطنية الفرنسية تحت رقم (5752) (Arabe)، تتضمن تفاصيل مهمة عن زلزلة الجزائر سنة 766 هـ / 1365 م

كتب الناسخ ما يلي:

"قف. قال ناسخه اطلعت على تفاصيل ما أجمله المؤلف في شأن هذه الزلزلة في رحلة لأحد طلبة برشك وقد دخل الجزائر في ذلك التاريخ، وصادف وقوع هذه الزلزلة ونص محل الحاجة منها، وتزلزلت في ليلة السبت عاشر شهر ربيع الثاني أو حادي عشرة لاختلاف الناس في ذلك الشهر بعد صلاة المغرب من سنة ست وستين وسبعماية، وسقط منها جملة وافرة، وتهدمت منها مساجد ودكاكين، وجاء الهدم على كثير من صورها، ومات بها كثير من الخلق ومنهم من بقي تحت الهدم ..... فسبحان الله فعال لما يريد، واني حضرت بالجزائر ليلة هذه الزلزلة بجوار من حارة الجنان من باب الواد بما شاهدت عجائب لا يسعها الكتب، وسمعت أمر امرأة في أثناء الليل، وقد سألتها رجل عن حالها فقالت: أما أختي معي وابنتي في يدي وإذا بي في الدار من موضع إلى موضع إلى أن سقط علي موضع من الدار فأخذ أختي وسلمت أنا ثم إن موضعا آخر سقط فما أمكنتني إلا أن رميت ابنتي من يدي ... منها ولأسلم، وكنت إنما أهرب أولا طلبا لسلامة ابنتي ولما حضر الحق ألقيت ابنتي للردوم ونجوت بنفسي، فذكرت بها أمر المرأة التي كانت تهرب بولدها في الطوفان إلى أن غلب عليها فألقته تحت رجلها لتعلو فغرقا إلا أن هذه سلمت بذاتها وماتوا سواها، وذكر لي أن أحد الطلبة العدول قال: عددت أربعمائة وستة وسبعين زلزلة تلك الليلة ودام تزلزلها أعواما لكن من غير أن يتهدم شيء ما عدا الليلة المذكورة

قال ناسخه: وفي ضحوة يوم الاثنين تاسع صفر من عام ثمانية وعشرين وألف ومائة كانت أيضا بالجزائر زلزلة عظيمة .. أوقعت كثيرا من بنائها، وأثرت في مسجدها الأعظم أثرا قويا خصوصا أبراج .. فان لله وإنا إليه راجعون وخرج الناس من المدينة وخيموا بالمقابر وبعضهم خرج إلى البساتين بعض بها، ووافق ذلك من الأشهر العجمية شهر يناير فلا تسأل عما لقي الناس من كرب الشتاء وألم البرد واستمرت الزلزلة ذلك اليوم كله واللييلة القابلة وتمادت نحو أربعة وعشرين يوما ثم أن الناس لما أضر بهم البرد، وكاد يغرقهم طوفان المطر، ثم تراجعوا إلى المدينة مستسلمين لأمر الواحد القهار، فلما كان نصف اللييلة الثالثة من شهر ربيع الأول من التاريخ المتقدم صادمتهم زلزلة أخرى طاشت منها العقول واقشعرت منها الأبدان وعم بها الفزع وتلتها أخريات فلم ينفلق بمحمود صباحها إلا والناس على قدر الفرار ثاني .. فمكثوا نحو العشرين يوما وهي .. خصوصا بالليل، والله يحكم لا معقب لحكمه ونرجو منه سبحانه وتعالى أنه عفا عنا وعاملنا بلطفه وتفضله.. رحيم ودود ووقع كتب هذه الحاشية سادس ربيع الثاني عام 1128".

واليك صورة هذه الحاشية.

شطت باجباينا الريبار • جلا فرار ولا منام  
 يلا مبرج البكا، كعنى • بافته لوكثر الملام

في العشر من شهر ربيع الثاني كانت القوزلة العظمى بالجزار نعدت باثنتي عشرة يوما من العظمى...  
 حركة لترويح نظر المغرب وإفهام ثمار البقعة بارجاهه يخرج إلى محله المنصرفة بالاعتية يوم السبت...  
 فبينا ونحن يدينا صرحا جلا وبرجنا من خيال يان زد كحور حصانته وكان يخرج من القوزلة على شية تين...  
 رية تباريد يدينا واغارت هرايه خيله التي تازم كذا جلا وميتا ويرت بقمل ال سدا ورتب العمار وهم العفار وغرا على حاضر...  
 لله اعز بالله رابع شوال تخيم بالاعتية وهاهنا بنية السنة وايامها من تخيم وخال مخاطبا الزبير عزير الله المتعب يومين على ملك...  
 فبينا كلته هي فواله

السيف اجروا الخيول من خلف • فيما اللجاج وفول غير مستحب  
 خط الكتاب لاخط الكتاب بما • جليلة الام عن اسم وال غضب  
 والخيول من خلف تسار بعش خض • والصرا والجلال الود عن كتي الكتاب  
 ومغرا السيف في كيم عارفة • جليعب يور كهاين جرد لرب  
 فكم نامل امرا ليس تفر كره • غيظ الكهول وك ترمع على تصبا  
 فرخت من جوارح اسر كورة • وتلك عا دتغ في سالفه الخيف  
 وكم نجيب الازميل الغير مسبرورا • واربع عود لم يوم الجب لم نجيب  
 جانص الي الحب مير لانا تشيب له • صرد الزوايب ير الحب والحب  
 فرمت طابرك المشؤوم ار له • لا جلا ظم في منزل خرب  
 اخطاطه رايو مر خايت روايته • حتى فتمت الذي مر عن ما سبب  
 تخوض جوار لا تخشى عوا جبه • وليس تسلط الخيل بها ليجب  
 عانرت وعك من عطاه خالفه • ومما علمه في الذكر والكتب  
 ومربعا نزل الله معشر ضا • بحسب من حصص في عي العقب  
 الخيم المر والظهار يصنع • او جوب الم والرهاب لم ييب  
 كم غاصب فيلكم فوعاد متبها • وطالب خاب والمطلوب لم نجيب  
 مر اجماع راكنا اجماع ولا • ويجوا اماسا جناح في الحرب  
 كم راع غيركم مار متوى جسا • فالوهم وانقلوا جوسو، منقلب  
 حرم على الله في احكامه ولفر • فطعم الريبير اللهب والعب  
 هتكت ستر مريد طال ما ستروا • فقلت ما لكم غورا بلا صيب  
 تعرا جارة اخلت دارهم • ولم ترع لبيس املاط مر عيب  
 جلا فيهما ما فركا من لعب • شمي ازارك جاء الخو وارقيب  
 لهاد عوت على بعدا جيت لك • وفرد عوتنا لم وفرد بل نجيب  
 وفرد عصفت بعور الله متك لا • على له ومو يور جوي لم نجيب  
 بعسكر ليج ضاوا العضا، به • كالبحر اعلم به معسكر ليج  
 عرمم زاخر ضافت مرا كيه • كانه معجب اريت على معجب

في العلم

بساتينها

داصت

1128

ورقة (49) من نسخة "بغية الرواد" المحفوظة بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس تحت رقم (Arabe 5752)

ملحق رقم: (02):

نص إهداء ابن خلدون لنسخة "العبر" إلى خزانة السلطان الحفصي المستنصر اعتمادا على نسخة المتحف البريطاني تحت رقم (add 9574).

"وأتحفت بديوانها مقاصير إيوانها وأطلعت كوكبا في أفق خزانتها وصوانها ليكون آلة للعقلاء يهتدون بمناره ويعرفون فضل المدارك الإنسانية في آثاره وهي خزانة مولانا السلطان الإمام المجاهد الفاتح الماهد المتحلي منذ خلع التمام ولوث العمائم بحلى القانت الزاهد المتوشح من زكاء المناقب والحامد وكرم الشمائل والشواهد بأجمل القلائد في نحور الولايت المتناول بالعزم القوي الساعد والجد المواني المساعد والمجد الطارف والتالد ذوائب ملكهم الراسي القواعد الكرم المعالي والمصاعد جامع أشتات العلوم والفوائد وناظم شمل المعارف الشوارد ومظهر الآيات الربانية في فضل المدارك الإنسانية بفكره الثاقب الناقد ورأيه الصحيح المعاهد النير المذاهب والعقائد نور الله الواضح المرشد ونعمته العذبة الموارد ولطفه الكامن بالمرصد للشدائد ورحمته الكريمة المقالد التي وسعت صلاح الزمن الفاسد واستقامة المائد من الأحوال والعوائد وذهبت بالخطوب الأوائد وخلعت على الزمن رونق الشباب العائد وحمته التي لا يبطلها انكال الجاحد ولا شبهات المعاند، الخليفة أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين أبو العباس أحمد بن مولانا الأمير الطاهر المقدس أبي عبد الله محمد بن مولانا الخليفة المقدس أمير المؤمنين أبي يحيى أبي بكر ابن الخلفاء الراشدين من أئمة الموحدين الذين جددوا الدين ونهجوا السبل للمهتدين ومحو آثار البغاة المفسدين من الجسمة والمعتدين سلالة أبي حفص الفاروق والنبعة النامية على تلك المغارس الزاكية والعروق والنور المتألئ من تلك الأشعة والبروق، فأوردته من مودعها العلي بحيث مقر الهدى ورياض المعارف خصلة الندى وفضاء الأسرار الربانية فسيح المدى والإمامة الكريمة إنشاء الله بنظرها الشريف وفضلها الغني عن التعريف، تؤثر له العناية مهادا، وتفسح له في جانب القبول آمادا، فتوضح بها أدلة على رسوخه واشهادا، ففي سوقها تنفق بضائع الكتاب، وعلى حضرته تعكف ركائب العلوم والآداب ومن مدد بصائرنا المنيرة نتائج القرائح والألباب".

المصدر: ابن خلدون، المقدمة (تحقيق عبد السلام شداي)، 4/7-8.



ملحق رقم (03):

جدول تصنيف العلوم عند الفراءى من خلال كتابه "إحصاء العلوم".

الصفحة	أقسامه	الصف	الترتيب
12 - 9	علم الألفاظ المفردة - علم الألفاظ المركبة - علم قوانين الألفاظ المفردة - علم قوانين الألفاظ المركبة - علم قوانين تصحيح الكتابة - علم قوانين تصحيح القراءة - علم قوانين الأشعار	علوم اللسان	01
21 - 17	علم المعقولات - علم العبارة - علم القياس - علم البرهان - علم الجدل - علم الحكمة الموهمة - علم الخطابة - علم الشعر	علم المنطق	02
31 - 22	علم العدد - علم الهندسة - علم المناظر - علم النجوم - علم الموسيقى - علم الأثقال - علم الحيل	علم التعاليم	03
37 - 22	علم الطبيعة وأجزاؤه (السماع الطبيعي، النظر في السماء، الكون والفساد، الآثار العلوية، المعادن، النبات، الحيوان، النفس) - علم ما وراء الطبيعة وأجزاؤه (فحص الموجودات، فحص البراهين في العلوم النظرية، فحص الموجودات التي ليست بأجسام)	علم الطبيعة والعلم الإلهي (ما وراء الطبيعة)	04
43 - 38	العلم المدني (السياسة والأخلاق) - علم الفقه - علم الكلام	العلم المدني والفقه والكلام	05

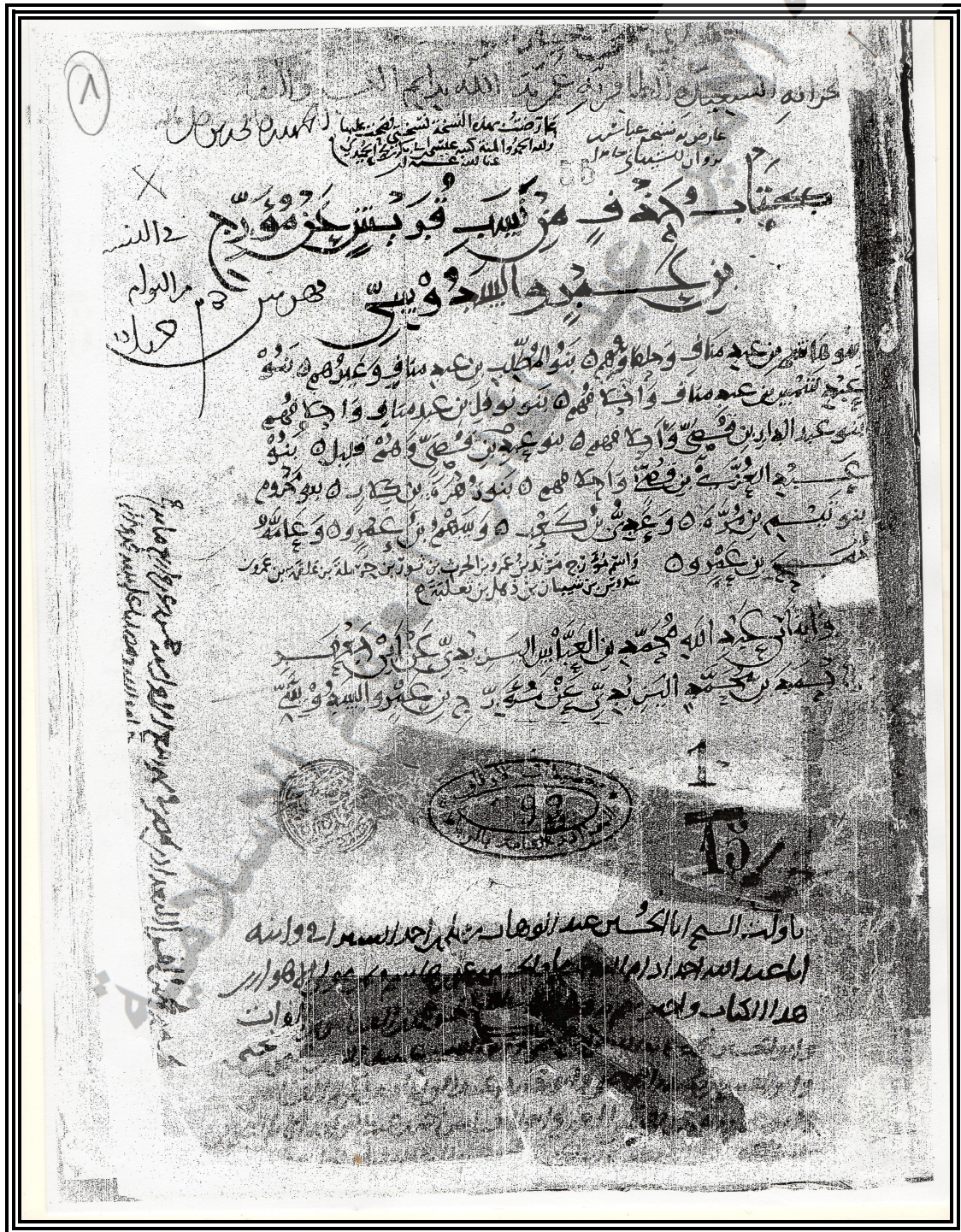
## جدول تصنيف العلوم في كتاب "الفهرست" لابن النديم.

ترتيب المقالة	موضوعها	فنونها
المقالة الأولى	غير معنونة	- في وصف لغات الأمم من العرب والعجم ونعوت أقلامها وأنواع خطوطها وأشكال كتاباتها - في أسماء كتب الشرائع المترلة على مذاهب المسلمين ومذهب أهلها - في نعت الكتب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تزييل حكيم حميد وأسماء الكتب المصنفة في علومه وأخبار القراء وأسماء رواتهم والشواذ من قرأهم
المقالة الثانية	في النحويين واللغويين	- في ابتداء النحو وأخبار النحويين البصريين وفصحاء العرب وأسماء كتبهم - في أخبار النحويين واللغويين الكوفيين وأسماء كتبهم - في ذكر قوم من النحويين خلطوا المذهبيين وأسماء كتبهم
المقالة الثالثة	في أخبار الإخباريين والتسائين وأصحاب الأحداث والآداب	- في أخبار الإخباريين والرواة والتسائين وأصحاب السير والأحداث وأسماء كتبهم - في أخبار الملوك والكتاب والمرسلين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم - في أخبار الندماء والجلساء والمغنيين والصفادمة والصفاعة والمضحكين وأسماء كتبهم
المقالة الرابعة	في الشعراء والشعراء	- في طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ومن لحق الجاهلية وصناع دواوينهم وأسماء رواتهم - في طبقات شعراء الإسلاميين وشعراء المحدثين إلى عصرنا هذا
المقالة الخامسة	في الكلام والمتكلمين	- في ابتداء أمر الكلام والمتكلمين من المعتزلة والمرجئة وأسماء كتبهم - في أخبار متكلمي الشيعة والزيدية وغيرهم من الغلاة والإسماعيلية وأسماء كتبهم - في أخبار متكلمي الخوارج وأصنافهم وأسماء كتبهم - في أخبار السياح والزهاد والمتصوفة والمتكلمين على الوسوس والخطرات وأسماء كتبهم

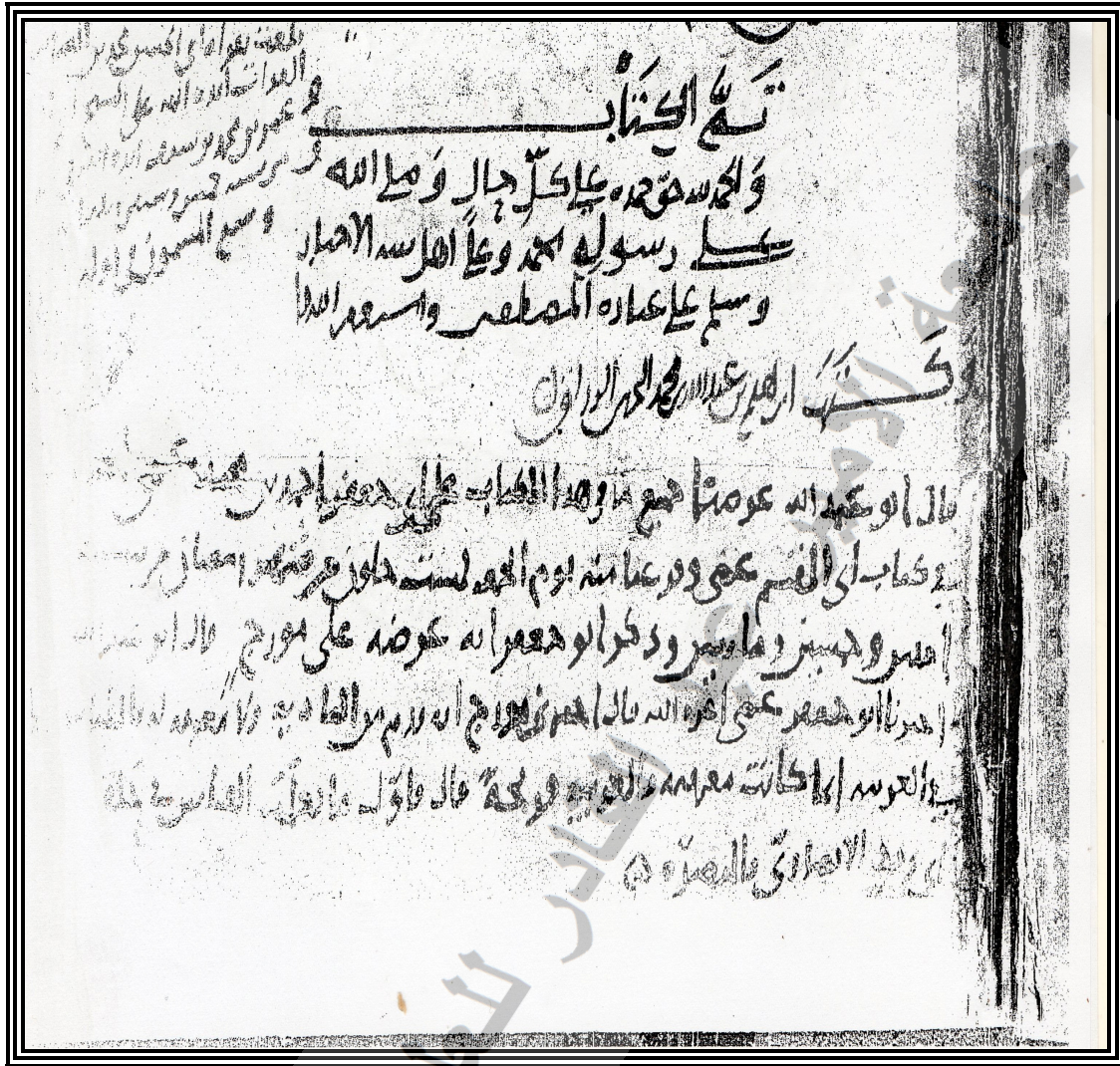
<p>- في أخبار مالك وأصحابه وأسماء كتبهم          - في أخبار أبي حنيفة النعمان وأصحابه وأسماء كتبهم          - في أخبار الإمام الشافعي وأصحابه وأسماء كتبهم          - أخبار داوود وأصحابه وأسماء كتبهم          - في أخبار فقهاء الشيعة وأسماء كتبهم          - في أخبار فقهاء أصحاب الحديث والمحدثين وأسماء كتبهم          - في أخبار أبي جعفر الطبري وأصحابه وأسماء كتبهم          - في أخبار فقهاء الشراة وأسماء كتبهم</p>	<p>في الفقه والفقهاء          والمحدثين</p>	<p>المقالة السادسة</p>
<p>- في وصف لغات الأمم...          - في أخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين وأسماء كتبهم ونقولها          وشروحها والموجود منها وما ذكر ولم يوجد وما وجد ثم عدم          - في أخبار أصحاب التعاليم والمهندسين والارتماطقيين والموسيقيين          والحساب والمنجمين وصناع الآلات وأصحاب الحيل والحركات          - في ابتداء الطب وأخبار المتطبيين من القدماء والمحدثين وأسماء          كتبهم ونقولها وتفاسيرها</p>	<p>الفلسفة والعلوم القديمة</p>	<p>المقالة السابعة</p>
<p>- في أخبار المسامرين والمخرفين والمصورين وأسماء الكتب المصنفة          في الأسمار والخرافات          - في أخبار المعزمين والمشعزين والسحرة وأسماء كتبهم          - في الكتب المصنفة في معني شتى لا يعرف مصنفوها ولا مؤلفوها</p>	<p>في الأسمار والخرافات          والعزائم والسحر          والشعوذة</p>	<p>المقالة الثامنة</p>
<p>- في وصف مذاهب الحرائية والكلدانيين المعروفين في عصرنا          بالصائبة ومذاهب التنويه من الماننية والديصانية والحرمية والمرقيونية          والمزدكية وغيرهم وأسماء كتبهم          - في وصف المذاهب الغريبة الطريفة كاهند والصين وغيرهم من          أجناس الأمم</p>	<p>في المذاهب والاعتقادات</p>	<p>المقالة التاسعة</p>
<p>في أخبار الكيميائيين والصنعويين من الفلاسفة القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم</p>		<p>المقالة العاشرة</p>

الملحق رقم (05):

نصوص المعارضة المقيدة على ورقة العنوان والورقة الأخيرة من نسخة "حذف من نسب قريش" لأبي فيد مؤرّج بن عمرو النحوي البصري (ت 195 هـ / 810 م)، المحفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (99 ق).



ورقة العنوان من نسخة "حذف من نسب قريش" لأبي فيد مؤرّج، المحفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط (99 ق).



الورقة الأخيرة من نسخة "حذف من نسب قريش" لأبي فيد مؤرخ، المحفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط (99 ق).

أسانيد السراج في رواية "الشفاء" المقيدة على نسخة "الشفاء" المحفوظة باخزانة الحسينية

بالرباط تحت رقم (34)



الورقة (8)، و (9) من نسخة "الشفاء" المحفوظة باخزانة الحسينية بالرباط تحت رقم (34).

نص إجازة السماع المقيدة على نسخة "المقصد الشريف" لعبد الحق الباديسي المحفوظة  
بالمكتبة الوطنية بالرباط (D 110).

يقول عبد المهيم بن محمد الحضرمي غفر الله ذنوبه، الحمد لله كنت قد لقيت صاحبنا الفقيه الأديب أبا محمد عبد الحق بن إسماعيل بن أحمد الباديسي بمدينة فاس حرسها الله من كل باس، فسمعت عليه من كتابه الذي سماه بالمقصد الشريف في التعريف بصلحاء الريف، من أوله إلى آخره وذلك نحو ثلثيه، سمعت ذلك بقراءة أبي محمد عبد الحق المذكور، وبعض الثلث الباقي بقراءة الفقيه الأجل عمر يحيى بن أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم اللخمي العزفي عليه، وفاتني سماع باقي الكتاب لإعجال السفر، ثم لقيت الفقيه أبا محمد المذكور بفاس مرارا فلم يكن الكتاب معه، إلى أن وصل إلى منزله من مدينة فاس القرويين في يوم أحد سنة اثنين وعشرين وسبعماية، فأكملت عليه قراءة الكتاب المذكور، وكمل لي بذلك سماع جميعه، وكان سماعه للثلثين المذكورين أولا بقراءة المؤلف وقراءة أبي عمرو في الثلث الأخير من شهر ربيع الأول المبارك من سنة اثنين وعشرين وسبعماية، وكان الفقيه أبي عمرو العزفي لما أكمل قراءة الكتاب المذكور على المصنف المذكور، كتب على ظهره من شعره

وأجازني ممن سواه وما فيه	وأكملته عرضا على منشييه
من نثره أو من نضمه أرويه	وأباح لي الحديث عنه بكل ما
من بعد تصحيح له أرويه	وأقول في ذلك الذي اختار
من بحثه ينوه به تنويه	وكفى بصحة ذلك خط يمينه
عني ويحفظ ودًا ويفيه	والله يجزيه جميل جزائه
حاز الفلك بنفسه وأبيه	إني أجزت له العلى الذي
والحجا أعظم به من ماجر ونسه	ذي المكرمات وذي النباهة
في كل فن مرتضى أبريه	فما يرو المنقول عني وإنما
من اله أو صحبه وبنيه	وأجرت في نظمي ونثري مرشدا
أبدا على التحرير والتنبيه	فهو الذي حلت ضرائب بحره
للناصر يرموا أهل التنويه	فالله بقى فضله ويرحمه

ملحق رقم (08).

حرد متن نسخة "بغية الرواد" لياحي بن خلدون، المحفوظة بالمكتبة الوطنية الفرنسية  
بباريس تحت رقم (Arabe 5752).

النعم لما شئت من رب بارهة وعرة خالية وفص معروفة وبرر موزونة ومعروضة وسوغه الشبل والبنر ومجس  
سريفة ترأس لتففته حتى يفتح الله عليه بلاءه وامر جيوشه المظفر بغضرها ان ينضوا وعشراهم لطاهته وكان  
انصاره عن الساب العلي يوم الاحد المرموعش يرزق الفقرة الخ الله في الهم مساجيه وارجح الكمال موازينه وعيوم  
الجمعة سادس عشر فمما تجمة المبارط عسكر نصرى الله تعلم باحالي المنية وظاهر حضرته العلية وانصر ولين المولى الامين  
لاعلى ايتا شير اعز الله مشرفا ليضم العساكر الشرفية بالبطما ويصرر بها للقاء ركب الخلافة العلية عن نفوضه  
تتمسار جازا فطير والرؤوب على جروده ومصارحة الامير ابراهيم المرزوق وانقضت السنة والبفاء لله  
تم السبع الاول من كتاب بغية الرواد في اخبار الملوك من بن عسر الرواد وما حاز مولانا  
الحليبة ابو جومر الشرب الراسخ الاطواد - يوم السبت سابع شهر المبارك  
عام الف ومائة وثمانية وعشرون من الهجرة النبوية على صاحبها  
الطيب الصلاة والتسليم على يد ابي العباس  
الى رحمة الكريم الرواد شرب من غير الله محمد  
الهمير لصب الله به وفر شمتته من  
نصفه كتيفه مرفوعة لخير الله  
السلطانة حوا  
والغالب انها  
خط المولى  
والله اعلم



ملحق رقم: (09):

نص وقفية ابن خلدون المقيدة على الورقة الأولى من السفر الخامس في نسخة "العبر"،  
المحفوطة بخزانة القرويين بفاس

"بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه.

وقف وحبس وسبل وأبد وحرّم وتصدّق سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ المحقق أوحد عصره وفريد دهره قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن خلدون الحضرمي المالكي، أمتع الله المسلمين بحياته ونفعهم بعلومه وبركاته، وهو مؤلف هذا الكتاب، جميع هذا الكتاب، المسمى بكتاب العبر في أخبار العرب والعجم والبربر، المشتمل على سبعة أسفار، هذا أحدها وقفا مرعيا وحبسا مرضيا على طلبة العلم الشريف بمدينة فاس المحروسة قاعدة بلاد المغرب الأقصى، ينتفعون بذلك قراءة ومطالعة ونسخا، وجعل مقره بخزانة الكتب التي بجامع القرويين من فاس المحروسة بحيث لا يخرج حرمها لا لثقة أمين، برهن وثيق لحفظ صحته، وان لا يمكث عند مستعيره أكثر من شهرين، وهي المدة التي تتسع لنسخ الكتاب المستعار أو مطالعته ثم يعاد إلى موضعه، وجعل النظر في ذلك لمن له النظر على خزانة الكتب المذكورة. وقف الله على الوجه المذكور لوجه الله الكريم، وطلب لثوابه الجسيم يوم يجزي الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين، وأشهد عليه بذلك في اليوم المبارك الحادي والعشرون لشهر صفر المبارك عام تسعة وتسعين وسبعمائة، حسبتنا الله ونعم الوكيل.

أشهدني سيدنا ومولانا العبد

أشهدني سيدنا ومولانا العبد

الفقير إلى الله تعالى قاضي القضاء

ولي الدين الواقف المسمى فيه أمامه

الله تعالى على نيته الكريمة

بما نسب إليه فيه وتشهدت

عليه به في تاريخه وكتب أحمد

محمد بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم

بن علي بن إسماعيل المالكي

الحمد لله، المنسوب إليّ صحيح "

المصدر: نقلا عن أحمد شوقي بنين، دراسات في علم المخطوط، ص 116-117.

ملحق رقم ( 10 ) :

صورة لخط ابن خلدون في الركن الأيسر، في أعلى الورقة الأولى من نسخة المقدمة،  
الخفوفة بمكتبة عاطف أفندي باسطنبول (1936)



المصدر: نقلا عن دراسة فرانز روزنتال، حول مقدمة ابن خلدون.

Ibn Khaldun, *The Muqaddimah: An Introduction to History*, Transl. from the Arabic by Franz Rosenthal, bollingen series XLIII, Princeton University Press, New York, 1958.

الملحق رقم (11):

نص قراءة ابن رشيد السبتي — "معجم شيوخ ابن سكرة الصديقي" المقيد على  
نسخة دير الأسكوريال قرب مدريد (1730 = كسيري 1725).

"قرأ علي جميع هذا الكتاب وهو المعجم في أصحاب القاضي أبي علي بن سكرة الصديقي كاتبه لنفسه الفقيه المحدث الضابط البارع المتفنن الأحفل نجبة العصر ومالكه ،،،، النظم والنثر أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري حرس الله كماله وسنّى عساله واعتماله وحدثته به عن مؤلفه شيخنا الحافظ الحافل الكاتب الكامل الصدر الأوحد خاتمة أئمة الآثار والإسناد وضابط ما لا يدخل تحت الحصر والتعداد أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار رحمه الله وألحقه رضاه سماعا مني عليه ببجاية حرسها الله تعالى في حدود عام خمسة وخمسين وستمائة بقراءة صاحبنا الفاضل المحدث العدل الحافظ المحقق الأوحد الشهيد أبي عبد الله بن الجلاب رحمة الله عليه.

وقد حدث شيخنا أبو عبد الله المذكور في مواضع من هذا الكتاب عن جملة هم في عداد شيوخه الذين رويت عنهم أو أجازوني كتبنا فتحدثت بما استفتدت في ذلك منهم كأبي عيسى بن أبي السداد وأبي العباس بن فرتون وأبي الحسن بن خمره وغيرهم ولي في هذا اعتلاق بالسبب الأحفى والمساواة التي مزيتة الاشتراك معه فيها لا تخفى إنشاء الله تعالى

وحضر للسمع بهذه القراءة النبيهان الحسيان النجيبان الزكيان أبو القاسم أحمد بن الشيخ الفقيه الكاتب الفاضل الأسنى أبي الطاهر إسماعيل بن الشيخ الفقيه الأفضل المرحوم أبي عبد الله محمد بن يحيى بن عبد العزيز الغساني وابن عمه الأجل أبو الفضل محمد بن الشيخ الأجل الفقيه الأفضل أبي عبد الله محمد بن يحيى المذكور وصلى الله ،،،، نفسيهما وأناره شمسيهما وحدثتهما به عن مؤلفه شيخنا الحافظ أبي عبد الله المذكور رحمت الله عليه.

قال ذلك وكتبه بخط يده العبد الفقير لله تعالى علي ابن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن رزين التحيبي بمدينة تونس حرسها الله بتاريخ العشر الوسط لشهر ذي الحجة محتتم عام خمس وثمانين وستماية".

المصدر: نقلا عن فرتسيسكو كوديرا، مقدمة تحقيق معجم ابن سكرة الصديقي.

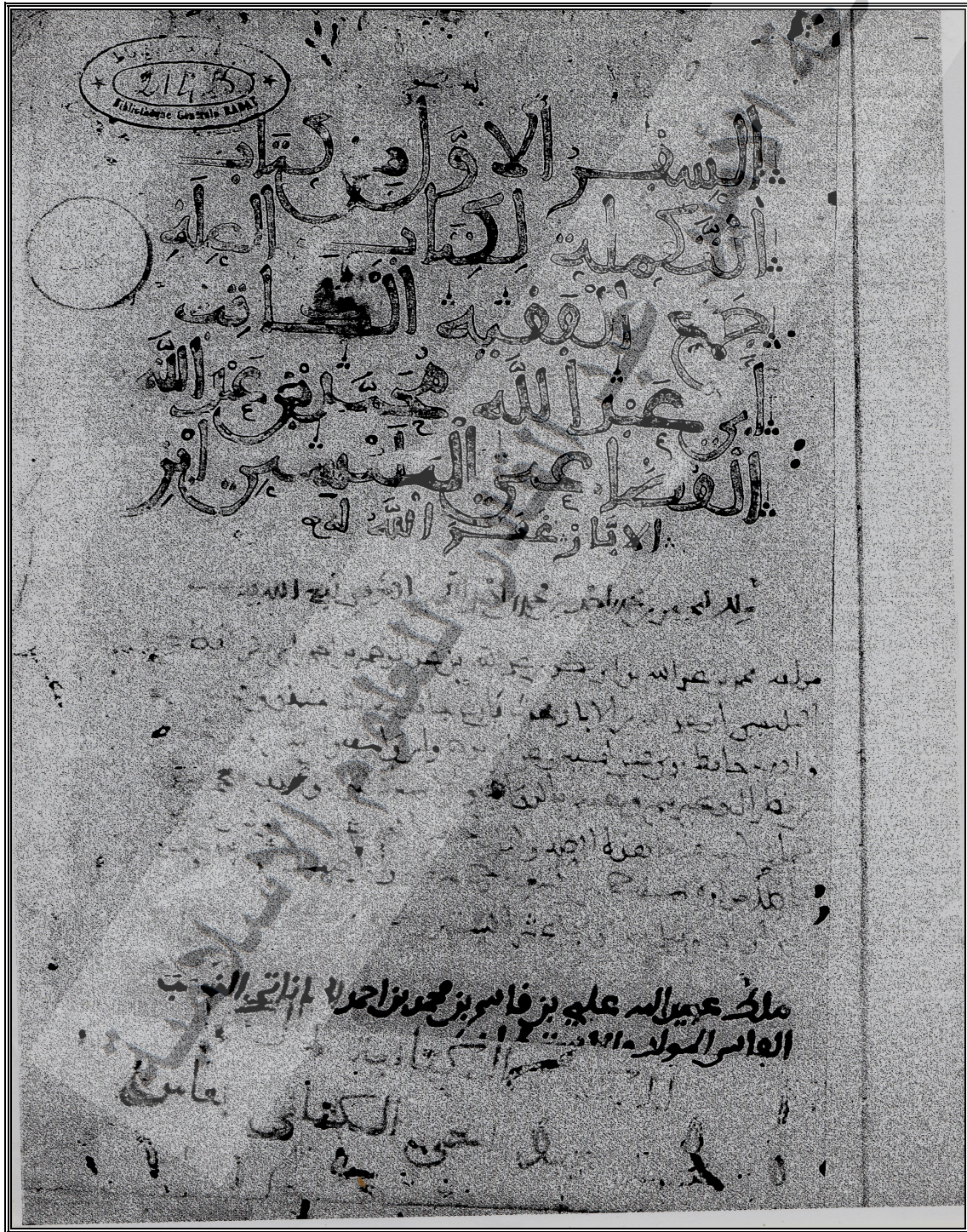
الملحق رقم: (12):

نص المعارضة المقيد على الورقة الأخيرة من نسخة "التكملة" لابن الأبار، المنسوخة بخط ابن الجلاب المحفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم (1411).

"وعارضت جميع كتاب التكملة هذا من أوله إلى آخره بالمجلس المكرم العالي الرئاسي العلمي العملي الحكمي القرشي، أبقاه الله للعلم يظهره وينشره، وكتبت هذه النسخة بخط الفقيه الكاتب البارع المحدث الضابط أبو عبد الله محمد بن أحمد الفهري ابن الجلاب، أكرمه الله وحفظه، يمسك عليّ ما أخرجته المؤلف من مبيضته وذلك من أول الديوان إلى اسم أبي عبد الله بن حميد من حرف الميم، وأمسك عليّ في باقي الديوان المبيضة المذكورة، قال هذا وكتبه محمد بن أبي بكر الأنصاري التلمساني، وفقه الله لما يرضاه، ضحاه يوم الجمعة العاشر من جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وست مئة بثغر منرقة، حاطه الله وعصمه وقصف عدّوه وقصمه، والحمد له كثيرا، وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما".

ملحق رقم: (13).

نص التملك المقيد على نسخة "التكملة" لابن الأبار، المحفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (214 ك).



الورقة الأولى من نسخة "التكملة" لابن الأبار، المحفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (214 ك).

ملحق رقم: (14).

الحواشي التي تظهر استعانة التجيبي بتكملة ابن الأبار، المقيدة على السفرين الخامس والسادس لكتاب "الذيل والتكملة"، المحفوظتان بدار الكتب المصرية (61 تاريخ حلیم)، والمكتبة الوطنية الفرنسية (Arabe 2156).

مكان الحاشية المقيدة على السفر الخامس المحفوظ بدار الكتب المصرية
حاشية أمام ترجمة عبد الله بن إدريس
حاشية أمام ترجمة عبد الملك بن عياش
طرتان أمام ترجمة عبد المنعم بن عمر
حاشية بشكل مائل، أمام ترجمة عبد الودود بن عبد الرحمن
حاشية أمام ترجمة عبد الوهاب بن علي
حاشية في نهاية ترجمة عتيق بن أحمد بن محمد
حاشية أمام ترجمة عزيز بن عبد الملك بن يوسف القيسي
حاشية أمام ترجمة علي بن أحمد الكنان، تعليق على السنة التي ولد فيها
حاشية أمام ترجمة علي بن إسماعيل أبو الحسن
حاشية أمام ترجمة علي بن خلف بن رضا الأنصاري
حاشية أمام ترجمة علي بن خليفة، تعليق على شيخه أبو جعفر التطيلي
حاشية أمام ترجمة علي بن سليمان بن أحمد المرادي، تعليق على نسبة الفرغليطي
حاشية في نهاية ترجمة علي بن عبد الله بن محمد الهواري، ترجمة مزيدة لأبي الحسن بن قطرال
حاشية أمام ترجمة علي بن عبيد الله بن عبد الله بن خلف الأزدي، أبو الحسن الزوق
حاشية أمام ترجمة أبو الحسن الزهري، علي بن عبد الرحمن
حاشية في أعلى الورقة، تعليق على أبيات منسوبة للمترجم له أبو الحسن المرادي، علي بن محمد بن حسن
حاشية أسفل الورقة، تعليق على سنة وفاة المترجم له، علي بن محمد بن إبراهيم، أبو الحسن ابن البقري
تعليق على عنوان كتاب للمترجم له، أبو الحسن علي بن فرجون القيسي
حاشية أمام ترجمة أبو الحسن علي بن محمد بن يحي الأنصاري

حاشية أمام ترجمة علي بن موسى بن محمد بن شلوط
حاشية تعليق على المكان الذي توفي به المترجم له علي بن يوسف اللخمي
حاشية أمام ترجمة علي بن يوسف بن يزيد اللخمي
حاشية أمام ترجمة عمر بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل
حاشية أمام كنية المترجم له أبو حفص علي ابن أبي رطللة، عمر بن محمد بن عبد الرحمن
حاشية تعليق على كلمة في آخر بيت للمترجم له عمر بن محمد بن فرج الأنصاري المارتلي
حاشية تعليق على كلمة في مطلع بيت للمترجم له عمر بن محمد بن فرج الأنصاري المارتلي
تعليق أمام ترجمة عيسى بن عبد العزيز بن عبد الواحد اللخمي
حاشية أمام ترجمة أبو النصر فتح مولى الخشني
الحواشي المقيدة على السفر السادس المحفوظ بالمكتبة الوطنية الفرنسية
حاشية أمام ترجمة ابن غرانة محمد بن إدريس الجذامي
حاشية تعليق على نسبة قرداج في المترجم له أبو بكر الحداد قرداج محمد بن حارث
حاشية أسفل الورقة باتجاه المتن، أمام ترجمة أبو بكر محمد بن الحسين بن أبي البقاء فاخر
طرتان أمام ترجمة أبو عبد الله محمد بن رافع بن محمد القيسي
حاشية أمام بيتين نسباً للمترجم له أبو عبد الله بن زرقون
حاشية أسفل الورقة باتجاه المتن، أمام تاريخ وفاة المترجم له أبو عبد الله محمد بن عبد الله البلنسي

ملحق رقم: (15).

الحواشي التي تظهر استعانة التجيبي بـ "صلة" ابن الزبير، المقيدة على السفريين الخامس والسادس لكتاب "الذيل والتكملة"، المحفوظتان بدار الكتب المصرية (61 تاريخ حلیم)، والمكتبة الوطنية الفرنسية (Arabe 2156).

مكان الحواشي المقيدة على السفر الخامس المحفوظ بدار الكتب المصرية

حاشية بشكل مائل أمام ترجمة عبد المولى بن محمد

حاشية بشكل مائل أمام ترجمة عبد الودود بن عبد الرحمن

حاشية أمام ترجمة عزيز بن عبد الملك بن يوسف القيسي

حاشية أمام ترجمة علي بن أحمد الكناني تعليق على السنة التي ولد فيها

حاشية أمام ترجمة علي بن إبراهيم بن علي الأموي

حاشية أمام ترجمة علي بن عبد الله بن هانئ اللخمي، تعليق طويل يبدأ من الجهة اليمنى باتجاه معاكس للمتن إلى الأعلى، واستمرت إلى أعلى الورقة، عبارة عن ترجمة مزيدة لعلي بن عبد الله بن خطاب

حاشية أمام ترجمة علي بن عبد الرحمن الحشني

حاشية باتجاه معاكس للكتابة إلى الأعلى أمام ترجمة علي بن عبد الرحمن النميري

حاشية أسفل الورقة، تعليق على سنة وفاة المترجم له، أبو الحسن ابن البقري، علي بن محمد بن إبراهيم

حاشية أمام ترجمة علي بن محمد بن عبد الله بن حزمون الكلبي، تعليق على نسبه

حاشية باتجاه معاكس للكتابة إلى الأعلى، تعليق على كنية المترجم له، أبو الحسن علي بن الغزال

حاشية باتجاه معاكس للكتابة إلى الأعلى، تعليق على سنة وفاة المترجم له أبو الحسن علي بن هشام بن حجاج اللخمي

حاشية أمام ترجمة عمر بن أحمد بن يزيد بن هانئ الأندلسي

حاشية أمام ترجمة عمر بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل

حاشية في أعلى الورقة، تعليق على أحد شيوخ أبي محمد قاسم بن الحاج الزقاق

مكان الحواشي المقيدة على السفر السادس المحفوظ بالمكتبة الوطنية الفرنسية

حاشية تعليق على منطقة "يقور" الواردة في ترجمة أبو بكر اليقوري محمد بن أحمد



ملحق رقم: (16).

الحواشي التي تظهر استعانة التجيبي بـ "معجم شيوخ ابن مسدي"، المقيدة على السفريين الخامس والسادس لكتاب "الذيل والتكملة"، المحفوظتان بدار الكتب المصرية (61 تاريخ حلیم)، والمكتبة الوطنية الفرنسية (Arabe 2156).

مكان الحواشي المقيدة على السفر الخامس المحفوظ بدار الكتب المصرية

حاشية أمام ترجمة أبو الحسن علي بن خروف القيسي

حاشية أمام ترجمة قاسم بن فيرة بن أبي القاسم الرعيني

حاشية أمام ترجمة أبي عيسى البلسني، لب بن محمد

مكان الحواشي المقيدة على السفر السادس المحفوظ بالمكتبة الوطنية الفرنسية

حاشية باتجاه معاكس للكتابة إلى الأعلى، في نهاية ترجمة أبو عبد الله محمد بن عطية الأنصاري

حاشية أمام ترجمة أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الكتاني

حاشية أمام المكان الذي توفي به المترجم له أبو عبد الله محمد بن صاحب الصلاة

حاشية باتجاه مقلوب ومعاكس لكتابة المتن، أمام ترجمة أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري

حاشية في نهاية ترجمة أبو عبد الله الواشري محمد بن أحمد

حاشية أمام ترجمة أبو بكر بن الجياني محمد بن إبراهيم

حاشية أمام ترجمة أبو بكر بن الملاح محمد بن إسحاق

حاشية أمام ترجمة أبو عبد الله الكمّاد محمد بن إسحاق

حاشية أمام تاريخ مولد المترجم له ابن خلفون الأزدي

حاشية أمام ترجمة أبو بكر الحداد قرداج محمد بن حارث

حاشية أمام ترجمة أبو عبد الله بن بداوة محمد بن الحسن الأنصاري

حاشية أمام تلامذة المترجم له أبو بكر القرطي محمد بن عبد الله

حاشية باتجاه معاكس للمتن إلى الأعلى، أمام سنة وفاة المترجم له، أبو الحسن بن الحاج محمد بن عبد الله التجيبي

حاشية أعلى الورقة أمام ترجمة محمد بن عبد الله المعافري

حاشية أمام تلامذة المترجم له محمد بن عبد الله المعافري

حاشية باتجاه معاكس للمتن إلى الأعلى، في نهاية ترجمة أبو بكر محمد بن عبد الله بن غفير

حاشية باتجاه معاكس للمتن إلى الأعلى، أمام شيوخ المترجم له أبو القاسم الملاحي، محمد بن عبد الواحد

حاشية أمام سنة وفاة المترجم له أبو القاسم الملاحي

حاشية أمام تاريخ وفاة المترجم له أبو عبد الله اللاردي محمد بن عتيق

حاشية أمام شعر المترجم له أبو عبد الله محمد بن علي القضاعي

حاشية أمام تاريخ وفاة المترجم له أبو بكر بن حسنون محمد بن علي

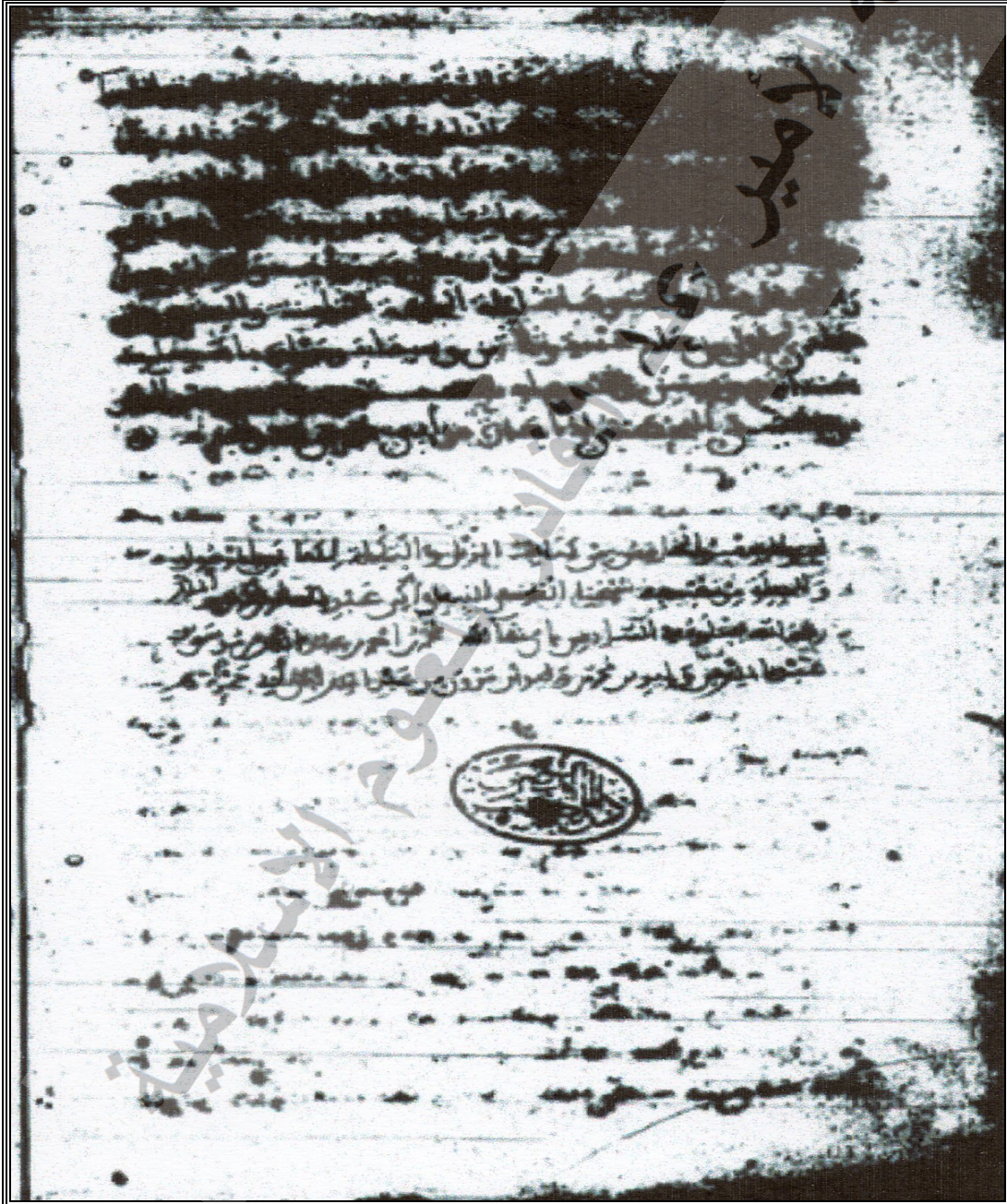
حاشية أمام تاريخ وفاة المترجم له أبو عبد الله الدهان محمد بن علي

حاشية أمام تاريخ وفاة المترجم له أبو عبد بن الغزال محمد بن علي

عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم: (17).

الورقة الأخيرة من السفر الخامس من نسخة "الذيل والتكملة" المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (61 تاريخ حلیم):



# قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير  
القادر للعلوم الإسلامية

أولاً: المصادر المخطوطة:

- ابن الأبار البلنسي، محمد بن عبد الله القضاعي (ت 658 هـ / 1259 م):
- التكملة لكتاب الصلة، نسخة محفوظة بالخزانة الحسنية بمدينة الرباط، تحت رقم (1411).  
نسختان محفوظتان بالمكتبة الوطنية المغربية بالرباط تحت رقم (358)، (ك 214).
  - ابن أبي زرع الفاسي (حيا سنة: 726 هـ / 1325 م):
  - الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، نسخة محفوظة بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس تحت رقم (Arabe 1868).
  - الأزموري، محمد بن عبد العظيم (ت بعد: 850 هـ / 1446 م):
  - ذكر شرفاء المغرب وصلحائه وقبائله، نسخة محفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (1512 د).
  - الباديسي، عبد الحق بن إسماعيل (حيا سنة 722 هـ / 1322 م):
  - المقصد الشريف والمترع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، نسخة محفوظة بالمكتبة الوطنية المغربية بمدينة الرباط، تحت رقم (D 110).
  - الترمذي، أبو عيسى محمد (ت 279 هـ / 892 م):
  - الشمائل الحمديّة والخصائل المصطفوية، نسخة محفوظة بالخزانة الحسنية بمدينة الرباط، تحت رقم (3395).
  - ابن خلدون، أبو زكريا يحيى بن محمد الحضرمي (ت 780 هـ / 1378 م):
  - بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، نسخة محفوظة بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس، تحت رقم (Arabe 5752).
  - ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد الأنصاري (ت 703 هـ / 1303 م):
  - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، نسخة تضم الجزء الخامس فقط محفوظة بدار الكتب المصرية، تحت رقم (61 تاريخ حلیم)، نسخة تضم الجزء السادس محفوظة بالمكتبة

الوطنية الفرنسية بباريس، تحت رقم (Arabe 2156).

عياض القاضي، أبو الفضل بن موسى اليحصبي السبتي (ت 544 هـ / 1149 م):

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، خمسة نسخ محفوظة بالخزانة الحسنية بمدينة الرباط تحت الأرقام التالية: (34)، (3836)، (1094)، (3131)، (11270).

أبو فيد مؤرّج بن عمرو النحوي البصري (ت 195 هـ / 810 م):

- حذف من نسب قريش، نسخة محفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم (99 ق).  
ثانيا: المصادر المطبوعة.

ابن الأبار البلنسي، محمد بن عبد الله القضاعي (ت 658 هـ / 1259 م):

- اعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشر، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1961 م.

- الحلة السراء، تحقيق حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985 م.

- المعجم في أصحاب القاضي الصدي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989 م.

- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1995 م.

ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيبي القيرواني (ت 1110 هـ / 1668 م):

- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1869 م.

ابن أبي زرع الفاسي (حيا سنة: 726 هـ / 1325 م):

- الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1999 م.

- الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972 م.

ابن الأثير الجزري، عز الدين أبو الحسن الموصلبي (ت 630 هـ / 1233 م):

الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 م.

- ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف (ت 807 هـ / 1404 م):
- بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972 م.
  - نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987 م.
  - روضة السريرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط3، المطبعة الملكية، الرباط، 2003 م.
- إخوان الصفا وخلان الوفا:
- رسائل إخوان الصفا، تحقيق بطرس البستاني، مكتب الإعلام الإسلامي، إيران، 1985 م.
  - الإدريسي، أبو عبد الله الشريف محمد بن محمد الجمودي (ت 560 هـ / 1164 م):
  - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2010 م.
  - الأزموري، محمد بن عبد العظيم (ت بعد: 850 هـ / 1446 م):
  - بهجة الناظرين وأنس الحاضرين، تحقيق علي الجاوي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدراسات الجامعية العليا (غير منشورة)، إشراف محمد زبير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1986/1985 م.
  - الأصفهاني، عماد الدين محمد بن صفى الدين (ت 597 هـ / 1201 م):
  - خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق آذرتاش آذرنوش، تنقيح محمد العروسي المطوي وآخرون، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986 م.
  - الأنصاري السبتي، محمد بن قاسم (حيا سنة 825 هـ / 1421 م):
  - اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، ط2، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1983 م.
  - الباديسي، عبد الحق بن إسماعيل (حيا سنة 722 هـ / 1322 م):
  - المقصد الشريف والمترع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة

الملكية، الرباط، 1982 م.

البري التلمساني، محمد بن أبي بكر الأنصاري (ت 681 هـ / 1282 م):

- الجوهرية في نسب النبي وأصحابه العشرة، تحقيق محمد التونجي، دار الرفاعي، الرياض، 1983 م.

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأنصاري (ت 578 هـ / 1183 م):

- الصلة، ضبط وتعليق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2009 م.

ابن بطوطة الطنجي، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي (ت 779 هـ / 1377 م):

- تحفة النظر في غرائب الأمصار، تحقيق عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1997 م.

البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت 487 هـ / 1094 م):

- المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 م.

البلوي، أبو جعفر أحمد بن علي (ت 938 هـ / 1531 م):

- الثبت، تحقيق عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 م.

- البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي (ق 6 هـ / 12 م):

- أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971 م.

- المقتبس من الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، 1972 م.

التادلي، يوسف بن يحيى بن الزيات (ت 627 هـ / 1230 م):

- التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997 م.

التجيبى، القاسم بن يوسف السبتي (ت 730 هـ / 1329 م):



- برنامج التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1981 م.
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت 874 هـ / 1470 م):
- النجوم الزاهرة في أعيان مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992 م.
- التنبكي، أبو العباس أحمد بن أحمد بابا الصنهاجي (ت 1036 هـ / 1627 م):
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، مراجعة عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989 م.
- التنسي، محمد بن عبد الله (ت 899 هـ / 1493 م):
- تاريخ دولة الأدارسة، (مقتطف من كتاب نظم الدر والعقيان)، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م.
- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، (مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان)، تحقيق محمود بوعبيد، المؤسسة الوطنية للكتاب، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1985 م.
- التيحاني، أبو محمد عبد الله (حيا سنة 718 هـ / 1318 م):
- الرحلة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1981 م.
- الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الجزائري (ت 875 هـ / 1470 م):
- غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، تحقيق محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، 2005 م.
- ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد الدمشقي (ت 833 هـ / 1429 م):
- غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006 م.

- الجزنائي، أبو الحسن علي (حيا سنة: 766 هـ / 1364 م):
- جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991 م.
  - ابن جلجل الأندلسي، أبو داود سليمان (ت 377 هـ / 987 م):
  - طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985 م.
  - ابن الحاجّ النميري، إبراهيم بن عبد الله إبراهيم (ت 774 هـ / 1372 م):
  - فيض العباب وإحالة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990 م.
  - أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد الطوسي (ت 505 هـ / 1111 م):
  - فاتحة العلوم، تحقيق أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، 1913 م.
  - إحياء علوم الدين، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، 2011 م.
  - الرسالة اللدنية، ضمن مجموعة رسائل الغزالي، تحقيق إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دت.
  - ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد (ت 852 هـ / 1448 م):
  - رفع الإصر عن قضاة مصر: تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988 م.
  - إنباء الغمر في أنباء العمر: تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1989 م.
  - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، 1993 م.
  - المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة، بيروت، 1994 م.
  - ابن حزم القرطبي، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت 456 هـ / 1063 م):
  - جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة،

1982 م.

- التقريب لحد المنطق، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983 م.
- رسالة في مراتب العلوم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983 م.
- أبو حمو موسى الزباني (ت 791 هـ / 1388 م):
- واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1862 م.
- الحميدي، أبو عبد الله بن أبي نصر (ت 488 هـ / 1095 م):
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ضبط وتعليق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2004 م.
- الحميري، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ق 8 هـ / 14 م):
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984 م.
- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد (ت 414 هـ / 1023 م):
- رسالة في العلوم، مجلة الدراسات الشرقية، 18، 1964 م.
- الإمتاع والمؤانسة، تحقيق هيثم خليقة الطعيمي، المكتبة العصرية، بيروت، 2011 م.
- الخزاعي التلمساني، أبو الحسن علي (ت 789 هـ / 1387 م):
- تخريج الدلالات السمعية، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1958 م.
- ابن الخطيب السلماني (ت 776 هـ / 1374 م):
- إعلام الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام (قسم الأندلس)، تحقيق ايفاريسست ليفي-بروفنصال، دار المكشوف، بيروت، 1956 م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975 م.

- ریحانة الكتاب ونجعة الكتاب، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981 م.
- ابن خلدون، أبو زكريا يحيى بن محمد الحضرمي (ت 780 هـ / 1378 م):
- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزء الأول: تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1980 م. الجزء الثاني: تحقيق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة، الجزائر، 2011 م.
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808 هـ / 1406 م):
- المقدمة، تحقيق وترجمة إلى الإنجليزية فرانز روزنتال، مطبعة جامعة نيويورك، 1985 م.
- المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط6، دار نهضة مصر للنشر، مصر، 2012 م.
- المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادى، خزانة ابن خلدون بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، 2005 م.
- لباب المحصل في أصول الدين، تحقيق عباس محمد حسن سليمان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996 م.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000 م.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (طبعة مصورة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى ببولاق)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2007 م.
- الرحلة، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004 م.
- ابن خلكان الدمشقي، شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681 هـ / 1282 م):
- وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972 م.
- الخوارزمي، محمد بن أحمد (ت 387 هـ / 997 م):
- مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1989 م.

- ابن خير الاشبيلي، أبو بكر محمد بن خير (ت 575 هـ / 1189 م):
- فهرسة ما رواه عن شيوخه، تحقيق بشار عواد معروف، ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2009 م.
- الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأسدي القيرواني (ت 696 هـ / 1296 م):
- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، الجزء الأول: تحقيق إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1968 م. الجزء الثاني: تحقيق محمد الأحدي أبو النور ومحمد ماضور، مكتبة الخانجي، المكتبة العتيقة، مصر، تونس، 1978 م. الجزء الثالث: تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1978 م.
- ابن دحية الكلبي، أبو الخطاب عمر بن الحسن الأندلسي (ت 633 هـ / 1235 م):
- نهاية السؤل في خصائص الرسول محمد بن عبد الله، تحقيق عبد الله عبد القادر الشيخ محمد نور تافادي، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، 1995 م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ / 1347 م):
- سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف، ومحي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985 م.
- ابن رشيد السبتي، محمد بن عمر بن محمد الفهري (ت 721 هـ / 1321 م):
- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، الجزء الثاني: تحقيق محمد الحبيب خوجة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1982 م. الجزء الخامس: تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988 م.
- الرصاع التلمساني، أبو عبد الله محمد بن قاسم (ت 894 هـ / 1488 م):
- فهرسة شيوخه، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1967 م.
- تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين، تحقيق محمد رضوان الداية، المجمع الثقافي، أبو ضبي، 2002 م.

- الرعيبي، علي بن محمد بن علي (ت 666 هـ / 1268 م):
- برنامج شيوخ الرعيبي، تحقيق إبراهيم شيوخ، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962م.
  - ابن الزبير، أبو جعفر أحمد العاصمي الغرناطي (ت 708 هـ / 1308 م):
  - صلة الصلة، ملحق بكتاب الذيل والتكملة، السفر الثامن، تحقيق محمد بنشريفة، أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1984 م.
  - صلة الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1993 م.
  - الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤ (حيا سنة: 894 هـ / 1488 م):
  - تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966 م.
  - الزواوي، أبو الروح عيسى بن منصور المنجلاقي (ت 743 هـ / 1342 م):
  - مناقب سيدنا الإمام مالك، تحقيق هارون بن عبد الرحمن آل باشا الجزائري، دار ابن حزم، بيروت، 2012 م.
  - السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902 هـ / 1496 م):
  - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق فرانز روزنثال، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986 م.
  - الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، دار الجليل، بيروت، 1992 م.
  - الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق إبراهيم باحس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، 1999 م.
  - السراج، أبو زكريا يحيى الفاسي (ت 803 هـ / 1400 م):
  - فهرسة شيوخه، تحقيق نعيمة بنين، دار الحديث الكتانية، طنجة، 2013 م.
  - ابن سعيد المغربي الغرناطي، أبو الحسن علي بن موسى (ت 685 هـ / 1286 م):
  - المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1955 م.

- الغصون اليبانة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر، 1967 م.
- رايات المبرزين، تحقيق محمد رضوان الداية، طلاسدار، دمشق، 1987 م.
- ابن السكاك المكناسي، محمد بن أبي غالب بن أحمد (ت 818 هـ / 1415 م):
- نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام، طبعة حجرية، فاس، د. ت.
- ابن السماك العاملي، أبو القاسم محمد (ق 8 هـ / 14 م):
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010 م.
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 581 هـ / 1185 م):
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، مصر، 1967 م.
- ابن سينا، أبو علي الحسين (ت 427 هـ / 1036 م):
- تسع رسائل لابن سينا في الحكمة والطبيعات، ط2، دار العرب، القاهرة، 1989 م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين (ت 911 هـ / 1505 م):
- بغية الوعاة، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، حلب، 1965 م.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1967 م.
- ابن الشّماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 873 هـ / 1429 م):
- الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1984 م.

- ابن سعد الأنصاري، محمد بن سعيد التلمساني (ت 901 هـ / 1495 م):
- روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق يحي بوعزيز، منشورات المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002 م.
- أبو طاهر السلفي، صدر الدين أحمد الاصبهاني (ت 576 هـ / 1180 م):
- مشيخة أبي عبد الله محمد الرازي، تحقيق الشريف حاتم بن عارف العوني، دار الهجرة، الرياض، 1994 م.
- ابن الطواح التونسي، عبد الواحد (حيا سنة 718 هـ / 1318 م):
- سبك المقال لفك العقال، تحقيق محمد مسعود جبران، ط2، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 2008 م.
- الطوسي نصير الدين، أبو جعفر محمد بن محمد (ت 672 هـ / 1273 م):
- فصل في بيان أسامي الحكمة على سبيل الإيجاز، تصنيف العلوم بين نصير الدين الطوسي وناصر الدين البيضاوي، تحقيق عباس محمد حسن سليمان، دار النهضة العربية، بيروت، 1996 م.
- ابن عبد البر النمري، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت 463 هـ / 1020 م):
- القصد والأهم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، تحقيق حسان الدين القدسي، دط، مطبعة السعادة، القاهرة، 1931 م.
- الأنباه على قبائل الرواة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985 م.
- ابن عبد الحلیم الايلاني (ت 726 هـ / 1325 م):
- الأنساب، منشور ضمن ثلاث نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي، تحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1996 م.
- عبد الله الترجمان (حيا سنة 823 هـ / 1420 م):
- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تحقيق محمود علي حماية، ط3، دار المعارف،



القاهرة، 1992 م.

ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك (ت 703 هـ / 1303 م):

- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، السفر الأول: تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، 1964 م. بقية السفر الرابع: تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1964 م. السفر الخامس: تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1965 م. السفر السادس: تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1973 م. السفر الثامن: تحقيق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1984 م.

العبدري، محمد بن محمد بن علي الحاحي (حيا سنة 688 هـ / 1289 م):

- **الرحلة المغربية**، تحقيق أحمد بن جدو، مطبعة البعث، قسنطينة، دت.

ابن عذارى المراكشي (حيا سنة: 712 هـ / 1312 م):

- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، الجزء الأول والثالث: تحقيق ج. س. كولان، وايفاريسست ليفي - بروفنصال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983 م. الجزء الثاني: تحقيق ج. س. كولان، وايفاريسست ليفي - بروفنصال، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1980 م. الجزء الرابع: تحقيق إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983 م. (قسم الموحدين): تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985 م.

أبو العرب التميمي، محمد بن أحمد بن تميم (ت 333 هـ / 945 م):

- **طبقات علماء افريقية وتونس**، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968 م.

ابن عسكر الشفشاوني الحسني، محمد بن عيسى (ت 986 هـ / 1578 م):

- **دوحة الناشر لحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، ط2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977 م.

ابن عطية الحاربي، أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر (ت 541 هـ / 1146 م):

- **فهرسة شيوخ ابن عطية**، تحقيق محمد أبو الأجنان، ومحمد الزاهي، ط2، دار الغرب

الإسلامي، بيروت، 1983 م.

ابن عماد الحنبلي، عبد الحي بن محمد بن أحمد (ت 1089 هـ / 1678 م):

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر ومحمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1989 م.

العمري، ابن فصل الله أحمد بن يحيى (ت 749 هـ / 1348 م):

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق حمزة أحمد عباس، الجمع الثقافي للإمارات، أبو ظبي، 2002 م.

عياض القاضي، أبو الفضل بن موسى اليحصبي السبتي (ت 544 هـ / 1149 م):

- الاماع في ضبط الرواية وتقييد السماع، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، 1970 م.

- الغنية في شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982 م.

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008 م.

ابن غازي المكناسي، محمد بن أحمد الفاسي (ت 919 هـ / 1513 م):

- التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المتزل و الناد، تحقيق محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، 1984 م.

- الروض الهتون في تاريخ مكناسة الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1988 م.

الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد البجائي (ت 704 هـ / 1304 م):

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974 م.

- الفراي، أبو نصر محمد (ت 339 هـ / 950 م):
- التنبيه على سبيل السعادة، تحقيق سحبان خليفات، الجامعة الأردنية، عمان، 1987 م.
  - إحصاء العلوم، مركز الإهداء القومي، بيروت، 1991 م.
  - ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي المالكي (ت 799 هـ / 1396 م):
  - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمد أبو النور، ط2، مكتبة دار التراث، القاهرة، 2005 م.
  - الفرضي، أبو الوليد عبد الله (ت 403 هـ / 1012 م):
  - تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق السيد عزت العطار، ط2، مطبعة المدني، القاهرة، 1988 م.
  - القاضي المكناسي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 1025 هـ / 1616 م):
  - درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمد أبو النور، المكتبة العتيقة، تونس، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1971 م.
  - جذوة الاقتباس في ذكر من حل من أعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973 م.
  - القلصادي، أبو الحسن علي القرشي البسطي (ت 891 هـ / 1486 م):
  - رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأحناف، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978 م.
  - القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي الفزاري (ت 821 هـ / 1418 م):
  - صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922 م.
  - ابن قنفذ القسنطيني، أبو العباس أحمد (ت 810 هـ / 1407 م):
  - وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام، تحقيق سليمان السيد المحامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984 م.
  - شرف الطالب في أسنى المطالب، منشور ضمن موسوعة أعلام المغرب، تحقيق محمد حجي،

- دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996 م.
- أنس الفقير وعز الحقيير، تحقيق أبي سهل نجاح عوض، دار المقطم، القاهرة، 2001 م.
- الكندي، أبو يوسف يعقوب (ت 256 هـ / 869 م):
- رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريذة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1950 م.
- المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت 474 هـ / 1081 م):
- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسأكلهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994 م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت 450 هـ / 1058 م):
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989 م.
- المجاري، أبو عبد الله محمد (ت 862 هـ / 1458 م):
- برنامج شيوخه، تحقيق محمد أبو الأحنان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982 م.
- محمد بن القاضي عياض، أبو عبد الله (ت 575 هـ / 1179 م):
- التعريف بالقاضي عياض، تحقيق محمد بن شريفة، المطبعة والوراقة الوطنية الدوديات، مراكش، 2009 م.
- المراكشي، عبد الواحد (ت 647 هـ / 1249 م):
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ط3، القاهرة، 1963 م.
- ابن مرزوق الخطيب التلمساني، محمد بن أحمد (ت 781 هـ / 1379 م):
- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1981 م.

- المناقب المرزوقية، تحقيق سلوى الزاهي، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2008 م.
- ابن مريم، محمد بن محمد المليتي التلمساني (ق 11 هـ / 17 م):
- البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014 م.
- المقدسي، شمي الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت 387 هـ / 997 م):
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991 م.
- المقري التلمساني، أبو العباس أحمد القرشي التلمساني (ت 1041 هـ / 1631 م):
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1942 م.
- روض الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراکش وفاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983 م.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988 م.
- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي القاهري (ت 845 هـ / 1441 م):
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997 م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997 م.
- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002 م.
- الملاي التلمساني، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت 898 هـ / 1492 م):
- المواهب القدسية في المناقب السنوسية، تحقيق علال بوريق، دار كردادة، الجزائر، 2011 م.

- الملزوزي، أبو فارس عبد العزيز (ت 697 هـ / 1297 م):
- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1963 م.
- المنجور، أبو العباس أحمد (ت 995 هـ / 1587 م):
- فهرسة شيوخه، تحقيق محمد حجي، دار المغرب، الرباط، 1976 م.
- مؤلف مجهول (ق 6 هـ / 12 م):
- الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة وآفاق عربية، بغداد، دت.
- مؤلف مجهول (حيا سنة: 712 هـ / 1312 م):
- مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقرق، الرباط، 2005 م.
- مؤلف مجهول (حيا سنة 761 هـ / 1361 م):
- زهر البستان في دولة بني زيان، تحقيق عبد الحميد حاجيات، دار المعرفة، الجزائر، 2011 م.
- مؤلف مجهول (ق 9 هـ / 15 م):
- بلغة الأمانة ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، منشورات مجلة تطوان، 9، 1964 م.
- ابن ناجي التنوخي، أبو الفضل قاسم بن عيسى القيرواني (ت 839 هـ / 1435 م):
- تكملة على معالم الإيمان، الجزء الرابع: تحقيق محمد المجدوب وعبد العزيز المجدوب، المكتبة العتيقة، تونس، دت.
- النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله المالقي (ت بعد: 792 هـ / 1389 م):
- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، ضبط وتعليق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006 م.
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت 380 هـ / 990 م):

- الفهرست، تحقيق أيمن فؤاد سيّد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2009 م.  
الوادي آشي، محمد بن جابر التونسي (ت 749 هـ/1338 م):
- برنامج الوادي آشي، تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1980 م.  
الوزان، الحسن بن محمد (حيا سنة 957 هـ/1550 م):
- وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأحضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982 م.  
الونشريسي، أبو العباس أحمد (ت 914 هـ/1508 م):
- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981 م.
- الوفيات، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009 م.  
ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت 626 هـ/1229 م):
- ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993 م.
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977 م.

### ثالثا: المراجع:

إحسان عباس:

- "مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد"، مجلة الأصالة، 41، (1977)، ص 25-42.

الإدريسي علي:

- "جوانب من المشهد الفكري والعلمي في المغرب زمن ابن خلدون"، الأبنية الفكرية في الغرب الإسلامي، تنسيق بناصر البعزاتي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007 م، ص 28-9.

الأهواني عبد العزيز:

- "كتب برامج العلماء في الأندلس"، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 1، (1955)، ص 91-120.

أومليل علي:

- "مصادر التنظير عند ابن خلدون"، مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، 16، (1980)، ص 61-78.

- الخطاب التاريخي دراسة منهجية ابن خلدون، ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005 م.

بدوي عبد الرحمن:

- مؤلفات ابن خلدون، ط2، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1979 م.

بريكة مسعود:

- النخبة والسلطة في بجاية الحفصية (7-9 هـ / 13-15 م)، ميم للنشر، الجزائر، 2014 م.

بعيزق صالح:

- بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006 م.

- "ابن خلدون ومدينة بجاية"، ابن خلدون ناظرا ومنظورا إليه، جمع النصوص محمد حسن، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2009 م، ص 13-27.

البغدادي، إسماعيل بن محمد:

- هدية العارفين وآثار المصنفين، وكالة المعارف الجليلية، إسطنبول، 1955 م.

بلبشير عمر:

- "خطاب الشرف في المغرب الأوسط من خلال فتوى ابن مرزوق الحفيد (ت 842 هـ / 1438 م)"، مجلة عصور الجديدة، 26، (2016-2017)، ص 102-127.



بنين أحمد شوقي ومصطفى طوي:

- معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، ط3، المطبعة والوراقة الوطنية الحبي المحمدي، مراكش، 2005 م.

بنين أحمد شوقي:

- دراسات في علم المخطوط والبحث البليوغرافي، ط2، المطبعة والوراقة الوطنية الحبي المحمدي، مراكش، 2004 م.

بوتشيش عبد القادر:

- إسهامات في التاريخ الاقتصادي - الاجتماعي لمدينة مكناسة خلال العصر الوسيط، مطبعة فينالا، المغرب، 1997 م.

بونابي الطاهر:

- التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 هـ/ 12 و13 الميلاديين، دار الهدى، عين مليلة، 2004 م.

البياض عبد الهادي:

- الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق 6-8 هـ/ 12-14 م)، دار الطليعة، بيروت، 2008 م.

التازي عبد الهادي:

- جامع القرويين، ط2، دار المعرفة، الرباط، 2000 م.

بن تاويت محمد الطنجي:

- تاريخ سبتة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1982 م.

الترغي عبد الله لمربط:

- فهارس علماء المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999 م.

الجابري محمد عابد:

- فكر ابن خلدون العصبية والدولة، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994 م.  
الجمعاطي عبد السلام:

- "تواريخ السبتيين المفقودة دراسة في مضامينها وإشكالاتها"، مجلة آفاق الثقافة والتراث،  
70، (2010)، ص 77-103.

- "ما فقد من التواريخ الفاسية نحو تأصيل لنشأة التدوين التاريخي بالمغرب الأقصى"، مجلة آفاق  
الثقافة والتراث، 72، (2010)، ص 133-152.  
الجيلاني عبد اللطيف:

- "ظاهرة غرق النصوص المخطوطة أو إغراقها ومحوها بالماء في التراث العربي الإسلامي"، مجلة  
مرآة التراث، 1، (2011)، ص 26-38.  
حاجيات عبد الحميد:

- "يحي بن خلدون وكتابه بغية الرواد"، مجلة عصور الجديدة، 3، 4، (2011-2012)، ص  
21-39.  
حالي الحسان:

- الشروح المغربية على كتاب الشمائل، دار أبي رقرق، الرباط، 2012 م.  
حسان محمد حسان:

- ابن حزم الأندلسي عصره وفكره ومنهجه التربوي، دار الفكر العربي، القاهرة، دت.  
حسن محمد:

- المدينة والبادية بافريقية في العهد الحفصي، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،  
تونس، 1999 م.  
حسيبة مصطفى:

- المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2009 م.  
حميش سالم:

- الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، دار الطليعة، بيروت، 1998 م.  
الخطيب إسماعيل:
- الحركة العلمية في سبته خلال القرن السابع هجري، ط2، مطبعة الهداية، تطوان، 2001م.  
خليفة شعبان عبد العزيز:
- الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2001 م.  
خليفة رفيق:
- "تطور استقرار الجالية الأندلسية في المغرب الأوسط"، *مغرب أوسطيات*، منشورات مكتبة  
أقرأ، قسنطينة، 2013 م، ص 75-112.  
الخوجة محمد الحبيب:
- "ابن رشيد من خلال كتابه إفادة النصيح في التعريف بالسند الصحيح"، *مجلة السنة النبوية*،  
9، (2010)، ص 337-340.  
دنفو عبد الله محمد حسن:
- "الإمام الحافظ أبو محمد الأشيري واستدراكه على كتاب الاستيعاب لابن عبد البر"، *مجلة  
مرآة الثقافة*، 2، (2012)، ص 53-68.  
أبو رحاب محمد السيد محمد:
- المدارس المغربية في العصر المريني، دار الوفا لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2011 م.  
الزركلي خير الدين:
- الأعلام، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002 م.  
الزياني، أبو القاسم بن أحمد بن أبي الحسن:
- الترجمة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفيلاي، دار النشر للمعرفة،  
الرباط، 1991 م.

زيتون محمد:

- القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، 1988 م.

ساحلي آسيا:

- "انتقال المعرفة التاريخية في المغرب الأوسط في نهاية العصر الوسيط"، مغرب أوسطيات، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، 2013 م، ص 213-231.

- "فئة الوراقين في المغرب الأوسط"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، 4، (2013)، ص 421-443.

- "المشيخة الأندلسية في بجاية ودورها في تنشيط المعرفة التاريخية خلال القرن 7 هـ / 13 م"، مجلة الأندلس والمغرب، جامعة قادس، 21، (2014)، ص 97-116.

سعد قاسم علي:

- جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 2002 م.

السلامي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:

- الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955 م.

ابن سودة، عبد السلام بن عبد القادر:

- دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر، بيروت، 1997 م.

سيد محمد السيد محمود:

- تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار وفق المصادر العثمانية المعاصرة والمصادر التركية الحديثة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007 م.

سيسالم عصام ناجي سالم:

- جزر الأندلس المنسية، دار العلم للملايين، بيروت، 1984 م.

شاكر ليث:

- "التدوين التاريخي عن المغرب الأدنى حتى نهاية الدولة الحفصية"، الكتابة التاريخية في العصر الوسيط، مخبر العالم العربي المعاصر، تونس، 2011، ص 505-526.

شاكر مصطفى:

- التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت، 1983 م.

شيوخ إبراهيم:

- سجل قديم لمخطوطات مكتبة جامع القيروان، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 2، (1956)، ص 339-372.

الشريف محمد:

- سبته الإسلامية دراسات في تاريخها الاقتصادي والاجتماعي، ط 2، منشورات جمعية تطوان، الرباط، 2006 م.

الشفعي حسن:

- التيار المشائي في الفلسفة الإسلامية، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1998 م.

صاحبي محمد:

- "من مصادر الثقافة والعلم، فهارس الشيوخ أو برامج العلماء"، مجلة عصور الجديدة، 13، (2003)، ص 53-76.

الصغير عبد المجيد:

- "تقويم ابن خلدون للحالة العلمية في الغرب الإسلامي"، العلم والفكر العلمي بالغرب الإسلامي في العصر الوسيط، تنسيق بناصر البعزاتي، منشورات كلية الآداب، الرباط، 2001، ص 163-175.

الطاطمي طارق محمد:

- "الشروح والمؤلفات الموضوعية على كتاب الشفا للقاضي عياض"، *مرآة التراث*، 2، (2012)، ص 134-157.

الطالبي محمد:

- "الهجرة الأندلسية إلى افريقية أيام الحفصيين"، *مجلة الأصالة*، 26، (1975)، ص 64-83. طحطاح خالد:

- *الكتابة التاريخية*، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2012 م. طوي مصطفى:

- "مخطوطات النحو بالخرزانة الحسنية بالرباط، مقارنة كوديكولوجية"، *مجلة آفاق الثقافة والتراث*، 55، (2006)، ص 192-199. الطيبي أمين توفيق:

- *دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية*، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 1989 م. العامري نيللي سلامة:

- *الولاية والمجتمع: مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي*، ط2، دار الفراي، بيروت، 2006 م. عبد الواحد عبد السلام شعيب:

- *الكتابة التاريخية ومناهجها في الأندلس*، دار الأمان، الرباط، 2014 م. عبد الوهاب حسن حسني:

- "العناية بالكتب وجمعها في افريقية التونسية من القرن الثالث إلى القرن الخامس للهجرة"، *مجلة جامعة الدول العربية*، المجلد الأول، (1955)، 1/ 72-90. عبيد هشام:

- *تونس وأولياؤها الصالحون في مدونة المناقب الصوفية*، مركز النشر الجامعي، تونس،

2006 م.

العزاوي أحمد:

- الغرب الإسلامي خلال القرنين 7 و 8 هـ، مطبعة نيت، الرباط، 2007 م.

عليش لعموري:

- تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي، دار هومة، الجزائر، 2009 م.

عمارة علاوة:

- "ابن شداد الصنهاجي جامع أخبار المغرب الوسيط"، مجلة التاريخ العربي، 21، (2002)، ص 67-95.

- "الريق القيرواني وبلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب"، مجلة التاريخ العربي، 25، (2003)، ص 111-144.

- "الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط"، مجلة التاريخ العربي، 32، (2004)، ص 329-370.

- دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008 م.

- "الغرب والمخطوطات العربية: قراءة في تجربة"، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، 1، (2009)، 6/ 47-65.

- "موقع تلمسان من كرونولوجية انتشار الإسلام في بلاد المغرب (ق 2 - 6 هـ / 8 - 12 م)"، مغرب أوسطيات، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، 2013، ص 9-37.

عمراني محمد:

- الشرف والمجتمع والسلطة والسياسة، بالشمال الغربي المغربي بين النصف الثاني من القرن 9-13 هـ ونهاية 15-19 م، دار أبي رقراق، المغرب، 2015 م.

العمرى محمد علي قاسم:

- دراسات في النقد عند المحدثين، دار النفائس، الأردن، 2000 م.  
عنان محمد عبد الله:
- لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1968 م.  
عويس عبد الحليم:
- ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ط2، الزهراء للإعلام العربي، مصر، 1988 م.  
الفاسي عبد الكبير بن المجدوب:
- تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، منشور ضمن موسوعة أعلام المغرب، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996 م.  
فكير أحمد:
- "الشروح والمؤلفات على كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض"، مجلة الإحياء المغربية، 21، (2003)، ص 192-241.  
فيلاي عبد العزيز:
- مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، دار البعث، قسنطينة، 2002 م.
- تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002 م.
- "الزاوية المالارية، تأثيرها الروحي والديني على الدولة والمجتمع"، دراسات وبحوث مغربية، أعمال مهداة إلى الدكتور موسى لقبال، جمع وتنسيق سامعي إسماعيل وعمارة علاوة، قسنطينة، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، 2008، ص 145-160.  
الكتاني، عبد الحفي بن عبد الكبير:
- فهرس الفهارس والأثبات، مراجعة إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986 م.



الكحلاوي محمد:

- الفكر الصوفي في افريقية والغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، 2009 م.

كرم يوسف:

- تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012 م.

متولي أحمد فؤاد وفهمي هويدا محمد:

- تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة،

2005 م.

مجانى بوبة:

- "المدارس الحفصية، نظامها ومواردها"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، 12،

(1999)، ص 157-164.

محفوظ محمد:

- تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982 م.

ابن مخلوف محمد بن محمد:

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، بيروت، دت.

المغراوي محمد:

- "أنساب الأشراف بالمغرب محاولة بليوغرافية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

الرباط، 27، (2007)، ص 213-244.

المنجد صلاح الدين:

- "إجازات السماع في المخطوطات القديمة"، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 1،

(1955)، 1/ 232-250.

المنوني محمد:

- "معرض المخطوطات العربية بمكناس"، مجلة تطوان، 3-4، (1958-1959)، ص 97-108.

- "مؤلفات مغربية في الصلاة والسلام على خير البرية"، مجلة دعوة الحق، 4، (1977)، ص 20-31.
- "كتاب الشفا للقاضي عياض من خلال رواته ومروياته"، مجلة المناهل، 22، (1982)، ص 307-313.
- المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1983 م.
- ورقات عن حضارة المرينيين، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1996 م.  
ميمون زليخة بن رمضان:
- "التخطيط المادي لمدينة سبتة الإسلامية محاولة في إعادة بناء التركيبة الحضرية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، 3، (1989)، ص 59-77.  
النشار مصطفى:
- نظرية المعرفة عند أرسطو، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1995.  
نويهض عادل:
- معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1971 م.  
النيفر محمد:
- عنوان الأريب عمن نشأ بالبلاد التونسية من عالم وأديب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996 م.  
المهراس المختار:
- "القبيلة والدورة العصبية قراءة في التحليل الخلدوني للمجتمع القروي المغاربي"، الفكر الاجتماعي الخلدوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص 143-171.  
الوسيني سناء:
- "ابن أبي خيثمة وكتابه التاريخي من خلال نسخة خطية عتيقة"، مجلة دار الحديث الحسنية،

16، (1999)، ص 391-457.

وكاك أنس:

- "التعريف بنسخة خطية عريقة من كتاب الصلة لابن بشكوال ودراسة ما عليها من طرر وسماعات"، *مرآة التراث*، 1، (2001)، ص 79-103.

- "المولد النبوي احتفالا وإقراء وتأليفا"، *مرآة التراث*، 3، (2014)، ص 24-41.

#### رابعا: المراجع المعربة:

ايفاريسست ليفي - بروفنصال:

- *مؤرخو الشرفاء*، ترجمة عبد القادر الخلّادي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977 م.

اينالجيك خليل:

- *تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار*، ترجمة محمد الأرنبوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002 م.

بالثيا آنجيل جتثالث:

- *تاريخ الفكر الأندلسي*، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955 م.

برنشفيك روبرار:

- *تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م*، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988 م.

بول كروس:

- *التراجم الارسطوطاليسية المنسوبة لابن المقفع*، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1940 م.

جمعة شيخة:

- "مخطوطات ابن خلدون وتحليل لخطه"، ترجمة إسحاق عبيد، ابن خلدون، البحر المتوسط في

القرن الرابع عشر، قيام وسقوط إمبراطوريات، تنسيق مريا خيسوس فيجيرا، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2007، ص 350-367.

جيسي روبنسون:

- البلاط والمجتمع الإسلامي، دراسة في سوسولوجيا الكتابة التاريخية عند المسلمين، ترجمة عبد الجبار ناجي، المركز الأكاديمي للأبحاث، العراق- تورنتو، 2014 م.  
الدشراوي فرحات:

- الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365 هـ/909-975 م) التاريخ السياسي والمؤسسات، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994 م.  
الدولاتي عبد العزيز:

- مدينة تونس في العهد الحفصي، ترجمة محمد الشابي، وعبد العزيز الدولاتي، دار سراس، تونس، 1981 م.  
ديروش فرنسوا:

- المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ترجمة أيمن فؤاد سيّد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2005 م.  
روزنتال فرانز:

- علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983 م.  
سيزكين فؤاد:

- تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الرياض، السعودية، 1991 م.  
شاتزميلر مايا:

- المؤرخون والسلطة في المغرب، ترجمة محمد شقير ومحمد ضريف، مطبعة المعارف الجديدة،

الرباط، 1993 م.

شنشون رمضان:

- "تطور حروف المتن في المخطوطات الإسلامية"، ترجمة طه مصطفى أمين، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مج 53، (2009)، 1/ 232-250.

العش يوسف:

- دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط، ترجمة نزار أباضة ومحمد صباغ، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، 1991 م.

ك- بويكا:

- المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ترجمة أبو كرم، منشورات دار علماء الدين، دمشق، 1999 م.

لوتورنو روجي:

- فاس في العصر المريني، ترجمة نقولا زياد، دط، مؤسسة فراكلين للطباعة والنشر، نيويورك، 1967 م.

لومير جاك:

- مدخل إلى علم المخطوط، ترجمة مصطفى طوبي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2006 م.

مارسي. وليام وجورج:

- المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، ترجمة مراد بلعيد وعلي محمد بورويبة وفلة عبد مزيام، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011 م.

- تراث تلمسان المعماري في القرون الوسطى، ترجمة سعيد دحماني، مؤسسة الرجاء للطباعة والنشر، قسنطينة، 2012 م.

ميرندا هويثي أومبرويو:

- التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكيمير، منشورات الزمن، الرباط، 2004 م.

هادي روجي إدريس:

- الدولة الصنهاجية، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 م.  
هارى المر بارنز:

- تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبد الرحمن برج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984 م.

هورفيتس يوسف:

- المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة حسين نصار، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001 م.

خامسا: فهارس المخطوطات العربية:

أ- فهارس مكتبات الدول العربية.

- حنشي محمد سعيد وعبد العالي المدبر: فهارس الخزانة الحسنية، فهرس مخطوطات الأدب، المطبعة الملكية، الرباط، 2001. وفهرس الكتب المخطوطة في السيرة النبوية المحفوظة بالخزانة الحسنية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2010 م.

- صديق بن العربي: فهرس مخطوطات خزانة بن يوسف بمراكش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994 م.

- عنان محمد عبد الله وآخرون: فهارس الخزانة الحسنية (قسم التاريخ والرحلات والإجازات)، المطبعة الملكية، الرباط، 2000 م.

- الفاسي محمد العابد: فهرس مخطوطات خزانة القرويين، الجزء الأول: دار الكتاب، الدار البيضاء، 1979 م. الجزء الثاني مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1980 م. الجزء الثالث: مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1983 م.

- فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1930 م.
- فهرس المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (مجموعة محمد الحجوي)، منشورات المكتبة الوطنية، الرباط، 2008-2009 م.
- فهرس المخطوطات المصورة لمعهد المخطوطات العربية بالكويت، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، 1984 م.
- الكتاني محمد بن إبراهيم وصالح التادلي:
- فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997.
- لحيمر حميد: الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الراشدية، مطبعة الأمنية، الرباط، 2009 م.
- المرابطي سعيد: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2002 م.
- منصور عبد الحفيظ: الفهرس العام للمخطوطات دار الكتب الوطنية التونسية (رصيد مكتبة حسن حسني عبد الوهاب)، دار بوسلامة، تونس، 1975 م.
- المنوني محمد: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط (الخزانة الكتانية)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، مج 6، 1999-2000 م.
- ي. س. العلوش وعبد القادر الرجراحي: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001 م.

ب- فهرس مكتبات الدول الأجنبية:

- B.de Slane, *Catalogue des manuscrits arabes*, Imprimerie nationale, Paris, 1883-1895.
- Bargès Jean Joseph Léandre, *Catalogue des livres orientaux de l'abbé Bargès*, Paris, 1896.
- Derembourg H. et Lévi-Provençal Evariste, *Les manuscrits arabes de L'Escurial*, Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1928.

- Rosen and Forshall, *Catalogus Codicum Manuscriptorum Orientalium Qui In Museo Britannico Asservantur*, British Museum, Londini, 1838 - 1894.
- Voorhoeve P., *Codices Manuscript VII Handlist of Arabic Manuscript in the Library of the University of Leiden and other Collections in the Netherlands*, Bibliotheca Universitatis Lugduni Batavorum, 1957.

سادسا: المراجع باللغة الأجنبية:

Amara Allaoua,

- «Al-Ābilī (maître des sciences rationnelles à Tlemcen au VIII<sup>e</sup>/XIV<sup>e</sup> siècle», *Les échanges intellectuels Béjaia - Tlemcen*, Djamel Aïssani et Mohammed Djehiche (éd.), Ministère de la Culture, Alger, 2001, pp. 44- 52.
- « La transmission du savoir historique en al- Andalus et au Maghreb à la fin du Moyen Age », *The Maghreb Review* , 28/2-3, (2003), pp. 215 - 244.
- « Ibn Khaldoun et les Berbères », *Revue des Lettres et sciences humaines*, Université Emir Abdelkader, Constantine,7 ,(2006), pp. 5-17.

Ana Ramos Calvo,

- «Le Barnāmağ d'al-Tuğībī», *Arabica*, 24-3, (1977). pp. 291- 298.

Arajona Castro Antonio,

- « Las epidemias de peste bubonica en andalucia en el siglo XIV», *Boletin de la Real Academia de Cordoba*, LVI -108, (1985), pp. 49-58.
- Bargès Jean Joseph Léandre,
- *Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, souvenirs d'un voyage*, Benjamin Duprat et Charllamel Ainé, Paris, 1859.
- *Complément de l'histoire des Beni Zeiyan rois de Tlemcen*, Ernest Leroux, Paris, 1887.

Beck Herman L.,

- *L'image d'Idrīs II, ses descendants de Fās et la politique šarīfienne des sultans marīnides (656-869/1258-1465)*, Leiden, Brill, 1989.

Boloix Galardo Barbara,

- «Beyond the Haram: Ibn al-Khatib and His privileged Knowledge of royal Nasrid Women», *Medieval encounters*, 20, (2014), pp. 383- 402.
- «Presencia e importancia de la mujer en el Musnad d' Ibn Marzuq al-Tilmsānī», *Anaquel de Estudios Arabes*, 27, (2016), pp. 7- 28.

Bouali Sid- Ahmed,

- *Les deux grands sièges de Tlemcen dans l'histoire et la légende*, Entreprise nationale du livre, Alger, 1984.

Brett Michael,

- «Ibn Khaldun and the Dynastic approach to local history: the case of Biskara», *Ibn Khaldun and the Medieval Maghreb*, British Library, Us library of Congress, 1999.



Brosselard Charles,

- «Les inscriptions arabes de Tlemcen», *Revue africaine*, 14, (1858), pp.81-94.

Cheddadi Abdesselam,

- *Peuples et nation du monde*, Sindbad, Paris, 1986. *Ibn Khaldun l'homme et le théoricien de la civilisation*, Gallimard, Paris, 2006.

De la Véronne Chantal,

- *Yaghmurasan, premier souverain de la dynastie berbère des Abdalwadides de Tlemcen 633- 681/ 1236- 1283*, Bouchène, Paris, 2002.

Deverdun Gaston,

- «Un registre d'inventaire et de prêt de la bibliothèque de la mosquée 'Ali Ben Youssef à Marrakech daté de 1111 H - 1700 J.C.» *Hespers*, 31, (1944), pp 55-59.

Elisabeth Carpentier,

- « Autour de la peste noire, famines et épidémies dans l'histoire du XIV<sup>e</sup> siècle», *Annales . Économie, Société, Civilisation*, 17-6, (1962), pp. 1062-1092.

Ferhat Halima,

- «Frugalité soufie et banquets de zaouyas: l'éclairage des sources hagiographiques », *Médiévales*, 33, (1997), pp 69-79.

- *Le soufisme et les zaouyas au Maghreb*, Casablanca, Maroc, Les éditions Toubkal, 2003.

Fromherz Allen,

- «Ibn Khaldun, Ibn al-Khatib and their milieu, A Community of Letters in the Fourteenth-Century Mediterranean », *Medieval Encounters*, 20, (2014), pp. 288-305.

Gardet Louis et Anawati Georges C. ,

- « Introduction à la théologie musulmane essai de théologie comparée », librairie philosophique J.Vrin, Paris, 1948, pp.102-108.

Gaston Deverdun,

- «Un registre d'inventaire et de prêt de la bibliothèque de la mosquée 'Ali Ben Youssef à Marrakech daté de 1111 H- 1700 J.C.» *Hespers*, 31, (1944), pp 55-59. Gigandet Suzanne,

- «Trois Maqālāt au sujet des épidémies de peste en Andalousie et au Maghreb», *Arabica*, XLVIII- 3, (2001), pp. 401-407.

- « Trois Maqālāt sur la prévention des épidémies », *Arabica*, LII-2, (2005), pp. 254- 293.

Golvin, Lucien,

- «Note sur le mot ribât (terme d'architecture) et son interprétation en Occident musulman », *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, 6, (1969), pp. 95- 101.

Hamelin O.,

- *Le Système d'Aristote*, Librairie Félix Alcan, Paris, 1920.

Heers Jacques,

- *L'Occident aux XIV<sup>e</sup> et XV<sup>e</sup> siècle, Aspects économiques et sociaux*, Paris, Publications universitaires de France, 1963

Kably Mohamed,

- *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge (XIV<sup>e</sup>-XV<sup>e</sup> siècles)*, Maisonneuve et Larose, Paris, 1986.

Khanboubi Ahmed,

- *Les institutions gouvernementales sous les Mérinides (1258-1465)*, l'harmattan, Paris, 2008.

Lamrabet Driss,

- «Ecrits mathématiques en circulation au Maghreb à l'époque d'Ibn Khaldun (732 - 808 H 1332 -1406) », *les constructions intellectuelles en Occident Musulman au temps d'Ibn Khaldun*, coordination Bennacer el Bouazzai, Imprimerie Najah ElJadida, Casablanca, pp. 27-55.

Le Tourneau Roger,

- « La révolte d'Abu-Yazid au X<sup>e</sup> siècle », *Cahiers de Tunisie*, I, (1953), pp. 103-125.

- Lévi-Provençal Évariste,

- «Un historiographe et poète de cour mérinide: Abu Faris al-Malzuzi», *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales*, Alger, 1934 -1935. pp 185- 196.

- « Note sur l'exemplaire du *Kitab al-'ibar* offert par Ibn Ḥaldūn à la bibliothèque d'al-Karawiyin à Fès », *Journal asiatique*, Paris, CCIII, 1923, p.161-168.

M'Rabet M' hamed Ali,

- « *L'Ifriqiya à l'époque hafside* », *Histoire générale de la Tunisie*, (le moyen-âge), Sud éditions, Tunis, 2008. pp. 351-433.

Maratos Quesada Juan,

- «La Labor historiografica de Ibn Idari », *Anaquel de estudios arabes*, 20, (2009), pp. 117- 130.

Marçais Georges,

- *Tlemcen, ville d'art et d'histoire*, Librairie Renourd, H.Laurens, éditeur, Paris, 1950.

Melhaoui Mohammed,

- Peste, contagion et martyre, *Histoire du fléau en Occident médiéval*, Publisud, Paris, 2005.

Meouak, Mohmed,

- «Retour sur la langue berbère au Moyen âge à la lumière des géographes al-Bakri et al-Idrisi, études », *documents berbères*, 29- 30, (2010- 2011), Paris, pp. 275-309. - -

- *La langue berbère au Maghreb médiéval*, Brill, Leiden, 2015.

Mezzine Mohamed,

- *Fès médiéval entre légende et l'histoire, un carrefour de l'Orient à l'apogée d'un rêve*, édition autrement, Paris, 1992.

Nassif Nassar,

- «Le maître d'Ibn Khaldun: al-Ābilī», *Studia Islamica* ,20 (1964), pp. 103 - 114.

Saunders J.J.,

- *The History of the Mongol Conquests*, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 2001.

Shatzmiller Maya,

- « Les circonstances de la composition du Musnad d'Ibn Marzuq », *Arabica*, 22, (1975), pp . 293-299.

Simon Robert,

- *Ibn Khaldun History as Science and the Patrimonial Empire*, Akadémia kiado, Budapest, 2002.

Terrasse Henri,

- *La Mosquée al-Qaraouiyin à Fès*, Coll. Archéologie méditerranéenne, C. Klincksieck, Paris, 1968.

- *La Mosquée des Andalous à Fès*, Publications de l'Institut des hautes études marocaines, tome 38, Les Éditions d'art et d'histoire, Paris, 1983

Urvoy Dominique,

- « La structuration du monde des ulémas à Bougie au VII/XIII<sup>e</sup> siècle », *Studia Islamica*, XLIII (1976), pp. 87-107.

Valérian Dominique,

- « *Les Andalous à Bougie (XI<sup>e</sup>-XV<sup>e</sup> siècle)* », *Migrations et diasporas méditerranéennes (X<sup>e</sup>-XVI<sup>e</sup> siècle)* », Centre de recherches d'histoire et de civilisation Byzantines, Paris, 2002, pp. 313- 330.

Walter J. Fischel,

- *Ibn Khaldun in Egypt* , California, 1967.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

المقدمة..... 1-23.

الفصل الأول:

الوسط التاريخي والبلاط "الظروف المحيطة والنتائج المترتبة"

المبحث الأول: أحداث القرنين السابع والثامن هجري وتداعياتهما على مضامين

الاسطوغرافية المحلية..... 25-62

1-خطاب تاريخي يعكس حالة من الخوف والقلق والترقب..... 26-37

2-ارتفاع وتيرة الاهتمام بنسب السلالات البربرية الحاكمة..... 38-50

3-مستوى تداول الأعمال المنجزة في نسب البربر في نهاية المرحلة الوسيطة..... 50-62

المبحث الثاني: الكتابة التاريخية السلالاتية الموجهة لخدمة البلاط المريني..... 63-106

1-مدينة المولى إدريس فاس، محور أساسي في الكتابة التاريخية المرينية..... 63-81

2-العناية بسيرة السلاطين المرينيين، أبرز تجليات الكتابة التاريخية السلالاتية..... 81-103

3-تراجع مستوى الأعمال الإخبارية السلالاتية مع تراجع سلطة البلاط المريني..... 103-106

المبحث الثالث: البلاط الزياني وعملية التدوين التاريخي السلالاتي..... 107-127

1-مساهمة حاشية البلاط الزياني في تدوين سيرة السلاطين خلال القرن 8 هـ / 14 م 108-122

2-استمرار التدوين التاريخي لصالح السلالة الزيانية الحاكمة خلال القرن 9 هـ / 15 م 122-127.

المبحث الرابع: الأسرة الحفصية الحاكمة، محور أساسي في عملية التدوين التاريخي

السلالاتي..... 128-151

1-البلاط الحفصي، يستقطب فئة الشيوخ الإخباريين الأندلسيين..... 128-135

2-طبيعة التدوين التاريخي الموجه لخدمة البلاط الحفصي..... 135-144

3-تراجع التدوين التاريخي الموجه لخدمة البلاط الحفصي خلال القرن 9 هـ / 15 م 144-151

الفصل الثاني:

تعدد مسارات التدوين التاريخي خارج مجتمع البلاط

- المبحث الأول: العناية بالتاريخ الجامع، محاولة لإعطاء هوية مشتركة للعالم الإسلامي الوسيط..... 153-214.
- 1- ابن عذاري المراكشي، وعملية تدوين تاريخ عالمي جزئي ضمن مؤلفين منفصلين... 154-162
- 2- محاولة تدوين تاريخ عالمي جزئي ضمن مؤلف واحد..... 162-210
- 3- تراجع العناية بالتواريخ الجامعة خلال القرنين 9-10 هـ / 15-16 م..... 211-214
- المبحث الثاني: النخب الفقهية المالكية والصوفية، وتبجيل العناية بالسيرة النبوية..... 215-232
- 1- تنامي ظاهرة الشروح والمختصرات على بعض أصول السيرة النبوية..... 217-227
- 2- العناية بالسيرة النبوية في شكل تواريخ منظومة..... 227-232
- المبحث الثالث: كتابات الجماعات الفقهية والمتصوفة، سير وتراجم في قالب مناقي..... 233-260
- 1- "معالم الإيمان" وذبوله، محاولة لإحياء تقاليد كتب التراجم القيروانية..... 234-243
- 2- "مدارك" القاضي عياض، محور أساسي في تراجم رجالات المالكية في المراحل الوسيطة اللاحقة..... 244-246
- 3- مناقب رجالات الصوفية، محاولة للتموقع ضمن أطر الفكر الديني الوسيط..... 246-260
- المبحث الرابع: تنوع وارتفاع مستوى الإنتاج المعرفي، يسهم في تغذية أنماط تراجمية مختلفة..... 261-295
- 1- العناية بتراجم نخبة الأدباء والشعراء..... 261-272
- 2- انحصار تيار تراجم رواة العلم الموسوعية..... 272-280
- 3- التاريخ القطري، مساهمة في تدوين ذاكرة المدن المغربية..... 280-295

الفصل الثالث:

مكانة المعارف التاريخية في تصانيف العلوم ومجالس الإقراء

- المبحث الأول: مكانة التاريخ في تصانيف العلوم عند المسلمين..... 297-325
- 1- هيمنة التصنيف الأرسطي، يعيد التاريخ عن تصنيف تيار المشائين المسلمين..... 297-307

- 2- حضور محتشم للمعارف التاريخية في التصانيف الإسلامية المعدلة..... 307-318
- 3- ابن خلدون يمنح التاريخ الاستقلالية عن باقي فروع المعرفة الإسلامية..... 318-325
- المبحث الثاني: مؤشرات كتب البرامج وفهارس الشيوخ المغربية حول مكانة المواد التاريخية..... 326-351
- 1- مكانة المواد التاريخية في كتب الفهارس المغربية المنجزة خلال القرن 8 هـ/ 14 م 327-342.
- 2- مكانة المواد التاريخية في كتب الفهارس المغربية المنجزة خلال القرنين 9-10 هـ/ 15-16 م..... 342-351
- المبحث الثالث: طبيعة المواد التاريخية المتداولة في حلقة شيوخ المغرب..... 352-385
- 1- دواوين السيرة النبوية تحتفظ بمكانتها المتقدمة إلى المراحل الوسيطة المتأخرة..... 352-379
- 2- الحضور البارز لكتب التراجم والطبقات الأندلسية في حلقة شيوخ المغرب 379-385

#### الفصل الرابع:

تاريخ النصوص الإخبارية، ومستوى تداول نسخها في بلاد المغرب "مقاربة تاريخية كوديكولوجية"

- المبحث الأول: إجازات المعارضة والسماع، تكشف عن هوية النسخ التاريخية المتداولة. 387-411
- 1- إجازات المعارضة المقيدة على نسخ "الشفاء"، تكشف عن نسخة أبي زكريا السراج 390-406
- 2- أهمية إجازات السماع المقيدة على بعض النسخ التاريخية المغربية..... 406-411
- المبحث الثاني: الوقفيات تكشف عن هوية بعض النسخ التاريخية المحبوسة على الخزائن... 412-431
- 1- ملاحظات حول النسخ الموقوفة على الخزائن المغربية في نهاية العصر الوسيط..... 412-425
- 2- نسخ "الشفاء" وكتاب "العبر" أبرز النسخ التاريخية الموقوفة في نهاية العصر الوسيط. 425-431
- المبحث الثالث: مجال جغرافي واسع لانتقال النسخ التاريخية في نهاية العصر الوسيط..... 432-475
- 1- "صلة" ابن بشكوال واستدراكاتها، بين النسخ الضائعة والمتوفرة في بلاد المغرب.... 432-436
- 2- نسخ "تكملة" ابن الأبار، ومستوى تداولها في بلاد المغرب..... 436-452
- 3- مستوى تداول نسخة "الذيل والتكملة" برواية أبي القاسم التجيبي..... 452-475
- الخاتمة..... 477-480

503-482	الملاحق.....
	قائمة المصادر والمراجع.....
	فهرس المحتويات.....
	الملخصات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الملخص:

إن محاولة تتبع مسار وحجم التدوين التاريخي في مغرب ما بعد الموحدين، ومراقبة مستويات استمرار اعتماد ذلك الخطاب التقليدي، ناهيك عن رصد مختلف التحولات التي تحكمت في طبيعته، قد تبلورت حوله إشكالية جوهرية تبحث في المكانة الفعلية التي احتلها التاريخ في الحقل المعرفية في بلاد المغرب الإسلامي في نهاية العصر الوسيط، الأمر الذي فرض علينا معالجة هذه الأخيرة على أربع مستويات أساسية:

المستوى الأول تعرضت فيه إلى مسار التدوين التاريخي المرتبط بالبلاط، حيث انتعشت أنماط تاريخية مهمة، كما أعيد خلالها الاهتمام بأنساب البربر، لكن مع التركيز الكبير على نسب الجماعات الزناتية، رافقه ذلك العناية بسيرة السلالات البربرية الحاكمة (بنو مرين، بنو عبد الواد، بنو حفص)، تجسد ذلك في انجاز مجموعة من الأعمال الإخبارية السلالاتية، على غرار أعمال ابن أبي زرع الفاسي، وابن مرزوق الخطيب، والجزنائي، وابن الأحمر، ويحيى بن خلدون، والحافظ التنسي، وابن قنفذ القسطيني، وابن الشماخ، والزرکشي.

المستوى الثاني، كان اهتمامي منصبا على دراسة الوسط التاريخي خارج مجتمع البلاط، حيث تنوعت خطوط التدوين التاريخي، ففي مقابل ضعف التدوين التاريخي الشامل الذي يجمع تاريخ المغرب بالتاريخ المشرقي، عرفت نهاية المرحلة الوسيطة انتعاش عملية التدوين التاريخي المخصصة للتراجم والطبقات، وتواريخ المدن، إضافة إلى كتب المناقب.

المستوى الثالث، يبحث في مكانة التاريخ في تصانيف العلوم الإسلامية خلال المرحلة الوسيطة، حيث كان حضوره باهتا، ولا يتناغم وحجم الأعمال المنجزة فيه، فهو إما غائبا عن تلك التصانيف بشكل كلي أو أنه جاء كأحد ملحقات العلوم الشرعية، لكن النظرية المبتكرة التي طرحها ابن خلدون في كتابه "العمران" قد أعطت للتاريخ خصوصيته المعرفية المستقلة، وبالمثل جاءت مكانة المواد التاريخية في مجالس شيوخ المغرب، حيث احتلت مواد السيرة النبوية وكتب التراجم والطبقات مكانة ممتازة في تلك المجالس، مع هيمنة التيار التاريخي المشرقي والأندلسي في مقابل ضعف التيار التاريخي المحلي.

المستوى الرابع، ناقشت فيه إشكالية تاريخ النصوص الإخبارية، وملابسات انتقال نسخها في نهاية المرحلة الوسيطة، حيث ارتفع مستوى نسخ مؤلفات السيرة النبوية، وفي مقدمتها



كتاب "الشفاء" للقاضي عياض، الذي تم تداول أصوله النفيسة بين أيدي التلامذة، كذلك انتشرت وعلى نطاق واسع كتب التراجم والطبقات، الأمر الذي كشفت عنه نصوص الإجازة والسماعات والتملكات المقيدة على مجموعة من النسخ النفيسة التي وصلتنا اليوم من أعمال تلك المرحلة المتأخرة، على غرار "التكملة" ابن الأبار، و"الذيل والتكملة" لابن عبد الملك المراكشي، كما تعتبر وقفية ابن خلدون التي قيدها بخطه على نسخة "العبر" الفارسية، من أشهر الوقفيات المقيدة على كتاب تاريخي في بلاد المغرب في نهاية العصر الوسيط.

عبد القادر للعلوم الإسلامية

## Résumé

La tentative de suivre l'évolution et l'ampleur de l'écriture de l'histoire au Maghreb post-almohade, et l'observation des degrés de continuité du discours classique ont abouti à l'élaboration d'une problématique centrale visant la recherche de la place réelle tenue par l'histoire dans les champs du savoir au Maghreb musulman à la fin du Moyen Âge. Cela m'a conduit à traiter cette dernière à quatre principaux niveaux.

J'ai traité dans le premier niveau le parcours de l'écriture de l'histoire liée à la cour où des types historiques importants sont nés. Aussi, l'intérêt de la généalogie des Berbères est mis en avant, avec une forte concentration sur la généalogie des communautés des Zanāta, accompagnée de la biographie des dynasties dirigeantes (Les Mérinides, les 'Abd al-Wadīdes et les Ḥafṣides). Des œuvres narratives et dynastiques les reflètent comme celles d'Ibn Abī Zar' al-Fāsī, Ibn Marzūq al-Ḥaṭīb, al-Ġiznā'ī, Ibn al-Aḥmar, Yaḥyā b. Ḥaldūn, al-Ḥāfīz al-Tanaṣī, Ibn Qunfuḍ al-Qasaṇīnī, Ibn al-Šammā' et al-Zarkašī.

Au second plan, mon intérêt a été porté sur l'étude du milieu historique en dehors de la cour où les grandes lignes de l'écriture historique étaient variées. Malgré la faiblesse de l'écriture de l'histoire globale liant l'histoire du Maghreb à celle de l'Orient, la fin du Moyen Âge connut une renaissance de l'écriture de l'histoire marquée par la domination des biographies et l'histoire des villes ainsi que les livres hagiographiques.

Au troisième plan, la place de l'histoire dans les classifications de sciences islamiques au Moyen Âge est au centre de l'intérêt. La présence de l'histoire était faible ne reflétant pas les œuvres composées, car soit elle était complètement absente soit elle a été annexée aux sciences religieuses. Mais la théorie inventée par Ibn Ḥaldūn dans son ouvrage *al-'Umrān* a donné à l'histoire une spécificité intellectuelle autonome. De même, les matières historiques enseignées dans les cercles du savoir vont dans le même sens. La biographie du Prophète, les dictionnaires biographiques occupent une place centrale, notant aussi la domination du courant andalou-oriental et la faible place du courant historique local.

Dans le quatrième chapitre, j'ai abordé la problématique de l'histoire des textes narratifs et les contextes de l'exécution des copies au Moyen Âge. Il est à noter que l'exécution des copies connaît une évolution

remarquable notamment en ce qui concerne les ouvrages relatifs à la biographie du Prophète, comme le *Kitāb al-Šifā* d'al-Qādī 'Iyād, dont la circulation de précieuses copies est attestée chez les quêteurs du savoir. Aussi, les ouvrages biographiques connaissent une large circulation, comme l'attestent les certificats de lecture et d'audition ainsi que les marques d'appropriation que portent les manuscrits qui nous sont parvenus à l'image de *Takmila* d'Ibn al-Abbār et de *Dayl wa-l-takmila* d'Ibn al-'Abd al-Malik al-Marrākušī. L'acte de *waqf* écrit par Ibn Ḥaldūn sur son ouvrage, *al-'Ibar*, est l'un des célèbres en la matière au Maghreb de la fin du Moyen Âge.

المركز  
عبد القادر للعطوم الإسلامية

## **Abstract**

The attempt to follow the course and size of the historical record in Maghreb in post-Almohad , and to monitor the levels of continued adoption of that traditional discourse, not to mention the various transformations that have governed its nature, so it has crystallized around it a fundamental problem that examines the actual place that is occupied by history in the knowledge fields in the Islamic Maghreb at the end of the middle ages, and this is what forced me to address the latter on four basic levels:

The first level I have touched upon the path of historical blogging associated with the tile, where important historical patterns were revived, and interest in the Berber genealogy was restored also, but with the great emphasis on the proportions of the Zanat groups, this was accompanied by the care of the Berber dynasties (Bano Marin, Bani Abd El Waad, Beno Hafs), this is reflected in the achievement of a collection of news works of dynasticism, such as the works of Ibn Abi Zaraa al-Fassi, Ibn Marzouk al-Khatib, al-Jazna'i, Ibn al-Ahmar, Yahya ben Khaldoun, al-Hafid al-Tansi, Ibn Kounfoud al-Kastanini, Ibn al-Chammaa and al-Zarkashi.

The second level was my interest in studying the historical field outside the tile community, where the historical recording lines varied. In contrast to the weakness of the comprehensive historical record that combines both of the history of Maghreb with the oriental one, the end of the intermediate stage marked the revival of the historical codification process for translations and classes, city dates, as well as the books of virtues.

The third level deals with the status of history in the classification of Islamic sciences during the middle stage, where its presence was dim, and inconsistent, with the volume of work done in it. It is either completely absent from these categories or it came as one of the accessories of the forensic science, but the innovative theory that was put forward by Ibn Khaldoun in his book "Al-Omran" gave the history its own independent knowledge, similarly, the status of the historical materials in the councils of the sheikhs of Maghreb, where the materials of the biography of the Prophet and the books of translations and classes occupy an excellent place in these councils, with the dominance of the historical trend of the

eastern and Andalusian in exchange for the weakness of the local historical trend.

the fourth level, I discussed the problematic of history of the news texts, and the circumstances of transmission its copies at the end of the intermediate stage, where the level of copies of the books of the Prophet's biography was increased, especially the book "Shifa", whose precious assets were traded in the hands of students, and was widely spread in translations and classes, this was revealed by the texts of the license, speakers and restricted holdings to a collection of precious copies that have reached us today from the works of that late stage, such as "The Sequel" of Ibn Al-Abar , "the tail and the sequel" of Ibn Abd Al-Malik Al-Marrakshi, and the endowment of Ibn Khaldoun, that he inscribed in his handwriting on the Persian version "lessons" is considered one of the most famous endowments on a historical book in the Maghreb at the end of the Middle Ages.

القادر للعلوم الإسلامية